

نهج البلاغة

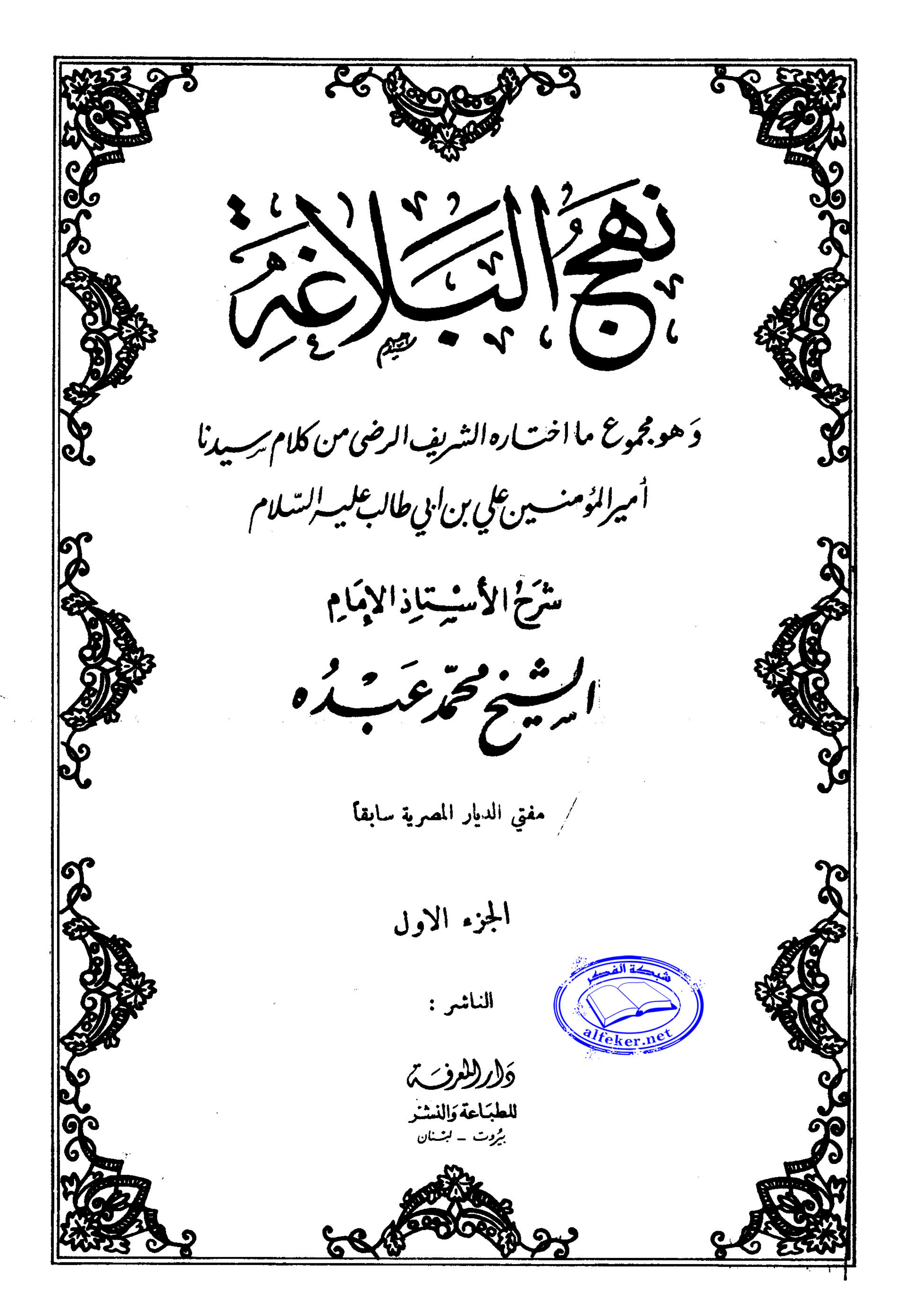
وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده

١ - ٤

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان



نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضى من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية سابقاً

الجزء الاول

الناشر :

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

من هو الامام علي ؟

اجتمع للامام علي بن أبي طالب من صفات الكمال ، ومحمود الشمائل ، والخلال، وسناء الحسب وباذخ الشرف ، مع الفطرة النقية ، والنفس المرضية ، مالم يتهيأ لغيره من أفذاذ الرجال .

تحدَّر من أكرم المناسب ، وانتمى الى أطيب الاعراق ، فأبوه أبو طالب عظيم المشيخة من قريش. وجدّه عبد المطلب أمير مكة وسيّد البطحاء ثم هو قبل من هامات بني هاشم وأعيانهم ، وبنو هاشم كانوا كما وصفهم الجاحظ : « مِلْح الارض ، وزينة الدنيا ، وحلى العالم ، والسّنام الأضخم ، والكاهل الأعظم ، ولُباب كلّ جَوْهَر كريم ، وسرّ كل عُنْصُر شريف ، والطينة البيضاء ، والمغرس المبارك والنِّصاب الوثيق ، ومعدن الفهم ، وينبوع العلم . . . »

واختصَّ بقرابته القريبة من الرسول عليه السلام ، فكان ابن عمه ، وزوج ابنته وأحب عِترته اليه ، كما كان كاتب وحيه ، وأقرب الناس الى فصاحته.وبلاغته ، وأحفظهم لقوله وجوامع كلمه ، أسلم على يديه صبياً قبل ان يمس قلبه عقيدة سابقة أو يخالط عقله شَوْبٌ من شرك موروث ، ولازمه فتياً يافعاً ، في غدوّه ورواحه وسلمه وحربه ، حتى تخلّق بأخلاقه ، واتّسم بصفاته وفقِه عنه الدين ، وثقف مانزل به الروح الأمين ، فكان من افقه أصحابه واقضاهم ، واحفظهم واوعاهم ، وادقهم في الفتيا ، واقربهم الى الصواب ، وحتى قال فيه عمر : لابقيتُ لمعضلة ليس فيها ابو الحسن ، وكانت حياته كلها مفعمة بالاحداث ، مليئة بجلائل الامور ،ففي عهد الرسول عليه السلام ، ناضل المشركين واليهود ، فكان فارس الحلبة ومِسعَر الميدان صليب النبع جميع الفؤاد . ذلك هو الامام علي بن ابي طالب عليه السلام .

مقدمة الاستاذ الامام الشيخ محمد عبده

بسم الله الرحمن الرحيم

حمداً لله سياج[١] النعم. والصلاة على النبي وفاءُ الذمم. واستمطار الرحمة على آله الاولياء، وأصحابه الأصفياء، عرفان الجميل وتذكار الدليل[٢]: وبعد فقد أوفى لي حكم القدر بالاطلاع على كتاب (نهج البلاغة) مصادفة بلا تعمل. أصبته على تغير حال وتبلبل بال، وتزاحم أشغال، وعطلة من أعمال. فحسبته تسلية، وحيلة للتخلية فتصفحت بعض صفحاته، وتأملت جملاً من عباراته. من مواضع مختلفات، وموضوعات متفرقات. فكان يخيل إلي في كل مقام ان حروباً شبت وغارات شنت وان للبلاغة دولة، وللفصاحة صولة. وان للاوهام عرامة[٣] وللريب دعارة. وإن جحافل الخطابة، وكتائب الذرابة، في عقود النظام وصفوف الانتظام، تنافح بالصفيح الأبلج[٤] والقويم الاملج. وتمتلج المهج برواضع الحجج. فتفل من دعارة الوساوس[٥] وتصيب مقاتل الخوانس. والباطل منكسر ومرج الشك في خمود[٦] وهرج الريب في ركود. وان مدبّر تلك الدولة، وباسل تلك الصولة، هو حامل لوائها الغالب، أمير المؤمنين علي بن أبي طالب.

---

(١) السياج: ما احيط به على شيء (٢) معرفة طريق الحق والهداية اليه.

(٣) العرمة الشراسة. والدعارة سوء الخلق. والجحافل الجيوش. والكتائب الفرق منها والذرابة حدة اللسان في فصاحة. والكلام تخيل حرب بين البلاغة وهائجات الشكوك والاوهام.

«٤» تنافح تضارب اشد المضاربة. والصفيح السيف والأبلج اللامع البياض. والقويم الرمح والاملج الاسمر. وهي مجازات عن الدلائل الواضحة والحجج القوية المبدنة للوهم وان خفى مدركها وتمتلج اي تمتص. والمهج دماء القلوب لاتبقي للاوهام شيئاً من مادة البقاء

«٥» فل الشيء ثلمه والقوم هزمهم. والخوانس خواطر السوء تسلك من النفس مسالك الخفاء

«٦» المرج الاضطراب. والهرج هيجان الفتنة

بل كنت كلما انتقلت من موضع الى موضع أحس بتغير المشاهد . وتحول المعاهد فتارة كنت أجدني في عالم يغمره من المعاني أرواح عالية. في حلل من العبارات الزاهية تطوف على النفوس الزاكية . وتدنو من القلوب الصافية : توحي اليها رشادها . وتقوم منها مرادها . وتنفر بها عن مداحض المزال . إلى جواد الفضل والكمال .

وطوراً كانت تتكشف لي الجمل عن وجوه باسرة[1] ، وأنياب كاشره . وأرواح في أشباح النمور ، ومخالب النسور . قد تحفزت للوثاب ، ثم انقضت للاختلاب فخلبت القلوب عن هواها ، واخذت الخواطر دون رماها . واغتالت فاسد الاهواء وباطل الآراء .

وأحياناً كنت أشهد أن عقلاً نورانياً ، لايشبه خلقاً جسدانياً ، فصل عن الموكب الالهي ، واتصل بالروح الانساني . فخلعه عن غاشيات الطبيعة وسما به الى الملكوت الاعلى . ونما به إلى مشهد النور الاجلي . وسكن به الى عمار جانب التقديس . بعد استخلاصه من شوائب التلبيس[2] . وآنات كأني أسمع خطيب الحكمة ينادي بأعلياء الكلمة ، وأولياء أمر الأمة ، يعرّفهم مواقع الصواب ويبصرهم مواضع الارتياب ويحذرهم مزالق الاضطراب . ويرشدهم إلى دقاق السياسة . ويهديهم طرق الكياسة ، ويرتفع بهم الى منصات الرئاسة ويُصعدهم شرف التدبير ، ويشرف بهم على حسن المصير

ذلك الكتاب الجليل هو جملة مااختاره السيد الشريف الرضي رحمه الله من كلام سيدنا ومولانا امير المؤمنين علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . جمع متفرقه وسماه بهذا الاسم (نهج البلاغة) ولا أعلم اسماً أليق بالدلالة على معناه منه . وليس في وسعي ان أصف هذا الكتاب بأزيد مما دل عليه اسمه ، ولا أن آتي بشيء في بيان مزيته فوق ما أتى به صاحب الاختيار كما سترى في مقدمة الكتاب .ولولا أن غرائز الجبلة ، وقواضي الذمة ، تفرض علينا عرفان الجميل لصاحبه ، وشكر المحسن على احسانه ، لما احتجنا الى التنبيه على ما أودع نهج البلاغة ، من فنون الفصاحة . وما خُصّ به من وجوه البلاغة ، خصوصاً وهو لم يترك غرضاً من أغراض الكلام إلا اصابة ولم يدع للفكر ممراً إلا جابه[3] .

---

(١) باسرة : عابسة .(٢) التلبيس:التخليط التدليس (٣) جابه يجوبه:خرقه ومضى به

الا أن عبارات الكتاب لبعد عهدها منا، وانقطاع أهل جيلنا عن أصل لساننا قد نجد فيها عرائب الفاظ في غير وحشية، وجزالة تركيب في غير تعقيد، فربما وقف فهم المطالع دون الوصول الى مفهومات بعض المفردات أو مضمونات بعض الجمل. وليس ذلك ضعفاً في اللفظ أو وهنا في المعنى وإنما هو قصور في ذهن المتناول.

ومن ثم همت بي الرغبة أن أصحب المطالعة بالمراجعة والمشارفة بالمكاشفة، وأعلق على بعض مفرداته شرحاً وبعض جمله تفسيراً وشيء من اشاته تعيناً، واقفاً عند حد الحاجة مما قصدت. موجزاً في البيان ما استطعت. معتمداً في ذلك على المشهور من كتب اللغة والمعروف من صحيح الأخبار. ولم اتعرض لتعديل ماري عن الامام في مسألة الامامة أو تجريحه، بل تركت للمطالع الحكم فيه بعد الالتفات إلى اصول المذاهب المعلومة فيها، والاخبار المأثورة الشاهدة عليها، غير أني لم أتحاش تفسير العبارة، وتوضيح الاشارة لا اريد في وجهي هذا الا حفظ ما أذكر، وذكر ما أحفظ. تصوّنا من النسيان وتحرزاً من الحَيَدان(١). ولم أطلب من وجه الكتاب الا ما تعلق منه بسبك المعاني العالية في العبارات الرفيعة في كل ضرب من ضروب الكلام. وحسبي هذه الغاية فيما أريد لنفسي ولمن يطلع عليه من أهل اللسان العربي.

وقد عني جماعة من أجلة العلماء بشرح الكتاب وأطال كل منهم في بيان ما انطوى عليه من الاسرار، وكل يقصد تأييد مذهب وتعضيد مشرب. غير أنه لم يتيسر لي ولا واحد من شروحهم الا شذرات وجدتها منقولة عنهم في بطون الكتب، فان وافقت أحدهم فيما رأى فذلك حكم الاتفاق، وان كنت خالفتهم فالى صواب - فيما أظن - على أني لا اعد تعليقي هذا شرحاً في عداد الشروح، ولا أذكره كتاباً بين الكتب، وانما هو طراز لنهج البلاغة وعَلَمٌ توشى به أطرافه(٢).

وأرجو ان يكون فيما وضعت من وجيز البيان فائدة للشبان من اهل هذا الزمان فقد رأيتهم قياماً على طريق الطلب، يتدافعون لنيل الأرب من لسان العرب. يبتغون لأنفسهم سلائقَ عربية وملكات لغوية، وكل يطلب لساناً خاطباً، وقلماً كاتباً، لكنهم يتوخّون وسائل مايطلبون في مطالعة المقامات وكتب الراسلات مما

---

(١) الحيدان، كفيضان: الميل والجور. (٢) العلم مانصب في الطريق ليهتدي به.

كتبه المولدون . او قلدهم فيه المتأخرون . ولم يراعوا في تحريره إلا رقة الكلمات ، وتوافق الجناسات . وانسجام السجعات . ومايشبه ذلك من المحسنات اللفظية والتي وسموها بالفنون البديعة . وان كانت العبارات خلواً من المعاني الجليلة ، أو فائدة الأساليب الرفيعة .

على ان هذا النوع من الكلام بعض ما في اللسان العربي وليس كل مافيه ، بل هذا النوع إذا نفرد يعد من ادنى طبقات القول ، وليس في حلاه المنوطة بأواخر الفاظه مايرفعه الى درجة الوسط . فلو انهم عدلوا الى مدارسة ماجاء عن اهل اللسان ، خصوصاً اهل الطبقة العليا منهم لأحرزوا من بغيتهم ما امتدت اليه اعناقهم ، واستعدت لقبوله أعراقهم . وليس في اهل هذه اللغة الا قائل بأن كلام الامام علي بن ابي طالب هو اشرف الكلام وأبلغه بعد كلام الله تعالى وكلام نبيه (ص) — وأغزره مادة وأرفعه اسلوباً واجمعه لجلائل المعاني .

فأجدر بالطالبين لنفائس اللغة ، والطامعين في التدرج لمراقيها ان يجعلوا هذا الكتاب اهم محفوظهم ، وافضل مأثورهم ، مع تفهم معانيه في الاغراض التي جاءت لأجلها وتأمل الفاظه في المعاني التي صيغت للدلالة عليها . ليصيبوا بذلك افضل غاية وينتهوا الى خير نهاية ، واسأل الله نجاح عملي واعمالهم . وتحقيق املي وآمالهم .

ولنقدم للطالع موجزاً من القول في نسب الشريف الرضي جامع الكتاب ، وطرفاً من خبره. فهو ابو الحسن محمد بن ابي احمد الحسين بن موسى بن محمد بن موسى ابن ابراهيم بن موسى بن جعفر الصادق بن محمد الباقر بن علي زين العابدين بن الحسين ابن علي بن ابي طالب كرم الله وجهه . وامه فاطمة بنت الحسين بن الحسن الناصر صاحب الديلم ابن علي بن الحسن بن علي بن عمر بن علي بن الحسين علي بن ابي طالب رضي الله عنه . ولد الشريف الرضي في سنة تسع وخمسين وثلاثمائة . واشتغل بالعلم ففاق في الفقه والفرائض وبذّ اهل زمانه في العلم والادب .

قال صاحب اليتيمة هو اليوم ابدع ابناء الزمان وانجب سادات العراق ، يتحلى مع محتده الشريف ومفخره المنيف بأدب ظاهر ، وفضل باهر ، وحظ من جميع

الحامد وافر ، تولى نقابة نقباء الطالبيين بعد ابيه في حياته سنة ثمانة وثمانين وثلاثمائة ، ضمت اليه مع النقابة سائر الاعمال التي كان يليها ابوه ، وهي النظر في المظالم، والحج بالناس . وكان من سمو المقام بحيث يكتب الى الخليفة القادر بالله العباسي احمد بن المقتدر من قصيدة طويلة : نفتخر بها ويساوي نفسه بالخليفة :

عطفاً أمير المؤمنين فاننا — في دوحة العلياء لانتفرق
مابيننا يوم الفخار تفاوتٌ — ابداً ، كلانا في المعالي معرق
الا الخلافة ميزتك فانني — انا عاطل منها وانت مطوّق

ويروى ان القادر قال له عند سماع هذا البيت : على رغم انفك الشريف ومن غرر شعره فيما يقرب من هذا قوله :

رمت المعالي فامتنعن ولم يزل — ابداً ينازع عاشقا معشوق
وصبرت حتى نلتهن ولم أقل — ضجراً: دواء الفارك(١) التطليق

وابتدأ بقول الشعر بعد ان جاوز عشر سنين بقليل . قال صاحب اليتيمة ، وهو أشعر الطالبيين : من مضى منهم ومن غبر ـ على كثرة شعرائهم المفلقين ـ ولو قلت انه اشعر قريش لم ابعد عن الصدق . وقال بعض واصفيه رحمه الله : كان شاعراً مفلقاً فصيح النظم ضخم الالفاظ قادراً على القريض متصرفاً في فنونه ، ان قصد الرقة في النسيب أتى بالعجب العجاب ، وان اراد الفخامة وجزالة الالفاظ في المدح وغيره أتى بما لا يشق له فيه غبار ، وان قصد المراثي جاء سابقاً والشعراء منقطعة الانفاس . وكان مع هذا مترسلا كاتباً بليغاً متين العبارات سامي المعاني . وقد اعتنى بجمع شعره في ديوان جماعة ، وأجود ماجمع منه مجموع أبي حكيم الخبري ، وهو ديوان كبير يدخل في أربع مجلدات كما ذكره صاحب اليتيمة. وصنف كتاباً في معاني القرآن العظيم قالوا يتعذر وجود مثله ، وهو يدل على سعة اطلاعه في النحو واللغة واصول الدين . وله كتاب في مجازات القرآن . وكان عليّ الهمة تسمو به عزيمته الى امور عظام لم يجد من الأيام عليها معيناً فوقفت به دونها حتى قضى . وكان عفيفاً متشدداً في العفة بالغاً فيها الى النهاية لم يقبل من احد صلة ولا جائزة حتى انه رد صلات ابيه ! وقد اجتهد بنو بويه على قبوله صلاتهم فلم يقبل . وكان يرضى بالاكرام وصيانة الجانب واعزاز

(١) الفارك : المرأة الكارهة لزوجها .

الاتباع والاصحاب. حكى ابو حامد محمد بن محمد الاسفرائينى الفقيه الشافعي ، قال : كنت يوماً عند فخر الملك ابي غالب محمد بن خلف وزير بهاء الدولة وابنه سلطان الدولة فدخل عليه الرضي (صاحب كلامنا الآن) ابو الحسن فأعظمه وأجل مكانه ورفع من منزلته وخلى ما كان بيده من القصص والرقاع واقبل عليه يحادثه الى ان انصرف . ثم دخل بعد ذلك المرتضى أبو قاسم (اخو الشريف الرضي) فلم يعظمه ذلك التعظيم ولا اكرمه ذلك الاكرام وتشاغل عنه برقاع يقرأها فجلس قليلاً ثم سأله أمراً فقضاه ثم انصرف . قال ابو حامد فقلت : اصلح الله الوزير هذا المرتضى هو الفقيه المتكلم صاحب الفنون وهو الامثل والأفضل منهما وانما أبو الحسن شاعر . قال فقال لي اذا انصرف الناس وخلا المجلس اجبتك عن هذه المسألة . قال وكنت مجمعاً على الانصراف فعرض من الامر مالم يكن في الحساب فدعت الضرورة الى ملازمة المجلس حتى تقوض الناس . وبعد ان انصرف عنه اكثر غلمانه ولم يبق عنده غيري قال لخادم له هات الكتابين اللذين دفعتهما اليك منذ ايام وأمرتك بوضعها في السفط الفلاني ، فأحضرهما فقال هذا كتاب الرضي اتصل بي انه قد ولد له ولد فأنفذت اليه الف دينار وقلت هذا للقابلة فقد جرت العادة أن يحمل الاصدقاء وذوو مودتهم مثل هذا في مثل هذه الحال ، فردها وكتب اليّ هذا الكتاب فاقرأه ، فقرأته فاذا هو اعتذار عن الرد وفي جملته : اننا اهل بيت لايطلع على احوالنا قابلة غريبة ، وانما عجائزنا يتولين هذا الامر من نسائنا ولسن ممن يأخذن اجرة ولايقبلن صلة . قال فهذا هذا . وأما المرتضى فانا كنا وزعنا وقسطنا على الاملاك ببعض النواحي تقسيطاً نصرفه في حفر فوهة النهر المعروف بنهر عيسى ، فأصاب ملكا للشريف المرتضى بالناحية المعروفة بالداهرية من التقسيط عشرون درهماً ثمنها دينار واحد ، وقد كتب منذ ايام في هذا المعنى هذا الكتاب فاقرأه وهو اكثر من مائة سطر يتضمن من الخشوع والخضوع والاستمالة والهزء والطلب والسؤال في اسقاط هذه الدراهم المذكورة مايطول شرحه قال فخر الملك فأيهما ترى اولى بالتعظيم والتبجيل : هذا العالم المتكلم الفقيه الاوحد ونفسه هذه النفس ، أم ذلك الذي لم يشهر الا بالشعر خاصة ونفسه تلك النفس ؟ . فقلت وفق الله سيدنا الوزير والله ما وضع الامر الا في موضعه ولا أحله الا في محله.

وتوفي الرضي في المحرم سنة أربع واربعمائة ودفن في داره بمسجد الانباريين بالكرخ ومضى اخوه المرتضى من جزعه عليه الى مشهد موسى بن جعفر عليه السلام لأنه لم يستطع ان ينظر الى تابوته ودفنه ، وصلى عليه الوزير فخر الملك ابو غالب ، ومضى بنفسه آخر النهار إلى المشهد الشريف الكاظمي فألزمه بالعود الى داره . ومما رثاه به أخوه المرتضى الابيات المشهورة التي من جملتها :

يالرجال لفجعة جذمت يدي	ووددت لو ذهبت عليّ براسي
مازلت احذر وردها حتى أتت	فحسوتها في بعض ما انا حاسي
ومطلتها زمناً فلما صممت	لم يثنها مطلي وطول مكاسي
لاتنكروا من فيض دمعي عبرة	فالدمع غير مساعد ومواسي
لله عمرك من قصير طاهر	ولرب عُمْرٍ طال بالأدناس

وحكى ابن خلكان عن بعض الفضلاء أنه رأى في مجموع ان بعض الادباء اجتاز بدار الشريف الرضي (صاحب الترجمة) بسر من رأى وهو لايعرفها ، وقد أخنى عليها الزمان وذهبت بهجتها وأخلقت ديباجتها ، وبقايا رسومها تشهد لها بالنضارة وحسن الشارة ، فوقف عليها متعجباً من صروف الزمان وطوارق الحدثان ، وتمثل بقول الشريف الرضي :

ولقد بكيت على ربوعهم	وطلولها بيد البلى نَهْبُ
فبكيت حتى ضج من لغب	نضوى ، ولج بعذليَ الركب
وتلفتت عيني فمذ خفيت	عني الطلول تلفت القلب

فمر به شخص وهو ينشد الأبيات فقال له : هل تعرف هذه الدار لمن هي ؟ فقال لا . فقال هذه الدار لصاحب الابيات الشريف الرضي ، فعجب كلاهما من حسن الاتفاق . وفي رواية العلماء من مناقب الشريف الرضي مالو تقصيناه لطال الكلام ، وانما غرضنا ان يلم القارىء بسيرته بعض الالمام . والله اعلم .

مقدمة السيد الشريف الرضي

بسم الله الرحمن الرحيم

أما بعد حمدِ الله الذي جعل الحمد ثمناً لنعمائه . ومَعاذاً من بلائه . وسبيلا الى جنانه[1] وسبباً لزيادة احسانه . والصلاة على رسوله نبي الرحمة ، وامام الائمة ، وسراج الامة . المنتخب من طينة الكرم[2] وسلالة المجد الاقدم . ومغرس الفخار المعرق[3] وفرع العلاء المثمر المورق وعلى أهل بيته مصابيح الظلم ، وعصم الامم[4] ومنار الدين الواضحة ، ومثاقيل الفضل الراجحة .صلى الله عليهم أجمعين صلاة تكون إزاءً لفضلهم[5] ومكافأةً لعملهم .وكفاءً لطيب فرعهم وأصلهم . ماأنار فجر ساطع وخوى نجم طالع[6] فاني كنت في عنفوان السن[7] ، وغضاضة الغصن ، ابتدأت بتأليف كتاب خصائص الائمة عليهم السلام يشتمل على محاسن أخبارهم وجواهر كلامهم : حداني عليه غرض ذكرته في صدر الكتاب وجعلته امام الكلام . وفرغت من الخصائص التي تخص امير المؤمنين علياً عليه السلام . وعاقت عن اتمام بقية الكتاب

---

(١)في بعض النسخ ووسيلا وهو جمع وسيلة وهي مايتقرب به . ورواية سبيلا احسن

(٢) طينة الكرم اصله وسلالة المجد فرعه (٣) الفخار قال بعضهم بالكسر ويغلط من يقرأ بالفتح لانه مصدر فاخر ، والمصدر من فاعل الفعال بكسر اوله ، غير انه لايبعد ان يكون مصدر فخر . والثلاثي اذا كانت عينه او لامه حرف حلق جاء المصدر منه على فعال بالفتح نحو سمح سماحاً

(٤) العصم جمع عصمة وهو ما يعتصم به :والمنار الاعلام واحدها منارة . والمثاقل جمع مثقال وهو مقدار وزن الشيء ، تقول مثقال حبة ومثقال دينار ، فثاقيل الفضل زناته اي ان الفضل يعرف بهم مقداره (٥) ازاء لفضلهم أي مقابلة له (٦) خوى النجم سقط وخوت النجوم امحلت فلم تمطر كأخوت وخوت بالتشديد (٧ عنفوان السن اولها .

محاجزات الزمان(١) ومماطلات الأيام . وكنت قد بوبت ما خرج من ذلك ابوابا .
وفصلته فصولاً فجاء في آخرها فصل يتضمن محاسن ما نقل عنه عليه السلام من الكلام
القصير في المواعظ والحكم والامثال والآداب دون الخطب الطويلة والكتب المبسوطة .
فاستحسن جماعة من الاصدقاء والاخوان ما اشتمل عليه الفصل المقدم ذكره معجبين
ببدائعه ومتعجبين من نواصعه(٢) وسألوني عند ذلك ان ابدأ بتأليف كتاب يحتوي على
مختار كلام مولانا امير المؤمنين عليه السلام في جميع فنونه ، ومتشعبات غصونه ، من
خطب وكتب ومواعظ وآداب علماً ان ذلك يتضمن عجائب البلاغة وغرائب الفصاحة
وجواهر العربية وثواقب الكلم الدينية والدنيوية ما لا يوجد مجتمعاً في كلام(٣) ولا
مجموع الاطراف في كتاب . إذ كان امير المؤمنين عليه السلام مشرّع الفصاحة
وموردها(٤) ومنشأ البلاغة ومولدها . ومنه عليه السلام ظهر مكنونها . وعنه
أخذت قوانينها . وعلى أمثلته حذا كل قائل خطيب(٥) وبكلامه استعان كل واعظ
بليغ . ومع ذلك فقد سبق وقصروا . وتقدم وتأخروا . لأن كلامه عليه السلام
الكلام الذي عليه مسحة من العلم الالهي(٦) وفيه عبقة من الكلام النبوي . فأجبتهم
إلى الابتداء بذلك عالماً بما فيه من عظيم النفع ومنشور الذكر ومذخور الاجر .
واعتمدت به ان أبين من عظيم قدر أمير المؤمنين عليه السلام في هذه الفضيلة مضافة
إلى المحاسن الدائرة والفضائل الجمة(٧) . وانه عليه السلام انفرد ببلوغ غايتها عن جميع
السلف الاولين الذين انما يؤثر عنهم منها القليل النادر والشاذ الشارد(٨) . واما كلامه
فهو من البحر الذي لا يساحل(٩) ، والجم الذي لا يحافل(١٠) وأردت ان يسوغ لي

«١» محاجزات الزمان ممانعاته ومماطلات الايام مدافعاتها «٢» النواصع الخالصة ، وناصع كل شيء خالصه (٣) الثواقب المضيئة ومنه الشهاب الثاقب ، ومن الكلم ما يضيء لسامعها طريق الوصول الى ما دلت عليه فيهتدي بها اليه (٤) المشرع تذكير المشرعة مورد الشاربة كالشريعة (٥) حذا كل قائل اقتفى واتبع (٦) عليه مسحة من جمال، اي علامة أو أثر ، وكأنه يريد بهاء منه وضياء . والعبقة الرائحة (٧) اعتمدت قصدت ، والدائرة بفتح فسكون الكثيرة (٨) يؤثر اي ينقل عنهم ويحكى (٩) لا يغالب في الامتلاء وكثرة الماء (١٠) لا يغالب في الكثرة من قولهم ضرع حافل اي ممتلىء كثير اللبن

التمثل في الافتخار به عليه السلام بقول الفرزدق

أولئك آبائي فجئني بمثلهم إذا جمعتنا يا جرير المجامع

ورأيت كلامه عليه السلام يدور على أقطاب ثلاثة : اولها الخطب والاوامر . وثانيها الكتب والرسائل وثالثها الحكم والمواعظ . فأجمعت بتوفيق الله تعالى على الابتداء باختيار محاسن الخطب[1] ثم محاسن الكتب ثم محاسن الحكم والادب ، مفرداً لكل صنف من ذلك باباً ومفصلا فيه اوراقاً لتكون مقدمة لاستدراك ما عساه يشذ عني عاجلا ويقع اليَّ آجلا . وإذا جاء شيء من كلامه عليه السلام الخارج في أثناء حوار[2] او جواب سؤال او غرض آخر من الاغراض في غير الانحاء التي ذكرتها وقررت القاعدة عليها نسبته إلى أليق الابواب به وأشدها ملاحمة لغرضه[3] . وربما جاء فيما اختاره من ذلك فصول غير متسقة ، ومحاسن كلم غير منتظمة ، لأني أورد النكت واللمع ولا اقصد التتالي والنسق. ومن عجائبه عليه السلام التي انفرد بها وأمن المشاركة فيها ان كلامه عليه السلام الوارد في الزهد والمواعظ والتذكير والزواجر إذا تأمله المتأمل وفكر فيه المتفكر وخلع من قلبه انه كلام مثله ممن عظم قدره ونفذ امره واحاط بالرقاب ملكه لم يعترضه الشك في أنه من كلام من لا حظ له في الزهادة ولا شغل له بغير العبادة ، وقد قبع في كسر بيت[4] او انقطع في سفح جبل. لا يسمع إلا حسه ولا يرى الا نفسه ولا يكاد يوقن بانه كلام من ينغمس في الحرب مصلتاً سيفه[5] فيقطع الرقاب ويجدّل الأبطال[6] ويعود به ينطف دماً ويقطر مُهَجاً ، وهو مع تلك الحال زاهد الزهاد وبدل الأبدال[7] . وهذه من فضائله العجيبة وخصائصه

(١) اجمع عليه عزم ، والمحاسن جمع حسن على غير قياس (٢) بالفتح وبالكسر المحاورة (٣) الملاحمة الابصار والنظر ، والمراد هنا المناسبة لان من ينظر الى شيء ويبصره كانه يميل اليه ويلائمه (٤) قبع القنفذ كمنع ادخل رأسه في جلده ، والرجل ادخل رأسه في قميصه ، اراد منه الزوى وكسر البيت جانب الخباء ، وسفح الجبل اسفله (٥) اصلت سيفه جرده من غمده ، ويقط الرقاب يقطعها عرضاً ، فان كان القطع طولا قيل يقد ، قال ابن عائشة : كانت ضربات علي ابكاراً ان اعتلى قد وان اعترض قط ، ومنه قط القلم (٦) يجدل الابطال يلقيهم على الجدالة كسحابة وهي وجه الارض وينطف من نطف كنصر وضرب نطفاً وتناطفاً سال ، والمهج جمع مهجة وهي دم القلب والروح (٧) الابدال قوم صالحون لا تخلو الارض منهم ، اذا مات منهم واحد ابدل الله مكانه آخر

اللطيفة التى جمع بها بين الاضداد ، وألف بين الاشتات[١]. وكثيراً ما أذكر الاخوان بهاواستخرج عجبهم منها. وهى موضوع للعبرة بها والفكرة فيها . وربماجاء فى أثناء هـذا الاختيار اللفظ المردد والمعنى المكرر والعذر فى ذلك أن روايات كلامه تختلف اختلافا شديدا . فربما اتفق الكلام المختار فى رواية فنقل على وجهه ، ثم وجـد بعد ذلك فى رواية أخرى موضوعا غير وضـعه الأول ، اما بزيادة مختارة أو بلفظ أحسن عبارة، فتقتضى الحال أن يعاد استظهارا للاختيار، وغيرة على عقائل الكلام[٢].وربما بعد العهد أيضا بما اختير أولا فأعيد بعضه سهوا أو نسيانا لا قصدا واعتمادا . ولا أدعى مع ذلك أنى أحيط بأقطار جميع كلامه عليه السـلام [٣] حتى لا يشـذ عنى منه شاذ ولاينِد ناد ، بل لا أبعد أن يكون القاصر عنى فوق الواقع الى، والحاصل فى ربقتى دون الخارج من يدى[٤]وما على الا بذل الجهـد وبلاغ الوسـع ، وعلى الله سبحانه نهج السبيل [٥] ورشـاد الدليل ان شاء الله

ورأيت من بعد تسمية هذا الكتاب بنهج البلاغة اذ كان يفتح للناظر فيه أبوابها . ويقرب عليه طلابها . فيه حاجة العالم والمتعلم وبغية البليغ والزاهد ، ويمضى فى أثنائه من الكلام فى التوحيـد والعدل وتنزيه الله سبحانه وتعالى عن شـبه الخلق ما هو بلال كل غلة [٦] وجـلاء كل شبهة . ومن الله سبحانه أستمد التوفيق والعصمة . وأتنجز التسديد والمعونة ، وأستعيذه من خطأ الجنان قبل خطأ اللسان، ومن زلة الكلام قبل زلة القدم . وهو حسبى ونعم الوكيل .

باب المختار من خطب أمير المؤمنين عليه السلام وأوامره

ويدخل فى ذلك المختار من كلامه الجارى مجرى الخطب فى المقامات المحصورة والمواقف المذكورة والخطوب الواردة

(١) موضع العجب أن أهل الشجاعة والاقدام والمغامرة والجرأة يكونون فى العادة قساة فتاكين متمردين جبارين. والغالب على أهل الزهد واعداء الدنيا وهاجرى ملاذها المشتغلين بالوعظ والنصيحة والتذكير أن يكونوا ذوى رقة ولين وضعف قلوب وخور طباع . وهاتان حالتان متضادتان فاجتماعهما فى أمير المؤمنين كرم الله وجهه مما يوجب العجب، فكان كرم الله وجهه أشجع الناس واعظمهم اراقة للدم ، وازهدهم وأبعدهم عن ملاذ الدنيا وأكثرهم وعظاً وتذكيراً واشدهم اجتهاداً فى العبادة، وكان اكرم الناس اخلاقاً واسفرهم وجهاً واوفاهم هشاشة وبشاشة حتى عيب بالدعابة .

(٢) عقائل الكلام كرائمه ، وعقيلة الحى كريمته (٣) أقطار الكلام جوانبه. والناد النافر

(٤) الربقة عروة حبل يجعل فيها رأس البهيمة (٥) نهج السبيل ابانته وايضاحه (٦) الغلة العطش وبلالها ما تبل به وتروى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

« يَذْكُرُ فِيهَا ابْتِدَاءَ خَلْقِ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَخَلْقِ آدَمَ »

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا يَبْلُغُ مِدْحَتَهُ الْقَائِلُونَ . وَلَا يُحْصِي نَعْمَاءَهُ الْعَادُّونَ . وَلَا يُؤَدِّي حَقَّهُ الْمُجْتَهِدُونَ ، الَّذِي لَا يُدْرِكُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ (١) وَلَا يَنَالُهُ غَوْصُ الْفِطَنِ (٢) . الَّذِي لَيْسَ لِصِفَتِهِ حَدٌّ مَحْدُودٌ (٣) وَلَا نَعْتٌ مَوْجُودٌ . وَلَا وَقْتٌ مَعْدُودٌ وَلَا أَجَلٌ مَمْدُودٌ . فَطَرَ الْخَلَائِقَ بِقُدْرَتِهِ . وَنَشَرَ الرِّيَاحَ بِرَحْمَتِهِ . وَوَتَّدَ بِالصُّخُورِ مَيَدَانَ أَرْضِهِ (٤) . أَوَّلُ الدِّينِ مَعْرِفَتُهُ (٥) وَكَمَالُ مَعْرِفَتِهِ التَّصْدِيقُ بِهِ . وَكَمَالُ التَّصْدِيقِ بِهِ تَوْحِيدُهُ .

---

(١) أى ان همم النظار وأصحاب الفكر وان علت وبعدت فانها لاتدركه تعالى ولا تحيط به علما (٢) والفطن جمع فطنة. وغوصها استغراقها فى بحر المعقولات لتلتقط در الحقيقة ، وهى وان أبعدت فى الغوص لا تنال حقيقة الذات الاقدس (٣) فرغ من الكلام فى الذات وامتناعها على العقول ادراكا ، ثم هو الآن فى تقديس صفاته عن مشابهة الصفات الحادثة ، فكل صفات الممكن لها فى أثرها حد تنقطع اليه كما نجده فى قدرتنا وعلمنا مثلا فان لكل طورا لايتعداه . أما قدرة الله وعلمه فلا حد لشمولها. وكذا يقال فى باقى الصفات الكمالية، والنعت يقال لمايتغير ، وصفاتنا لها نعوت. فحياتنا مثلا لها أطوار من طفولية وصبا وما بعدهما وقوة وضعف وتوسط . وقدرتنا كذلك وعلمنا له أدوار نقص وكمال وغموض ووضوح . أما صفاته تعالى فهى منزهة عن هذه النعوت وأشباهها . ثم هى أزلية أبدية لاتعد الاوقات لوجودها واتصاف ذاته بها ولا تضرب لها الآجال (٤) الميدان الحركة . ووتد بالتخفيف والتشديد أى ثبت أى سكن الارض بعد اضطرابها بما رسخ من الصخور الجامدة فى أديمها ، وهو يشير الى أن الارض كانت مائرة مضطربة قبل جمودها (٥) اساس الدين معرفة الله وهو قد يعرف بأنه صانع

وَكَمَالُ تَوْحِيدِهِ ٱلْإِخْلَاصُ لَهُ . وَكَمَالُ ٱلْإِخْلَاصِ لَهُ نَفْيُ ٱلصِّفَاتِ عَنْهُ لِشَهَادَةِ كُلِّ صِفَةٍ أَنَّهَا غَيْرُ ٱلْمَوْصُوفِ وَشَهَادَةِ كُلِّ مَوْصُوفٍ أَنَّهُ غَيْرُ ٱلصِّفَةِ . فَمَنْ وَصَفَ ٱللَّهَ سُبْحَانَهُ فَقَدْ قَرَنَهُ . وَمَنْ قَرَنَهُ فَقَدْ ثَنَّاهُ وَمَنْ ثَنَّاهُ فَقَدْ جَزَّأَهُ ، وَمَنْ جَزَّأَهُ فَقَدْ جَهِلَهُ (١) . وَمَنْ جَهِلَهُ فَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ . وَمَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ فَقَدْ حَدَّهُ (٢) . وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ قَالَ فِيمَ

العالم وليس منه بدون تنزيه وهي معرفة ناقصة وكما لها التصديق به ذاته بصفته الخاصة التي لا يشركه فيها غيره وهي وجوب الوجود . ولا يكمل هذا التصديق حتى يكون معه لازمه وهو التوحيد لأن الواجب لا يتعدد كما عرف في فن الالهيات والكلام . ولا يكمل التوحيد الا بتمحيض السر له دون ملاحظة لشيء من شؤون الحوادث في التوجه اليه واستشراق نوره ، ولا يكون هذا الاخلاص كاملا حتى يكون معه نفي الصفات الظاهرة في التعينات المشهودة في المشخصات ، لان معرفة الذات الاقدس في نحو تلك الصفات اعتبار للذات ولشيء آخر مغاير لها معها فيكون قد عرف مسمى الله مؤلفاً لا متوحدا ، فالصفات المنفية بالاخلاص صفات المصنوعين والا فللامام كلام قد ملىء بصفاته سبحانه ، بل هو في هذا الكلام يصفه أكمل الوصف (١) جهله أي جهل أنه منزه عن مشابهة الماديات مقدس عن مضارعة المركبات . وهذا الجهل يستلزم القول بالتشخيص الجسماني وهو يستلزم صحة الاشارة اليه تعالى الله عن ذلك (٢) انما تشير الى شيء اذا كان منك في جهة فأنت تتوجه اليها باشارتك ، وما كان في جهة فهو منقطع عن غيرها فيكون محدوداً أي له طرف ينتهي اليه ، فمن أشار اليه فقد حده ، ومن حده فقد عد ، أي أحصى وأحاط بذلك المحدود لأن الحد حاصر لمحدوده . واذا قلت لشيء فيم هو فقد جعلته في ضمن شيء ثم تسأل عن تعيين ذلك الذي تضمنه ، واذا قلت على أي شيء فانت ترى أنه مستعل على شيء بعينه وما عداه خال منه

فَقَدْ ضَمَّنَهُ . وَمَنْ قَالَ عَلَامَ فَقَدْ أَخْلَى مِنْهُ . كَائِنٌ لَا عَنْ حَدَثٍ[١] مَوْجُودٌ لَا عَنْ عَدَمٍ . مَعَ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُقَارَنَةٍ . وَغَيْرُ كُلِّ شَيْءٍ لَا بِمُزَايَلَةٍ[٢] . فَاعِلٌ لَا بِمَعْنَى الْحَرَكَاتِ وَالْآلَةِ . بَصِيرٌ إِذْ لَا مَنْظُورَ إِلَيْهِ مِنْ خَلْقِهِ[٣] . مُتَوَحِّدٌ إِذْ لَا سَكَنَ يَسْتَأْنِسُ بِهِ وَلَا يَسْتَوْحِشُ لِفَقْدِهِ[٤]. أَنْشَأَ الْخَلْقَ إِنْشَاءً. وَابْتَدَأَهُ ابْتِدَاءً. بِلَا رَوِيَّةٍ أَجَالَهَا[٥]. وَلَا تَجْرِبَةٍ اسْتَفَادَهَا . وَلَا حَرَكَةٍ أَحْدَثَهَا . وَلَا هَمَامَةِ نَفْسٍ اضْطَرَبَ فِيهَا[٦]. أَحَالَ الْأَشْيَاءَ لِأَوْقَاتِهَا[٧]. وَلَأَمَ بَيْنَ مُخْتَلِفَاتِهَا[٨]. وَغَرَّزَ غَرَائِزَهَا[٩] وَأَلْزَمَهَا أَشْبَاحَهَا[١٠] عَالِماً بِهَا قَبْلَ ابْتِدَائِهَا مُحِيطاً بِحُدُودِهَا وَانْتِهَائِهَا . عَارِفاً بِقَرَائِنِهَا

---

(١) الحدث الابداء أى هو موجود لكن لا عن ابداء وإيجاد موجد ، والفقرة الثانية لازمة لهذه لأنه ان لم يكن وجوده عن ايجاد موجد فهو غير مسبوق الوجود بالعدم (٢) المزايلة المفارقة والمباينة (٣) أى بصير بخلقه قبل وجودهم (٤) العادة والعرف على أنه لا يقال متوحد الا لمن كان له من يستأنس بقربه ويستوحش لبعده فانفرد عنه . والله متوحد مع التنزه عن السكن (٥) الروية الفكر ، وأجالها أدارها ورددها . وفى نسخة أحالها بالمهملة أى صرفها (٦) همامة النفس بفتح الهاء اهتمامها بالأمر وقصدها اليه (٧) حولها من العدم الى الوجود فى أوقاتها ، أو هو من حال فى متن فرسه أى وثب وأحاله غيره أوثبه ، ومن أقر الأشياء فى أحيانها صار كمن أحال غيره على فرسه (٨) كما قرن النفس الروحانية بالجسد المادى (٩) الغرائز جمع غريزة وهى الطبيعة. وغرز الغرائز كضوأ الاضواء أى جعلها غرائز . والمراد أودع فيها طبائعها (١٠) الضمير فى اشباحها للغرائز . أى ألزم الغرائز أشباحها أى أشخاصها لأن كل

وَأَحْنَائِهَا(١) . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ فَتْقَ الْأَجْوَاءِ(٢) وَشَقَّ الْأَرْجَاءِ وَسَكَائِكَ الْهَوَاءِ(٣) . فَأَجْرَى فِيهَا مَاءً مُتَلَاطِماً تَيَّارُهُ(٤) ، مُتَرَاكِماً زَخَّارُهُ . حَمَلَهُ عَلَى مَتْنِ الرِّيحِ الْعَاصِفَةِ ، وَالزَّعْزَعِ الْقَاصِفَةِ . فَأَمَرَهَا بِرَدِّهِ(٥) ، وَسَلَّطَهَا عَلَى شَدِّهِ ، وَقَرَنَهَا إِلَى حَدِّهِ . الْهَوَاءُ مِنْ تَحْتِهَا فَتِيقٌ(٦) ، وَالْمَاءُ مِنْ فَوْقِهَا

مطبوع على غريزة لازمته، فالشجاع لا يكون خواراً مثلا (١) جمع حنو بالكسر أى الجانب، أو ما اعوج من الشيء بدنا كان أو غيره، كناية عما خفي. أو من قولهم أحناء الامور أى مشتبهاتها وقرائنها ما يقترن بها من الأحوال المتعلقة بها والصادرة عنها (٢) ثم انشأ الخ الترتيب والتراخي فى قول الامام لا فى الصنع الالهى كما لا يخفى. والاجواء جمع جو وهو هذا الفضاء العالى بين السماء والأرض . واستفيد من كلامه أن الفضاء مخلوق وهو مذهب قوم كما استفيد منه أن الله خلق فى الفضاء ماء حمله على متن ريح فاستقل عليها حتى صارت مكانا له ثم خلق فوق ذلك الماء ريحا أخرى سلطها عليه فموجته تموجا شديداً حتى ارتفع فخلق منه الاجرام العليا. والى هذا يذهب قوم من الفلاسفة منهم تالسين الاسكندرى يقولون ان الماء أى الجوهر السائل أصل كل الاجسام كثيفها من متكاثفه ولطيفها من شفائفه ، والارجاء الجوانب واحدها رجا كعصا (٣) السكائك جمع سكاكة بالضم وهى الهواء الملاقى عنان السماء وبابها نحو ذؤابة وذوائب (٤) التيار الموج . والمتراكم ما يكون بعضه فوق بعض . والزخار الشديد الزخر أى الامتداد والارتفاع. والريح العاصفة الشديدة الهبوب كأنها تهلك الناس بشدة هبوبها وكذلك الزعزع كأنها تزعزع كل ثابت . وتقصف أى تحطم كل قائم (٥) أمرها برده أى منعه من الهبوط لان الماء ثقيل وشأن الثقيل الهوى والسقوط وسلطها على شده أى وثاقه كأنه سبحانه أوثقه بها أو منعه من الحركة الى السفل التى هى من لوازم طبعه . وقرنها الى حده أى جعلها مكانا له أى جعل حد الماء المذكور وهو سطحه الاسفل مماسا لسطح الريح التى تحمله أو أراد من الحد المنع أى جعل من لوازمها ذلك (٦) الفتيق

دَفِيقٌ . ثُمَّ أَنْشَأَ سُبْحَانَهُ رِيحاً اعْتَقَمَ مَهَبَّهَا(١) وَأَدَامَ مُرَبَّهَا . وَأَعْصَفَ مَجْرَاهَا ، وَأَبْعَدَ مَنْشَاهَا . فَأَمَرَهَا بِتَصْفِيقِ الْمَاءِ الزَّخَّارِ(٢) ، وَإِثَارَةِ مَوْجِ الْبِحَارِ . فَمَخَضَتْهُ مَخْضَ السِّقَاءِ ، وَعَصَفَتْ بِهِ عَصْفَهَا بِالْفَضَاءِ . تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ(٣) . حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ(٤) . فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلَاهُنَّ مَوْجًا مَكْفُوفًا(٥) وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفًا مَحْفُوظًا . وَسَمْكًا مَرْفُوعًا . بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا ، وَلَا دِسَارٍ يَنْظِمُهَا(٦) . ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ(٧) . وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجًا مُسْتَطِيرًا(٨) ، وَقَمَرًا مُنِيرًا . فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ(٩) ثُمَّ فَتَقَ

المفتوق والدفيق المدفوق (١) اعتقم مهبها جعل هبوبها عقيما. والريح العقيم التى لا تلقح سحابا ولا شجراً وكذلك كانت هذه لانها أنشئت لتحريك الماء ليس غير . والمرب ميمى من أرب بالمكان مثل ألب به أى لازمه. فأدام مربها أى ملازمتها، أو أن أدام من أدمت الدلو ملأتها . والمرب بكسر أوله المكان والمحل (٢) تصفيقه تحريكه وتقليبه. ومخضته حركته بشدة كما يمخض السقاء بما فيه من اللبن ليستخرج زبده . والسقاء جلد السخلة يجذع فيكون وعاء للبن والماء جمعه أسقية وأسقيات وأساق. وعصفت به الخ الريح إذا عصفت بالفضاء الذى لا أجسام فيه كانت شديدة لعدم المانع وهذه الريح عصفت بهذا الماء ذلك العصف الذى يكون لها لو لم يكن مانع (٣) الساجى الساكن والمائر الذى يذهب ويجىء أو المتحرك مطلقا. وعب عبابه ارتفع علاه. وركامه أثبجه وهضبته وما تراكم منه بعضه على بعض (٤) المنفهق المفتوح الواسع (٥) المكفوف الممنوع من السيلان ، ويدعمها أى يسندها ويحفظها من السقوط (٦) الدسار واحد الدسر وهى المسامير أو الخيوط تشد بها ألواح السفينة من ليف ونحوه (٧) الثواقب المنيرة المشرقة (٨) مستطيراً منتشر الضياء وهو الشمس (٩) الرقيم اسم من أسماء

مَا بَيْنَ ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَا . فَمَلَأَهُنَّ أَطْوَارًا مِنْ مَلَائِكَتِهِ(١) مِنْهُمْ سُجُودٌ لَا يَرْكَعُونَ، وَرُكُوعٌ لَا يَنْتَصِبُونَ، وَصَافُّونَ لَا يَتَزَايَلُونَ وَمُسَبِّحُونَ لَا يَسْأَمُونَ. لَا يَغْشَاهُمْ نَوْمُ ٱلْعَيْنِ . وَلَا سَهْوُ ٱلْعُقُولِ . وَلَا فَتْرَةُ ٱلْأَبْدَانِ. وَلَا غَفْلَةُ ٱلنِّسْيَانِ . وَمِنْهُمْ أُمَنَاءُ عَلَى وَحْيِهِ ، وَأَلْسِنَةٌ إِلَى رُسُلِهِ ، وَمُخْتَلِفُونَ بِقَضَائِهِ وَأَمْرِهِ . وَمِنْهُمُ ٱلْحَفَظَةُ لِعِبَادِهِ وَٱلسَّدَنَةُ لِأَبْوَابِ جِنَانِهِ . وَمِنْهُمُ ٱلثَّابِتَةُ فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَى أَقْدَامُهُمْ، وَٱلْمَارِقَةُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ ٱلْعُلْيَا أَعْنَاقُهُمْ ، وَٱلْخَارِجَةُ مِنَ ٱلْأَقْطَارِ أَرْكَانُهُمْ ، وَٱلْمُنَاسِبَةُ لِقَوَائِمِ ٱلْعَرْشِ أَكْتَافُهُمْ . نَاكِسَةٌ دُونَهُ أَبْصَارُهُمْ(٢) .

الفلك، سمي به لأنه مرقوم بالكواكب. ومائر متحرك . ويفسر الرقيم باللوح. وشبه الفلك باللوح لانه مسطح فيما يبدو للنظر (١) جعل الملائكة أربعة أقسام : الأول أرباب العبادة ومنهم الراكع والساجد والصاف والمسبح ، وقوله صافون أى قائمون صفوفا لا يتزايلون أى لا يتفارقون . والقسم الثانى الأمناء على وحى الله لأنبيائه والالسنة الناطقة فى أفواه رسله والمختلفون بالاقضية الى العباد، بهم يقضى الله على من شاء بما شاء . والقسم الثالث حفظة العباد كأنهم قوى مودعة فى أبدان البشر ونفوسهم يحفظ الله الموصولين بها من المهالك والمعاطب، ولولا ذلك لكان العطب ألصق بالانسان من السلامة . ومنهم سدنة الجنان جمع سادن وهو الخادم ، والخادم يحفظ ما عهد اليه وأقيم على خدمته . والقسم الرابع حملة العرش كأنهم القوة العامة التى أفاضها الله فى العالم الكلى فهى الماسكة له الحافظة لكل جزء منه مركزه وحدود مسيره فى مداره فهى المخترقة له النافذة فيه الآخذة من أعلاه الى أسفله ومن أسفله الى أعلاه . وقوله المارقة من السماء: المروق الخروج .وقوله الخارجة من الاقطار أركانهم :الاركان الاعضاء والجوارح. والتمثيل فى الكلام لا يخفى على أهل البصائر (٢) الضمير فى دونه للعرش

مُتَلَفِّعُونَ تَحْتَهُ بِأَجْنِحَتِهِمْ . مَضْرُوبَةٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَنْ دُونَهُمْ حُجُبُ الْعِزَّةِ وَأَسْتَارُ الْقُدْرَةِ . لَا يَتَوَهَّمُونَ رَبَّهُمْ بِالتَّصْوِيرِ . وَلَا يُجْرُونَ عَلَيْهِ صِفَاتِ الْمَصْنُوعِينَ . وَلَا يَحُدُّونَهُ بِالْأَمَاكِنِ . وَلَا يُشِيرُونَ إِلَيْهِ بِالنَّظَائِرِ

صِفَةُ خَلْقِ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ثُمَّ جَمَعَ سُبْحَانَهُ مِنْ حَزْنِ الْأَرْضِ وَسَهْلِهَا ، وَعَذْبِهَا وَسَبَخِهَا(١) ، تُرْبَةً سَنَّهَا بِالْمَاءِ حَتَّى خَلَصَتْ . وَلَاطَهَا بِالْبَلَّةِ حَتَّى لَزَبَتْ(٢) . فَجَبَلَ مِنْهَا صُورَةً ذَاتَ أَحْنَاءٍ وَوُصُولٍ(٣) وَأَعْضَاءٍ وَفُصُولٍ . أَجْمَدَهَا حَتَّى اسْتَمْسَكَتْ ، وَأَصْلَدَهَا حَتَّى صَلْصَلَتْ(٤) . لِوَقْتٍ مَعْدُودٍ . وَأَمَدٍ مَعْلُومٍ . ثُمَّ نَفَخَ

كالضمير فى تحته . ومتلفعون من تلفعت بالثوب اذا التحفت به (١) الحزن بفتح فسكون : الغليظ الخشن والسهل مايخالفه . والسبخ ماملح من الأرض . وأشار باختلاف الاجزاء التى جبل منها الانسان الى أنه مركب من طباع مختلفة وفيه استعداد للخير والشر والحسن والقبيح (٢) سن الماء صبه والمراد صب عليها أوسنها هنا بمعنى ملسها كما قال :

ثم خاصرتها الى القبة الخضـ ـراء تمشى فى مرمر مسنون

وقوله حتى خلصت أى صارت طينة خالصة . وفى بعض النسخ حتى خضلت بتقديم الضاد المعجمة على اللام أى ابتلت ولعلها أظهر . لاطها خلطها وعجنها أو هو من لاط الحوض بالطين ملطه وطينه به . والبلة بالفتح من البلل . ولزب كـكرم تداخل بعضه فى بعض وصلب، ومن باب نصر بمعنى التصق وثبت واشتد (٣) الاحناء جمع حنو وهو بالكسر والفتح كل ما فيه اعوجاج من البدن كعظم الحجاج واللحى والضلع، أو هى الجوانب مطلقا .وجبل أى خلق (٤) أصلدها جعلها صلبة ملساء متينة . وصلصلت

فِيهَا مِنْ رُوحِهِ فَمَثُلَتْ إِنْسَانًا ذَا أَذْهَانٍ يُجِيلُهَا[١] . وَفِكَرٍ يَتَصَرَّفُ بِهَا ، وَجَوَارِحَ يَخْتَدِمُهَا[٢] ، وَأَدَوَاتٍ يُقَلِّبُهَا . وَمَعْرِفَةٍ يَفْرُقُ بِهَا بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْأَذْوَاقِ وَالْمَشَامِّ وَالْأَلْوَانِ وَالْأَجْنَاسِ . مَعْجُونًا بِطِينَةِ الْأَلْوَانِ الْمُخْتَلِفَةِ[٣] ، وَالْأَشْبَاهِ الْمُؤْتَلِفَةِ . وَالْأَضْدَادِ الْمُتَعَادِيَةِ وَالْأَخْلَاطِ الْمُتَبَايِنَةِ . مِنَ الْحَرِّ وَالْبَرْدِ . وَالْبَلَّةِ وَالْجُمُودِ . وَاسْتَأْدَى اللهُ سُبْحَانَهُ الْمَلَائِكَةَ وَدِيعَتَهُ لَدَيْهِمْ[٤] وَعَهْدَ وَصِيَّتِهِ إِلَيْهِمْ . فِي الْإِذْعَانِ بِالسُّجُودِ لَهُ وَالْخُشُوعِ لِتَكْرِمَتِهِ . فَقَالَ سُبْحَانَهُ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ اعْتَرَتْهُ الْحَمِيَّةُ وَغَلَبَتْ عَلَيْهِ الشِّقْوَةُ[٥]

يبست حتى كانت تسمع لها صاصلة اذا هبت عليها رياح وذلك هو الصلصال . واللام فى قوله لوقت متعلقة بمحذوف كأنه قال حتى يبست وجفت معدة لوقت معلوم ، ويمكن أن تكون متعلقة بجبل أى جبل من الأرض هذه الصورة ولا يزال يحفظها لوقت معدود ينتهى بيوم القيامة (١) مثل كـكرم قام منتصبا. والأذهان قوى التعقل ، ويجيلها يحركها فى المعقولات (٢) يختدمها يجعلها فى مآربه وأوطاره كالخدم الذين تستعملهم فى خدمتك وتستعملهم فى شؤونك . والأدوات جمع أداة وهى الآلة. وتقليبها تحريكها فى العمل بها فيما خلقت له (٣) معجونا صفة انسانا . والالوان المختلفة الضروب والفنون . وتلك الألوان هى التى ذكره من الحر والبرد والبلة والجمود

(٤) استأدى الملائكة وديعته طلب منهم أداءها . والوديعة هى عهده اليهم بقوله انى خالق بشراً من طين فاذا سويته ونفخت فيه من روحى فقعوا له ساجدين . وروى الخنوع بالنون بدل الخشوع وهو بمعنى الخضوع . وقوله فقال اسجدوا الخ عطف على استأدى (٥) الشقوة بكسر الشين وفتحها ما حتم عليه من الشقاء. والشقاء ضد السعادة وهو النصب الدائم والألم الملازم. وتعززه بخلقة النار استكباره مقدار نفسه

وتَعَزَّزَ بِخِلْقَةِ النَّارِ وَاسْتَهْوَنَ خَلْقَ الصَّلْصَالِ . فَأَعْطَاهُ اللهُ النَّظِرَةَ اسْتِحْقَاقاً لِلسُّخْطَةِ وَاسْتِتْمَاماً لِلْبَلِيَّةِ . وَإِنْجَازاً لِلْعِدَةِ . فَقَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ . ثُمَّ أَسْكَنَ سُبْحَانَهُ آدَمَ دَاراً أَرْغَدَ فِيهَا عِيشَتَهُ ، وَآمَنَ فِيهَا مَحَلَّتَهُ ، وَحَذَّرَهُ إِبْلِيسَ وَعَدَاوَتَهُ . فَاغْتَرَّهُ عَدُوُّهُ نَفَاسَةً عَلَيْهِ بِدَارِ الْمُقَامِ وَمُرَافَقَةِ الْأَبْرَارِ (١). فَبَاعَ الْيَقِينَ بِشَكِّهِ وَالْعَزِيمَةَ بِوَهْنِهِ . وَاسْتَبْدَلَ بِالْجَذَلِ وَجَلاً (٢). وَبِالِاغْتِرَارِ نَدَماً . ثُمَّ بَسَطَ اللهُ سُبْحَانَهُ لَهُ فِي تَوْبَتِهِ . وَلَقَّاهُ كَلِمَةَ رَحْمَتِهِ ، وَوَعَدَهُ الْمَرَدَّ إِلَى جَنَّتِهِ .

بسبب أنه خاق من جوهر لطيف ومادة أعلى من مادة الصلصال . والصلصال الطين الحر خلط بالرمل أو الطين ما لم يجعل خزفا . والمراد من الصلصال هنا مادة الأرض التى خلق آدم عليه السلام منها . وجوهر ماخلق منه الجن — وهم من الجواهر اللطيفة — أعلى من جوهر ما خلق منه الانسان وهو مجبول من عناصر الأرض . والنظرة بفتح فكسر الانتظار به حيا ما دام الانسان عامراً للأرض متمتعا بالوجود فيكون من الشيطان فى هذا الأمد ما يستحق به سخط الله وما تتم به بلية الشقاء عليه ويكون الله جل شأنه قد أنجز وعده فى قوله انك من المنظرين الخ (١) اغتر آدم عدوه الشيطان أى انتهز منه غرة فأغواه وكان الحامل للشيطان على غواية آدم حسده له على الخلود فى دار المقام ومرافقته الابرار من الملائكة الأطهار (٢) أدخل الشيطان عليه الشك فى أن ما تناول منه سائغ التناول بعد أن كان فى نهى الله له عن تناول ما يوجب له اليقين بحظره عليه وكانت العزيمة فى الوقوف عند ما أمر الله فاستبد بها الوهن الذى أفضى الى المخالفة . والجذل بالتحريك الفرح وقد كان فى راحة الامن بالاخبات الى الله وامتثال الأمر فلما سقط فى المخالفة تبدل ذلك بالوجل والخوف من حلول العقوبة وقد ذهبت عنه الغرة وانتبه الى عاقبة ما اقترف فاستشعر الندم بعد الاغترار

وَأَهْبَطَهُ إِلَى دَارِ الْبَلِيَّةِ (١)، وَتَنَاسُلِ الذُّرِّيَّةِ (٢) . وَاصْطَفَى سُبْحَانَهُ مِنْ وَلَدِهِ أَنْبِيَاءَ أَخَذَ عَلَى الْوَحْيِ مِيثَاقَهُمْ (٣)، وَعَلَى تَبْلِيغِ الرِّسَالَةِ أَمَانَتَهُمْ لَمَّا بَدَّلَ أَكْثَرُ خَلْقِهِ عَهْدَ اللهِ إِلَيْهِمْ (٤) فَجَهِلُوا حَقَّهُ، وَاتَّخَذُوا الْأَنْدَادَ مَعَهُ (٥) . وَاجْتَالَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ عَنْ مَعْرِفَتِهِ (٦)، وَاقْتَطَعَتْهُمْ عَنْ عِبَادَتِهِ . فَبَعَثَ فِيهِمْ رُسُلَهُ وَوَاتَرَ إِلَيْهِمْ أَنْبِيَاءَهُ (٧) لِيَسْتَأْدُوهُمْ مِيثَاقَ فِطْرَتِهِ (٨) . وَيُذَكِّرُوهُمْ مَنْسِيَّ نِعْمَتِهِ . وَيَحْتَجُّوا عَلَيْهِمْ بِالتَّبْلِيغِ . وَيُثِيرُوا لَهُمْ دَفَائِنَ الْعُقُولِ (٩)

(١) أهبطه من مقام كان الالهام الالهى لانسياق قواه الى مقتضى الفطرة السليمة الاولى الى مقر قد خلط له فيه الخير والشر واختط له فيه الطريقان ووكل الى نظره العقلى وابتلى بالتمييز بين النجدين واختيار أى الطريقين، وهو العناد الذى تكدر به صفو هذه الحياة على الآدميين (٢) تناسل الذرية من خصائص تلك المنزلة الثانية التى أنزل الله فيها آدم وهو مما ابتلى به الانسان امتحانا لقوته على التربية واقتداره على سياسة من يعولهم والقيام بحقوقهم والزامهم بتأدية ما يحق عليهم (٣) أخذ عليهم الميثاق أن يبلغوا ما أوحى اليهم ويكون ما بعده بمنزلة التأكيد له أو أخذ عليهم أن لا يشرعوا للناس الا ما يوحى اليهم (٤) عهد الله الى الناس هو ما سيأتى يعبر عنه بميثاق الفطرة (٥) الانداد الامثال وأراد المعبودين من دونه سبحانه وتعالى (٦) اجتالتهم بالجيم صرفتهم عن قصدهم الذى وجهوا اليه بالهداية المغروزة فى فطرهم . وأصله من الدوران كأن الذى يصرفك عن قصدك يصرفك تارة هكذا وأخرى هكذا (٧) واتر اليهم أنبياءه أرسلهم و بين كل نبى ومن بعده فترة لا بمعنى أرسلهم تباعا بعضهم يعقب بعضا (٨) كأن الله تعالى بما أودع فى الانسان من الغرائز والقوى و بما أقام له من الشواهد وأدلة الهدى قد أخذ عليه ميثاقا بأن يصرف ما أوتى من ذلك فيما خلق له وقد كان يعمل على ذلك الميثاق ولا ينقضه لولا ما اعترضه من وساوس الشهوات فبعث اليه النبيين ليطلبوا من الناس أداء ذلك الميثاق أى ليطالبوهم بما تقتضيه فطرتهم وما ينبغى أن تسوقهم اليه غرائزهم (٩) دفائن العقول أنوار العرفان التى

وَيُرُوهُمُ الآيَاتِ المُقَدَّرَةَ مِنْ سَقْفٍ فَوْقَهُمْ مَرْفُوعٍ ، وَمِهَادٍ تَحْتَهُمْ مَوْضُوعٍ . وَمَعَايِشَ تُحْيِيهِمْ وَآجَالٍ تُفْنِيهِمْ . وَأَوْصَابٍ تُهْرِمُهُمْ[١] . وَأَحْدَاثٍ تَتَابَعُ عَلَيْهِمْ . وَلَمْ يُخْلِ سُبْحَانَهُ خَلْقَهُ مِنْ نَبِيٍّ مُرْسَلٍ ، أَوْ كِتَابٍ مُنْزَلٍ . أَوْ حُجَّةٍ لَازِمَةٍ ، أَوْ مَحَجَّةٍ قَائِمَةٍ[٢] . رُسُلٌ لَا تُقَصِّرُ بِهِمْ قِلَّةُ عَدَدِهِمْ . وَلَا كَثْرَةُ المُكَذِّبِينَ لَهُمْ . مِنْ سَابِقٍ سُمِّيَ لَهُ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ غَابِرٍ عَرَّفَهُ مَنْ قَبْلَهُ[٣] . عَلَى ذٰلِكَ نُسِلَتِ القُرُونُ[٤] . وَمَضَتِ الدُّهُورُ . وَسَلَفَتِ الآبَاءُ . وَخَلَفَتِ الأَبْنَاءُ . إِلَى أَنْ بَعَثَ اللهُ سُبْحَانَهُ مُحَمَّدًا رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِإِنْجَازِ عِدَتِهِ[٥] ، وَتَمَامِ نُبُوَّتِهِ . مَأْخُوذًا عَلَى النَّبِيِّينَ مِيثَاقُهُ ، مَشْهُورَةً سِمَاتُهُ[٦] ، كَرِيمًا مِيلَادُهُ . وَأَهْلُ

تكشف للانسان أسرار الكائنات وترتفع به الى الايقان بصانع الموجودات وقد يحجب هذه الأنوار غيوم من الأوهام وحجب من الخيال فيأتى النبيون لاثارة تلك المعارف الكامنة وإبراز تلك الأسرار الباطنة (١) السقف المرفوع السماء . والمهاد الموضوع الأرض . والأوصاب المتاعب (٢) المحجة الطريق القويمة الواضحة (٣) من سابق بيان للرسل، وكثير من الأنبياء السابقين سميت لهم الأنبياء الذين يأتون بعدهم فبشروا بهم كما ترى ذلك فى التوراة . والغابر الذى يأتى بعد أن يشير به السابق جاء معروفا بتعريف من قبله (٤) نسلت بالبناء للمجهول ولدت . و بالبناء للفاعل مضت متتابعة (٥) الضمير فى عدته لله تعالى لأن الله وعد بارسال محمد صلى الله عليه وسلم على لسان أنبيائه السابقين . وكذلك الضمير فى نبوته لأن الله تعالى أنبأ به وأنه سيبعث وحيا لأنبيائه . فهذا الخبر الغيبى قبل حصوله يسمى نبوة . ولما كان الله هو المخبر به أضيفت النبوة اليه (٦) سماته علاماته التى ذكرت فى كتب الأنبياء السابقين

ٱلْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ مِلَلٌ مُتَفَرِّقَةٌ . وَأَهْوَاءٌ مُنْتَشِرَةٌ . وَطَوَائِفُ مُتَشَتِّتَةٌ . بَيْنَ مُشَبِّهٍ لِلّٰهِ بِخَلْقِهِ أَوْ مُلْحِدٍ فِي ٱسْمِهِ أَوْ مُشِيرٍ إِلَى غَيْرِهِ(١) . فَهَدَاهُمْ بِهِ مِنَ ٱلضَّلَالَةِ . وَأَنْقَذَهُمْ بِمَكَانِهِ مِنَ ٱلْجَهَالَةِ . ثُمَّ ٱخْتَارَ سُبْحَانَهُ لِمُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِقَاءَهُ . وَرَضِيَ لَهُ مَا عِنْدَهُ وَأَكْرَمَهُ عَنْ دَارِ ٱلدُّنْيَا وَرَغِبَ بِهِ عَنْ مُقَارَنَةِ ٱلْبَلْوَى . فَقَبَضَهُ إِلَيْهِ كَرِيمًا صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَخَلَّفَ فِيكُمْ مَا خَلَّفَتِ ٱلْأَنْبِيَاءُ فِي أُمَمِهَا إِذْ لَمْ يَتْرُكُوهُمْ هَمَلًا . بِغَيْرِ طَرِيقٍ وَاضِحٍ . وَلَا عَلَمٍ قَائِمٍ(٢) : كِتَابَ رَبِّكُمْ فِيكُمْ مُبَيِّنًا حَلَالَهُ وَحَرَامَهُ(٣) وَفَرَائِضَهُ وَفَضَائِلَهُ وَنَاسِخَهُ وَمَنْسُوخَهُ . وَرُخَصَهُ وَعَزَائِمَهُ . وَخَاصَّهُ وَعَامَّهُ . وَعِبَرَهُ وَأَمْثَالَهُ . وَمُرْسَلَهُ وَمَحْدُودَهُ . وَمُحْكَمَهُ

الذين بشروا به (١) الملحد فى اسم الله الذى يميل به عن حقيقة مسماه فيعتقد فى الله صفات يجب تنزيهه عنها . والمشير الى غيره الذى يشرك معه فى التصرف الها آخر فيعبده ويستعينه (٢) أى ان الأنبياء لم يهملوا أممهم مما يرشدهم بعد موت أنبيائهم وقد كان من محمد صلى الله عليه وسلم مثل ما كان منهم فانه خلف فى أمته كتاب الله تعالى حاويا لجميع ما يحتاجون اليه فى دينهم (٣) حلاله كالاكل من الطيبات ، وحرامه كأكل أموال الناس بالباطل ، وفرائضه كالزكاة أخت الصلاة ، وفضائله كنوافل الصدقات التى يعظم الأجر فيها ولا حرج فى التقصير عنها ، وناسخه ماجاء قاضيا بمحو ما كان عليه الضالون من العقائد أو ازالة السابق من الاحكام كقوله تعالى قل لا أجد فيما أوحى اليّ محرما على طاعم يطعمه الآية . ومنسوخه ما كان حكاية عن تلك الاحكام كقوله وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذى ظفر الآية . ورخصه كقوله فمن اضطر فى مخمصة . وعزائمه كقوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه . وخاصه كقوله يأيها النبى لم تحرم ما أحل الله لك الآية ، وعامه كقوله يأيها النبى إذا طلقتم النساء فطلقوهن لعدتهن . والعبر كالآيات التى تخبر

وَمُتَشَابِهَهُ . مُفَسِّرًا مُجْمَلَهُ وَمُبَيِّنًا غَوَامِضَهُ . بَيْنَ مَأْخُوذٍ مِيثَاقُ فِي عِلْمِهِ وَمُوَسَّعٍ عَلَى الْعِبَادِ فِي جَهْلِهِ . وَبَيْنَ مُثْبَتٍ فِي الْكِتَابِ فَرْضُهُ ، وَمَعْلُومٍ فِي السُّنَّةِ نَسْخُهُ ، وَوَاجِبٍ فِي السُّنَّةِ أَخْذُهُ ، وَمُرَخَّصٍ فِي الْكِتَابِ تَرْكُهُ . وَبَيْنَ وَاجِبٍ بِوَقْتِهِ . وَزَائِلٍ فِي مُسْتَقْبَلِهِ . وَمُبَايَنٌ بَيْنَ مَحَارِمِهِ[1] مِنْ كَبِيرٍ أَوْعَدَ عَلَيْهِ نِيرَانَهُ . أَوْ صَغِيرٍ أَرْصَدَ لَهُ غُفْرَانَهُ . وَبَيْنَ مَقْبُولٍ فِي أَدْنَاهُ مُوَسَّعٍ فِي أَقْصَاهُ[2] .

عما أصاب الأمم الماضية من النكال ونزل بهم من العذاب لما حادوا عن الحق وركبوا طرق الظلم والعدوان . والأمثال كقوله ضرب الله مثلا عبداً مملوكا الآية . وقوله كمثل الذى استوقد ناراً وأشباه ذلك كثير . والمرسل المطلق. والمحدود المقيد.والمحكم كآيات الأحكام والأخبار الصريحة فى معانيها. والمتشابه كقوله يد الله فوق أيديهم. والموسع على العباد فى جهله كالحروف المفتتحة بهما السور نحو الم و الر. والمثبت فى الكتاب فرضه مع بيان السنة لنسخه كالصلاة فانها فرضت على الذين من قبلنا غير أن السنة بينت لنا الهيئة التى اختصنا الله بها وكلفنا أن نؤدى الصلاة بها،فالفرض فى الكتاب. وتبيين نسخه لما كان قبله فى السنة ، والمرخص فى الكتاب تركه ما لم يكن منصوصا على عينه. بل ذكر فى الكتاب ما يشتمله وغيره كقوله فاقرأوا ماتيسر منه وقد عينته السنة بسورة مخصوصة فى كل ركعة فوجب الأخذ بما عينته السنة ولو بقينا عند مجمل الكتاب كان لنا أن نقرأ فى الصلاة غير الفاتحة جوازاً لامؤاخذة معه. والواجب بوقته الزائل فى مستقبله كصوم رمضان يجب فى جزء من السنة ولا يجب فى غيره .

(١) ومباين بين محارمه بالرفع لا بالجر خبر لمبتدا محذوف أى والكتاب قدخولف بين المحارم التى حظرها فمنها كبير أوعد عليه نيرانه كالزنا وقتل النفس ، ومنها صغير أرصد له غفرانه كالنظرة بشهوة ونحوها (٢) رجوع الى تقسيم الكتاب.والقبول فى أدناه الموسع فى أقصاه كما فى كفارة اليمين يقبل فيها اطعام عشرة مساكين. وموسع

(مِنهَا ذِكرُ الْحَجِّ) وَفَرَضَ عَلَيْكُمْ حَجَّ بَيْتِهِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلَهُ قِبْلَةً لِلأَنَامِ يَرِدُونَهُ وُرُودَ الأَنْعَامِ وَيَأْلَهُونَ إِلَيْهِ وُلُوهَ الْحَمَامِ[1] جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ عَلامَةً لِتَوَاضُعِهِمْ لِعَظَمَتِهِ وَإِذْعَانِهِمْ لِعِزَّتِهِ . وَاخْتَارَ مِنْ خَلْقِهِ سُمَّاعًا أَجَابُوا إِلَيْهِ دَعْوَتَهُ . وَصَدَّقُوا كَلِمَتَهُ . وَوَقَفُوا مَوَاقِفَ أَنْبِيَائِهِ . وَتَشَبَّهُوا بِمَلائِكَتِهِ . الْمُطِيفِينَ بِعَرْشِهِ يُحْرِزُونَ الأَرْبَاحَ فِى مَتْجَرِ عِبَادَتِهِ . وَيَتَبَادَرُونَ عِنْدَ مَوْعِدِ مَغْفِرَتِهِ . جَعَلَهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لِلإِسْلامِ عَلَمًا وَالْعَائِذِينَ حَرَمًا . فَرَضَ حَجَّهُ وَأَوْجَبَ حَقَّهُ وَكَتَبَ عَلَيْكُمْ وِفَادَتَهُ[2] فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَلِلَّهِ عَلَى النَّاسِ حِجُّ الْبَيْتِ مَنِ اسْتَطَاعَ إِلَيْهِ سَبِيلًا وَمَنْ كَفَرَ فَإِنَّ اللَّهَ غَنِيٌّ عَنِ الْعَالَمِينَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ بَعْدَ انْصِرَافِهِ مِنْ صِفِّينَ[3]

أَحْمَدُهُ اسْتِتْمَامًا لِنِعْمَتِهِ . وَاسْتِسْلامًا لِعِزَّتِهِ . وَاسْتِعْصَامًا مِنْ مَعْصِيَتِهِ . وَأَسْتَعِينُهُ فَاقَةً إِلَى كِفَايَتِهِ إِنَّهُ لَا يَضِلُّ مَنْ هَدَاهُ . وَلَا يَئِلُ مَنْ عَادَاهُ[4] وَلَا يَفْتَقِرُ مَنْ كَفَاهُ . فَإِنَّهُ أَرْجَحُ مَا وُزِنَ[5] وَأَفْضَلُ مَا

فى كسوتهم وعتق الرقبة (١) يألهون اليه أى يفزعون اليه أو يلوذون به ويعكفون عليه (٢) الوفادة الزيارة .

(٣) صفين كسجين محلة عدها الجغرافيون من بلاد الجزيرة (ما بين الفرات والدجلة) والمؤرخون من العرب عدوها من أرض سوريا وهى اليوم فى ولاية حلب الشهباء وهذه الولاية كانت من أعمال سوريا (٤) وأل يئل خلص (٥) الضمير فى فانه

خُزِنَ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . شَهَادَةً مُمْتَحَنًا إِخْلَاصُهَا . مُعْتَقَدًا مُصَاصُهَا [١] نَتَمَسَّكُ بِهَا أَبَدًا مَا أَبْقَانَا . وَنَدَّخِرُهَا لِأَهَاوِيلِ مَا يَلْقَانَا [٢] فَإِنَّهَا عَزِيمَةُ الْإِيمَانِ . وَفَاتِحَةُ الْإِحْسَانِ وَمَرْضَاةُ الرَّحْمٰنِ . وَمَدْحَرَةُ الشَّيْطَانِ [٣] وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ بِالدِّينِ الْمَشْهُورِ . وَالْعَلَمِ الْمَأْثُورِ [٤] وَالْكِتَابِ الْمَسْطُورِ . وَالنُّورِ السَّاطِعِ . وَالضِّيَاءِ اللَّامِعِ . وَالْأَمْرِ الصَّادِعِ . إِزَاحَةً لِلشُّبُهَاتِ . وَاحْتِجَاجًا بِالْبَيِّنَاتِ . وَتَحْذِيرًا بِالْآيَاتِ . وَتَخْوِيفًا بِالْمَثُلَاتِ [٥] وَالنَّاسُ فِي فِتَنٍ انْجَذَمَ فِيهَا حَبْلُ الدِّينِ [٦] وَتَزَعْزَعَتْ سَوَارِي الْيَقِينِ [٧] وَاخْتَلَفَ النَّجْرُ [٨] وَتَشَتَّتَ الْأَمْرُ . وَضَاقَ الْمَخْرَجُ وَعَمِيَ الْمَصْدَرُ [٩] فَالْهُدَى خَامِلٌ وَالْعَمَى شَامِلٌ . عُصِيَ الرَّحْمٰنُ . وَنُصِرَ الشَّيْطَانُ . وَخُذِلَ الْإِيمَانُ

للحمد المفهوم من أحمده (١) مصاص كل شيء خالصه (٢) الاهاويل جمع أهوال جمع هول فهي جمع الجمع (٣) مدحرة الشيطان أي تبعده وتطرده (٤) العلم بالتحريك ما يهتدى به وهو هنا الشريعة الحقة. والمأثور المنقول عنه (٥) المثلات بفتح فضم العقوبات جمع مثلة بضم الثاء وسكونها بعد الميم وجمعها مثولات ومثلات وقد تسكن ثاء الجمع تخفيفا (٦) انجذم انقطع (٧) السوارى جمع سارية العمود والدعامة (٨) النجر بفتح النون وسكون الجيم الأصل أي اختلفت الاصول فكل يرجع الى أصل يظنه مرجع حق وما هو من الحق في شي (٩) مصادرهم في أوهامهم وأهوائهم مجهولة غير معلومة خفية غير ظاهرة فلا عن بينة يعتقدون ولا الى غاية صالحة ينزعون

فَانْهَارَتْ دَعَائِمُهُ(١)، وَتَنَكَّرَتْ مَعَالِمُهُ(٢)، وَدَرَسَتْ سُبُلُهُ(٣)، وَعَفَتْ شُرُكُهُ. أَطَاعُوا الشَّيْطَانَ فَسَلَكُوا مَسَالِكَهُ. وَوَرَدُوا مَنَاهِلَهُ(٤) بِهِمْ سَارَتْ أَعْلَامُهُ. وَقَامَ لِوَاؤُهُ فِي فِتَنٍ دَاسَتْهُمْ بِأَخْفَافِهَا. وَوَطِئَتْهُمْ بِأَظْلَافِهَا(٥) وَقَامَتْ عَلَى سَنَابِكِهَا. فَهُمْ فِيهَا تَائِهُونَ حَائِرُونَ جَاهِلُونَ مَفْتُونُونَ فِي خَيْرِ دَارٍ وَشَرِّ جِيرَانٍ(٦). نَوْمُهُمْ سُهُودٌ وَكُحْلُهُمْ دُمُوعٌ. بِأَرْضٍ عَالِمُهَا مُلْجَمٌ وَجَاهِلُهَا مُكَرَّمٌ (وَمِنْهَا يَعْنِي آلَ النَّبِيِّ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ) مَوْضِعُ سِرِّهِ وَلَجَأُ أَمْرِهِ(٧) وَعَيْبَةُ عِلْمِهِ(٨) وَمَوْئِلُ حِكَمِهِ وَكُهُوفُ

(١) انهارت هوت وسقطت. والدعائم جمع دعامة وهي ما يستند اليه الشيء ويقوم عليه. ودعامة السقف مثلا ما يرتفع عليه من الاعمدة (٢) التنكر التغير من حال تسر الى حال تكره أي تبدلت علاماته وآثاره بما أعقب السوء وجلب المكروه (٣) درست كاندرست أي انطمست، والشرك قال بعضهم جمع شراك ككتاب وهي الطريق والذي يفهم من القاموس أنها بفتحات جواد الطريق أوما لا يخفى عليك ولا يستجمع لك من الطرق، اسم جمع لا مفرد له من لفظه. وعفت بمعنى درست (٤) المناهل جمع منهل وهو مورد الشاربة من النهر (٥) الاظلاف جمع ظلف بالكسر للبقر والشاء وشبههما كالخف للبعير والقدم للانسان. السنابك جمع سنبك كقنفذ طرف الحافر (٦) خير دار هي مكة المكرمة. وشر الجيران عبدة الاوثان من قريش. وقوله نومهم سهود الخ كما تقول فلان جوده بخل وأمنه مخافة فهم في أحداث أبدلتهم النوم بالسهر والكحل بالدمع. والعالم ملجم لانه لو قال حقا والجهور على الباطل لانتاشوه ونهشوه والجاهل مكرم لأنه على شاكلة العامة مشايع لهم في أهوائهم فنزلته عندهم منزلة أوهامهم وعاداتهم وهي في المقام الا على من نفوسهم. وهذه الأوصاف كلها لتصوير حال الناس في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ (٧) اللجأ محركة الملاذ وما تلتجيء اليه كالوزر محركة ما تعتصم به (٨) العيبة بالفتح الوعاء. والموئل المرجع أي أن حكمه وشرعه يرجع

كُتُبِهِ . وَجِبَالُ دِينِهِ . بِهِمْ أَقَامَ انْحِنَاءَ ظَهْرِهِ وَأَذْهَبَ ارْتِعَادَ فَرَائِصِهِ (١) .

(وَمِنْهَا يَعْنِي قَوْماً آخَرِينَ) زَرَعُوا الْفُجُورَ : وَسَقَوْهُ الْغُرُورَ . وَحَصَدُوا الثُّبُورَ (٢) لَا يُقَاسُ بِآلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ أَحَدٌ وَلَا يُسَوَّى بِهِمْ مَنْ جَرَتْ نِعْمَتُهُمْ عَلَيْهِ أَبَدًا . هُمْ أَسَاسُ الدِّينِ . وَعِمَادُ الْيَقِينِ . إِلَيْهِمْ يَفِيءُ الْغَالِي . وَبِهِمْ يُلْحَقُ التَّالِي (٣) وَلَهُمْ خَصَائِصُ حَقِّ الْوِلَايَةِ . وَفِيهِمُ الْوَصِيَّةُ وَالْوِرَاثَةُ . الْآنَ إِذْ رَجَعَ الْحَقُّ إِلَى أَهْلِهِ (٤) وَنُقِلَ إِلَى مُنْتَقَلِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ وَهِيَ الْمَعْرُوفَةُ بِالشَّقْشِقِيَّةِ (٥)

أَمَا وَاللهِ لَقَدْ تَقَمَّصَهَا فُلَانٌ (٦) وَإِنَّهُ لَيَعْلَمُ أَنَّ مَحَلِّي مِنْهَا مَحَلُّ الْقُطْبِ

اليهم وهم حفاظ كتبه يحوونها كما تحوى الكهوف والغيران ما يكون فيها. والكتب القرآن، وجمعه لأنه فيما حواه كجملة ما تقدمه من الكتب ويزيد عليها ما خص الله به هذه الأمة (١) كنى بانحناء الظهر عن الضعف وباقامته عن القوة وبهم آمنه من الخوف الذى ترتعد منه الفرائص (٢) جعل ما فعلوا من القبائح كزرع زرعوه وما سكنت اليه نفوسهم من الامهال واغترارهم بذلك بمنزلة السقى فان الغرور يبعث على مداومة القبيح والزيادة فيه ثم كانت عاقبة أمرهم هذا الثبور وهو الهلاك (٣) يريد أن سيرتهم صراط الدين المستقيم فمن غلا فى دينه وتجاوز بالافراط حدود الجادّة فانما نجاته بالرجوع الى سيرة آل النبى وتفيؤ ظلال أعلامهم . وقوله وبهم يلحق التالى يقصد به أن المقصر فى عمله المتباطىء فى سيره الذى أصبح وقد سبقه السابقون إنما ينبغى له الخلاص بالنهوض ليلحق بآل النبى ويحذو حذوهم (٤) الآن ظرف متعلق برجع واذ زائدة للتوكيد، سوغ ذلك ابن هشام فى نقله عن أبى عبيدة أو أن اذ للتحقيق بمعنى قد كما نقله بعض النحاة (٥) لقوله فيها انها شقشقة هدرت ثم قرت كما يأتى (٦) الضمير

مِنَ الرَّحَى . يَنْحَدِرُ عَنِّي السَّيْلُ[1] وَلَا يَرْقَى إِلَيَّ الطَّيْرُ . فَسَدَلْتُ دُونَهَا ثَوْباً[2] وَطَوَيْتُ عَنْهَا كَشْحاً . وَطَفِقْتُ أَرْتَإِي بَيْنَ أَنْ أَصُولَ بِيَدٍ جَذَّاءَ[3] أَوْ أَصْبِرَ عَلَى طِخْيَةٍ عَمْيَاءَ[4] يَهْرَمُ فِيهَا الْكَبِيرُ . وَيَشِيبُ فِيهَا الصَّغِيرُ . وَيَكْدَحُ فِيهَا مُؤْمِنٌ حَتَّى يَلْقَى رَبَّهُ[5] فَرَأَيْتُ أَنَّ الصَّبْرَ عَلَى هَاتَا أَحْجَى[6] فَصَبَرْتُ وَفِي الْعَيْنِ قَذًى . وَفِي الْحَلْقِ شَجاً[7] أَرَى تُرَاثِي نَهْباً

يرجع الى الخلافة . وفلان كناية عن الخليفة الأول أبى بكر رضى الله عنه (١) تمثيل لسمو قدره كرم الله وجهه وقربه من مهبط الوحى وأن ما يصل إلى غيره من فيض الفضل فانما يتدفق من حوضه ثم ينحدر عن مقامه العالى فيصيب منه من شاء الله وعلى ذلك قوله ولا يرقى الخ غير أن الثانية أبلغ من الأولى فى الدلالة على الرفعة (٢) فسدلت الخ كناية عن غض نظره عنها. وسدل الثوب أرخاه. وطوى عنها كشحاً مال عنها. وهو مثل لان من جاع فقد طوى كشحه ومن شبع فقد ملأه فهو قد جاع عن الخلافة أى لم يلتقمها (٣) وطفقت الخ بيان لعلة الاغضاء. والجذاء بالجيم والذال المعجمة والدال المهملة، وبالحاء المهملة مع الذال المعجمة بمعنى المقطوعة ويقولون رحم جذاء أى لم توصل وسن جذاء أى متهتمة ، والمراد هنا ليس ما يؤيدها كأنه قال تفكرت فى الأمر فوجدت الصبر أولى فسدلت دونها ثوبا وطويت عنها كشحاً (٤) طخية بطاء فخاء بعدها ياء ويثلث أولها أى ظلمة. ونسبة العمى اليها مجاز عقلى. وانما يعمى القائمون فيها اذ لا يهتدون إلى الحق وهو تأكيد لظلام الحال واسودادها (٥) يكدح يسعى سعى المجهود (٦) أحجى ألزم من حجى به كرضى أولع به ولزمه ومنه هو حجى بكذا أى جدير وما أحجاه ، وأحج به أى أخلق به . وأصله من الحجا بمعنى العقل فهو أحجى أى أقرب إلى العقل. وهاتا بمعنى هذه أى رأى الصبر على هذه الحالة التى وصفها أولى بالعقل من الصولة بلا نصير (٧) الشجا ما اعترض فى الحلق من عظم ونحوه . والتراث الميراث

حَتَّى مَضَى ٱلاوَّلُ لِسَبِيلِهِ فَأَدْلَى بِهَا إِلَى فُلَانٍ بَعْدَهُ(١) (ثُمَّ تَمَثَّلَ بِقَوْلِ ٱلْأَعْشَى)

شَتَّانَ مَا يَوْمِي عَلَى كُورِهَا وَيَوْمُ حَيَّانَ أَخِي جَابِرِ(٢)

فَيَا عَجَبًا بَيْنَا هُوَ يَسْتَقِيلُهَا فِي حَيَاتِهِ(٣) إِذْ عَقَدَهَا لِآخَرَ بَعْدَ وَفَاتِهِ

---

(١) أدلى بها ألقى بها اليه .

(٢) الكور بالضم الرحل أوهو مع أداته . والضمير راجع إلى الناقة المذكورة فى الأبيات قبل فى قوله .

وقد أسلى الهم اذ يعترى بجسرة دوسرة عاقر

والجسر العظيم من الابل. والدوسرة الناقة الضخمة. وحيان كان سيداً فى بنى حنيفة مطاعا فيهم وكان ذا حظوة عند ملوك فارس وله نعمة واسعة ورفاهية وافرة وكان الأعشى ينادمه. والأعشى هذا هو الأعشى الكبير أعشى قيس وهو أبو بصير ميمون ابن قيس بن جندل . وأول القصيدة :

علقم ما أنت إلى عامر الناقض الأوتار والواتر

وجابر أخو حيان أصغر منه ، ومعنى البيت أن فرقا بعيداً بين يومه فى سفره وهو على كور ناقته و بين يوم حيان فى رفاهيته فان الأول كثير العناء شديد الشقاء والثانى وافر النعيم وافى الراحة و يتلو هذا البيت أبيات منها :

فى مجدل شيد بنيانه يزل عنه ظفر الطائر ما يجعل الجد الظنون الذى

جنب صوب اللجب الماطر مثل الفراتى اذا ماطما يقذف بالبوصى والماهر

(المجدل كمنبر القصر. والجد بضم أوله البئر القليلة الماء. والظنون البئر لا يدرى أفيها ماء أم لا. واللجب المراد منه السحاب لاضطرابه وتحركه . والفراتى الفرات . وزيادة الياء للمبالغة. والبوصى ضرب من السفن معرب بوزى والماهر السابح المجيد) ووجه تمثل الامام بالبيت ظاهر بأدنى تأمل (٣) رووا أن أبا بكر قال بعد البيعة أقيلونى فلست بخيركم . وأنكر الجمهور هذه الرواية عنه والمعروف عنه وليتكم ولست بخيركم .

لَشَدَّ مَا تَشَطَّرَا ضَرْعَيْهَا(١) فَصَيَّرَهَا فِي حَوْزَةٍ خَشْنَاءَ يَغْلُظُ كُلَامُهَا(٢) وَيَخْشُنُ مَسُّهَا . وَيَكْثُرُ الْعِثَارُ فِيهَا . وَالْاِعْتِذَارُ مِنْهَا ، فَصَاحِبُهَا كَرَاكِبِ الصَّعْبَةِ(٣) إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ . وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ فَمُنِيَ النَّاسُ لَعَمْرُ اللهِ بِخَبْطٍ وَشِمَاسٍ(٤) وَتَلَوُّنٍ وَاعْتِرَاضٍ . فَصَبَرْتُ عَلَى طُولِ الْمُدَّةِ وَشِدَّةِ الْمِحْنَةِ . حَتَّى إِذَا مَضَى لِسَبِيلِهِ . جَعَلَهَا فِي جَمَاعَةٍ زَعَمَ أَنِّي

---

(١) لشد ما تشطرا ضرعيها جملة شبه قسمية اعترضت بين المتعاطفين ، فالفاء فى فصيرها عطف على عقدها. وتشطرا مسند الى ضمير التثنية وضرعيها تثنية ضرع وهو للحيوانات مثل الثدى للمرأة. قالوا ان للناقة فى ضرعهـا شطرين كل خلفين شطر ويقال شطر بناقته تشطيراً صر خلفين وترك خلفين. والشطر أيضـاً ان تحلب شطراً وتترك شطراً، فتشطرا أى اخذ كل منهما شطراً ، سمى شطرى الضرع ضرعين مجازاً وهو هنا من أبلغ أنواعه حيث ان من ولى الخلافة لا ينـال الأمر الا تاما ولا يجوز أن يترك منه لغيره سهماً ، فأطلق على تناول الأمر واحداً بعد واحـد اسم التشطر والاقتسام كأن أحدهما ترك منه شيئا للآخر، واطلق على كل شطر اسم الضرع نظراً لحقيقة ما نال كل (٢) الـكلام بالضم الأرض الغليظة. وفى نسخه كلمها وانما هو بمعنى الجرح ، كأنه يقول خشونتهـا تجرح جرحا غليظا (٣) الصعبة من الابل ما ليست بذلول. واشنق البعير وشنقه كفه بزمامه حتى ألصق ذفراه (العظم الناتئ خلف الاذن) بقادمة الرحل أو رفع رأسه وهو راكبه واللام هنـا زائدة للتحلية ولتشاكل أسلس. وأسلس أرخى. وتقحم رمى بنفسه فى القحمة أى الهلـكة . وسيأتى معنى هذه العبارة فى الـكتاب. وراكب الصعبة اما أن يشنقها فيخرم أنفها واما أن يسلس لها فترمى به فى مهواة تـكون فيها هلـكته (٤) منى الناس ابتلوا وأصيبوا . والشماس بالـكسر اباء ظهر الفرس عن الركوب والنفـار . والخبط السير على غير جادّة . والتلون التبـدل والاعتراض السير على غير خط مستقيم ، كأنه يسير عرضا فى حال سيره طولا. يقال بعير

أَحَدُهُمْ فَيَالِلّٰهِ وَلِلشُّورَى(١) مَتَى اعْتَرَضَ الرَّيْبُ فِيَّ مَعَ الْأَوَّلِ مِنْهُمْ حَتَّى

عرضى يعترض فى سيره لأنه لم يتم رياضته ، وفى فلان عرضية أى عجرفة وصعوبة

(١) اجمال القصة أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما دنا أجله وقرب مسيره الى ربه استشار فيمن يوليه الخلافة من بعده فأشير عليه بابنه عبدالله فقال لا يليهـا (أى الخلافة) اثنان من ولد الخطاب حسب عمر ما حمل ، ثم رأى أن يكل الأمر إلى ستة قال ان النبى ﷺ مات وهو راض عنهم ، واليهم بعد التشاور أن يعينوا واحـداً منهم يقوم بأمر المسلمين، والستة رجال الشورى هم على بن أبى طالب وعثمان بن عفان وطلحة بن عبيدالله والزبير بن العوام وعبـد الرحمن بن عوف وسعد بن أبى وقاص رضى الله عنهم ، وكان سـعد من بنى عم عبدالرحمن كلاهما من بنى زهرة وكان فى نفسه شىء من على كرم الله وجهه من قبل أخواله لان أمه حمنة بنت سفيان بن أمية بن عبد شمس ولعلى فى قتل صناديدهم ما هو معروف مشهور . وعبد الرحمن كان صهراً لعثمان لأن زوجته أم كلثوم بنت عقبة بن أبى معيط كانت أختا لعثمان من أمه، وكان طلحة ميالا لعثمان لصلات بينهما على ما ذكره بعض رواة الأثر وقد يكفى فى ميله الى عثمان انحرافه عن على لأنه تيمى وقد كان بين بنى هاشم و بنى تيم مواجد لمكان الخلافة فى أبى بكر ، و بعـد موت عمر بن الخطاب رضى الله عنه اجتمعوا وتشاوروا فاختلفوا وانضم طلحة فى الرأى الى عثمان والزبير الى على وسـعد الى عبـد الرحمن وكان عمر قد أوصى بأن لا تطول مدة الشورى فوق ثلاثة أيام وأن لا يأتى الرابع الا ولهم أمير ، وقال اذا كان خـلاف فكونوا مع الفريق الذى فيه عبد الرحمن فأقبل عبد الرحمن على على وقال عليك عهـد الله وميثاقه لتعملن بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة الخليفتين من بعده فقال على أرجو أن أفعل وأعمل على مبلغ علمى وطاقتى ، ثم دعا عثمان وقال له مثل ذلك فأجابه بنعم، فرفع عبدالرحمن رأسه الى سقف المسجد حيث كانت المشورة وقال اللهم اسمع واشهد اللهم انى جعلت ما فى رقبتى من ذلك فى رقبة عثمان وصفق بيده فى يد عثمان وقال السلام عليك يا أمير المؤمنين و بايعه. قالوا وخرج الامام على واجداً، فقال المقداد بن الاسود لعبد الرحمن والله لقد تركت عليا وانه من الذين يقضون بالحق و به يعدلون، فقال يا مقـداد لقد

صِرْتُ أُقْرَنُ إِلَى هٰذِهِ ٱلنَّظَائِرِ (١) لَـٰكِنِّي أَسْفَفْتُ إِذْ أَسَفُّوا (٢) وَطِرْتُ إِذْ طَارُوا . فَصَغَى رَجُلٌ مِنْهُمْ لِضِغْنِهِ (٣) وَمَالَ ٱلْآخَرُ لِصِهْرِهِ (٤) مَعَ هَنٍ وَهَنٍ (٥) إِلَى أَنْ قَامَ ثَالِثُ ٱلْقَوْمِ نَافِجًا حِضْنَيْهِ (٦) بَيْنَ نَثِيلِهِ وَمُعْتَلَفِهِ . وَقَامَ مَعَهُ بَنُو أَبِيهِ يَخْضِمُونَ مَالَ ٱللهِ خَضْمَةَ ٱلْإِبِلِ نِبْتَةَ ٱلرَّبِيعِ (٧) إِلَى أَنِ ٱنْتَكَثَ فَتْلُهُ . وَأَجْهَزَ عَلَيْهِ عَمَلُهُ (٨) وَكَبَتْ بِهِ بِطْنَتُهُ (٩) فَمَارَاعَنِي

تقصيت الجهد للمسلمين. فقال المقداد والله انى لا عجب من قريش انهم تركوا رجلا ما أقول ولا أعلم أن رجلا أقضى بالحق ولا أعلم به منه، فقال عبد الرحمن يا مقداد انى أخشى عليك الفتنة فاتق الله . ثم لما حدث فى عهد عثمان ماحدث من قيام الأحداث من أقاربه على ولاية الأمصار ووجد عليه كبار الصحابة روى أنه قيل لعبد الرحمن هذا عمل يديك، فقال ما كنت أظن هذا به ولكن لله على أن لا أكلمه أبداً ، ثم مات عبد الرحمن وهو مهاجر لعثمان، حتى قيل ان عثمان دخل عليه فى مرضه يعوده فتحول الى الحائط لا يكلمه . والله أعلم والحكم لله يفعل ما يشاء (١) المشابه بعضهم بعضا دونه (٢) أسف الطائر دنا من الأرض يريد أنه لم يخالفهم فى شىء (٣) صغى صغًى وصغا صغوا مال ، والضغن الضغينة يشير الى سعد (٤) يشير الى عبد الرحمن (٥) يشير الى أغراض أخر يكره ذكرها (٦) يشير الى عثمان وكان ثالثا بعد انضمام كل من طلحة والزبير وسعد الى صاحبه كما تراه فى خبر القضية. ونافجا حضنيه رافعا لهما، والحضن ما بين الابط والكشح. يقال للمتكبر جاء نافجا حضنيه. ويقال مثله لمن امتلأ بطنه طعاما ، والنثيل الروث ، والمعتلف من مادة علف موضع العلف وهو معروف أى لا هم له الا ما ذكر (٧) الخضم على ما فى القاموس الاكل أو بأقصى الاضراس أو ملء الفم بالمأكول أو خاص بالشىء الرطب .والقضم الاكل بأطراف الاسنان أخف من الخضم، والنبتة بكسر النون كالنبات فى معناه (٨) انتكث فتله انتقض. وأجهز عليه عمله تمم قتله . تقول أجهزت على الجريح وذففت عليه (٩) البطنة بالكسر البطر والاشر

إِلَّا وَٱلنَّاسُ كَعُرْفِ ٱلضَّبُعِ إِلَيَّ[1] يَنْثَالُونَ عَلَيَّ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ. حَتَّى لَقَدْ وُطِئَ ٱلْحَسَنَانِ. وَشُقَّ عِطْفَايَ مُجْتَمِعِينَ حَوْلِي كَرَبِيضَةِ ٱلْغَنَمِ[2] فَلَمَّا نَهَضْتُ بِالْأَمْرِ نَكَثَتْ طَائِفَةٌ وَمَرَقَتْ أُخْرَى وَقَسَطَ آخَرُونَ[3] كَأَنَّهُمْ لَمْ يَسْمَعُوا كَلَامَ ٱللهِ حَيْثُ يَقُولُ. (تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَٱلْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) بَلَى وَٱللهِ لَقَدْ سَمِعُوهَا وَوَعَوْهَا. وَلَـٰكِنَّهُمْ حَلِيَتِ ٱلدُّنْيَا فِي أَعْيُنِهِمْ[4] وَرَاقَهُمْ زِبْرِجُهَا. أَمَا وَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ. وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ[5] لَوْلَا حُضُورُ ٱلْحَاضِرِ[6] وَقِيَامُ ٱلْحُجَّةِ بِوُجُودِ ٱلنَّاصِرِ. وَمَا أَخَذَ ٱللهُ عَلَى ٱلْعُلَمَاءِ أَنْ لَا يُقَارُّوا عَلَى كِظَّةِ ظَالِمٍ وَلَا سَغَبِ مَظْلُومٍ[7]

والكظة (أى التخمة) والاسراف فى الشبع. وكبت به من كبا الجواد اذا سقط لوجهه (١) عرف الضبع ما كثر على عنقها من الشعر وهو ثخين يضرب به المثل فى الكثرة والازدحام، وينثالون يتتابعون مزدحمين. والحسنان ولداه الحسن والحسين، وشق عطفاه خدش جانباه من الاصطكاك. وفى رواية شق عطافى والعطاف الرداء وكان هذا الازدحام لاجل البيعة على الخلافة (٢) ربيضة الغنم الطائفة الرابضة من الغنم يصف ازدحامهم حوله وجثومهم بين يديه (٣) الناكثة أصحاب الجمل، والمارقة أصحاب النهروان والقاسطون أى الجائرون أصحاب صفين (٤) حليت الدنيا من حليت المرأة اذا تزينت بحليها، والزبرج الزينة من وشى أو جوهر (٥) النسمة محركة الروح، وبرأها خلقها (٦) من حضر لبيعته ولزوم البيعة لذمة الامام بحضوره (٧) والناصر الجيش الذى يستعين به على الزام الخارجين بالدخول فى البيعة الصحيحة. والكظة مايعترى الآكل من امتلاء البطن بالطعام والمراد استئثار الظالم بالحقوق، والسغب شدة الجوع

لَأَلْقَيْتُ حَبْلَهَا عَلَى غَارِبِهَا[١] وَلَسَقَيْتُ آخِرَهَا بِكَأْسِ أَوَّلِهَا . وَلَأَلْفَيْتُمْ دُنْيَاكُمْ هٰذِهِ أَزْهَدَ عِنْدِي مِنْ عَفْطَةِ عَنْزٍ[٢] (قَالُوا) وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ ٱلسَّوَادِ[٣] عِنْدَ بُلُوغِهِ إِلَى هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ مِنْ خُطْبَتِهِ فَنَاوَلَهُ كِتَابًا فَأَقْبَلَ يَنْظُرُ فِيهِ . قَالَ لَهُ ٱبْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ ٱللّٰهُ عَنْهُمَا . يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَوِ ٱطَّرَدْتَ خُطْبَتَكَ مِنْ حَيْثُ أَفْضَيْتَ . فَقَالَ هَيْهَاتَ يَا ٱبْنَ عَبَّاسٍ تِلْكَ شِقْشِقَةٌ[٤] هَدَرَتْ ثُمَّ قَرَّتْ . قَالَ ٱبْنُ عَبَّاسٍ فَوَٱللّٰهِ مَا أَسِفْتُ عَلَى كَلَامٍ قَطُّ كَأَسَفِي عَلَى هٰذَا ٱلْكَلَامِ أَنْ لَا يَكُونَ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَلَغَ مِنْهُ حَيْثُ أَرَادَ (قَوْلُهُ كَرَاكِبِ ٱلصَّعْبَةِ إِنْ أَشْنَقَ لَهَا خَرَمَ وَإِنْ أَسْلَسَ لَهَا تَقَحَّمَ) يُرِيدُ أَنَّهُ إِذَا شَدَّدَ عَلَيْهَا فِي جَذْبِ ٱلزِّمَامِ وَهِيَ تُنَازِعُهُ رَأْسَهَا خَرَمَ أَنْفَهَا وَإِنْ أَرْخَى لَهَا شَيْئًا مَعَ صُعُوبَتِهَا تَقَحَّمَتْ بِهِ فَلَمْ يَمْلِكْهَا . يُقَالُ أَشْنَقَ ٱلنَّاقَةَ إِذَا جَذَبَ رَأْسَهَا

والمراد منه هضم حقوقه (١) الغارب الكاهل والكلام تمثيل للترك وارسال الأمر
(٢) عفطة العنز ما تنثره من أنفها كالعطفة ،عفطت تعفط من باب ضرب، غير أن أكثر ما يستعمل ذلك فى النعجة ، والاشهر فى العنز النفطة بالنون ، يقال ما له عافط ولا نافط أى نعجة ولا عنز ، كما يقال ما له ثاغية ولا راغية ، والعفطة الحبقة أيضا لكن الأليق بكلام أمير المؤمنين هو ما تقدم (٣) السواد العراق وسمى سواداً لخضرته بالزرع والاشجار . والعرب تسمى الاخضر أسود قال الله تعالى «مدهامتان» يريد الخضرة كما هو ظاهر (٤) الشقشقة بكسر فسكون فكسر شئ كالرئة يخرجه البعير من فيه اذا هاج ، وصوت البعير بها عند اخراجها هدير ، ونسبة الهدير اليها نسبة الى الآلة ، قال

بِالزِّمَامِ فَرَفَعَهُ وَشَنَقَهَا أَيْضاً، ذَكَرَ ذٰلِكَ ابْنُ السِّكِّيتِ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ. وَإِنَّمَا قَالَ أَشْنَقَ لَهَا وَلَمْ يَقُلْ أَشْنَقَهَا لِأَنَّهُ جَعَلَهُ فِي مُقَابَلَةِ قَوْلِهِ أَسْلَسَ لَهَا فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ إِنْ رَفَعَ لَهَا رَأْسَهَا بِمَعْنَى أَمْسَكَهُ عَلَيْهَا.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بِنَا اهْتَدَيْتُمْ فِي الظَّلْمَاءِ. وَتَسَنَّمْتُمُ الْعَلْيَاءَ(١) وَبِنَا انْفَجَرْتُمْ عَنِ السِّرَارِ. وُقِرَ سَمْعٌ لَمْ يَفْقَهِ الْوَاعِيَةَ(٢) وَكَيْفَ يُرَاعِي النَّبْأَةَ مَنْ أَصَمَّتْهُ الصَّيْحَةُ(٣). رُبِطَ جَنَانٌ لَمْ يُفَارِقْهُ الْخَفَقَانُ(٤) مَازِلْتُ أَنْتَظِرُ بِكُمْ عَوَاقِبَ

---

(١) تسنمتم العليا ركبتم سنامها وارتقيتم الى أعلاها، والسرار كسحاب وكتاب آخر ليلة من الشهر يختفى فيها القمر. وانفجرتم دخلتم فى الفجر. والمراد كنتم فى ظلام حالك وهو ظلام الشرك والضلال فصرتم الى ضياء ساطع بهدايتنا وارشادنا والضمير لمحمد صلى الله عليه وآله والامام ابن عمه ونصيره فى دعوته. ويروى أفجرتم بدل انفجرتم وهو أفصح وأوضح لأن الفعل لا يأتى لغير المطاوعة الا نادرا. أما أفعل فيأتى لصيرورة الشئ الى حال لم يكن عليها كقولهم أجرب الرجل اذا صارت ابله جربى وأمثاله كثير (٢) الواعية الصارخة، والصارخة والصراخ نفسه. والمراد هنا العبر والمواعظ الشديدة الأثر. ووقرت اذنه فهى موقورة ووقرت كسمعت صمت. دعاء بالصمم على من لم يفهم الزواجر والعبر (٣) الصيحة هنا الصوت الشديد، والنبأة أراد منها الصوت الخفى، أى من أصمته الصيحة فلم يسمعها كيف يمكن أن يسمع النبأة فيراعيها. ويشير بالصيحة الى زواجر كتاب الله ومقال رسوله، وبالنبأة الى ما يكون منه رضى الله عنه وقد رأينا هذا أقرب مما أشرنا اليه فى الطبعة السابقة (٤) ربط جأشه رباطة اشتد قلبه، ومثله رباطة

ٱلْغَدْرِ . وَأَتَوَسَّمُكُمْ بِحِلْيَةِ ٱلْمُغْتَرِّينَ(١) سَتَرَنِي عَنْكُمْ جِلْبَابُ ٱلدِّينِ(٢) وَبَصَّرَنِيكُمْ صِدْقُ ٱلنِّيَّةِ . أَقَمْتُ لَكُمْ عَلَى سَنَنِ ٱلْحَقِّ فِي جَوَادِّ ٱلْمَضَلَّةِ(٣) ، حَيْثُ تَلْتَقُونَ وَلَا دَلِيلَ . وَتَحْتَفِرُونَ وَلَا تُمِيهُونَ(٤) . اَلْيَوْمَ أُنْطِقُ لَكُمُ ٱلْعَجْمَاءَ ذَاتَ ٱلْبَيَانِ(٥) غَرَبَ رَأْيُ ٱمْرِئٍ تَخَلَّفَ عَنِّي(٦) مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ . لَمْ يُوجِسْ مُوسَى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ خِيفَةً عَلَى نَفْسِهِ(٧) أَشْفَقَ مِنْ غَلَبَةِ ٱلْجُهَّالِ وَدُوَلِ ٱلضَّلَالِ . اَلْيَوْمَ تَوَاقَفْنَا عَلَى سَبِيلِ ٱلْحَقِّ وَٱلْبَاطِلِ مَنْ وَثِقَ بِمَاءٍ لَمْ يَظْمَأْ

الجنان أى القلب وهو دعاء للقلب الذى لازمه الخفقان والاضطراب خوفامن الله بأن يثبت ويستمسك (١) ينتظر بهم الغدر يترقب غدرهم ثم كان يتفرس فيهم الغرور والغفلة وأنهم لا يميزون بين الحق والباطل وهذا لا يبعد أن يجهلوا قدره فيتركوه الى من ليس لهمن الحق على مثل حاله . والحليـة هنا الصفة (٢) جلباب الدين ما لبسوه من رسومه الظاهرة ، أى أن الذى عصمكم منى هو ما ظهرتم به من الدين وان كان صدق نيتى قد بصرنى ببواطن أحوالكم وما تكنه صدوركم . وصاحب القلب الطاهر تنفذ فراسته الى سرائر النفوس فتستخرجها (٣) المضلة بكسر الضاد وفتحها الأرض يضل سالكها ، وللضلال طرق كثيرة لأن كل ما جار عن الحق فهو باطل ، وللحق طريق واحدمستقيم وهو الوسط بين طرق الضلال، لهذا قال أقمت لكم على سنن الحق وهو طريقه الواضح فيما بين جواد المضلة وطرقها المتشعبة حيث يلاقى بعضكم بعضا وكلكم تائهون فلا فائدة فى التقائكم حيث لا يدل أحدكم صاحبه لعدم علمه بالدليل (٤) تميهون تجدون ماءمن أماهوا أركيتهم أنبطوا ماءها أو تستقون من أماهوا دوابهم سقوها (٥) أراد من العجماء رموزه واشاراته فانها وان كانت غامضة على من لا بصيرة لهم لكنها جلية ظاهرة (لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد) لهذا سماها ذات البيان مع أنها عجماء (٦) غرب غاب ،أى لا رأى لمن تخلف عنى ولم يطعنى (٧) يتأسى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَاطَبَهُ ٱلْعَبَّاسُ وَأَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ فِي أَنْ يُبَايِعَا لَهُ بِٱلْخِلَافَةِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ شُقُّوا أَمْوَاجَ ٱلْفِتَنِ بِسُفُنِ ٱلنَّجَاةِ . وَعَرِّجُوا عَنْ طَرِيقِ ٱلْمُنَافَرَةِ وَضَعُوا عَنْ تِيجَانِ ٱلْمُفَاخَرَةِ(١) . أَفْلَحَ مَنْ نَهَضَ بِجَنَاحٍ . أَوِ ٱسْتَسْلَمَ فَأَرَاحَ(٢) هٰذَا مَاءٌ آجِنٌ(٣) . وَلُقْمَةٌ يَغَصُّ بِهَا آكِلُهَا . وَمُجْتَنِي ٱلثَّمَرَةِ لِغَيْرِ وَقْتِ إِينَاعِهَا كَالزَّارِعِ بِغَيْرِ أَرْضِهِ(٤) فَإِنْ أَقُلْ يَقُولُوا حَرَصَ عَلَى ٱلْمُلْكِ . وَإِنْ أَسْكُتْ يَقُولُوا جَزِعَ مِنَ ٱلْمَوْتِ(٥) هَيْهَاتَ بَعْدَ

بموسى عليه السلام اذ رموه بالخيفة ويفرق بين الواقع و بين ما يزعمون فانه لا يخاف على حياته ولكنه يخاف من غلبة الباطل كما كان من نبي الله موسى ، وهو أحسن تفسير لقوله تعالى (فأوجس فى نفسه خيفة موسى) وأفضل تبرئة لنبي الله من الشك فى أمره (١) قلب قصد به المبالغة . والقصد ضعوا تيجان المفاخرة عن رؤوسكم وكأنه يقول طأطئوا رؤوسكم تواضعا ولا ترفعوها بالمفاخرة الى حيث تصيبها تيجانها، ويروى وضعوا تيجان المفاخرة بدون لفظ عن وهو ظاهر . وعرج عن الطريق مال عنه وتنكبه (٢) المفلح أحد رجلين اما ناهض للامر بجناح أى بناصر ومعين يصل بمعونته الى ما نهض اليه ، واما مستسلم يريح الناس من المنازعة بلا طائل وذلك عند عدم الناصر ، وهذا ينحو نحو قول عنترة لما قيل له انك أشجع العرب فقال لست بأشجعهم ولكني أقدم اذا كان الاقدام عزما وأحجم اذا كان الاحجام حزما (٣) الآجن المتغير الطعم واللون لا يستساغ، والاشارة الى الخلافة، أى ان الامرة على الناس والولاية على شئونهم مما لا يهنأ لصاحبه بل ذلك أمر يشبه تناوله تناول الماء الآجن ولا تحمد عواقبه كاللقمة يغص بها آكلها فيموت بها (٤) يشير الى أن ذلك لم يكن الوقت الذى يسوغ فيه طلب الأمر فلو نهض اليه كان كمجتنى الثمرة قبل ايناعها ونضجها وهو لا ينتفع بما جنى ، كما أن الزارع فى غير أرضه لا ينتفع بما زرع (٥) ان

اُللَّتَيَا وَالَّتِي(١) وَاللهِ لَابْنُ أَبِي طَالِبٍ آنَسُ بِالْمَوْتِ مِنَ الطِّفْلِ بِثَدْيِ أُمِّهِ . بَلِ انْدَمَجْتُ عَلَى مَكْنُونِ عِلْمٍ لَوْ بُحْتُ بِهِ لَاضْطَرَبْتُمُ اضْطِرَابَ الْأَرْشِيَةِ فِي الطَّوِيِّ الْبَعِيدَةِ(٢) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ لَمَّا أُشِيرَ عَلَيْهِ بِأَنْ لَا يَتْبَعَ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ وَلَا يَرْصُدَ لَهُمَا الْقِتَالَ (٣)

وَاللهِ لَا أَكُونُ كَالضَّبُعِ تَنَامُ عَلَى طُولِ اللَّدْمِ(٤) . حَتَّى يَصِلَ إِلَيْهَا طَالِبُهَا وَيَخْتِلَهَا رَاصِدُهَا . وَلَكِنِّي أَضْرِبُ بِالْمُقْبِلِ إِلَى الْحَقِّ الْمُدْبِرَ عَنْهُ . وَبِالسَّامِعِ الْمُطِيعِ الْعَاصِيَ الْمُرِيبَ أَبَدًا . حَتَّى يَأْتِيَ عَلَيَّ يَوْمِي

تكلم بطلب الخلافة رماه من لا يعرف حقيقة قصده بالحرص على السلطان وان سكت وهم يعلمونه أهلا للخلافة يرمونه بالجزع من الموت فى طلب حقه (١) أى بعد ظن من يرميني بالجزع بعد ما ركبت الشدائد وقاسيت المخاطر صغيرها وكبيرها . قيل ان رجلا تزوج بقصيرة سيئة الخلق فشقى بعشرتها ثم طلقها وتزوج أخرى طويلة فكان شقاؤه بها أشد فطلقها وقال لا أتزوج بعد اللتيا والتى يشير بالاولى الى الصغيرة وبالثانية الى الكبيرة فصارت مثلا فى الشدائد والمصاعب صغيرها وكبيرها . وقوله هيهات الخ نفى لما عساهم يظنون من جزعه من الموت عند سكوته (٢) أدمجه لفه فى ثوب فاندمج، أى انطويت على علم والتففت عليه . والأرشية جمع رشاء بمعنى الحبل، والطوى جمع طوية وهى البئر ، والبعيدة بمعنى العميقة ، أو هى بفتح الطاء كعلىّ ، بمعنى السقاء ويكون البعيدة نعتا سببيا أى البعيدة مقرها من البئر أو نسبة البعد اليها فى العبارة مجاز عقلى (٣) يرصد يترقب أو هو رباعى من الارصاد بمعنى الاعداد، أى ولا يعد لهما القتال (٤) اللدم الضرب بشىء ثقيل يسمع صوته . قال أبو عبيد يأتى صائد الضبع فيضرب بعقبه الأرض عند باب جحرها ضربا غير شديد وذلك هو اللدم ثم يقول خامرى أم عامر بصوت ضعيف يكررها مراراً فتنام الضبع على ذلك فيجعل فى عرقوبها حبلا ويجرها فيخرجها ، وخامرى أى استترى فى جحرك ويقال خامر

فَوَاللهِ مَا زِلْتُ مَدْفُوعًا عَنْ حَقِّي مُسْتَأْثَرًا عَلَيَّ مُنْذُ قَبَضَ اللهُ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حَتَّى يَوْمِ النَّاسِ هٰذَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اتَّخَذُوا الشَّيْطَانَ لِأَمْرِهِمْ مِلَاكًا[1]، وَاتَّخَذَهُمْ لَهُ أَشْرَاكًا. فَبَاضَ وَفَرَّخَ فِي صُدُورِهِمْ[2]. وَدَبَّ وَدَرَجَ فِي حُجُورِهِمْ[3]. فَنَظَرَ بِأَعْيُنِهِمْ وَنَطَقَ بِأَلْسِنَتِهِمْ. فَرَكِبَ بِهِمُ الزَّلَلَ وَزَيَّنَ لَهُمُ الْخَطَلَ[4] فِعْلَ مَنْ قَدْ شَرَّكَهُ الشَّيْطَانُ فِي سُلْطَانِهِ وَنَطَقَ بِالْبَاطِلِ عَلَى لِسَانِهِ.

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَعْنِي بِهِ الزُّبَيْرَ فِي حَالٍ اقْتَضَتْ ذٰلِكَ)

يَزْعُمُ أَنَّهُ قَدْ بَايَعَ بِيَدِهِ وَلَمْ يُبَايِعْ بِقَلْبِهِ. فَقَدْ أَقَرَّ بِالْبَيْعَةِ وَادَّعَى الْوَلِيجَةَ[5] فَلْيَأْتِ عَلَيْهَا بِأَمْرٍ يُعْرَفُ. وَإِلَّا فَلْيَدْخُلْ فِيمَا خَرَجَ مِنْهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرْعَدُوا وَأَبْرَقُوا، وَمَعَ هٰذَيْنِ الْأَمْرَيْنِ الْفَشَلُ. وَلَسْنَا نُرْعِدُ

الرجل منزله اذا لزمه (١) ملاك الشيء بالفتح ويكسر قوامه الذي يملك به. والأشراك جمع شريك كشريف وأشراف فجعلهم شركاءه أو جمع شرك وهو ما يصاد به فكأنهم آلة الشيطان في الاضلال (٢) باض وفرخ كناية عن توطنه صدورهم وطول مكثه فيها، لأن الطائر لا يبيض الا في عشه. وفراخ الشيطان وساوسه (٣) دب ودرج الخ أي أنه تربى في حجورهم كما يربى الأطفال في حجور والديهم حتى بلغ فتوته وملك قوته (٤) الخطل أقبح الخطأ. والزلل الغلط والخطأ (٥) الوليجة الدخيلة وما يضمر في

حَتّٰى نُوقِعَ(١) . وَلَا نُسِيلُ حَتّٰى نُمْطِرَ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ قَدْ جَمَعَ حِزْبَهُ . وَٱسْتَجْلَبَ خَيْلَهُ وَرَجْلَهُ . وَإِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَّسْتُ عَلَى نَفْسِي وَلَا لُبِّسَ عَلَيَّ . وَٱيْمُ ٱللّٰهِ لَا أُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً أَنَا مَاتِحُهُ(٢) لَا يُصْدِرُونَ عَنْهُ وَلَا يَعُودُونَ إِلَيْهِ(٣)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ ٱلْحَنَفِيَّةِ لَمَّا أَعْطَاهُ ٱلرَّايَةَ يَوْمَ ٱلْجَمَلِ

تَزُولُ ٱلْجِبَالُ وَلَا تَزُلْ . عَضَّ عَلَى نَاجِذِكَ(٤) . أَعِرِ ٱللّٰهَ جُمْجُمَتَكَ . تِدْ فِي ٱلْأَرْضِ قَدَمَكَ(٥) . ٱرْمِ بِبَصَرِكَ أَقْصَى ٱلْقَوْمِ . وَغُضَّ بَصَرَكَ(٦) وَٱعْلَمْ

القلب ويكتم، والبطانة (١) اذا أوقعنا بعدو أوعدنا آخر بأن يصيبه ما أصاب سابقه، واذا أمطرنا أسلنا، أما أولئك الذين يقولون نفعل ونفعل وما هم بفاعلين فهم بمنزلة من يسيل قبل المطر وهو محال غير موجود فهم كالاعدام فيما به يوعدون (٢) أفرطه ملأه حتى فاض . والماتح من متح الماء نزعه أي أنا نازع مائه من البئر فمالىء به الحوض وهو حوض البلاء والفناء ، أو أنا الذى أسقيهم منه (٣) أى أنهم سيردون الحرب فيموتون عندها ولا يصدرون عنها ومن نجا منهم فلن يعود اليها (٤) النواجذ أقصى الأضراس أو كلها أو الأنياب والناجذ واحدها. قيل اذا عض الرجل على أسنانه اشتدت أعصاب رأسه وعظامه ولهذا يوصى به عند الشدة ليقوى، والصحيح أن ذلك كناية عن الحمية فان من عادة الانسان اذا حمى واشتد غيظه على عدوه عض على أسنانه. وأعر أمر من أعار ، أى ابذل جمجمتك لله تعالى كما يبذل المعير ماله للمستعير (٥) أى ثبتها من وتد يتد (٦) ارم ببصرك الخ أى أحط بجميع حركاتهم وغض

أَنَّ ٱلنَّصْرَ مِنْ عِنْدِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لَمَّا أَظْفَرَهُ ٱللهُ بِأَصْحَابِ ٱلْجَمَلِ وَقَدْ قَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ وَدِدْتُ أَنَّ أَخِي فُلَانًا كَانَ شَاهِدَنَا لِيَرَى مَا نَصَرَكَ ٱللهُ بِهِ عَلَى أَعْدَائِكَ . فَقَالَ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَهَوَى أَخِيكَ مَعَنَا؟[1] فَقَالَ نَعَمْ ، قَالَ فَقَدْ شَهِدَنَا . وَلَقَدْ شَهِدَنَا فِي عَسْكَرِنَا هٰذَا أَقْوَامٌ فِي أَصْلَابِ ٱلرِّجَالِ وَأَرْحَامِ ٱلنِّسَاءِ ، سَيَرْعُفُ بِهِمُ ٱلزَّمَانُ[2] وَيَقْوَى بِهِمُ ٱلْإِيمَانُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ذَمِّ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ

كُنْتُمْ جُنْدَ ٱلْمَرْأَةِ . وَأَتْبَاعَ ٱلْبَهِيمَةِ[3] . رَغَا فَأَجَبْتُمْ . وَعَقَرَ

النظر عما يخيفك منهم أى لا يهولنك منهم هائل (١) هوى أخيك أى ميله ومحبته (٢) يرعف بهم أى سيجود بهم الزمان كما يجود الأنف بالرعاف يأتى بهم على غير انتظار (٣) يريد الجمل ، ومجمل القصة أن طلحة والزبير بعدما بايعا أمير المؤمنين فارقاه فى المدينة وأتيا مكة مغاضبين، فالتقيا بعائشة زوج النبى صلى الله عليه وسلم فسألتهما الأخبار فقالا انا تحملنا هربا من غوغاء العرب بالمدينة وفارقنا قومنا حيارى لا يعرفون حقاً ولا ينكرون باطلا ولا يمنعون أنفسهم، فقالت ننهض الى هذه الغوغاء أو نأتى الشام . فقال أحد الحاضرين لا حاجة لكم فى الشام قد كفاكم أمرها معاوية فلنأت البصرة فان لاهلها هوى مع طلحة، فعزموا على المسير وجهزهم يعلى بن منبه وكان والياً لعثمان على اليمن وعزله علىّ كرم الله وجهه وأعطى للسيدة عائشة جملاً اسمه عسكر ونادى مناديها فى الناس بطلب ثأر عثمان فاجتمع نحو ثلاثة آلاف فسارت فيهم الى البصرة وبلغ

فَهَرَبْتُمْ . أَخْلَاقُكُمْ دِقَاقٌ[1] وَعَهْدُكُمْ شِقَاقٌ ، وَدِينُكُمْ نِفَاقٌ ، وَمَاؤُكُمْ زُعَاقٌ[2] . وَالْمُقِيمُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ مُرْتَهَنٌ بِذَنْبِهِ، وَالشَّاخِصُ عَنْكُمْ مُتَدَارَكٌ بِرَحْمَةٍ مِنْ رَبِّهِ . كَأَنِّي بِمَسْجِدِكُمْ كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ[3] قَدْ بَعَثَ اللهُ عَلَيْهَا الْعَذَابَ مِنْ فَوْقِهَا وَمِنْ تَحْتِهَا وَغَرِقَ مَنْ فِي ضِمْنِهَا . (وَفِي رِوَايَةٍ) وَايْمُ اللهِ لَتَغْرَقَنَّ بَلْدَتُكُمْ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى مَسْجِدِهَا كَجُؤْجُؤِ سَفِينَةٍ . أَوْ نَعَامَةٍ جَاثِمَةٍ[4] . (وَفِي رِوَايَةٍ) كَجُؤْجُؤِ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ . (وَفِي رِوَايَةٍ) أُخْرَى بِلَادُكُمْ أَنْتَنُ بِلَادِ اللهِ تُرْبَةً . أَقْرَبُهَا مِنَ الْمَاءِ وَأَبْعَدُهَا مِنَ السَّمَاءِ . وَبِهَا تِسْعَةُ أَعْشَارِ الشَّرِّ . الْمُحْتَبَسُ فِيهَا بِذَنْبِهِ وَالْخَارِجُ بِعَفْوِ اللهِ . كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى قَرْيَتِكُمْ هٰذِهِ قَدْ طَبَّقَهَا الْمَاءُ حَتَّى مَا يُرَى مِنْهَا إِلَّا شُرَفُ الْمَسْجِدِ كَأَنَّهُ جُؤْجُؤُ طَيْرٍ فِي لُجَّةِ بَحْرٍ

الخبر عليا فأوسع لهم النصيحة وحذرهم الفتنة فلم ينجح النصح . فتجهز لهم وأدركهم بالبصرة و بعد محاولات كثيرة منه يبغى بها حقن الدماء انتشبت الحرب بين الفريقين واشتد القتال ، وكان الجمل يعسوب البصريين قتل دونه خلق كثير من الفئتين وأخذ خطامه سبعون قرشيا ما نجا منهم أحد وانتهت الموقعة بنصر على كرم الله وجهه بعد عقر الجمل. وفيها قتل طلحة والزبير وقتل سبعة عشر ألفا من أصحاب الجمل وكانوا ثلاثين ألفا . وقتل من أصحاب على الف وسبعون (١) دقة الأخلاق دناءتها (٢) مالح (٣) الجؤجؤ الصدر (٤) من جثم اذا وقع على صدره أو تلبد بالأرض. وقد وقع ما أوعد به أمير المؤمنين فقد غرقت البصرة جاءها الماء من بحر فارس من جهة الموضع المعروف بجزيرة الفرس ومن جهة الجبل المعروف بجبل السنام ولم يبق ظاهراً

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي مِثْلِ ذٰلِكَ

أَرْضُكُمْ قَرِيبَةٌ مِنَ ٱلْمَاءِ . بَعِيدَةٌ مِنَ ٱلسَّمَاءِ . خَفَّتْ عُقُولُكُمْ وسَفِهَتْ حُلُومُكُمْ . فَأَنْتُمْ غَرَضٌ لِنَابِلٍ (١) ، وَأُكْلَةٌ لِآكِلٍ ، وَفَرِيسَةٌ لِصَائِلٍ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِيمَا رَدَّهُ عَلَى ٱلْمُسْلِمِينَ مِنْ قَطَائِعِ عُثْمَانَ رَضِيَ ٱللهُ عَنْهُ (٢)

وَٱللهِ لَوْ وَجَدْتُهُ قَدْ تُزُوِّجَ بِهِ ٱلنِّسَاءُ وَمُلِكَ بِهِ ٱلْإِمَاءُ لَرَدَدْتُهُ فَإِنَّ فِي ٱلْعَدْلِ سَعَةً ، وَمَنْ ضَاقَ عَلَيْهِ ٱلْعَدْلُ فَٱلْجَوْرُ عَلَيْهِ أَضْيَقُ (٣) .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا بُويِعَ بِٱلْمَدِينَةِ

ذِمَّتِي بِمَا أَقُولُ رَهِينَةٌ (٤) . وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ . إِنَّ مَنْ صَرَّحَتْ لَهُ ٱلْعِبَرُ

منها الا مسجدها الجامع ، ومعنى قوله أبعدها من السماء أنها فى أرض منخفضة والمنخفض أبعد عن السماء من المرتفع بمقدار انخفاضه وارتفاع المرتفع (١) الغرض ما ينصب ليرمى بالسهام. والنابل الضارب بالنبل (٢) قطائع عثمان ما منحه للناس من الاراضى (٣) أى أن من عجز عن تدبير أمره بالعدل فهو عن التدبير بالجور أشد عجزاً، فان الجور مظنة أن يقاوم و يصد عنه ، وهذه الخطبة رواها الكلبى مرفوعة الى أبى صالح عن ابن عباس ان عليا خطب ثانى يوم من بيعته فى المدينة فقال: الا ان كل قطيعة أقطعها عثمان وكل مال أعطاه من مال الله فهو مردود فى بيت المال، فان الحق القديم لا يبطله شىء، ولو وجدته قد تزوج الخ (٤) الذمة العهد تقول هذا الحق فى

عَمَّا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْمَثُلَاتِ[1] حَجَزَتْهُ التَّقْوَى عَنْ تَقَحُّمِ الشُّبُهَاتِ . أَلَا وَإِنَّ بَلِيَّتَكُمْ قَدْ عَادَتْ كَهَيْئَتِهَا يَوْمَ بَعَثَ اللهُ نَبِيَّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[2] وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ لَتُبَلْبَلُنَّ بَلْبَلَةً . وَلَتُغَرْبَلُنَّ غَرْبَلَةً . وَلَتُسَاطُنَّ سَوْطَ الْقِدْرِ[3] حَتَّى يَعُودَ أَسْفَلُكُمْ أَعْلَاكُمْ وَأَعْلَاكُمْ أَسْفَلَكُمْ . وَلَيَسْبِقَنَّ سَابِقُونَ كَانُوا قَصَرُوا . وَلَيَقْصُرَنَّ سَبَّاقُونَ كَانُوا سَبَقُوا[4] .

ذمتى كما تقول فى عنقى وذلك كناية عن الضمان والالتزام . والزعيم الكفيل . يريد أنه ضامن لصدق ما يقول كفيلي بأنه الحق الذى لا يدافع (١) العبر بكسر ففتح جمع عبرة بمعنى الموعظة ، والمثلات العقوبات ، أى من كشف له النظر فى أحوال من سبق بين يديه وحقق له الاعتبار والاتعاظ أن العقوبات التى نزلت بالأمم والأجيال والأفراد من ضعف وذل وفاقة وسوء حال انما كانت بما كسبوا من ظلم وعدوان وما لبسوا من جهل وفساد أحوال ملكته التقوى وهى التحفظ من الوقوع فيما جلب تلك العقوبات لأهلها فمنعته عن تقحم الشبهات والتردى فيها ، فان الشبهة مظنة الخطيئة والخطيئة مجلبة العقوبة (٢) ان بلية العرب التى كانت محيطة بهم يوم بعث الله نبيه محمداً ﷺ هى بلية الفرقة ومحنة الشتات حيث كانوا متباغضين متنافرين يدعو كل الى عصبيته وينادى نداء عشيرته يضرب بعضهم رقاب بعض ، فتلك الحالة التى هى مهلكة الأمم قد صاروا اليها بعد مقتل عثمان ، بعثت العداوات التى كان قد قتلها الدين ، ونفخت روح الشحناء بين الأمويين والهاشميين واتباع كل ولا حول ولا قوة الا بالله (٣) لتبلبلن أى لتخلطن . من نحو تبلبلت الألسن اختلطت ، ولتغربلن أى لتقطعن من غربلت اللحم أى قطعته ولتساطن من السوط وهو أن تجعل شيئين فى الاناء وتضربهما بيدك حتى يختلطا . وقوله سوط القدر أى كما تختلط الابزار ونحوها فى القدر عند غليانه فينقلب أعلاها أسفلها وأسفلها أعلاها ، وكل ذلك حكاية عما يؤولون اليه من الاختلاف وتقطع الارحام وفساد النظام (٤) ولقد سبق معاوية الى مقام الخلافة وقد كان فى قصوره عنه بحيث لا يظن وصوله اليه ، وقصر آل بيت النبوة عن بلوغه

وَٱللهِ مَا كَتَمْتُ وَشْمَةً[١] وَلَا كَذَبْتُ كِذْبَةً . وَلَقَدْ نُبِّئْتُ بِهٰذَا ٱلْمَقَامِ وَهٰذَا ٱلْيَوْمِ . أَلَا وَإِنَّ ٱلْخَطَايَا خَيْلٌ شُمُسٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَخُلِعَتْ لُجُمُهَا فَتَقَحَّمَتْ بِهِمْ فِي ٱلنَّارِ[٢] . أَلَا وَإِنَّ ٱلتَّقْوَى مَطَايَا ذُلُلٌ حُمِلَ عَلَيْهَا أَهْلُهَا وَأُعْطُوا أَزِمَّتَهَا فَأَوْرَدَتْهُمُ ٱلْجَنَّةَ . حَقٌّ وَبَاطِلٌ . وَلِكُلٍّ أَهْلٌ[٣] فَلَئِنْ أَمِرَ ٱلْبَاطِلُ لَقَدِيمًا فَعَلَ . وَلَئِنْ قَلَّ ٱلْحَقُّ فَلَرُبَّمَا وَلَعَلَّ . وَلَقَلَّمَا أَدْبَرَ شَيْءٌ فَأَقْبَلَ[٤] . أَقُولُ إِنَّ فِي هٰذَا ٱلْكَلَامِ ٱلْأَدْنَى مِنْ مَوَاقِعِ

---

(١) الوشمة الكلمة وقد كان رضى الله عنه لا يكتم شيئا وقد كانوا أسبق الناس اليه يحوك بنفسه ، كان أماراً بالمعروف نهاء عن المنكر لا يحابى ولا يدارى ولا يكذب ولا يداجى ، وهذا القسم توطئة لقوله ولقد نبئت بهذا المقام أى انه قد أخبر من قبل على لسان النبي ﷺ بأن سيقوم هذا المقام ويأتى عليه يوم مثل هذا اليوم (٢) الشمس بضمتين وضم فسكون جمع شموس وهى من شمس كنصر أى منع ظهره أن يركب، وفاعل الخطيئة انما يقترفها لغاية زينت له يطلب الوصول اليها فهو شبيه براكب فرس يجريه الى غايته ، لكن الخطايا ليست الى الغايات بمطايا فانها اعتساف عن السبيل واختباط فى السير، لهذا شبهها بالخيل الشمس التى قد خلعت لجمها لأن من لم يلجم نفسه بلجام الشريعة أفلتت منه الى حيث ترديه وتتقحم به فى النار . وتشبيه التقوى بالمطايا الذلل ظاهر فان التقوى تحفظ النفس من كل ما ينكبها عن صراط الشريعة فصاحبها على الجادّة لا يزال عليها حتى يوافى الغاية والذلل جمع ذلول وهى المروضة الطائعة السلسة القياد (٣) أى ان ما يمكن أن يكون عليه الانسان ينحصر فى أمرين الحق والباطل ولا يخلو العالم منهما، ولكل من الأمرين أهل ، فللحق أقوام وللباطل أقوام. ولئن أمر الباطل أى كثر بكثرة أعوانه فلقد كان منه قديما لأن البصائر الزائغة عن الحقيقة أكثر من الثابتة عليها. ولئن كان الحق قليلا بقلة أنصاره فلربما غلبت قلته كثرة الباطل ولعله يقهر الباطل ويمحقه (٤) هذه الكلمة صادرة

ٱلْإِحْسَانِ مَالَا تَبْلُغُهُ مَوَاقِعُ ٱلِاسْتِحْسَانِ. وَإِنَّ حَظَّ ٱلْعَجَبِ مِنْهُ أَكْثَرُ مِنْ حَظِّ ٱلْعَجَبِ بِهِ وَفِيهِ مَعَ ٱلْحَالِ ٱلَّتِي وَصَفْنَا زَوَائِدُ مِنَ ٱلْفَصَاحَةِ لَا يَقُومُ بِهَا لِسَانٌ . وَلَا يَطَّلِعُ فَجَّهَا إِنْسَانٌ[1] . وَلَا يَعْرِفُ مَا أَقُولُ إِلَّا مَنْ ضَرَبَ فِي هٰذِهِ ٱلصِّنَاعَةِ بِحَقٍّ . وَجَرَى فِيهَا عَلَى عِرْقٍ[2] . (وَمَا يَعْقِلُهَا إِلَّا ٱلْعَالِمُونَ) .

وَمِنْ هٰذِهِ ٱلْخُطْبَةِ

شُغِلَ مَنِ ٱلْجَنَّةُ وَٱلنَّارُ أَمَامَهُ[3] سَاعٍ سَرِيعٌ نَجَا[4] وَطَالِبٌ بَطِيءٌ

من ضجر بنفسه يستبعد بها أن تعود دولة لقوم بعد ما زالت عنهم ومن هذا المعنى قول الشاعر .

وقالوا يعود الماء فى النهر بعدما ذوى نبت جنبيه وجف المشارع
فقلت الى أن يرجع النهر جاريا ويوشب جنباه يموت الضفادع

(١) لا يطلع من قولهم اطلع الأرض أى بلغها ، والفج الطريق الواسع بين جبلين فى قبل من أحدهما (٢) العرق الأصل أى سلك فى العمل بصناعة الفصاحة والصدور عن ملكتها على أصولها وقواعدها (٣) شغل مبنى للمجهول نائب فاعله من والجنة والنار مبتدا خبره أمامه . والجملة صلة من أى كفى شاغلا أن تكون الجنة والنار أمامك. ومن كانت أمامه الجنة والنار على ماوصف الله سبحانه حرى به أن تنفد أوقاته جيعها فى الاعداد للجنة والابتعاد عما عساه يؤدى الى النار (٤) يقسم الناس الى ثلاثة أقسام الأول الساعى الى ما عند الله السريع فى سعيه وهو الواقف عند حدود الشريعة لا يشغله فرضها عن نفلها ولا شاقها عن سهلها والثانى الطالب البطىء له قلب تعمره الخشية وله صلة الى الطاعة لكن ربما قعد به عن السابقين ميل الى الراحة فيكتفى من العمل بفرضه وربما انتظر به غير وقته وينال من الرخص حظه وربما

رَجَا وَمُقَصِّرٌ فِي النَّارِ هَوَى. الْيَمِينُ وَالشِّمَالُ مَضَلَّةٌ. وَالطَّرِيقُ الْوُسْطَى هِيَ الْجَادَّةُ[١]. عَلَيْهَا بَاقِي الْكِتَابِ وَآثَارُ النُّبُوَّةِ. وَمِنْهَا مَنْفَذُ السُّنَّةِ وَإِلَيْهَا مَصِيرُ الْعَاقِبَةِ. هَلَكَ مَنِ ادَّعَى وَخَابَ مَنِ افْتَرَى. مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ[٢] وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا أَنْ لَا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. لَا يَهْلِكُ عَلَى التَّقْوَى سِنْخُ أَصْلٍ[٣]. وَلَا يَظْمَأُ عَلَيْهَا زَرْعُ قَوْمٍ: فَاسْتَتِرُوا بِبُيُوتِكُمْ. وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ. وَالتَّوْبَةُ مِنْ وَرَائِكُمْ وَلَا يَحْمَدْ حَامِدٌ إِلَّا رَبَّهُ وَلَا يَلُمْ لَائِمٌ إِلَّا نَفْسَهُ

كانت له هفوات ولشهوته نزوات على أنه رجاع إلى ربه كثير الندم على ذنبه فذلك الذى خلط عملا صالحا وآخر سيئا فهو يرجو أن يغفر له والقسم الثالث المقصر وهو الذى حفظ الرسم ولبس الاسم وقال بلسانه انه مؤمن وربما شارك الناس فيما يأتون من أعمال ظاهرة كصوم وصلاة وما شابههما وظن أن ذلك كل مايطلب منه ثم لاتورده شهوته منهلا الا عب منه ولا يميل به هواه الى أمر الا انتهى اليه فذلك عبد الهوى وجدير به أن يكون فى النار هوى (١) اليمين والشمال مثال للزائغ عن جادة الشريعة. والطريق الوسطى مثال للشريعة القويمة. ثم أخذ يبين أن الجادة والطريق الوسطى وهى سبيل النجاة جاء الكتاب هاديا اليها والسنة لا تنفذ الا منها فمن خالف الكتاب ونبذ السنة ثم ادعى أنه على الجادة فقد كذب ولهذا يقول خاب من ادعى أى من ادعى دعوة وكذب فيها ولم يكن عنده مما يدعيه الا مجرد الدعوى فقد هلك لأنه مائل عن الجادة (٢) الرواية الصحيحة هكذا من أبدى صفحته للحق هلك أى من كاشف الحق مخاصما له مصارحا له بالعداوة هلك ويروى من أبدى صفحته للحق هلك عند جهلة الناس وعلى هذه الرواية يكون المعنى من ظاهر الحق ونصره غلبته الجهلة بكثرتهم وهم أعوان الباطل فهلك (٣) السنخ المثبت يقال ثبتت السن فى سنخها أى منبتها، والأصل لكل شىء قاعدته وما قام عليه بقيته فأصل الجبل مثل أسفله الذى يقوم عليه

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ مَنْ يَتَصَدَّى لِلْحُكْمِ بَيْنَ الْأُمَّةِ وَلَيْسَ لِذَلِكَ بِأَهْلٍ

إِنَّ أَبْغَضَ الْخَلَائِقِ إِلَى اللهِ رَجُلَانِ : رَجُلٌ وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ(١) فَهُوَ جَائِرٌ عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ مَشْغُوفٌ بِكَلَامِ بِدْعَةٍ . وَدُعَاءِ ضَلَالَةٍ . فَهُوَ فِتْنَةٌ لِمَنِ افْتَتَنَ بِهِ . ضَالٌّ عَنْ هَدْيِ مَنْ كَانَ قَبْلَهُ . مُضِلٌّ لِمَنِ اقْتَدَى بِهِ فِي حَيَاتِهِ وَبَعْدَ وَفَاتِهِ . حَمَّالٌ خَطَايَا غَيْرِهِ . رَهْنٌ بِخَطِيئَتِهِ(٢) وَرَجُلٌ قَمَشَ جَهْلاً(٣) .

أعلاه ، وأصل النبات جذره الذاهب فى منبته ، وهلاك السنخ فساده حتى لا يثبت فيه أصول ما اتصل به ولا ينمو غرس غرس فيه ، وكل عمل ذهبت أصوله فى أسناخ التقوى كان جديراً بأن تثبت أصوله وتنمو فروعه ويزكو بزكاء منبته ومغرس أصله وهو التقوى وكما أن التقوى سنخ لأصول الأعمال كذلك منها تستمد الأعمال غذاءها وتستقى ماءها من الاخلاص وجدير بزرع يسقى بماء التقوى أن لا يظمأ وعليها فى الموضعين فى معنى معها ، وقد يقال فى قوله سنخ أصل أنه هو على نحو قول القائل اذا خاص عينيه كرى النوم ، والكرى هو النوم ، والسنخ هو الأصل ، والأليق بكلام الامام ما قدمناه (١) وكله الله الى نفسه تركه ونفسه وهو كناية عن ذهابه خلف هواه فيما يعتقد لا يرجع الى حقيقة من الدين ولا يهتدى بدليل من الكتاب ، فهذا جائر عن قصد السبيل وعادل عن جادته، والمشغوف بشىء المولع به وكلام البدعة ما اخترعته الاهواء ولم يعتمد على ركن من الحق ركين (٢) هذا الضال المولع بتنميق الكلام لتزيين البدعة الداعى الى الضلالة قد غرر بنفسه وأوردها هلكتها فهو رهن بخطيئته لا مخرج له منها وهو مع ذلك حامل لخطايا الذين أضلهم وأفسد عقائدهم بدعائه كما قال تعالى وليحملن أثقالهم وأثقالا مع أثقالهم (٣) قمش جهلا جمعه والجهل

مُوضِعٌ فِي جُهَّالِ الْأُمَّةِ(١) عَادٍ فِي أَغْبَاشِ الْفِتْنَةِ . عَمٍ بِمَا فِي عِقْدِ الْهُدْنَةِ(٢) قَدْ سَمَّاهُ أَشْبَاهُ النَّاسِ عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ . بَكَّرَ فَاسْتَكْثَرَ مِنْ جَمْعٍ مَا قَلَّ مِنْهُ خَيْرٌ مِمَّا كَثُرَ(٣) حَتَّى إِذَا ارْتَوَى مِنْ آجِنٍ . وَاكْتَنَزَ مِنْ غَيْرِ طَائِلٍ(٤) . جَلَسَ بَيْنَ النَّاسِ قَاضِياً . ضَامِناً لِتَخْلِيصِ مَا الْتَبَسَ عَلَى

هنا بمعنى المجهول وكما يسمى المعلوم علما بل قال قوم ان العلم هو صورة الشيء فى العقل وهو المعلوم حقيقة كذلك يسمى المجهول جهلا بل الصورة التى اعتبرت مثالا لشيء وليست بمنطبقة عليه هى الجهل حقيقة بالمعنى المقابل للعلم بذلك التفسير السابق فالجهل المجموع هو المسائل والقضايا التى يظنها جامعها تحكى واقعا ولا واقع لها (١) موضع فى جهال الأمة مسرع فيهم بالغش والتغرير وضع البعير أسرع وأوضعه راكبه فهو موضع به أى مسرع به ، وقوله عاد فى أغباش الفتنة الاغباش الظلمات واحدها غبش بالتحريك واغباش الليل بقايا ظلمته. وعاد بمعنى مسرع فى مشيته أى أنه ينتهز افتتان الناس بجهلهم وعماهم فى فتنتهم فيعدو الى غايته من التصدر فيهم والسيادة عليهم بما جمع مما يظنه الجهلة علما وليس به . ويروى غار فى أغباش الفتنة من غره يغره اذا غشه وهو ظاهر (٢) عم وصف من العمى أى جاهل بما أودعه الله فى السكون والاطمئنان من المصالح ، وقد يراد بالهدنة امهال الله له فى العقوبة واملاؤه فى أخذه ولو عقل ما هيأ الله له من العقاب لأخذ من العلم بحقائقه وأوغل فى النظر لفهم دقائقه ونصح لله ولرسوله والمؤمنين (٣) بكر بادر الى الجمع كالجاد فى عمله يبكر اليه من أول النهار فاستكثر أى احتاز كثيراً من جمع بالتنوين أى مجموع قليله خير من كثيره ان جعلت ما موصولة فان جعلتها مصدرية كان المعنى قلته خير من كثرته ، ويروى جمع بغير تنوين ولا بد من حذف على تلك الرواية أى من جمع شيء قلته خير من كثرته (٤) الماء الآجن الفاسد المتغير الطعم واللون شبه به تلك المجهولات التى ظنها معلومات وهى تشبه العلم فى أنها صور قائمة بالذهن فكأنها من نوعه كما أن الآجن من نوع الماء لكن الماء الصافى ينقع الغلة ويطفىء من الأوار والآجن يجلب العلة ويفضى

غَيْرِهِ[١] . فَإِنْ نَزَلَتْ بِهِ إِحْدَى الْمُبْهَمَاتِ هَيَّأَ لَهَا حَشْوًا رَثًّا مِنْ رَأْيِهِ ثُمَّ قَطَعَ بِهِ[٢] . فَهُوَ مِنْ لَبْسِ الشُّبُهَاتِ فِي مِثْلِ نَسْجِ الْعَنْكَبُوتِ[٣] . لَا يَدْرِي أَصَابَ أَمْ أَخْطَأَ فَإِنْ أَصَابَ خَافَ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَخْطَأَ . وَإِنْ أَخْطَأَ رَجَا أَنْ يَكُونَ قَدْ أَصَابَ . جَاهِلٌ خَبَّاطُ جَهَالَاتٍ . عَاشٍ رَكَّابُ عَشَوَاتٍ[٤] لَمْ يَعَضَّ عَلَى الْعِلْمِ بِضِرْسٍ قَاطِعٍ[٥] يُذْرِي الرِّوَايَاتِ إِذْرَاءَ الرِّيحِ الْهَشِيمَ[٦] . لَا مَلِيءٌ وَاللهِ بِإِصْدَارِ مَا وَرَدَ عَلَيْهِ . وَلَا هُوَ أَهْلٌ لِمَا

بشاربه الى البوار . واكتنز أى عدماجمعه كنزاً وهو غير طائل أى دون خسيس (١) التخليص التبيين ، والتبس على غيره اشتبه عليه (٢) المبهمات المشكلات لأنها أبهمت عن البيان كالصامت الذى لم يجعل على ما فى نفسه دليلا ومنه قيل لما لا ينطق من الحيوان بهيمة ، والحشو الزائد لا فائدة فيه ، والرث الخلق البالى ضد الجديد أى أنه يلاقى المبهمات برأى ضعيف لا يصيب من حقيقتها شيئابل هو حشو لا فائدة له فى تبينها ثم يزعم بذلك أنه بينها (٣) الجاهل بشىء ليس على بينة منه فاذا أثبتهعرضت له الشبهة فى نفيه واذا نفاه عرضت له الشبهة فى اثباته فهو فى ضعف حكمه فى مثل نسج العنكبوت ضعفا ولا بصيرة له فى وجوه الخطأ والاصابة فاذا حكم لم يقطع بأنه مصيب أومخطىء وقد جاء الامام فى تمثيل حاله بأبلغ ما يمكن من التعبيرعنه (٤) خباط صيغة مبالغة من خبط الليل اذا سار فيه على غير هدى ، ومنه خبط عشواء . وشبه الجهالات بالظلمات التى يخبط فيها السائر وأشار الى التشبيه بالخبط . والعاشى الأعمى أو ضعيف البصر أو الخابط فى الظلام فيكون كالتأكيد لماقبله ، والعشوات جمع عشوة مثلثة الأول وهى ركوب الأمر على غير هـدى (٥) من عادة عاجم العود أى مختبره ليعلم صلابته من لينه أن يعضه فاهذا ضرب المثل فى الخبرة بالعض بضرس قاطع أى أنه لم يأخذ العلم اختباراً بل تناوله كما سول الوهم وصور الخيال ولم يعرض على محض الخبرة ليتبين أحق هو أم باطل (٦) الهشيم ما يبس من النبت وتفتت . وأذرته الريح

فُوِّضَ إِلَيْهِ[1] . لَا يَحْسَبُ الْعِلْمَ فِي شَيْءٍ مِمَّا أَنْكَرَهُ * وَلَا يَرَى أَنَّ مِنْ وَرَاءِ مَا بَلَغَ مَذْهَباً لِغَيْرِهِ . وَإِنْ أَظْلَمَ أَمْرٌ اكْتَتَمَ بِهِ[2] لِمَا يَعْلَمُ مِنْ جَهْلِ نَفْسِهِ. تَصْرُخُ مِنْ جَوْرِ قَضَائِهِ الدِّمَاءُ. وَتَعِجُّ مِنْهُ الْمَوَارِيثُ[3] إِلَى اللهِ أَشْكُو مِنْ مَعْشَرٍ يَعِيشُونَ جُهَّالًا[4] وَيَمُوتُونَ ضُلَّالًا لَيْسَ فِيهِمْ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ[5] . وَلَا سِلْعَةٌ أَنْفَقُ بَيْعاً وَلَا أَغْلَى ثَمَناً مِنَ الْكِتَابِ إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلَا عِنْدَهُمْ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ اخْتِلَافِ الْعُلَمَاءِ فِي الْفُتْيَا

تَرِدُ عَلَى أَحَدِهِمُ الْقَضِيَّةُ فِي حُكْمٍ مِنَ الْأَحْكَامِ فَيَحْكُمُ فِيهَا

اذراء أطارته ففرقته ويروى تذرو الروايات كما تذرو الريح الهشيم وهى أفصح قال الله تعالى (فأصبح هشيما تذروه الرياح) وكما أن الريح فى حمل الهشيم وتبديده لا تبالى بتمزيقه واختلال نسقه كذلك هذا الجاهل يفعل فى الروايات ما تفعل الريح بالهشيم

(١) الملىء بالقضاء من يحسنه ويجيد القيام عليه وهذا لا ملىء باصدار القضايا التى ترد عليه وارجاعها عنه مفصولا فيها النزاع مقطوعا فيها الحكم أى غير قيم بذلك ولا غناء فيه لهذا الأمر الذى تصدر له وروى ابن قتيبة بعد قوله لا ملئ والله باصدار ما ورد عليه (ولا أهل لما قرظ به) أى مدح به بدل ولا هو أهل لما فوض اليه

(٢) اكتتم به أى كتمه وستره (٣) العج رفع الصوت وصراخ الدماء وعج المواريث تمثيل لحدة الظلم وشدة الجور (٤) الى الله متعلق بأشكو . وفى رواية اسقاط لفظ أشكو فيكون إلى الله متعلقا بتعج ، وقوله من معشر يشير الى أولئك الذين قمشوا جهلا (٥) تلى حق تلاوته أخذ على وجهه وما يدل عليه جملته وفهم كما كان النبى

بِرَأْيِهِ ثُمَّ تَرِدُ تِلْكَ الْقَضِيَّةُ بِعَيْنِهَا عَلَى غَيْرِهِ فَيَحْكُمُ فِيهَا بِخِلَافِهِ ثُمَّ يَجْتَمِعُ الْقُضَاةُ بِذَلِكَ عِنْدَ الْإِمَامِ الَّذِي اسْتَقْضَاهُمْ(١) فَيُصَوِّبُ آرَاءَهُمْ جَمِيعًا وَإِلٰهُهُمْ وَاحِدٌ وَنَبِيُّهُمْ وَاحِدٌ وَكِتَابُهُمْ وَاحِدٌ. أَفَأَمَرَهُمُ اللهُ تَعَالَى بِالِاخْتِلَافِ فَأَطَاعُوهُ. أَمْ نَهَاهُمْ عَنْهُ فَعَصَوْهُ. أَمْ أَنْزَلَ اللهُ دِينًا نَاقِصًا فَاسْتَعَانَ بِهِمْ عَلَى إِتْمَامِهِ. أَمْ كَانُوا شُرَكَاءَ لَهُ. فَلَهُمْ أَنْ يَقُولُوا وَعَلَيْهِ أَنْ يَرْضَى أَمْ أَنْزَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ دِينًا تَامًّا فَقَصَّرَ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ تَبْلِيغِهِ وَأَدَائِهِ وَاللهُ سُبْحَانَهُ يَقُولُ (مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ) فِيهِ تِبْيَانُ كُلِّ شَيْءٍ وَذَكَرَ أَنَّ الْكِتَابَ يُصَدِّقُ بَعْضُهُ بَعْضًا وَأَنَّهُ لَا اخْتِلَافَ فِيهِ فَقَالَ سُبْحَانَهُ (وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا). وَإِنَّ الْقُرْآنَ ظَاهِرُهُ أَنِيقٌ(٢). وَبَاطِنُهُ عَمِيقٌ. لَا تَفْنَى عَجَائِبُهُ وَلَا تَنْقَضِي غَرَائِبُهُ وَلَا تُكْشَفُ الظُّلُمَاتُ إِلَّا بِهِ

وأصحابه ﷺ يفهمونه ، وأبور من بارت السلعة كسدت ، وأنفق من النفاق بالفتح وهو الرواج وما أشبه حال هذا المعشر بالمعاشر من أهل هذا الزمان (١) الامام الذى استقضاهم الخليفة الذى ولاهم القضاء (٢) أنيق حسن معجب ، وآنقنى الشىء أعجبنى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ وَهُوَ عَلَى مِنْبَرِ الْكُوفَةِ يَخْطُبُ فَمَضَى فِي بَعْضِ كَلَامِهِ شَيْءٌ اعْتَرَضَهُ الْأَشْعَثُ فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هٰذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ (١) فَخَفَضَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ بَصَرَهُ فَقَالَ

مَا يُدْرِيكَ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللهِ وَلَعْنَةُ اللَّاعِنِينَ . حَائِكٌ ابْنُ حَائِكٍ (٢) مُنَافِقٌ ابْنُ كَافِرٍ (٣) وَاللهِ لَقَدْ أَسَرَكَ الْكُفْرُ مَرَّةً وَالْإِسْلَامُ أُخْرَى (٤) . فَمَا فَدَاكَ مِنْ وَاحِدَةٍ مِنْهُمَا مَالُكَ وَلَا حَسَبُكَ وَإِنَّ امْرَأً دَلَّ

---

(١) كان أمير المؤمنين يتكلم فى أمر الحكمين فقام رجل من أصحابه وقال نهيتنا عن الحكومة ثم أمرتنا بها فلم ندر أى الأمرين أرشد فصفق باحدى يديه على الأخرى وقال هذا جزاء من ترك العقدة فقال الأشعث ما قال وأمير المؤمنين يريد هذا جزاؤكم فيما تركتم الحزم وشغبتم وألجأتمونى لقبول الحكومة (٢) قيل ان الحائكين أنقص الناس عقلا وأهل اليمن يعيرون بالحياكة ، والأشعث يمنى من كندة قال خالد بن صفوان فى ذم اليمانيين . ليس فيهم الا حائك برد أو دابغ جلد أو سائس قرد ملكتهم امرأة وأغرقتهم فأرة ودل عليهم هدهد (٣) كان الأشعث فى أصحاب علي كعبد الله بن أبي ابن سلول فى أصحاب رسول الله ﷺ كل منهما رأس النفاق فى زمنه (٤) أسر مرتين مرة وهو كافر فى بعض حروب الجاهلية وذلك أن قبيلة مراد قتلت قيسا الاشج أبا الأشعث فخرج الأشعث طالبا بثأر أبيه فخرجت كندة متساندين إلى ثلاثة ألوية على أحدها كبش بن هانىء وعلى أحدها القشعم ابن الأرقم وعلى أحدها الأشعث فأخطأوا مراداً ووقعوا على بنى الحارث بن كعب فقتل كبش والقشعم وأسر الأشعث وفدى بثلاثة آلاف بعير لم يفد بها عربى قبله

عَلَى قَوْمِهِ ٱلسَّيْفَ . وَسَاقَ إِلَيْهِمُ ٱلْحَتْفَ . لَحَرِيٌّ أَنْ يَمْقُتَهُ ٱلْأَقْرَبُ . وَلَا يَأْمَنَهُ ٱلْأَبْعَدُ (١) . *

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فَإِنَّكُمْ لَوْ عَايَنْتُمْ مَا قَدْ عَايَنَ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ لَجَزِعْتُمْ وَوَهِلْتُمْ (٢) وَسَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ . وَلٰكِنْ مَحْجُوبٌ عَنْكُمْ مَا قَدْ عَايَنُوا، وَقَرِيبٌ مَا يُطْرَحُ ٱلْحِجَابُ (٣) وَلَقَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ وَأُسْمِعْتُمْ إِنْ

ولا بعده ، فعنى قول أمير المؤمنين فما فداك لم يمنعك من الأسر وأما أسر الاسلام له فذلك أن بني وليعة لما ارتدوا بعد موت النبي ﷺ وقاتلهم زياد بن لبيد البياضي الانصارى لجأوا الى الأشعث مستنصرين به فقال لا أنصركم حتى تملكونى فتوجوه كما يتوج الملك من قحطان فخرج معهم مرتداً يقاتل المسلمين وأمد أبو بكر زياداً بالمهاجرين أبى أمية فالتقوا بالأشعث فتحصن منهم فحاصروه أياما ثم نزل اليهم على أن يؤمنوه وعشرة من أقار به حتى يأتى أبا بكرفيرى فيه رأيه وفتح لهم الحصن فقتلوا كل من فيه من قوم الأشعث الا العشرة الذين عزلهم وكان المقتولون ثمانمائة ثم حملوه أسيراً مغلولا إلى أبى بكر فعفا عنه وعمن كان معه وزوجه أخته أم فروة بنت أبى قحافة (١) دلالة السيف على قومه وسوق الحتف اليهم تسليمهم لزياد بن لبيد وفتح الحصن عليهم حتى قتلهم كما تقدم وان كان الذى ينقل عن الشريف الرضى أن ذلك اشارة الى وقعة جرت بين الأشعث وخالد بن الوليد فى حرب المرتدين باليمامة وأن الأشعث دل خالداً على مكامن قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد فان مانقله الشريف لا يتم الا إذا قلنا ان بعض القبائل من كندة كانت انتقلت من اليمن إلى اليمامة وشاركت أهل الردة فى حروبهم وفعل بهم الأشعث ما فعل وعلى كل حال فقد كان الأشعث ملوما على ألسنة المسلمين والكافرين وكان نساء قومه يسمينه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم (٢) الوهل الخوف وهل يوهل (٣) ما مصدرية أى قريب

* وفى نسخة زيادة(يريد عليه السلام أنه أسر فى الكفر مرة وفى الاسلام مرة. وأما قوله عليه السلام دل على قومه السيف فأراد به حديثاً كان للأشعث مع خالد بن الوليد باليمامة غر فيه قومه ومكر بهم حتى أوقع بهم خالد وكان قومه بعد ذلك يسمونه عرف النار وهو اسم للغادر عندهم .

سَمِعْتُمْ وَهُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ . بِحَقٍّ أَقُولُ لَكُمْ لَقَدْ جَاهَرَتْكُمُ الْعِبَرُ[(١)] وَزُجِرْتُمْ بِمَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ . وَمَا يُبَلِّغُ عَنِ اللهِ بَعْدَ رُسُلِ السَّمَاءِ إِلَّا الْبَشَرُ[(٢)]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ الْغَايَةَ أَمَامَكُمْ[(٣)] وَإِنَّ وَرَاءَكُمُ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ . تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا[(٤)] . فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ[(٥)] (أَقُولُ إِنَّ هٰذَا الْكَلَامَ لَوْ وُزِنَ بَعْدَ كَلَامِ اللهِ سُبْحَانَهُ وَبَعْدَ كَلَامِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ

طرح الحجاب وذلك عند نهاية الأجل ونزول المرء فى أول منازل الآخرة (١) جاهرتكم العبر انتصبت لتنبهكم جهراً وصرحت لكم بعواقب أموركم ، والعبر جمع عبرة والعبرة الموعظة لكنه أطلق اللفظ وأراد ما به الاعتبار مجازاً فان العبر التى جاهرتهم اما قوارع الوعيد المنبعثة عليهم من ألسنة الرسل الالهيين وخلفائهم واما ما يشهدونه من تصاريف القدرة الربانية ومظاهرة العزة الالهية (٢) رسل السماء الملائكة أى ان قلتم لم يأتنا عن الله شيء فقد أقيمت عليكم الحجة بتبليغ رسول الله وارشاد خليفته (٣) الغاية الثواب أو العقاب والنعيم والشقاء فعليكم أن تعدوا للغاية ما يصل بكم اليها ولا تستبطئوها فان الساعة التى يصيبونها فيها وهى يوم القيامة آزفة اليكم فكأنها فى تقربها نحوكم وتقليل المسافة بينها و بينكم بمنزلة سائق يسوقكم الى ما تسيرون اليه (٤) سبق سابقون بأعمالهم الى الحسنى فمن أراد اللحاق بهم فعليه أن يتخفف من أثقال الشهوات وأوزار العناء فى تحصيل اللذات ويحفز بنفسه عن هذه الفانيات فيلحق بالذين فازوا بعقبى الدار . وأصله الرجل يسعى وهو غير مثقل بما يحمله يكون أجدر أن يلحق الذين سبقوه (٥) أى أن الساعة لا ريب فيها وانما ينتظر بالأول مدة لا يبعث

وَآلِهِ بِكُلِّ كَلَامٍ لَمَالَ بِهِ رَاجِحًا وَبَرَّزَ عَلَيْهِ سَابِقًا . فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا فَمَا سُمِعَ كَلَامٌ أَقَلُّ مِنْهُ مَسْمُوعًا وَلَا أَكْثَرُ مَحْصُولًا وَمَا أَبْعَدَ غَوْرَهَا مِنْ كَلِمَةٍ . وَأَنْقَعَ نُطْفَتَهَا مِنْ حِكْمَةٍ(١) . وَقَدْ نَبَّهْنَا فِي كِتَابِ الْخَصَائِصِ عَلَى عِظَمِ قَدْرِهَا وَشَرَفِ جَوْهَرِهَا .)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ذَمَّرَ حِزْبَهُ(٢) وَاسْتَجْلَبَ جَلَبَهُ . لِيَعُودَ الْجَوْرُ إِلَى أَوْطَانِهِ . وَيَرْجِعَ الْبَاطِلُ إِلَى نِصَابِهِ(٣) . وَاللهِ مَا أَنْكَرُوا عَلَيَّ مُنْكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصِفًا(٤) وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ . وَدَمًا هُمْ سَفَكُوهُ . فَلَئِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ لَنَصِيبَهُمْ مِنْهُ وَلَئِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا التَّبِعَةُ إِلَّا عِنْدَهُمْ . وَإِنَّ أَعْظَمَ حُجَّتِهِمْ لَعَلَى أَنْفُسِهِمْ يَرْتَضِعُونَ أُمًّا قَدْ فَطَمَتْ(٥) . وَيُحْيُونَ

فيها حتى يرد الآخرون و ينقضى دور الانسان من هذه الدنيا ولا يبقى على وجه الأرض أحد فتكون الساعة بعد هذا وذلك يوم يبعثون (١) من قولهم ماء ناقع ونقيع أى ناجع أى اطفاء العطش ، والنطفة الماء الصافى (٢) حثهم وحضهم والجلب بالتحريك ما يجلب (٣) النصاب الأصل أو المنبت (٤) النصف بالكسر العدل أو المنصف أى لم يحكموا العدل بينى و بينهم أو لم يحكموا عادلا (٥) اذا فطمت الأم ولدها فقد انقضى ارضاعها وذهب لبنها يمثل به طلب الأمر بعد فواته

بِدْعَةً قَدْ أُمِيتَتْ . يَاخَيْبَةَ ٱلدَّاعِي . مَنْ دَعَا وَإِلَامَ أُجِيبَ[1] وَإِنِّي لَرَاضٍ بِحُجَّةِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ . وَعِلْمِهِ فِيهِمْ . فَإِنْ أَبَوْا أَعْطَيْتُهُمْ حَدَّ ٱلسَّيْفِ . وَكَفَى بِهِ شَافِيًا مِنَ ٱلْبَاطِلِ وَنَاصِرًا لِلْحَقِّ . وَمِنَ ٱلْعَجَبِ بَعْثُهُمْ إِلَيَّ أَنِ ٱبْرُزْ لِلطِّعَانِ . وَأَنِ ٱصْبِرْ لِلْجِلَادِ هَبِلَتْهُمُ ٱلْهَبُولُ[2] لَقَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ . وَإِنِّي لَعَلَى يَقِينٍ مِنْ رَبِّي . وَغَيْرِ شُبْهَةٍ مِنْ دِينِي .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْأَمْرَ يَنْزِلُ مِنَ ٱلسَّمَاءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ كَقَطَرَاتِ ٱلْمَطَرِ إِلَى كُلِّ نَفْسٍ بِمَا قُسِمَ لَهَا مِنْ زِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ فَإِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ لِأَخِيهِ غَفِيرَةً فِي أَهْلٍ أَوْ مَالٍ أَوْ نَفْسٍ[3] فَلَا تَكُونَنَّ لَهُ فِتْنَةً . فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ ٱلْمُسْلِمَ ٱلْبَرِيءَ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ مَا لَمْ يَغْشَ دَنَاءَةً تَظْهَرُ فَيَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذُكِرَتْ وَتُغْرَى بِهَا لِئَامُ ٱلنَّاسِ كَانَ كَالْفَالِجِ ٱلْيَاسِرِ[4] ٱلَّذِي يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ

---

(١) من استفهامية وما المحذوفة الألف لدخول الى عليها كذلك. وهذا استفهام عن الداعي ودعوته تحقيراً لهما. والكلام في أصحاب الجمل والداعي هو أحد الثلاثة الذين تقدم ذكرهم في قصة الجمل عند الكلام في ذم البصرة (٢) هبلتهم ثكلتهم والهبول بالفتح من النساء التي لا يبقى لها ولد وهو دعاء عليهم بالموت لعدم معرفتهم بأقدار أنفسهم فالموت خير لهم من حياة جاهلية (٣) غفيرة زيادة وكثرة (٤) الفالج الظافر فلج يفلج كنصر ينصر ظفر وفاز ومنه المثل من يأتي الحكم وحده يفلج. والياسر الذي يلعب بقداح

تُوجِبُ لَهُ ٱلْمَغْنَمَ . وَيُرْفَعُ بِهَا عَنْهُ ٱلْمَغْرَمُ وَكَذَلِكَ ٱلْمَرْءُ ٱلْمُسْلِمُ ٱلْبَرِئُ مِنَ ٱلْخِيَانَةِ يَنْتَظِرُ مِنَ ٱللهِ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ . إِمَّا دَاعِيَ ٱللهِ فَمَا عِنْدَ ٱللهِ خَيْرٌ لَهُ . وَإِمَّا رِزْقَ ٱللهِ فَإِذَا هُوَ ذُو أَهْلٍ وَمَالٍ وَمَعَهُ دِينُهُ وَحَسَبُهُ . إِنَّ ٱلْمَالَ وَٱلْبَنِينَ حَرْثُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْعَمَلَ ٱلصَّالِحَ حَرْثُ ٱلْآخِرَةِ وَقَدْ يَجْمَعُهُمَا ٱللهُ لِأَقْوَامٍ فَاحْذَرُوا مِنَ ٱللهِ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ . وَٱخْشَوْهُ خَشْيَةً لَيْسَتْ بِتَعْذِيرٍ [١] . وَٱعْمَلُوا فِي غَيْرِ رِيَاءٍ وَلَا سُمْعَةٍ فَإِنَّهُ مَنْ يَعْمَلْ لِغَيْرِ ٱللهِ يَكِلْهُ ٱللهُ إِلَى مَنْ عَمِلَ لَهُ [٢] . نَسْأَلُ ٱللهَ مَنَازِلَ ٱلشُّهَدَاءِ . وَمُعَايَشَةَ ٱلسُّعَدَاءِ وَمُرَافَقَةَ ٱلْأَنْبِيَاءِ .

الميسر أى المقامر . وفى الكلام تقديم وتأخير ونسقه كالياسر الفالج كقوله تعالى (وغرابيب سود) وحسنه أن اللفظتين صفتان وان كانت احداهما انما تأتى بعد الأخرى اذا صاحبها يريد أن المسلم اذا لم يأت فعلا دنيئا يخجل لظهوره وذكره ويبعث لئام الناس على التكلم به فقد فاز بشرف الدنيا وسعادة الآخرة فهو شبيه بالمقامر الفائز فى لعبه لا ينتظر الا فوزاً أى أن المسلم اذا برىء من الدناآت لا ينتظر الا احدى الحسنيين اما نعيم الآخرة أو نعيم الدارين لجدير به أن لا ياسف على فوت حظ من الدنيا فانه ان فاته ذلك لم يفته نصيبه من الآخرة وهو يعلم أن الأرزاق بتقدير رزاقها فهو أرفع من أن يحسد أحداً على رزق ساقه الله عليه وقوله فاحذروا ماحذركم الله من نفسه يريد احذروا الحسد فان مبعثه انتقاص صنع الله تعالى واستهجان بعض أفعاله وقد حذرنا الله من الجرأة على عظمته فقال واياى فارهبون واياى فاتقون ومايفوق الكثرة من الآيات الدالة على ذلك (١) مصدر عذر تعذيراً لم يثبت له عذر أى خشية لا يكون فيها تقصير يتعذر معه الاعتذار (٢) العامل لغيرالله لا يرجو ثواب عمله من الله وانما يطلبه ممن عمل له فكأن الله قد تركه الى من عمل له

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ لَا يَسْتَغْنِي ٱلرَّجُلُ وَإِنْ كَانَ ذَا مَالٍ عَنْ عَشِيرَتِهِ وَدِفَاعِهِمْ عَنْهُ بِأَيْدِيهِمْ وَأَلْسِنَتِهِمْ وَهُمْ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ حِيطَةً مِنْ وَرَائِهِ[1] وَأَلَمُّهُمْ لِشَعَثِهِ وَأَعْطَفُهُمْ عَلَيْهِ عِنْدَ نَازِلَةٍ إِذَا نَزَلَتْ بِهِ. وَلِسَانُ ٱلصِّدْقِ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُوَرِّثُهُ غَيْرَهُ[2] (مِنْهَا) أَلَا لَا يَعْدِلَنَّ أَحَدُكُمْ عَنِ ٱلْقَرَابَةِ يَرَى بِهَا ٱلْخَصَاصَةَ أَنْ يَسُدَّهَا بِالَّذِي لَا يَزِيدُهُ إِنْ أَمْسَكَهُ وَلَا يَنْقُصُهُ إِنْ أَهْلَكَهُ[3]. وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ فَإِنَّمَا تُقْبَضُ مِنْهُ عَنْهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ وَتُقْبَضُ مِنْهُمْ عَنْهُ أَيْدٍ كَثِيرَةٌ وَمَنْ تَلِنْ حَاشِيَتُهُ يَسْتَدِمْ مِنْ قَوْمِهِ ٱلْمَوَدَّةَ (أَقُولُ ٱلْغَفِيرَةُ هٰهُنَا ٱلزِّيَادَةُ وَٱلْكَثْرَةُ مِنْ قَوْلِهِمْ لِلْجَمْعِ ٱلْكَثِيرِ ٱلْجَمُّ ٱلْغَفِيرُ وَٱلْجَمَّاءُ ٱلْغَفِيرُ. وَيُرْوَى عَفْوَةً مِنْ أَهْلٍ أَوْ مَالٍ. وَٱلْعَفْوَةُ ٱلْخِيَارُ مِنَ ٱلشَّيْءِ يُقَالُ أَكَلْتُ عَفْوَةَ ٱلطَّعَامِ. أَيْ خِيَارَهُ. وَمَا أَحْسَنَ ٱلْمَعْنَى ٱلَّذِي أَرَادَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِقَوْلِهِ. وَمَنْ يَقْبِضْ يَدَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِلَى تَمَامِ ٱلْكَلَامِ فَإِنَّ ٱلْمُمْسِكَ خَيْرَهُ عَنْ عَشِيرَتِهِ إِنَّمَا يُمْسِكُ نَفْعَ يَدٍ وَاحِدَةٍ فَإِذَا ٱحْتَاجَ

وجعل أمره اليه (١) حيطة كبينة أى رعاية وكلاءة ويروى حيطة بكسر الحاء وسكون الياء مخففة مصدر حاطه يحوطه أى صانه وتعطف عليه وتحنن. والشعث بالتحريك التفرق والانتشار (٢) لسان الصدق حسن الذكر بالحق وهو فى القرابة أولى وأحق (٣) الخصاصة الفقر والحاجة الشديدة ينهى أمير المؤمنين عن اهمال القريب اذا كان فقيرا ويحث

إِلَى نُصْرَتِهِمْ وَاُضْطُرَّ إِلَى مُرَافَدَتِهِمْ[1] قَعَدُوا عَنْ نَصْرِهِ وَتَثَاقَلُوا عَنْ صَوْتِهِ فَمُنِعَ تَرَافُدَ الْأَيْدِي الْكَثِيرَةِ وَتَنَاهُضَ الْأَقْدَامِ الْجَمَّةِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَعَمْرِي مَا عَلَيَّ مِنْ قِتَالِ مَنْ خَالَفَ الْحَقَّ وَخَابَطَ الْغَيَّ مِنْ إِدْهَانٍ وَلَا إِيهَانٍ[2] فَاتَّقُوا اللّٰهَ عِبَادَ اللّٰهِ وَفِرُّوا إِلَى اللّٰهِ مِنَ اللّٰهِ. وَامْضُوا فِي الَّذِي نَهَجَهُ لَكُمْ وَقُومُوا بِمَا عَصَبَهُ بِكُمْ[3]. فَعَلِيٌّ ضَامِنٌ لِفَلَجِكُمْ آجِلًا وَإِنْ لَمْ تُمْنَحُوهُ عَاجِلًا[4]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ تَوَاتَرَتْ عَلَيْهِ الْأَخْبَارُ بِاسْتِيلَاءِ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْبِلَادِ وَقَدِمَ عَلَيْهِ عَامِلَاهُ عَلَى الْيَمَنِ وَهُمَا عُبَيْدُ اللّٰهِ بْنُ الْعَبَّاسِ وَسَعِيدُ بْنُ نُمْرَانَ لَمَّا غَلَبَ عَلَيْهِمَا بُسْرُ بْنُ أَبِي أَرْطَاةَ[5] فَقَامَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمِنْبَرِ

على سد حاجته بالمال وأنواع المعاونة فان ما يبذل فى سد حاجة القريب لو لم يصرفه فى هذا السبيل وأمسكه لنفسه لم يزده فى غناه أو فى جاهه شيئا ولو بذله لم ينقصه من ذلك كذلك ومعنى أهلكه بذله (١) المرافدة المعاونة (٢) الادهان المنافقة والمصانعة ولا تخلو من مخالفة الظاهر للباطن والغش. والايهان الدخول فى الوهن وهو من الليل نحو نصفه وهو هنا عبارة عن التستر والمخاتلة وقد يكون مصدر أوهنته أضعفته أى لا يعرض على فيه مايضعفنى. وخابط الغى والغى يخبطه وهو أشد اضطرابا ممن يخبط فى الغى (٣) عصبه بكم ربطه بكم أى كلفكم به وألزمكم بأدائه ونهجه بكم أوضحه و بينه (٤) لفلجكم أى لظفركم وفوزكم (٥) يقال بسر بن أبى أرطاه و بسر بن أرطاة وهو عامرى من

ضَجِرًا بِتَثَاقُلِ أَصْحَابِهِ عَنِ الْجِهَادِ وَمُخَالَفَتِهِمْ لَهُ فِي الرَّأْيِ فَقَالَ مَا هِيَ إِلَّا الْكُوفَةُ أَقْبِضُهَا وَأَبْسُطُهَا(١). إِنْ لَمْ تَكُونِي إِلَّا أَنْتِ تَهُبُّ أَعَاصِيرُكِ(٢). فَقَبَّحَكِ اللهُ (وَتَمَثَّلَ بِقَوْلِ الشَّاعِرِ)

لَعَمْرُ أَبِيكَ الْخَيْرِ يَا عَمْرُو إِنَّنِي ... عَلَى وَضَرٍ مِنْ ذَا الْإِنَاءِ قَلِيلِ(٣)

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) أُنْبِئْتُ بُسْرًا قَدِ اطَّلَعَ الْيَمَنَ(٤) وَإِنِّي وَاللهِ

بني عامر بن لؤى بن غالب سيره معاوية الى الحجاز بعسكر كثيف فأراق دماء غزيرة واستكره الناس على البيعة لمعاوية وفرمن بين يديه والى المدينة أبو أيوب الانصارى ثم توجه والياً على اليمن فتغلب عليها وانتزعهامن عبيدالله بن العباس وفرعبيدالله ناجياً من شره فأتى بسر بيته فوجد له ولدين صبيين فذبحهما وباء بأثمهما قبح الله القسوة وما تفعل ويروى أنهما ذبحا فى بنى كنانة أخوالهما وكان أبوهما تركهما هناك وفى ذلك تقول زوجة عبيد الله .

يا من أحس بابنى اللذين هما ... كالدرتين تشظى عنهما الصدف

يا من أحس بابنى اللذين هما ... قلبى وسمعى فقلبى اليوم مختطف

من ذل والهة حيرى مدلهة ... على صبيين ذلا اذ غدا السلف

خبرت بسرا وما صدقت مازعموا ... من افكهم ومن القول الذى اقترفوا

أنحى على ودجى ابنى مرهفة ... مشحوذة وكذاك الاثم يقترف

ويروى هذه الأبيات بروايات شتى فيها تغيير وزيادة ونقص (١) أقبضها وأبسطها أى أتصرف فيها كما يتصرف صاحب الثوب فى ثوبه يقبضه أو يبسطه (٢) جمع اعصار ريح تهب وتمتد من الأرض نحو السماء كالعمود أو كل ريح فيها العصار وهو الغبار الكثير ان لم يكن لى ملك الكوفة على ما فيهامن الفتن والآراء المختلفة فأبعدها الله وشبه الاختلاف والشقاق بالأعاصير لاثارتها التراب وافسادها الأرض (٣) الوضرغسالة السقاء والقصعة و بقية الدسم فى الاناء (٤) اطلع اليمن بلغها وتمكن منها وغشيها بجيشه

لَأَظُنُّ أَنَّ هؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيُدَالُونَ مِنْكُمْ بِاجْتِمَاعِهِمْ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ (١) . وَبِمَعْصِيَتِكُمْ إِمَامَكُمْ فِي الْحَقِّ وَطَاعَتِهِمْ إِمَامَهُمْ فِي الْبَاطِلِ ، وَبِأَدَائِهِمُ الْأَمَانَةَ إِلَى صَاحِبِهِمْ وَخِيَانَتِكُمْ . وَبِصَلَاحِهِمْ فِي بِلَادِهِمْ وَفَسَادِكُمْ . فَلَوِ ائْتَمَنْتُ أَحَدَكُمْ عَلَى قَعْبٍ لَخَشِيتُ أَنْ يَذْهَبَ بِعِلَاقَتِهِ (٢) . اللَّهُمَّ إِنِّي قَدْ مَلِلْتُهُمْ وَمَلُّونِي وَسَئِمْتُهُمْ وَسَئِمُونِي فَأَبْدِلْنِي بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدِلْهُمْ بِي شَرًّا مِنِّي . اللَّهُمَّ مُثْ قُلُوبَهُمْ كَمَا يُمَاثُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ (٣) . أَمَا وَاللهِ لَوَدِدْتُ أَنَّ لِي بِكُمْ أَلْفَ فَارِسٍ مِنْ بَنِي فِرَاسِ بْنِ غَنْمٍ (٤)

هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ * فَوَارِسُ مِثْلُ أَرْمِيَةِ الْحَمِيمِ

(١) سيدالون منكم ستكون له الدولة بدلكم بذلك السبب القوى وهو اجتماع كلمتهم وطاعتهم لصاحبهم وأداؤهم الأمانة واصلاحهم بلادهم ، وهو يشير الى أن هذا السبب متى وجد كان النصر والقوة معه ومتى فقد ذهبت القوة والعزة بذهابه ، فالحق ضعيف بتفرق أنصاره والباطل قوى بتضافر أعوانه (٢) القعب بالضم القدح الضخم (٣) مث قلوبهم أذبها ماثه يميثه دافه أي أذابه (٤) بنو فراس بن غنم بن خزيمة ابن مدركة بن الياس بن مضر أو هم بنو فراس بن غنم بن ثعلبة بن مالك بن كنانة حى مشهور بالشجاعة ومنهم علقمة بن فراس وهو جنل الطعان ومنهم ربيعة ابن مكدم حامى الظعن حياً وميتا ولم يحم الحريم أحدوهوميت غيره: عرض له فرسان من بنى سليم ومعه ظعائن من أهله يحميهن وحده فرماه أحد الفرسان بسهم أصاب قلبه فنصب رمحه فى الأرض واعتمد عليه وأشار اليهن بالمسير فسرن حتى بلغن بيوت الحى و بنو سليم قيام ينظرون اليه لا يتقدم أحد منهم نحوه خوفا منه حتى رموا

* فى نسخة : لو دعوت أتاك . بخطاب المؤنث

ثُمَّ نَزَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنَ الْمِنْبَرِ. أَقُولُ الْأَرْمِيَةُ جَمْعُ رَمِيٍّ وَهُوَ السَّحَابُ. وَالْحَمِيمُ هٰهُنَا وَقْتُ الصَّيْفِ. وَإِنَّمَا خَصَّ الشَّاعِرُ سَحَابَ الصَّيْفِ بِالذِّكْرِ لِأَنَّهُ أَشَدُّ جُفُولًا وَأَسْرَعُ خُفُوفًا[1] لِأَنَّهُ لَا مَاءَ فِيهِ. وَإِنَّمَا يَكُونُ السَّحَابُ ثَقِيلَ السَّيْرِ لِامْتِلَائِهِ بِالْمَاءِ وَذٰلِكَ لَا يَكُونُ فِي الْأَكْثَرِ إِلَّا زَمَانَ الشِّتَاءِ. وَإِنَّمَا أَرَادَ الشَّاعِرُ وَصْفَهُمْ بِالسُّرْعَةِ إِذَا دُعُوا وَالْإِغَاثَةِ إِذَا اسْتُغِيثُوا. وَالدَّلِيلُ عَلَى ذٰلِكَ قَوْلُهُ: هُنَالِكَ لَوْ دَعَوْتَ أَتَاكَ مِنْهُمْ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ اللّٰهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَآلِهِ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ. وَأَمِينًا عَلَى التَّنْزِيلِ. وَأَنْتُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ عَلَى شَرِّ دِينٍ وَفِي شَرِّ دَارٍ. مُتَنَخُونَ * بَيْنَ حِجَارَةٍ خُشْنٍ وَحَيَّاتٍ صُمٍّ[2] تَشْرَبُونَ الْكَدِرَ وَتَأْكُلُونَ الْجَشِبَ[3]

فرسه بسهم فوثبت من تحته فسقط وقد كان ميتا (١) مصدر غريب لخف بمعنى انتقل وارتحل مسرعا والمصدر المعروف خفا (٢) الخشن جمع خشناء من الخشونة، ووصف الحيات بالصم لأنها أخبثها اذ لا تنزجر. وبادية الحجاز وأرض العرب يغلب عليها القفر والغلظ فأكثر أراضيها حجارة خشنة غليظة، ثم انه يكثر فيها الأفاعي والحيات فابدلهم الله منها الريف ولين المهاد من أرض العراق والشام ومصر وما شابهها (٣) الجشب

* تنخ بالمكان: اقام به

وَتَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَتَقْطَعُونَ أَرْحَامَكُمْ . الْأَصْنَامُ فِيكُمْ مَنْصُوبَةٌ وَالْآثَامُ بِكُمْ مَعْصُوبَةٌ (١) . (وَمِنْهَا) فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي مُعِينٌ إِلَّا أَهْلُ بَيْتِي فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَوْتِ . وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى . وَشَرِبْتُ عَلَى الشَّجَى . وَصَبَرْتُ عَلَى أَخْذِ الْكَظَمِ (٢) وَعَلَى أَمَرَّ مِنْ طَعْمِ الْعَلْقَمِ (وَمِنْهَا) وَلَمْ يُبَايِعْ حَتَّى شَرَطَ أَنْ يُؤْتِيَهُ عَلَى الْبَيْعَةِ ثَمَناً (٣) فَلَا ظَفِرَتْ يَدُ الْبَائِعِ وَخَزِيَتْ أَمَانَةُ الْمُبْتَاعِ . فَخُذُوا لِلْحَرْبِ أُهْبَتَهَا . وَأَعِدُّوا لَهَا عُدَّتَهَا . فَقَدْ شَبَّ لَظَاهَا وَعَلَا سَنَاهَا . وَاسْتَشْعِرُوا الصَّبْرَ فَإِنَّهُ أَدْعَى إِلَى النَّصْرِ .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْجِهَادَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ فَتَحَهُ اللهُ لِخَاصَّةِ أَوْلِيَائِهِ وَهُوَ لِبَاسُ التَّقْوَى وَدِرْعُ اللهِ الْحَصِينَةُ وَجُنَّتُهُ الْوَثِيقَةُ (٤) . فَمَنْ تَرَكَهُ رَغْبَةً عَنْهُ أَلْبَسَهُ اللهُ ثَوْبَ الذُّلِّ وَشَمْلَةَ الْبَلَاءِ . وَدُيِّثَ

---

(١) معصوبة مشدودة تمثيل للزومها لهم . وقد جمع فى وصف حالهم بين فساد المعيشة وفساد العقيدة والملة (٢) الكظم بالتحريك الحلق أو الفم أو مخرج النفس والكل صحيح ههنا، والمراد أنه صبر على الاختناق. وأغضيت غضضت طرفى على قذى فى عينى وما أصعب أن يغمض الطرف على قذى فى العين. والشجا ما يعترض فى الحلق وكل هذا تمثيل للصبر على المضض الذى ألم به من حرمانه حقه وتألب القوم عليه والعلقم الطعام الغليظ أو ما يكون منه بغير أدم (٣) ضمير يبايع الى عمرو بن العاص فانه شرط على معاوية أن يوليه مصر لو تم له الأمر (٤) جنته بالضم وقايته

بِالصِّغَارِ وَالْقَمَاءَةِ[1] وَضُرِبَ عَلَى قَلْبِهِ بِالْأَسْدَادِ[2] وَأُدِيلَ الْحَقُّ مِنْهُ بِتَضْيِيعِ الْجِهَادِ وَسِيمَ الْخَسْفَ[3] وَمُنِعَ النِّصْفَ. أَلَا وَإِنِّي قَدْ دَعَوْتُكُمْ إِلَى قِتَالِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ لَيْلًا وَنَهَارًا، وَسِرًّا وَإِعْلَانًا، وَقُلْتُ لَكُمْ اغْزُوهُمْ قَبْلَ أَنْ يَغْزُوكُمْ، فَوَاللهِ مَا غُزِيَ قَوْمٌ فِي عُقْرِ دَارِهِمْ إِلَّا ذَلُّوا[4] فَتَوَاكَلْتُمْ وَتَخَاذَلْتُمْ حَتَّى شُنَّتِ الْغَارَاتُ عَلَيْكُمْ وَمُلِكَتْ عَلَيْكُمُ الْأَوْطَانُ. وَهٰذَا أَخُو غَامِدٍ قَدْ وَرَدَتْ خَيْلُهُ الْأَنْبَارَ[5] وَقَدْ قَتَلَ حَسَّانَ ابْنَ حَسَّانَ الْبَكْرِيَّ وَأَزَالَ خَيْلَكُمْ عَنْ مَسَالِحِهَا[6] وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ يَدْخُلُ عَلَى الْمَرْأَةِ الْمُسْلِمَةِ وَالْأُخْرَى الْمُعَاهِدَةِ

---

(١) ديث مبني للمفعول من ديثه أي ذلله وقمؤ الرجل ككرم قماءة وقماءة أي ذل وصغر (٢) الاسداد جمع سدير يد الحجب التي تحول دون بصيرته والرشاد. قال الله «وجعلنا من بين ايديهم سداً ومن خلفهم سدا فأغشيناهم فهم لايبصرون» ويروى بالاسهاب وهو ذهاب العقل أو كثرة الكلام أي حيل بينه و بين الخير بكثرة الكلام بلا فائدة (٣) اديل الحق منه أي صارت الدولة للحق بدله، وسيم الخسف أي أولى الخسف وكلفه والخسف الذل والمشقة أيضا والنصف بالكسر العدل، ومنع مجهول أي حرم العدل بأن يسلط الله عليه من يغلبه على أمره فيظلمه (٤) عقر الدار بالضم وسطها واصلها وتواكلتم وكل كل منكم الأمر الى صاحبه أي لم يتوله أحد منكم بل أحاله كل على الآخر ومنه يوصف الرجل بالوكل أي العاجز لأنه يكل أمره الى غيره. وشنت الغارات فرقت عليكم من كل جانب كما يشن الماء متفرقا دفعة بعد دفعة وما كان ارسالا غير متفرق يقال فيه سن بالمهملة (٥) أخو غامد هو سفيان ابن عوف من بني غامد قبيلة من اليمن من أزدشنوءة بعثه معاوية لشن الغارات على أطراف العراق تهويلا على أهله. والأنبار بلدة على الشاطئ الشرقي للفرات ويقابلها على الجانب الغربي هيت (٦) جمع مسلحة

فَيَنْتَزِعُ حِجْلَهَا وَقُلْبَهَا وَقَلاَئِدَهَا وَرِعَاثَهَا(١) مَا تَمْتَنِعُ مِنْهُ إِلَّا بِالِاسْتِرْجَاعِ وَالِاسْتِرْحَامِ(٢) ثُمَّ انْصَرَفُوا وَافِرِينَ(٣) مَا نَالَ رَجُلًا مِنْهُمْ كَلْمٌ وَلَا أُرِيقَ لَهُمْ دَمٌ . فَلَوْ أَنَّ امْرَأً مُسْلِمًا مَاتَ مِنْ بَعْدِ هَٰذَا أَسَفًا مَا كَانَ بِهِ مَلُومًا بَلْ كَانَ بِهِ عِنْدِي جَدِيرًا . فَيَاعَجَبًا وَاللّٰهِ يُمِيتُ الْقَلْبَ وَيَجْلِبُ الْهَمَّ مِنَ اجْتِمَاعِ هٰؤُلَاءِ الْقَوْمِ عَلَى بَاطِلِهِمْ وَتَفَرُّقِكُمْ عَنْ حَقِّكُمْ فَقُبْحًا لَكُمْ وَتَرَحًا(٤) حِينَ صِرْتُمْ غَرَضًا يُرْمَى يُغَارُ عَلَيْكُمْ وَلَا تُغِيرُونَ . وَتُغْزَوْنَ وَلَا تَغْزُونَ . وَيُعْصَى اللّٰهُ وَتَرْضَوْنَ فَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي أَيَّامِ الْحَرِّ قُلْتُمْ هٰذِهِ حَمَارَّةُ الْقَيْظِ(٥) أَمْهِلْنَا يُسَبَّخْ عَنَّا الْحَرُّ(٦) وَإِذَا أَمَرْتُكُمْ بِالسَّيْرِ إِلَيْهِمْ فِي الشِّتَاءِ قُلْتُمْ هٰذِهِ صَبَارَّةُ الْقُرِّ(٧) أَمْهِلْنَا يَنْسَلِخْ عَنَّا الْبَرْدُ ، كُلُّ هٰذَا فِرَارًا مِنَ الْحَرِّ وَالْقُرِّ فَإِذَا كُنْتُمْ مِنَ الْحَرِّ

بالفتح وهى الثغر . والمرقب حيث يخشى طروق الأعداء (١) المعاهدة الذمية. والحجل بالكسر خلخالها . والقلب بالضم سوارها . والرعاث جمع رعثة بالفتح ويحرك بمعنى القرط ويروى رعثها بضم الراء والعين جمع رعاث جمع رعثة (٢) الاسترجاع ترديد الصوت بالبكاء. والاسترحام أن تناشده الرحم (٣) وافرين تامين على كثرتهم لم ينقص عددهم والكلم بالفتح الجرح (٤) ترحا بالتحريك أى هماً وحزناً أوفقراً والغرض ما ينصب ليرمى بالسهام ونحوها فقد صاروا بمنزلة الهدف يرميهم الرامون وهم نصب لا يدفعون وقوله ويعصى الله يشير الى ما كان يفعله قواد جيش معاوية من السلب والنهب والقتل فى المسلمين والمعاهدين ثم أهل العراق راضون بذلك اذ لو غضبوا لهموا بالمدافعة (٥) حمارة القيظ شدة الحر (٦) التسبيخ بالخاء المعجمة التخفيف والتسكين (٧) صبارة الشتاء شدة برده والقر بالضم البرد

وَالْقُرِّ تفِرُّونَ فَإِذَا أَنْتُمْ وَاللهِ مِنَ السَّيْفِ أَفَرُّ . يَا أَشْبَاهَ الرِّجَالِ وَلَا رِجَالَ . حُلُومُ الْأَطْفَالِ . وَعُقُولُ رَبَّاتِ الْحِجَالِ(١) . لَوَدِدْتُ أَنِّى لَمْ أَرَكُمْ وَلَمْ أَعْرِفْكُمْ . مَعْرِفَةً وَاللهِ جَرَّتْ نَدَمًا وَأَعْقَبَتْ سَدَمًا(٢) قَاتَلَكُمُ اللهُ لَقَدْ مَلَأْتُمْ قَلْبِي قَيْحًا . وَشَحَنْتُمْ صَدْرِى غَيْظًا . وَجَرَّعْتُمُونِى نُغَبَ التَّهْمَامِ أَنْفَاسًا(٣) . وَأَفْسَدْتُمْ عَلَىَّ رَأْيِي بِالْعِصْيَانِ وَالْخِذْلَانِ حَتَّى لَقَدْ قَالَتْ قُرَيْشٌ إِنَّ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ رَجُلٌ شُجَاعٌ وَلَكِنْ لَا عِلْمَ لَهُ بِالْحَرْبِ لِلَّهِ أَبُوهُمْ وَهَلْ أَحَدٌ مِنْهُمْ أَشَدُّ لَهَا مِرَاسًا وَأَقْدَمُ فِيهَا مَقَامًا مِنِّى(٤) لَقَدْ نَهَضْتُ فِيهَا وَمَا بَلَغْتُ الْعِشْرِينَ ، وَهَا أَنَا ذَا قَدْ ذَرَّفْتُ عَلَى السِّتِّينَ(٥) . وَلَكِنْ لَا رَأْىَ لِمَنْ لَا يُطَاعُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ أَدْبَرَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ(٦) وَإِنَّ الْآخِرَةَ

---

(١) حجال جمع حجلة وهى القبة وموضع يزين بالستور والثياب للعروس. وربات الحجال النساء (٢) السدم محركة الهم أو مع أسف أو غيظ . والقيح ما فى القرحة من الصديد. وشحنتم صدرى ملأتموه (٣) النغب جمع نغبة كجرعة وجرع لفظا ومعنى والتهمام بالفتح الهم وكل تفعال فهو بالفتح الا التبيان والتلقاء فانهما بالكسر . وأنفاسا أى جرعة بعد جرعة (٤) مراسا مصدر مارسه ممارسة ومراسا أى عالجه وزاوله وعاناه (٥) ذرفت على الستين زدت عليها ويروى نيفت بمعناه. وفى الخطبة روايات أخرى لا تختلف عن رواية الشريف فى المعنى وان اختلفت عنها فى بعض الألفاظ. انظر الكامل للمبرد (٦) آذنت أعلمت

قَدْ أَشْرَفَتْ بِاطِّلَاعٍ أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ[١] . وَغَدًا السِّبَاقَ . وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ [٢] وَالْغَايَةُ النَّارُ . أَفَلَا تَائِبٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ قَبْلَ مَنِيَّتِهِ ؟ أَلَا عَامِلٌ لِنَفْسِهِ قَبْلَ يَوْمِ بُؤْسِهِ[٣] ؟ أَلَا وَإِنَّكُمْ فِي أَيَّامِ أَمَلٍ[٤] مِنْ وَرَائِهِ أَجَلٌ . فَمَنْ عَمِلَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ نَفَعَهُ عَمَلُهُ . وَلَمْ يَضْرُرْهُ أَجَلُهُ . وَمَنْ قَصَّرَ فِي أَيَّامِ أَمَلِهِ قَبْلَ حُضُورِ أَجَلِهِ فَقَدْ خَسِرَ عَمَلَهُ . وَضَرَّهُ أَجَلُهُ . أَلَا فَاعْمَلُوا فِي الرَّغْبَةِ كَمَا تَعْمَلُونَ فِي الرَّهْبَةِ[٥] . أَلَا وَإِنِّي لَمْ أَرَ كَالْجَنَّةِ

وايذانها بالوداع انما هو بما أودع فى طبيعتها من التقلب والتحول ، فأول نظرة من العاقل اليها تحصل له اليقين بفنائها وانقضائها وليس وراء الدنيا الا الآخرة فان كانت الأولى مودعة فالأخرى مشرفة. والاطلاع من اطلع فلان علينا أتانا فجأة (١) المضمار الموضع والزمن الذى تضمر فيه الخيل . وتضمير الخيل أن تربط ويكثر علفها وماؤها حتى تسمن ثم يقلل علفها وماؤها وتجرى فى الميدان حتى تهزل . وقد يطلق التضمير على العمل الأول أو الثانى واطلاقه على الاول لانه مقدمة للثانى والا فحقيقة التضمير احداث الضمور وهو الهزال وخفة اللحم . وانما يفعل ذلك بالخيل لتخف فى الجرى يوم السباق كما اننا نعمل اليوم فى الدنيا للحصول على السعادة فى الاخرى (٢) السبقة بالتحريك الغاية التى يحب السابق أن يصل اليها و بالفتح المرة من السبق والشريف رواها فى كلام الامام بالتحريك أو الفتح وفسرها بالغاية المحبوبة أو المرة من السبق وهو مطلوب لهذا روى الضم بصيغة رواية أخرى . ومن معانى السبقة بالتحريك الرهن الذى يوضع من المتراهنين فى السباق أى الجعل الذى يأخذه السابق الا أن الشريف فسرها بما تقدم (٣) البؤس اشتداد الحاجة وسوء الحالة . ويوم البؤس يوم الجزاء مع الفقر من الأعمال الصالحة . والعامل له هو الذى يعمل الصالح لينجو من البؤس فى ذلك اليوم (٤) يريد الامل فى البقاء واستمرار الحياة (٥) أى اعملوا لله فى السراء كما تعملون له فى الضراء لاتصرفكم النعم عن خشيته والخوف منه

نَامَ طَالِبُهَا . وَلَا كَالنَّارِ نَامَ هَارِبُهَا(١) . أَلَا وَإِنَّهُ مَنْ لَا يَنْفَعْهُ الْحَقُّ يَضُرُّهُ الْبَاطِلُ(٢) . وَمَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ بِهِ الْهُدَى يَجُرُّ بِهِ الضَّلَالُ إِلَى الرَّدَى . أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ أُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ(٣) . وَدُلِلْتُمْ عَلَى الزَّادِ . وَإِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اتِّبَاعُ الْهَوَى وَطُولُ الْأَمَلِ . تَزَوَّدُوا مِنَ الدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ أَنْفُسَكُمْ بِهِ غَدًا(٤) (أَقُولُ) لَوْ كَانَ كَلَامٌ يَأْخُذُ بِالْأَعْنَاقِ إِلَى الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا وَيَضْطَرُّ إِلَى عَمَلِ الْآخِرَةِ لَكَانَ هٰذَا الْكَلَامَ . وَكَفَى بِهِ قَاطِعاً لِعَلَائِقِ الْآمَالِ . وَقَادِحاً زِنَادَ الِاتِّعَاظِ وَالِازْدِجَارِ . وَمِنْ أَعْجَبِهِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (أَلَا وَإِنَّ الْيَوْمَ الْمِضْمَارَ وَغَداً السِّبَاقَ . وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ) فَإِنَّ فِيهِ مَعَ فَخَامَةِ اللَّفْظِ وَعِظَمِ قَدْرِ الْمَعْنَى وَصَادِقِ التَّمْثِيلِ وَوَاقِعِ التَّشْبِيهِ سِرًّا عَجِيباً وَمَعْنًى لَطِيفاً وَهُوَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (وَالسَّبَقَةُ الْجَنَّةُ وَالْغَايَةُ النَّارُ) فَخَالَفَ بَيْنَ اللَّفْظَيْنِ لِاخْتِلَافِ الْمَعْنَيَيْنِ . وَلَمْ يَقُلِ السَّبَقَةُ النَّارُ كَمَا قَالَ: السَّبَقَةُ الْجَنَّةُ لِأَنَّ

---

(١) من أعجب العجائب الذى لم ير له مثيل أن ينام طالب الجنة فى عظمها واستكمال أسباب السعادة فيها، وأن ينام الهارب من النار فى هولها واستجماعها أسباب الشقاء (٢) النفع الصحيح كله فى الحق. فان قال قائل ان الحق لم ينفعه فالباطل أشد ضرراً له ، ومن لم يستقم به الهدى المرشد الى الحق أى لم يصل به الى مطلوبه من السعادة جرى به الضلال الى الردى والهلاك (٣) الظعن الرحيل عن الدنيا وأمرنا به أمر تكوين أى كما خلقنا الله خلق فينا أن نرحل عن حياتنا الأولى لنستقر فى الأخرى. والزاد الذى دلنا عليه هو عمل الصالحات وترك السيئات (٤) تحرزون أنفسكم تحفظوتها

ٱلِاسْتِبَاقَ إِنَّمَا يَكُونُ إِلَى أَمْرٍ مَحْبُوبٍ وَغَرَضٍ مَطْلُوبٍ وَهٰذِهِ صِفَةُ ٱلْجَنَّةِ وَلَيْسَ هٰذَا ٱلْمَعْنَى مَوْجُودًا فِي ٱلنَّارِ نَعُوذُ بِاللهِ مِنْهَا فَلَمْ يَجُزْ أَنْ يَقُولَ وَٱلسَّبَقَةُ ٱلنَّارُ بَلْ قَالَ وَٱلْغَايَةُ ٱلنَّارُ ، لِأَنَّ ٱلْغَايَةَ يَنْتَهِي إِلَيْهَا مَنْ لَا يَسُرُّهُ ٱلِانْتِهَاءُ وَمَنْ يَسُرُّهُ ذٰلِكَ ، فَصَلَحَ أَنْ يُعَبَّرَ بِهَا عَنِ ٱلْأَمْرَيْنِ مَعًا فَهِيَ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ كَالْمَصِيرِ وَٱلْمَآلِ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى (قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى ٱلنَّارِ) وَلَا يَجُوزُ فِي هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ أَنْ يُقَالَ سَبْقَتُكُمْ «بِسُكُونِ ٱلْبَاءِ» إِلَى ٱلنَّارِ فَتَأَمَّلْ ذٰلِكَ فَبَاطِنُهُ عَجِيبٌ وَغَوْرُهُ بَعِيدٌ . وَكَذٰلِكَ أَكْثَرُ كَلَامِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ . (وَفِي بَعْضِ ٱلنُّسَخِ) وَقَدْ جَاءَ فِي رِوَايَةٍ أُخْرَى (وَٱلسُّبْقَةُ ٱلْجَنَّةُ) بِضَمِّ ٱلسِّينِ . وَٱلسَّبَقَةُ عِنْدَهُمْ اسْمٌ لِمَا يُجْعَلُ لِلسَّابِقِ إِذَا سَبَقَ مِنْ مَالٍ أَوْ عَرْضٍ وَٱلْمَعْنَيَانِ مُتَقَارِبَانِ لِأَنَّ ذٰلِكَ لَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ ٱلْأَمْرِ ٱلْمَذْمُومِ وَإِنَّمَا يَكُونُ جَزَاءً عَلَى فِعْلِ ٱلْأَمْرِ ٱلْمَحْمُودِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱلْمُجْتَمِعَةُ أَبْدَانُهُمْ . ٱلْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ(١) . كَلَامُكُمْ يُوهِي ٱلصُّمَّ ٱلصِّلَابَ(٢) وَفِعْلُكُمْ يُطْمِعُ فِيكُمُ ٱلْأَعْدَاءَ . تَقُولُونَ

من الهلاك الأبدى (١) اهواؤهم آراؤهم وما تميل اليه قلوبهم (٢) الصم جمع اصم

فِي ٱلْمَجَالِسِ كَيْتَ وَكَيْتَ. فَإِذَاجَاءَ ٱلْقِتَالُ قُلْتُمْ حِيدِيْ حِيَادِ[1]. مَاعَزَّتْ دَعْوَةُ مَنْ دَعَاكُمْ وَلَا ٱسْتَرَاحَ قَلْبُ مَنْ قَاسَاكُمْ[2]. أَعَالِيلُ بِأَضَالِيلَ. دِفَاعَ ذِي ٱلدَّيْنِ ٱلْمَطُولِ[3] لَا يَمْنَعُ ٱلضَّيْمَ ٱلذَّلِيلُ. وَلَا يُدْرَكُ ٱلْحَقُّ إِلَّا بِالْجِدِّ. أَيَّ دَارٍ بَعْدَ دَارِكُمْ تَمْنَعُونَ. وَمَعَ أَيِّ إِمَامٍ بَعْدِي تُقَاتِلُونَ. ٱلْمَغْرُورُ وَٱللهِ مَنْ غَرَرْتُمُوهُ. وَمَنْ فَازَ بِكُمْ فَقَدْ فَازَ وَٱللهِ بِالسَّهْمِ ٱلْأَخْيَبِ[4]. وَمَنْ رَمَى بِكُمْ فَقَدْ رَمَى بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[5] أَصْبَحْتُ وَٱللهِ لَا أُصَدِّقُ

وهو من الحجارة الصلب المصمت والصلاب جمع صليب والصليب الشديد و بابه ظريف وظراف وضعيف وضعاف. و يوهيها يضعفها و يفتتها، يقال وهى الثوب ووهى يهى وهيا من باب ضرب وحسب، تخرق وانشق أى تقولون من الكلام ما يفلق الحجر بشدته وقوته ثم يكون فعلكم من الضعف والاختلال بحيث يطمع فيكم العدو (١) حيدى حياد كلمة يقولها الهارب كانه يسأل الحرب أن تتنحى عنه من الحيدان وهو الميل والانحراف عن الشيء. وحياد مبنى على الكسر كما فى قولهم فيحى فياح أى اتسعى وحمى حمام للداهية أى انهم يقولون فى المجلس سنفعل بالاعداء ما نفعل فاذا جاء القتال فروا وتقاعدوا (٢) أى من دعاهم وحملهم بالترغيب على نصرته لم تعز دعوته لتخاذلهم فان قاساهم وقهرهم انتقضوا عليه فاتعبوه والاعاليل أما جمع اعلال جمع علل جمع علة أو جمع اعلولة كما ان الأضاليل جمع اضلولة والاضاليل متعلقة بالاعاليل أى انكم تتعللون بالاباطيل التى لا جدوى لها (٣) أى انكم تدافعون الحرب اللازمة لكم كما يدافع المدين المطول غريمه والمطول الكثير المطل وهو تأخير اداء الدين بلا عذر وقوله لا يمنع الضيم الخ أى أن الذليل الضعيف الباس الذى لا منعة له لا يمنع ضيماً وانما يمنع الضيم القوى العزيز (٤) فاز بكم من فاز بالخير اذا ظفر به أى من ظفر بكم وكنتم نصيبه فقد ظفر بالسهم الاخيب وهو من سهام اليسر الذى لا حظ له (٥) الا فوق من السهام مكسور الفوق. والفوق موضع الوتر من السهم والناصل العارى عن النصل أى

قَوْلَكُمْ . وَلَا أَطْمَعُ فِي نَصْرِكُمْ . وَلَا أُوعِدُ الْعَدُوَّ بِكُمْ . مَا بَالُكُمْ ؟ مَا دَوَاؤُكُمْ ؟ مَا طِبُّكُمْ ؟ الْقَوْمُ رِجَالٌ أَمْثَالُكُمْ . أَقَوْلاً بِغَيْرِ عَمَلٍ وَغَفْلَةً مِنْ غَيْرِ وَرَعٍ . وَطَمَعاً فِي غَيْرِ حَقٍّ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْنَى قَتْلِ عُثْمَانَ

لَوْ أَمَرْتُ بِهِ لَكُنْتُ قَاتِلاً . أَوْ نَهَيْتُ عَنْهُ لَكُنْتُ نَاصِراً(١) غَيْرَ أَنَّ مَنْ نَصَرَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ خَذَلَهُ مَنْ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ . وَمَنْ خَذَلَهُ لَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَقُولَ نَصَرَهُ مَنْ هُوَ خَيْرٌ مِنِّي(٢) وَأَنَا جَامِعٌ لَكُمْ أَمْرَهُ :

من رمى بهم فكأنما رمى بسهم لا يثبت فى الوتر حتى يرمى، وان رمى به لم يصب مقتلا اذ لا نصل له . وهذه الخطبة خطبها أمير المؤمنين عند اغارة الضحاك بن قيس فان معاوية لما بلغه فساد الجند على أمير المؤمنين دعا الضحاك بن قيس وقال له سر حتى تمر بناحية الكوفة وترتفع عنها ما استطعت فمن وجدت من الاعراب فى طاعة على فاغر عليه وان وجدت له خيلا أو مسلحة فاغر عليها واذا أصبحت فى بلدة فأمس فى أخرى ولا تقيمن لخيل بلغك أنها قد سرحت اليك لتلقاها فتقاتلها، وسرحه فى ثلاثة آلاف فأقبل الضحاك فنهب الأموال وقتل من لقى من الاعراب ثم لقى بن عمر عميس بن مسعود الذهلى فقتله وهو ابن أخى عبدالله ابن مسعود ونهب الحاج وقتل منهم وهم على طريقهم عند القطقطانة فساء ذلك أمير المؤمنين وأخذ يستنهض الناس الى الدفاع عن ديارهم وهم يتخاذلون فوبخهم بما تراه فى هذه الخطبة، ثم دعا بحجر بن عدى فسيره إلى الضحاك فى أربعة آلاف فقاتله فانهزم فاراً إلى الشام يفتخر بأنه قتل ونهب (١) يقول أنه لم يأمر بقتل عثمان والا كان قاتلا له مع أنه برىء من قتله، ولم ينه عن قتله أى لم يدافع عنه بسيفه ولم يقاتل دونه والا كان ناصراً له. أما نهيه عن قتله بلسانه فهو ثابت وهو الذى أمر الحسن والحسين أن يذابا الناس عنه (٢) أى

أَسْتَأْثَرَ فَأَسَاءَ ٱلْأَثَرَةَ . وَجَزِعْتُمْ فَأَسَأْتُمُ ٱلْجَزَعَ[١] وَلِلّٰهِ حُكْمٌ وَاقِعٌ فِي ٱلْمُسْتَأْثِرِ وَٱلْجَازِعِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لِٱبْنِ ٱلْعَبَّاسِ لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَى ٱلزُّبَيْرِ يَسْتَفِيئُهُ إِلَى طَاعَتِهِ قَبْلَ حَرْبِ ٱلْجَمَلِ[٢]

لَا تَلْقَيَنَّ طَلْحَةَ فَإِنَّكَ إِنْ تَلْقَهُ تَجِدْهُ كَالثَّوْرِ عَاقِصًا قَرْنَهُ[٣] يَرْكَبُ ٱلصَّعْبَ وَيَقُولُ هُوَ ٱلذَّلُولُ . وَلٰكِنِ ٱلْقَ ٱلزُّبَيْرَ فَإِنَّهُ أَلْيَنُ عَرِيكَةً[٤] فَقُلْ لَهُ يَقُولُ لَكَ ٱبْنُ خَالِكَ : عَرَفْتَنِي بِالْحِجَازِ وَأَنْكَرْتَنِي

ان الذين نصروه ليسوا بأفضل من الذين خذلوه لهذا لا يستطيع ناصره أن يقول انى خير من الذى خذله ولا يستطيع خاذله أن يقول ان الناصر خير منى يريد أن القلوب متفقة على أن ناصريه لم يكونوا فى شيء من الخير الذى يفضلون به على خاذليه (١) أى أنه استبد عليكم فأساء الاستبداد وكان عليه أن يخفف منه حتى لا يزعجكم، وجزعتم لاستبداده فأسأتم الجزع أى لم ترفقوا فى جزعكم ولم تقفوا عند الحد الأولى بكم وكان عليكم أن تقتصروا على الشكوى ولا تذهبوا فى الاساءة الى حد القتل ولله حكمه فى المستأثر وهو عثمان وفى الجازع وهو أنتم فاما آخذه وآخذكم أو عفا عنه وعفا عنكم (٢) يستفيئه أى يسترجعه (٣) يروى أن تلقه تلفه الأولى بالقاف والثانية بالفاء من ألفاه يلفيه وهى بمعنى تجده ، وعاقصاً قرنه من عقص الشعر اذا ضفره وفتله ولواه وهو تمثيل له فى تغطرسه وكبره وعدم انقياده ، ويركب الصعب يستهين به ويزعم أنه ذلول سهل (٤) العريكة الطبيعة وعرفه بالحجاز اطاعه فيه حيث عقد له

بِالْعِرَاقِ فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا[1] (أَقُولُ هُوَ أَوَّلُ مَنْ سُمِعَتْ مِنْهُ هٰذِهِ الْكَلِمَةُ أَعْنِي «فَمَا عَدَا مِمَّا بَدَا»)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا قَدْ أَصْبَحْنَا فِي دَهْرٍ عَنُودٍ. وَزَمَنٍ كَنُودٍ[2]. يُعَدُّ فِيهِ الْمُحْسِنُ مُسِيئاً. وَيَزْدَادُ الظَّالِمُ فِيهِ عُتُوّاً. لَا نَنْتَفِعُ بِمَا عَلِمْنَا. وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا جَهِلْنَا. وَلَا نَتَخَوَّفُ قَارِعَةً حَتَّى تَحُلَّ بِنَا[3]. فَالنَّاسُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَصْنَافٍ: مِنْهُمْ مَنْ لَا يَمْنَعُهُ الْفَسَادَ إِلَّا مَهَانَةُ نَفْسِهِ وَكَلَالَةُ حَدِّهِ وَنَضِيضُ وَفْرِهِ[4]. وَمِنْهُمُ الْمُصْلِتُ لِسَيْفِهِ. وَالْمُعْلِنُ بِشَرِّهِ. وَالْمُجْلِبُ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ. قَدْ أَشْرَطَ نَفْسَهُ وَأَوْبَقَ دِينَهُ. لِحُطَامٍ يَنْتَهِزُهُ. أَوْ مِقْنَبٍ

البيعة وانكر. بالعراق حيث خرج عليه وجمع لقتاله (١) عداه الأمر صرفه و بدا ظهر، ومن هنا بمعنى،عن نقل ابن قتيبة حدثنى فلان من فلان أى عنه، و نهيت من كذا أى عنه أى ما الذى صرفك عما كان بدا وظهر منك (٢) العنود الجائر من عند يعند كنصر جار عن الطريق وعدل ، والكنود الكفور . ويروى وزمن شديد أى بخيل كما فى قوله تعالى (وانه لحب الخير لشديد) أى ان الانسان لاجل حبه للمال بخيل والوصف لأهل الزمن والدهر كما هو ظاهر. وسوء طباع الناس يحملهم على عد المحسن مسيئاً (٣) القارعة الخطب يقرع من ينزل به أى يصيبه . والداهية العظيمة (٤) القسم الأول من يقعد به عن طلب الأمارة والسلطان حقارة نفسه فلا يجد معينا ينصره وكلالة حده أى ضعف سلاحه عن القطع فى أعدائه ، يقال كل السيف كلالة اذا لم يقطع والمراد اعوازه من السلاح أو لضعفه عن استعماله ، ونضيض وفره قلة ماله وكان مقتضى النسق أن يقول ونضاضة وفره لكنه عدل الى الوصف تفننا. والنضيض

يَقُودُهُ . أَوْ مِنْبَرٍ يَفْرَعُه(١) . وَلَبِئْسَ ٱلْمَتْجَرُ أَنْ تَرَى ٱلدُّنْيَا لِنَفْسِكَ ثَمَنًا وَمِمَّا لَكَ عِنْدَ ٱللَّهِ عِوَضًا . وَمِنْهُمْ مَنْ يَطْلُبُ ٱلدُّنْيَا بِعَمَلِ ٱلْآخِرَةِ وَلَا يَطْلُبُ ٱلْآخِرَةَ بِعَمَلِ ٱلدُّنْيَا قَدْ طَامَنَ مِنْ شَخْصِهِ وَقَارَبَ مِنْ خَطْوِهِ وَشَمَّرَ مِنْ ثَوْبِهِ وَزَخْرَفَ مِنْ نَفْسِهِ لِلْأَمَانَةِ وَٱتَّخَذَ سِتْرَ ٱللَّهِ ذَرِيعَةً إِلَى ٱلْمَعْصِيَةِ(٢) وَمِنْهُمْ مَنْ أَقْعَدَهُ عَنْ طَلَبِ ٱلْمُلْكِ ضُؤُولَةُ نَفْسِهِ(٣) . وَٱنْقِطَاعُ سَبَبِهِ . فَقَصَرَتْهُ ٱلْحَالُ عَنْ حَالِهِ فَتَحَلَّى بِٱسْمِ ٱلْقَنَاعَةِ وَتَزَيَّنَ بِلِبَاسِ أَهْلِ ٱلزَّهَادَةِ وَلَيْسَ مِنْ ذٰلِكَ فِي مَرَاحٍ وَلَا مَغْدًى . وَبَقِيَ رِجَالٌ غَضَّ أَبْصَارَهُمْ ذِكْرُ ٱلْمَرْجِعِ(٤) . وَأَرَاقَ دُمُوعَهُمْ خَوْفُ ٱلْمَحْشَرِ . فَهُمْ بَيْنَ شَرِيدٍ

القليل والوفر المال (١) القسم الثانى الذى يطلب الامارة وما هى من حقه ويجهر بذلك فهو مصلت لسيفه أى سال له على اعناق الذين لا يسمعون لسلطان الباطل والمعلن المظهر ، والمجلب بخيله من أجلب القوم أى جلبوا وتجمعوا من كل أوب للحرب . والرجل جمع راجل كالركب جمع راكب ، واشرط نفسه أى هيأها واعدها للشر والفساد فى الأرض أو للعقوبة وسوء العاقبة ، وأوبق دينه أهلكه ، والحطام المال وأصله ما تكسر من اليبيس ينتهزه يغتنمه أو يختلسه والمقنب طائفة من الخيل ما بين الثلاثين الى الأربعين . وانما يطلب قود المقنب تعززاً على الناس وكبراً وفرع المنبر بالفاء أى علاه وفى علو المنبر والخطبة على الناس من الرفعة ما يبعث على الطلب فهذا القسم قد أضاع دينه وأفسد الناس فى طلب هذه الشهوات المذكورة (٢) الذريعة الوسيلة وهذا قسم ثالث (٣) الضؤولة بالضم الضعف وهذا هو القسم الرابع وليس من الزهادة فى ذهاب ولا اياب أى لا فى فعل ولا ترك (٤) هذا قسم خامس للناس مطلقا والأقسام الأربعة للناس المعروفين الواقعين تحت نظر العامة فقوله فيما سبق فالناس أربعة أصناف انما يريد به الذين يعرفهم النظر الجلى ناسا ، أما الرجال الذين

نَادٍ[١] . وَخَائِفٍ مَقْمُوعٍ . وَسَاكِتٍ مَكْعُومٍ . وَدَاعٍ مُخْلِصٍ . وَثَكْلَانَ مُوجَعٍ . قَدْ أَخْمَلَتْهُمُ التَّقِيَّةُ[٢] وَشَمِلَتْهُمُ الذِّلَّةُ فَهُمْ فِي بَحْرٍ أُجَاجٍ . أَفْوَاهُهُمْ ضَامِزَةٌ[٣] . وَقُلُوبُهُمْ قَرِحَةٌ . وَقَدْ وُعِظُوا حَتَّى مَلُّوا[٤] وَقُهِرُوا حَتَّى ذَلُّوا . وَقُتِلُوا حَتَّى قَلُّوا . فَلْتَكُنِ الدُّنْيَا فِي أَعْيُنِكُمْ أَصْغَرَ مِنْ حُثَالَةِ الْقَرَظِ وَقُرَاضَةِ الْجَلَمِ[٥] وَاتَّعِظُوا بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ . قَبْلَ أَنْ يَتَّعِظَ بِكُمْ مَنْ بَعْدَكُمْ . وَارْفُضُوهَا ذَمِيمَةً فَإِنَّهَا قَدْ رَفَضَتْ مَنْ كَانَ أَشْغَفَ بِهَا مِنْكُمْ[٦] . (أقول) هٰذِهِ الْخُطْبَةُ رُبَّمَا نَسَبَهَا مَنْ لَا عِلْمَ لَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَهِيَ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِي لَا

غضوا أبصارهم عن مطامع الدنيا خوفا من الآخرة وتذكرهم لمعادهم فهؤلاء لايعرفون عند العامة وانما يتعرف أحوالهم امثالهم فكأنهم فى نظر الناس ليسوا بناس (١) الناد الهارب من الجماعة الى الوحدة ، والمقموع المقهور ، والمكعوم من كعم البعير شد فاه لئلا يأكل أو يعض ومايشد به . كعام ككتاب. والثكلان الحزين (٢) أخمله اسقط ذكره حتى لم يعد له بين الناس نباهة . والتقية اتقاء الظلم باخفاء الحال والاجاج الملح أى انهم فى الناس كمن وقع فى البحر الملح لا يجد ما يطفىء ظمأه ولا ينقع غلته (٣) ضامزة ساكنة ضمز يضمز بالزاى المعجمة سكت يسكت ، والقرحة بفتح فكسر المجروحة (٤) أى انهم اكثروا من وعظ الناس حتى ملهم الناس وسئموا من كلامهم (٥) الحثالة بالضم القشارة وما لاخير فيه ، والقرظ ورق السلم أو ثمر السنط يدبغ به والجلم بالتحريك مقراض يجز به الصوف وقراضته مايسقط منه عند القرض والجزء انما طالبهم باحتقار الدنيا بعد التقسيم المتقدم لما ثبت من أن الدنيا لم تصف الا للاشرار ، أما المتقون الذين ذكرهم فانهم لم يصيبوا منها الا العناء وكل ما كان شأنه أن يأوى الى الأشرار ويجافى الاخيار فهو أجدر بالاحتقار (٦) أى من كان أشد تعلقا بها منكم

يُشَكُّ فِيهِ وَأَيْنَ ٱلذَّهَبُ مِنَ ٱلرَّغَامِ[١] وَٱلْعَذْبُ مِنَ ٱلْأُجَاجِ . وَقَدْ دَلَّ عَلَى ذٰلِكَ ٱلدَّلِيلُ ٱلْخِرِّيتُ[٢] وَنَقَدَهُ ٱلنَّاقِدُ ٱلْبَصِيرُ عَمْرُو بْنُ بَحْرٍ ٱلْجَاحِظُ فَإِنَّهُ ذَكَرَ هٰذِهِ ٱلْخُطْبَةَ فِي كِتَابِ ٱلْبَيَانِ وَٱلتَّبْيِينِ وَذَكَرَ مَنْ نَسَبَهَا إِلَى مُعَاوِيَةَ ثُمَّ قَالَ هِيَ بِكَلَامِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَشْبَهُ، وَبِمَذْهَبِهِ فِي تَصْنِيفِ ٱلنَّاسِ وَبِالْإِخْبَارِ عَمَّا هُمْ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْقَهْرِ وَٱلْإِذْلَالِ وَمِنَ ٱلتَّقِيَّةِ وَٱلْخَوْفِ أَلْيَقُ[٣] قَالَ وَمَتَى وَجَدْنَا مُعَاوِيَةَ فِي حَالٍ مِنَ ٱلْأَحْوَالِ يَسْلُكُ فِي كَلَامِهِ مَسْلَكَ ٱلزُّهَّادِ . وَمَذَاهِبَ ٱلْعُبَّادِ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عِنْدَ خُرُوجِهِ لِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ[٤]

قَالَ عَبْدُ ٱللهِ بْنُ ٱلْعَبَّاسِ دَخَلْتُ عَلَى أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِذِي قَارٍ[٥] وَهُوَ يَخْصِفُ نَعْلَهُ[٦] فَقَالَ لِي مَا قِيمَةُ هٰذَا ٱلنَّعْلِ فَقُلْتُ لَا قِيمَةَ لَهَا ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَٱللهِ لَهِيَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ إِمْرَتِكُمْ إِلَّا أَنْ أُقِيمَ حَقًّا أَوْ أَدْفَعَ بَاطِلًا ثُمَّ خَرَجَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَخَطَبَ ٱلنَّاسَ فَقَالَ :

إِنَّ ٱللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ ٱلْعَرَبِ

---

(١) الرغام بالفتح التراب (٢) الخريت الحاذق فى الدلالة (٣) تصنيف الناس تقسيمهم وتبيين أصنافهم (٤) فى وقعة الجمل (٥) بلد بين واسط والكوفة وهو قريب من البصرة وكانت فيه الحرب بين العرب والفرس ونصرت فيه العرب قبل الاسلام (٦) يخصف

يَقْرَأُ كِتَاباً وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً . فَسَاقَ النَّاسَ حَتَّى بَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ وَبَلَّغَهُمْ مَنْجَاتَهُمْ[١] فَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ[٢] وَاطْمَأَنَّتْ صَفَاتُهُمْ . أَمَا وَاللهِ إِنْ كُنْتُ لَفِي سَاقَتِهَا[٣] حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ وَإِنَّ مَسِيرِي هٰذَا لِمِثْلِهَا[٤] فَلَأَنْقُبَنَّ الْبَاطِلَ حَتَّى يَخْرُجَ الْحَقُّ مِنْ جَنْبِهِ[٥] مَالِي وَلِقُرَيْشٍ . وَاللهِ لَقَدْ قَاتَلْتُهُمْ كَافِرِينَ وَلَأُقَاتِلَنَّهُمْ مَفْتُونِينَ . وَإِنِّي

نعله يخرزها (١) بوأهم محلتهم أى أنزلهم منزلتهم فالناس قبل الاسلام كأنهم كانوا غرباء مشردين والاسلام هو منزلهم الذى يسكنون فيه ويأمنون من المخاوف ، فالنبى صلى الله عليه وسلم ساق الناس حتى أوصلهم إلى منزلهم من الاسلام الذى كانوا قد ضلوا عنه وبلغهم بذلك مكان نجاتهم من المهالك (٢) القناة العود والرمح. والكلام تمثيل لاستقامة أحوالهم. والصفاة الحجر الصلد الضخم. وأراد به مواطىء أقدامهم. والكلام تصوير لاستقرارهم على راحة كاملة وخلاصهم مما كان يرجف قلوبهم ويزلزل أقدامهم (٣) ان كنت الخ ان هذه هى المخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن محذوف والأصل انه كنت الخ . والمعنى. قد كنت. والساقة مؤخر الجيش السائق لمقدمه. وولت بحذافيرها بجملتها . والضمائر فى ساقتها وولت بحذافيرها عائدة إلى الحادثة المفهومة من الحديث وهى ما أنعم الله به من بعثة النبى صلى الله عليه وسلم ليخرجهم من الظلمات الى النور ومن الذلة للعزة وقال الشارح ابن أبى الحديد الضمائر للجاهلية المفهومة من الكلام وكونه فى ساقتها أنه طارد لها. ويضعفه أن ساقة الجيش منه لا من مقاتله فلو كان فى ساقة الجاهلية لكان من جيشها نعوذ بالله. ويمكن تصحيح كلام الشارح بجعل الساقة جمع سائق أى كنت فى الذين يسوقونها طرداً حتى ولت (٤) أى أنه يسير الى الجهاد فى سبيل الحق (٥) الباطل يبادر الأوهام فيشغلها عن الحق ويقوم حجابا ما نعا للبصيرة عن الحقيقة فكأنه شىء اشتمل على الحق فستره

لَصَاحِبُهُمْ بِالْأَمْسِ كَمَا أَنَا صَاحِبُهُمُ ٱلْيَوْمَ * (وَٱللّٰهِ مَا تَنْقِمُ مِنَّا قُرَيْش إِلَّا أَنَّ ٱللّٰهَ ٱخْتَارَنَا عَلَيْهِمْ فَأَدْخَلْنَاهُمْ فِي حَيِّزِنَا فَكَانُوا كَمَا قَالَ ٱلْأَوَّلُ:

أَدَمْتَ لَعَمْرِي شُرْبَكَ ٱلْمَحْضَ صَابِحاً
وَأَكْلَكَ بِالزُّبْدِ ٱلْمُقَشَّرَةَ ٱلْبُجْرَا

وَنَحْنُ وَهَبْنَاكَ ٱلْعَلَاءَ وَلَمْ تَكُنْ
عَلِيّاً وَحُطْنَا حَوْلَكَ ٱلْجُرْدَ وَٱلسُّمْرَا)

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ٱسْتِنْفَارِ ٱلنَّاسِ إِلَى أَهْلِ ٱلشَّامِ)

أُفٍّ لَكُمْ لَقَدْ سَئِمْتُ عِتَابَكُمْ. أَرَضِيتُمْ بِالْحَيَاةِ ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلْآخِرَةِ عِوَضاً. وَبِالذُّلِّ مِنَ ٱلْعِزِّ خَلَفاً. إِذَا دَعَوْتُكُمْ إِلَى جِهَادِ عَدُوِّكُمْ دَارَتْ أَعْيُنُكُمْ كَأَنَّكُمْ مِنَ ٱلْمَوْتِ فِي غَمْرَةٍ[1]. وَمِنَ ٱلذُّهُولِ فِي سَكْرَةٍ يُرْتَجُ عَلَيْكُمْ حَوَارِي فَتَعْمَهُونَ[2] فَكَأَنَّ

وصار الحق فى طيه. والكلام تمثيل لحال الباطل مع الحق وحال الامام فى كشف الباطل واظهار الحق (١) دوران الأعين اضطرابها من الجزع. ومن غمره الموت يدور بصره فانهم يريدون من غمرة الموت الشدة التى تنتهى اليه يشير الى قوله تعالى (ينظرون اليك نظر المغشى عليه من الموت) (٢) الحوار بالفتح فى الكلام. و يرتج بمعنى يغلق

* ما بين القوسين زيادة فى بعض النسخ.

قُلُوبَكُمْ مَأْلُوسَةٌ (١) فَأَنْتُمْ لَا تَعْقِلُونَ . مَا أَنْتُمْ لِي بِثِقَةٍ سَجِيسَ اللَّيَالِي (٢) وَمَا أَنْتُمْ بِرُكْنٍ يُمَالُ بِكُمْ وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُفْتَقَرُ إِلَيْكُمْ . (٣) مَا أَنْتُمْ إِلَّا كَإِبِلٍ ضَلَّ رُعَاتُهَا . فَكُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ انْتَشَرَتْ مِنْ آخَرَ . لَبِئْسَ لَعَمْرُ اللهِ سَعْرُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ . (٤) تُكَادُونَ وَلَا تَكِيدُونَ . وَتُنْتَقَصُ أَطْرَافُكُمْ فَلَا تَمْتَعِضُونَ (٥) لَا يُنَامُ عَنْكُمْ وَأَنْتُمْ فِي غَفْلَةٍ سَاهُونَ . غُلِبَ وَاللهِ الْمُتَخَاذِلُونَ وَأَيْمُ (٦) اللهِ إِنِّي لَأَظُنُّ بِكُمْ أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَاسْتَحَرَّ الْمَوْتُ قَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الرَّأْسِ (٧) وَاللهِ إِنَّ امْرَأً يُمَكِّنُ عَدُوَّهُ مِنْ نَفْسِهِ يَعْرُقُ لَحْمَهُ (٨)

---

(١) المألوسة المخلوطة بمس الجنون أى لا تهتدون لفهمه فتعمهون أى تتحيرون وتترددون (٢) سجيس بفتح فكسر كلمة تقال بمعنى أبداً. وسجيس أصله من سجس الماء بمعنى تغير وكدر. وكان أصل الاستعمال ما دامت الليالى بظلامها أى ما دام الليل ليلا . ويقال سجيس لا وجس بفتح الجيم وضمها، وسجيس عجيس كل ذلك بمعنى أبداً أى أنهم ليسوا بثقات عنده يركن اليهم أبداً (٣) الزافرة من البناء ركنه ومن الرجل عشيرته. وقوله يمال بكم أى يمال على العدو بعزكم وقوتكم (٤) السعر أصله مصدر سعر النار من باب نفع أوقدها ، أى لبئس ما توقد به الحرب أنتم. ويقال ان سعر جمع ساعر كشرب جمع شارب وركب جمع راكب (٥) امتعض غضب (٦) غلب مبنى للمجهول. والمتخاذلون الذين يخذل بعضهم بعضا ولا يتناصرون (٧) حمس كفرح اشتد . والوغى الحرب. واستحر بلغ فى النفوس غاية حدته . وقوله انفراج الرأس أى انفراجا لا التئام بعده فان الرأس اذا انفرج عن البدن أو انفرج أحد شقيه عن الآخر لم يعد للالتئام (٨) يأكل لحمه حتى لا يبقى منه شيء على العظم . وفراه يفريه

وَيَهْشِمُ عَظْمَهُ . وَيَفْرِي جِلْدَهُ لَعَظِيمٌ عَجْزُهُ ضَعِيفٌ مَا ضُمَّتْ عَلَيْهِ جَوَانِحُ صَدْرِهِ (١) أَنْتَ فَكُنْ ذَاكَ إِنْ شِئْتَ (٢) فَأَمَّا أَنَا فَوَاللهِ دُونَ أَنْ أُعْطِيَ ذٰلِكَ ضَرْبٌ بِالْمَشْرَفِيَّةِ تَطِيرُ مِنْهُ فَرَاشُ الْهَامِ . وَتَطِيحُ السَّوَاعِدُ وَالْأَقْدَامُ (٣) . وَيَفْعَلُ اللهُ بَعْدَ ذٰلِكَ مَا يَشَاءُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا وَلَكُمْ عَلَيَّ حَقٌّ . فَأَمَّا حَقُّكُمْ عَلَيَّ فَالنَّصِيحَةُ لَكُمْ . وَتَوْفِيرُ فَيْئِكُمْ عَلَيْكُمْ (٤) وَتَعْلِيمُكُمْ كَيْلَا تَجْهَلُوا وَتَأْدِيبُكُمْ كَيْمَا تَعْلَمُوا . وَأَمَّا حَقِّي عَلَيْكُمْ فَالْوَفَاءُ بِالْبَيْعَةِ وَالنَّصِيحَةُ فِي الْمَشْهَدِ وَالْمَغِيبِ . وَالْإِجَابَةُ حِينَ أَدْعُوكُمْ . وَالطَّاعَةُ حِينَ آمُرُكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَعْدَ التَّحْكِيمِ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ وَإِنْ أَتَى الدَّهْرُ بِالْخَطْبِ الْفَادِحِ (٥) وَالْحَدَثِ الْجَلِيلِ .

مزقه يمزقه (١) ما ضمت عليه الجوانح هو القلب وما يتبعه من الأوعية الدموية. والجوانح الضلوع تحت الترائب، والترائب ما يلي الترقوتين من عظام الصدر أوما بين الثديين والترقوتين . يريد ضعيف القلب (٢) يمكن أن يكون خطابا عاما لكل من يمكن عدوه من نفسه . ويروى أنه خطاب للأشعث بن قيس عند ما قال له هلا فعلت فعل ابن عفان فأجابه بقوله ان فعل ابن عفان لمخزاة على من لادين له وان امرءا الخ (٣) أى لا يمكن عدوه من نفسه حتى يكون دون ذلك ضرب بالمشرفية وهى السيوف التى تنسب إلى مشارف وهى قرى من أرض العرب تدنو من الريف ، ولا يقال فى النسبة اليهامشارفى. وفراش الهام العظام الرقيقةالتى تلى القحف. وتطيح السواعد أى تسقط (٤) الفيء الخراج ومايحويه بيت المال (٥) من فدحه الدين أى أثقله . والحدث

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا ٱللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ لَيْسَ مَعَهُ إِلٰهٌ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَعْصِيَةَ ٱلنَّاصِحِ ٱلشَّفِيقِ ٱلْعَالِمِ ٱلْمُجَرِّبِ تُورِثُ ٱلْحَسْرَةَ وَتُعْقِبُ ٱلنَّدَامَةَ . وَقَدْ كُنْتُ أَمَرْتُكُمْ فِي هٰذِهِ ٱلْحُكُومَةِ أَمْرِي وَنَخَلْتُ لَكُمْ مَخْزُونَ رَأْيِي(١) لَوْ كَانَ يُطَاعُ لِقَصِيرٍ أَمْرٌ(٢) فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ ٱلْمُخَالِفِينَ ٱلْجُفَاةِ وَٱلْمُنَابِذِينَ ٱلْعُصَاةِ . حَتَّى ٱرْتَابَ

بالتحريك الحادث (١) الحكومة حكومة الحكمين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى. وذلك بعد ما وقف القتال بين على أمير المؤمنين ومعاوية بن أبى سفيان فى حرب صفين سنة سبع وثلاثين من الهجرة فان جيش معاوية لمارأى أن الدبرة تكون عليه رفعوا المصاحف على الرماح يطلبون رد الحكم الى كتاب الله وكانت الحرب أكلت من الفريقين ،فانخدع القراء وجماعة تتبعوهم من جيش على وقالوا : دعينا إلى كتاب الله ونحن أحق بالاجابة اليه، فقال لهم أمير المؤمنين انها كلمة حق يراد بها باطل انهم ما رفعوها ليرجعوا إلى حكمها انهم يعرفونها ولا يعملون بها ولكنها الخديعة والوهن والمكيدة ، أعيرونى سواعدكم وجماجمكم ساعة واحدة فقد بلغ الحق مقطعه ولم يبق الاأن يقطع دابر الذين ظلموا، فخالفوا واختلفوا، فوضعت الحرب أوزارها وتكلم الناس فى الصلح وتحكيم حكمين يحكمان بما فى كتاب الله فاختار معاوية عمرو بن العاص واختار بعض أصحاب أمير المؤمنين أبا موسى الأشعرى فلم يرض أمير المؤمنين واختار عبدالله بن عباس فلم يرضوا ثم اختار الأشتر النخعى فلم يطيعوا فوافقهم على أبى موسى مكرها بعد أن أعذر فى النصيحة لهم فلم يذعنوا. فقد نخل لهم أى أخلص رأيه فى الحكومة أولا وآخراً ثم انتهى أمر التحكيم بانخداع أبى موسى لعمرو بن العاص وخلعه أمير المؤمنين ومعاوية ثم صعود عمرو بعده واثباته معاوية وخلعه أمير المؤمنين ، وأعقب ذلك ضعف أمير المؤمنين وأصحابه (٢) هو مولى جذيمة المعروف

اَلنَّاصِحُ بِنُصْحِهِ(١) . وَضَنَّ الزَّنْدُ بِقَدْحِهِ فَكُنْتُ وَإِيَّاكُمْ كَمَا قَالَ أَخُو هَوَازِنَ

أَمَرْتُكُمْ أَمْرِي بِمُنْعَرَجِ اللِّوَى
فَلَمْ تَسْتَبِينُوا النُّصْحَ إِلَّا ضُحَى الْغَدِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي تَخْوِيفِ أَهْلِ النَّهْرَوَانِ (٢)

فَأَنَا نَذِيرُكُمْ أَنْ تُصْبِحُوا صَرْعَى بِأَثْنَاءِ هٰذَا النَّهْرِ وَبِأَهْضَامِ هٰذَا

بالابرش وكان حاذقا وكان قد أشار على سيده جذيمة أن لايأمن للزباء ملكة الجزيرة مخالفهوقصدها اجابة لدعوتها الى زواجهفقتلتهفقال قصير «لايطاع لقصير أمر» فذهب مثلا (١) يريد بالناصح نفسه أى أنهم أجمعوا على مخالفته حتى شك فى نصيحته وظن أن النصح غير نصح وأن الصواب ما اجمعوا عليه. وتلك سنة البشر اذا كثر المخالف للصواب اتهم المصيب نفسه. وقوله ضن الزند بقدحه أى أنه لم يعن له بعد ذلك رأى صالح لشدة ما لقى من خلافهم وهكذا المشير الناصح اذا اتهم واستغش عشت بصيرته وفسد رأيه. وأخو هوازن هودريد بن الصمة. ومنعرج اللوى اسم مكان وأصل اللوى من الرمل الجدد بعد الرملة. ومنعرجه منعطفه يمنة ويسرة وفى هذه القصيدة :

فلما عصونى كنت منهم وقد أرى غوايتهم أو أننى غير مهتدى
وما أنا الا من غزية ان غوت غويت وان ترشد غزية أرشد

(٢) النهروان اسم لأسفل نهر بين الخافيق وطرفاء على مقربة من الكوفة فى طرف صحراء حروراء . ويقال لأعلى ذلك النهر تامر ، وكان الذين خرجوا على أمير المؤمنين وخطأوه فى التحكيم قد نقضوا بيعته وجهروا بعداوته وصاروا له حرباواجتمع معظمهم عند ذلك الموضع. وهؤلاء يلقبون بالحرورية لما تقدم أن الأرض التى اجتمعوا

الْغَائِطِ(١) عَلَى غَيْرِ بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا سُلْطَانٍ مُبِينٍ مَعَكُمْ. قَدْ طَوَّحَتْ بِكُمُ الدَّارُ(٢). وَاحْتَبَلَكُمُ الْمِقْدَارُ. وَقَدْ كُنْتُ نَهَيْتُكُمْ عَنْ هٰذِهِ الْحُكُومَةِ فَأَبَيْتُمْ عَلَيَّ إِبَاءَ الْمُخَالِفِينَ الْمُنَابِذِينَ(٣). حَتَّى صَرَفْتُ رَأْيِي إِلَى هَوَاكُمْ. وَأَنْتُمْ مَعَاشِرُ أَخِفَّاءُ الْهَامِ(٤). سُفَهَاءُ الْأَحْلَامِ وَلَمْ آتِ — لَا أَبَا لَكُمْ — بُجْرًا(٥) وَلَا أَرَدْتُ لَكُمْ ضُرًّا

فيها كانت تسمى حروراء وكان رئيس هـذه الفئة الضالة حرقوص بن زهير السعدى ويلقب بذى الثدية (تصغير ثدية) خرج اليهم أمير المؤمنين يعظهم فى الرجوع عن مقالتهم والعودة الى بيعتهم فأجابوا النصيحة برمى السهام وقتال أصحابه كرم الله وجهه فأمر بقتالهم وتقدم القتال بهذا الانذار الذى تراه (١) صرعى جمع صريع أى طريح أى انى احذركم من اللجاج فى العصيان فتصبحوا مقتولين مطروحين بعضكم فى أثناء هذا النهر وبعضكم بأهضام هذا الغائط. والاهضام جمع هضم وهو المطمئن من الوادى. والغائط ما سفل من الأرض والمراد منهـا المنخفضات (٢) أى صرتم فى متاهة ومضلة لا يدع الضـلال لـكم سبيلا الى مستقر من اليقين فأنتم كمن رمت به داره وقذفته ويقال تطاوحت به النوى أى ترامت. وقد يكون المعنى أهلـكتكم دار الدنيا كما اختزناه فى الطبعة الأولى. والمقدار القدر الالهى. واحتبلهم أوقعهم فى حبالته فهم مقيدون للهلاك لا يستطيعون منه خروجا (٣) نهاهم عن اجابة الشـام فى طلب التحكيم بقوله انهم ما رفعوا المصاحف ليرجعوا الى حكمها إلى آخر ماتقدم فى الخطبة السابقة وقد خالفوه بقولهم دعينا الى كتاب الله فنحن أحق بالاجابة اليه بل أغلظوا فى القول حتى قال بعضهم لئن لم تجبهم الى كتاب الله أسلمناك لهم وتخلينا عنك (٤) الهام الرأس. وخفتها كناية عن قلة العقل (٥) البجر بالضم الشر والأمر العظيم والداهيـة. قال الراجز * أرمى عليها وهى شىء بجر * أى داهية. ويقال لقيت منه البجارى وهى الدواهى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَجْرِي مَجْرَى الْخُطْبَةِ (١)

فَقُمْتُ بِالْأَمْرِ حِينَ فَشِلُوا . وَتَطَلَّعْتُ حِينَ تَقَبَّعُوا (٢) وَنَطَقْتُ حِينَ تَعْتَعُوا . وَمَضَيْتُ بِنُورِ اللهِ حِينَ وَقَفُوا . وَكُنْتُ أَخْفَضَهُمْ صَوْتاً (٣) وَأَعْلَاهُمْ فَوْتاً (٤) . فَطِرْتُ بِعِنَانِهَا . وَاسْتَبْدَدْتُ بِرِهَانِهَا (٥) . كَالْجَبَلِ لَا تُحَرِّكُهُ الْقَوَاصِفُ . وَلَا تُزِيلُهُ الْعَوَاصِفُ . لَمْ يَكُنْ لِأَحَدٍ فِيَّ

---

(١) هذا الكلام ساقه الرضى كأنه قطعة واحدة لغرض واحد وليس كذلك، بل هو قطع غير متجاورة كل قطعة منها فى معنى غير ماللأخرى، وهو أربعة فصول: الأول من قوله فقمت بالأمر الى قوله واستبددت برهانها. والفصل الثانى من قوله كالجبل لا تحركه القواصف الى قوله حتى آخذ الحق منه والفصل الثالث من قوله رضينا عن الله قضاءه الى قوله فلا أكون أول من كذب عليه. والفصل الرابع ما بقى (٢) يصف حاله فى خلافة عثمان رضى الله عنه ومقاماته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر أيام الاحداث أى أنه قام بانكار المنكر حين فشل القوم أى جبنهم وخورهم. والتقبع الاختباء والتطلع ضده يقال امرأة طلعة قبعة تطلع ثم تقبع رأسها أى تدخله كما يقبع القنفذ أى يدخل رأسه فى قبعة جلده. وقبع الرجل أدخل رأسه فى قميصه أى أنه ظهر فى اعزاز الحق والتنبيه على مواقع الصواب حين كان يختبىء القوم من الرهبة. ويقال تقبع فلان فى كلامه اذا تردد من عى أو حصر. فقد كان ينطق بالحق ويستقيم به لسانه والقوم يترددون ولا يبينون (٣) كناية عن ثبات الجأش فان رفع الصوت عند المخاوف انما هو من الجزع وقد يكون كناية عن التواضع أيضا (٤) الفوت السبق (٥) هذا الضمير وسابقه يعودان الى الفضيلة المعلومة من الكلام فضيلة الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر. وهو يمثل حاله مع القوم بحال خيل الحلبة. والعنان للفرس معروف. وطار به سبق به. والرهان الجعل الذى وقع التراهن عليه واحدها بجرى مثل قمرى وقمارى

مَهْمَزٌ[1] وَلَا لِقَائِلٍ فِيَّ مَغْمَزٌ . الذَّلِيلُ عِنْدِي عَزِيزٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ لَهُ . وَالْقَوِيُّ عِنْدِي ضَعِيفٌ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُ . رَضِينَا عَنِ اللهِ قَضَاءَهُ وَسَلَّمْنَا لِلهِ أَمْرَهُ[2]. أَتَرَانِي أَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَاللهِ لَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ فَلَا أَكُونُ أَوَّلَ مَنْ كَذَبَ عَلَيْهِ فَنَظَرْتُ فِي أَمْرِي فَإِذَا طَاعَتِي قَدْ سَبَقَتْ بَيْعَتِي وَإِذَا الْمِيثَاقُ فِي عُنُقِي لِغَيْرِي[3] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَإِنَّمَا سُمِّيَتِ الشُّبْهَةُ شُبْهَةً لِأَنَّهَا تُشْبِهُ الْحَقَّ . فَأَمَّا أَوْلِيَاءُ اللهِ فَضِيَاؤُهُمْ فِيهَا الْيَقِينُ . وَدَلِيلُهُمْ سَمْتُ الْهُدَى[4] . وَأَمَّا أَعْدَاءُ اللهِ

(١) الهمز والغمز الوقيعة أي لم يكن فيّ عيب أعاب به. وهذا هو الفصل الثاني يذكر حاله بعد البيعة أي أنه قام بالخلافة كالجبل الخ وقوله الذليل عندي الخ أي أنني أنصر الذليل فيعز بنصري حتى اذا أخذ حقه رجع الى ما كان عليه قبل الانتصار بي . ومثل ذلك يقال فيما بعده (٢) قوله رضينا الخ كلام قاله عندما تفرس في قوم من عسكره أنهم يتهمونه فيما يخبرهم به من أنباء الغيب (٣) قوله فنظرت الخ هذه الجملة قطعة من كلام له في حال نفسه بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بين فيه أنه مأمور بالرفق في طلب حقه فأطاع الأمر في بيعة أبي بكر وعمر وعثمان رضي الله عنهم فبايعهم امتثالا لما أمره النبي به من الرفق وايفاء بما أخذ عليه النبي من الميثاق في ذلك (٤) سمت الهدى طريقته وقوله فما ينجو من الموت الخ لبس ملتئما مع ما قبله فهو قطعة من كلام آخر

فَدُعَاؤُهُمْ فِيهَا ٱلضَّلَالُ وَدَلِيلُهُمُ ٱلْعَمَى . فَمَا يَنْجُو مِنَ ٱلْمَوْتِ مَنْ خَافَهُ وَلَا يُعْطَى ٱلْبَقَاءَ مَنْ أَحَبَّهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

مُنِيتُ بِمَنْ لَا يُطِيعُ إِذَا أَمَرْتُ (١) وَلَا يُجِيبُ إِذَا دَعَوْتُ . لَا أَبَا لَكُمْ مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ رَبَّكُمْ . أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ وَلَا حَمِيَّةٌ تُحْمِشُكُمْ (٢) أَقُومُ فِيكُمْ مُسْتَصْرِخًا وَأُنَادِيكُمْ مُتَغَوِّثًا فَلَا تَسْمَعُونَ لِي قَوْلًا . وَلَا تُطِيعُونَ لِي أَمْرًا . حَتَّى تَكَشَّفَ ٱلْأُمُورُ عَنْ عَوَاقِبِ ٱلْمَسَاءَةِ (٣) فَمَا يُدْرَكُ بِكُمْ ثَارٌ وَلَا يُبْلَغُ بِكُمْ مَرَامٌ . دَعَوْتُكُمْ إِلَى نَصْرِ إِخْوَانِكُمْ فَجَرْجَرْتُمْ جَرْجَرَةَ ٱلْجَمَلِ ٱلْأَسَرِّ . وَتَثَاقَلْتُمْ تَثَاقُلَ ٱلنِّضْوِ ٱلْأَدْبَرِ (٤) ثُمَّ خَرَجَ إِلَيَّ مِنْكُمْ جُنَيْدٌ مُتَذَائِبٌ ضَعِيفٌ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنْظُرُونَ (٥) . (أَقُولُ) قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ضمه الى هذا على نحو ما جمع الفصول المتقدمة (١) منيت بليت (٢) حمشه كنصره جمعه. وحمش القوم ساقهم بغضب. أومن أحمشه بمعنى أغضبه أي تغضبكم على أعدائكم. والمستصرخ المستنصر. ومتغوثا أي قائلا واغوثاه (٣) تكشف مضارع حذف زائده والأصل تتكشف أي تنكشف ، أي انكم لا تزالون تخالفونني وتخذلونني حتى تنجلي الأمور والأحوال عن العواقب التي تسوءنا ولا تسرنا (٤) الجرجرة صوت يردده البعير في حنجرته . والأسر المصاب بداء السرر وهو مرض في الكركرة ينشأ من الدبرة. والنضو المهزول من الأبل. والأدبر المدبور أي المجروح المصاب بالدبرة بالتحريك وهي العقر والجرح من القتب ونحوه (٥) وهذا الكلام خطب به أمير المؤمنين في غارة

مُتَذَائِبٌ أَيْ مُضْطَرِبٌ مِنْ قَوْلِهِمْ تَذَاءَبَتِ الرِّيحُ أَيِ اضْطَرَبَ هُبُوبُهَا. وَمِنْهُ سُمِّيَ الذِّئْبُ ذِئْباً لِاضْطِرَابِ مِشْيَتِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي الْخَوَارِجِ لَمَّا سَمِعَ قَوْلَهُمْ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلّٰهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ. نَعَمْ إِنَّهُ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلّٰهِ. وَلٰكِنْ هٰؤُلَاءِ يَقُولُونَ لَا إِمْرَةَ إِلَّا لِلّٰهِ: وَإِنَّهُ لَا بُدَّ لِلنَّاسِ مِنْ أَمِيرٍ بَرٍّ أَوْ فَاجِرٍ(1) يَعْمَلُ فِي إِمْرَتِهِ الْمُؤْمِنُ. وَيَسْتَمْتِعُ فِيهَا الْكَافِرُ. وَيُبَلِّغُ اللّٰهُ فِيهَا الْأَجَلَ. وَيُجْمَعُ بِهِ الْفَيْءُ، وَيُقَاتَلُ بِهِ الْعَدُوُّ. وَتَأْمَنُ بِهِ السُّبُلُ. وَيُؤْخَذُ بِهِ لِلضَّعِيفِ مِنَ الْقَوِيِّ حَتَّى يَسْتَرِيحَ بِهِ بَرٌّ وَيُسْتَرَاحَ مِنْ فَاجِرٍ (وَفِي رِوَايَةٍ أُخْرَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا سَمِعَ تَحْكِيمَهُمْ قَالَ) حُكْمَ اللّٰهِ أَنْتَظِرُ فِيكُمْ (وَقَالَ) أَمَّا الْإِمْرَةُ الْبَرَّةُ فَيَعْمَلُ فِيهَا التَّقِيُّ. وَأَمَّا الْإِمْرَةُ الْفَاجِرَةُ فَيَتَمَتَّعُ فِيهَا الشَّقِيُّ إِلَى أَنْ تَنْقَطِعَ مُدَّتُهُ وَتُدْرِكَهُ مَنِيَّتُهُ

النعمان بن بشير الانصارى على عين النمر من أعمال أمير المؤمنين وعليها اذ ذاك من قبله مالك بن كعب الارحبى (١) برهان على بطلان زعمهم أنه لا امرة الا لله بان البداهة قاضية أن الناس لابد لهم من أمير بر أو فاجر حتى تستقيم أمورهم وولاية الفاجر لا تمنع المؤمن من عمله لاحراز دينه ودنياه وفيها يستمتع الكافر حتى يوافيه الاجل ويبلغ الله فيها الأمور آجالها المحدودة لها بنظام الخلقة وتجرى سائر المصالح المذكورة، ويمكن أن يكون المراد بالمؤمن هو الأمير البار وبالكافر الأمير الفاجر كما

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ الْوَفَاءَ تَوْأَمُ الصِّدْقِ[1] وَلَا أَعْلَمُ جُنَّةً أَوْقَى مِنْهُ . وَلَا يَغْدِرُ مَنْ عَلِمَ كَيْفَ الْمَرْجِعُ . وَلَقَدْ أَصْبَحْنَا فِي زَمَانٍ قَدِ اتَّخَذَ أَكْثَرُ أَهْلِهِ الْغَدْرَ كَيْساً[2] وَنَسَبَهُمْ أَهْلُ الْجَهْلِ فِيهِ إِلَى حُسْنِ الْحِيلَةِ . مَا لَهُمْ قَاتَلَهُمُ اللهُ قَدْ يَرَى الْحُوَّلُ الْقُلَّبُ وَجْهَ الْحِيلَةِ وَدُونَهُ مَانِعٌ مِنْ أَمْرِ اللهِ وَنَهْيِهِ فَيَدَعُهَا رَأْيَ عَيْنٍ بَعْدَ الْقُدْرَةِ عَلَيْهَا، وَيَنْتَهِزُ فُرْصَتَهَا مَنْ لَا حَرِيجَةَ لَهُ فِي الدِّينِ[3]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَخْوَفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ اثْنَتَانِ : اتِّبَاعُ الْهَوَى ،

تدل عليه الرواية الأخرى وقوله أما الامرة البرة الخ (١) التوأم الذي يولد مع الآخر في حمل واحد، فالصدق والوفاء قرينان في المنشأ لا يسبق أحدهما الآخر في الوجود ولا في المنزلة. والجنة بالضم الوقاية. ومن علم أن مرجعه الى الله وهو سريع الحساب لا يمكن أن يعدل عن الوفاء الى الغدر (٢) الكيس بالفتح العقل وأهل ذلك الزمان يعدون الغدر من العقل وحسن الحيلة كأنهم أهل السياسة من بني زماننا. وأمير المؤمنين يعجب من زعمهم ويقول ما لهم قاتلهم الله يزعمون ذلك مع أن الحول القلب بضم الأول وتشديد الثاني من اللفظين أي البصير بتحويل الأمور وتقليبها قد يرى وجه الحيلة في بلوغ مراده لكنه يجد دون الأخذ به مانعا من أمر الله ونهيه فيدع الحيلة وهو قادر عليها خوفا من الله ووقوفا عند حدوده (٣) الحريجة التحرج

وَطُولُ ٱلْأَمَلِ[1] . فَأَمَّا ٱتِّبَاعُ ٱلْهَوَى فَيَصُدُّ عَنِ ٱلْحَقِّ . وَأَمَّا طُولُ ٱلْأَمَلِ فَيُنْسِي ٱلْآخِرَةَ . أَلَا وَإِنَّ ٱلدُّنْيَا قَدْ وَلَّتْ حَذَّاءَ[2] فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا صُبَابَةٌ[3] كَصُبَابَةِ ٱلْإِنَاءِ ٱصْطَبَّهَا صَابُّهَا . أَلَا وَإِنَّ ٱلْآخِرَةَ قَدْ أَقْبَلَتْ وَلِكُلٍّ مِنْهُمَا بَنُونَ . فَكُونُوا مِنْ أَبْنَاءِ ٱلْآخِرَةِ، وَلَا تَكُونُوا أَبْنَاءَ ٱلدُّنْيَا ، فَإِنَّ كُلَّ وَلَدٍ سَيُلْحَقُ بِأُمِّهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . وَإِنَّ ٱلْيَوْمَ عَمَلٌ وَلَا حِسَابٌ وَغَدًا حِسَابٌ وَلَا عَمَلٌ . (أَقُولُ) ٱلْحَذَّاءُ ٱلسَّرِيعَةُ . وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْوِيهِ جَذَّاءَ[4] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ أَصْحَابُهُ بِٱلْاسْتِعْدَادِ لِلْحَرْبِ بَعْدَ إِرْسَالِهِ جَرِيرَ ٱبْنَ عَبْدِ ٱللهِ ٱلْبَجَلِيَّ إِلَى مُعَاوِيَةَ

إِنَّ ٱسْتِعْدَادِي لِحَرْبِ أَهْلِ ٱلشَّامِ وَجَرِيرٌ عِنْدَهُمْ إِغْلَاقٌ لِلشَّامِ وَصَرْفٌ لِأَهْلِهِ عَنْ خَيْرٍ إِنْ أَرَادُوهُ . وَلَٰكِنْ قَدْ وَقَّتُّ لِجَرِيرٍ وَقْتًا

أى التحرز من الأنام (١) طول الأمل هو استفساح الأجل والتسويف بالعمل طلبا للراحة العاجلة وتسلية للنفس بامكان التدارك فى الأوقات المقبلة، وهذا من اقبح الصفات. أماقوة الأمل فى نجاح الأعمال الصالحة ثقة بالله و يقينا بعونه فهى حياة كل فضيلة وسائقة لكل مجد، والمحرومون منها آيسون من رحمة الله تحسبهم أحياءوهم أموات لا يشعرون (٢) الحذاء بالتشديد الماضية السريعة (٣) الصبابة بالضم البقية من الماء واللبن فى الاناء . واصطبها صابها كقولك أبقاها مبقيها أو تركها تاركها (٤) جذاء

لَا يُقِيمُ بَعْدَهُ إِلَّا مَخْدُوعًا أَوْ عَاصِياً. وَالرَّأْيُ عِنْدِي مَعَ الْأَنَاةِ، فَأَرْوِدُوا وَلَا أَكْرَهُ لَكُمُ الْإِعْدَادَ(١)

وَلَقَدْ ضَرَبْتُ أَنْفَ هٰذَا الْأَمْرِ وَعَيْنَهُ(٢). وَقَلَّبْتُ ظَهْرَهُ وَبَطْنَهُ: فَلَمْ أَرَ لِي إِلَّا الْقِتَالَ أَوِ الْكُفْرَ، إِنَّهُ قَدْ كَانَ عَلَى النَّاسِ وَالٍ أَحْدَثَ أَحْدَاثاً وَأَوْجَدَ لِلنَّاسِ مَقَالًا فَقَالُوا ثُمَّ نَقَمُوا فَغَيَّرُوا(٣).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا هَرَبَ مَصْقَلَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ الشَّيْبَانِيُّ إِلَى مُعَاوِيَةَ وَكَانَ قَدِ ابْتَاعَ سَبْيَ بَنِي نَاجِيَةَ مِنْ عَامِلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالجيم أى مقطوع خيرها ودرها (١) يقول أمير المؤمنين انه أرسل جريراً ليخابر معاوية وأهل الشام فى البيعة له والدخول فى طاعته ولم ينقطع الأمل منهم، فاستعداده للحرب وجمعه الجيوش وسوقها إلى أرضهم اغلاق لأبواب السلم على أهل الشام وصرف لهم عن الخير أن كانوا يريدونه، فالرأى الأناة أى التأنى ولكنه لا يكره الاعداد أى أن يعد كل شخص لنفسه ما يحتاج اليه فى الحرب من سلاح ونحوه ويفرغ نفسه مما يشغله عنها لو قامت حتى إذا دعى اليها لم يبطىء فى الاجابة ولم يجد ما يمنعه عن اقتحامها، وقوله أرودوا أى سيروا برفق (٢) مثل تقوله العرب فى الاستقصاء فى البحث والتأمل والفكر. وانما خص الأنف والعين لأنهما أظهر شىء فى صورة الوجه وهما مستلفت النظر، والمراد من الكفر فى كلامه الفسق لأن ترك القتال تهاون بالنهى عن المنكر وهو فسق لا كفر (٣) يريد من الوالى الخليفة الذى كان قبله، وتلك الأحداث معروفة فى التاريخ وهى التى أدت بالقوم إلى التألب على قتله، ويروى قال بالقاف بدل وال ولا أظنها الا تحريفاً وان كنت أتيت على تفسيرها فى الطبعة الأولى

وَأَعْتَقَهُمْ(١) فَلَمَّا طَالَبَهُ بِالْمَالِ خَاسَ بِهِ وَهَرَبَ إِلَى الشَّامِ(٢)

قَبَّحَ اللهُ مَصْقَلَةَ. فَعَلَ فِعْلَ السَّادَاتِ وَفَرَّ فِرَارَ الْعَبِيدِ. فَمَا أَنْطَقَ مَادِحَهُ حَتَّى أَسْكَتَهُ، وَلَا صَدَّقَ وَاصِفَهُ حَتَّى بَكَّتَهُ. وَلَوْ أَقَامَ لَأَخَذْنَا مَيْسُورَهُ(٣). وَانْتَظَرْنَا بِمَالِهِ وُفُورَهُ(٤)

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَقْنُوطٍ مِنْ رَحْمَتِهِ. وَلَا مَخْلُوٍّ مِنْ نِعْمَتِهِ. وَلَا مَأْيُوسٍ مِنْ مَغْفِرَتِهِ. وَلَا مُسْتَنْكَفٍ عَنْ عِبَادَتِهِ. الَّذِي لَا تَبْرَحُ مِنْهُ رَحْمَةٌ. وَلَا تُفْقَدُ لَهُ نِعْمَةٌ. وَالدُّنْيَا دَارٌ مُنِيَ لَهَا الْفَنَاءُ(٥) وَلِأَهْلِهَا

---

(١) كان الخريت بن راشد الناجى أحد بنى ناجية مع أمير المؤمنين فى صفين ثم نقض عهده بعد صفين ونقم عليه فى التحكيم وخرج يفسد الناس ويدعوهم للخلاف، فبعث اليه أمير المؤمنين كتيبة مع معقل بن قيس الرياحى لقتاله هو ومن انضم اليه فأدركته الكتيبة بسيف البحر بفارس، و بعد دعوته إلى التوبة وابائه قبولها شدت عليه فقتل وقتل معه كثير من قومه وسبى من أدرك فى رحالهم من الرجال والنساء والصبيان فكانوا خمسمائة أسير. ولما رجع معقل بالسبى مر على مصقلة بن هبيرة الشيبانى وكان عاملا لعلى على أردشير خره فبكى اليه النساء والصبيان وتصايح الرجال يستغيثون فى فكاكهم فاشتراهم من معقل بخمسمائة ألف درهم ثم امتنع من أداء المبلغ. ولما ثقلت عليه المطالبة بالحق لحق بمعاوية فراراً تحت أستار الليل (٢) خاس به خان (٣) ميسوره ما تيسر له (٤) وفوره زيادته (٥) منى لها الفناء الفعل للمجهول

مِنْهَا الْجَلَاءُ. وَهِيَ حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ(١) وَقَدْ عَجِلَتْ لِلطَّالِبِ(٢) وَالْتَبَسَتْ بِقَلْبِ النَّاظِرِ. فَارْتَحِلُوا عَنْهَا بِأَحْسَنِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ(٣). وَلَا تَسْأَلُوا فِيهَا فَوْقَ الْكَفَافِ(٤) وَلَا تَطْلُبُوا مِنْهَا أَكْثَرَ مِنَ الْبَلَاغِ(٥)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند عزمه على المسير الى الشام (٦)

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ(٧) وَكَآبَةِ الْمُنْقَلَبِ وَسُوءِ الْمَنْظَرِ فِي الْأَهْلِ وَالْمَالِ. اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ وَأَنْتَ الْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ وَلَا يَجْمَعُهُمَا غَيْرُكَ لِأَنَّ الْمُسْتَخْلَفَ لَا يَكُونُ مُسْتَصْحَباً وَالْمُسْتَصْحَبُ لَا يَكُونُ مُسْتَخْلَفاً

---

(١) تمثيل لها بما يألفه الذوق وبروق النظر (٢) عجلت للطالب أسرعت اليه، والتبست بقلب الناظر اختلطت به محبة وعلقة (٣) أحسن ما بحضرتكم أى أفضل الأشياء الحاضرة عندكم، وذلك فاضل الأخلاق وصالح الأعمال (٤) الكفاف ما يكفك أى يمنعك عن سؤال غيرك وهو مقدار القوت (٥) البلاغ ما يتبلغ به أى يقتات به (٦) وذلك بعد حرب الجمل حيث اختلف عليه معاوية بن أبى سفيان ولم يدخل فى بيعته وقام للمطالبة بدم عثمان واستهوى أهل الشام واستنصرهم لرأيه فعززوه على الخلاف، وسار اليه أمير المؤمنين والتقيا بصفين واقتتلا مدة غير قصيرة وانتهى القتال بتحكيم الحكمين عمرو بن العاص وأبى موسى الأشعرى (٧) الوعثاء المشقة، والكآبة الحزن، والمنقلب مصدر بمعنى الرجوع. وأول الكلام مروى، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الكتب الصحيحة

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ذِكْرِ ٱلْكُوفَةِ

كَأَنِّي بِكِ يَا كُوفَةُ تُمَدِّينَ مَدَّ ٱلْأَدِيمِ ٱلْعُكَاظِيِّ[1] تُعْرَكِينَ بِالنَّوَازِلِ وَتُرْكَبِينَ بِالزَّلَازِلِ . وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّهُ مَا أَرَادَ بِكِ جَبَّارٌ سُوءاً إِلَّا ٱبْتَلَاهُ ٱللَّهُ بِشَاغِلٍ وَرَمَاهُ بِقَاتِلٍ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عِنْدَ ٱلْمَسِيرِ إِلَى ٱلشَّامِ)

الْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا وَقَبَ لَيْلٌ وَغَسَقَ[2] وَالْحَمْدُ لِلَّهِ كُلَّمَا لَاحَ نَجْمٌ وَخَفَقَ[3] . وَالْحَمْدُ لِلَّهِ غَيْرَ مَفْقُودِ ٱلْإِنْعَامِ وَلَا مُكَافَإِ ٱلْإِفْضَالِ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ مُقَدِّمَتِي[4] . وَأَمَرْتُهُمْ بِلُزُومِ هٰذَا ٱلْمِلْطَاطِ حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرِي . وَقَدْ أَرَدْتُ أَنْ أَقْطَعَ هٰذِهِ ٱلنُّطْفَةَ إِلَى شِرْذِمَةٍ

وأتمه أمير المؤمنين بقوله ولا يجمعهما غيرك الخ . وذات الله تستوى عندها الأمكنة كما تستوى الأزمنة ، فالحضر والسفر عندها سواء ، وليس هذا الشأن لغير الذات الأقدس (١) العكاظي نسبة الى عكاظ كغراب وهو سوق كانت تقيمه العرب في صحراء بين نخلة والطائف يجتمعون اليه من بداية شهر ذي القعدة ليتعاكظوا أي يتفاخروا كل بما لديه من فضيلة وأدب . ويستمر الى عشرين عاماً وليتبايعوا أيضاً . وأكثر ما كان يباع بتلك السوق الأديم فنسب اليها، والأديم الجلد المدبوغ ،وجمعه أدم بفتحتين وضمتين، وآأدمة كأرغفة. وقوله تمدين الخ تصوير لما ينالها من العسف والخبط ، وتعركين من عركتهم الحرب اذا مارستهم ، والنوازل الشدائد ، والزلازل المزعجات من الخطوب (٢) وقب دخل ، وغسق اشتدت ظلمته (٣) خفق النجم غاب ، ولاح ظهر (٤) أراد بمقدمته صدر جيشه ، ومقدمة الانسان بفتح الدال

مِنْكُمْ مُوطِنِينَ أَكْنَافَ دَجْلَةَ (١) فَأُنْهِضَهُمْ مَعَكُمْ إِلَى عَدُوِّكُمْ وَأَجْعَلَهُمْ مِنْ أَمْدَادِ الْقُوَّةِ لَكُمْ (٢). (أَقُولُ يَعْنِي عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْمِلْطَاطِ هَاهُنَا السَّمْتَ الَّذِي أَمَرَهُمْ بِلُزُومِهِ وَهُوَ شَاطِئُ الْفُرَاتِ. وَيُقَالُ ذٰلِكَ أَيْضًا لِشَاطِئِ الْبَحْرِ، وَأَصْلُهُ مَا اسْتَوَى مِنَ الْأَرْضِ. وَيَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ الْفُرَاتِ. وَهُوَ مِنْ غَرِيبِ الْعِبَارَاتِ وَعَجِيبِهَا)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي بَطَنَ خَفِيَّاتِ الْأُمُورِ (٣). وَدَلَّتْ عَلَيْهِ أَعْلَامُ الظُّهُورِ. وَامْتَنَعَ عَلَى عَيْنِ الْبَصِيرِ. فَلَا عَيْنُ مَنْ لَمْ يَرَهُ تُنْكِرُهُ. وَلَا قَلْبُ مَنْ أَثْبَتَهُ يُبْصِرُهُ (٤). سَبَقَ فِي الْعُلُوِّ فَلَا شَيْءَ أَعْلَى مِنْهُ. وَقَرُبَ فِي الدُّنُوِّ

صدره، والملطاط حافة الوادي وشفيره، وساحل البحر، والسمت أي الطريق، وقول الشريف يعني بالملطاط السمت تبيين لمراد أمير المؤمنين من لفظ الملطاط في كلامه لا تفسير اللفظ في نفسه، وقوله وهو شاطىء الفرات بيان للسمت أي الطريق، وقوله ويقال ذلك — أي لفظ الملطاط — تفسير للفظ الملطاط في استعمال اللغويين، فاندفع بهذا ما أورده ابن أبي الحديد على عبارته من أنها خالية من المعنى (١) الشرذمة النفر القليلون، والأكناف الجوانب. وموطنين الأكناف أي جعلوها وطنا. يقال أوطنت البقعة (٢) الامداد جمع مدد وهو ما يمد به الجيش لتقويته. وهذه الخطبة نطق بها أمير المؤمنين وهو بالنخيلة خارجا من الكوفة الى صفين لخمس بقين من شوال سنة سبع وثلاثين (٣) بطن الخفيات علمها، والاعلام جمع علم بالتحريك وهو المنار يهتدى به ثم عم في كل ما دل على شيء، وأعلام الظهور الأدلة الظاهرة التي بظهورها يظهر غيرها (٤) كان الأليق بعد قوله وامتنع على عين البصير ما جاء في رواية أخرى وهو

فَلاَ شَيْءَ أَقْرَبُ مِنْهُ(١). فَلاَ اسْتِعْلاَؤُهُ بَاعَدَهُ عَنْ شَيْءٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَلاَ قُرْبُهُ سَاوَاهُمْ فِي الْمَكَانِ بِهِ . لَمْ يُطْلِعِ الْعُقُولَ عَلَى تَحْدِيدِ صِفَتِهِ . وَلَمْ يَحْجُبْهَا عَنْ وَاجِبِ مَعْرِفَتِهِ . فَهُوَ الَّذِي تَشْهَدُ لَهُ أَعْلاَمُ الْوُجُودِ . عَلَى إِقْرَارِ قَلْبِ ذِي الْجُحُودِ(٢) تَعَالَى اللهُ عَمَّا يَقُولُ الْمُشَبِّهُونَ بِهِ وَالْجَاحِدُونَ لَهُ عُلُوًّا كَبِيرًا

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

إِنَّمَا بَدْءُ وُقُوعِ الْفِتَنِ أَهْوَاءٌ تُتَّبَعُ . وَأَحْكَامٌ تُبْتَدَعُ . يُخَالَفُ فِيهَا كِتَابُ اللهِ . وَيَتَوَلَّى عَلَيْهَا رِجَالٌ رِجَالاً(٣) عَلَى غَيْرِ دِينِ اللهِ . فَلَوْ أَنَّ الْبَاطِلَ خَلَصَ مِنْ مِزَاجِ الْحَقِّ لَمْ يَخْفَ عَلَى الْمُرْتَادِينَ . وَلَوْ أَنَّ الْحَقَّ خَلَصَ مِنْ لَبْسِ الْبَاطِلِ لاَنْقَطَعَتْ عَنْهُ أَلْسُنُ الْمُعَانِدِينَ(٤) وَلَكِنْ

فلا قلب من لم يره ينكره، ولا عين من أثبته تبصره. وما جاء فى الكتاب معناه أن من لم يره لا ينكره اعتمادا على عدم رؤيته لظهور الأدلة عليه. ومن أثبته لا يستطيع اكتناه حقيقته (١) علا كل شيء بذاته وكماله وجلاله وقرب من كل شيء بعلمه وارادته واحاطته وعنايته فلا شيء الا وهو منه فأى شيء يبعد عنه (٢) ان قلب الجاحد أن انكره فا انكاره الا افتعال مما عرض عليه من أثر الفواعل الخارجة عن فطرته. وظهور اعلام الوجود فى الدلالة عليه لا يقوى على مدافعة تأثيره قلب الجاحد . فلا مناص له من الاقرار فى الواقع وان ظهر الجحود فى كلامه و بعض أعماله (٣) يستعين عليها رجال برجال (٤) المرتادين الطالبين للحقيقة أى لو كان الحق خالصاً من ممازجة

يُؤْخَذُ مِنْ هٰذَا ضِغْثٌ وَمِنْ هٰذَا ضِغْثٌ(١) فَيُمْزَجَانِ، فَهُنَالِكَ يَسْتَوْلِي الشَّيْطَانُ عَلَى أَوْلِيَائِهِ وَيَنْجُو الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَ اللهِ الْحُسْنَى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا غَلَبَ أَصْحَابُ مُعَاوِيَةَ أَصْحَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى شَرِيعَةِ الْفُرَاتِ بِصِفِّينَ وَمَنَعُوهُمْ مِنَ الْمَاءِ(٢)

قَدِ اسْتَطْعَمُوكُمُ الْقِتَالَ(٣) فَأَقِرُّوا عَلَى مَذَلَّةٍ. وَتَأْخِيرِ مَحَلَّةٍ. أَوْ رَوُّوا السُّيُوفَ مِنَ الدِّمَاءِ تَرْوَوْا مِنَ الْمَاءِ. فَالْمَوْتُ فِي حَيَاتِكُمْ مَقْهُورِينَ. وَالْحَيَاةُ فِي مَوْتِكُمْ قَاهِرِينَ. أَلَا وَإِنَّ مُعَاوِيَةَ قَادَ لُمَةً مِنَ الْغُوَاةِ(٤). وَعَمَّسَ عَلَيْهِمُ الْخَبَرَ(٥) حَتَّى جَعَلُوا نُحُورَهُمْ أَغْرَاضَ الْمَنِيَّةِ

الباطل ومشابهته لكان ظاهرا لا يخلو على من طلبه (١) الضغث بالكسر قبضة من حشيش مختلط فيها الرطب باليابس، يريد أنه ان أخذ الحق من وجه لم يعدم شبيها له من الباطل يلتبس به. وان نظر الى الباطل لاح كأن عليه صورة الحق فاشتبه به، فذلك ضغث الحق وهذا ضغث الباطل. ومصادر الاهواء التى ينشأ عنها وقوع الفتن انما هى من الالتباس الواقع بين الحق والباطل (٢) الشريعة مورد الشاربة من النهر (٣) طلبوا منكم أن تطعموهم القتال كما يقال فلان يستطعمنى الحديث أى يستدعيه منى. وقوله فقروا الخ أى امان تثبتوا على الذل وتأخر المنزلة، واما أن ترووا سيوفكم الخ (٤) اللمة بضم اللام وتشديد الميم الاصحاب فى السفر، و بتخفيفها الجملة القليلة مطلقا، أو من الثلاثة الى العشرة. والتقليل مستفاد من الأول بطريق الكناية، ومن الثانى على الحقيقه الصريحة. وفى الأول الاشارة إلى انهم ليسوا بأهل حرب (٥) عمس الكتاب والخبر كنصر اخفاه. وعمست عليه اذا أريته أنك لاتعرف الأمر

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (*)

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا قَدْ تَصَرَّمَتْ وَآذَنَتْ بِوَدَاعٍ وَتَنَكَّرَ مَعْرُوفُهَا. وَأَدْبَرَتْ حَذَّاءَ(١) فَهِيَ تَحْفِزُ بِالْفَنَاءِ سُكَّانَهَا(٢) وَتَحْدُرُ بِالْمَوْتِ جِيرَانَهَا(٣) وَقَدْ أَمَرَّ مِنْهَا مَا كَانَ حُلْوًا. وَكَدِرَ مِنْهَا مَا كَانَ صَفْوًا(٤). فَلَمْ يَبْقَ مِنْهَا إِلَّا سَمَلَةٌ كَسَمَلَةِ الْإِدَاوَةِ(٥). أَوْ جُرْعَةٌ كَجُرْعَةِ الْمَقْلَةِ، لَوْ تَمَزَّزَهَا الصَّدْيَانُ لَمْ يَنْقَعْ(٦). فَأَزْمِعُوا عِبَادَ اللهِ الرَّحِيلَ عَنْ هٰذِهِ الدَّارِ الْمَقْدُورِ عَلَى أَهْلِهَا الزَّوَالُ(٧). وَلَا يَغْلِبَنَّكُمْ فِيهَا الْأَمَلُ وَلَا يَطُولَنَّ عَلَيْكُمُ

وأنت به عارف ، والاغراض جمع غرض وهو الهدف (١) حذاء: مسرعة. ورحم حذاء مقطوعة غير موصولة . وفى رواية جذاء بالجيم أى مقطوعة الدر والخير (٢) تحفزهم تدفعهم وتسوقهم، حفزه يحفزه دفعه من خلفه. أو هو بمعنى تطعنهم من حفزه بالرمح طعنه (٣) تحدر بالراء من باب نصر وضرب أى تحوطهم بالموت . وفى رواية وهى الصحيحة تحدو بالواو بعد الدال أى تسوقهم بالموت إلى الهلاك فتكون الفقرة فى معنى ما قبلها مؤكدة لها (٤) أمرّ الشيء صار مراً . وكدر كفرح كدراً وكظرف كدورة تعكر وتغير لونه واختلط بما لا يساغ هو معه (٥) السملة محركة بقية الماء فى الحوض . والاداوة المطهرة (اناء الماء الذى يتطهر به) والمقلة بالفتح حصاة يضعها المسافرون فى اناء ثم يصبون الماء فيه ليغمرها فيتناول كل منهم مقدار ما يغمرها لا يزيد أحدهم عن الآخر فى نصيبه، يفعلون ذلك إذا قل الماء وأرادوا قسمته بالسوية (٦) التمزز الامتصاص قليلا قليلا ، والصديان العطشان وقوله لم ينقع أى لم يرو (٧) فأزمعوا الرحيل أى عزموا عليه . يقال ازمع الأمر ولا يقال ازمع عليه، وجوزه الفراء بمعنى عزم عليه وأجمع .

(*) فى نسخة زيادة : «قد تقدم مختارها برواية ونذكرها هاهنا برواية أخرى لتغاير الروايتين»

ٱلْأَمَدُ . فَوَٱللهِ لَوْ حَنَنْتُمْ حَنِينَ ٱلْوُلْهِ ٱلْعِجَالِ[١] . وَدَعَوْتُمْ بِهَدِيلِ ٱلْحَمَامِ[٢] وَجَأَرْتُمْ جُؤَارَ مُتَبَتِّلِ ٱلرُّهْبَانِ[٣] . وَخَرَجْتُمْ إِلَى ٱللهِ مِنَ ٱلْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ ٱلْتِمَاسَ ٱلْقُرْبَةِ إِلَيْهِ فِي ٱرْتِفَاعِ دَرَجَةٍ عِنْدَهُ أَوْ غُفْرَانِ سَيِّئَةٍ أَحْصَتْهَا كُتُبُهُ ، وَحَفِظَهَا رُسُلُهُ[٤] ، لَكَانَ قَلِيلًا فِيمَا أَرْجُو لَكُمْ مِنْ ثَوَابِهِ وَأَخَافُ عَلَيْكُمْ مِنْ عِقَابِهِ ، وَٱللهِ لَوِ ٱنْمَاثَتْ قُلُوبُكُمُ ٱنْمِيَاثًا[٥] وَسَالَتْ عُيُونُكُمْ مِنْ رَغْبَةٍ إِلَيْهِ أَوْ رَهْبَةٍ مِنْهُ دَمًا ، ثُمَّ عُمِّرْتُمْ فِي ٱلدُّنْيَا مَا ٱلدُّنْيَا بَاقِيَةٌ[٦] مَا جَزَتْ أَعْمَالُكُمْ — وَلَوْ لَمْ تُبْقُوا شَيْئًا مِنْ جَهْدِكُمْ — أَنْعُمَهُ عَلَيْكُمُ ٱلْعِظَامَ وَهُدَاهُ إِيَّاكُمْ لِلْإِيمَانِ[٧]

فِي ذِكْرِ يَوْمِ ٱلنَّحْرِ وَصِفَةِ ٱلْأُضْحِيَةِ

وَمِنْ كَمَالِ ٱلْأُضْحِيَةِ ٱسْتِشْرَافُ أُذُنِهَا[٨] وَسَلَامَةُ عَيْنِهَا . فَإِذَا سَلِمَتِ

---

(١) كل انثى فقدت ولدها فهى واله والهة.والعجول من الابل التى فقدت ولدها (٢) هديل الحمام صوته فى بكائه لفقد الفه (٣) جأرتم رفعتم أصواتكم . والجؤار الصوت المرتفع ، أى تضرعتم الى الله بأرفع اصواتكم كما يفعل الراهب المتبتل. والمتبتل المنقطع للعبادة (٤) المراد من الرسل هنا الملائكة الموكلون بحفظ أعمال العباد (٥) انماثت ذابت (٦) ما الدنيا باقية أى مدة بقائها (٧) قوله ماجزت جواب لو انماثت. وقوله أنعمه عليكم العظام مفعول جزت أى ما كافأ ذلك أنعمه الكبار عليكم . وقوله ولو لم تبقوا شيئا الخ اعتراض بين الفاعل والمفعول لبيان غاية النفى فى الجواب . وقوله وهداه اياكم عطف على أنعمه عطف الخاص على العام ، فان الهداية إلى الايمان من اكبر النعم (٨) الاضحية الشاة التى والمراد من العزم على الرحيل مراعاته والعمل له

ٱلْأُذُنُ وَٱلْعَيْنُ سَلِمَتِ ٱلْأُضْحِيَةُ وَتَمَّتْ . وَلَوْ كَانَتْ عَضْبَاءَ ٱلْقَرْنِ[١] تَجُرُّ رِجْلَهَا إِلَى ٱلْمَنْسَكِ[٢] (قَالَ ٱلرَّضِي وَٱلْمَنْسَكُ هُنَا ٱلْمَذْبَحُ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فَتَدَاكُّوا عَلَيَّ تَدَاكَّ ٱلْإِبِلِ ٱلْهِيمِ يَوْمَ وِرْدِهَا[٣] قَدْ أَرْسَلَهَا رَاعِيهَا وَخُلِعَتْ مَثَانِيهَا[٤] حَتَّى ظَنَنْتُ أَنَّهُمْ قَاتِلِيَّ أَوْ بَعْضَهُمْ قَاتِلُ بَعْضٍ لَدَيَّ. وَقَدْ قَلَّبْتُ هٰذَا ٱلْأَمْرَ بَطْنَهُ وَظَهْرَهُ . فَمَا وَجَدْتُنِي يَسَعُنِي إِلَّا قِتَالُهُمْ أَوِ ٱلْجُحُودُ بِمَا جَاءَنِي بِهِ مُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ[٥] فَكَانَتْ مُعَالَجَةُ ٱلْقِتَالِ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مُعَالَجَةِ ٱلْعِقَابِ. وَمَوْتَاتُ ٱلدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَيَّ مِنْ مَوْتَاتِ ٱلْآخِرَةِ

طلب الشارع ذبحها بعد شروق الشمس من عيد الأضحى ، واستشراف الأذن تفقدها حتى لا تكون مجدوعة أو مشقوقة. وفى الحديث أمرنا أن نستشرف العين والأذن أى نتفقدها وذلك من كمال الأضحية أى من كمال عملها وتأدية سنتها، وتكون سلامة عينها عطفا على اذنها . وقد يراد من استشراف الأذن طولها وانتصابها. أذن شرفاء أى منتصبة طويلة فسلامة عينها عطف على استشرافها والتفسير الأول أمس بقوله فاذا سلمت الاذن (١) عضباء القرن مكسورته (٢) تجر رجلها الى المنسك أى عرجا . والمنسك المذبح . وفى صفات الاضحية وعيوبها المخلة بها تفصيل وخلافات تطلب من كتب الفقه (٣) تداكوا تزاحموا عليه ليبايعوه رغبة فيه. والهيم العطاش . و يوم وردها يوم شربها (٤) جمع المثناة بفتح الميم وكسرها حبل من صوف أو شعر يعقل به البعير (٥) قتال البغاة من الواجب على الامام ، فان لم يقاتلهم على قدرة منه كان منابذا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدِ اسْتَبْطَأَ أَصْحَابُهُ إِذْنَهُ لَهُمْ فِي الْقِتَالِ بِصِفِّينَ

أَمَّا قَوْلُكُمْ أَ كُلَّ ذٰلِكَ كَرَاهِيَةَ الْمَوْتِ فَوَاللّٰهِ مَا أُبَالِي أَدَخَلْتُ إِلَى الْمَوْتِ أَوْ خَرَجَ الْمَوْتُ إِلَيَّ[1]. وَأَمَّا قَوْلُكُمْ شَكًّا فِي أَهْلِ الشَّامِ فَوَاللّٰهِ مَا دَفَعْتُ الْحَرْبَ يَوْمًا إِلَّا وَأَنَا أَطْمَعُ أَنْ تَلْحَقَ بِي طَائِفَةٌ فَتَهْتَدِيَ بِي وَتَعْشُوَ إِلَى ضَوْئِي، وَذٰلِكَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَقْتُلَهَا عَلَى ضَلَالِهَا وَإِنْ كَانَتْ تَبُوءُ بِآثَامِهَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَقْتُلُ آبَاءَنَا وَأَبْنَاءَنَا وَإِخْوَانَنَا وَأَعْمَامَنَا. مَا يَزِيدُنَا ذٰلِكَ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا وَمُضِيًّا عَلَى اللَّقَمِ[2]

لأمر الله فى ترك ما أوجبه عليه فكأنه جاحد لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم

(١) روى أن أمير المؤمنين بعدما ملك الماء على أصحاب معاوية ساهمهم فيه رجاء أن يعطفوا اليه، ولزوما للمعدلة وحسن السيرة، ومكث أياما لا يرسل إلى معاوية ولا يأتيه منه شيء، واستبطأ الناس اذنه فى قتال أهل الشام. واختلفوا فى سبب التريث فقال بعضهم كراهة الموت، وقال بعضهم الشك فى جواز قتال أهل الشام، فأجابهم: أما الموت لم يكن ليبالى به؛ وأما الشك فلا موضع له وانما يرجو بدفع الحرب أن يتجاوزوا اليه بلا قتال فان ذلك أحب اليه من القتال على الضلال وان كان الاثم عليهم. وتبوء بآثامها ترجع بها. وتعشو إلى ضوئه تستدل عليه وان كان ببصر ضعيف فى ظلام الفتن فتهتدى اليه. عشا إلى النار أبصرها ليلا ببصر ضعيف فقصدها (٢) اللقم بالتحريك معظم الطريق

وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ ٱلْأَلَمِ وَجِدًّا فِي جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ . وَلَقَدْ كَانَ ٱلرَّجُلُ مِنَّا وَٱلْآخَرُ مِنْ عَدُوِّنَا يَتَصَاوَلَانِ تَصَاوُلَ ٱلْفَحْلَيْنِ . يَتَخَالَسَانِ أَنْفُسَهُمَا[1] أَيُّهُمَا يَسْقِي صَاحِبَهُ كَأْسَ ٱلْمَنُونِ . فَمَرَّةً لَنَا مِنْ عَدُوِّنَا . وَمَرَّةً لِعَدُوِّنَا مِنَّا . فَلَمَّا رَأَى ٱللهُ صِدْقَنَا أَنْزَلَ بِعَدُوِّنَا ٱلْكَبْتَ[2] وَأَنْزَلَ عَلَيْنَا ٱلنَّصْرَ حَتَّى ٱسْتَقَرَّ ٱلْإِسْلَامُ مُلْقِيًا جِرَانَهُ[3] . وَمُتَبَوِّئًا أَوْطَانَهُ . وَلَعَمْرِي لَوْ كُنَّا نَأْتِي مَا أَتَيْتُمْ مَا قَامَ لِلدِّينِ عَمُودٌ . وَلَا ٱخْضَرَّ لِلْإِيمَانِ عُودٌ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَتَحْتَلِبُنَّهَا دَمًا[4]، وَلَتُتْبِعُنَّهَا نَدَمًا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ

أَمَا إِنَّهُ سَيَظْهَرُ عَلَيْكُمْ بَعْدِي رَجُلٌ رَحْبُ ٱلْبُلْعُومِ مُنْدَحِقُ ٱلْبَطْنِ[5]

أو جادته. ومضض الألم لذعته وبرحاؤه (١) يتخالسان كل يطلب اختلاس روح الآخر. والتصاول أن يحمل كل قرن على قرنه (٢) الكبت الذل والخذلان (٣) جران البعير بالكسر مقدم عنقه من مذبحه إلى منحره. والقاء الجران كناية عن التمكن (٤) الاحتلاب استخراج ما فى الضرع من اللبن. والضمير المنصوب يعود إلى أعمالهم المفهومة من قوله ما أتيتم. واحتلاب الدم تمثيل لاجترارهم على أنفسهم سوء العاقبة من أعمالهم، وسيتبعون تلك الأعمال بالندم عند ما تصيبهم دائرة السوء أو تحل قريبا من دارهم (٥) مندحق البطن عظيم البطن بارزه كأنه لعظمه مندلق من بدنه يكاد يبين عنه. واصل اندحق بمعنى اندلق وفى الرحم خاصة، والدحوق من النوق التى يخرج رحمها عند الولادة. ورحب البلعوم واسعه. يقال عنى به زياداً. وبعضهم يقول عنى المغيرة

يَأْكُلُ مَا يَجِدُ وَيَطْلُبُ مَالَا يَجِدُ . فَاقْتُلُوهُ وَلَنْ تَقْتُلُوهُ[1] . أَلَا وَإِنَّهُ سَيَأْمُرُكُمْ بِسَبِّي وَالْبَرَاءَةِ مِنِّي . فَأَمَّا السَّبُّ فَسُبُّونِي فَإِنَّهُ لِي زَكَاةٌ وَلَكُمْ نَجَاةٌ . وَأَمَّا الْبَرَاءَةُ فَلَا تَتَبَرَّأُوا مِنِّي فَإِنِّي وُلِدْتُ عَلَى الْفِطْرَةِ ، وَسَبَقْتُ إِلَى الْإِيمَانِ وَالْهِجْرَةِ[2]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلم به الخوارج

أَصَابَكُمْ حَاصِبٌ[4] وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ . أَبَعْدَ إِيمَانِي بِاللهِ وَجِهَادِي مَعَ رَسُولِ اللهِ أَشْهَدُ عَلَى نَفْسِي بِالْكُفْرِ . لَقَدْ ضَلَلْتُ إِذًا وَمَا أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ . فَأُوبُوا شَرَّ مَآبٍ . وَارْجِعُوا عَلَى أَثَرِ الْأَعْقَابِ . أَمَا إِنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي ذُلًّا شَامِلًا . وَسَيْفًا قَاطِعًا . وَأَثَرَةً يَتَّخِذُهَا الظَّالِمُونَ فِيكُمْ سُنَّةً[5]

ابن شعبة والبعض يقول معاوية (١) هـذا الأمر (٢) قد تسب شخصاً وأنت مكره وحبه مستبطن فتنجو من شر من أكرهك . وما أكرهك على سبه الا مستعظم لأمره يريد أن يحط منه وذلك زكاة للمسبوب . أما البراءة من شخص فهي الانسلاخ من مذهبه (٣) زعم الخوارج خطأ الامام في التحكيم ، وغلوا فشرطوا في العودة إلى طاعته أن يعترف بانه كان كفر ثم آمن ، فخاطبهم بما منه هـذا الكلام (٤) الحاصب ريح شديدة تحمل الحصباء والجملة دعاء عليهم بالهلاك (٥) أو بوا شر مآب : انقلبوا شر منقلب بضلالكم في زعمكم ، وارتدوا على اعقابكم بفساد هواكم فلن يضرني ذلك

(قَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) وَلَا بَقِيَ مِنْكُمْ آبِرٌ يُرْوَى بِالْبَاءِ وَٱلرَّاءِ مِنْ قَوْلِهِمْ رَجُلٌ آبِرٌ لِلَّذِي يَأْبُرُ ٱلنَّخْلَ أَيْ يُصْلِحُهُ. وَيُرْوَى آثِرٌ وَهُوَ ٱلَّذِي يَأْثِرُ ٱلْحَدِيثَ أَيْ يَرْوِيهِ وَيَحْكِيهِ، وَهُوَ أَصَحُّ ٱلْوُجُوهِ عِنْدِي. كَأَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَ (لَا بَقِيَ مِنْكُمْ مُخَبِّرٌ). وَيُرْوَى آبِزٌ بِالزَّايِ ٱلْمُعْجَمَةِ وَهُوَ ٱلْوَاثِبُ. وَٱلْهَالِكُ أَيْضًا يُقَالُ لَهُ آبِزٌ)

قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا عَزَمَ عَلَى حَرْبِ ٱلْخَوَارِجِ وَقِيلَ لَهُ إِنَّهُمْ قَدْ عَبَرُوا جِسْرَ ٱلنَّهْرَوَانِ

مَصَارِعُهُمْ دُونَ ٱلنُّطْفَةِ. وَٱللهِ لَا يُفْلِتُ مِنْهُمْ عَشَرَةٌ[1] وَلَا يَهْلِكُ مِنْكُمْ عَشَرَةٌ. (يَعْنِي بِالنُّطْفَةِ مَاءَ ٱلنَّهْرِ وَهُوَ أَفْصَحُ كِنَايَةٍ عَنِ ٱلْمَاءِ وَإِنْ كَانَ كَثِيرًا جَمًّا)

وَلَمَّا قُتِلَ ٱلْخَوَارِجُ فَقِيلَ لَهُ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ هَلَكَ ٱلْقَوْمُ بِأَجْمَعِهِمْ (قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) كَلَّا وَٱللهِ إِنَّهُمْ نُطَفٌ فِي أَصْلَابِ ٱلرِّجَالِ وَقَرَارَاتِ ٱلنِّسَاءِ[2]. كُلَّمَا نَجَمَ مِنْهُمْ قَرْنٌ قُطِعَ حَتَّى يَكُونَ آخِرُهُمْ

شيئا وأنا على بصيرة فى أمرى. ثم انذرهم بما سيلاقون من سوء المنقلب والأثرة والاستبداد فيهم والاختصاص بفوائد الملك دونهم وحرمانهم من كل حق لهم (١) أنه ما نجا منهم الا تسعة تفرقوا فى البلاد، وما قتل من أصحاب أمير المؤمنين الا ثمانية (٢) قرارات النساء كناية عن الأرحام ، وكلما نجا منهم قرن : أى كلما ظهر وطلع منهم

لُصُوصًا سَلَّابِينَ. (وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ) لَا تَقْتُلُوا الْخَوَارِجَ بَعْدِي فَلَيْسَ مَنْ طَلَبَ الْحَقَّ فَأَخْطَأَهُ كَمَنْ طَلَبَ الْبَاطِلَ فَأَدْرَكَهُ. (يَعْنِي مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابَهُ[1])

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا خُوِّفَ مِنَ الْغِيلَةِ[2]

وَإِنَّ عَلَيَّ مِنَ اللهِ جُنَّةً حَصِينَةً[3]، فَإِذَا جَاءَ يَوْمِي انْفَرَجَتْ عَنِّي وَأَسْلَمَتْنِي، فَحِينَئِذٍ لَا يَطِيشُ السَّهْمُ وَلَا يَبْرَأُ الْكَلْمُ[4]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَلَا وَإِنَّ الدُّنْيَا دَارٌ لَا يُسْلَمُ مِنْهَا إِلَّا فِيهَا[5]. وَلَا يُنْجَى بِشَيْءٍ

رئيس قتل حتى ينتهى أمرهم إلى أن يكونوا لصوصا سلابين لا يقومون بملك ولا ينتصرون إلى مذهب ولا يدعون الى عقيدة شأن الأشرار الصعاليك الجهلة (١) الخوارج من بعده وان كانوا قد ضلوا بسوء عقيدتهم فيه الا أن ضلالهم لشبهة تمكنت من نفوسهم فاعتقدوا الخروج عن طاعة الامام مما يوجبه الدين عليهم. فقد طلبوا حقا وتقريره شرعا فأخطأوا الصواب فيه، لكنهم بعد أمير المؤمنين يخرجون بزعمهم هذا على من غلب على الأمرة بغير حق وهم الملوك الذين طلبوا الخلافة باطلا فأدركوها وليسوا من أهلها. فالخوارج على ما بهم أحسن حالا منهم (٢) الغيلة القتل على غرة بغير شعور من المقتول كيف يأتيه القاتل (٣) جنة بالضم وقاية (٤) الكلم بالفتح الجرح (٥) أى من أراد السلامة من محنتها فليهيئ وسائل النجاة وهو فيها

كَانَ لَهَا[١]. ٱبْتُلِيَ ٱلنَّاسُ بِهَا فِتْنَةً فَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لَهَا أُخْرِجُوا مِنْهُ وَحُوسِبُوا عَلَيْهِ[٢]. وَمَا أَخَذُوهُ مِنْهَا لِغَيْرِهَا قَدِمُوا عَلَيْهِ وَأَقَامُوا فِيهِ. وَإِنَّهَا عِنْدَ ذَوِي ٱلْعُقُولِ كَفَيْءِ ٱلظِّلِّ[٣] بَيْنَا تَرَاهُ سَابِغاً حَتَّى قَلَصَ[٤]، وَزَائِداً حَتَّى نَقَصَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَٱتَّقُوا ٱللهَ عِبَادَ ٱللهِ. وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ[٥] وَٱبْتَاعُوا مَا يَبْقَى لَكُمْ بِمَا يَزُولُ عَنْكُمْ[٦]. وَتَرَحَّلُوا فَقَدْ جُدَّ بِكُمْ[٧]. وَٱسْتَعِدُّوا

اذ بعدالموت لا يمكن التدارك ولا ينفع الندم. فوسائل النجاة اما عمل صالح أو اقلاع عن خطيئة بتوبة نصوح وكلاهما لا يكون إلا فى دار التكاليف وهى دار الدنيا (١) أي لا نجاة بعمل يعمل للدنيا اد كل عمل يقصد به لذة دنيوية فانية فهو هلكة لا نجاة (٢) ما أخذوه منها لها كالمال يدخر للذة ويقتنى لقضاء الشهوة. وما أخذوه لغيرها كالمال ينفق فى سبيل الخيرات يقدم صاحبه فى الآخرة على ثوابه بالنعيم المقيم (٣) اضافة الفيء الى الظل اضافة الخاص للعام لأن الفيء لا يكون الا بعد الزوال (٤) سابغا ممتدا سائرا الأرض. وقلص انقبض، وحتى هنا لمجرد الغاية بلا تدريج، أى ان غاية سبوغه الانقباض وغاية زيادته النقص (٥) بادروا الآجال بالأعمال أى سابقوها وعاجلوها بها أى استكملوا أعمالكم قبل حلول آجالكم (٦) ابتاعوا اشتروا ما يبقى من النعيم الأبدى بما يفنى من لذة الحياة الدنيا وشهواتها المنقضية (٧) الترحل الانتقال والمراد منه هنا لازمه وهو اعداد الزاد الذى لا بد منه للراحل ، والزاد فى الانتقال عن الدنيا ليس الا زاد التقوى. وقوله فقد جد بكم أى فقد حثثتم وازعجتم الى الرحيل ، أو فقد

لِلْمَوْتِ فَقَدْ أَظَلَّكُمْ (١). وَكُونُوا قَوْماً صِيحَ بِهِمْ فَانْتَبَهُوا (٢). وَعَلِمُوا أَنَّ الدُّنْيَا لَيْسَتْ لَهُمْ بِدَارٍ فَاسْتَبْدَلُوا. فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى (٣). وَمَا بَيْنَ أَحَدِكُمْ وَبَيْنَ الْجَنَّةِ أَوِ النَّارِ إِلَّا الْمَوْتُ أَنْ يَنْزِلَ بِهِ (٤). وَإِنَّ غَايَةً تَنْقُصُهَا اللَّحْظَةُ وَتَهْدِمُهَا السَّاعَةُ لَجَدِيرَةٌ بِقِصَرِ الْمُدَّةِ (٥). وَإِنَّ غَائِباً يَحْدُوهُ الْجَدِيدَانِ: ـ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ ـ لَحَرِيٌّ بِسُرْعَةِ الْأَوْبَةِ (٦). وَإِنَّ قَادِماً يَقْدَمُ بِالْفَوْزِ أَوِ الشِّقْوَةِ لَمُسْتَحِقٌّ لِأَفْضَلِ

---

(١) الاستعداد للموت اعداد العدة له أوطلب العدة، للقائه، ولا عدة له الا الأعمال الصالحة. وقوله فقد اظلكم: أى قرب منكم حتى كأن له ظلا قد ألقاه عليكم (٢) أى كونوا قوما حذرين اذا استنامتهم الغفلة وقتا ما ثم صاح بهم صائح الموعظة انتبهوا من نومهم وهبوا لطلب نجاتهم . وقوله وعلموا أى آخره أى عرفوا الدنيا وانها ليست بدار بقاء وقرار فاستبدلوها بدار الآخرة وهى الدار التى ينتقل اليها (٣) تعالى الله أن يفعل شيئا عبثا ، وقد خلق الانسان وآتاه قوة العقل التى تصغر عندها كل لذة دنيوية ولاتقف رغائبها عند حد منها مهما علت رتبته فكأنها مفطورة على استصغار كل ما تلاقيه فى هذه الحياة وطلب غاية أعلى مما يمكن أن ينال فيها ، فهذا الباعث الفطرى لم يوجده الله تعالى عبثا بل هو الدليل الوجدانى المرشد الى ما وراء هذه الحياة وسدى. أى مهملين بلا راع يزجركم عما يضركم و يسوقكم الى ما ينفعكم. ورعاتنا الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وخلفاؤهم (٤) أن ينزل به فى محل الرفع بدل من الموت أى ليس بين الواحد منا وبين الجنة الا نزول الموت به ان كان قد أعد لها عدتها، ولا بينه و بين النار الا نزول الموت به ان كان قد عمل بعمل أهلها، فمابعد هذه الحياة الا الحياة الأخرى وهى اما شقاء واما نعيم (٥) تلك الغاية هى الأجل، وتنقصها أى تنقص أمد الانتهاء اليها، وكل لحظة تمر فهى نقص فى الأمد بيننا و بين الأجل والساعة تهدم ركناً من ذلك الأمد وما كان كذلك فهو جدير بقصر المدة (٦) ذلك الغائب هو الموت ، و يحدوه يسوقه ، الجديدان الليل

ٱلْعُدَّةِ . فَتَزَوَّدُوا فِي ٱلدُّنْيَا مِنَ ٱلدُّنْيَا مَا تُحْرِزُونَ بِهِ أَنْفُسَكُمْ غَدًا(١) فَاتَّقَى عَبْدٌ رَبَّهُ . نَصَحَ نَفْسَهُ . قَدَّمَ تَوْبَتَهُ . وَغَلَبَ شَهْوَتَهُ(٢) فَإِنَّ أَجَلَهُ مَسْتُورٌ عَنْهُ . وَأَمَلَهُ خَادِعٌ لَهُ . وَٱلشَّيْطَانُ مُوَكَّلٌ بِهِ يُزَيِّنُ لَهُ ٱلْمَعْصِيَةَ لِيَرْكَبَهَا وَيُمَنِّيهِ ٱلتَّوْبَةَ لِيُسَوِّفَهَا(٣) حَتَّى تَنْجُمَ مَنِيَّتُهُ عَلَيْهِ أَغْفَلَ مَا يَكُونُ عَنْهَا(٤) فَيَالَهَا حَسْرَةً عَلَى ذِي غَفْلَةٍ أَنْ يَكُونَ عُمُرُهُ عَلَيْهِ حُجَّةً(٥) وَأَنْ تُؤَدِّيَهُ أَيَّامُهُ إِلَى شِقْوَةٍ . نَسْأَلُ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَجْعَلَنَا وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ نِعْمَةٌ(٦) وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ عَنْ طَاعَةِ رَبِّهِ غَايَةٌ . وَلَا تَحُلُّ بِهِ بَعْدَ ٱلْمَوْتِ نَدَامَةٌ وَلَا كَآبَةٌ

والنهار لأن الأجل المقسوم لك ان كان بعد ألف سنة فالليل والنهار بكرورهما عليك يسوقان اليك ذلك المنتظر على رأس الألف وما أسرع مرهما والانتهاء الى الغاية، وما أسرع أوبة ذلك الغائب الذى يسوقانه اليك . أى رجوعه . والموت هو ذلك القادم اما بفوز واما بشقوة. وعدته الاعمال الصالحات والملكات الفاضلة (١) ما تحرزون به أنفسكم أى تحفظونها به وذلك هو تقوى الله فى السر والنجوى وطاعة الشرع وعصيان الهوى (٢) قوله فاتقى عبد ربه وما بعده أوامر بصيغة الماضى، ويجوز أن يكون بيانا للتزود المأمور به فى قوله فتزودوا من الدنيا ما تحرزون به أنفسكم، أو بيانا لما يحرزون به أنفسهم (٣) يسوفها أن يؤجلها ويؤخرها (٤) قوله اغفل ما يكون حال من الضمير فى عليه. والمنية الموت أى لا يزال الشيطان يزين له المعصية ويمنيه بالتوبة أن تكون فى مستقبل العمر ليسوفها حتى يفاجئه الموت وهو فى أشد الغفلة عنه (٥) يكون عمره حجة عليه لانه أوتى فيه المهلة ومكن فيه من العمل فلم ينشط له (٦) لا تبطره النعمة لا تطغيه ولا تسدل

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَسْبِقْ لَهُ حَالٌ حَالًا(١) . فَيَكُونَ أَوَّلًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ آخِرًا . وَيَكُونَ ظَاهِرًا قَبْلَ أَنْ يَكُونَ بَاطِنًا كُلُّ مُسَمًّى بِالْوَحْدَةِ غَيْرُهُ قَلِيلٌ(٢) . وَكُلُّ عَزِيزٍ غَيْرُهُ ذَلِيلٌ . وَكُلُّ قَوِيٍّ غَيْرُهُ ضَعِيفٌ . وَكُلُّ مَالِكٍ غَيْرُهُ مَمْلُوكٌ . وَكُلُّ عَالِمٍ غَيْرُهُ مُتَعَلِّمٌ . وَكُلُّ قَادِرٍ غَيْرُهُ يَقْدِرُ وَيَعْجِزُ . وَكُلُّ سَمِيعٍ غَيْرُهُ يَصَمُّ عَنْ لَطِيفِ الْأَصْوَاتِ وَيُصِمُّهُ كَبِيرُهَا وَيَذْهَبُ عَنْهُ مَا بَعُدَ مِنْهَا(٣) . وَكُلُّ بَصِيرٍ غَيْرُهُ يَعْمَى عَنْ

على بصيرته حجاب الغفلة عما هو صائر اليه (١) ما لله من وصف فهو لذاته يجب بوجوبها، فكما ان ذاته سبحانه لا يدنو منها التغير والتبدل، فكذلك أوصافه هي ثابتة له معا لا يسبق منها وصف وصفا وان كان مفهومها قد يشعر بالتعاقب اذا أضيفت الى غيره، فهو أول وآخر أزلا وأبداً ، أى هو السابق بوجوده لكل موجود، وهو بذلك السبق باق لا يزول وكل وجود سواه فعلى أصل الزوال مبناه، ثم هو فى ظهوره بادلة وجوده باطن بكنهه لا تدركه العقول ولا تحوم عليه الأوهام (٢) الواحد أقل العدد ومن كان واحداً منفرداً عن الشريك محروما من المعين كان محتقراً لضعفه ساقطا لقلة انصاره . أما الوحدة فى جانب الله فهى علو الذات عن التركيب المشعر بلزوم الانحلال وتفردها بالعظمة والسلطان وفناء كل ذات سواها اذا اعتبرت منقطعة النسبة اليها فوصف غير الله بالوحدة تقليل والكمال فى عالمه أن يكون كثيرا، الا الله فوصفه بالوحدة تقديس وتنزيه ، وبقية الأوصاف ظاهرة (٣) السامعون من الحيوان والانسان لقوى سمعهم حد محدود فما خفى من الأصوات لا يصل اليها فهى صماء عنه . فيصم بفتح الصاد مضارع صم اذا أصيب بالصمم وفقد السمع، وما عظم من الأصوات حتى فات المألوف

خَفِيِّ ٱلْأَلْوَانِ وَلَطِيفِ ٱلْأَجْسَامِ . وَكُلُّ ظَاهِرٍ غَيْرُهُ بَاطِنٌ . وَكُلُّ بَاطِنٍ غَيْرُهُ غَيْرُ ظَاهِرٍ(١) . لَمْ يَخْلُقْ مَا خَلَقَهُ لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلَا تَخَوُّفٍ مِنْ عَوَاقِبِ زَمَانٍ . وَلَا ٱسْتِعَانَةٍ عَلَى نِدٍّ مُثَاوِرٍ(٢) . وَلَا شَرِيكٍ مُكَاثِرٍ وَلَا ضِدٍّ مُنَافِرٍ . وَلٰكِنْ خَلَائِقُ مَرْبُوبُونَ . وَعِبَادٌ دَاخِرُونَ(٣) لَمْ يَحْلُلْ فِي ٱلْأَشْيَاءِ فَيُقَالُ هُوَ فِيهَا كَائِنٌ . وَلَمْ يَنْأَ عَنْهَا فَيُقَالُ هُوَ مِنْهَا بَائِنٌ(٤) لَمْ يَؤُدْهُ خَلْقُ مَا ٱبْتَدَأَ(٥) وَلَا تَدْبِيرُ مَا ذَرَأَ(٦) وَلَا وَقَفَ بِهِ عَجْزٌ عَمَّا خَلَقَ . وَلَا وَلَجَتْ عَلَيْهِ شُبْهَةٌ فِيمَا قَضَى وَقَدَّرَ(٧) . بَلْ قَضَاءٌ مُتْقَنٌ

الذى يستطاع احتماله يحدث فيها الصمم بصدعه لها فيصم بكسر الصاد مضارع أصم وما بعدمن الأصوات عن السامع بحيث لا يصل موج الهواء المتكيف بالصوت اليه ذهب عن تلك القوى فلا تناله ، كل ذلك فى غيره سبحانه، أما هو جل شأنه فيستوى عنده الخفى والشديد والقريب والبعيد لأن نسبة الأشياء اليه واحدة ومثل ذلك يقال فى البصر والبصراء (١) الباطن هنا غيره فيما سبق أى كل ماهو ظاهر بوجوده الموهوب من الله سبحانه فهو باطن بذاته أى لا وجود له فى نفسه فهو معدوم بحقيقته وكل باطن سواه فهو بهذا المعنى فلا يمكن أن يكون ظاهرا بذاته بل هو باطن أبدا (٢) الند النظير والمثل. والمثاور المواثب والمحارب. والشريك المكاثر أى المفاخر بالكثرة. هذا اذا قرىء بالثاء المثلثة، ويروى المكابر بالباء الموحدة أى المفاخر بالكبر والعظمة. والضد المنافر أى المحاكم فى الرفعة والحسب، يقال نافرته فى الحسب فنفرته أى غلبته واثبت رفعتى عليه (٣) مربوبون أى مملوكون. وداخرون اذلاء من دخر ذل وصغر (٤) لم ينأ عنها أى لم ينفصل انفصال الجسم حتى يقال هو بائن أى منفصل (٥) يؤده أى لم يثقله. آده الأمر أثقله وأتعبه (٦) ذرأ أى خلق (٧) ولجت عليه

وَعِلْمٌ مُحْكَمٌ. وَأَمْرٌ مُبْرَمٌ(١) الْمَأْمُولُ مَعَ النِّقَمِ وَالْمَرْهُوبُ مَعَ النِّعَمِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَانَ يَقُولُهُ لِأَصْحَابِهِ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صِفِّينَ

مَعَاشِرَ الْمُسْلِمِينَ اسْتَشْعِرُوا الْخَشْيَةَ(٢) وَتَجَلْبَبُوا السَّكِينَةَ وَعَضُّوا عَلَى النَّوَاجِذِ(٣) فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ وَأَكْمِلُوا اللَّأْمَةَ(٤) وَقَلْقِلُوا السُّيُوفَ فِي أَغْمَادِهَا قَبْلَ سَلِّهَا(٥) وَالْحَظُوا الْخَزْرَ(٦) وَاطْعُنُوا الشَّزْرَ(٧) وَنَافِحُوا بِالظُّبَا(٨) وَصِلُوا السُّيُوفَ بِالْخُطَا(٩). وَاعْلَمُوا

---

(١) محتوم. وأصله من ابرم الحبل جعله طاقين ثم فتله وبهذا أحكمه (٢) استشعر لبس الشعار وهو ما يلي البدن من الثياب. وتجلبب لبس الجلباب وهو ما تغطى به المرأة ثيابها من فوق، ولكون الخشية أي الخوف من الله غاشية قلبية عبر في جانبها بالاستشعار، وعبر بالتجلبب في جانب السكينة لأنها عارضة تظهر في البدن كما لا يخفى (٣) النواجذ جمع ناجذ وهو أقصى الأضراس. ولكل انسان أربعة نواجذ وهي بعد الارحاء ويسمى الناجذ ضرس العقل لأنه ينبت بعد البلوغ. واذا عضضت على ناجذك تصلبت أعصابك وعضلاتك المتصلة بدماغك فكانت هامتك أصلب وأقوى على مقاومة السيف فكان أنبى عنها وأبعد عن التأثير فيها. والهام جمع هامة وهي الرأس (٤) اللامة الدرع، واكمالها أن يزاد عليها البيضة والسواعد ونحوها. وقد يراد من اللامة آلات الحرب والدفاع استيفاؤها (٥) مخافة أن تستعصى عن الخروج عند السل (٦) الخزر محركة النظر كانه من أحد الشقين، وهو علامة الغضب (٧) اطعنوا بضم العين فاذا كان في النسب مثلا كان المضارع مفتوحها وقد يفتح فيهما. والشزر بالفتح الطعن في الجوانب يمينا وشمالا (٨) نافحوا كافحوا وضاربوا. والظبا بالضم جمع ظبة طرف السيف وحده (٩) صلوا من الوصل أي اجعلوا سيوفكم متصلة بخطا اعدائكم جمع خطوة أو اذا دخلت

أَنَّكُمْ بِعَيْنِ اللهِ (١) وَمَعَ ٱبْنِ عَمِّ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .
فَعَاوِدُوا ٱلْكَرَّ وَٱسْتَحْيُوا مِنَ ٱلْفَرِّ (٢) فَإِنَّهُ عَارٌ فِي ٱلْأَعْقَابِ . وَنَارٌ يَوْمَ
ٱلْحِسَابِ . وَطِيبُوا عَنْ أَنْفُسِكُمْ نَفْسًا . وَٱمْشُوا إِلَى ٱلْمَوْتِ مَشْيًا سُجُحًا (٣)
وَعَلَيْكُمْ بِهٰذَا ٱلسَّوَادِ ٱلْأَعْظَمِ . وَٱلرِّوَاقِ ٱلْمُطَنَّبِ (٤) . فَٱضْرِبُوا ثَبَجَهُ (٥)
فَإِنَّ ٱلشَّيْطَانَ كَامِنٌ فِي كِسْرِهِ (٦) . قَدْ قَدَّمَ لِلْوَثْبَةِ يَدًا وَأَخَّرَ لِلنُّكُوصِ
رِجْلًا فَصَمْدًا صَمْدًا (٧) . حَتَّى يَنْجَلِيَ لَكُمْ عَمُودُ ٱلْحَقِّ (وَأَنْتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ
وَٱللهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) (٨)

قصرت سيوفكم عن الوصول إلى أعدائكم فصلوها بخطاكم (١) بعين الله أى ملحوظون بها (٢) الفر الفرار، وهو عار فى الأعقاب أى فى الأولاد لأنهم يعيرون بفرار آبائهم . وقوله وطيبوا عن أنفسكم نفسا أى ارضوا ببذلها فانكم تبذلونها اليوم لتحرزوها غدا (٣) السجح بضمتين السهل (٤) الرواق ككتاب وغراب الفسطاط . والمطنب المشدود بالاطناب جمع طنب بضمتين حبل يشد به سرادق البيت. وأراد بالسواد الأعظم جمهور أهل الشام، والرواق رواق معاوية (٥) الثبج بالتحريك الوسط (٦) كسره بالكسر شقه الأسفل كناية عن الجوانب التى يفر اليها المنهزمون. والشيطان الكامن فى الكسر مصدر الأوامر بالهجوم والرجوع ، فان جبنتم مد يده للوثبة وان شجعتم أخر للنكوص والهزيمة رجله (٧) الصمد القصد، أى فاثبتوا على قصدكم (٨) لن ينقصكم

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَعْنَى الْأَنْصَارِ

قَالُوا لَمَّا انْتَهَتْ إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَنْبَاءُ السَّقِيفَةِ (١) بَعْدَ وَفَاةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَاقَالَتِ الْأَنْصَارُ ؟ قَالُوا قَالَتْ مِنَّا أَمِيرٌ وَمِنْكُمْ أَمِيرٌ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَهَلَّا احْتَجَجْتُمْ عَلَيْهِمْ بِأَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَصَّى بِأَنْ يُحْسَنَ إِلَى مُحْسِنِهِمْ وَيُتَجَاوَزَ عَنْ مُسِيئِهِمْ (قَالُوا وَمَا فِي هٰذَا مِنَ الْحُجَّةِ عَلَيْهِمْ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ كَانَتِ الْإِمَارَةُ فِيهِمْ لَمْ تَكُنِ الْوَصِيَّةُ بِهِمْ . ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ . فَمَاذَا قَالَتْ قُرَيْشٌ ؟ قَالُوا احْتَجَّتْ بِأَنَّهَا شَجَرَةُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ احْتَجُّوا بِالشَّجَرَةِ وَأَضَاعُوا الثَّمَرَةَ (٢)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا قَلَّدَ مُحَمَّدَ بْنَ أَبِي بَكْرٍ مِصْرَ فَمُلِكَتْ عَلَيْهِ فَقُتِلَ

وَقَدْ أَرَدْتُ تَوْلِيَةَ مِصْرَ هَاشِمَ بْنَ عُتْبَةَ وَلَوْ وَلَّيْتُهُ إِيَّاهَا لَمَا خَلَّى لَهُمُ الْعَرْصَةَ (٣)

---

(١) سقيفة بنى ساعدة اجتمع فيها الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم لاختيار خليفة له (٢) يريد من الثمرة آل بيت الرسول صلى الله عليه وسلم (٣) العرصة كل بقعة واسعة بين الدور، والمراد ما جعل لهم مجالا للمغالبة. وأراد بالعرصة شيئا من جزائها

وَلا أَنْهَزَهُمُ ٱلْفُرْصَةَ . بِلاَ ذَمٍّ لِمُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ[١] فَلَقَدْ كَانَ إِلَيَّ حَبِيباً وَكَانَ لِي رَبِيباً[٢]

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلاَمُ فِي ذَمِّ أَصْحَابِهِ

كَمْ أُدَارِيكُمْ كَمَا تُدَارَى ٱلْبِكَارُ ٱلْعَمِدَةُ[٣] . وَٱلثِّيَابُ ٱلْمُتَدَاعِيَةُ[٤] كُلَّمَا حِيصَتْ مِنْ جَانِبٍ تَهَتَّكَتْ مِنْ آخَرَ[٥] أَ كُلَّمَا أَطَلَّ عَلَيْكُمْ مَنْسِرٌ مِنْ مَنَاسِرِ أَهْلِ الشَّامِ أَغْلَقَ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بَابَهُ وَٱنْجَحَرَ ٱنْجِحَارَ ٱلضَّبَّةِ فِي جُحْرِهَا وَٱلضَّبُعِ فِي وِجَارِهَا[٦] . ٱلذَّلِيلُ وَٱللهِ مَنْ نَصَرْتُمُوهُ . وَمَنْ رُمِيَ بِكُمْ فَقَدْ رُمِيَ بِأَفْوَقَ نَاصِلٍ[٧] . وَإِنَّكُمْ وَٱللهِ

عرصة مصر ، وكان محمد قد فر من عـدوه ظنا منه أن ينجو بنفسه فأدركوه وقتلوه (١) بلاذم لمحمـد الخ لما يتوهم من مدح عتبة (٢) قالوا ان اسماء بنت عميس كانت تحت جعفر بن أبى طالب فلما قتل تزوجها أبو بكر فولدت منه محمـدا ثم تزوجها على بعده وتربى محمـد فى حجره وكان جاريا مجرى أولاده حتى قال على كرم الله وجهه محمد ابنى من صلب أبى بكر (٣) البـكار كـكتاب جمع بكر الفتى من الأبل ، والعمدة بفتح فـكسر التى انفضح داخل سنامهـا من الركوب وظاهره سليم (٤) المتداعية الخلقة المتخرقة. ومداراتها استعمالها بالرفق التام (٥) حيصت خيطت، وتهتكت تخرقت (٦) المنسر كمجلس ومنبر القطعة من الجيش تمر أمام الجيش الـكثير ، واطل أشرف. وانجحر دخل الجحر ، والوجار بالـكسر جحر الضبع وغيرها (٧) الأفوق من السهام ما كسر فُوقه أى موضع الوتر منه والناصل العارى من النصل. والسهم إذا كان مكسور الفوق عاريا عن النصل لم يؤثر فى الرمية. فهم فى ضعف أثرهم وعجزهم عن النكايه

لَكَثِيرٌ فِي الْبَاحَاتِ[١] قَلِيلٌ تَحْتَ الرَّايَاتِ. وَإِنِّي لَعَالِمٌ بِمَا يُصْلِحُكُمْ وَيُقِيمُ أَوَدَكُمْ[٢] وَلٰكِنِّي لَا أَرَى إِصْلَاحَكُمْ بِإِفْسَادِ نَفْسِي. أَضْرَعَ اللهُ خُدُودَكُمْ[٣]. وَأَتْعَسَ جُدُودَكُمْ[٤] لَا تَعْرِفُونَ الْحَقَّ كَمَعْرِفَتِكُمُ الْبَاطِلَ. وَلَا تُبْطِلُونَ الْبَاطِلَ كَإِبْطَالِكُمُ الْحَقَّ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي سُحْرَةِ الْيَوْمِ الَّذِي ضُرِبَ فِيهِ[٥]

مَلَكَتْنِي عَيْنِي وَأَنَا جَالِسٌ[٦] فَسَنَحَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ مَاذَا لَقِيتُ مِنْ أُمَّتِكَ مِنَ الْأَوَدِ وَاللَّدَدِ! فَقَالَ ادْعُ عَلَيْهِمْ، فَقُلْتُ أَبْدَلَنِي اللهُ بِهِمْ خَيْرًا مِنْهُمْ وَأَبْدَلَهُمْ بِي شَرًّا لَهُمْ مِنِّي (يَعْنِي بِالْأَوَدِ الِاعْوِجَاجَ وَبِاللَّدَدِ الْخِصَامَ وَهٰذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَهْلِ الْعِرَاقِ

أَمَّا بَعْدُ يَا أَهْلَ الْعِرَاقِ فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَالْمَرْأَةِ الْحَامِلِ حَمَلَتْ فَلَمَّا أَتَمَّتْ أَمْلَصَتْ[٧] وَمَاتَ قَيِّمُهَا وَطَالَ تَأَيُّمُهَا وَوَرِثَهَا أَبْعَدُهَا[٨] أَمَا وَاللهِ

بعدوهم أشبه به (١) الباحات الساحات (٢) أودكم بالتحريك اعوجاجكم (٣) أذل الله وجوهكم (٤) وأتعس جدودكم وحط من حظوظكم. والتعس الانحطاط والهلاك والعثار (٥) السحرة بالضم السحر الأعلى من آخر الليل (٦) ملكتني عيني غلبني النوم وسنح لي رسول الله مر بي. تسنح الظباء والطير (٧) أملصت ألقت ولدها ميتا (٨) قيمها

مَا أَتَيْتُكُمْ اخْتِيَارًا وَلَكِنْ جِئْتُ إِلَيْكُمْ سَوْقًا (١) وَلَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّكُمْ تَقُولُونَ عَلِيٌّ يَكْذِبُ. قَاتَلَكُمُ اللهُ فَعَلَى مَنْ أَكْذِبُ. أَعَلَى اللهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ آمَنَ بِهِ. أَمْ عَلَى نَبِيِّهِ؟ فَأَنَا أَوَّلُ مَنْ صَدَّقَهُ (٢). كَلَّا وَاللهِ وَلَكِنَّهَا لَهْجَةٌ غِبْتُمْ عَنْهَا (٣) وَلَمْ تَكُونُوا مِنْ أَهْلِهَا. وَيْلُمِّهِ كَيْلًا بِغَيْرِ ثَمَنٍ (٤) لَوْ كَانَ لَهُ وِعَاءٌ، وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ

زوجها وتأيمها خلوها من الأزواج، يريد أنهم لما شارفوا استئصال أهل الشام و بدت لهم علامات الظفر بهم جنحوا إلى السلم اجابة لطلاب التحكيم فكان مثلهم مثل المرأة الحامل لما أتمت أشهر حملها ألقت ولدها بغير الدافع الطبيعي بل بالحادث العارضي كالضرب والسخطة وقلما تلقيه كذلك الا هالكا. ولم يكتف فى تمثيل خيفتهم فى ذلك حتى قال ومات مع هذه الحالة زوجها وطال ذلها بفقدها من يقوم عليها حتى اذا هلكت عن غير ولد ورثها الأباعد السافلون فى درجة القرابة ممن لا يلتفت الى نسبه (١) يقسم أنه لم يأت العراق مستنصرا بأهله اختيارا لتفضيله اياهم على من سواهم. وانما سيق اليهم بسائق الضرورة فانه لولا وقعة الجمل لم يفارق المدينة المنورة. ويروى هذا الكلام بعبارة أخرى وهى (ما أتيتكم اختيارا ولا جئت اليكم شوقا) بالشين المعجمة (٢) كان كرم الله وجهه كثيرا ما يخبرهم بما لا يعرفون و يعلمهم ما لم يكونوا يعلمون فيقول المنافقون من أصحابه انه يكذب كما يقولون مثل ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم، فهو يرد عليهم قولهم بأنه أول من آمن بالله وصدق برسوله فكيف يجترئ على الكذب على الله أو على رسوله مع قوة ايمانه وكمال يقينه ولا يجتمع كذب وايمان صحيح (٣) لهجة غبتم عنها أى ضرب من الكلام أنتم فى غيبة عنه أى بعد عن معناه ونبو طبع عما حواه فلا تفهمونه ولهذا تكذبونه (٤) ويلمه كلمة استعظام تقال فى مقام المدح وان كان أصل وضعها لضده ومثل ذلك معروف فى لسانهم، يقولون للرجل يعظمونه و يقرظونه لا أبالك. وفى الحديث فاظفر بذات الدين تربت يداك، وفى كلام

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

علّم فيها النّاس الصّلاة على النبيّ صلّى الله عليه وآله

اللَّهُمَّ دَاحِيَ ٱلْمَدْحُوَّاتِ[1]. وَدَاعِمَ ٱلْمَسْمُوكَاتِ. وَجَابِلَ ٱلْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَتِهَا[2] شَقِيِّهَا وَسَعِيدِهَا . اجْعَلْ شَرَائِفَ صَلَوَاتِكَ وَنَوَامِيَ بَرَكَاتِكَ[3] عَلَى مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ ٱلْخَاتِمِ لِمَا سَبَقَ. وَٱلْفَاتِحِ لِمَا

الحسن يحدث عن على ابن أبى طالب رضى الله عنه ويعظم أمره: وما لك والتحكيم والحق فى يديك ولا أبالك. وأصل الكلمة ويل أمه. وقوله كيلا مصدر محذوف أى أنا أكيل لكم العلم والحكمة كيلا بلا ثمن لو أجد وعاء اكيل فيه، أى لو أجد نفوسا قابلة وعقولا عاقلة (١) داحى المدحوات أى باسط المبسوطات وأراد منها الأرضين. و بسطها أن تكون كل قطعة منها صالحة لأن تكون مستقراً ومجالا للبشر وسائر الحيوان تتصرف عليها هذه المخلوقات فى الأعمال التى وجهت اليها بهادى الغريزة كما هو المشهود لنظر الناظر وان كانت الأرض فى جملتها كروية الشكل . وداعم المسموكات مقيمها وحافظها. دعمه كمنعه: أقامه وحفظه. والمسموكات المرفوعات وهى السموات، وقد يراد من هنا الوصف المجعول لها سمكا يفوق كل سمك. والسمك الثخن المعروف فى اصطلاح أهل الكلام بالعمق. ودعمه للسموات اقامته لها وحفظها من الهوىّ بقوة معنوية وان لم يكن ذلك بدعامة حسية . قال صاحب القاموس المسموكات لحن والصواب مسمكات، ولعل هذا فى اطلاق اللفظ اسما للسموات، أما لو اطلق صفة كما فى كلام الامام فهو صحيح فصيح بل لا يصح غيره فان الفعل سمك لا أسمك (٢) جابل القلوب خالقها. والفطرة أول حالات المخلوق التى يكون عليها فى بدء وجوده، وهى للانسان حالته خاليا من الآراء والاهواء والديانات والعقائد. وقوله شقيها وسعيدها بدل من القلوب، أى جابل الشقى والسعيد من القلوب على فطرته الأولى التى هو بها كاسب محض ، فحسن اختياره يهديه الى السعادة وسوء تصرفه يضله فى طرق الشقاوة (٣) الشرائف جمع شريفة . والنوامى

انْغَلَقَ . وَالْمُعْلِنِ الْحَقَّ بِالْحَقِّ وَالدَّافِعِ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ . وَالدَّامِغِ صَوْلَاتِ الْأَضَالِيلِ . كَمَا حُمِّلَ فَاضْطَلَعَ[١] قَائِماً بِأَمْرِكَ مُسْتَوْفِزًا فِي مَرْضَاتِكَ غَيْرَ نَاكِلٍ عَنْ قُدُمٍ . وَلَا وَاهٍ فِي عَزْمٍ[٢] . وَاعِياً لِوَحْيِكَ حَافِظًا لِعَهْدِكَ . مَاضِياً عَلَى نَفَاذِ أَمْرِكَ . حَتَّى أَوْرَى قَبَسَ الْقَابِسِ وَأَضَاءَ الطَّرِيقَ لِلْخَابِطِ[٣] وَهُدِيَتْ بِهِ الْقُلُوبُ بَعْدَ خَوْضَاتِ الْفِتَنِ .

الزوائد . والخاتم لما سبق أى لما تقدمه من النبوات . والفاتح لما انغلق كانت أبواب القلوب قد أغلقت بأقفال الضلال عن طوارق الهداية فإفتتحها صلى الله عليه وسلم بآيات نبوته ، وأعلن الحق وأظهره بالحق والبرهان . والأباطيل جمع باطل على غير قياس ، كما ان الأضاليل جمع ضلال على غير قياس . وجيشاتها جمع جيشة من جاشت القدر اذا ارتفع غليانها . والصولات جمع صولة وهى السطوة . والدامغ من دمغه اذا شجه حتى بلغت الشجة دماغه ، والمراد أنه قامع ما نجم من الباطل والكاسر لشوكة الضلال وسطوته وذلك بسطوع البرهان وظهور الحجة (١) أى أعلن الحق بالحق وقمع الباطل وقهر الضلال كما حمل تلك الأعمال الجليلة بتحميله اعباء الرسالة.فاضطلع أى نهض بها قويا . والضلاعة القوة . والمستوفز المسارع المستعجل، وقد تكون الكاف فى كما حمل للتعليل كما فى قوله .

فقلت له أبا الملحاة خذها كما أوسعتنا بغيا وعدوا

(٢) الناكل الناكص والمتأخر . أى غير جبان يتأخر عند وجوب الإقدام . والقدم بضمتين المشى الى الحرب، ويقال مضى قدما أى سار ولم يعرج . والواهى الضعيف واعيا أى حافظا وفاهما. وعيت الحديث حفظته وفهمته . وماضيا على نفاذ امرك أى ذاهبا فى سيره على ما فيه نفاذ أمر الله سبحانه (٣) يقال ورى الزند كوعى . وولى يرى وريا وريا ورية فهو وار : خرجت ناره. وأوريته ووريته واستوريته . والقبس شعلة من النار . والقابس الذى يطلب النار . يقال قبست ناراً فاقبسنى، أى طلبت منها فأعطانى . والكلام تمثيل لنجاح طلاب الحق ببلوغ طلبتهم منه واشراق النفوس

وَأَقَامَ مُوضِحَاتِ الْأَعْلَامِ وَنَيِّرَاتِ الْأَحْكَامِ. فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ وَخَازِنُ عِلْمِكَ الْمَخْزُونِ[١]. وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ[٢] وَبَعِيثُكَ بِالْحَقِّ[٣]. وَرَسُولُكَ إِلَى الْخَلْقِ. اللَّهُمَّ افْسَحْ لَهُ مَفْسَحًا فِي ظِلِّكَ[٤] وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ. اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ[٥] وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ، وَأَتْمِمْ لَهُ نُورَهُ، وَاجْزِهِ مِنِ ابْتِعَاثِكَ لَهُ مَقْبُولَ الشَّهَادَةِ وَمَرْضِيَّ الْمَقَالَةِ[٦] ذَا مَنْطِقٍ عَدْلٍ. وَخُطَّةٍ فَصْلٍ. اللَّهُمَّ

المستعدة لقبوله بما سطع من أنواره. والخابط الذى يسير ليلا على غير جادة واضحة، فأضاء الطريق له جعلها مضيئة ظاهرة فاستقام عليها سائرا الى الغاية وهى السعادة، فكان فى ذلك أن هديت به القلوب الى ما فيه سعادتها بعد أن خاضت الفتن أطوارا واقتحمتها مرارا. والخوضات جمع خوضة المرة من الخوض كما قال وهديت به القلوب الخ. والاعلام جمع علم بالتحريك ما يستدل به على الطريق كالمنار ونحوه، والاعلام موضحات الطرق لأنها تبينها للناس وتكشفها (١) العلم المخزون ما اختص الله به من شاء من عباده ولم يبح لغير أهل الحظوة به ان يطلعوا عليه وذلك مما لايتعلق بالأحكام الشرعية (٢) شهيدك شاهدك على الناس كما قال الله تعالى (فكيف اذا جئنا من كل أمة بشهيد وجئنا بك على هؤلاء شهيدا) (٣) بعيثك أى مبعوثك فهو فعيل بمعنى مفعول كجريح وطريح (٤) افسح له وسع له ما شئت أن توسع فى ظلك أى احسانك وبرك فيكون الظل مجازا. ومضاعفات الخير أطواره ودرجاته (٥) أراد من بنائه ما شيده صلى الله عليه وسلم بأمر ربه من الشريعة العادلة. والهدى الفاضل مما يلجأ اليه التائهون ويأوى اليه المضطهدون، فالإمام يسأل الله أن يعلى بناء شريعته على جميع الشرائع ويرفع شأن هديه فوق كل هدى لغيره. واكرام المنزلة باتمام النور، والمراد من اتمام النور تأييد الدين حتى يعم أهل الأرض ويظهر على الدين كله كما وعده بذلك. اكرام المنزلة فى الآخرة، فقد تقدم فى قوله افسح له واجزه مضاعفات الخير (٦) أى اجزه على بعثتك له الى الخلق وقيامه بما حملته واجعل ثوابه

أَجْمَعْ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ فِي بَرْدِ الْعَيْشِ وَقَرَارِ النِّعْمَةِ (١) ، وَمُنَى الشَّهَوَاتِ . وَأَهْوَاءِ اللَّذَّاتِ وَرَخَاءِ الدَّعَةِ . وَمُنْتَهَى الطُّمَأْنِينَةِ . وَتُحَفِ الْكَرَامَةِ (٢)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَهُ لِمَرْوَانَ بْنِ الْحَكَمِ بِالْبَصْرَةِ

(قَالُوا أُخِذَ مَرْوَانُ بْنُ الْحَكَمِ أَسِيرًا يَوْمَ الْجَمَلِ فَاسْتَشْفَعَ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ (٣) إِلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَكَلَّمَاهُ فِيهِ فَخَلَّى سَبِيلَهُ . فَقَالَا لَهُ يُبَايِعُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

أَوَ لَمْ يُبَايِعْنِي بَعْدَ (*) قَتْلِ عُثْمَانَ لَا حَاجَةَ لِي فِي بَيْعَتِهِ إِنَّهَا كَفٌّ (٤)

على ذلك الشهادة المقبولة والمقالة المرضية يوم القيامة ، وتلك الشهادة والمقالة تصدران منه وهو ذومنطق عدل وخطة أى أمر فاصل ، و يروى وخطبة بزيادة باء بعد الطاء أى مقال فاصل ، وقد روى أنه صلى الله عليه وسلم يقوم ذلك المقام يوم القيامة فيشهد على أمته وعلى غيرهم من الأمم فيكون كلامه الفصل (١) تقول العرب عيش بارد أى لاحرب فيه ولانزاع ، لأن البرد والسكون متلازمان تلازم الحرارة والحركة . وقرار النعمة مستقرها حيث تدوم ولا تفنى (٢) منى جمع منية بالضم ما يتمناه الانسان لنفسه . والشهوات ما يشتهيه . يدعو بان يتفق مع النبى صلى الله عليه وسلم فى جميع رغباته وميله . والرخاء من قولهم رجل رخى البال أى واسع الخيال . والدعة سكون النفس واطمئنانها . والتحف جمع تحفة ما يكرم به الانسان من البر واللطف وقد كان صلى الله عليه وسلم من أرخى الناس بالا وألزمهم للطمأنينة وأعلاهم منزلة فى القلوب ، فالإمام يطلب من الله أن يدنيه منه فى جميع هذه الصفات الكريمة (٣) استشفعهما اليه سألهما أن يشفعا له عنده . وليس من الجيد قولهم استشفعت به (٤) كف يهودية أى غادرة

(*) فى نسخة : قبل قتل عثمان

يَهُودِيَّةٌ . لَوْ بَايَعَنِي بِكَفِّهِ لَغَدَرَ بِسَبَّتِهِ (١) أَمَا إِنَّ لَهُ إِمْرَةً كَلَعْقَةِ الْكَلْبِ أَنْفَهُ (٢) . وَهُوَ أَبُو الْأَكْبُشِ الْأَرْبَعَةِ (٣) وَسَتَلْقَى الْأُمَّةُ مِنْهُ وَمِنْ وَلَدِهِ يَوْمًا أَحْمَرَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا عَزَمُوا عَلَى بَيْعَةِ عُثْمَانَ

لَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي أَحَقُّ النَّاسِ بِهَا مِنْ غَيْرِي . وَوَاللهِ لَأُسَلِّمَنَّ مَا سَلِمَتْ أُمُورُ الْمُسْلِمِينَ وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا جَوْرٌ إِلَّا عَلَيَّ خَاصَّةً الْتِمَاسًا لِأَجْرِ ذٰلِكَ وَفَضْلِهِ ، وَزُهْدًا فِيمَا تَنَافَسْتُمُوهُ مِنْ زُخْرُفِهِ وَزِبْرِجِهِ (٤)

ماكرة (١) السبت بالفتح الاست وهو مما يحرص الانسان على اخفائه . وكنى به عن الغدر الخفى واختاره لتحقير الغادر . وقد يكون ذلك إشارة إلى ما كانت تفعله سفهاء العرب عند الغدر بعقد أوعهد من أنهم كانوا يحبقون عند ذكره استهزاء (٢) تصوير لقصر مدتها وكانت تسعة أشهر (٣) جمع كبش وهو من القوم رئيسهم. وفسروا الاكبش ببنى عبد الملك بن مروان هذا وهم الوليد وسليمان ويزيد وهشام. قالوا ولم يتول الخلافة أربعة اخوة سوى هؤلاء . ويجوز ان يراد بهم بنو مروان لصلبه وهم عبد الملك وعبد العزيز وبشر ومحمد وكانوا كباشا أبطالا : أما عبد الملك فولى الخلافة وولى محمد الجزيرة وعبد العزيز مصر وبشر العراق (٤) يقسم بالله ليسلمن الأمر فى الخلافة لعثمان ما دام التسليم غير ضار بالمسلمين وحافظا لهم من الفتنة طلبا لثواب الله على ذلك وزهداً فى الامرة التى تنافسوها أى رغبوا فيهاوان كان فى ذلك جور عليه خاصة .وأهل الزخرف الذهب وكذلك الزبرج بكسرتين بينهما سكون، ثم أطلق على كل مموه مزور. واغلب ما يقال الزبرج على الزينة من وشى أو جوهر . ومن زخرفه ليس للبيان ولكن حرف جر للتعليل أى ان الرغبة انما كان الباعث عليها الزخرف

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا بَلَغَهُ اتِّهَامُ بَنِي أُمَيَّةَ لَهُ بِالْمُشَارَكَةِ فِي دَمِ عُثْمَانَ

أَوَلَمْ يَنْهَ أُمَيَّةَ عِلْمُهَا بِي عَنْ قَرْفِي(١). أَوَمَا وَزَعَ الْجُهَّالَ سَابِقَتِي عَنْ تُهْمَتِي. وَلَمَا وَعَظَهُمُ اللهُ بِهِ أَبْلَغُ مِنْ لِسَانِي(٢). أَنَا حَجِيجُ الْمَارِقِينَ(٣) وَخَصِيمُ الْمُرْتَابِينَ.. وَعَلَى كِتَابِ اللهِ تُعْرَضُ الْأَمْثَالُ(٤) وَبِمَا فِي الصُّدُورِ تُجَازَى الْعِبَادُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رَحِمَ اللهُ امْرَأً سَمِعَ حُكْماً فَوَعَى. وَدُعِيَ إِلَى رَشَادٍ فَدَنَا(٥).

والزبرج ولولا لزوم ذلك للامارة ما كان فيها التنافس (١) قرفه قرفا بالفتح عابه. وعلمها فاعل ينه، وأمية مفعول، أى ألم يكن فى علم بنى أمية بحالى ومكانى من الدين والتحرج من سفك الدماء بغير حق ما ينهاهم عن ان يعيبونى بالاشتراك فى دم عثمان خصوصا وقد علموا انى كنت له لا عليه، ومن أحسن الناس قولا فيه. وسابقته حاله المعلومة لهم مما تقدم. ووزع بمعنى كف. والتهمة بفتح الهاء رميه بعيب الاشتراك فى دم عثمان (٢) ولما الخ اللام هى التى للتأكيد وما موصول مبتدأ وابلغ خبره والله قد وعظهم فى الغيبة بأنها فى منزلة أكل لحم الاخ ميتا (٣) حجيج المارقين أى خصيمهم. والمارقون الخارجون من الدين. والمرتابون الذين لا يقين لهم. وهو كرم الله وجهه قارعهم بالبرهان الساطع فغالبهم (٤) الأمثال متشابهات الاعمال والحوادث تعرض على القرآن فما وافقه فهو الحق المشروع وما خالفه فهو الباطل الممنوع، وهو كرم الله وجهه قد جرى على حكم كتاب الله فى أعماله فليس للغامز عليه أن يشير اليه بمطعن ما دام ملتزما لاحكام الكتاب (٥) الحكم هنا الحكمة قال الله تعالى (وآتيناه الحكم

وَأَخَذَ بِحُجْزَةِ هَادٍ فَنَجَا[١] . رَاقَبَ رَبَّهُ . وَخَافَ ذَنْبَهُ . قَدَّمَ خَالِصًا وَعَمِلَ صَالِحًا . اكْتَسَبَ مَذْخُورًا[٢] . وَاجْتَنَبَ مَحْذُورًا . رَمَى غَرَضًا وَأَحْرَزَ عِوَضًا[٣] كَابَرَ هَوَاهُ . وَكَذَّبَ مُنَاهُ . جَعَلَ الصَّبْرَ مَطِيَّةَ نَجَاتِهِ وَالتَّقْوَى عُدَّةَ وَفَاتِهِ . رَكِبَ الطَّرِيقَةَ الْغَرَّاءَ[٤]، وَلَزِمَ الْمَحَجَّةَ الْبَيْضَاءَ . إِغْتَنَمَ الْمَهَلَ[٥] وَبَادَرَ الْأَجَلَ وَتَزَوَّدَ مِنَ الْعَمَلِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَيُفَوِّقُونَنِي تُرَاثَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَفْوِيقًا وَاللهِ لَئِنْ بَقِيتُ لَهُمْ لَأَنْفُضَنَّهُمْ نَفْضَ اللَّحَّامِ الْوِذَامَ التَّرِبَةَ (وَيُرْوَى التُّرَابَ الْوَذِمَةَ. وَهُوَ عَلَى الْقَلْبِ[٦]) قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَيُفَوِّقُونَنِي أَيْ يُعْطُونَنِي مِنَ

صبيا) ووعى حفظ وفهم المراد واعتبر بما سمع وعمل عليه . ودنا قرب من الرشاد الذى دعى اليه (١) الحجزة بالضم معقد الازار ومن السراويل موضع التكة، والمراد الاقتداء والتمسك. يقال أخذ فلان بحجزة فلان اذا اعتصم به ولجأ اليه (٢) اكتسب مذخورا كسب بالعمل الجليل ثوابا يذخره و يعده لوقت حاجته فى الآخرة (٣) رمى غرضا قصد الى الحق فأصابه . وكابر هواه غالبه، ويروى كاثر بالمثلثة أى غالبه بكثرة أفكاره الصائبة فغلبه (٤) الغراء النيرة الواضحة . والمحجة جادة الطريق ومعظمه. والطريقة الغراء والمحجة البيضاء سبيل الحق ومنهج العدل (٥) المهل هنا مدة الحياة مع العافية فانه أمهل فيها دون أن يؤخذ بالموت أو تحل به بائقة عذاب ، فهو يغتنم ذلك ليعمل فيه لآخرته فيبادر الأجل قبل حلوله بما يتزوده من طيب العمل (٦) على القلب أى أن الحقيقة الوذام التربة كما فى الرواية الأولى لا التراب الوذمة اذ لا معنى له، فهذه الرواية يراد

الْمَالِ قَلِيلًا قَلِيلًا كَفُوَاقِ النَّاقَةِ . وَهُوَ الْحَلْبَةُ الْوَاحِدَةُ مِنْ لَبَنِهَا . وَالْوِذَامُ جَمْعُ وَذَمَةٍ وَهِيَ الْحُزَّةُ مِنَ الْكَرِشِ أَوِ الْكَبِدِ تَقَعُ فِي التُّرَابِ فَتُنْفَضُ (١)

وَمِنْ كَلِمَاتٍ كَانَ يَدْعُو بِهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي . فَإِنْ عُدْتُ فَعُدْ عَلَيَّ بِالْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا وَأَيْتُ مِنْ نَفْسِي وَلَمْ تَجِدْ لَهُ وَفَاءً عِنْدِي (٢) . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا تَقَرَّبْتُ بِهِ إِلَيْكَ بِلِسَانِي ثُمَّ خَالَفَهُ قَلْبِي (٣) . اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي رَمَزَاتِ الْأَلْحَاظِ . وَسَقَطَاتِ الْأَلْفَاظِ . وَشَهَوَاتِ الْجَنَانِ . وَهَفَوَاتِ اللِّسَانِ (٤)

---

(١) الحزة بالضم القطعة. وفسر صاحب القاموس الوذمة بمجموع المعى والكرش منها مقلو بها (٢) وأيت وعدت . وأى كوعى : وعد وضمن، اذا عزمت على عمل خير فكأنك وعدت من نفسك بتأدية أمر الله فان لم توف به فكأن الله لم يجد عندك وفاء بما وعدته فتكون قد أخلفته ومخلف الوعد مسيء، فهو يطلب المغفرة على هذا النوع من الاساءة (٣) تقرب باللسان مع مخالفة القلب كان يقول الحمد لله على كل حال ويسخط على أغلب الأحوال، أو يقول اياك نعبد واياك نستعين وهو يستعين بغير الله ويعظم أشباها ممن دونه (٤) رمزات الألحاظ الاشارة بها . والالحاظ جمع لحظ وهو باطن العين ، أما اللحاظ بالفتح وهو مؤخر العين فلا أعرف له جمعا الا لحظ بضمتين. وسقطات الألفاظ لغوها. والجنان القلب. وشهواته ما يكون من ميل منه الى غير الفضيلة

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قَالَهُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ لَمَّا عَزَمَ عَلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَى ٱلْخَوَارِجِ فَقَالَ لَهُ يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ فِي هٰذَا ٱلْوَقْتِ خَشِيتُ أَنْ لَا تَظْفَرَ بِمُرَادِكَ مِنْ طَرِيقِ عِلْمِ ٱلنُّجُومِ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَتَزْعُمُ أَنَّكَ تَهْدِي إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا صُرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوءُ. وَتُخَوِّفُ مِنَ ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي مَنْ سَارَ فِيهَا حَاقَ بِهِ ٱلضُّرُّ(١)؟. فَمَنْ صَدَّقَ بِهٰذَا فَقَدْ كَذَّبَ ٱلْقُرْآنَ وَٱسْتَغْنَى عَنِ ٱلْإِعَانَةِ بِاللهِ فِي نَيْلِ ٱلْمَحْبُوبِ وَدَفْعِ ٱلْمَكْرُوهِ. وَتَبْتَغِي فِي قَوْلِكَ لِلْعَامِلِ بِأَمْرِكَ أَنْ يُولِيَكَ ٱلْحَمْدَ دُونَ رَبِّهِ لِأَنَّكَ بِزَعْمِكَ أَنْتَ هَدَيْتَهُ إِلَى ٱلسَّاعَةِ ٱلَّتِي نَالَ فِيهَا ٱلنَّفْعَ وَأَمِنَ ٱلضُّرَّ (ثُمَّ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَلَى ٱلنَّاسِ فَقَالَ)

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِيَّاكُمْ وَتَعَلُّمَ ٱلنُّجُومِ إِلَّا مَا يُهْتَدَى بِهِ فِي بَرٍّ أَوْ بَحْرٍ(٢) فَإِنَّهَا تَدْعُو إِلَى ٱلْكَهَانَةِ وَٱلْمُنَجِّمُ كَالْكَاهِنِ(٣) وَٱلْكَاهِنُ كَالسَّاحِرِ

وهفوات اللسان زلاته (١) حاق به الضر أحاط به (٢) طلب لنعلم علم الهيئة الفلكية وسير النجوم وحركاتها للاهتداء بها، وانما ينهى عما يسمى علم التنجيم وهو العلم المبنى على الاعتقاد بروحانية الكواكب، وان لتلك الروحانيــة العلوية سلطانا معنويا على العوالم العنصرية، وان من يتصل بأرواحها بنوع من الاستعداد ومعاونة من الرياضة تكاشفه بما غيب من اسرار الحال والاستقبال (٣) الكاهن من يدعى كشف الغيب

وَٱلسَّاحِرُ كَٱلْكَافِرِ وَٱلْكَافِرُ فِي ٱلنَّارِ سِيرُوا عَلَى ٱسْمِ ٱللهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَعْدَ حَرْبِ ٱلْجَمَلِ فِي ذَمِّ ٱلنِّسَاءِ

مَعَاشِرَ ٱلنَّاسِ إِنَّ ٱلنِّسَاءَ نَوَاقِصُ ٱلْإِيمَانِ(١) نَوَاقِصُ ٱلْحُظُوظِ نَوَاقِصُ ٱلْعُقُولِ . فَأَمَّا نُقْصَانُ إِيمَانِهِنَّ فَقُعُودُهُنَّ عَنِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ فِي أَيَّامِ حَيْضِهِنَّ . وَأَمَّا نُقْصَانُ حُظُوظِهِنَّ فَمَوَارِيثُهُنَّ عَلَى ٱلْأَنْصَافِ مِنْ مَوَارِيثِ ٱلرِّجَالِ . وَأَمَّا نُقْصَانُ عُقُولِهِنَّ فَشَهَادَةُ ٱمْرَأَتَيْنِ كَشَهَادَةِ ٱلرَّجُلِ ٱلْوَاحِدِ . فَاتَّقُوا شِرَارَ ٱلنِّسَاءِ . وَكُونُوا مِنْ خِيَارِهِنَّ عَلَى حَذَرٍ وَلَا تُطِيعُوهُنَّ فِي ٱلْمَعْرُوفِ حَتَّى لَا يَطْمَعْنَ فِي ٱلْمُنْكَرِ(٢)

وكلام أمير المؤمنين حجة حاسمة لخيالات المعتقدين بالرمل والجفر والتنجيم وما شاكلها. ودليل واضح على عدم صحتها ومنافاتها للأصول الشرعية والعقلية (١) خلق الله النساء وحملهن على ثقل الولادة وتربية الأطفال الى سن معين لا يكاد ينتهي حتى تستعد لحمل وولادة وهكذا، فلا يكدن يفرغن من الولادة والتربية فكأنهن قد خصصن لتدبير أمر المنزل وملازمته وهو دائرة محدودة يقوم عليهن فيها أزواجهن، فخلق لهن من العقول بقدر ما يحتجن اليه في هذا، وجاء الشرع مطابقاً للفطرة فكن في أحكامه غير لاحقات للرجال لا في العبادة ولا الشهادة ولا الميراث (٢) لا يريد أن يترك المعروف لمجرد أمرهن به فان في ترك المعروف مخالفة السنة الصالحة خصوصاً ان كان المعروف من الواجبات بل يريد أن لا يكون فعل المعروف صادراً عن مجرد طاعتهن، فاذا فعلت معروفاً فافعله لأنه معروف ولا تفعله امتثالا لأمر المرأة، ولقد قال الامام قولا صدقته التجارب في الاحقاب المتطاولة ولا استثناء مما قال الا بعضاً منهن وهبن فطرة تفوق في سموها ما استوت به الفطن أو تقاربت أو أخذ سلطان من التربية طباعهن على خلاف ما

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ الزَّهَادَةُ قِصَرُ الْأَمَلِ . وَالشُّكْرُ عِنْدَ النِّعَمِ . وَالْوَرَعُ عِنْدَ الْمَحَارِمِ (١) . فَإِنْ عَزَبَ ذٰلِكَ عَنْكُمْ فَلَا يَغْلِبِ الْحَرَامُ صَبْرَكُمْ (٢) ، وَلَا تَنْسَوْا عِنْدَ النِّعَمِ شُكْرَكُمْ فَقَدْ أَعْذَرَ اللّٰهُ إِلَيْكُمْ بِحُجَجٍ مُسْفِرَةٍ، ظَاهِرَةٍ وَكُتُبٍ بَارِزَةِ الْعُذْرِ وَاضِحَةٍ (٣)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي صِفَةِ الدُّنْيَا

مَا أَصِفُ مِنْ دَارٍ أَوَّلُهَا عَنَاءٌ . وَآخِرُهَا فَنَاءٌ . فِي حَلَالِهَا حِسَابٌ . وَفِي

غرز فيها وحولها الى غير ما وجهتها الجبلة اليه (١) الورع الكف عن الشبهات خوف الوقوع فى المحرمات أى اذا عرض المحرم فمن الزهادة أن تكف عما يشتبه به فضلا عنه. والشكر عند النعم الاعتراف بأنها من الله والتصرف فيها على وفق ما شرع . وقصر الامل توجس الموت والاستعداد له بالعمل وليس المراد منه انتظار الموت بالبطالة (٢) عزب عنكم بعد عنكم وفاتكم. والاشارة الى ما تقدم من قصر الامل أى فان عسر عليكم أن تقصروا آمالكم وتكونوا من الزهادة على الكمال المطلوب لكم فلا يغلب الحرام صبركم أى فلا يفتكم الركنان الآخران وهما شكر النعم واجتناب المحرم فان نسيان الشكر يجر الى البطر وارتكاب المحرم يفسد نظام الحياة المعاشية والمعادية. والبطر والفساد مجلبة للنقم فى الدنيا والشقاء فى الآخرة (٣) أعذر بمعنى أنصف وأصله مما همزته للسلب فأعذرت فلاناً سلبت عذره أى ما جعلت له عذرا يبديه لو خالف ما نصحته به ويقال أعذرت الى فلان أى أقمت لنفسى عنده عذراً واضحاً فيما أنزله به من العقوبة حيث حذرته ونصحته. ويصح أن تكون العبارة فى الكتاب على هذا المعنى أيضا بل هو الاقرب من لفظ اليكم ، ويكون الكلام على المجاز ، وتنزيل قيام الحجة له منزلة

حَرَامِهَا عِقَابٌ مَنِ اسْتَغْنَى فِيهَا فُتِنَ . وَمَنِ افْتَقَرَ فِيهَا حَزِنَ . وَمَنْ سَاعَاهَا فَاتَتْهُ(١). وَمَنْ قَعَدَ عَنْهَا وَاتَتْهُ . وَمَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ(٢). وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ . (أَقُولُ وَإِذَا تَأَمَّلَ الْمُتَأَمِّلُ قَوْلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ أَبْصَرَ بِهَا بَصَّرَتْهُ وَجَدَ تَحْتَهُ مِنَ الْمَعْنَى الْعَجِيبِ وَالْغَرَضِ الْبَعِيدِ مَالَا تُبْلَغُ غَايَتُهُ ، وَلَا يُدْرَكُ غَوْرُهُ ، وَلَا سِيَّمَا إِذَا قَرَنَ إِلَيْهِ قَوْلَهُ : وَمَنْ أَبْصَرَ إِلَيْهَا أَعْمَتْهُ . فَإِنَّهُ يَجِدُ الْفَرْقَ بَيْنَ أَبْصَرَ بِهَا وَأَبْصَرَ إِلَيْهَا وَاضِحاً نَيِّراً وَعَجِيباً بَاهِراً) .

قيام العذر لنا. والمسفرة الكاشفة عن نتائجها الصحيحة وبارزة العذر ظاهرته (١) من جرى معها فى مطالبها ، والقصد اهتم بها وجد فى طلبها . وقوله فاتته أى سبقته فانه كلما نال شيئا فتحت له أبواب الآمال فيها فلا يكاد يقضى مطلوبا واحدا حتى يهتف به ألف مطلوب . وقوله ومن قعد عنها واتته يريد به أن من قوم اللذائذ الفانية بقيمتها الحقيقية وعلم أن الوصول اليها انما يكون بالعناء وفواتها يعقب الحسرة عليها، والتمتع بها لايكاد يخلو من شوب الالم فقد وافقته هذه الحياة وأراحته فانه لا يأسف على فائت منها ولا يبطر لحاضر ولا يعانى ألم الانتظار لمقتبل (٢) أبصر بها أى جعلها مرآة عبرة تجلو لقلبه آثار الجد فى عظائم الأعمال وتمثل له هياكل المجد الباقية مما رفعته أيدى الكاملين وتكشف له عواقب أهل الجهالة من المترفين فقد صارت الدنيا له بصراً وحوادثها عبراً . وأما من أبصر اليها واشتغل بها فانه يعمى عن كل خير فيها و يلهو

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَهِيَ مِنَ الْخُطَبِ الْعَجِيبَةِ وَتُسَمَّى الْغَرَّاءَ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الَّذِي عَلَا بِحَوْلِهِ(١) . وَدَنَا بِطَوْلِهِ(٢) . مَانِحِ كُلِّ غَنِيمَةٍ وَفَضْلٍ . وَكَاشِفِ كُلِّ عَظِيمَةٍ وَأَزْلٍ(٣) أَحْمَدُهُ عَلَى عَوَاطِفِ كَرَمِهِ . وَسَوَابِغِ نِعَمِهِ(٤) . وَأُومِنُ بِهِ أَوَّلًا بَادِيًا(٥) . وَأَسْتَهْدِيهِ قَرِيبًا هَادِيًا . وَأَسْتَعِينُهُ قَادِرًا قَاهِرًا . وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ كَافِيًا نَاصِرًا . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ لِإِنْفَاذِ أَمْرِهِ وَإِنْهَاءِ عُذْرِهِ(٦)

---

(١) علا بحوله أى عز وارتفع عن جميع ما سواه لقوته المستعلية بسلطة الايجاد على كل قوة (٢) دنا بطوله أى أنه مع علوه سبحانه وارتفاعه فى عظمته فقد دنا وقرب من خلقه بطوله أى عطائه و إحسانه (٣) الأزل بالسكون الضيق والشدة. وكاشف الشدة المنقذ منها، كما أن مانح الغنيمة معطيها المتفضل بها (٤) العواطف ، ما يعطفك على غيرك و يدنيه من معروفك. وصفة الكرم فى الجناب الالهى وخلقه فى البشر مما يعطف الكريم على موضع الاحسان . وسوابغ النعم كواملها من سبغ الظل إذا عم وشمل (٥) أولا باديا موضعه من سابقه كموضع قريبا هاديا ، وما جاء به بعده من سوابقها فهى أحوال من الضمائر الراجعة إلى الله سبحانه وتعالى فيكون أول صفة نصبت على الحال من ضمير به أى أصدق بالله على أنه سابق كل شىء فى الوجود فهو البادى أى الظاهر بذاته المظهر لغيره ومن كان كذلك لم تخالط التصديق به ريبة . والقريب الهادى جدير بأن تطلب منه الهداية. والقادر القاهر حقيق بأن يستعان به لأنه قوى على المعونة. والكافى الناصر حرى بأن يتوكل عليه (٦) انهاء عذره ابلاغه . والعذر هنا كناية عن الحجج العقلية والنقلية التى أقيمت ببعثة النبي صلى الله عليه وسلم على أن من خالف شريعة الله استحق

وَتَقْدِيمِ نُذُرِهِ (١). أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ضَرَبَ لَكُمُ الْأَمْثَالَ (٢) وَوَقَّتَ لَكُمُ الْآجَالَ. وَأَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ وَأَرْفَغَ لَكُمُ الْمَعَاشَ، وَأَحَاطَكُمْ بِالْإِحْصَاءِ. وَأَرْصَدَ لَكُمُ الْجَزَاءَ. وَآثَرَكُمْ بِالنِّعَمِ السَّوَابِغِ وَالرِّفَدِ الرَّوَافِغِ. وَأَنْذَرَكُمْ بِالْحُجَجِ الْبَوَالِغِ. وَأَحْصَاكُمْ عَدَدًا. وَوَظَّفَ لَكُمْ مُدَدًا فِي قَرَارِ خِبْرَةٍ وَدَارِ عِبْرَةٍ، أَنْتُمْ مُخْتَبَرُونَ فِيهَا وَمُحَاسَبُونَ عَلَيْهَا فَإِنَّ الدُّنْيَا رَنِقٌ مَشْرَبُهَا (٣) رَدِغٌ مَشْرَعُهَا. يُونِقُ مَنْظَرُهَا (٤) وَيُوبِقُ مَخْبَرُهَا. غُرُورٌ حَائِلٌ (٥). وَظِلٌّ زَائِلٌ. وَسِنَادٌ

العقاب ومن جرى عليها استحق جزيل الثواب (١) النذر جمع نذير أى الأخبار الالهية المنذرة بالعقاب على سوء الأعمال أو هو مفرد بمعنى الانذار (٢) ضرب الأمثال جاء بها فى الكلام لايضاح الحجج وتقريرها فى الاذهان. ووقت الآجال جعلها فى أوقات محدودة لا متقدم عنها ولا متأخر. والرياش ما ظهر من اللباس، ووجه النعمة فيه أنه ساتر للعورة واق من الحر والبرد، وقد يراد بالرياش الخصب والغنى فيكون ألبسكم على المجاز. وأرفغ لكم أى أوسع يقال رفغ عيشه بالضم رفاغة أى اتسع. وأحاطكم بالاحصاء أى جعل احصاء أعمالكم والعلم بها محيطا كالسور لا تنفذون منه ولا تتعدونه ولا تشذ عنه شاذة. وأرصد لكم الجزاء أعده لكم فلا محيص عنه. والرفد جمع رفدة ككسرة وكسر وهي العطية والصلة. والروافغ الواسعة. والحجج البوالغ الظاهرة المبينة. ووظف لكم مدداً أى قدر لكم. والمدد جمع مدة أى عين لكم أزمنة تحيون فيها. فى قرار خبرة أى فى دار ابتلاء واختبار وهي دار الدنيا وفيها الاعتبار والاتعاظ والحساب عليها أى على ما يؤتى من خير وشر (٣) رنق كفرح كدر، وردغ كثير الطين والوحل. والمشرع مورد الشاربة للشرب (٤) يونق يعجب، ويوبق يهلك (٥) حائل اسم فاعل من حال إذا تحول وانتقل أى ان شأنها الغرور الذى لا بقاء له، وجاء فى بعض الروايات بعد هذه الفقرة (وضوء آفل) أى غائب لا يلبث أن ظهر حتى يغيب

مَائِلٍ[١] حَتَّى إِذَا أَنِسَ نَافِرُهَا. وَاطْمَأَنَّ نَاكِرُهَا قَمَصَتْ بِأَرْجُلِهَا[٢]. وَقَنَصَتْ بِأَحْبُلِهَا. وَأَقْصَدَتْ بِأَسْهُمِهَا. وَأَعْلَقَتِ الْمَرْءَ أَوْهَاقَ الْمَنِيَّةِ[٣]. قَائِدَةً لَهُ إِلَى ضَنْكِ الْمَضْجَعِ[٤] وَوَحْشَةِ الْمَرْجِعِ. وَمُعَايَنَةِ الْمَحَلِّ[٥] وَثَوَابِ الْعَمَلِ. وَكَذَلِكَ الْخَلَفُ يَعْقُبُ السَّلَفَ. لَا تُقْلِعُ الْمَنِيَّةُ اخْتِرَامًا[٦] وَلَا يَرْعَوِي الْبَاقُونَ اجْتِرَامًا[٧]. يَحْتَذُونَ مِثَالًا وَيَمْضُونَ أَرْسَالًا إِلَى غَايَةِ الْانْتِهَاءِ. وَصَيُّورِ الْفَنَاءِ[٨] حَتَّى إِذَا تَصَرَّمَتِ الْأُمُورُ وَتَقَضَّتِ

---

(١) السناد بالكسر ما يستند اليه ودعامة يسند بها السقف ، وناكرها اسم فاعل من نكر الشيء كعلمه أى جهله فأنكره (٢) قمص الفرس وغيره يقمص من باب ضرب ونصر قمصا وقماصا أى استن وهو أن يرفع يديه ويطرحهما معا ويعجب ، وفى المثل المضروب لضعيف لا حراك به وعزيز ذل (ما بالعير من قماص) وانما قال أرجل وليس للدابة الا رجلان لأنه نزل اليدين لها منزلة الأرجل لأن المشى على جميعها وروى بأرحلها بالحاء جمع رحل: الناقة ، وقنصت بأحبلها أى اصطادت وأوقعت من اغتر بها فى شباكها وحبالها ، وأقصدت قتلت مكانها من غير تأخير (٣) علقت به وربطت بعنقه. أوهاق المنية جمع وهق بالتحريك والتسكين أى حبال الموت (٤) ضنك المضجع ضيق المرقد والمراد القبر (٥) معاينة المحل مشاهدة مكانه من النعيم والجحيم. وثواب العمل جزاؤه الأعم من شقاء وسعادة. والخلف المتأخرون والسلف المتقدمون. ويعقب السلف يروى فعلا أى يتبع. ويروى بعقب بباء الجر فيكون عقب بالسكون بمعنى بعد وأصله جرى الفرس بعدجريه. يقال لهذا الفرس عقب حسن (٦) لا تقلع أى لا تكف المنية عن اخترامها أى استئصالها للأحياء (٧) لا يرعوى الباقون أى لا يرجعون ولا يكفون عن اجترام السيئات ويحتذون مثالا أى يشاكلون بأعمالهم صور أعمال من سبقهم ويقتدون بهم ، ويمضون أرسالا جمع رسل بالتحريك وهو القطيع من الابل والغنم والخيل (٨) صيور الأمر كتنور مصيره وما يؤول اليه ، يريد الامام من

الدُّهُورُ وَأَزِفَ النُّشُورُ[١] أَخْرَجَهُمْ مِنْ ضَرَائِحِ الْقُبُورِ وَأَوْكَارِ الطُّيُورِ . وَأَوْجِرَةِ السِّبَاعِ . وَمَطَارِحِ الْمَهَالِكِ سِرَاعًا إِلَى أَمْرِهِ . مُهْطِعِينَ إِلَى مَعَادِهِ[٢] . رَعِيلًا صُمُوتًا قِيَامًا صُفُوفًا يُنْفِذُهُمُ الْبَصَرُ[٣] وَيُسْمِعُهُمُ الدَّاعِي . عَلَيْهِمْ لَبُوسُ الِاسْتِكَانَةِ[٤] . وَضَرَعُ الِاسْتِسْلَامِ وَالذِّلَّةِ . قَدْ ضَلَّتِ الْحِيَلُ . وَانْقَطَعَ الْأَمَلُ . وَهَوَتِ الْأَفْئِدَةُ كَاظِمَةً[٥] وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ مُهَيْنِمَةً . وَأَلْجَمَ الْعَرَقُ . وَعَظُمَ الشَّفَقُ وَأُرْعِدَتِ

ذلك أن الدنيا لا تزال تغر بنيها ليأنسوا اليها بالارتياح إلى لذائذها واستسهال احتمال آلامها ثم تنقلب بهم إلى ما لابد منه وهم فى غفلة لاهون (١) أزف النشور قرب البعث، والضمير فى أخرجهم إلى البعث على سبيل المجاز أو إلى الله تعالى. والضرائح جمع ضريح الشق وسط القبر وأصله من ضرحه دفعه وأبعده فان المقبور مدفوع منبوذ وهو أبعد الأشياء عن الاحياء. والاوكار جمع وكر مسكن الطير. والاوجرة جمع وجار ككتاب الجحر ، والذين يبعثون من الأوكار والأوجرة هم الذين افترسهم الطيور الصائدة والسباع الكاسرة (٢) مهطعين أى مسرعين إلى معاده سبحانه الذى وعد أن يعيدهم فيه ، وقوله الرعيل القطعة من الخيل . شبههم فى تلاحق بعضهم ببعض برعيل الخيل أى الجملة القليلة منها لأن الاسراع لا يدع أحداً منهم ينفرد عن الآخر فان الانفراد من الابطاء، ولا يدعهم يجتمعون جما فان التضام والالتفاف إنما يكون من الاطمئنان (٣) ينفذهم البصر يجاوزهم أى يأتى عليهم ويحيط بهم أى لا يعزب واحد منهم عن بصر الله (٤) اللبوس بالفتح ما يلبس. والاستكانة الخضوع . والضرع بالتحريك الوهن والضعف والخشوع ، هذا لو جعلنا عليهم متعلقا بمحذوف خبر عن لبوس وضرع فان جعلناه متعلقا بالداعى بمعنى المنادى والصائح عليهم جعلنا لبوس جملة مبتدأه ويكون لبوس جمع لابس ، وضرع محركة اسم جمع للضريع بمعنى الذليل (٥) هوت القلوب خلت من المسرة والأمل من النجاة ، كاظمة أى ساكنة كاتمة لما

ٱلْأَسْمَاعُ لِزَبْرَةِ ٱلدَّاعِي إِلَى فَصْلِ ٱلْخِطَابِ(١) وَمُقَابَضَةِ ٱلْجَزَاءِ. وَنَكَالِ ٱلْعِقَابِ. وَنَوَالِ ٱلثَّوَابِ. عِبَادٌ مَخْلُوقُونَ ٱقْتِدَارًا. وَمَرْبُوبُونَ ٱقْتِسَارًا(٢) وَمَقْبُوضُونَ ٱحْتِضَارًا. وَمُضَمَّنُونَ أَجْدَاثًا. وَكَائِنُونَ رُفَاتًا. وَمَبْعُوثُونَ أَفْرَادًا. وَمَدِينُونَ جَزَاءً. وَمُمَيَّزُونَ حِسَابًا. قَدْ أُمْهِلُوا فِي طَلَبِ ٱلْمَخْرَجِ(٣)

يزعجها من الفزع ومهينمة أى متخافية، والهينمة الكلام الخفى، وألجم العرق كثر حتى امتلأت به الأفواه لغزارته فنعها من النطق وكان كالالجام. والشفق محركة الخوف (١) أرعدت عرتها الرعدة. وزبرة الداعى صوته وصيحته ولايقال زبره الا إذا كان فيها زجر وانتهار فانها واحدة الزبر أى الكلام الشديد، والمقابضة المعاوضة أى مبادلة الجزاء الخير بالخير والشر بالشر (٢) مربوبون مملوكون، والاقتسار الغلبة والقهر أى أنهم كما خلقوا باقتدار الله سبحانه وقوته فهم مملوكون له بسطوة عزته لا خيرة لهم فى ذلك واذا جاء الأجل قبضت أرواحهم إليه بما يحضر عند الأجل من مرهقات الأرواح والقوى المسلطة على الفناء. واحتضر فلان حضرته الملائكة تقبض روحه. وكانت العرب تقول لبن محتضر أى فاسد يعنون أن الجن حضرته، يقال اللبن محتضر فغط اناءك. والأجداث جمع جدث وهو القبر واجتدث الرجل اتخذ جدثا. ويقال جدف بالفاء. ومضمنون الاجداث مجعولون فى ضمنها. والرفات الحطام ويقال رفته كنصر وضرب أى كسره ودقه أى فته بيده كما يفت المدر والعظم البالى. ومبعوثون أفراداً أى كل يسأل عن نفسه لايلتفت لرابطة تجمعه مع غيره. ومدينون أى مجزيون والدين الجزاء قال «مالك يوم الدين» ومميزون حسابا كل يحاسب على عمله منفصلا عمن سواه (لا تزر وازرة وزر أخرى) (٣) المخرج الخاص من ربقة المعصية بالتوبة، والانابة الخالصة، والمنهج الطريق الواضحة التى دلت عليها الشريعة المطهرة والمستعتب المسترضى ويقال أيضا استعتبه أناله العتبى وهى الرضى. وانما ضرب المثل بمهل المستعتب لأنك إذا استرضيت شخصاً وطلبت منه أن يرضى لا ترهقه فى المطالبة بل تفسح له حتى يرضى بقلبه لا بلسانه، أى أن الله فسح لهم فى الآجال حتى يتمكنوا من ارضائه وأوتوا من العمر مهلة من ينال العتبى أى الرضا لو أحسن العمل. استعتبه أناله العتبى فهو المستعتب والمفعول

وَهُدُوا سَبِيلَ الْمَنْهَجِ . وَعُمِّرُوا مَهَلَ الْمُسْتَعْتَبِ . وَكُشِفَتْ عَنْهُمْ سُدَفُ الرِّيَبِ[1] وَخُلُّوا لِمِضْمَارِ الْجِيَادِ[2] . وَرَوِيَّةِ الِارْتِيَادِ . وَأَنَاةِ الْمُقْتَبِسِ الْمُرْتَادِ[3] فِي مُدَّةِ الْأَجَلِ وَمُضْطَرَبِ الْمَهَلِ . فَيَالَهَا أَمْثَالًا صَائِبَةً . وَمَوَاعِظَ شَافِيَةً . لَوْ صَادَفَتْ قُلُوبًا زَاكِيَةً . وَأَسْمَاعًا وَاعِيَةً . وَآرَاءً عَازِمَةً . وَأَلْبَابًا حَازِمَةً . فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ سَمِعَ فَخَشَعَ . وَاقْتَرَفَ فَاعْتَرَفَ[4] وَوَجِلَ فَعَمِلَ . وَحَاذَرَ فَبَادَرَ . وَأَيْقَنَ فَأَحْسَنَ . وَعُبِّرَ فَاعْتَبَرَ . وَحُذِّرَ فَازْدَجَرَ وَأَجَابَ فَأَنَابَ[5] . وَرَجَعَ فَتَابَ . وَاقْتَدَى فَاحْتَذَى . وَأُرِيَ فَرَأَى .

مستعتب (١) السدف جمع سدفة بالفتح الظلمة ، والريب جمع ريبة وهى الشبهة وابهام الأمر ، وكشف ذلك بما أبان من البراهين الواضحة (٢) خلوا تركوا فى مجال يتسابقون فيه إلى الخيرات. والجياد من الخيل كرامها ، والمضمار المكان الذى تضمر فيه الخيل ، والمدة التى تضمر فيها أيضا . والروية اعمال الفكر فى الأمر ليأتى على أسلم وجوهه والارتياد هنا طلب ما يراد (٣) الأناة الانتظار والتؤدة. والمقتبس المرتاد أى الذى أخذ بيده مصباحا ليرتاد على ضوئه شيئا غاب عنه ، ومثل هذا يتأنى فى حركته خوف أن يطفأ مصباحه وخشية أن يفوته فى بعض خطواته ما يفتش عليه لو أسرع فلذا ضرب المثل به . والمضطرب مدة الاضطراب أى الحركة فى العمل (٤) اقترف اكتسب ومثله قرف يقرف لعياله أى يكسب ، ووجل خاف وجلا وموجلا بفتح الميم والجيم. وبادر سارع. وعبر مبنى للمجهول مشدد الباء أى عرضت عليه العبر مرارا كثيرة فاعتبر أى اتعظ وحذر مبنى للمجهول أيضا أى خوف من عواقب الخطايا، فازدجر أى امتنع عنها ويروى وحذر فحذر وزجر فازدجر (٥) أجاب داعى الله إلى طاعته فأناب اليه أى رجع ، واحتذى شاكل بين عمله وعمل مقتداه أى أحسن القدوة. وأرى بضم الهمزة مبنى للمجهول أى أرته الشريعة ما يجب عليه وما يجب له وما يعقب الطاعة وما يعقب المعصية فرأى

فَأَسْرَعَ طَالِباً وَنَجَا هَارِباً . فَأَفَادَ ذَخِيرَةً(١) وَأَطَابَ سَرِيرَةً . وَعَمَّرَ مَعَاداً . وَاسْتَظْهَرَ زَاداً(٢) . لِيَوْمِ رَحِيلِهِ . وَوَجْهِ سَبِيلِهِ . وَحَالِ حَاجَتِهِ . وَمَوْطِنِ فَاقَتِهِ . وَقَدَّمَ أَمَامَهُ لِدَارِ مُقَامِهِ . فَاتَّقُوا اللهَ عِبَادَ اللهِ جِهَةَ مَا خَلَقَكُمْ لَهُ(٣) . وَاحْذَرُوا مِنْهُ كُنْهَ مَا حَذَّرَكُمْ مِنْ نَفْسِهِ(٤) وَاسْتَحِقُّوا مِنْهُ مَا أَعَدَّ لَكُمْ بِالتَّنَجُّزِ لِصِدْقِ مِيعَادِهِ(٥) وَالْحَذَرِ مِنْ هَوْلِ مَعَادِهِ

«مِنْهَا» جَعَلَ لَكُمْ أَسْمَاعاً لِتَعِيَ مَا عَنَاهَا . وَأَبْصَاراً لِتَجْلُوَ عَنْ عَشَاهَا(٦) وَأَشْلَاءً جَامِعَةً لِأَعْضَائِهَا . مُلَائِمَةً لِأَحْنَائِهَا(٧) . فِي تَرْكِيبِ صُوَرِهَا وَمُدَدِ

ذلك رؤية صحيحة ترتب عليها حسن العمل (١) أفاد الذخيرة استفادها واقتناها وهو من الاضداد (٢) استظهر زاداً حمل زادا. حمل ظهر راحلته الى الآخرة والكلام تمثيل، ووجه السبيل المقصد الذى يركب السبيل لأجله (٣) الجهة مثلثة الناحية والجانب وهو ظرف متعلق بحال من ضمير اتقوا أى متوجهين جهة ما خلقكم لأجله من العمل النافع لكم الباقى أثره لأخلافكم (٤) حذرنا من نفسه سبحانه أن نتعرض لما يغضبه بمخالفة أوامره ونواهيه. وكنه ذلك غايته ونهايته أى احذروا نهاية ما حذركم ولا تقعوا فى شيء مما يغضبه وقد يكون المراد من كنه ما حذرنا هو البحث عن كنهه وحقيقته فيأمرنا الامام بالتقوى والبعد عن البحث فى حقيقته وكنهه فان الوصول الى كنه ذاته محال (٥) تنجز الوعد طلب وفائه على عجل وتنجز ما وعد الله انما يكون بالعمل له وبهذا التنجز العملى يستحق ما أعد الله للصالحين . والحذر معطوف على التنجز (٦) عناها أهمها وتعيه تحفظه وتجلو من جلا عن المكان فارقه أى تخلص من عماها أى لتبصر ولا تكون مبصرة حقيقة حتى يفيدها الابصار حركة الى نافع وانقباضا عن ضار . والأشلاء جمع شلو الجسد أو العضو وعلى الثانى يكون المعنى أن كل عضو فيه اعضاء باطنة أو صغيرة (٧) الاحناء جمع حنو بالكسر كل ما اعوج من البدن وملاءمة

عُمُرِهَا . بِأَبْدَانٍ قَائِمَةٍ بِأَرْفَاقِهَا[١] وَقُلُوبٍ رَائِدَةٍ لِأَرْزَاقِهَا . فِي مُجَلِّلَاتِ نِعَمِهِ[٢] وَمُوجِبَاتِ مِنَنِهِ . وَحَوَاجِزِ عَافِيَتِهِ . وَقَدَّرَ لَكُمْ أَعْمَارًا سَتَرَهَا عَنْكُمْ . وَخَلَّفَ لَكُمْ عِبَرًا مِنْ آثَارِ الْمَاضِينَ قَبْلَكُمْ مِنْ مُسْتَمْتَعِ خَلَاقِهِمْ وَمُسْتَفْسَحِ خَنَاقِهِمْ . أَرْهَقَتْهُمُ الْمَنَايَا دُونَ الْآمَالِ . وَشَذَّبَهُمْ عَنْهَا تَخَرُّمُ الْآجَالِ . لَمْ يَمْهَدُوا فِي سَلَامَةِ الْأَبْدَانِ ، وَلَمْ يَعْتَبِرُوا فِي أُنُفِ الْأَوَانِ[٣] . فَهَلْ يَنْتَظِرُ أَهْلُ بَضَاضَةِ الشَّبَابِ إِلَّا حَوَانِيَ الْهَرَمِ . وَأَهْلُ غَضَارَةِ الصِّحَّةِ إِلَّا نَوَازِلَ السَّقَمِ . وَأَهْلُ مُدَّةِ الْبَقَاءِ إِلَّا آوِنَةَ الْفَنَاءِ[٤] مَعَ قُرْبِ الزِّيَالِ[٥] وَأُزُوفِ الِانْتِقَالِ وَعَلَزِ الْقَلَقِ . وَأَلَمِ الْمَضَضِ وَغُصَصِ الْجَرَضِ . وَتَلَفُّتِ الِاسْتِغَاثَةِ بِنُصْرَةِ الْحَفَدَةِ وَالْأَقْرِبَاءِ وَالْأَعِزَّةِ

الأعضاء لها تناسبها معها، وقد يراد من الاحناء الجهات والجوانب. وملائمة حال من الأعضاء، وملاءمة الاعضاء للجهات التى وضعت فيها أن يكون العضو فى تلك الجهة انفع منه فى غيرها، تكون العين فى موضعها المعروف أنفع من كونها فى قمة الرأس مثلا ، وقوله تركيب صورها أى آتية فى صورها المركبة كما تقول ركب فى سلاحه أى متسلحا

(١) الارفاق جمع رفق بالكسر المنفعة أو ما يستعان به عليها . ورائدة أى طالبة

(٢) مجللات على صيغة اسم الفاعل من جلله بمعنى غطاه أى غامرات نعمه من قولهم سحاب مجلل أى يطبق الأرض (٣) الخلاق النصيب الوافر من الخير ، والخناق بالفتح حبل يخنق به و بالضم داء يمتنع معه نفوذ النفس، وارهقتهم أعجلتهم، وأنف بضمتين يقال أمر أنف مستأنف لم يسبق به قدر والأنف أيضا المشية الحسنة (٤) البضاضة رخص ورقة الجلد وامتلاؤه والغضارة النعمة والسعة والخصب (٥) الزيال مصدر زايله

وَٱلقُرَنَاء . فَهَلْ دَفعَتِ ٱلْأَقَارِبُ أَوْ نَفعَتِ ٱلنَّوَاحِبُ (١) وَقَدْ غُودِرَ فِي مَحَلَّةِ ٱلْأَمْوَاتِ رَهِيناً (٢) وَفِي ضِيقِ ٱلْمَضْجَعِ وَحِيداً . قَدْ هَتَكَتِ ٱلْهَوَامُّ جِلْدَتَهُ (٣) وَأَبْلَتِ ٱلنَّوَاهِكُ جِدَّتَهُ . وَعَفَتِ ٱلْعَوَاصِفُ آثَارَهُ . وَمَحَا ٱلْحَدَثَانُ مَعَالِمَهُ (٤) وَصَارَتِ ٱلْأَجْسَادُ شَحِبَةً بَعْدَ بَضَّتِهَا ، وَٱلْعِظَامُ نَخِرَةً بَعْدَ قُوَّتِهَا (٥) وَٱلْأَرْوَاحُ مُرْتَهَنَةً بِثِقَلِ أَعْبَائِهَا (٦) مُوقِنَةً بِغَيْبِ أَنْبَائِهَا . لَا تُسْتَزَادُ مِنْ صَالِحِ عَمَلِهَا ، وَلَا تُسْتَعْتَبُ مِنْ سَيِّءِ زَلَلِهَا (٧) أَوَلَسْتُمْ أَبْنَاءَ ٱلْقَوْمِ وَٱلْآبَاءِ ، وَإِخْوَانَهُمْ وَٱلْأَقْرِبَاءِ . تَحْتَذُونَ أَمْثِلَتَهُمْ . وَتَرْكَبُونَ قِدَّتَهُمْ (٨) وَتَطَأُونَ جَادَّتَهُمْ . فَٱلْقُلُوبُ قَاسِيَةٌ عَنْ حَظِّهَا . لَاهِيَةٌ عَنْ

مزايلة وزيالا فارقه (١) الازوف الدنو والقرب والعلز قلق وخفة وهلع يصيب المريض والمحتضر . والمضض بلوغ الحزن من القلب ، والجرض الريق ، والحفدة البنات وأولاد الأولاد والأصهار (٢) غودر ترك و بقى ، ورهينا حبيسا (٣) هتكت جذبت جلدته فقطعتها . والهوام الحيات وكل ذى سم يقتل (٤) النواهك من قولهم نهكه السلطان اذا بالغ فى عقوبته . وعفت أى محت ، والعواصف الرياح الشديدة ، والمعالم جمع معلم وهو ما يستدل به (٥) الشحبة بفتح فكسر الهالكة . البضة هنا الواحدة من البض وهو مصدر بض الماء اذا ترشح قليلا قليلا أى بعد امتلائها حتى كان الماء يترشح منها . ونخرة بالية (٦) الأعباء الأثقال جمع عبء أى حمل . وموقنة بغيب أنبائها أى منكشفا لها ما كان غائبا عنها من أخبارها وما أعد لها فى الآخرة (٧) لا تستزاد الخ أى لا يطلب منها زيادة العمل فانه لا عمل بعد الموت . ولا تستعتب مبنى للمفعول أى لا يطلب منها تقديم العتبى أى التوبة من العمل القبيح أومبنى للفاعل أى لا يمكنها أن تطلب الرضاء والاقالة من خطئها السيء (٨) القدة بكسر فتشديد الطريقة . وتطأون جادتهم تسيرون

رُشْدِهَا سَالِكَةٌ فِي غَيْرِ مِضْمَارِهَا . كَأَنَّ الْمَعْنِيَّ سِوَاهَا(١) وَكَأَنَّ الرُّشْدَ فِي إِحْرَازِ دُنْيَاهَا . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَجَازَكُمْ عَلَى الصِّرَاطِ وَمَزَالِقِ دَحْضِهِ وَأَهَاوِيلِ زَلَلِهِ وَتَارَاتِ أَهْوَالِهِ(٢) فَاتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ ذِي لُبٍّ شَغَلَ التَّفَكُّرُ قَلْبَهُ . وَأَنْصَبَ الْخَوْفُ بَدَنَهُ(٣) ، وَأَسْهَرَ التَّهَجُّدُ غِرَارَ نَوْمِهِ وَأَظْمَأَ الرَّجَاءُ هَوَاجِرَ يَوْمِهِ وَظَلَفَ الزُّهْدُ شَهَوَاتِهِ ، وَأَرْجَفَ الذِّكْرُ بِلِسَانِهِ وَقَدَّمَ الْخَوْفَ لِإِبَّانِهِ ، وَتَنَكَّبَ الْمَخَالِجَ عَنْ وَضَحِ السَّبِيلِ ، وَسَلَكَ أَقْصَدَ الْمَسَالِكِ إِلَى النَّهْجِ الْمَطْلُوبِ ، وَلَمْ تَفْتِلْهُ فَاتِلَاتُ الْغُرُورِ(٤) ، وَلَمْ تَعْمَ

على سبيلهم بلا انحراف عنهم فى شىء أى يصيبكم ما أصابهم بلا أقل تفاوت (١) كأن المعنى أى المقصود بالتكاليف الشرعية والموجه اليه التحذير والتبشير غيرها ، وقوله وكأن الرشد الخ أى مع أن الرشد لم ينحصر فى هذا بل الرشد كل الرشد احراز الآخرة لا الدنيا (٢) أن مجازكم الخ أنكم تجوزون على الصراط مع مافيه من مزالق الدحض. والدحض هو انقلاب الرجل بغتة فيسقط المار .والزلل هو انزلاق القدم والتارات النوب والدفعات (٣) أنصب الخوف بدنه أتعبه (٤) والغرار بالكسر القليل من النوم وغيره وأسهره التهجد أى أزال قيام الليل نومه القليل فأذهبه بالمرة. وأظمأ الرجاء الخ أى أظمأ نفسه فى هاجرة اليوم. والمعنى صام رجاء الثواب. وظلف الزهد الخ أى منعها. وظلف منع . وأرجف الذكر أرجف به أى حركه ويروى أوجف بالواو أى أسرع كأن الذكر لشدة تحريكه اللسان موجف به كما توجف الناقة براكبها ، وابان الشىء بكسر فتشديد وقته الذى يلزم ظهوره فيه أى انه خاف فى الوقت الذى ينفع فيه الخوف ، ويروى لأمانه أى خاف فى الدنيا ليأمن فى الآخرة. وتنكب الشىء مال عنه ، والمخالج الشعوب من الطريق المائلة عن وضحه والوضح محركة الجادة. وعن وضح متعلق بالمخالج أى تنكب المائلات عن الجادة . وأقصد المسالك أقومها ولم تفتله الخ أى لم ترده ولم تصرفه ولم تعم عليه أى لم تخف عليه الأمور المشتبهة حتى يقع فيها يحذر على غير

عَلَيْهِ مُشْتَبِهَاتُ الْأُمُورِ. ظَافِرًا بِفَرْحَةِ الْبُشْرَى وَرَاحَةِ النُّعْمَى[١] فِي أَنْعَمِ نَوْمِهِ وَآمَنِ يَوْمِهِ. قَدْ عَبَرَ مَعْبَرَ الْعَاجِلَةِ حَمِيدًا[٢]. وَقَدَّمَ زَادَ الْآجِلَةِ سَعِيدًا. وَبَادَرَ مِنْ وَجَلٍ. وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ وَرَغِبَ فِي طَلَبٍ وَذَهَبَ عَنْ هَرَبٍ[٣] وَرَاقَبَ فِي يَوْمِهِ غَدَهُ. وَنَظَرَ قُدُماً أَمَامَهُ[٤] فَكَفَى بِالْجَنَّةِ ثَوَاباً وَنَوَالًا. وَكَفَى بِالنَّارِ عِقَاباً وَوَبَالًا. وَكَفَى بِاللهِ مُنْتَقِماً وَنَصِيرًا. وَكَفَى بِالْكِتَابِ حَجِيجًا وَخَصِيماً[٥] أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَعْذَرَ بِمَا أَنْذَرَ. وَاحْتَجَّ بِمَا نَهَجَ[٦]. وَحَذَّرَكُمْ عَدُوًّا نَفَذَ فِي الصُّدُورِ خَفِيًّا وَنَفَثَ فِي الْآذَانِ نَجِيًّا[٧]، فَأَضَلَّ وَأَرْدَى، وَوَعَدَ فَمَنَّى،

بصيرة (١) النعمى بالضم سعة العيش ونعيمه، ظافرا حال من الضمائر السابقة العائدة على ذي لب وفى أنعم متعلق براحة النعمى وجعل اتصافه بتلك الأوصاف فى حال الظفر تمثيلا لالتصاق السعادة بالفضيلة وملازمتها اياها (٢) العاجلة الدنيا. وسميت معبرا لأنها طريق يعبر منها الى الآخرة وهى الآجلة. بادر من وجل أى سبق الى خير الأعمال خوفا من لقاء الأهوال. وأكمش أسرع ومثله انكمش وكمشته تكميشا أعجلته. والمراد جد السير فى مهلة الحياة (٣) أى رغب فيما ينبغى طلبه وذهب وانصرف عما يجب الهروب منه (٤) القدم بفتحتين السابق أى نظر الى ما يتقدم أمامه من الأعمال ويروى قدما بضمتين وهو المضى أمام أى مضى متقدما (٥) الكتاب القرآن. وحجيجا وخصيما أى مقنعا لمن خالفه بأنه جلب الهلاك على نفسه، وقد يراد من الكتاب ما أحصى من الأعمال على العامل اذا عرض عليه يوم الحساب (٦) أعذر بما أنذر ما مصدرية أعذر أى سلب عذر المعتذر بانذاره اياه بعواقب العمل وقامت له الحجة على الضالين بما نهج وأوضح من طرق الخير والفضيلة (٧) ذلك العدو هو الشيطان ونفذ فى الصدور الخ تمثيل لدقة مجارى وسوسته فى الأنفس فهو فيما يسوله

وَزَيَّنَ سَيِّئَاتِ الْجَرَائِمِ . وَهَوَّنَ مُوبِقَاتِ الْعَظَائِمِ . حَتَّى إِذَا اسْتَدْرَجَ قَرِينَتَهُ[١] وَاسْتَغْلَقَ رَهِينَتَهُ أَنْكَرَ مَا زَيَّنَ[٢] وَاسْتَعْظَمَ مَا هَوَّنَ وَحَذَّرَ مَا أَمَّنَ .

وَمِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ الْإِنْسَانِ أَمْ هٰذَا الَّذِي أَنْشَأَهُ فِي ظُلُمَاتِ الْأَرْحَامِ[٣] وَشُغُفِ الْأَسْتَارِ نُطْفَةً دِهَاقًا وَعَلَقَةً مُحَاقًا . وَجَنِينًا وَرَاضِعًا، وَوَلِيدًا وَيَافِعًا[٤] . ثُمَّ مَنَحَهُ قَلْبًا حَافِظًا وَلِسَانًا لَافِظًا وَبَصَرًا لَاحِظًا . لِيَفْهَمَ مُعْتَبِرًا . وَيُقَصِّرَ مُزْدَجِرًا . حَتَّى إِذَا قَامَ اعْتِدَالُهُ وَاسْتَوَى مِثَالُهُ[٥] نَفَرَ مُسْتَكْبِرًا وَخَبَطَ سَادِرًا[٦] . مَاتِحًا فِي غَرْبِ هَوَاهُ[٧] ، كَادِحًا سَعْيًا لِدُنْيَاهُ . فِي لَذَّاتِ

يجرى مجرى الأنفاس و يسلك بما يأتى من مسالك الاصدقاء كأنه نجى يسارك و ينفث فى أذنك بما تظنه خيرا لك. واردى أهلك. ووعد فمنى أى صور الأمانى كذبا (١) القرينة النفس التى يقارنها بالوسوسة . واستدرجها أنزلها من درجة الرشد الى درجته من الضلالة ، واستغلق الرهن جعله بحيث لا يمكن تخليصه (٢) أنكر الخ بيان لعمل الشيطان و براءته ممن اغواه عندما تحق كلمة العذاب (٣) أم بمعنى بل الانتقالية بعد ما بين وصف الشيطان انتقل لبيان صفة الانسان ، وشغف الأستار جمع شغاف هو فى الأصل غلاف القلب استعاره للمشيمة (٤) دهاقا متتابعا دهقها أى صبها بقوة وقد تفسر الدهاق بالممتلئة أى ممتلئة من جراثيم الحياة وعلقة محاقا أى خفى فيها ومحق كل شكل وصورة. والجنين الولد بعد تصويره ما دام فى بطن أمه ، واليافع الغلام راهق العشرين و يقصر يكف عن الرذائل ممتنعا عنها بالعقل والروية (٥) استوى مثاله أى بلغت قامته حد ما قدر لها من النمو (٦) خبط البعير اذا ضرب بيديه الأرض لا يتوقى شيئا والسادر المتحير والذى لا يهتم ولا يبالى ما صنع (٧) متح الماء نزعه وهو فى أعلى البئر والماتح الذى ينزل البئر اذا قل ماؤها فيملأ الدلو . والغرب الدلو العظيمة أى لا يستقى

طَرَبِهِ ، وَبَدَوَاتِ أَرَبِهِ لَا يَحْتَسِبُ رَزِيَّةً[1] وَلَا يَخْشَعُ تَقِيَّةً . فَمَاتَ فِي فِتْنَتِهِ غَرِيرًا، وَعَاشَ فِي هَفْوَتِهِ يَسِيرًا. لَمْ يُفِدْ[2] عِوَضًا. وَلَمْ يَقْضِ مُفْتَرَضًا. دَهَمَتْهُ فَجَعَاتُ الْمَنِيَّةِ فِي غُبَّرِ جِمَاحِهِ، وَسَنَنِ مِرَاحِهِ[3]. فَظَلَّ سَادِرًا[4] وَبَاتَ سَاهِرًا. فِي غَمَرَاتِ الْآلَامِ . وَطَوَارِقِ الْأَوْجَاعِ وَالْأَسْقَامِ . بَيْنَ أَخٍ شَقِيقٍ وَوَالِدٍ شَفِيقٍ . وَدَاعِيَةٍ بِالْوَيْلِ جَزَعًا . وَلَادِمَةٍ لِلصَّدْرِ قَلَقًا[5] . وَالْمَرْءُ فِي سَكْرَةٍ مُلْهِيَةٍ . وَغَمْرَةٍ كَارِثَةٍ[6] وَأَنَّةٍ مُوجِعَةٍ . وَجَذْبَةٍ مُكْرِبَةٍ . وَسَوْقَةٍ مُتْعِبَةٍ. ثُمَّ أُدْرِجَ فِي أَكْفَانِهِ مُبْلِسًا[7] وَجُذِبَ مُنْقَادًا

الا من الهوى . والكدح شدة السعى ، والبدوات جمع بداة وهى ما بدا من الرأى أى ذاهبا فيما يبدو له من رغائبه غير متقيد بشريعة ولا ملتزم صدور فضيلة (١) لا يحتسب رزية أى لا يظنها ولا يفكر فى وقوعها ولا يخاشع من التقية والخوف من الله تعالى وغريرا براءين مهملتين أى مغرورا ، ويروى عزيزا بمعجمتين أى بشابا وهى رواية ضعيفة غير ملائمة سياق النظم وعاش فى هفوته الخ عاش فى خطا آته وخطيئاته الناشئة عن الخطأ فى تقدير العواقب زمنا يسيرا وهو مدة الأجل ويروى أسيرا (٢) لم يفد أى لم يستفد ثوابا (٣) دهمته غشيته وغبر بضم فتشديد جمع غابر أى باق أى فى بقايا تعنته على الحق وعدم انقياده له . والسنن الطريقة ، والمرح شدة الفرح والبطر (٤) ظل سادرا أى حائرا وذلك بعد ما غشيته فجعات المنية وهى عوارض الأمراض المهلكة التى تفضى الى الموت (٥) اللادمة الضاربة (٦) الغمرة الشدة تحيط بالعقل والحواس. والكارثة القاطعة للآمال أو من كربه الغم اذا اشتد عليه ، والأنة بفتح فتشديد الواحدة من الأن أى التوجع . وجذبة مكربة أى جذبات الأنفاس عند الاحتضار ، والسوقة من ساق المريض نفسه عند الموت سوقا وسياقا وسبق على المجهول شرع فى نزع الروح (٧) أبلس يبلس يئس فهو مبلس . وسلسا أى سهلا لعدم قدرته على الممانعة

سَلِسًا . ثُمَّ أُلْقِيَ عَلَى الْأَعْوَادِ. رَجِيعَ وَصَبٍ[١] وَنِضْوَ سَقَمٍ تَحْمِلُهُ حَفَدَةُ الْوِلْدَانِ[٢] وَحَشَدَةُ الْإِخْوَانِ، إِلَى دَارِ غُرْبَتِهِ . وَمُنْقَطَعِ زَوْرَتِهِ[٣] حَتَّى إِذَا انْصَرَفَ الْمُشَيِّعُ . وَرَجَعَ الْمُتَفَجِّعُ أُقْعِدَ فِي حُفْرَتِهِ نَجِيًّا لِبَهْتَةِ السُّؤَالِ وَعَثْرَةِ الِامْتِحَانِ[٤] . وَأَعْظَمُ مَا هُنَالِكَ بَلِيَّةً نُزُولُ الْحَمِيمِ[٥] وَتَصْلِيَةُ الْجَحِيمِ وَفَوْرَاتُ السَّعِيرِ وَسَوْرَاتُ الزَّفِيرِ. لَا فَتْرَةٌ مُرِيحَةٌ[٦]. وَلَا دَعَةٌ مُزِيحَةٌ . وَلَا قُوَّةٌ حَاجِزَةٌ . وَلَا مَوْتَةٌ نَاجِزَةٌ . وَلَا سِنَةٌ مُسْلِيَةٌ بَيْنَ أَطْوَارِ الْمَوْتَاتِ[٧] وَعَذَابِ السَّاعَاتِ إِنَّا بِاللهِ عَائِذُونَ

عِبَادَ اللهِ أَيْنَ الَّذِينَ عُمِّرُوا فَنَعِمُوا[٨] وَعُلِّمُوا فَفَهِمُوا وَأُنْظِرُوا فَلَهَوْا[٩]

---

(١) الرجيع من الدواب ما رجع به من سفر الى سفر فكل. والوصب التعب ، ونضو بالكسر مهزول (٢) الحفدة الأعوان ، والحشدة المسارعون فى التعاون (٣) منقطع الزورة حيث لايزار (٤) النجى من تحادثه سراً والميت لا يسمع كلامه سوى الملائكة المكاملين له . و بهتة السؤال حيرته (٥) الحميم فى الأصل الماء الحار ، والتصلية الاحراق والمرادهنا دخول جهنم . والسورة الشدة. والزفير صوت النار عند توقدها (٦) الفترة السكون أى لا يفتر العذاب حتى يستريح المعذب من الألم، ولا تكون دعة أى راحة حتى تزيح ما أصابه من التعب، وليست له قوة تحجز عنه وترد غواشى العذاب ولا بموته يجد موتة حاضرة تذهب باحساسه عن الشعور بتلك الآلام. والناجز الحاضر والسنة بالكسر والتخفيف أوائل النوم، مسلية ملهية عن الألم (٧) أطوار الموتات الخ كل نو بة من نوب العذاب كأنها موت لشدتها. وأطوار هذه الموتات ألوانها وأنواعها (٨) عمروا الخ عاشوا فتنعموا (٩) أمهلوا فألهاهم المهل عن العمل وذلك بعد أن

وَسَلِمُوا فَنَسُوا[١] . أُمْهِلُوا طَوِيلًا . وَمُنِحُوا جَمِيلًا . وَحُذِّرُوا أَلِيماً . وَوُعِدُوا جَسِيماً . اِحْذَرُوا الذُّنُوبَ الْمُوَرِّطَةَ وَالْعُيُوبَ الْمُسْخِطَةَ[٢]

أُولِي الْأَبْصَارِ وَالْأَسْمَاعِ . وَالْعَافِيَةِ وَالْمَتَاعِ . هَلْ مِنْ مَنَاصٍ أَوْ خَلَاصٍ . أَوْ مَعَاذٍ أَوْ مَلَاذٍ . أَوْ فِرَارٍ أَوْ مَحَارٍ[٣] أَمْ لَا فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[٤] أَمْ أَيْنَ تُصْرَفُونَ . أَمْ بِمَاذَا تَغْتَرُّونَ وَإِنَّمَا حَظُّ أَحَدِكُمْ مِنَ الْأَرْضِ ذَاتِ الطُّولِ وَالْعَرْضِ . قِيدُ قَدِّهِ[٥] مُتَعَفِّرًا عَلَى خَدِّهِ الْآنَ . عِبَادَ اللهِ وَالْخِنَاقُ مُهْمَلٌ[٦] وَالرُّوحُ مُرْسَلٌ . فِي فَيْنَةِ الْإِرْشَادِ[٧] وَرَاحَةِ الْأَجْسَادِ وَبَاحَةِ الِاحْتِشَادِ[٨] . وَمَهَلِ الْبَقِيَّةِ . وَأُنُفِ الْمَشِيَّةِ[٩] . وَإِنْظَارِ التَّوْبَةِ وَانْفِسَاحِ الْحَوْبَةِ[١٠] قَبْلَ الضَّنْكِ وَالْمَضِيقِ . وَالرَّوْعِ وَالزُّهُوقِ[١١] وَقَبْلَ قُدُومِ الْغَائِبِ الْمُنْتَظَرِ[١٢] وَأَخْذَةِ الْعَزِيزِ الْمُقْتَدِرِ

علموا ففهموا وكان مقتضى الفهم أن لا يغتروا بالمهلة ويضيعوا الفرصة (١) سلمت عاقباتهم وأرزاقهم فنسوا نعمة الله فى السلامة (٢) المورطة المهلكة (٣) محار أى مرجع إلى الدنيا بعد فراقها (٤) تؤفكون تقلبون أى تنقلبون (٥) قيدقده بكسر القاف وفتحها من اللفظ الأول وفتحها من الثانى مقدار طوله يريد مضجعه من القبر (٦) الخناق الحبل الذى يخنق به واهماله عدم شده على العنق مدى الحياة، أى وأنتم فى قدرة من العمل وسعة من الأمل (٧) الفينة بالفتح الحال والساعة والوقت وروى فينة الارتياد بمعنى الطلب (٨) باحة الدار ساحتها. والاحتشاد الاجتماع أى أنتم فى ساحة يسهل عليكم فيها التعاون على البر باجتماع بعضكم على بعض (٩) أنف بضمتين مستأنف المشيئة لو أردتم استئناف مشيئة وارادة حسنة لأمكنكم (١٠) الحوبة الحالة أو الحاجة (١١) الروع الخوف. والزهوق الاضمحلال (١٢) الغائب المنتظر الموت

وَفِى ٱلْخَبَرِ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لَمَّا خَطَبَ بِهٰذِهِ ٱلْخُطْبَةِ ٱقْشَعَرَّتْ لَهَا ٱلْجُلُودُ. وَبَكَتِ ٱلْعُيُونُ وَرَجَفَتِ ٱلْقُلُوبُ. وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يُسَمِّى هٰذِهِ ٱلْخُطْبَةَ ٱلْغَرَّاءَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ذِكْرِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ

عَجَبًا لِٱبْنِ ٱلنَّابِغَةِ(١) يَزْعُمُ لِأَهْلِ ٱلشَّامِ أَنَّ فِيَّ دُعَابَةً(٢) وَأَنِّى ٱمْرُؤٌ تِلْعَابَةٌ أُعَافِسُ وَأُمَارِسُ(٣) لَقَدْ قَالَ بَاطِلًا وَنَطَقَ آثِمًا. أَمَا وَشَرُّ ٱلْقَوْلِ ٱلْكَذِبُ إِنَّهُ لَيَقُولُ فَيَكْذِبُ. وَيَعِدُ فَيُخْلِفُ. وَيَسْأَلُ فَيُلْحِفُ(٤) وَيُسْأَلُ فَيَبْخَلُ. وَيَخُونُ ٱلْعَهْدَ. وَيَقْطَعُ ٱلْإِلَّ(٥) فَإِذَا كَانَ عِنْدَ ٱلْحَرْبِ فَأَىُّ زَاجِرٍ وَآمِرٍ هُوَ. مَالَمْ تَأْخُذِ ٱلسُّيُوفُ مَآخِذَهَا(٦) فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ أَكْبَرُ مَكِيدَتِهِ أَنْ يَمْنَحَ ٱلْقِرْمَ سُبَّتَهُ(٧) أَمَا وَٱللهِ إِنِّى لَيَمْنَعُنِى مِنَ ٱللَّعِبِ ذِكْرُ ٱلْمَوْتِ. وَإِنَّهُ لَيَمْنَعُهُ مِنْ قَوْلِ ٱلْحَقِّ نِسْيَانُ ٱلْآخِرَةِ.

---

(١) النابغة المشهورة فيما لا يليق بالنساء من نبغ اذا ظهر (٢) الدعابة بالضم المزاح واللعب. وتلعابة بالكسر كثير اللعب (٣) اعافس أعالج الناس وأضاربهم مزاحاً. ويقال المعافسة معالجة النساء بالمغازلة. والممارسة كالمعافسة (٤) فيلحف أى يلح. ويسأل ههنا مبنى للفاعل. ويسأل فى الجلة بعدها للمفعول (٥) الإل بالكسر القرابة والمراد أنه يقطع الرحم (٦) أى أنه فى الحرب زاجر وآمر عظيم أى محرض حاث مالم تأخذ السيوف مأخذها فعند ذلك يجبن كما قال فاذا كان ذلك الخ (٧) السبة بالضم الاست تقريع له بفعلته عندما نازل أمير المؤمنين فى واقعة صفين فصال عليه وكاد يضرب

إِنَّهُ لَمْ يُبَايِعْ مُعَاوِيَةَ حَتَّى شَرَطَ لَهُ أَنْ يُؤْتِيَهُ أَتِيَّةً وَيَرْضَخَ لَهُ عَلَى تَرْكِ الدِّينِ رَضِيخَةً(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ. الْأَوَّلُ لَا شَيْءَ قَبْلَهُ. وَالْآخِرُ لَا غَايَةَ لَهُ. لَا تَقَعُ الْأَوْهَامُ لَهُ عَلَى صِفَةٍ وَلَا تَعْقِدُ الْقُلُوبُ مِنْهُ عَلَى كَيْفِيَّةٍ(٢) وَلَا تَنَالُهُ التَّجْزِئَةُ وَالتَّبْعِيضُ. وَلَا تُحِيطُ بِهِ الْأَبْصَارُ وَالْقُلُوبُ (مِنْهَا) فَاتَّعِظُوا عِبَادَ اللّٰهِ بِالْعِبَرِ النَّوَافِعِ. وَاعْتَبِرُوا بِالْآيِ السَّوَاطِعِ(٣) وَازْدَجِرُوا بِالنُّذُرِ الْبَوَالِغِ(٤) وَانْتَفِعُوا بِالذِّكْرِ وَالْمَوَاعِظِ. فَكَأَنْ قَدْ عَلِقَتْكُمْ مَخَالِبُ الْمَنِيَّةِ. وَانْقَطَعَتْ مِنْكُمْ عَلَائِقُ الْأُمْنِيَّةِ. وَدَهَمَتْكُمْ مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ(٥) وَالسِّيَاقَةُ إِلَى الْوِرْدِ الْمَوْرُودِ(٦) وَكُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ. سَائِقٌ يَسُوقُهَا إِلَى مَحْشَرِهَا

عنقه فكشف عورته فالتفت أمير المؤمنين عنه وتركه (١) الأتيّة العطية ورضخ له أعطاه قليلا والمراد بالأتيه والرضيخة ولاية مصر (٢) تعقد مجاز عن استقرار حكمها أى ليست له كيفية فتحكم بها (٣) الآى جمع آية وهى الدليل. والسواطع الظاهرة الدلالة (٤) البوالغ جمع البالغة غاية البيان لكشف عواقب التفريط. والنذر جمع نذير بمعنى الانذار أو المخوف والمراد انذار المنذرين (٥) المفظعات من أفظع الأمر اذا اشتد ويقال أفظع الرجل للمجهول اذا نزلت به الشدة (٦) الورد بالكسر الأصل فيه

وَشَاهِدٌ يَشْهَدُ عَلَيْهَا بِعَمَلِهَا

(وَمِنْهَا فِي صِفَةِ الْجَنَّةِ) دَرَجَاتٌ مُتَفَاضِلَاتٌ . وَمَنَازِلُ مُتَفَاوِتَاتٌ . لَا يَنْقَطِعُ نَعِيمُهَا وَلَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا . وَلَا يَهْرَمُ خَالِدُهَا . وَلَا يَبْأَسُ سَاكِنُهَا[1] .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ عَلِمَ السَّرَائِرَ . وَخَبَرَ الضَّمَائِرَ . لَهُ الْإِحَاطَةُ بِكُلِّ شَيْءٍ . وَالْغَلَبَةُ لِكُلِّ شَيْءٍ وَالْقُوَّةُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ . فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُ مِنْكُمْ فِي أَيَّامِ مَهَلِهِ قَبْلَ إِرْهَاقِ أَجَلِهِ[2] وَفِي فَرَاغِهِ قَبْلَ أَوَانِ شُغُلِهِ . وَفِي مُتَنَفَّسِهِ قَبْلَ أَنْ يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ[3] وَلْيُمَهِّدْ لِنَفْسِهِ وَقُدُومِهِ . وَلْيَتَزَوَّدْ مِنْ دَارِ ظَعْنِهِ لِدَارِ إِقَامَتِهِ . فَاللهَ اللهَ أَيُّهَا النَّاسُ فِيمَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ وَاسْتَوْدَعَكُمْ مِنْ حُقُوقِهِ . فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثاً وَلَمْ يَتْرُكْكُمْ سُدًى وَلَمْ يَدَعْكُمْ فِي جَهَالَةٍ وَلَا عَمًى . قَدْ سَمَّى آثَارَكُمْ[4] وَعَلِمَ أَعْمَالَكُمْ وَكَتَبَ آجَالَكُمْ . وَأَنْزَلَ عَلَيْكُمُ الْكِتَابَ تِبْيَاناً لِكُلِّ شَيْءٍ

الماء يورد للرى والمراد به الموت أو المحشر (١) بئس كسمع اشتدت حاجته (٢) ارهاق الأجل أن يعجل المفرط عن تدارك ما فاته من العمل أى يحول بينه و بينه (٣) الكظم بالتحريك الحلق أو مخرج النفس، والأخذ بالكظم كناية عن التضييق عند مداركة الأجل (٤) بين لكم أعمالكم وحددها

وَعَمَّرَ فِيكُمْ نَبِيَّهُ أَزْمَانًا[١] حَتَّى أَكْمَلَ لَهُ وَلَكُمْ فِيمَا أَنْزَلَ مِنْ كِتَابِهِ دِينَهُ الَّذِى رَضِىَ لِنَفْسِهِ وَأَنْهَى إِلَيْكُمْ عَلَى لِسَانِهِ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ[٢] وَنَوَاهِيَهُ وَأَوَامِرَهُ. فَأَلْقَى إِلَيْكُمُ الْمَعْذِرَةَ وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ. وَقَدَّمَ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ. وَأَنْذَرَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ. فَاسْتَدْرِكُوا بَقِيَّةَ أَيَّامِكُمْ. وَاصْبِرُوا لَهَا أَنْفُسَكُمْ[٣] فَإِنَّهَا قَلِيلٌ فِى كَثِيرِ الْأَيَّامِ الَّتِى تَكُونُ مِنْكُمْ فِيهَا الْغَفْلَةُ وَالتَّشَاغُلُ عَنِ الْمَوْعِظَةِ. وَلَا تُرَخِّصُوا لِأَنْفُسِكُمْ فَتَذْهَبَ بِكُمُ الرُّخَصُ فِيهَا مَذَاهِبَ الظَّلَمَةِ[٤] وَلَا تُدَاهِنُوا فَيَهْجُمَ بِكُمُ[٥] الْإِدْهَانُ عَلَى الْمُصِيبَةِ. عِبَادَ اللهِ إِنَّ أَنْصَحَ النَّاسِ لِنَفْسِهِ أَطْوَعُهُمْ لِرَبِّهِ. وَإِنَّ أَغَشَّهُمْ لِنَفْسِهِ أَعْصَاهُمْ لِرَبِّهِ وَالْمَغْبُونُ مَنْ غَبَنَ نَفْسَهُ[٦] وَالْمَغْبُوطُ مَنْ سَلِمَ لَهُ دِينُهُ[٧]. وَالسَّعِيدُ مَنْ وُعِظَ بِغَيْرِهِ وَالشَّقِىُّ مَنِ انْخَدَعَ لِهَوَاهُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ يَسِيرَ الرِّيَاءِ شِرْكٌ[٨] وَمُجَالَسَةَ أَهْلِ الْهَوَى مَنْسَاةٌ لِلْإِيمَانِ[٩]. وَمَحْضَرَةٌ لِلشَّيْطَانِ. جَانِبُوا الْكَذِبَ فَإِنَّهُ مُجَانِبٌ لِلْإِيمَانِ. الصَّادِقُ عَلَى شَرَفِ مَنْجَاةٍ وَكَرَامَةٍ. وَالْكَاذِبُ عَلَى شَفَا مَهْوَاةٍ

---

(١) عمر نبيه مد فى أجله (٢) محابه مواضع حبه وهى الأعمال الصالحة (٣) اصبروا أنفسكم اجعلوا لانفسكم صبراً فيها (٤) الظلمة جمع ظالم (٥) المداهنة اظهار خلاف ما فى الطوية والادهان مثله (٦) المغبون المخدوع (٧) والمغبوط المستحق لتطلع النفوس اليه والرغبة فى نيل مثل نعمته (٨) الرياء أن تعمل ليراك الناس وقلبك غير راغب فيه (٩) منساة

وَمَهَانَةٍ وَلَا تَحَاسَدُوا فَإِنَّ ٱلْحَسَدَ يَأْكُلُ ٱلْإِيمَانَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلنَّارُ ٱلْحَطَبَ . وَلَا تَبَاغَضُوا فَإِنَّهَا ٱلْحَالِقَةُ(١). وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلْأَمَلَ يُسْهِي ٱلْعَقْلَ وَيُنْسِي ٱلذِّكْرَ(٢) فَأَكْذِبُوا ٱلْأَمَلَ فَإِنَّهُ غُرُورٌ . وَصَاحِبُهُ مَغْرُورٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عِبَادَ ٱللهِ إِنَّ مِنْ أَحَبِّ عِبَادِ ٱللهِ إِلَيْهِ عَبْدًا أَعَانَهُ ٱللهُ عَلَى نَفْسِهِ فَٱسْتَشْعَرَ ٱلْحُزْنَ وَتَجَلْبَبَ ٱلْخَوْفَ(٣) فَزَهَرَ مِصْبَاحُ ٱلْهُدَى فِي قَلْبِهِ وَأَعَدَّ ٱلْقِرَى لِيَوْمِهِ ٱلنَّازِلِ بِهِ(٤) فَقَرَّبَ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْبَعِيدَ وَهَوَّنَ ٱلشَّدِيدَ(٥). نَظَرَ فَأَبْصَرَ . وَذَكَرَ فَٱسْتَكْثَرَ(٦) وَٱرْتَوَى مِنْ عَذْبٍ فُرَاتٍ . سَهُلَتْ لَهُ

للإيمان موضع لنسيانه وداعية للذهول عنه ، ومحضرة للشيطان مكان لحضوره وداع له (١) فانها أى المباغضة الحالقة أى الماحية لكل خير و بركة (٢) الأمل الذى يذهل العقل و ينسى ذكر الله وأوامره ونواهيه هو استقرار النفس على ما وصلت اليه غير ناظرة الى تغير الأحوال ولا آخذة بالحزم فى الأعمال (٣) استشعر لبس الشعار وهو ما يلى البدن من اللباس ، وتجلبب لبس الجلباب وهو ما يكون فوق جميع الثياب ، والحزن العجز عن الوفاء بالواجب وهو قلبى لا يظهر له أثر فى العمل الظاهر ، أما الخوف فيظهر أثره فى البعد عما يغضب الله والمسارعة للعمل فيما يرضيه وذلك أثر ظاهر . وزهر مصباح الهدى تلألأ وأضاء (٤) القرى بالكسر ما يهيأ للضيف وهو هنا العمل الصالح يهيؤه للقاء الموت وحلول الأجل (٥) جعل الموت على بعده قريباً منه فعمل له ولذلك هان عليه الصبر عن اللذائذ الفانية والأخذ بالجد فى احراز الفضائل السامية وذلك هو الشديد (٦) ذكر الله فاستكثر من العمل فى

مَوَارِدُهُ فَشَرِبَ نَهَلاً[١] وَسَلَكَ سَبِيلًا جَدَدًا[٢] قَدْ خَلَعَ سَرَابِيلَ الشَّهَوَاتِ وَتَخَلَّى مِنَ الْهُمُومِ إِلَّا هَمًّا وَاحِدًا انْفَرَدَ بِهِ[٣] فَخَرَجَ مِنْ صِفَةِ الْعَمَى وَمُشَارَكَةِ أَهْلِ الْهَوَى، وَصَارَ مِنْ مَفَاتِيحِ أَبْوَابِ الْهُدَى وَمَغَالِيقِ أَبْوَابِ الرَّدَى. قَدْ أَبْصَرَ طَرِيقَهُ . وَسَلَكَ سَبِيلَهُ . وَعَرَفَ مَنَارَهُ . وَقَطَعَ غِمَارَهُ[٤] اسْتَمْسَكَ مِنَ الْعُرَى بِأَوْثَقِهَا . وَمِنَ الْحِبَالِ بِأَمْتَنِهَا . فَهُوَ مِنَ الْيَقِينِ عَلَى مِثْلِ ضَوْءِ الشَّمْسِ . قَدْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ فِي أَرْفَعِ الْأُمُورِ مِنْ إِصْدَارِ كُلِّ وَارِدٍ عَلَيْهِ . وَتَصْيِيرِ كُلِّ فَرْعٍ إِلَى أَصْلِهِ[٥] مِصْبَاحُ ظُلُمَاتٍ . كَشَّافُ عَشَاوَاتٍ . مِفْتَاحُ مُبْهَمَاتٍ . دَفَّاعُ مُعْضِلَاتٍ[٦] دَلِيلُ فَلَوَاتٍ[٧] . يَقُولُ فَيُفْهِمُ وَيَسْكُتُ فَيَسْلَمُ . قَدْ أَخْلَصَ لِلَّهِ فَاسْتَخْلَصَهُ . فَهُوَ مِنْ مَعَادِنِ دِينِهِ . وَأَوْتَادِ أَرْضِهِ . قَدْ أَلْزَمَ نَفْسَهُ الْعَدْلَ

---

(١) النهل أول الشرب والمراد أخذ حظا لا يحتاج معه إلى العلل وهو الشرب الثانى (٢) الجدد بالتحريك الأرض الغليظة أى الصلبة المستوية ومثلها يسهل السير فيه (٣) الهم الواحد هو هم الوقوف عند حدود الشريعة (٤) جمع غمر بالفتح معظم البحر والمراد أنه عبر بحار المهالك إلى سواحل النجاة (٥) لأن من كان همه التزام حدود الله فى أوامره ونواهيه نفذت بصيرته إلى حقائق سر الله فى ذلك فصار من درجات العرفان بحيث لا يرد عليه أمر إلا أصدره على وجهه ولا يعرض له فرع إلا رده إلى أصله (٦) عشاوات جمع عشاوة سوء البصر أو العمى أى أنه يكشف عن ذوى العشاوات عشاواتهم ، ويروى عشاوات جمع عشوة بتثليث الأول وهى الأمر الملتمس. والمعضلات الشدائد والأمور لا يهتدى لوجهها (٧) الفلوات

فَكَانَ أَوَّلُ عَدْلِهِ نَفْيَ الْهَوَى عَنْ نَفْسِهِ. يَصِفُ الْحَقَّ وَيَعْمَلُ بِهِ. لا يَدَعُ لِلْخَيْرِ غَايَةً إِلَّا أَمَّهَا[١] وَلا مَظِنَّةً إِلَّا قَصَدَهَا[٢]. قَدْ أَمْكَنَ الْكِتَابَ مِنْ زِمَامِهِ[٣] فَهُوَ قَائِدُهُ وَإِمَامُهُ. يَحُلُّ حَيْثُ حَلَّ ثَقَلُهُ[٤] وَيَنْزِلُ حَيْثُ كَانَ مَنْزِلُهُ. وَآخَرُ قَدْ تَسَمَّى عَالِماً وَلَيْسَ بِهِ[٥]. فَاقْتَبَسَ جَهَائِلَ مِنْ جُهَّالٍ، وَأَضَالِيلَ مِنْ ضُلَّالٍ. وَنَصَبَ لِلنَّاسِ شَرَكاً مِنْ حَبَائِلِ غُرُورٍ وَقَوْلِ زُورٍ. قَدْ حَمَلَ الْكِتَابَ عَلَى آرَائِهِ. وَعَطَفَ الْحَقَّ عَلَى أَهْوَائِهِ[٦] يُؤْمِنُ مِنَ الْعَظَائِمِ وَيُهَوِّنُ كَبِيرَ الْجَرَائِمِ. يَقُولُ أَقِفُ عِنْدَ الشُّبُهَاتِ وَفِيهَا وَقَعَ. وَأَعْتَزِلُ الْبِدَعَ وَبَيْنَهَا اضْطَجَعَ. فَالصُّورَةُ صُورَةُ إِنْسَانٍ. وَالْقَلْبُ قَلْبُ حَيَوَانٍ. لا يَعْرِفُ بَابَ الْهُدَى فَيَتَّبِعَهُ. وَلا بَابَ الْعَمَى فَيَصُدَّ عَنْهُ. فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ فَأَيْنَ تَذْهَبُونَ. وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ[٧]. وَالْأَعْلَامُ

جمع فلاة الصحراء الواسعة مجاز عن مجالات العقول فى الوصول الى الحقائق (١) أمها قصدها (٢) مظنة أى موضع ظن لوجود الفائدة (٣) الكتاب القرآن. وأمكنه من زمامه تمثيل لانقياده لاحكامه كأنه مطية والكتاب يقوده الى حيث شاء (٤) ثقل المسافر محركة متاعه وحشمه، وثقل الكتاب ما يحمل من أوامره ونواه (٥) وآخر الخ هذا عبد آخر غير العبد الذى وصفه بالاوصاف السابقة يخالف فى وصفه وصفه، واقتبس استفاد، جهائل جمع جهالة ويراد منها هنا تصور الشيء على غير حقيقته ولا يستفاد من الجهال الا ذلك، والاضاليل الضلالة جمع أضلولة ويقال لا واحد لها من لفظها وهو الأشهر، والضلال بضم فتشديد جمع ضال (٦) عطف الحق الخ حمل الحق على رغباته أى لا يعرف حقا الا اياها (٧) تؤفكون تقلبون وتصرفون بالبناء للمجهول. والأعلام الدلائل على الحق من معجزات ونحوها، والمنار جمع منارة والمراد هنا

قَائِمَةٌ، وَالْآيَاتُ وَاضِحَةٌ، وَالْمَنَارُ مَنْصُوبَةٌ فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ(١). بَلْ كَيْفَ تَعْمَهُونَ وَبَيْنَكُمْ عِتْرَةُ نَبِيِّكُمْ وَهُمْ أَزِمَّةُ الْحَقِّ وَأَعْلَامُ الدِّينِ وَأَلْسِنَةُ الصِّدْقِ. فَأَنْزِلُوهُمْ بِأَحْسَنِ مَنَازِلِ الْقُرْآنِ(٢) وَرِدُوهُمْ وُرُودَ الْهِيمِ الْعِطَاشِ(٣)

أَيُّهَا النَّاسُ خُذُوهَا عَنْ خَاتَمِ النَّبِيِّينَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِنَّهُ يَمُوتُ مَنْ مَاتَ مِنَّا وَلَيْسَ بِمَيِّتٍ(٤). وَيَبْلَى مَنْ بَلِيَ مِنَّا وَلَيْسَ بِبَالٍ فَلَا تَقُولُوا بِمَا لَا تَعْرِفُونَ. فَإِنَّ أَكْثَرَ الْحَقِّ فِيمَا تُنْكِرُونَ(٥) وَاعْذِرُوا مَنْ لَا حُجَّةَ لَكُمْ عَلَيْهِ. وَأَنَا هُوَ. أَلَمْ أَعْمَلْ فِيكُمْ بِالثَّقَلِ الْأَكْبَرِ(٦) وَأَتْرُكْ فِيكُمُ الثَّقَلَ الْأَصْغَرَ. وَرَكَزْتُ فِيكُمْ رَايَةَ الْإِيمَانِ. وَوَقَفْتُكُمْ عَلَى حُدُودِ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ. وَأَلْبَسْتُكُمُ الْعَافِيَةَ مِنْ

ما أقيم علامة على الخير والشر (١) يتاه بكم من التيه بمعنى الضلال والحيرة. وتعمهون تتحيرون، وعترة الرجل نسله ورهطه (٢) أي أحلوا عترة النبي من قلوبكم محل القرآن من التعظيم والاحترام. وان القلب هو أحسن منازل القرآن (٣) هاموا إلى بحار علومهم مسرعين كما تسرع الهيم أي الابل العطشى إلى الماء (٤) خذوا هذه القضية عنه وهي أنه يموت الميت من أهل البيت وهو في الحقيقة غير ميت لبقاء روحه ساطع النور في عالم الظهور (٥) الجاهل يستغمض الحقيقة فينكرها واكثر الحقائق دقائق (٦) الثقل هنا بمعنى النفيس من كل شيء وفي الحديث عن النبي ﷺ قال تركت فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أي النفيسين. وأمير المؤمنين قد عمل بالثقل الأكبر وهو القرآن ويترك الثقل

عَدْلِي وَفَرَشْتُكُمُ الْمَعْرُوفَ مِنْ قَوْلِي وَفِعْلِي[١] وَأَرَيْتُكُمْ كَرَائِمَ الْأَخْلَاقِ مِنْ نَفْسِي. فَلَا تَسْتَعْمِلُوا الرَّأْيَ فِيمَا لَا يُدْرِكُ قَعْرَهُ الْبَصَرُ وَلَا تَتَغَلْغَلُ إِلَيْهِ الْفِكَرُ (مِنْهَا) حَتَّى يَظُنَّ الظَّانُّ أَنَّ الدُّنْيَا مَعْقُولَةٌ عَلَى بَنِي أُمَيَّةَ[٢] تَمْنَحُهُمْ دَرَّهَا. وَتُورِدُهُمْ صَفْوَهَا. وَلَا يُرْفَعُ عَنْ هٰذِهِ الْأُمَّةِ سَوْطُهَا وَلَا سَيْفُهَا. وَكَذَبَ الظَّانُّ لِذَلِكَ، بَلْ هِيَ مَجَّةٌ مِنْ لَذِيذِ الْعَيْشِ[٣] يَتَطَعَّمُونَهَا بُرْهَةً ثُمَّ يَلْفِظُونَهَا جُمْلَةً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ لَمْ يَقْصِمْ جَبَّارِي دَهْرٍ قَطُّ[٤] إِلَّا بَعْدَ تَمْيِيلٍ وَرَخَاءٍ. وَلَمْ يَجْبُرْ عَظْمَ أَحَدٍ مِنَ الْأُمَمِ إِلَّا بَعْدَ أَزْلٍ وَبَلَاءٍ[٥] وَفِي دُونِ مَا اسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ عَتْبٍ وَمَا اسْتَدْبَرْتُمْ مِنْ خَطْبٍ مُعْتَبَرٌ[٦]. وَمَا كُلُّ ذِي

الأصغر وهو ولداه ويقال عترته قدوة للناس (١) فرشتكم بسطت لكم (٢) مقصورة عليهم مسخرة لهم كأنهم شدوها بعقال كالناقة تمنحهم درها أى لبنها (٣) مجة بضم الميم واحدة المج بضمها أيضا نقط العسل أى قطرة عسل تكون فى أفواههم كما تكون فى فم النحلة يذوقونها زمانا ثم يقذفونها. وهذا التفسير أفضل من تفسير المجة بالفتح بالواحدة من مصدر مج التراب من فيه إذا رمى به (٤) يقصم يهلك. القصم الكسر (٥) جبر العظم طبه بعد الكسر حتى يعود صحيحا، والأزل بالفتح الشدة (٦) العتب بسكون التاء يريد منه عتب الزمان مصدر عتب عليه إذا وجد عليه، وإذا وجد الزمان على شخص اشتد عليه وقره، والأصح أنه بتحريك التاء اما مفرد بمعنى الأمر الكريه

قَلْبٍ بِلَبِيبٍ. وَلَا كُلُّ ذِي سَمْعٍ بِسَمِيعٍ. وَلَا كُلُّ نَاظِرٍ بِبَصِيرٍ. فَيَاعَجَبِي — وَمَالِيَ لَا أَعْجَبُ — مِنْ خَطَإِ هٰذِهِ ٱلْفِرَقِ عَلَى ٱخْتِلَافِ حُجَجِهَا فِي دِينِهَا. لَا يَقْتَصُّونَ أَثَرَ نَبِيٍّ. وَلَا يَقْتَدُونَ بِعَمَلِ وَصِيٍّ. وَلَا يُؤْمِنُونَ بِغَيْبٍ. وَلَا يَعِفُّونَ عَنْ عَيْبٍ[1]. يَعْمَلُونَ فِي ٱلشُّبُهَاتِ وَيَسِيرُونَ فِي ٱلشَّهَوَاتِ. ٱلْمَعْرُوفُ عِنْدَهُمْ مَا عَرَفُوا. وَٱلْمُنْكَرُ عِنْدَهُمْ مَا أَنْكَرُوا[2]. مَفْزَعُهُمْ فِي ٱلْمُعْضِلَاتِ إِلَى أَنْفُسِهِمْ. وَتَعْوِيلُهُمْ فِي ٱلْمُبْهَمَاتِ عَلَى آرَائِهِمْ كَأَنَّ كُلَّ ٱمْرِئٍ مِنْهُمْ إِمَامُ نَفْسِهِ قَدْ أَخَذَ مِنْهَا فِيمَا يَرَى بِعُرًى ثِقَاتٍ وَأَسْبَابٍ مُحْكَمَاتٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ. وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ وَٱعْتِزَامٍ مِنَ ٱلْفِتَنِ[3] وَٱنْتِشَارٍ مِنَ ٱلْأُمُورِ. وَتَلَظٍّ مِنَ

والفساد أو جمع عتبة بالتحريك بمعنى الشدة يقال ما فى هذا الأمر رتبة ولا عتبة أى شدة أى أنكم لجديرون أن تعتبروا بأقل من الشدة المقبلة عليكم بعد ضعف أمركم وأقل من الخطب العظيم الذى مر بكم فكيف بمثل هذه الأمور الجسام فأنتم أجدر أن تعتبروا بها (١) ولا يعفون بكسر العين وتشديد الفاء من عففت عن الشىء إذا كففت عنه (٢) أى يستحسنون ما بدا لهم استحبابه ويستقبحون ما خطر لهم قبحه بدون رجوع الى دليل بين أو شريعة واضحة، يثق كل منهم بخواطر نفسه كأنه أخذ منها بالعروة الوثقى على ما بها من جهل ونقص (٣) اعتزام من قولهم اعتزم الفرس إذا مر جامحا أى وغلبة من الفتن، ويروى اعترام بالراء المهملة يقال

ٱلْحُرُوبِ(١) وَالدُّنْيَا كَاسِفَةُ ٱلنُّورِ ظَاهِرَةُ ٱلْغُرُورِ. عَلَى حِينِ ٱصْفِرَارٍ مِنْ وَرَقِهَا(٢) وَإِيَاسٍ مِنْ ثَمَرِهَا. وَٱغْوِرَارٍ مِنْ مَائِهَا. قَدْ دَرَسَتْ مَنَارُ ٱلْهُدَى. وَظَهَرَتْ أَعْلَامُ ٱلرَّدَى. فَهِيَ مُتَجَهِّمَةٌ لِأَهْلِهَا(٣) عَابِسَةٌ فِي وَجْهِ طَالِبِهَا ثَمَرُهَا ٱلْفِتْنَةُ. وَطَعَامُهَا ٱلْجِيفَةُ. وَشِعَارُهَا ٱلْخَوْفُ وَدِثَارُهَا ٱلسَّيْفُ(٤) فَٱعْتَبِرُوا عِبَادَ ٱللهِ. وَٱذْكُرُوا تِيكَ ٱلَّتِي آبَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ بِهَا مُرْتَهَنُونَ(٥). وَعَلَيْهَا مُحَاسَبُونَ. وَلَعَمْرِي مَا تَقَادَمَتْ بِكُمْ وَلَا بِهِمُ ٱلْعُهُودُ. وَلَا خَلَتْ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمُ ٱلْأَحْقَابُ وَٱلْقُرُونُ(٦) وَمَا أَنْتُمُ ٱلْيَوْمَ مِنْ يَوْمَ كُنْتُمْ فِي أَصْلَابِهِمْ بِبَعِيدٍ وَٱللهِ مَا أَسْمَعَهُمُ ٱلرَّسُولُ شَيْئًا إِلَّا وَهَا أَنَا ذَا ٱلْيَوْمَ مُسْمِعُكُمُوهُ. وَمَا أَسْمَاعُكُمُ ٱلْيَوْمَ بِدُونِ أَسْمَاعِهِمْ بِٱلْأَمْسِ. وَلَا شُقَّتْ لَهُمُ ٱلْأَبْصَارُ وَلَا جُعِلَتْ لَهُمُ ٱلْأَفْئِدَةُ فِي ذٰلِكَ

اعترم الفرس سطا ومال (١) وتلظ أى تلهب (٢) هذا وما بعده تمثيل لتغير الدنيا واشرافها على الزوال ويأس الناس من التمتع بها أيام الجاهلية ، واغورار الماء ذهابه ويروى اعوار مائها بالمهملة من قوله فلاة عوراء لا ماء بها (٣) من تجهمه أى استقبله بوجه كريه (٤) ثمرها الفتنة أى ليست لها نتيجة سوى الفتن ، والجيفة إشارة إلى أكل العرب للميتة من شدة الاضطرار . والشعار من الثياب ما يلى البدن، والدثار فوق الشعار . ولما كان الخوف يتقدم السيف كان الخوف شعارا والسيف دثارا وأيضا فالخوف باطن والسيف ظاهر (٥) تيك اشارة إلى سيئات الأعمال و بواطل العقائد وقبائح العوائد . وهم بها مرتهنون أى محبوسون على عواقبها فى الدنيا من الذل والضعف (٦) الأحقاب جمع حقب بالضم و بضمتين قيل ثمانون سنة وقيل أكثر وقيل

ٱلْاوَانِ إِلَّا وَقَدْ أُعْطِيتُمْ مِثْلَهَا فِي هٰذَا ٱلزَّمَانِ. وَٱللهِ مَا بَصُرْتُمْ بَعْدَهُمْ شَيْئاً جَهِلُوهُ. وَلَا أُصْفِيتُمْ بِهِ وَحُرِمُوهُ[1] وَلَقَدْ نَزَلَتْ بِكُمُ ٱلْبَلِيَّةُ جَائِلاً خِطَامُهَا[2] رِخْوًا بِطَانُهَا. فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ مَا أَصْبَحَ فِيهِ أَهْلُ ٱلْغُرُورِ. فَإِنَّمَا هُوَ ظِلٌّ مَمْدُودٌ إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ. وَٱلْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ[3] ٱلَّذِي لَمْ يَزَلْ قَائِماً دَائِماً إِذْ لَا سَمَاءٌ ذَاتُ أَبْرَاجٍ. وَلَا حُجُبٌ ذَاتُ أَرْتَاجٍ[4]. وَلَا لَيْلٌ دَاجٍ. وَلَا بَحْرٌ سَاجٍ. وَلَا جَبَلٌ ذُو فِجَاجٍ. وَلَا فَجٌّ ذُو أَعْوِجَاجٍ. وَلَا أَرْضٌ ذَاتُ مِهَادٍ. وَلَا خَلْقٌ ذُو أَعْتِمَادٍ. ذٰلِكَ مُبْتَدِعُ ٱلْخَلْقِ

هو الدهر (١) يريد أن حالهم كحال من سبقهم وأن من السابقين من اهتدى بهدى الرسول فنجا من سوء عاقبة ما كان فيه. ومنهم من جهل فحل به من النكال ما حل. والامام اليوم مع هؤلاء كما كان الرسول مع أولئك. وحال السامعين فى المدارك كحال السابقين وليس هؤلاء مختصين بشىء حرمه أولئك ولا عالمين بأمر جهلوه. فأصفيتم أى خصصتم مبنى للمجهول (٢) الخطام ما جعل فى أنف البعير لينقاد به. وجولان الخطام حركته وعدم استقراره لأنه غير مشدود. والعبارة تصوير لانطلاق الفتنة تأخذ فيهم مآخذها لا مانع لها ولا مقاوم. و بطان البعير حزام يجعل تحت بطنه ومتى استرخى كان الراكب على خطر السقوط (٣) روية فكر وامعان نظر (٤) الارتاج جمع رتج بالتحريك الباب العظيم. والداجى المظلم. والساجى الساكن. والفجاج جمع فج بمعنى الطريق الواسع بين جبلين ، والمهاد الفراش ، والخلق بمعنى المخلوق ، وذو اعتماد

وَوَارِثُهُ[١] وَإِلٰهُ ٱلْخَلْقِ وَرَازِقُهُ . وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ دَائِبَانِ فِي مَرْضَاتِهِ[٢] يُبْلِيَانِ كُلَّ جَدِيدٍ وَيُقَرِّبَانِ كُلَّ بَعِيدٍ . قَسَمَ أَرْزَاقَهُمْ . وَأَحْصَى آثَارَهُمْ وَأَعْمَالَهُمْ وَعَدَدَ أَنْفَاسِهِمْ وَخَائِنَةَ أَعْيُنِهِمْ . وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ مِنَ ٱلضَّمِيرِ[٣] . وَمُسْتَقَرَّهُمْ وَمُسْتَوْدَعَهُمْ مِنَ ٱلْأَرْحَامِ وَٱلظُّهُورِ . إِلَى أَنْ تَتَنَاهَى بِهِمُ ٱلْغَايَاتُ . هُوَ ٱلَّذِي ٱشْتَدَّتْ نِقْمَتُهُ . عَلَى أَعْدَائِهِ فِي سَعَةِ رَحْمَتِهِ . وَٱتَّسَعَتْ رَحْمَتُهُ لِأَوْلِيَائِهِ فِي شِدَّةِ نِقْمَتِهِ قَاهِرُ مَنْ عَازَّهُ[٤] وَمُدَمِّرُ مَنْ شَاقَّهُ وَمُذِلُّ مَنْ نَاوَاهُ وَغَالِبُ مَنْ عَادَاهُ . وَمَنْ تَوَكَّلَ عَلَيْهِ كَفَاهُ . وَمَنْ سَأَلَهُ أَعْطَاهُ وَمَنْ أَقْرَضَهُ قَضَاهُ[٥] . وَمَنْ شَكَرَهُ جَزَاهُ

عِبَادَ ٱللهِ زِنُوا أَنْفُسَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تُوزَنُوا . وَحَاسِبُوهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ تُحَاسَبُوا . وَتَنَفَّسُوا قَبْلَ ضِيقِ ٱلْخِنَاقِ . وَٱنْقَادُوا قَبْلَ عُنْفِ ٱلسِّيَاقِ[٦]

أى بطش وتصرف بقصد وارادة (١) مبتدع الخلق منشئه من العدم المحض ووارثه الباقى بعده (٢) دائبان تثنية دائب وهو المجد المجتهد ، وصفهما بذلك لتعاقبهما على حال واحدة لا يفتران ولا يسكنان وذلك كما أراد سبحانه (٣) من الضمير بيان لما تخفى الصدور وذلك أخفى من خائنة الأعين وهى ما يسارق من النظر الى مالا يحل وتلك أخفى مما قبلها . من الأرحام والظهور أى فيها ، أو تكون من للتبعيض أى الجزء الذى كانوا فيه من أرحام الأمهات وظهور الآباء (٤) عازّه رام مشاركته فى شىء من عزته . وشاقه نازعه . وناواه خالفه (٥) جعل تقديم العمل الصالح بمنزلة القرض والثواب عليه بمنزلة قضاء الدين اظهاراً لتحقق الجزاء على العمل قال تعالى « من ذا الذى يقرض الله قرضا حسنا فيضاعفه له أضعافا كثيرة » (٦) العنف ضد الرفق أى

وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ لَمْ يُعَنْ عَلَى نَفْسِهِ حَتَّى يَكُونَ لَهُ مِنْهَا وَاعِظٌ وَزَاجِرٌ لَمْ يَكُنْ لَهُ مِنْ غَيْرِهَا زَاجِرٌ وَلَا وَاعِظٌ(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

تُعْرَفُ بِخُطْبَةِ ٱلْأَشْبَاحِ وَهِيَ مِنْ جَلَائِلِ خُطَبِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ
وَكَانَ سَأَلَهُ سَائِلٌ أَنْ يَصِفَ ٱللهَ حَتَّى كَأَنَّهُ يَرَاهُ عِيَانًا
فَغَضِبَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِذَلِكَ

اَلْحَمْدُ لِلهِ ٱلَّذِي لَا يَفِرُهُ ٱلْمَنْعُ وَٱلْجُمُودُ(٢) وَلَا يُكْدِيهِ ٱلْإِعْطَاءُ وَٱلْجُودُ. إِذْ كُلُّ مُعْطٍ مُنْتَقَصٌ سِوَاهُ. وَكُلُّ مَانِعٍ مَذْمُومٌ مَا خَلَاهُ. وَهُوَ ٱلْمَنَّانُ بِفَوَائِدِ ٱلنِّعَمِ. وَعَوَائِدِ ٱلْمَزِيدِ وَٱلْقِسَمِ. عِيَالُهُ ٱلْخَلْقُ. ضَمِنَ أَرْزَاقَهُمْ وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهُمْ. وَنَهَجَ سَبِيلَ ٱلرَّاغِبِينَ إِلَيْهِ. وَٱلطَّالِبِينَ مَا لَدَيْهِ. وَلَيْسَ بِمَا سُئِلَ بِأَجْوَدَ مِنْهُ بِمَا لَمْ يُسْأَلْ. ٱلْأَوَّلُ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لَهُ قَبْلٌ فَيَكُونَ شَيْءٌ قَبْلَهُ. وَٱلْآخِرُ ٱلَّذِي لَيْسَ لَهُ بَعْدٌ

انقادوا إلى ما يطلب منكم بالحث الرفيق قبل أن تساقوا اليه بالعنف الشديد (١) من لم يعن مبنى للمجهول أى من لم يساعده الله على نفسه حتى يكون لها من وجدانها منبه لم ينفعه تنبيه غيره، ويجوز أن يكون للفاعل أى من لم يعن الزواجر على نفسه بالتذكير والاعتبار لم تؤثر فيه (٢) لا يفره لا يزيد ما عنـده من البخل والجود وهو

فَيَكُونَ شَيْءٌ بَعْدَهُ . وَالرَّادِعُ أَنَاسِيَّ الْأَبْصَارِ عَنْ أَنْ تَنَالَهُ أَوْ تُدْرِكَهُ[١] . مَا اخْتَلَفَ عَلَيْهِ دَهْرٌ فَيَخْتَلِفَ مِنْهُ الْحَالُ . وَلَا كَانَ فِي مَكَانٍ فَيَجُوزَ عَلَيْهِ الِانْتِقَالُ وَلَوْ وَهَبَ مَا تَنَفَّسَتْ عَنْهُ مَعَادِنُ الْجِبَالِ[٢] وَضَحِكَتْ عَنْهُ أَصْدَافُ الْبِحَارِ مِنْ فِلِزِّ اللُّجَيْنِ وَالْعِقْيَانِ[٣] وَنُثَارَةِ الدُّرِّ وَحَصِيدِ الْمَرْجَانِ مَا أَثَّرَ ذَٰلِكَ فِي جُودِهِ . وَلَا أَنْفَدَ سَعَةَ مَا عِنْدَهُ وَلَكَانَ عِنْدَهُ مِنْ ذَخَائِرِ الْإِنْعَامِ مَا لَا تُنْفِدُهُ مَطَالِبُ الْأَنَامِ[٤] لِأَنَّهُ الْجَوَادُ الَّذِي لَا يَغِيضُهُ سُؤَالُ السَّائِلِينَ وَلَا يُبْخِلُهُ إِلْحَاحُ الْمُلِحِّينَ[٥] . فَانْظُرْ أَيُّهَا السَّائِلُ فَمَا دَلَّكَ الْقُرْآنُ عَلَيْهِ مِنْ صِفَتِهِ فَائْتَمَّ بِهِ[٦] .

أشد البخل ، ولا يكديه أى لا يفقره (١) اناسى جمع انسان، وإنسان البصر هو ما يرى وسط الحدقة ممتازا عنها فى لونها (٢) أبدع الامام فى تسمية انفلاق المعادن عن الجواهر تنفسا فان أغلب ما يكون من ذلك بل كله عن تحرك المواد الملتهبة فى جوف الأرض الى الخارج وهى فى تبخرها أشبه بالنفس، كما أبدع فى تسمية انفتاح الصدف عن الدر ضحكا (٣) الفلز بكسر الفاء واللام الجوهر النفيس ، واللجين الفضة الخالصة ، والعقيان ذهب ينمو فى معدنه ، ونثارة الدر بالضم منثوره ، وفعالة بالضم فاش للجيد المختار كالخلاصة ، وللساقط المتروك كالقلامة ، وحصيد المرجان محصوده يشير إلى أن المرجان نبات وقد حققته كاشفات الفنون جديدها وقديمها (٤) أنفده بمعنى أفناه ، ونفد كفرح أى فنى (٥) يغيض بفتح حرف المضارعة من غاض المتعدى : يقال غاض الماء لازما وغاضه الله متعديا ، و يقال أغاضه أيضا وكلاهما بمعنى أنقصه وأذهب ماعنده. و يبخله بالتخفيف من أبخلت فلانا وجدته بخيلا، أما بخله بالتشديد فمعناه رماه بالبخل (٦) ائتم به أى اتبعه فصفه كما وصفه اقتداء به

وَٱسْتَضِئْ بِنُورِ هِدَايَتِهِ . وَمَا كَلَّفَكَ ٱلشَّيْطَانُ عِلْمَهُ مِمَّا لَيْسَ فِي ٱلْكِتَابِ عَلَيْكَ فَرْضُهُ وَلَا فِي سُنَّةِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأَئِمَّةِ ٱلْهُدَى أَثَرُهُ فَكِلْ عِلْمَهُ إِلَى ٱللهِ سُبْحَانَهُ . فَإِنَّ ذٰلِكَ مُنْتَهَى حَقِّ ٱللهِ عَلَيْكَ . وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّاسِخِينَ فِي ٱلْعِلْمِ هُمُ ٱلَّذِينَ أَغْنَاهُمْ عَنِ ٱقْتِحَامِ ٱلسُّدَدِ ٱلْمَضْرُوبَةِ دُونَ ٱلْغُيُوبِ ٱلْإِقْرَارُ بِجُمْلَةِ مَاجَهِلُوا تَفْسِيرَهُ مِنَ ٱلْغَيْبِ ٱلْمَحْجُوبِ[1]، فَمَدَحَ ٱللهُ ٱعْتِرَافَهُمْ بِالْعَجْزِ عَنْ تَنَاوُلِ مَالَمْ يُحِيطُوا بِهِ عِلْماً . وَسَمَّى تَرْكَهُمُ ٱلتَّعَمُّقَ فِيمَا لَمْ يُكَلِّفْهُمُ ٱلْبَحْثَ عَنْ كُنْهِهِ رُسُوخاً . فَٱقْتَصِرْ عَلَى ذٰلِكَ وَلَا تُقَدِّرْ عَظَمَةَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ عَلَى قَدْرِ عَقْلِكَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْهَالِكِينَ . هُوَ ٱلْقَادِرُ ٱلَّذِي إِذَا ٱرْتَمَتِ ٱلْأَوْهَامُ لِتُدْرِكَ مُنْقَطَعَ قُدْرَتِهِ[2] وَحَاوَلَ ٱلْفِكْرُ ٱلْمُبَرَّأُ مِنْ خَطَرَاتِ ٱلْوَسَاوِسِ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ فِي عَمِيقَاتِ غُيُوبِ مَلَكُوتِهِ[3] وَتَوَلَّهَتِ ٱلْقُلُوبُ إِلَيْهِ[4] لِتَجْرِيَ فِي كَيْفِيَّةِ صِفَاتِهِ[5] وَغَمُضَتْ مَدَاخِلُ ٱلْعُقُولِ فِي حَيْثُ لَا تَبْلُغُهُ ٱلصِّفَاتُ لِتَنَاوُلِ عِلْمِ ذَاتِهِ[6] رَدَعَهَا وَهِيَ تَجُوبُ مَهَاوِيَ سُدَفِ

(١) السدد جمع سدة باب الدار، والاقرار فاعل أغناهم (٢) ارتمت الأوهام ذهبت أمام الأفكار كالطليعة لها . ومنقطع الشيء ما اليه ينتهى (٣) المبرأ الخ أما الملابس لهذه الخطرات فمعلوم أنه لا يصل إلى شي لوقوفه عند وساوسه (٤) تولهت القلوب اليه اشتد عشقها وميلها لمعرفة كنهه (٥) لتجرى الخ لتجول ببصائرها فى تحقيق كيف قامت صفاته بذاته أو كيف اتصف سبحانه بها (٦) وغمضت الخ أى خفيت طرق الفكر ودقت

الْغُيُوبِ مُتَخَلِّصَةً إِلَيْهِ سُبْحَانَهُ فَرَجَعَتْ إِذْ جُبِهَتْ (١) مُعْتَرِفَةً بِأَنَّهُ لَا يُنَالُ بِجَوْرِ الِاعْتِسَافِ كُنْهُ مَعْرِفَتِهِ (٢) وَلَا تَخْطُرُ بِبَالِ أُولِي الرَّوِيَّاتِ خَاطِرَةٌ مِنْ تَقْدِيرِ جَلَالِ عِزَّتِهِ (٣) الَّذِي ابْتَدَعَ الْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ امْتَثَلَهُ (٤) وَلَا مِقْدَارٍ احْتَذَى عَلَيْهِ مِنْ خَالِقٍ مَعْهُودٍ كَانَ قَبْلَهُ . وَأَرَانَا مِنْ مَلَكُوتِ قُدْرَتِهِ ، وَعَجَائِبِ مَا نَطَقَتْ بِهِ آثَارُ حِكْمَتِهِ ، وَاعْتِرَافِ الْحَاجَةِ مِنَ الْخَلْقِ إِلَى أَنْ يُقِيمَهَا بِمَسَاكِ قُدْرَتِهِ مَا دَلَّنَا بِاضْطِرَارِ قِيَامِ الْحُجَّةِ لَهُ عَلَى مَعْرِفَتِهِ (٥) وَظَهَرَتْ فِي الْبَدَائِعِ الَّتِي أَحْدَثَهَا آثَارُ صَنْعَتِهِ وَأَعْلَامُ

و بلغت فى الخفاء والدقة إلى حد لا يبلغه الوصف (١) ردعها الخ جواب للشرط فى قوله اذا ارتمت الخ . وردعها كفها وردها ، والمهاوى المهالك ، والسدف بضم ففتح جمع سدفة وهى القطعة من الليل المظلم ، وجبهت من جبهه اذا ضرب جبهته والمراد ردت بالخيبة (٢) الجور العدول عن الطريق ، والاعتساف سلوك على غير جادة وسلوك العقول فى أى طريق طلبا لاكتناه ذاته وللوقوف على ما لم تكلف الوقوف عليه من كيفية صفاته يعد جوراً وعدولا عن الجادة ، فان العقول الحادثة ليس فى طبيعتها ما يؤهلها للاحاطة بالحقائق الأزلية ، اللهم الا ما دلت عليه الآثار وذلك هو الوصف الذى جاء فى الكتاب والسنة ، وكنه معرفته نائب فاعل ينال (٣) الرويات جمع روية الفكر (٤) ابتدع الخلق أوجده من العدم المحض على غير مثال سابق امتثله أى حاذاه ، ولا مقدار سابق احتذى عليه أى قاس وطبق عليه ، وكان ذلك المثال أو المقدار من خالق معروف سبقه بالخلقة أى لم يقتد بخالق آخر فى شىء من الخلقة اذ لا خالق سواه (٥) المساك كسحاب ـ ويكسر ـ ما به يمسك الشىء كالملاك ما به يملك «ان الله يمسك السموات والأرض أن تزولا » وقد جعل الحاجة الظاهرة من المخلوقات الى اقامة وجودها بما يمسكها من قوته بمنزلة الناطق بذلك المعترف به ، وقوله باضطرار

حِكْمَتِهِ. فَصَارَ كُلُّ مَا خَلَقَ حُجَّةً لَهُ وَدَلِيلًا عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانَ خَلْقاً صَامِتاً فَحُجَّتُهُ بِالتَّدْبِيرِ نَاطِقَةٌ. وَدَلَالَتُهُ عَلَى الْمُبْدِعِ قَائِمَةٌ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مَنْ شَبَّهَكَ بِتَبَايُنِ أَعْضَاءِ خَلْقِكَ. وَتَلَاحُمِ حِقَاقِ مَفَاصِلِهِمْ[1] الْمُحْتَجِبَةِ لِتَدْبِيرِ حِكْمَتِكَ. لَمْ يَعْقِدْ غَيْبَ ضَمِيرِهِ عَلَى مَعْرِفَتِكَ[2]. وَلَمْ يُبَاشِرْ قَلْبَهُ الْيَقِينُ بِأَنَّهُ لَا نِدَّ لَكَ وَكَأَنَّهُ لَمْ يَسْمَعْ تَبَرُّأَ التَّابِعِينَ مِنَ الْمَتْبُوعِينَ إِذْ يَقُولُونَ «تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ» كَذَبَ الْعَادِلُونَ بِكَ[3] إِذْ شَبَّهُوكَ بِأَصْنَامِهِمْ وَنَحَلُوكَ حِلْيَةَ الْمَخْلُوقِينَ بِأَوْهَامِهِمْ[4]. وَجَزَّءُوكَ تَجْزِئَةَ الْمُجَسَّمَاتِ بِخَوَاطِرِهِمْ وَقَدَّرُوكَ عَلَى الْخِلْقَةِ الْمُخْتَلِفَةِ الْقُوَى[5] بِقَرَائِحِ عُقُولِهِمْ. وَأَشْهَدُ

متعلق بدلنا، وعلى معرفته متعلق به أيضاً، أى دلنا على معرفته بسبب أن قيام الحجة اضطرنا لذلك. وما دلنا مفعول لأرانا. وظهرت فى البدائع الخ معطوف على أرانا

(١) الحقاق جمع حق بضم الحاء رأس العظم عند المفصل، واحتجاب المفاصل استتارها باللحم والجلد وذلك الاستتار مما له دخل فى تقوية المفاصل على تأدية وظائفها التى هى الغاية من وضعها فى تدبير حكمة الله فى خلقة الأبدان، والمراد من شبهه بالانسان ونحوه (٢) غيب الضمير باطنه، والمراد منه هنا العلم واليقين، أى لم يحكم بيقينه فى معرفتك بما أنت أهل له (٣) العادلون بك الذين عدلوا بك غيرك أى سووه بك وشبهوك به (٤) نحلوك أعطوك، وحلية المخلوقين صفاتهم الخاصة بهم من الجسمانية وما يتبعها، أى وصفوك بصفات المخلوقين، وذلك انما يكون من الوهم الذى لا يصل الى غير الأجسام ولواحقها دون العقل الذى يحكم فيما وراء ذلك (٥) قدروك قاسوك

أَنَّ مَنْ سَاوَاكَ بِشَيْءٍ مِنْ خَلْقِكَ فَقَدْ عَدَلَ بِكَ . وَالْعَادِلُ بِكَ كَافِرٌ بِمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ مُحْكَمَاتُ آيَاتِكَ . وَنَطَقَتْ عَنْهُ شَوَاهِدُ حُجَجِ بَيِّنَاتِكَ . وَأَنَّكَ أَنْتَ اللّٰهُ الَّذِي لَمْ تَتَنَاهَ فِي الْعُقُولِ فَتَكُونَ فِي مَهَبِّ فِكْرِهَا مُكَيَّفاً[١] وَلَا فِي رَوِيَّاتِ خَوَاطِرِهَا فَتَكُونَ مَحْدُوداً مُصَرَّفاً[٢] .

(وَمِنْهَا) قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ . وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ . وَلَمْ يُقَصِّرْ دُونَ الِانْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ[٣] . وَكَيْفَ وَإِنَّمَا صَدَرَتِ الْأُمُورُ عَنْ مَشِيئَتِهِ . الْمُنْشِئُ أَصْنَافَ الْأَشْيَاءِ بِلَا رَوِيَّةِ فِكْرٍ آلَ إِلَيْهَا وَلَا قَرِيحَةِ غَرِيزَةٍ أَضْمَرَ عَلَيْهَا[٤] وَلَا تَجْرِبَةٍ أَفَادَهَا مِنْ حَوَادِثِ الدُّهُورِ[٥] وَلَا شَرِيكٍ أَعَانَهُ عَلَى ابْتِدَاعِ عَجَائِبِ الْأُمُورِ فَتَمَّ خَلْقُهُ وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ . وَأَجَابَ إِلَى دَعْوَتِهِ وَلَمْ يَعْتَرِضْ دُونَهُ رَيْثُ الْمُبْطِئِ[٦]

---

(١) أى لم تكن متناهياً محدود الأطراف حتى تحيط بك العقول فتكيفك بكيفة مخصوصة (٢) مصرفاً أى تصرفك العقول بأفهامها فى حدودك (٣) استصعب المركوب لم ينقد فى السير لراكبه . وكل مخلوق خلقه الله لأمر أراده بلغ الغاية مما أراد الله منه ولم يقصر دون ذلك منقاداً غير مستصعب (٤) غريزة : طبيعة ومزاج ، أى ليس له مزاج كما للمخلوقات الحساسة فينبعث عنه الى الفعل ، بل هو انفعال بماله بمقتضى ذاته لا بأمر عارض (٥) أفادها استفادها (٦) لم يعترض دونه أى دون الخلق واجابة دعوة الله . والريث التثاقل عن الأمر أى أجاب الخلق دعوة الخالق فيما وجهت اليه فطرته بدون مهل

وَلَا أَنَاةُ الْمُتَلَكِّىءِ[١] فَأَقَامَ مِنَ الْأَشْيَاءِ أَوَدَهَا[٢] . وَنَهَجَ حُدُودَهَا[٣] وَلَاءَمَ بِقُدْرَتِهِ بَيْنَ مُتَضَادِّهَا . وَوَصَلَ أَسْبَابَ قَرَائِنِهَا[٤] . وَفَرَّقَهَا أَجْنَاسًا مُخْتَلِفَاتٍ فِي الْحُدُودِ وَالْأَقْدَارِ وَالْغَرَائِزِ وَالْهَيْئَاتِ[٥] . بَدَايَا خَلَائِقَ أَحْكَمَ صُنْعَهَا[٦] وَفَطَرَهَا عَلَى مَا أَرَادَ وَابْتَدَعَهَا (مِنْهَا فِي صِفَةِ السَّمَاءِ) وَنَظَمَ بِلَا تَعْلِيقٍ رَهَوَاتِ فُرَجِهَا[٧] . وَلَاحَمَ صُدُوعَ انْفِرَاجِهَا[٨] وَوَشَّجَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ أَزْوَاجِهَا[٩] . وَذَلَّلَ لِلْهَابِطِينَ بِأَمْرِهِ وَالصَّاعِدِينَ بِأَعْمَالِ خَلْقِهِ حُزُونَةَ مِعْرَاجِهَا[١٠] . نَادَاهَا بَعْدَ إِذْ هِيَ دُخَانٌ . فَالْتَحَمَتْ

---

(١) الاناة تؤدة تمازجها روية فى اختيار العمل وتركه ، والمتلكىء المتعلل، يقول أجاب الخلق ربه طائعا مقهورا بلا تلكؤ (٢) أودها اعوجاجها (٣) نهج عين ورسم (٤) قرائنها جمع قرينة وهى النفس ، أى وصل حبال النفوس وهى من عالم النور بالابدان وهى من عالم الظلمة (٥) الغرائز الطبائع (٦) بدايا جمع بدىء أى مصنوع (٧) رهوات جمع رهوة أى المكان المرتفع ويقال للمنخفض أيضا ، والفرج جمع فرجة . يقول قد فرج الله ما بين جرم وآخر من الاجرام السماوية ونظمها على ذلك بدون تعليق أحدها بالآخر وربطه به بآلة حسية (٨) لاحم الخ ما كان فى الجرم الواحد منها من صدع لحمه سبحانه وأصلحه فسواه، وذلك كما كان فى بدء خلقة الارض وانفصالها عن الاجرام السماوية وانفراج الاجرام عنها، فما تصدع بذلك أصلحه الله « أو لم ير الذين كفروا أن السموات والارض كانتا رتقا ففتقناهما » (٩) من وشج محمله اذا شبكه بالأربطة حتى لايسقط منه شىء ، أى انه سبحانه شبك بين كل سماء وأجرامها وبين أزواجها أى أمثالها وقرنائها من الاجرام الاخرى فى الطبقات العليا والسفلى عنها بروابط الماسكة المعنوية العامة، وهى من أعظم المظاهر لقدرته (١٠) الهابطين والصاعدين الارواح العلوية والسفلية . والحزونة الصعوبة . وقوله ناداها الخ رجوع الى بيان بعض ما كانت عليه قبل النظم. يقول كانت السموات هباء مائرا

عُرَى أَشْرَاجِهَا . وَفَتَقَ بَعْدَ الِارْتِتَاقِ صَوَامِتَ أَبْوَابِهَا(١) . وَأَقَامَ رَصَدًا مِنَ الشُّهُبِ الثَّوَاقِبِ عَلَى نِقَابِهَا(٢) وَأَمْسَكَهَا مِنْ أَنْ تَمُورَ فِي خَرَاقِ الْهَوَاءِ بِأَيْدِهِ(٣) . وَأَمَرَهَا أَنْ تَقِفَ مُسْتَسْلِمَةً لِأَمْرِهِ . وَجَعَلَ شَمْسَهَا آيَةً مُبْصِرَةً لِنَهَارِهَا(٤) وَقَمَرَهَا آيَةً مَمْحُوَّةً مِنْ لَيْلِهَا(٥) فَأَجْرَاهُمَا فِي مَنَاقِلِ مَجْرَاهُمَا . وَقَدَّرَ سَيْرَهُمَا فِي مَدَارِجِ دَرَجِهِمَا . لِيُمَيِّزَ بَيْنَ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ بِهِمَا . وَلِيُعْلَمَ عَدَدُ السِّنِينَ وَالْحِسَابُ بِمَقَادِيرِهِمَا . ثُمَّ عَلَّقَ فِي

أشبه بالدخان منظراً وبالبخار مادة فتجلى من الله فيها سر التكوين فالتحمت عرى أشراجها، والاشراج جمع شرج بالتحريك هو العروة وهى مقبض الكوز والدلو وغيرهما . وأشار باضافة العرى للاشراج الى أن كل جزء من مادتها عروة للآخر يجذبه اليه ليتماسك به ، فكل ماسك و ممسوك ، وكلٌّ عروة وله عروة (١) بعد أن كانت جسماً واحداً فتق الله رتقه ، وفصلها الى أجرام بينها فرج وأبواب، وأفرغ ما بينها بعد ما كانت صوامت أى لافراغ فيها (٢) النقاب جمع نقب وهو الخرق . والشهب الثواقب أى الشديدة الضياء . والرصد القوم يرصدون كالحرس ، وكون الرصد من الشهب فى أصل تكوين الخلقة كما قال الامام دليل على ماأثبته العلم من أن الشهب مقذيان لبعض أجرام الكواكب(*) مانظمه لها من التفانق فما نقب وخرق من جرم عوض بالشهاب، وذلك أمر آخر غير ماجاء فى الكتاب العزيز فما جاء فى الكتاب بمعنى آخر (٣) وأمسكها عن أن تمور أى تضطرب فى الهواء بأيده أى بقوته ، وأمرهاأن تقف أى تلزم مراكزها لاتفارق مداراتها، لابمعنى أن تسكن (٤) مبصرة أى جعل شمس هذه الاجرام السماوية مضيئة يبصر بضوئها مدة النهار كله دائما (٥) ممحوة يمحى ضوؤها فى بعض اطراف الليل فى أوقات من الشهر ،وفى جميع الليل أياما منه . ومناقل مجراهما الاوضاع التى ينقلان فيها من مداريهما

(*) العبارة فيها تحريف فى الأصل ، والمعنى ان كلام الامام دليل على ما أثبته العلم الحديث من ان الشهب جعلت لتسد ما يحصل فى بعض اجرام الكواكب من خروق ، كما يدل عليه آخر العبارة

جَوِّهَا فَلَكَهَا[١]. وَنَاطَ بِهَا زِينَتَهَا مِنْ خَفِيَّاتِ دَرَارِيِّهَا وَمَصَابِيحِ كَوَاكِبِهَا[٢] وَرَمَى مُسْتَرِقِي ٱلسَّمْعِ بِثَوَاقِبِ شُهُبِهَا وَأَجْرَاهَا عَلَى إِذْلَالِ تَسْخِيرِهَا مِنْ ثَبَاتِ ثَابِتِهَا وَمَسِيرِ سَائِرِهَا وَهُبُوطِهَا وَصُعُودِهَا. وَنُحُوسِهَا وَسُعُودِهَا[٣] (مِنْهَا فِي صِفَةِ ٱلْمَلَائِكَةِ عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ) ثُمَّ خَلَقَ سُبْحَانَهُ لِإِسْكَانِ سَمٰوَاتِهِ. وَعِمَارَةِ ٱلصَّفِيحِ ٱلْأَعْلَى[٤] مِنْ مَلَكُوتِهِ خَلْقاً بَدِيعاً مِنْ مَلَائِكَتِهِ مَلَأَ بِهِمْ فُرُوجَ فِجَاجِهَا. وَحَشَى بِهِمْ فُتُوقَ أَجْوَائِهَا[٥]. وَبَيْنَ فَجَوَاتِ تِلْكَ ٱلْفُرُوجِ زَجَلُ ٱلْمُسَبِّحِينَ مِنْهُمْ فِي حَظَائِرِ ٱلْقُدْسِ وَسُتُرَاتِ ٱلْحُجُبِ وَسُرَادِقَاتِ ٱلْمَجْدِ[٦]. وَوَرَاءَ ذٰلِكَ ٱلرَّجِيجِ ٱلَّذِي تَسْتَكُّ مِنْهُ ٱلْأَسْمَاعُ سُبُحَاتُ نُورٍ تَرْدَعُ ٱلْأَبْصَارَ عَنْ بُلُوغِهَا[٧]. فَتَقِفُ خَاسِئَةً عَلَى حُدُودِهَا[٨]. أَنْشَأَهُمْ عَلَى صُوَرٍ مُخْتَلِفَاتٍ وَأَقْدَارٍ مُتَفَاوِتَاتٍ. أُولِي أَجْنِحَةٍ تُسَبِّحُ جَلَالَ

---

(١) فلكها هو الجسم الذى ارتكزت فيه وأحاط بها وفيه مدارها. وناطبها أى علق بها وأحاطها. ودراريها كواكبها وأقمارها. والإذلال جمع ذل بالكسر وهو محجة الطريق أى على الطرق التى سخرها فيها (٢) نجومها الصغار (٣) نحوسها وسعودها من أقفار بعضها فى علله وريع بعضها على كونه(*) (٤) الصفيح السماء (٥) الأجواء جمع جو (٦) الزجل رفع الصوت. والحظائر جمع حظيرة موضع يحاط عليه لتأوى اليه الغنم والابل توقيا من البرد والريح، وهو مجاز هنا عن المقامات المقدسة للأرواح الطاهرة. والسترات جمع سترة ما يستتر به. والسرادقات جمع سرادق وهو ما يمد على صحن البيت فيغطيه (٧) الرجيج الزلزلة والاضطراب. وتستك منه أى تصم منه الآذان لشدته. وسبحات نور أى طبقات نور وأصل السبحات الأنوار نفسها (٨) خاسئة مدفوعة مطرودة عن الترامى اليها

(*) هذه العبارة طبق الاصل، وهى غير واضحة. وفى شرح ابن أبى الحديد مايفيد ان النجوم تدل بنحسها وسعدها على امور عامة مما لا تخص أحدا بعينه كأن تدل على قحط عام أومرض عام أونحو ذلك

عِزَّتِهِ لَا يَنْتَحِلُونَ مَا ظَهَرَ فِي الْخَلْقِ مِنْ صَنْعَتِهِ . وَلَا يَدَّعُونَ أَنَّهُمْ يَخْلُقُونَ شَيْئًا مِمَّا انْفَرَدَ بِهِ . بَلْ عِبَادٌ مُكْرَمُونَ « لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ وَهُمْ بِأَمْرِهِ يَعْمَلُونَ » جَعَلَهُمْ فِيمَا هُنَالِكَ أَهْلَ الْأَمَانَةِ عَلَى وَحْيِهِ . وَحَمَّلَهُمْ إِلَى الْمُرْسَلِينَ وَدَائِعَ أَمْرِهِ وَنَهْيِهِ . وَعَصَمَهُمْ مِنْ رَيْبِ الشُّبُهَاتِ فَمَا مِنْهُمْ زَائِغٌ عَنْ سَبِيلِ مَرْضَاتِهِ . وَأَمَدَّهُمْ بِفَوَائِدِ الْمَعُونَةِ . وَأَشْعَرَ قُلُوبَهُمْ تَوَاضُعَ إِخْبَاتِ السَّكِينَةِ[1] وَفَتَحَ لَهُمْ أَبْوَابًا ذُلُلًا[2] إِلَى تَمَاجِيدِهِ . وَنَصَبَ لَهُمْ مَنَارًا وَاضِحَةً عَلَى أَعْلَامِ تَوْحِيدِهِ[3] . لَمْ تُثْقِلْهُمْ مُوصِرَاتُ الْآثَامِ[4] . وَلَمْ تَرْتَحِلْهُمْ عُقَبُ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ[5] . وَلَمْ تَرْمِ الشُّكُوكُ بِنَوَازِعِهَا عَزِيمَةَ إِيمَانِهِمْ[6] . وَلَمْ تَعْتَرِكِ الظُّنُونُ عَلَى مَعَاقِدِ يَقِينِهِمْ[7] وَلَا قَدَحَتْ قَادِحَةُ الْإِحَنِ فِيمَا بَيْنَهُمْ[8] . وَلَا سَلَبَتْهُمُ

(١) الاخبات الخضوع والخشوع (٢) جمع ذلول خلاف الصعب (٣) قال بعض أهل اللغة ان منارة تجمع على منار وان لم يذكره صاحب القاموس. وأرى أن مناراً ههنا جمع منارة بمعنى المسرجة وهي مايوضع فيه المصباح . والأعلام مايقام للاهتداء على أفواه الطرق ومرتفعات الأرض . والكلام تمثيل لما أنار به مداركهم حتى انكشف لهم سر توحيده (٤) مثقلاتها (٥) ارتحله وضع عليه الرحل ليركبه . والعقب جمع عقبة هي النوبة . والليل والنهار [عقيبان] لتعاقبهما ، أي لم يتسلط عليهم تعاقب الليل والنهار فيفنيهم أو يغيرهم (٦) النوازع جمع نازعة وهي النجم أو القوس ، وعلى الأول المراد منها الشهب وعلى الثاني تكون الباء في بنوازعها بمعنى من (٧) جمع معقد محل العقد بمعنى الاعتقاد (٨) الاحن جمع احنة هي الحقد والضغينة

ٱلْحَيْرَةُ مَا لَاقَ مِنْ مَعْرِفَتِهِ بِضَمَائِرِهِمْ[١] . وَمَا سَكَنَ مِنْ عَظَمَتِهِ وَهَيْبَةِ جَلَالَتِهِ فِي أَثْنَاءِ صُدُورِهِمْ . وَلَمْ تَطْمَعْ فِيهِمُ ٱلْوَسَاوِسُ فَتَقْتَرِعَ بِرَيْنِهَا عَلَى فِكْرِهِمْ[٢] . مِنْهُمْ مَنْ هُوَ فِي خَلْقِ ٱلْغَمَامِ ٱلدُّلَّحِ[٣] وَفِي عِظَمِ ٱلْجِبَالِ ٱلشُّمَّخِ وَفِي قَتْرَةِ ٱلظَّلَامِ ٱلْأَبْهَمِ[٤] وَمِنْهُمْ مَنْ خَرَقَتْ أَقْدَامُهُمْ تُخُومَ ٱلْأَرْضِ ٱلسُّفْلَى . فَهِيَ كَرَايَاتٍ بِيضٍ قَدْ نَفَذَتْ فِي مَخَارِقِ ٱلْهَوَاءِ[٥] . وَتَحْتَهَا رِيحٌ هَفَّافَةٌ تَحْبِسُهَا عَلَى حَيْثُ ٱنْتَهَتْ مِنَ ٱلْحُدُودِ ٱلْمُتَنَاهِيَةِ . قَدِ ٱسْتَفْرَغَتْهُمْ أَشْغَالُ عِبَادَتِهِ[٦] وَوَصَلَتْ حَقَائِقُ ٱلْإِيمَانِ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ . وَقَطَعَهُمُ ٱلْإِيقَانُ بِهِ إِلَى ٱلْوَلَهِ إِلَيْهِ[٧] وَلَمْ تُجَاوِزْ رَغَبَاتُهُمْ مَا عِنْدَهُ إِلَى مَا عِنْدَ غَيْرِهِ . قَدْ ذَاقُوا حَلَاوَةَ مَعْرِفَتِهِ وَشَرِبُوا بِٱلْكَأْسِ ٱلرَّوِيَّةِ مِنْ مَحَبَّتِهِ[٨] وَتَمَكَّنَتْ مِنْ سُوَيْدَاءِ قُلُوبِهِمْ[٩] وَشِيجَةُ خِيفَتِهِ[١٠] فَحَنَوْا بِطُولِ ٱلطَّاعَةِ ٱعْتِدَالَ ظُهُورِهِمْ .

---

(١) لاق لصق (٢) تقترع من الاقتراع بمعنى ضرب القرعة. والرين بفتح الراء الدنس وما يطبع على القلب من حجب الجهالة (٣) جمع دالح وهو الثقيل بالماء من السحاب (٤) القترة هنا الخفاء والبطون . ومنها قالوا أخذه على قترة أى من حيث لايدرى. والابهم بباء موحدة بعد الهمزة أصله من لايعقل ولايفهم، وصف به الليل وصفا للشىء بما ينشأ عنه، فان الظلام الحالك يوقع فى الحيرة و يأخذ بالفهم عن رشاده (٥) مواضع ماخرقت أقدامهم (٦) جعلتهم فارغين من الاشتغال بغيرها (٧) شدة الشوق اليه (٨) الروية التى تروى وتطفىء العطش (٩) محل الروح الحيوانى من مضغة القلب (١٠) الوشيجة أصلها عروق الشجرة أراد منها

وَلَمْ يُنْفِدْ طُولُ ٱلرَّغْبَةِ إِلَيْهِ مَادَّةَ تَضَرُّعِهِمْ(١) وَلَا أَطْلَقَ عَنْهُمْ عَظِيمُ ٱلزُّلْفَةِ رِبَقَ خُشُوعِهِمْ(٢) وَلَمْ يَتَوَلَّهُمُ ٱلْإِعْجَابُ فَيَسْتَكْثِرُوا مَا سَلَفَ مِنْهُمْ. وَلَا تَرَكَتْ لَهُمُ ٱسْتِكَانَةُ ٱلْإِجْلَالِ(٣) نَصِيباً فِي تَعْظِيمِ حَسَنَاتِهِمْ. وَلَمْ تَجْرِ ٱلْفَتَرَاتُ فِيهِمْ عَلَى طُولِ دُؤُوبِهِمْ وَلَمْ تَغِضْ رَغَبَاتُهُمْ(٤) فَيُخَالِفُوا عَنْ رَجَاءِ رَبِّهِمْ وَلَمْ تَجِفَّ لِطُولِ ٱلْمُنَاجَاةِ أَسَلَاتُ أَلْسِنَتِهِمْ(٥) وَلَا مَلَكَتْهُمُ ٱلْأَشْغَالُ فَتَنْقَطِعَ بِهَمْسِ ٱلْجُؤَارِ إِلَيْهِ أَصْوَاتُهُمْ(٦) وَلَمْ تَخْتَلِفْ فِي مَقَاوِمِ ٱلطَّاعَةِ مَنَاكِبُهُمْ(٧). وَلَمْ يَثْنُوا إِلَى رَاحَةِ ٱلتَّقْصِيرِ فِي أَمْرِهِ رِقَابَهُمْ. وَلَا تَعْدُو(٨) عَلَى عَزِيمَةِ جِدِّهِمْ بَلَادَةُ ٱلْغَفَلَاتِ وَلَا تَنْتَضِلُ فِي هِمَمِهِمْ خَدَائِعُ ٱلشَّهَوَاتِ(٩). قَدِ ٱتَّخَذُوا ذَا ٱلْعَرْشِ ذَخِيرَةً لِيَوْمِ فَاقَتِهِمْ(١٠). وَيَمَّمُوهُ عِنْدَ ٱنْقِطَاعِ ٱلْخَلْقِ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ بِرَغْبَتِهِمْ(١١)

هنا بواعث الخوف من الله (١) أى أن شدة رجائهم لم تفن مادة خوفهم وتذللهم (٢) جمع ربقة بالكسر والفتح وهى العروة من عرى الربق بكسر الراء وهو حبل فيه عدة عرى تربط فيه البهم (٣) الاستكانة ميل للسكون من شدة الخوف ثم استعملت فى الخضوع (٤) دأب فى العمل بالغ فى مداومته حتى أجهده (٥) لم تنقص. وأسلة اللسان طرفه أى لم تيبس أطراف ألسنتهم فتقف عن ذكره (٦) الهمس الخفى من الصوت. والجؤار رفع الصوت بالتضرع أى لم يكن لهم عن الله شاغل يضطرهم للهمس والاخفاء وخفض جؤارهم بالدعاء اليه (٧) المقاوم جمع مقام، والمراد الصفوف (٨) لا تسطو (٩) انتضلت الابل رمت بأيديها فى السير بسرعة. وخدائع الشهوات للنفس [بما تزينه لها.] أى لم تسلك خدائع الشهوات طريقا فى هممهم (١٠) حاجتهم (١١) يمموه قصدوه بالرغبة والرجاء عند ما

لَا يَقْطَعُونَ أَمَدَ غَايَةِ عِبَادَتِهِ. وَلَا يَرْجِعُ بِهِمُ الِاسْتِهْتَارُ بِلُزُومِ طَاعَتِهِ (١) إِلَّا إِلَى مَوَادَّ مِنْ قُلُوبِهِمْ غَيْرِ مُنْقَطِعَةٍ مِنْ رَجَائِهِ وَمَخَافَتِهِ (٢). لَمْ تَنْقَطِعْ أَسْبَابُ الشَّفَقَةِ مِنْهُمْ (٣) فَيَنُوا فِي جِدِّهِمْ (٤) وَلَمْ تَأْسِرْهُمُ الْأَطْمَاعُ فَيُؤْثِرُوا وَشِيكَ السَّعْيِ عَلَى اجْتِهَادِهِمْ (٥). وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا مَا مَضَى مِنْ أَعْمَالِهِمْ. وَلَوِ اسْتَعْظَمُوا ذَلِكَ لَنَسَخَ الرَّجَاءُ مِنْهُمْ شَفَقَاتُ وَجَلِهِمْ (٦). وَلَمْ يَخْتَلِفُوا فِي رَبِّهِمْ بِاسْتِحْوَاذِ الشَّيْطَانِ عَلَيْهِمْ. وَلَمْ يُفَرِّقْهُمْ سُوءُ التَّقَاطُعِ. وَلَا تَوَلَّاهُمْ غِلُّ التَّحَاسُدِ. وَلَا شَعَبَتْهُمْ مَصَارِفُ الرِّيَبِ (٧) وَلَا اقْتَسَمَتْهُمْ أَخْيَافُ الْهِمَمِ (٨). فَهُمْ أُسَرَاءُ إِيمَانٍ. لَمْ يَفُكَّهُمْ مِنْ رِبْقَتِهِ زَيْغٌ وَلَا عُدُولٌ وَلَا وَنًى وَلَا فُتُورٌ (٩). وَلَيْسَ فِي أَطْبَاقِ السَّمَوَاتِ

انقطعت الخلق سواهم الى المخلوقين (١) الاستهتار التولع (٢) مواد جمع مادة: أصلها من مد البحر اذا زاد، وكل ماأعنت به غيرك فهو مادة، ويريد بها البواعث المعينة على الاعمال، أي كلما تولعوا بطاعته زادت بهم البواعث عليها من الرغبة والرهبة (٣) الشفقة الخوف (٤) ونى ينى تأنى (٥) وشيك السعى مقاربه وهينه، أي انه لاطمع لهم فى غيره فيختاروا هين السعى على الاجتهاد الكامل (٦) الشفقات تارات الخوف واطواره، وهو فاعل نسخ والرجاء مفعول. والوجل الخوف أيضا (٧) شعبتهم فرقتهم صروف الريب جمع ريبة وهى مالا تكون النفس على ثقة من موافقته للحق (٨) جمع خيف بالفتح هو فى الاصل ما انحدر عن سفح الجبل، والمراد هنا سواقط الهمم، فان التفرق والاختلاف كثيراً مايكون من انحطاط الهمة بل أعظم مايكون منه ينشأ عن ذلك. وقد يكون الخيف بمعنى الناحة أي متطرفات الهمم (٩) ونى مصدر ونى

مَوْضِعُ إِهَابٍ(١) إِلَّا وَعَلَيْهِ مَلَكٌ سَاجِدٌ . أَوْ سَاعٍ حَافِدٌ(٢) . يَزْدَادُونَ عَلَى طُولِ الطَّاعَةِ بِرَبِّهِمْ عِلْماً . وَتَزْدَادُ عِزَّةُ رَبِّهِمْ فِي قُلُوبِهِمْ عِظَماً .

(وَمِنْهَا) فِي صِفَةِ الْأَرْضِ وَدَحْوِهَا عَلَى الْمَاءِ(٣) . كَبَسَ الْأَرْضَ(٤) عَلَى مَوْرِ أَمْوَاجٍ مُسْتَفْحِلَةٍ . وَلُجَجِ بِحَارٍ زَاخِرَةٍ(٥) . تَلْتَطِمُ أَوَاذِيُّ أَمْوَاجِهَا(٦) وَتَصْطَفِقُ مُتَقَاذِفَاتُ أَثْبَاجِهَا(٧) وَتَرْغُو زَبَدًا كَالْفُحُولِ عِنْدَ هِيَاجِهَا . فَخَضَعَ جِمَاحُ الْمَاءِ الْمُتَلَاطِمِ لِثِقَلِ حَمْلِهَا . وَسَكَنَ هَيْجُ ارْتِمَائِهِ إِذْ وَطِئَتْهُ بِكَلْكَلِهَا(٨) . وَذَلَّ مُسْتَخْذِياً(٩) إِذْ تَمَعَّكَتْ عَلَيْهِ بِكَوَاهِلِهَا(١٠) فَأَصْبَحَ بَعْدَ اصْطِخَابِ أَمْوَاجِهِ(١١) سَاجِياً مَقْهُوراً(١٢) . وَفِي حَكَمَةِ الذُّلِّ مُنْقَاداً أَسِيراً(١٣) . وَسَكَنَتِ الْأَرْضُ مَدْحُوَّةً فِي لُجَّةِ تَيَّارِهِ . وَرَدَّتْ مِنْ نَخْوَةِ بَأْوِهِ وَاعْتِلَائِهِ(١٤) وَشُمُوخِ أَنْفِهِ وَسُمُوِّ

كتعب أي تأتى (١) جلد حيوان (٢) خفيف سريع (٣) دحوها بسطها (٤) كبس النهر والبئر أى طمهما بالتراب وعلى هذا كان حق التعبير كبس بها مور أمواج لكنه أقام الآلة مقام المفعول لأنها المقصود بالعمل. والمور التحرك الشديد. والمستفحلة الهائجة يصعب التغلب عليها (٥) ممتلئة (٦) جمع آذىّ أعلى الموج (٧) اصطفقت الاشجار اهتزت بالريح . والاثباج جمع ثبج بالتحريك هو فى الأصل ما بين الكاهل والظهر أو صدر القطاة استعاره لأعالى الموج والمتقاذفات التى يقذف بعضها بعضا (٨) هو فى الأصل الصدر استعاره لملاقى الماء من الأرض (٩) منكسرا مسترخيا (١٠) من تمعكت الدابة أى تمرغت فى التراب (١١) اصطخاب افتعال من الصخب بمعنى ارتفاع الصوت (١٢) ساجيا ساكنا (١٣) الحكمة محركة ما أحاط بحنكى الفرس من لجامه وفيها العذاران (١٤) البأو الكبر والزهو

غُلَوَائِهِ (١) وَ كَعَمَتْهُ (٢) عَلَى كِظَّةِ جِرْيَتِهِ (٣) فَهَمَدَ بَعْدَ نَزَقَانِهِ (٤) . وَلَبَدَ بَعْدَ زَيَفَانِ وَثَبَاتِهِ (٥) . فَلَمَّا سَكَنَ هِيَاجُ الْمَاءِ مِنْ تَحْتِ أَكْنَافِهَا (٦) وَحَمْلِ شَوَاهِقِ الْجِبَالِ الشُّمَّخِ الْبُذَّخِ عَلَى أَكْتَافِهَا (٧) فَجَرَ يَنَابِيعَ الْعُيُونِ مِنْ عَرَانِينِ أُنُوفِهَا (٨) . وَفَرَّقَهَا فِي سُهُوبِ بِيدِهَا وَأَخَادِيدِهَا (٩) وَعَدَلَ حَرَكَاتِهَا بِالرَّاسِيَاتِ مِنْ جَلَامِيدِهَا (١٠) وَذَوَاتِ الشَّنَاخِيبِ الشُّمِّ (١١) . مِنْ صَيَاخِيدِهَا (١٢) . فَسَكَنَتْ مِنَ الْمَيَدَانِ (١٣) لِرُسُوبِ الْجِبَالِ فِي قِطَعِ أَدِيمِهَا (١٤) ، وَتَغَلْغُلِهَا مُتَسَرِّبَةً فِي جَوْبَاتِ خَيَاشِيمِهَا (١٥) ، وَرُكُوبِهَا أَعْنَاقَ

(١) بضم الغين وفتح اللام النشاط وتجاوز الحد (٢) كعم البعير كمنع شد فاه لئلا يعض أو يأكل ، وما يشد به كعام ككتاب (٣) الكظة بالكسر مايعرض من امتلاء البطن بالطعام ، ويراد بها هنا مايشاهد فى جرى الماء من ثقل الاندفاع (٤) النزق والنزقان الطيش (٥) الزيفان التبختر فى المشية . ولبد كفرح ونصر . أى قام وثبت (٦) نواحيها (٧) البذخ بمعنى الشمخ جمع شامخ وباذخ أى عال ورفيع . غير أنى أجد من لفظ الباذخ معنى أخص وهو الضخامة مع الارتفاع . وحمل عطف على أكناف (٨) عرانين جمع عرنين بالكسر ماصلب من عظم الأنف والمراد أعالى الجبال ، غير أن الاستعارة من ألطف أنواعها فى هذا المقام (٩) السهوب جمع سهب بالفتح أى الفلاة . والبيد جمع بيداء . والأخاديد جمع أخدود الحفر المستطيلة فى الأرض . والمراد منها مجارى الأنهار (١٠) الضمير للأرض كما يظهر من بقية الكلام . والجلاميد جمع جلمود الحجر القاسي (١١) الشناخيب جمع شنخوب وهو رأس الجبل . والشم الرفيعة (١٢) جمع صيخود وهو الصخرة الشديدة (١٣) بالتحريك الاضطراب (١٤) سطحها (١٥) التغلغل المبالغة فى الدخول ومتسربة أى داخلة . والجوبات جمع جوبة بمعنى الحفرة . والخياشيم جمع خيشوم هو منفذ الأنف إلى الرأس أو مارق من العظام فى الكائنة

سُهُولِ الْأَرَضِينَ وَجَرَاثِيمِهَا(١) وَفَسَحَ بَيْنَ الْجَوِّ وَبَيْنَهَا . وَأَعَدَّ الْهَوَاءَ مُتَنَسَّماً لِسَاكِنِهَا . وَأَخْرَجَ إِلَيْهَا أَهْلَهَا عَلَى تَمَامِ مَرَافِقِهَا(٢) ثُمَّ لَمْ يَدَعْ جُرُزَ الْأَرْضِ(٣) الَّتِي تَقْصُرُ مِيَاهُ الْعُيُونِ عَنْ رَوَابِيهَا(٤) وَلَا تَجِدُ جَدَاوِلُ الْأَنْهَارِ ذَرِيعَةً إِلَى بُلُوغِهَا(٥) حَتَّى أَنْشَأَ لَهَا نَاشِئَةَ سَحَابٍ تُحْيِي مَوَاتَهَا(٦) وَتَسْتَخْرِجُ نَبَاتَهَا . أَلَّفَ غَمَامَهَا بَعْدَ افْتِرَاقِ لُمَعِهِ(٧) وَتَبَايُنِ قَزَعِهِ(٨)، حَتَّى إِذَا تَمَخَّضَتْ لُجَّةُ الْمُزْنِ فِيهِ(٩). وَالْتَمَعَ بَرْقُهُ فِي كُفَفِهِ(١٠) وَلَمْ يَنَمْ وَمِيضُهُ فِي كَنَهْوَرِ رَبَابِهِ(١١) وَمُتَرَاكِمِ سَحَابِهِ أَرْسَلَهُ سَحًّا

فوق قصبة الأنف متصلة بالرأس ، وضمير تغلغلها للجبال . وخياشيمها للأرض والمجاز ظاهر (١) ركوب الجبال أعناق السهول استعلاؤهـا عليها . وأعناقها سطوحها وجراثيمها ما سفل عن السطوح من الطبقات الترابية ، واستعلاء الجبال عليها ظاهر (٢) مرافق البيت ما يستعان به فيه وما يحتاج اليه فى النعيش خصوصـا ما يكون من الأماكن ، أو هو ما يتم به الانتفاع بالسكنى كمصـاب المياه والطرق الموصلة اليه والأماكن التى لابد منها للساكنين فيه لقضـاء حاجاتهم وما يشبه ذلك (٣) الأرض الجرز بضمتين التى تمر عليها مياه العيون فتنبت (٤) مرتفعاتها (٥) ذريعة وسيلة (٦) الموات من الأرض ما لايزرع (٧) جمع لمة بضم اللام : فى الأصل القطعة من النبات مالت لليبس استعارها لقطع السحاب ، والمشابهة فى لونها وذهابها الى الاضمحلال لولا تأليف الله اياها مع غيرها (٨) جمع قزعة محركة وهى القطعة من الغيم (٩) تمخضت تحركت تحركا شديداً كما يتحرك اللبن فى السقاء بالمخض . والضمير فى فيه راجع إلى المزن أى تحركت اللجة التى يحملها المزن فيه . ويصح أن يرجع للغمام فى أول العبارة (١٠) جمع كفة بضم الكاف وهى الحاشية والطرف لكل شىء أى جوانبه (١١) نامت النار همدت . والوميض اللمعان . والكنهور كسفرجل القطع العظيمة من السحاب

مُتَدَارِكًا[١] . قَدْ أَسَفَّ هَيْدَبُهُ ، تَمْرِيهِ الْجَنُوبُ دِرَرَ أَهَاضِيبِهِ[٢] وَدُفَعَ شَآبِيبِهِ[٣] . فَلَمَّا أَلْقَتِ السَّحَابُ بَرْكَ بَوَانِيهَا[٤] ، وَبَعَاعَ مَا اسْتَقَلَّتْ بِهِ[٥] مِنَ الْعِبْءِ الْمَحْمُولِ عَلَيْهَا[٦] أَخْرَجَ بِهِ مِنْ هَوَامِدِ الْأَرْضِ النَّبَاتَ[٧] وَمِنْ زُعْرِ الْجِبَالِ الْأَعْشَابَ[٨] ، فَهِيَ تَبْهَجُ بِزِينَةِ رِيَاضِهَا[٩] وَتَزْدَهِي[١٠] بِمَا أُلْبِسَتْهُ مِنْ رَيْطِ[١١] أَزَاهِيرِهَا[١٢] وَحِلْيَةِ مَا سُمِطَتْ بِهِ[١٣] مِنْ نَاضِرِ

أو المتراكم منه. والرباب كسحاب الأبيض المتلاحق منه، أى لم يمهد لمعان البرق فى ركام هذا الغمام (١) صبا متلاحقا متواصلا (٢) أسف الطائر دنا من الأرض، والهيدب كجعفر السحاب المتدلى أو ذيله ، وقوله تمريه من مرى الناقة أى مسح على ضرعها ليحلب لبنها . والدرر كغلل جمع درة بالكسر اللبن . والأهاضيب جمع هضاب وهو جمع هضبة كضربة وهى المطرة، أى دنا السحاب من الأرض لثقله بالماء وريح الجنوب تستدره الماء كما يستدر الحالب لبن الناقة ،فان الريح تحركه فيصب ما فيه (٣) جمع شؤبوب ما ينزل من المطر بشدة (٤) البرك بالفتح فى الأصل ما يلى الأرض من جلد صدر البعير كالبركة . والبوانى هى أضلاع الزور . وشبه السحاب بالناقة إذا بركت وضربت بعنقها على الأرض ولاطمتها بأضلاع زورها. واشتبه ابن أبى الحديد فى معنى البرك والبوانى فأخرج الكلام عن بلاغته (٥) بعاع عطف على برك . والبعاع بالفتح ثقل السحاب من الماء . وألقى السحاب بعاعه أمطر كل ما فيه (٦) العبء الحمل (٧) الهوامد من الأرض ما لم يكن بها نبات (٨) زعر جمع زاعر وهو من المواضع القليل النبات (٩) بهج كمنع سر وأفرح (١٠) تعجب (١١) جمع ريطة بالفتح وهى كل ثوب رقيق لين (١٢) جمع زهار الذى هو جمع زهرة بمعنى النبات (١٣) سمط من سمط الشىء علق عليه السموط وهى الخيوط تنظم فيها القلادة

أَنْوَارِهَا وَجَعَلَ ذٰلِكَ بَلاغًا لِلأَنَامِ[١] وَرِزْقًا لِلأَنْعَامِ . وَخَرَقَ الْفِجَاجَ فِي آفَاقِهَا وَأَقَامَ الْمَنَارَ لِلسَّالِكِينَ عَلَى جَوَادِّ طُرُقِهَا . فَلَمَّا مَهَدَ أَرْضَهُ وَأَنْفَذَ أَمْرَهُ اخْتَارَ آدَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ خِيرَةً مِنْ خَلْقِهِ . وَجَعَلَهُ أَوَّلَ جِبِلَّتِهِ[٢] وَأَسْكَنَهُ جَنَّتَهُ وَأَرْغَدَ فِيهَا أُكُلَهُ ، وَأَوْعَزَ إِلَيْهِ فِيمَا نَهَاهُ عَنْهُ . وَأَعْلَمَهُ أَنَّ فِي الْإِقْدَامِ عَلَيْهِ التَّعَرُّضَ لِمَعْصِيَتِهِ . وَالْمُخَاطَرَةَ بِمَنْزِلَتِهِ . فَأَقْدَمَ عَلَى مَا نَهَاهُ عَنْهُ مُوَافَاةً لِسَابِقِ عِلْمِهِ ، فَأَهْبَطَهُ بَعْدَ التَّوْبَةِ لِيَعْمُرَ أَرْضَهُ بِنَسْلِهِ وَلِيُقِيمَ الْحُجَّةَ بِهِ عَلَى عِبَادِهِ . وَلَمْ يُخْلِهِمْ بَعْدَ أَنْ قَبَضَهُ مِمَّا يُؤَكِّدُ عَلَيْهِمْ حُجَّةَ رُبُوبِيَّتِهِ ، وَيَصِلُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَعْرِفَتِهِ ، بَلْ تَعَاهَدَهُمْ بِالْحُجَجِ عَلَى أَلْسُنِ الْخِيَرَةِ مِنْ أَنْبِيَائِهِ ، وَمُتَحَمِّلِي وَدَائِعِ رِسَالَاتِهِ ، قَرْنًا فَقَرْنًا حَتَّى تَمَّتْ بِنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حُجَّتُهُ ، وَبَلَغَ الْمَقْطَعَ عُذْرُهُ وَنُذُرُهُ[٣] . وَقَدَّرَ الْأَرْزَاقَ فَكَثَّرَهَا وَقَلَّلَهَا . وَقَسَّمَهَا عَلَى الضِّيقِ وَالسَّعَةِ فَعَدَلَ فِيهَا لِيَبْتَلِيَ مَنْ أَرَادَ بِمَيْسُورِهَا وَمَعْسُورِهَا . وَلِيَخْتَبِرَ بِذٰلِكَ الشُّكْرَ وَالصَّبْرَ مِنْ غَنِيِّهَا وَفَقِيرِهَا . ثُمَّ قَرَنَ بِسَعَتِهَا

الأنوار جمع نور بفتح النون وهو الزهر بالمعنى المعروف أى حلية القلائد التى علقت عليها من أزهار نباتها . وفى رواية شمطت بالشين وتخفيف الميم من شمطه اذا خلط لونه بلون آخر . والشميط من النبات ما كان فيه لون الخضرة مختلطا بلون الزهر (١) البلاغ ما يتبلغ به من القوت (٢) خلقته (٣) المقطع النهاية التى ليس وراءها

عَقَابِيلَ فَاقَتِهَا[١]، وَبِسَلَامَتِهَا طَوَارِقَ آفَاتِهَا ، وَبِفُرَجِ أَفْرَاحِهَا[٢] غُصَصَ أَتْرَاحِهَا[٣]، وَخَلَقَ الْآجَالَ فَأَطَالَهَا وَقَصَّرَهَا . وَقَدَّمَهَا وَأَخَّرَهَا . وَوَصَلَ بِالْمَوْتِ أَسْبَابَهَا[٤]. وَجَعَلَهُ خَالِجًا لِأَشْطَانِهَا[٥] وَقَاطِعًا لِمَرَائِرِ أَقْرَانِهَا[٦]. عَالِمُ السِّرِّ مِنْ ضَمَائِرِ الْمُضْمِرِينَ . وَنَجْوَى الْمُتَخَافِتِينَ[٧]. وَخَوَاطِرِ رَجْمِ الظُّنُونِ[٨]، وَعُقَدِ عَزِيمَاتِ الْيَقِينِ[٩] . وَمَسَارِقِ إِيمَاضِ الْجُفُونِ[١٠]. وَمَا ضَمِنَتْهُ أَكْنَانُ الْقُلُوبِ وَغَيَابَاتُ الْغُيُوبِ[١١]، وَمَا أَصْغَتْ لِاسْتِرَاقِهِ مَصَائِخُ الْأَسْمَاعِ[١٢]، وَمَصَائِفِ الذَّرِّ[١٣] وَمَشَاتِي الْهَوَامِّ[١٤] وَرَجْعِ الْحَنِينِ

غاية (١) العقابيل الشدائد جمع عقبولة بضم العين . والفاقة الفقر (٢) الفرج جمع فرجة وهى التفصى من الهم (٣) جمع ترح بالتحريك الغم والهلاك (٤) حبالها (٥) خالجا جاذبا لاشطانها جمع شطن كسبب: الحبل الطويل، شبه به الأعمار الطويلة (٦) المرائر جمع مريرة الحبل يفتل على أكثر من طاق أو الشديد الفتل . والاقران جمع قرن بالتحريك وهو الحبل يجمع به بعيران، وذكره لقوته أيضا . واضافة المرائر للاقران بعد استعمالها فى الشديدة بلا قيد أن تكون حبالا (٧) التخافت المكالمة سراً (٨) رجم الظنون ما يخطر على القلب أنه وقع أو يصح أن يقع بلا برهان (٩) العقد جمع عقدة ما يرتبط القلب بتصديقه لايصدق نقيضه ولايتوهمه . والعزيمات جمع عزيمة ما يوجب البرهان الشرعى أو العقلى تصديقه والعمل به (١٠) جمع مسرق مكان مسارقة النظر أو زمانها أو البواعث عليها أوفلان يسارق فلانا النظر أى ينتظر منه غفلة فينظر اليه . والايماض اللمعان وهو أحق أن ينسب الى العيون لا الى الجفون، ونسبته الى الجفون لانه ينبعث من بينها (١١) ضمنته حوته . والاكنان جمع كن كل مايستتر فيه . وغيابات الغيوب أعماقها (١٢) استراق الكلام استماعه خفية . والمصائخ جمع مصاخ مكان الاصاخة وهو ثقبة الاذن (١٣) صغار النمل ، ومصائفها محل اقامتها فى الصيف ، وهو ومابعده عطف على ضمائر المضمرين (١٤) مشاتيها محل اقامتها فى الشتاء

مِنَ ٱلْمُولَهَاتِ(١) وَهَمْسِ ٱلْأَقْدَامِ(٢). وَمُنْفَسَحِ ٱلثَّمَرَةِ مِنْ وَلَائِجِ غُلُفِ ٱلْأَكْمَامِ(٣)، وَمُنْقَمَعِ ٱلْوُحُوشِ مِنْ غِيرَانِ ٱلْجِبَالِ وَأَوْدِيَتِهَا(٤). وَمُخْتَبَإِ ٱلْبَعُوضِ بَيْنَ سُوقِ ٱلْأَشْجَارِ وَأَلْحِيَتِهَا(٥)، وَمَغْرَزِ ٱلْأَوْرَاقِ مِنَ ٱلْأَفْنَانِ(٦)، وَمَحَطِّ ٱلْأَمْشَاجِ مِنْ مَسَارِبِ ٱلْأَصْلَابِ(٧)، وَنَاشِئَةِ ٱلْغُيُومِ وَمُتَلَاحِمِهَا. وَدُرُورِ قَطْرِ ٱلسَّحَابِ فِي مُتَرَاكِمِهَا. وَمَا تَسْفِي ٱلْأَعَاصِيرُ بِذُيُولِهَا(٨) وَتَعْفُو ٱلْأَمْطَارُ بِسُيُولِهَا(٩). وَعَوْمِ نَبَاتِ ٱلْأَرْضِ فِي كُثْبَانِ ٱلرِّمَالِ(١٠)، وَمُسْتَقَرِّ ذَوَاتِ ٱلْأَجْنِحَةِ بِذُرَى شَنَاخِيبِ ٱلْجِبَالِ(١١)، وَتَغْرِيدِ ذَوَاتِ ٱلْمَنْطِقِ فِي دَيَاجِيرِ ٱلْأَوْكَارِ(١٢)، وَمَا أَوْعَبَتْهُ ٱلْأَصْدَافُ(١٣)، وَحَضَنَتْ عَلَيْهِ أَمْوَاجُ ٱلْبِحَارِ(١٤)

---

(١) الحزينات ، ورجع الحنين ترديده (٢) الهمس أخفى ما يكون من صوت القدم على الأرض (٣) منفسح الثمرة مكان نموها من الولائج جمع وليجة بمعنى البطانة الداخلية . والغلف جمع غلاف . والاكمام جمع كم بالكسر وهو غطاء النوار ووعاء الطلع (٤) منقمع الوحوش موضع انقماعها أى اختفائها. والغيران جمع غار (٥) سوق جمع ساق أسفل الشجرة تقوم عليه فروعها . والالحية جمع لحاء قشر الشجرة (٦) الغصون (٧) الامشاج النطف . سميت أمشاجا ـ جمع مشيج ـ من مشج اذا خلط ، لانها مختلطة من جراثيم مختلفة كل منها يصلح لتكوين عضو من أعضاء البدن. ومسارب الاصلاب ما يتسرب المنى فيها عند نزوله أو عند تكونه (٨) سفت الريح التراب ذرته أو حملته . والاعاصير جمع اعصار ريح تثير السحاب أو تقوم على الأرض كالعمود (٩) تعفو تمحو (١٠) الكثبان جمع كثيب: التل (١١) الذرى جمع ذروة أعلى الشيء. والشناخيب رؤوس الجبال (١٢) تغريد الطائر رفع صوته بالغناء وهو نطقه. والدياجير المظلمة (١٣) أو عبته جمعته (١٤) حضنت عليه ربته فتولد فى حضنها كالعنبر

وَمَا غَشِيَتْهُ سُدْفَةُ لَيْلٍ(١) أَوْ ذَرَّ عَلَيْهِ شَارِقُ نَهَارٍ(٢). وَمَا اعْتَقَبَتْ عَلَيْهِ أَطْبَاقُ الدَّيَاجِيرِ(٣) وَسُبُحَاتُ النُّورِ. وَأَثَرِ كُلِّ خَطْوَةٍ. وَحِسِّ كُلِّ حَرَكَةٍ وَرَجْعِ كُلِّ كَلِمَةٍ. وَتَحْرِيكِ كُلِّ شَفَةٍ، وَمُسْتَقَرِّ كُلِّ نَسَمَةٍ، وَمِثْقَالِ كُلِّ ذَرَّةٍ، وَهَمَاهِمِ كُلِّ نَفْسٍ هَامَّةٍ(٤). وَمَا عَلَيْهَا مِنْ ثَمَرِ شَجَرَةٍ(٥)، أَوْ سَاقِطِ وَرَقَةٍ أَوْ قَرَارَةِ نُطْفَةٍ(٦) أَوْ نُقَاعَةِ دَمٍ وَمُضْغَةٍ(٧). أَوْ نَاشِئَةِ خَلْقٍ وَسُلَالَةٍ. لَمْ تَلْحَقْهُ فِي ذَٰلِكَ كُلْفَةٌ. وَلَا اعْتَرَضَتْهُ فِي حِفْظِ مَا ابْتَدَعَهُ مِنْ خَلْقِهِ عَارِضَةٌ(٨). وَلَا اعْتَوَرَتْهُ فِي تَنْفِيذِ الْأُمُورِ وَتَدَابِيرِ الْمَخْلُوقِينَ مَلَالَةٌ وَلَا فَتْرَةٌ(٩). بَلْ نَفَذَ فِيهِمْ عِلْمُهُ، وَأَحْصَاهُمْ عَدُّهُ، وَوَسِعَهُمْ عَدْلُهُ، وَغَمَرَهُمْ فَضْلُهُ مَعَ تَقْصِيرِهِمْ عَنْ كُنْهِ مَا هُوَ أَهْلُهُ.

اللَّهُمَّ أَنْتَ أَهْلُ الْوَصْفِ الْجَمِيلِ وَالتَّعْدَادِ الْكَثِيرِ(١٠). إِنْ تُؤَمَّلْ فَخَيْرُ مُؤَمَّلٍ، وَإِنْ تُرْجَ فَأَكْرَمُ مَرْجُوٍّ. اللَّهُمَّ وَقَدْ بَسَطْتَ لِي فِيمَا لَا أَمْدَحُ بِهِ غَيْرَكَ، وَلَا أُثْنِي بِهِ عَلَى أَحَدٍ سِوَاكَ، وَلَا أُوَجِّهُهُ إِلَى مَعَادِنِ

---

(١) سدفة ظلمة ونحوه (٢) ذر طلع (٣) اعتقبت تعاقبت: وتوالت. والاطباق الاغطية. والدياجير الظلمات. وسبحات النور درجاته وأطواره (٤) هماهم: هموم مجاز من الهمهمة ترديد الصوت فى الصدر من الهم (٥) عليها أى على الأرض (٦) قرارتها مقرها (٧) نقاعة عطف على نطفة. ونقاعة الدم ما ينقع منه فى أجزاء البدن. والمضغة عطف على نقاعة أى يعلم مقر جميع ذلك (٨) هى ما يعترض العامل فيمنعه عن عمله (٩) اعتورته تداولته وتناولته (١٠) المبالغة فى عد كمالاتك الى مالا ينتهى

الْخِيبَةِ وَمَوَاضِعِ الرِّيبَةِ(١). وَعَدَلْتُ بِلِسَانِي عَنْ مَدَائِحِ الْآدَمِيِّينَ. وَالثَّنَاءِ عَلَى الْمَرْبُوبِينَ الْمَخْلُوقِينَ. اللَّهُمَّ وَلِكُلِّ مُثْنٍ عَلَى مَنْ أَثْنَى عَلَيْهِ مَثُوبَةٌ(٢) مِنْ جَزَاءٍ أَوْ عَارِفَةٌ مِنْ عَطَاءٍ، وَقَدْ رَجَوْتُكَ دَلِيلًا عَلَى ذَخَائِرِ الرَّحْمَةِ وَكُنُوزِ الْمَغْفِرَةِ. اللَّهُمَّ وَهٰذَا مَقَامُ مَنْ أَفْرَدَكَ بِالتَّوْحِيدِ الَّذِي هُوَ لَكَ وَلَمْ يَرَ مُسْتَحِقًّا لِهٰذِهِ الْمَحَامِدِ وَالْمَمَادِحِ غَيْرَكَ. وَبِي فَاقَةٌ إِلَيْكَ لَا يَجْبُرُ مَسْكَنَتَهَا إِلَّا فَضْلُكَ وَلَا يَنْعَشُ مِنْ خَلَّتِهَا إِلَّا مَنُّكَ وَجُودُكَ(٣)، فَهَبْ لَنَا فِي هٰذَا الْمَقَامِ رِضَاكَ، وَأَغْنِنَا عَنْ مَدِّ الْأَيْدِي إِلَى سِوَاكَ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما أُريد على البيعة بعد قتل عثمان رضي الله عنه

دَعُونِي وَالْتَمِسُوا غَيْرِي فَإِنَّا مُسْتَقْبِلُونَ أَمْرًا لَهُ وُجُوهٌ وَأَلْوَانٌ. لَا تَقُومُ لَهُ الْقُلُوبُ وَلَا تَثْبُتُ عَلَيْهِ الْعُقُولُ(٤). وَإِنَّ الْآفَاقَ قَدْ أَغَامَتْ وَالْمَحَجَّةَ(٥) قَدْ تَنَكَّرَتْ. وَاعْلَمُوا أَنِّي إِنْ أَجَبْتُكُمْ رَكِبْتُ بِكُمْ مَا أَعْلَمُ

(١) هم المخلوقون (٢) ثواب وجزاء (٣) الخلة بالفتح الفقر. والمن الاحسان (٤) لا تصبر له ولا تطيق احتماله (٥) غطيت بالغيم. والمحجة الطريق المستقيمة. تنكرت أى تغيرت علائمها فصارت مجهولة، وذلك أن الاطماع كانت قد تنبهت فى كثير من الناس على عهد

وَلَمْ أُصْغِ إِلَى قَوْلِ الْقَائِلِ وَعَتْبِ الْعَاتِبِ. وَإِنْ تَرَكْتُمُونِي فَأَنَا كَأَحَدِكُمْ وَلَعَلِّي أَسْمَعُكُمْ وَأَطْوَعُكُمْ لِمَنْ وَلَّيْتُمُوهُ أَمْرَكُمْ. وَأَنَا لَكُمْ وَزِيرًا خَيْرٌ لَكُمْ مِنِّي أَمِيرًا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ أَيُّهَا النَّاسُ. فَأَنَا فَقَأْتُ عَيْنَ الْفِتْنَةِ(١)، وَلَمْ تَكُنْ لِيَجْرُأَ عَلَيْهَا أَحَدٌ غَيْرِي بَعْدَ أَنْ مَاجَ غَيْهَبُهَا(٢) وَاشْتَدَّ كَلَبُهَا(٣). فَاسْأَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي. فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا تَسْأَلُونِي عَنْ شَيْءٍ فِيمَا بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ السَّاعَةِ، وَلَا عَنْ فِئَةٍ تَهْدِي مِائَةً وَتُضِلُّ مِائَةً إِلَّا أَنْبَأْتُكُمْ بِنَاعِقِهَا(٤) وَقَائِدِهَا وَسَائِقِهَا، وَمُنَاخِ رِكَابِهَا وَمَحَطِّ رِحَالِهَا، وَمَنْ يُقْتَلُ مِنْ أَهْلِهَا قَتْلًا،

عثمان رضى الله عنه بما نالوا من تفضيلهم بالعطاء فلا يسهل عليهم فيما بعد أن يكونوا فى مساواة مع غيرهم، فلو تناولهم العدل انفلتوا منه وطلبوا طائشة الفتنة طمعا فى نيل رغباتهم، وأولئك هم أغلب الرؤساء فى القوم، فان أقرهم الامام على ما كانوا عليه من الامتياز فقد أتى ظلما وخالف شرعا، والناقمون على عثمان قائمون على المطالبة بالنصفة ان لم ينالوها تحرشوا للفتنة، فأين المتجه للوصول الى الحق على أمن من الفتن. وقد كان بعد بيعته ما تفرس به قبلها (١) شققتها وقلعتها تمثيل لتغلبه عليها، وذلك كان بعد انقضاء أمر النهروان وتغلبه على الخوارج (٢) الغيهب الظلمة. وموجها شمولها وامتدادها (٣) الكلب محركة : داء معروف يصيب الكلاب، فكل من عضته أصيب به بجن ومات، شبه به اشتداد الفتنة حتى لا تصيب أحدا إلا أهلكته (٤) الداعى

وَيَمُوتُ مِنْهُمْ مَوْتاً . وَلَوْ قَدْ فَقَدْتُمُونِي وَنَزَلَتْ بِكُمْ كَرَائِهُ الْأُمُورِ (١) وَحَوَازِبُ الْخُطُوبِ (٢) لَأَطْرَقَ كَثِيرٌ مِنَ السَّائِلِينَ وَفَشِلَ كَثِيرٌ مِنَ الْمَسْئُولِينَ . وَذَلِكَ إِذَا قَلَّصَتْ حَرْبُكُمْ (٣) وَشَمَّرَتْ عَنْ سَاقٍ، وَضَاقَتْ الدُّنْيَا عَلَيْكُمْ ضَيْقاً تَسْتَطِيلُونَ مَعَهُ أَيَّامَ الْبَلَاءِ عَلَيْكُمْ حَتَّى يَفْتَحَ اللهُ لِبَقِيَّةِ الْأَبْرَارِ مِنْكُمْ . إِنَّ الْفِتَنَ إِذَا أَقْبَلَتْ شَبَّهَتْ (٤) وَإِذَا أَدْبَرَتْ نَبَّهَتْ (٥) . يُنْكَرْنَ مُقْبِلَاتٍ وَيُعْرَفْنَ مُدْبِرَاتٍ. يَحُمْنَ حَوْلَ الرِّيَاحِ يُصِبْنَ بَلَدًا وَيُخْطِئْنَ بَلَدًا . أَلَا إِنَّ أَخْوَفَ الْفِتَنِ عِنْدِي عَلَيْكُمْ فِتْنَةُ بَنِي أُمَيَّةَ، فَإِنَّهَا فِتْنَةٌ عَمْيَاءُ مُظْلِمَةٌ عَمَّتْ خُطَّتُهَا (٦) وَخَصَّتْ بَلِيَّتُهَا، وَأَصَابَ الْبَلَاءُ مَنْ أَبْصَرَ فِيهَا (٧)، وَأَخْطَأَ الْبَلَاءُ مَنْ عَمِيَ عَنْهَا . وَايْمُ اللهِ لَتَجِدُنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَكُمْ أَرْبَابَ سُوءٍ بَعْدِي كَالنَّابِ الضَّرُوسِ (٨) تَعْذِمُ بِفِيهَا وَتَخْبِطُ بِيَدِهَا، وَتَزْبِنُ بِرِجْلِهَا، وَتَمْنَعُ دَرَّهَا . لَا يَزَالُونَ بِكُمْ حَتَّى لَا يَتْرُكُوا مِنْكُمْ إِلَّا نَافِعاً لَهُمْ أَوْ غَيْرَ ضَائِرٍ بِهِمْ . وَلَا يَزَالُ بَلَاؤُهُمْ حَتَّى

إليها، من نعق بغنمه صاح بها لتجتمع (١) الكرائه جمع كريهة (٢) الحوازب جمع حازب وهو الأمر الشديد، حزبه الأمر إذا اشتد عليه (٣) قلصت بتشديد اللام تمادت واستمرت. و بتخفيفها وثبت (٤) اشتبه فيها الحق بالباطل (٥) لأنها تعرف بعد انقضائها وتنكشف حقيقتها فتكون عبرة (٦) الخطة بالضم الأمر أى شمل أمرها لأنها رئاسة عامة. وخصت بليتها آل البيت لأنها اغتصاب لحقهم (٧) من عرف الحق فيها نزل به بلاء الانتقام من بني أمية (٨) الناب الناقة المسنة. والضروس السيئة

لَا يَكُونَ انْتِصَارُ أَحَدِكُمْ مِنْهُمْ إِلَّا كَانْتِصَارِ الْعَبْدِ مِنْ رَبِّهِ. وَالصَّاحِبِ مِنْ مُسْتَصْحِبِهِ(١). تَرِدُ عَلَيْكُمْ فِتْنَتُهُمْ شَوْهَاءَ مَخْشِيَّةً(٢) وَقِطَعاً جَاهِلِيَّةً. لَيْسَ فِيهَا مَنَارُ هُدًى، وَلَا عَلَمٌ يُرَى(٣) نَحْنُ أَهْلَ الْبَيْتِ مِنْهَا بِمَنْجَاةٍ(٤) وَلَسْنَا فِيهَا بِدُعَاةٍ. ثُمَّ يُفَرِّجُهَا اللهُ عَنْكُمْ كَتَفْرِيجِ الْأَدِيمِ(٥) بِمَنْ يَسُومُهُمْ خَسْفاً(٦) وَيَسُوقُهُمْ عُنْفاً، وَيَسْقِيهِمْ بِكَأْسٍ مُصَبَّرَةٍ(٧) لَا يُعْطِيهِمْ إِلَّا السَّيْفَ. وَلَا يُحْلِسُهُمْ إِلَّا الْخَوْفَ(٨). فَعِنْدَ ذَلِكَ تَوَدُّ قُرَيْشٌ بِالدُّنْيَا وَمَا فِيهَا لَوْ يَرَوْنَنِي مَقَاماً وَاحِداً وَلَوْ قَدْرَ جَزْرِ جَزُورٍ(٩) لِأَقْبَلَ مِنْهُمْ مَا أَطْلُبُ الْيَوْمَ بَعْضَهُ فَلَا يُعْطُونَنِي

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَتَبَارَكَ اللهُ الَّذِي لَا يَبْلُغُهُ بُعْدُ الْهِمَمِ. وَلَا يَنَالُهُ حُسْنُ الْفِطَنِ، الْأَوَّلُ الَّذِي لَا غَايَةَ لَهُ فَيَنْتَهِي. وَلَا آخِرَ لَهُ فَيَنْقَضِي (مِنْهَا فِي وَصْفِ

الخلق تعض حالبا. وتعذم من عذم الفرس إذا أكل بجفاء أوعض. وتز بن أى تضرب. ودرها لبنها. والمراد خيرها (١) التابع من متبوعه، أى انتصار الأذلاء وما هو بانتصار (٢) شوهاء قبيحة المنظر. ومخشية مخوفة مرعبة (٣) دليل يهتدى به (٤) بمكان النجاة من أثمها (٥) كما يسلخ الجلد عن اللحم (٦) يلزمهم ذلا. وقوله بمن متعلق بيفرجها (٧) مملوءة إلى اصبارها جمع صبر بالضم والكسر بمعنى الحرف أى إلى رأسها (٨) من أحلس البعير إذا ألبسه الحلس بكسر الحاء وهو كساء يوضع على ظهره تحت البرذعة، أى لا يكسوهم الاخوفا (٩) الجزور الناقة المجزورة، أوهو البعير

ٱلْأَنْبِيَاءِ) فَاسْتَوْدَعَهُمْ فِي أَفْضَلِ مُسْتَوْدَعٍ، وَأَقَرَّهُمْ فِي خَيْرِ مُسْتَقَرٍّ. تَنَاسَخَتْهُمْ كَرَائِمُ ٱلْأَصْلَابِ[1] إِلَى مُطَهَّرَاتِ ٱلْأَرْحَامِ. كُلَّمَا مَضَى مِنْهُمْ سَلَفٌ قَامَ مِنْهُمْ بِدِينِ ٱللهِ خَلَفٌ. حَتَّى أَفْضَتْ كَرَامَةُ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَأَخْرَجَهُ مِنْ أَفْضَلِ ٱلْمَعَادِنِ مَنْبِتاً[2] وَأَعَزِّ ٱلْأُرُومَاتِ مَغْرِساً[3]. مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي صَدَعَ مِنْهَا أَنْبِيَاءَهُ[4] وَٱنْتَخَبَ مِنْهَا أُمَنَاءَهُ[5]. عِتْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْعِتَرِ[6]، وَأُسْرَتُهُ خَيْرُ ٱلْأُسَرِ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ ٱلشَّجَرِ. نَبَتَتْ فِي حَرَمٍ وَبَسَقَتْ فِي كَرَمٍ[7]، لَهَا فُرُوعٌ طِوَالٌ وَثَمَرَةٌ لَا تُنَالُ. فَهُوَ إِمَامُ مَنِ ٱتَّقَى وَبَصِيرَةُ مَنِ ٱهْتَدَى. سِرَاجٌ لَمَعَ ضَوْؤُهُ. وَشِهَابٌ سَطَعَ نُورُهُ، وَزَنْدٌ بَرَقَ لَمْعُهُ. سِيرَتُهُ ٱلْقَصْدُ[8] وَسُنَّتُهُ ٱلرُّشْدُ. وَكَلَامُهُ ٱلْفَصْلُ. وَحُكْمُهُ ٱلْعَدْلُ. أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ[9]، وَهَفْوَةٍ عَنِ ٱلْعَمَلِ[10]، وَغَبَاوَةٍ مِنَ ٱلْأُمَمِ. ٱعْمَلُوا رَحِمَكُمُ

مطلقاء أو الشاة المذبوحة، أى ولو مدة ذبح البعير أو الشاة (١) تناسختهم تناقلتهم (٢) كمجلس موضع النبات ينبت فيه (٣) الأرومات جمع أرومة الأصل . والمغرس موضع الغرس (٤) صدع فلانا قصده لكرمه، أى اختصهم بالنبوة من بين فروعها وهى شجرة ابراهيم عليه السلام (٥) انتخب اختار (٦) عترته آل بيته. وأسرة الرجل رهطه الادنون (٧) بسقت ارتفعت (٨) الاستقامة (٩) الفترة الزمان بين الرسولين (١٠) هفوة زلة وانحراف من الناس عن العمل بما أمر الله على ألسنة الأنبياء السابقين

ٱللهُ عَلَى أَعْلَامٍ بَيِّنَةٍ . فَالطَّرِيقُ نَهْجٌ[١] يَدْعُو إِلَى دَارِ ٱلسَّلَامِ . وَأَنْتُمْ فِي دَارِ مُسْتَعْتَبٍ عَلَى مَهَلٍ وَفَرَاغٍ[٢] . وَٱلصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ . وَٱلْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ . وَٱلْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ . وَٱلْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ . وَٱلتَّوْبَةُ مَسْمُوعَةٌ . وَٱلْأَعْمَالُ مَقْبُولَةٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

بَعَثَهُ وَٱلنَّاسُ ضُلَّالٌ فِي حَيْرَةٍ . وَخَابِطُونَ فِي فِتْنَةٍ . قَدِ ٱسْتَهْوَتْهُمُ ٱلْأَهْوَاءُ ، وَٱسْتَزَلَّتْهُمُ ٱلْكِبْرِيَاءُ[٣] ، وَٱسْتَخَفَّتْهُمُ ٱلْجَاهِلِيَّةُ ٱلْجَهْلَاءُ[٤] . حَيَارَى فِي زِلْزَالٍ مِنَ ٱلْأَمْرِ ، وَبَلَاءٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ . فَبَالَغَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي ٱلنَّصِيحَةِ ، وَمَضَى عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ ، وَدَعَا إِلَى ٱلْحِكْمَةِ وَٱلْمَوْعِظَةِ ٱلْحَسَنَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ أُخْرَى

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْأَوَّلِ فَلَا شَيْءَ قَبْلَهُ . وَٱلْآخِرِ فَلَا شَيْءَ بَعْدَهُ . وَٱلظَّاهِرِ فَلَا شَيْءَ فَوْقَهُ . وَٱلْبَاطِنِ فَلَا شَيْءَ دُونَهُ (مِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلرَّسُولِ صَلَّى ٱللهُ

---

(١) واضح قويم . ويدعو إلى دار السلام يوصل اليها (٢) مستعتب بفتح التاءين طلب العتبى. أى الرضاء من الله بالأعمال النافعة (٣) استزلتهم أدت بهم للزلل والسقوط فى المضار، وتأنيث الفعل على تأويل أن الكبرياء صفة. وفى رواية واستزلهم الكبراء أى أضلهم كبراؤهم وسادتهم (٤) استخفتهم طيشتهم . والجاهلية حالة العرب قبل نور

عَلَيْهِ وَآلِهِ) مُسْتَقَرُّهُ خَيْرُ مُسْتَقَرٍّ . وَمَنْبِتُهُ أَشْرَفُ مَنْبِتٍ . فِي مَعَادِنِ الْكَرَامَةِ ، وَمَمَاهِدِ السَّلَامَةِ[١] . قَدْ صُرِفَتْ نَحْوَهُ أَفْئِدَةُ الْأَبْرَارِ ، وَثُنِيَتْ إِلَيْهِ أَزِمَّةُ الْأَبْصَارِ[٢] . دَفَنَ بِهِ الضَّغَائِنَ[٣] وَأَطْفَأَ بِهِ الثَّوَائِرَ[٤] . أَلَّفَ بِهِ إِخْوَانًا ، وَفَرَّقَ بِهِ أَقْرَانًا[٥] . أَعَزَّ بِهِ الذِّلَّةَ[٦] ، وَأَذَلَّ بِهِ الْعِزَّةَ . كَلَامُهُ بَيَانٌ وَصَمْتُهُ لِسَانٌ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَئِنْ أَمْهَلَ الظَّالِمَ فَلَنْ يَفُوتَ أَخْذُهُ[٧] . وَهُوَ لَهُ بِالْمِرْصَادِ عَلَى مَجَازِ طَرِيقِهِ . وَبِمَوْضِعِ الشَّجَى مِنْ مَسَاغِ رِيقِهِ[٨] . أَمَا وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَيَظْهَرَنَّ هَؤُلَاءِ الْقَوْمُ عَلَيْكُمْ ، لَيْسَ لِأَنَّهُمْ أَوْلَى بِالْحَقِّ مِنْكُمْ ، وَلَكِنْ لِإِسْرَاعِهِمْ إِلَى بَاطِلِ صَاحِبِهِمْ وَإِبْطَائِكُمْ عَنْ حَقِّي . وَلَقَدْ أَصْبَحَتِ

العلم الاسلامى . والجهلاء وصف لها للمبالغة (١) المماهد جمع ممهد كمقعد ما يمهد أى يبسط فيه الفراش ونحوه، أى انه ولد فى أسلم موضع وأنقاه من دنس السفاح (٢) الأزمة كأئمة جمع زمام. وانثناء الأزمة اليه عبارة عن تحولها نحوه (٣) الاحقاد، فهو رسول الالفة، وأهل دينه المتآلفون المتعاونون على الخير . ومن لم يكن فى عروة الالفة منهم فهو- والله أعلم -خارج عنهم (٤) جمع ثائرة وهى العداوة الواثبة بصاحبها على أخيه ليضره ان لم يقتله (٥) وفرق به أقران الالفة على الشرك (٦) ذلة الضعفاء من أهل الفضل المستترين بحجب الخمول، وأذل به عزة الشرك والظلم والعدوان (٧) لا يذهب عنه أن يأخذه (٨) الشجى ما يعترض فى الحلق من عظم وغيره . ومساغ الريق ممره

الْأُمَمُ تَخَافُ ظُلْمَ رُعَاتِهَا . وَأَصْبَحْتُ أَخَافُ ظُلْمَ رَعِيَّتِي . اسْتَنْفَرْتُكُمْ لِلْجِهَادِ فَلَمْ تَنْفِرُوا . وَأَسْمَعْتُكُمْ فَلَمْ تَسْمَعُوا، وَدَعَوْتُكُمْ سِرًّا وَجَهْرًا فَلَمْ تَسْتَجِيبُوا، وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَلَمْ تَقْبَلُوا . أَشُهُودٌ كَغُيَّابٍ[1] وَعَبِيدٌ كَأَرْبَابٍ ؟ أَتْلُو عَلَيْكُمُ الْحِكَمَ فَتَنْفِرُونَ مِنْهَا . وَأَعِظُكُمْ بِالْمَوْعِظَةِ الْبَالِغَةِ فَتَتَفَرَّقُونَ عَنْهَا . وَأَحُثُّكُمْ عَلَى جِهَادِ أَهْلِ الْبَغْيِ فَمَا آتِي عَلَى آخِرِ الْقَوْلِ حَتَّى أَرَاكُمْ مُتَفَرِّقِينَ أَيَادِي سَبَا[2] تَرْجِعُونَ إِلَى مَجَالِسِكُمْ وَتَتَخَادَعُونَ عَنْ مَوَاعِظِكُمْ . أُقَوِّمُكُمْ غُدْوَةً وَتَرْجِعُونَ إِلَيَّ عَشِيَّةً كَظَهْرِ الْحَيَّةِ[3]، عَجَزَ الْمُقَوِّمُ وَأَعْضَلَ الْمُقَوَّمُ[4]

أَيُّهَا الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ . الْغَائِبَةُ عُقُولُهُمْ . الْمُخْتَلِفَةُ أَهْوَاؤُهُمْ . الْمُبْتَلَى بِهِمْ أُمَرَاؤُهُمْ . صَاحِبُكُمْ يُطِيعُ اللهَ وَأَنْتُمْ تَعْصُونَهُ . وَصَاحِبُ أَهْلِ الشَّامِ يَعْصِي اللهَ وَهُمْ يُطِيعُونَهُ . لَوَدِدْتُ وَاللهِ أَنَّ مُعَاوِيَةَ صَارَفَنِي بِكُمْ صَرْفَ الدِّينَارِ بِالدِّرْهَمِ فَأَخَذَ مِنِّي عَشَرَةً مِنْكُمْ وَأَعْطَانِي رَجُلًا مِنْهُمْ . يَا أَهْلَ الْكُوفَةِ مُنِيتُ بِكُمْ بِثَلَاثٍ وَاثْنَتَيْنِ: صُمٌّ ذَوُو أَسْمَاعٍ،

من الحلق . والكلام تمثيل لقرب السطوة الالهية من الظالمين (١) شهود جمع شاهد بمعنى الحاضر . وغياب جمع غائب (٢) قالوا ان سبأ هو أبو عرب اليمن كان له عشرة أولاد جعل منهم ستة يمينا له وأربعة شمالا تشبيها لهم باليدين، ثم تفرق أولئك الأولاد أشد التفرق (٣) القوس (٤) أعضل استعصى واستصعب

وَبُكْمٌ ذَوُو كَلَامٍ، وَعُمْيٌ ذَوُو أَبْصَارٍ. لَا أَحْرَارُ صِدْقٍ عِنْدَ اللِّقَاءِ(١) وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ الْبَلَاءِ. تَرِبَتْ أَيْدِيكُمْ. يَا أَشْبَاهَ الْإِبِلِ غَابَ عَنْهَا رُعَاتُهَا كُلَّمَا جُمِعَتْ مِنْ جَانِبٍ تَفَرَّقَتْ مِنْ جَانِبٍ آخَرَ. وَاللهِ لَكَأَنِّي بِكُمْ فِيمَا إِخَالُ(٢) أَنْ لَوْ حَمِسَ الْوَغَى وَحَمِيَ الضِّرَابُ وَقَدِ انْفَرَجْتُمْ عَنِ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ انْفِرَاجَ الْمَرْأَةِ عَنْ قُبُلِهَا(٣). وَإِنِّي لَعَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّي، وَمِنْهَاجٍ مِنْ نَبِيِّي. وَإِنِّي لَعَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ أَلْقُطُهُ لَقْطًا(٤). انْظُرُوا أَهْلَ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ فَالْزَمُوا سَمْتَهُمْ(٥) وَاتَّبِعُوا أَثَرَهُمْ فَلَنْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ هُدًى، وَلَنْ يُعِيدُوكُمْ فِي رَدًى. فَإِنْ لَبَدُوا فَالْبُدُوا(٦) وَإِنْ نَهَضُوا فَانْهَضُوا. وَلَا تَسْبِقُوهُمْ فَتَضِلُّوا، وَلَا تَتَأَخَّرُوا عَنْهُمْ فَتَهْلِكُوا. لَقَدْ رَأَيْتُ أَصْحَابَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ،(*) لَقَدْ كَانُوا يُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا(٧) وَقَدْ بَاتُوا سُجَّدًا وَقِيَامًا يُرَاوِحُونَ بَيْنَ

---

(١) هاته وما بعدها هما الثنتان، وما قبلها هي الثلاثة (٢) اخال أظن. وحمس كفرح اشتد. والوغى الحرب (٣) انفراج المرأة عن قبلها عند الولادة أو عندما يشرع عليها سلاح. والمشابهة في العجز والدناءة في العمل (٤) اللقط أخذ الشيء من الأرض. وانما سمى اتباعه لمنهاج الحق لقطا لأن الحق واحد والباطل ألوان مختلفة، فهو يلتقط الحق من بين ضروب الباطل (٥) السمت بالفتح طريقهم أو حالهم أو قصدهم (٦) لبد كنصر أقام، أى ان أقاموا فأقيموا (٧) شعثا جمع أشعث هو المغبر الرأس. والغبر جمع أغبر، والمراد أنهم

(*) في بعض النسخ «فما أرى أحداً منهم يشبهه»

جِبَاهِهِمْ وَخُدُودِهِمْ (١) وَيَقِفُونَ عَلَى مِثْلِ الْجَمْرِ مِنْ ذِكْرِ مَعَادِهِمْ. كَأَنَّ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ رُكَبَ الْمِعْزَى (٢) مِنْ طُولِ سُجُودِهِمْ. إِذَا ذُكِرَ اللهُ هَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ جُيُوبَهُمْ. وَمَادُوا كَمَا يَمِيدُ الشَّجَرُ يَوْمَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ خَوْفاً (٣) مِنَ الْعِقَابِ وَرَجَاءَ الثَّوَابِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللهِ لَا يَزَالُونَ حَتَّى لَا يَدَعُوا لِلهِ مُحَرَّماً إِلَّا اسْتَحَلُّوهُ (٤) وَلَا عَقْداً إِلَّا حَلُّوهُ. وَحَتَّى لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا دَخَلَهُ ظُلْمُهُمْ (٥) وَنَبَا بِهِ سُوءُ رَعْيِهِمْ (٦) وَحَتَّى يَقُومَ الْبَاكِيَانِ يَبْكِيَانِ بَاكٍ يَبْكِي لِدِينِهِ وَبَاكٍ يَبْكِي لِدُنْيَاهُ. وَحَتَّى تَكُونَ نُصْرَةُ أَحَدِكُمْ

كانوا متقشفين (١) المراوحة بين العملين أن يعمل هذا مرة، وهذا مرة. و بين الرجلين ان يقوم بالعمل كل منهما مرة، و بين جباههم وخدودهم أن يضعوا الخدود مرة والجباه أخرى على الأرض خضوعا لله وسجوداً (٢) ركب جمع ركبة موصل الساق من الرجل بالفخذ. وانما خص ركب المعزى ليبوستها واضطرابها من كثرة الحركة، أى انهم لطول سجودهم يطول سهودهم، وكأن بين أعينهم جسم خشن يدور فيها فيمنعهم عن النوم والاستراحة (٣) مادوا اضطربوا وارتعدوا (٤) الكلام فى بنى أمية. والمحرم ما حرمه الله. واستحلاله استباحته (٥) بيوت المدر المبنية من طوب وحجر ونحوها، و بيوت الوبر الخيام (٦) أصله من نبا به المنزل اذا لم يوافقه فارتحل عنه، وان البيوت تستو بل سوء الحكومة فتأخذ عنه منجاة فيخسر العمران، ولا تنبوا الحكومة الظالمة

مِنْ أَحَدِهِمْ كَنُصْرَةِ الْعَبْدِ مِنْ سَيِّدِهِ . إِذَا شَهِدَ أَطَاعَهُ ، وَإِذَا غَابَ اغْتَابَهُ . وَحَتَّى يَكُونَ أَعْظَمُكُمْ فِيهَا غَنَاءً أَحْسَنَكُمْ بِاللَّهِ ظَنًّا . فَإِنْ أَتَاكُمُ اللَّهُ بِعَافِيَةٍ فَاقْبَلُوا . وَإِنِ ابْتُلِيتُمْ فَاصْبِرُوا . فَإِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا كَانَ وَنَسْتَعِينُهُ مِنْ أَمْرِنَا عَلَى مَا يَكُونُ . وَنَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَدْيَانِ كَمَا نَسْأَلُهُ الْمُعَافَاةَ فِي الْأَبْدَانِ

عِبَادَ اللَّهِ أُوصِيكُمْ بِالرَّفْضِ لِهٰذِهِ الدُّنْيَا التَّارِكَةِ لَكُمْ وَإِنْ لَمْ تُحِبُّوا تَرْكَهَا . وَالْمُبْلِيَةِ لِأَجْسَامِكُمْ وَإِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ تَجْدِيدَهَا . فَإِنَّمَا مَثَلُكُمْ وَمَثَلُهَا كَسَفْرٍ سَلَكُوا سَبِيلًا فَكَأَنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوهُ[1] وَأَمُّوا عَلَمًا[2] فَكَأَنَّهُمْ قَدْ بَلَغُوهُ . وَكَمْ عَسَى الْمُجْرِي إِلَى الْغَايَةِ أَنْ يَجْرِيَ إِلَيْهَا[3] حَتَّى يَبْلُغَهَا . وَمَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَقَاءُ مَنْ لَهُ يَوْمٌ لَا يَعْدُوهُ وَطَالِبٌ حَثِيثٌ يَحْدُوهُ فِي الدُّنْيَا حَتَّى يُفَارِقَهَا[4] فَلَا تَنَافَسُوا

إلا خرابا تنعق فيه فلا يجيبها الا صدى نعيقها (١) السفر بفتح فسكون جماعة المسافرين ، أى انكم فى مسافة العمر كالمسافرين فى مسافة الطريق فلا يلبثون أن يأتوا على نهايتها لأنها محدودة (٢) أموا قصدوا (٣) الذى يجرى فرسه الى غاية معلومة أى مقدار من الجرى يلزمه حتى يصل لغايته (٤) يحدوه يتبعه ويسوقه

فِي عِزِّ ٱلدُّنْيَا وَفَخْرِهَا . وَلَا تُعْجَبُوا بِزِينَتِهَا وَنَعِيمِهَا . وَلَا تَجْزَعُوا مِنْ ضَرَّائِهَا وَبُؤْسِهَا . فَإِنَّ عِزَّهَا وَفَخْرَهَا إِلَى ٱنْقِطَاعٍ . وَإِنَّ زِينَتَهَا وَنَعِيمَهَا إِلَى زَوَالٍ، وَضَرَّاءَهَا وَبُؤْسَهَا إِلَى نَفَادٍ(١) . وَكُلُّ مُدَّةٍ فِيهَا إِلَى ٱنْتِهَاءٍ . وَكُلُّ حَيٍّ فِيهَا إِلَى فَنَاءٍ . أَوَلَيْسَ لَكُمْ فِي آثَارِ ٱلْأَوَّلِينَ مُزْدَجَرٌ(٢) وَفِي آبَائِكُمُ ٱلْمَاضِينَ تَبْصِرَةٌ وَمُعْتَبَرٌ إِنْ كُنْتُمْ تَعْقِلُونَ. أَوَلَمْ تَرَوْا إِلَى ٱلْمَاضِينَ مِنْكُمْ لَا يَرْجِعُونَ . وَإِلَى ٱلْخَلَفِ ٱلْبَاقِينَ لَا يَبْقَوْنَ . أَوَلَسْتُمْ تَرَوْنَ أَهْلَ ٱلدُّنْيَا يُصْبِحُونَ وَيُمْسُونَ عَلَى أَحْوَالٍ شَتَّى، فَمَيِّتٌ يُبْكَى وَآخَرُ يُعَزَّى، وَصَرِيعٌ مُبْتَلًى. وَعَائِدٌ يَعُودُ وَآخَرُ بِنَفْسِهِ يَجُودُ(٣). وَطَالِبٌ لِلدُّنْيَا وَٱلْمَوْتُ يَطْلُبُهُ . وَغَافِلٌ وَلَيْسَ بِمَغْفُولٍ عَنْهُ. وَعَلَى أَثَرِ ٱلْمَاضِي مَا يَمْضِي ٱلْبَاقِي

أَلَا فَاذْكُرُوا هَادِمَ ٱللَّذَّاتِ ، وَمُنَغِّصَ ٱلشَّهَوَاتِ ، وَقَاطِعَ ٱلْأُمْنِيَّاتِ . عِنْدَ ٱلْمُسَاوَرَةِ لِلْأَعْمَالِ ٱلْقَبِيحَةِ(٤) . وَٱسْتَعِينُوا ٱللّٰهَ عَلَى أَدَاءِ

---

(١) فناء (٢) مكان للانزجار والارتداع (٣) من جاد بنفسه إذا قارب أن يقضى نحبه كأنه يسخو بها ويسلمها إلى خالقها (٤) عند متعلق باذكروا . والمساورة المواثبة كأن العمل القبيح لبعده عن ملاءمة الطبع الانسانى بالفطرة الالهية ينفر من مقترفه كما ينفر الوحش فلا يصل إليه المغبون إلا بالوثبة عليه وهو فى غائلته على مجترمه كالضاريات من الوحوش فهو يثب على مواثبه ليهلكه فما ألطف التعبير بالمساورة فى هذا الموضع

وَاجِبِ حَقِّهِ . وَمَا لَا يُحْصَى مِنْ أَعْدَادِ نِعَمِهِ وَإِحْسَانِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ النَّاشِرِ فِي الْخَلْقِ فَضْلَهُ . وَالْبَاسِطِ فِيهِمْ بِالْجُودِ يَدَهُ . نَحْمَدُهُ فِي جَمِيعِ أُمُورِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى رِعَايَةِ حُقُوقِهِ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . أَرْسَلَهُ بِأَمْرِهِ صَادِعًا (١) ، وَبِذِكْرِهِ نَاطِقًا . فَأَدَّى أَمِينًا وَمَضَى رَشِيدًا . وَخَلَّفَ فِينَا رَايَةَ الْحَقِّ مَنْ تَقَدَّمَهَا مَرَقَ (٢) ، وَمَنْ تَخَلَّفَ عَنْهَا زَهَقَ (٣) . وَمَنْ لَزِمَهَا لَحِقَ دَلِيلُهَا مَكِيثُ الْكَلَامِ (٤) . بَطِيءُ الْقِيَامِ ، سَرِيعٌ إِذَا قَامَ . فَإِذَا أَنْتُمْ أَلَنْتُمْ لَهُ رِقَابَكُمْ وَأَشَرْتُمْ إِلَيْهِ بِأَصَابِعِكُمْ ، جَاءَهُ الْمَوْتُ فَذَهَبَ بِهِ ، فَلَبِثْتُمْ بَعْدَهُ مَا شَاءَ اللّٰهُ ، حَتَّى يُطْلِعَ اللّٰهُ لَكُمْ مَنْ يَجْمَعُكُمْ وَيَضُمُّ نَشْرَكُمْ (٥) . فَلَا تَطْمَعُوا فِي غَيْرِ مُقْبِلٍ (٦) ، وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ مُدْبِرٍ . فَإِنَّ الْمُدْبِرَ

---

(١) فالقا بمجدران الباطل فهادمها (٢) خرج عن الدين. والذى يتقدم راية الحق هو من يزيد على ما شرع الله أعمالا وعقائد يظنها مزينة للدين ومتممة له ويسميها بدعة حسنة (٣) اضمحل وهلك (٤) رزين فى قوله لا يبادر به عن غير روية، بطىء القيام لا ينبعث للعمل بالطيش وإنما يأخذ له عدة اتمامه، فاذا أبصر منه وجه الفوز قام فمضى إليه مسرعا، وكأنه يصف بذلك حال نفسه كرم الله وجهه (٥) يصل متفرقكم (٦) الاقبال والادبار فى الجلتين لا يتواردان على جهة واحدة، فالمقبل بمعنى المتوجه إلى الأمر الطالب له الساعى اليه، والمدبر بمعنى من أدبرت حاله واعترضته الخيبة

عَسَى أَنْ تزِلَّ إِحْدَى قَائِمَتَيْهِ (١) ، وَتَثْبُتَ الْأُخْرَى وَتَرْجِعَا حَتَّى تَثْبُتَا جَمِيعاً . أَلَا إِنَّ مَثَلَ آلِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَثَلِ نُجُومِ السَّمَاءِ إِذَا خَوَى نَجْمٌ طَلَعَ نَجْمٌ (٢) ، فَكَأَنَّكُمْ قَدْ تَكَامَلَتْ مِنَ اللَّهِ فِيكُمُ الصَّنَائِعُ ، وَأَرَاكُمْ مَا كُنْتُمْ تَأْمُلُونَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ أُخْرَى

الْأَوَّلُ قَبْلَ كُلِّ أَوَّلٍ . وَالْآخِرُ بَعْدَ كُلِّ آخِرٍ . بِأَوَّلِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا أَوَّلَ لَهُ . وَبِآخِرِيَّتِهِ وَجَبَ أَنْ لَا آخِرَ لَهُ . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا السِّرُّ الْإِعْلَانَ وَالْقَلْبُ اللِّسَانَ

أَيُّهَا النَّاسُ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِي (٣) ، وَلَا يَسْتَهْوِيَنَّكُمْ عِصْيَانِي ، وَلَا تَتَرَامَوْا بِالْأَبْصَارِ عِنْدَ مَا تَسْمَعُونَهُ مِنِّي (٤) . فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ إِنَّ الَّذِي أُنَبِّئُكُمْ بِهِ عَنِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . مَا كَذَبَ الْمُبَلِّغُ وَلَا جَهِلَ السَّامِعُ . وَلَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى ضِلِّيلٍ (٥) قَدْ

فى عمله وإن كان لم يزل طالبا (١) رجليه (٢) خوى غاب (٣) لا يكسبنكم ، والمفعول محذوف اى خسرانا ، أى لا تشاقونى فيكسبكم الشقاق خسراناً ، ولا تعصونى فيتيه بكم عصيانى فى ضلال وحيرة (٤) لا ينظر بعضكم الى بعض تغامزاً بالانكار لما أقول (٥) ضليل كشرير : شديد الضلال مبالغ فى الضلال

نَعَقَ بِالشَّامِ، وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ[١] فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ[٢] . فَإِذَا فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ[٣] ، وَاشْتَدَّتْ شَكِيمَتُهُ[٤] ، وَثَقُلَتْ فِي الْأَرْضِ وَطْأَتُهُ عَضَّتِ الْفِتْنَةُ أَبْنَاءَهَا بِأَنْيَابِهَا ، وَمَاجَتِ الْحَرْبُ بِأَمْوَاجِهَا . وَبَدَا مِنَ الْأَيَّامِ كُلُوحُهَا[٥] ، وَمِنَ اللَّيَالِي كُدُوحُهَا[٦] . فَإِذَا أَيْنَعَ زَرْعُهُ[٧] ، وَقَامَ عَلَى يَنْعِهِ[٨] . وَهَدَرَتْ شَقَاشِقُهُ ، وَبَرَقَتْ بَوَارِقُهُ ، عُقِدَتْ رَايَاتُ الْفِتَنِ الْمُعْضِلَةِ ، وَأَقْبَلْنَ كَاللَّيْلِ الْمُظْلِمِ ، وَالْبَحْرِ الْمُلْتَطِمِ . هٰذَا وَكَمْ يَخْرِقُ الْكُوفَةَ مِنْ قَاصِفٍ[٩] ، وَيَمُرُّ عَلَيْهَا مِنْ عَاصِفٍ . وَعَنْ قَلِيلٍ تَلْتَفُّ الْقُرُونُ بِالْقُرُونِ[١٠] ، وَيُحْصَدُ الْقَائِمُ وَيُحْطَمُ الْمَحْصُودُ

---

(١) من فحص القطا التراب اذا اتخذ فيه افحوصاً بالضم وهو مجثمه، اى المكان الذى يقيم فيه عندما يكون على الارض، يريد أنه نصب له رايات بحثت لها فى الارض مراكز (٢) هى الكوفة، أى انه كاد يصل الكوفة حيث ان راياته انتشرت على بعض بلدان من حدودها وهو ما أشار اليه بالضواحى (٣) فغر الفم كمنع انفتح ، وفغرته، فهو لازم ومتعد، أى اذا انفتحت فاغرته وهى فمه (٤) الشكيمة الحديدة المعترضة فى اللجام فى فم الدابة ويعبر بقوتها عن شدة البأس وصعوبة الانقياد
(٥) عبوسها (٦) جمع كدح بالفتح وهو الخدش وأثر الجراحات (٧) نضج وحان قطافه (٨) حالة نضجه (٩) هو ما اشتد صوته من الرعد والريح وغيرهما . والعاصف مااشتد من الريح، والمراد مزعجات الفتن (١٠) يكون الاشتباك بين قواد الفتنة و بين أهل الحق كما تشتبك الكباش بقرونها عند النطاح . وما بقى من الصلاح قائماً يحصد، وماكان قد حصد يحطم ويهشم، فلا يبقى الا شر عام و بلاء تام ان لم يقم للحق أنصار

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ يَجْرِي مَجْرَى الْخُطْبَةِ

وَذَٰلِكَ يَوْمٌ يَجْمَعُ اللهُ فِيهِ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لِنِقَاشِ الْحِسَابِ(١) وَجَزَاءِ الْأَعْمَالِ، خُضُوعًا قِيَامًا قَدْ أَلْجَمَهُمُ الْعَرَقُ، وَرَجَفَتْ بِهِمُ الْأَرْضُ. فَأَحْسَنُهُمْ حَالًا مَنْ وَجَدَ لِقَدَمَيْهِ مَوْضِعًا وَلِنَفْسِهِ مُتَّسَعًا (مِنْهُ) فِتَنٌ كَقِطَعِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ . لَا تَقُومُ لَهَا قَائِمَةٌ(٢) ، وَلَا تُرَدُّ لَهَا رَايَةٌ ، تَأْتِيكُمْ مَزْمُومَةً مَرْحُولَةً ، يَحْفِزُهَا قَائِدُهَا وَيَجْهَدُهَا رَاكِبُهَا . أَهْلُهَا قَوْمٌ شَدِيدٌ كَلَبُهُمْ، قَلِيلٌ سَلَبُهُمْ(٣) . يُجَاهِدُهُمْ فِي سَبِيلِ اللهِ قَوْمٌ أَذِلَّةٌ عِنْدَ الْمُتَكَبِّرِينَ . فِي الْأَرْضِ مَجْهُولُونَ ، وَفِي السَّمَاءِ مَعْرُوفُونَ . فَوَيْلٌ لَكِ يَابَصْرَةُ عِنْدَ ذَٰلِكَ مِنْ جَيْشٍ مِنْ نِقَمِ اللهِ لَا رَهَجَ لَهُ وَلَا حَسَّ(٤) .

---

(١) نقاش الحساب الاستقصاء فيه (٢) لا تثب لمعارضتها قائمة خيل، وقوائم الفرس رجلاه أو أنه لايتمكن أحد من القيام لها وصدها. وقوله مزمومة مرحولة قادها وزمها وركبها برحنها أقوام زحفوا بها عليكم، يحفزونها أي يحثونها ليقربوا بها في دياركم وفيكم يحطون الرحال (٣) السلب محركة ما يأخذه القاتل من ثياب المقتول وسلاحه في الحرب، أي ليسوا من أهل الثروة (٤) الرهج بسكون الهاء و يحرك الغبار، والحس بفتح الحاء الجلبة والأصوات المختلطة. قالوا يشير إلى فتنة صاحب الزنج وهو علي بن محمد ابن عبد الرحيم من بني عبد القيس ادعى أنه علوي من أبناء محمد بن أحمد بن عيسى ابن زيد بن علي بن الحسين، وجمع الزنوج الذين كانوا يسكنون السباخ في نواحي البصرة وخرج بهم على المهتدي العباسي في سنة خمس وخمسين ومائتين، واستفحل أمره وانتشرت أصحابه في أطراف البلاد للسلب والنهب، وملك ابلة عنوة وفتك بأهلها،

وَسَيُبْتَلَى أَهْلُكِ بِالْمَوْتِ الْأَحْمَرِ وَالْجُوعِ الْأَغْبَرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

انْظُرُوا إِلَى الدُّنْيَا نَظَرَ الزَّاهِدِينَ فِيهَا، الصَّادِفِينَ عَنْهَا[1]. فَإِنَّهَا وَاللهِ عَمَّا قَلِيلٍ تُزِيلُ الثَّاوِيَ السَّاكِنَ[2]، وَتَفْجَعُ الْمُتْرَفَ الْآمِنَ[3]. لَا يَرْجِعُ مَا تَوَلَّى مِنْهَا فَأَدْبَرَ، وَلَا يُدْرَى مَا هُوَ آتٍ مِنْهَا فَيُنْتَظَرَ. سُرُورُهَا مَشُوبٌ بِالْحُزْنِ. وَجَلَدُ الرِّجَالِ فِيهَا إِلَى الضَّعْفِ وَالْوَهْنِ. فَلَا يَغُرَّنَّكُمْ كَثْرَةُ مَا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا، لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا

رَحِمَ اللهُ امْرَأً تَفَكَّرَ فَاعْتَبَرَ. وَاعْتَبَرَ فَأَبْصَرَ. فَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الدُّنْيَا عَنْ قَلِيلٍ لَمْ يَكُنْ[4]، وَكَأَنَّ مَا هُوَ كَائِنٌ مِنَ الْآخِرَةِ عَمَّا قَلِيلٍ لَمْ يَزُلْ. وَكُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ، وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ، وَكُلُّ آتٍ قَرِيبٌ دَانٍ (مِنْهَا) الْعَالِمُ مَنْ عَرَفَ قَدْرَهُ. وَكَفَى بِالْمَرْءِ جَهْلًا

واستولى على عبادان والأهواز، ثم كانت بينه وبين الموفق فى زمن المعتمد حروب انجلى فيها عن الأهواز وسلم عاصمة ملكه، وكان سماها المختارة ـ بعد محاصرة شديدة ـ وقتله الموفق أخو الخليفة المعتمد سنة سبعين ومائتين، وفرح الناس بقتله لانكشاف رزئه عنهم

(١) الصادفين المعرضين (٢) الثاوى المقيم (٣) المترف بفتح الراء المتروك يصنع ما يشاء لا يمنع (٤) فان الذى هو موجود فى الدنيا بعد قليل كأنه لم يكن، وان الذى هو كائن فى الآخرة بعد قليل كأنه كان لم يزل، فكأنه وهو فى الدنيا من سكان الآخرة

أَلَّا يَعْرِفَ قَدْرَهُ. وَإِنَّ مِنْ أَبْغَضِ الرِّجَالِ إِلَى اللهِ لَعَبْدًا وَكَلَهُ اللهُ إِلَى نَفْسِهِ. جَائِرًا عَنْ قَصْدِ السَّبِيلِ، سَائِرًا بِغَيْرِ دَلِيلٍ. إِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الدُّنْيَا عَمِلَ، وَإِنْ دُعِيَ إِلَى حَرْثِ الْآخِرَةِ كَسِلَ، كَأَنَّ مَا عَمِلَ لَهُ وَاجِبٌ عَلَيْهِ[1]، وَكَأَنَّ مَا وَنَى فِيهِ سَاقِطٌ عَنْهُ[2]

(مِنْهَا) وَذَلِكَ زَمَانٌ لَا يَنْجُو فِيهِ إِلَّا كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ[3] إِنْ شَهِدَ لَمْ يُعْرَفْ وَإِنْ غَابَ لَمْ يُفْتَقَدْ. أُولَئِكَ مَصَابِيحُ الْهُدَى، وَأَعْلَامُ السُّرَى[4]. لَيْسُوا بِالْمَسَايِيحِ وَلَا الْمَذَايِيعِ الْبُذُرِ أُولَئِكَ يَفْتَحُ اللهُ لَهُمْ أَبْوَابَ رَحْمَتِهِ. وَيَكْشِفُ عَنْهُمْ ضَرَّاءَ نِقْمَتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ زَمَانٌ يُكْفَأُ فِيهِ الْإِسْلَامُ كَمَا يُكْفَأُ الْإِنَاءُ بِمَا فِيهِ. أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ اللهَ قَدْ أَعَاذَكُمْ مِنْ أَنْ يَجُورَ عَلَيْكُمْ، وَلَمْ يُعِذْكُمْ مِنْ أَنْ يَبْتَلِيَكُمْ[5]، وَقَدْ قَالَ جَلَّ مِنْ قَائِلٍ «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ وَإِنْ كُنَّا لَمُبْتَلِينَ». أَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ (كُلُّ مُؤْمِنٍ نُوَمَةٍ) فَإِنَّمَا أَرَادَ بِهِ الْخَامِلَ الذِّكْرِ الْقَلِيلَ الشَّرِّ. وَالْمَسَايِيحُ جَمْعُ مِسْيَاحٍ وَهُوَ الَّذِي يَسِيحُ

---

(١) ما عمل له هو حرث الدنيا (٢) ونى فيه: تراخى فيه، وهو حرث الآخرة (٣) نومة بضم ففتح كثير النوم، يريد به البعيد عن مشاركة الأشرار فى شرورهم، فاذا رأوه لا يعرفونه منهم و إذا غاب لا يفتقدونه (٤) السرى كالهدى السير فى ليالى المشاكل. و بقية الألفاظ يأتى شرحها بعد أسطر لصاحب الكتاب (٥) ليتبين الصادق من

بَيْنَ النَّاسِ بِالْفَسَادِ وَالنَّمَائِمِ . وَالْمَذَايِيعُ جَمْعُ مِذْيَاعٍ : وَهُوَ الَّذِى إِذَا سَمِعَ لِغَيْرِهِ بِفَاحِشَةٍ أَذَاعَهَا وَنَوَّهَ بِهَا . وَالْبُذُرُ جَمْعُ بَذُورٍ :وَهُوَ الَّذِى يَكْثُرُ سَفَهُهُ وَيَلْغُو مَنْطِقُهُ (١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد تقدم مختارها بخلاف هذه الرواية

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الْعَرَبِ يَقْرَأُ كِتَابًا ، وَلَا يَدَّعِي نُبُوَّةً وَلَا وَحْيًا . فَقَاتَلَ بِمَنْ أَطَاعَهُ مَنْ عَصَاهُ. يَسُوقُهُمْ إِلَى مَنْجَاتِهِمْ ، وَيُبَادِرُ بِهِمُ السَّاعَةَ أَنْ تَنْزِلَ بِهِمْ . يَحْسِرُ الْحَسِيرُ (٢) وَيَقِفُ الْكَسِيرُ فَيُقِيمُ عَلَيْهِ حَتَّى يُلْحِقَهُ غَايَتَهُ إِلَّا هَالِكًا لَا خَيْرَ فِيهِ. حَتَّى أَرَاهُمْ مَنْجَاتَهُمْ ، وَبَوَّأَهُمْ مَحَلَّتَهُمْ فَاسْتَدَارَتْ رَحَاهُمْ (٣) ، وَاسْتَقَامَتْ قَنَاتُهُمْ . وَايْمُ اللهِ لَقَدْ كُنْتُ مِنْ

الكاذب والمخلص من المريب، فتكون لله الحجة على خلقه (١) الذى فى القاموس أن البذور بالفتح كالبذير هو النمام (٢) من حسر البعير كضرب إذا أعيا وكل ، والكسير المكسور ، أى أن من ضعف اعتقاده أو كلت عزيمته فتراخى فى السير على سبيل المؤمنين ، أو طرقته الوساوس فهشمت قوائم همته بزلزال فى عقيدته فان النبى صلى الله عليه وسلم كان يقيم على ملاحظته وعلاجه حتى ينصل من مرضه هذا ويلحق بالمخلصين إلا من كان ناقص الاستعداد خبيث العنصر فلا ينجع فيه الدواء فيهلك (٣) كناية عن وفرة أرزاقهم، فان الرحا إنما تدور على ما تطحنه من الحب . أو كناية عن قوة

سَاقَتِهَا حَتَّى تَوَلَّتْ بِحَذَافِيرِهَا ، وَاسْتَوْسَقَتْ فِي قِيَادِهَا، مَا ضَعُفْتُ وَلَا جَبُنْتُ، وَلَا خُنْتُ وَلَا وَهَنْتُ. وَايْمُ اللهِ لَأَبْقُرَنَّ الْبَاطِلَ(١) حَتَّى أُخْرِجَ الْحَقَّ مِنْ خَاصِرَتِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

حَتَّى بَعَثَ اللهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَهِيدًا وَبَشِيرًا وَنَذِيرًا: خَيْرَ الْبَرِيَّةِ طِفْلًا، وَأَنْجَبَهَا كَهْلًا . أَطْهَرَ الْمُطَهَّرِينَ شِيمَةً، وَأَجْوَدَ الْمُسْتَمْطَرِينَ دِيمَةً(٢). فَمَا احْلَوْلَتْ لَكُمُ الدُّنْيَا، فِي لَذَّتِهَا وَلَا تَمَكَّنْتُمْ مِنْ رَضَاعِ أَخْلَافِهَا(٣) ، إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا صَادَفْتُمُوهَا جَائِلًا خِطَامُهَا(٤) ، قَلِقًا وَضِينُهَا. قَدْ صَارَ حَرَامُهَا عِنْدَ أَقْوَامٍ بِمَنْزِلَةِ السِّدْرِ الْمَخْضُودِ(٥) ،

سلطانهم على غيرهم . والرحا رحا الحرب يطحنون بها . والقناة الرمح . واستقامتها كناية عن صحة الاحوال وصلاحها (١) البقر بالفتح الشق، أى لأشقن جوف الباطل بقهر أهله فأنتزع الحق من أيدى المبطلين . والتمثيل فى غاية من اللطف (٢) الديمة بالكسر المطر يدوم فى سكون . والمستمطر بفتح الطاء من يطلب منه المطر . والمراد هنا النجدة والمعونة . فالنبى ﷺ أغزر الناس فيضا للخير على طلابه (٣) جمع خلف بالكسر حلمة ضرع الناقة (٤) الخطام ككتاب ما يوضع فى أنف البعير ليقاد به. والوضين بطان عريض منسوج من سيور أو شعر يكون للرحل كالحزام للسرج. وجولان الخطام وقلق الوضين إما كناية عن الهزال، و إما كناية عن صعوبة القياد. فان الخطام الجائل لا يشتد على البعير فيجذبه، وعن قلق الراكب وعدم اطمئنانه لاضطراب الرحل بقلق الوضين (٥) السدر بالكسر شجر النبق والمخضود المقطوع الشوك أو

وَحَلَالُهَا بَعِيدًا غَيْرَ مَوْجُودٍ . وَصَادَفْتُمُوهَا وَاللهِ ظِلًّا مَمْدُودًا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ . فَالْأَرْضُ لَكُمْ شَاغِرَةٌ[1] ، وَأَيْدِيكُمْ فِيهَا مَبْسُوطَةٌ ، وَأَيْدِي الْقَادَةِ عَنْكُمْ مَكْفُوفَةٌ ، وَسُيُوفُكُمْ عَلَيْهِمْ مُسَلَّطَةٌ ، وَسُيُوفُهُمْ عَنْكُمْ مَقْبُوضَةٌ . أَلَا إِنَّ لِكُلِّ دَمٍ ثَائِرًا[2] ، وَلِكُلِّ حَقٍّ طَالِبًا . وَإِنَّ الثَّائِرَ فِي دِمَائِنَا كَالْحَاكِمِ فِي حَقِّ نَفْسِهِ[3] . وَهُوَ اللهُ الَّذِي لَا يُعْجِزُهُ مَنْ طَلَبَ ، وَلَا يَفُوتُهُ مَنْ هَرَبَ . فَأُقْسِمُ بِاللهِ يَابَنِي أُمَيَّةَ عَمَّا قَلِيلٍ لَتَعْرِفُنَّهَا فِي أَيْدِي غَيْرِكُمْ وَفِي دَارِ عَدُوِّكُمْ . أَلَا وَإِنَّ أَبْصَرَ الْأَبْصَارِ مَا نَفَذَ فِي الْخَيْرِ طَرْفُهُ . أَلَا إِنَّ أَسْمَعَ الْأَسْمَاعِ مَا وَعَى التَّذْكِيرَ وَقَبِلَهُ .

أَيُّهَا النَّاسُ اسْتَصْبِحُوا مِنْ شُعْلَةِ مِصْبَاحٍ وَاعِظٍ مُتَّعِظٍ . وَامْتَاحُوا مِنْ صَفْوِ عَيْنٍ قَدْ رُوِّقَتْ مِنَ الْكَدَرِ[4]

عِبَادَ اللهِ لَا تَرْكَنُوا إِلَى جَهَالَتِكُمْ ، وَلَا تَنْقَادُوا لِأَهْوَائِكُمْ ، فَإِنَّ النَّازِلَ بِهٰذَا الْمَنْزِلِ[5] نَازِلٌ بِشَفَا جُرُفٍ هَارٍ ، يَنْقُلُ الرَّدَى عَلَى

منثنى الاغصان من ثقل الحمل . والتشبيه فى اللذة (١) أى بعد بعثة النبى ﷺ شغرت لكم الارض، أى لم يبق فيها من يحميها دونكم ويمنعكم عن خيرها (٢) ثأره طلب بدمه وقتل قاتله (٣) الطالب بدمائنا ينال ثأره حتما كانه هو القاضى بنفسه لنفسه ليس هناك من يحكم عليه فيمانعه عن حقه (٤) امتاحوا: استقوا وانزعوا الماء لرى عطشكم من عين صافية صفت من الكدر وهى عين علومه عليه السلام (٥) منزل الركون الى الجهالة والانقياد للهوى. وشفا الشىء حرفه. والجرف بضمتين ما جرفته السيول

ظَهْرِهِ مِنْ مَوْضِعٍ إِلَى مَوْضِعٍ[١] لِرَأْيٍ يُحْدِثُهُ بَعْدَ رَأْيٍ، يُرِيدُ أَنْ يُلْصِقَ مَالَا يَلْتَصِقُ وَيُقَرِّبَ مَا لَا يَتَقَارَبُ. فَاللهَ اللهَ أَنْ تَشْكُوا إِلَى مَنْ لَا يُشْكِي شَجْوَكُمْ[٢]، وَلَا يَنْقُضُ بِرَأْيِهِ مَا قَدْ أُبْرِمَ لَكُمْ. إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى الْإِمَامِ إِلَّا مَا حُمِّلَ مِنْ أَمْرِ رَبِّهِ. الْإِبْلَاغُ فِي الْمَوْعِظَةِ، وَالْإِجْتِهَادُ فِي النَّصِيحَةِ، وَالْإِحْيَاءُ لِلسُّنَّةِ، وَإِقَامَةُ الْحُدُودِ عَلَى مُسْتَحِقِّيهَا، وَإِصْدَارُ السُّهْمَانِ عَلَى أَهْلِهَا[٣]. فَبَادِرُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِ تَصْوِيحِ نَبْتِهِ[٤]، وَمِنْ قَبْلِ أَنْ تُشْغَلُوا بِأَنْفُسِكُمْ عَنْ مُسْتَثَارِ الْعِلْمِ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ[٥]. وَانْهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ وَتَنَاهَوْا عَنْهُ، فَإِنَّمَا أُمِرْتُمْ بِالنَّهْيِ بَعْدَ التَّنَاهِي

وأكلته من الارض . والهارى كالهائر : المتهدم أوالمشرف على الانهدام، أى انه بمكان التهور فى الهلكة (١) أى انه اذا نقل حمل المهلكات فانما ينقله من موضع من ظهره الى موضع آخر منه، فهو حامل لها دائما، وانما يتعب فى نقلها من اعلاه لوسطه أوأسفله بآرائه و بدعه، فهو فى كل رأى يتنقل من ضلالة الى ضلالة حيث ان مبنى الكل على الجهالة والهوى (٢) يقال أشكاه اذا أزال مشتكاه ، والشجو الحاجة. يقول ان ما تسوله لكم الجهالات والاهواء من الحاجات يلزمكم أن تنصرفوا عن خيالها ولا تشكوها الى، فانى لا أتبع أهواءكم ولا أقضى هذه الرغبات الفاسدة ولا استطيع أن أنقض برأيى ما أبرم لكم فى الشريعة الغراء (٣) السهمان بالضم جمع سهم بمعنى الحظ والنصيب ، واصدار السهمان اعادتها الى أهلها المستحقين لها لا ينقصهم منها شيئا . وسماه اصداراً لأنها كانت منعتها أربابها بالظلم فى بعض الأزمان ثم ردت اليهم ، كالصدور وهو رجوع الشاربة من الماء الى اعطانها (٤) التصويح التجفيف ، أى سابقوا إلى العلم وهو فى غضارته قبل أن يجف فلا تستطيعون احياءه بعد يبسه (٥) مستثار اسم مفعول

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِى شَرَعَ ٱلْإِسْلَامَ فَسَهَّلَ شَرَائِعَهُ لِمَنْ وَرَدَهُ، وَأَعَزَّ أَرْكَانَهُ عَلَى مَنْ غَالَبَهُ فَجَعَلَهُ أَمْنًا لِمَنْ عَلِقَهُ[١]، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ[٢]، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ، وَنُورًا لِمَنِ ٱسْتَضَاءَ بِهِ، وَفَهْمًا لِمَنْ عَقَلَ، وَلُبًّا لِمَنْ تَدَبَّرَ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ، وَتَبْصِرَةً لِمَنْ عَزَمَ، وَعِبْرَةً لِمَنِ ٱتَّعَظَ، وَنَجَاةً لِمَنْ صَدَّقَ، وَثِقَةً لِمَنْ تَوَكَّلَ، وَرَاحَةً لِمَنْ فَوَّضَ، وَجُنَّةً لِمَنْ صَبَرَ[٣]. فَهُوَ أَبْلَجُ ٱلْمَنَاهِجِ[٤] وَاضِحُ ٱلْوَلَائِجِ[٥]، مُشْرَفُ ٱلْمَنَارِ[٦]، مُشْرِقُ ٱلْجَوَادِّ[٧]، مُضِيءُ ٱلْمَصَابِيحِ كَرِيمُ ٱلْمِضْمَارِ[٨]، رَفِيعُ ٱلْغَايَةِ، جَامِعُ ٱلْحَلْبَةِ[٩]، مُتَنَافِسُ ٱلسُّبْقَةِ[١٠] شَرِيفُ ٱلْفُرْسَانِ. التَّصْدِيقُ مِنْهَاجُهُ، وَٱلصَّالِحَاتُ مَنَارُهُ، وَٱلْمَوْتُ

بمعنى المصدر. والاستنارة طلب النور وهو السطوع والظهور (١) علقه كعلمه: تعلق به (٢) من دخله لا يحارب (٣) جنة بالضم أى وقاية وصونا (٤) أشد الطرق وضوحا وأنورها (٥) الولائج جمع وليجة هى الدخيلة وهى المذهب (٦) مشرف بفتح الراء هو المكان ترتفع عليه فتطلع من فوقه على شئ. ومنار الدين هى دلائله من العمل الصالح يطلع منها البصير على حقائق العقائد ومكارم الأخلاق (٧) جمع جادة: الطريق الواضح (٨) كريم المضمار أى اذا سو بق سبق (٩) الحلبة خيل تجمع من كل صوب للنصرة. والاسلام جامعها يأتى اليه الكرائم والعتاق (١٠) السبقة بالضم جزاء السابقين

غَايَتُهُ(١) . وَالدُّنْيَا مِضْمَارُهُ(٢) ، وَالْقِيَامَةُ حَلْبَتُهُ ، وَالْجَنَّةُ سُبْقَتُهُ(٣)

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) حَتَّى أَوْرَى قَبَسًا لِقَابِسٍ(٤) ، وَأَنَارَ عَلَمًا لِحَابِسٍ(٥) ، فَهُوَ أَمِينُكَ الْمَأْمُونُ ، وَشَهِيدُكَ يَوْمَ الدِّينِ وَبَعِيثُكَ نِعْمَةً(٦) . وَرَسُولُكَ بِالْحَقِّ رَحْمَةً . اللَّهُمَّ اقْسِمْ لَهُ مَقْسَمًا مِنْ عَدْلِكَ(٧) ، وَاجْزِهِ مُضَاعَفَاتِ الْخَيْرِ مِنْ فَضْلِكَ . اللَّهُمَّ أَعْلِ عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاءَهُ ، وَأَكْرِمْ لَدَيْكَ نُزُلَهُ(٨) ، وَشَرِّفْ لَدَيْكَ مَنْزِلَتَهُ . وَآتِهِ الْوَسِيلَةَ وَأَعْطِهِ السَّنَاءَ وَالْفَضِيلَةَ(٩) ، وَاحْشُرْنَا فِي زُمْرَتِهِ غَيْرَ خَزَايَا(١٠) وَلَا نَادِمِينَ وَلَا نَاكِبِينَ(١١) ، وَلَا نَاكِثِينَ(١٢) ، وَلَا ضَالِّينَ ، وَلَا مُضِلِّينَ ، وَلَا مَفْتُونِينَ (وَقَدْ مَضَى هٰذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ إِلَّا أَنَّنَا

---

(١) يريد الموت عن الشهوات البهيمية والحياة بالسعادة الأبدية كما يعلم من قوله رفيع الغاية ، والا فالموت المعروف غاية كل حى (٢) لأنها مزرعة الآخرة من سبق فيها سبق فى الأخرى (٣) سبقته: جزاء السابقين به (٤) أورى أوقد. والقبس بالتحريك الشعلة من النار تقتبس من معظم النار . والقابس آخذ النار من النار. والمراد ان النبي أفاد طلاب الحق ما به يستضيئون لاكتشافه (٥) الحابس من حبس ناقته وعقلها حيرة منه لا يدرى كيف يهتدى فيقف عن السير . وأنار له علما أى وضع له نارا فى رأس جبل ليستنقذه من حيرته (٦) بعيثك مبعوثك (٧) المقسم كمقعد ومنبر: النصيب والحظ (٨) النزل بضمتين ما هيىء للضيف لأن ينزل عليه (٩) السناء كسحاب الرفعة (١٠) خزايا جمع خزيان من خزى إذا خجل من قبيح ارتكبه (١١) عادلين عن طريق الحق (١٢) ناكثين ناقضين للعهد

كَرَّرْنَاهُ هٰهُنَا لِمَا فِي الرِّوَايَتَيْنِ مِنَ الْإِخْتِلَافِ) (مِنْهَا فِي خِطَابِ أَصْحَابِهِ) وَقَدْ بَلَغْتُمْ مِنْ كَرَامَةِ اللهِ لَكُمْ مَنْزِلَةً تُكْرَمُ بِهَا إِمَاؤُكُمْ، وَتُوصَلُ بِهَا جِيرَانُكُمْ، وَيُعَظِّمُكُمْ مَنْ لَا فَضْلَ لَكُمْ عَلَيْهِ، وَلَا يَدَ لَكُمْ عِنْدَهُ، وَيَهَابُكُمْ مَنْ لَا يَخَافُ لَكُمْ سَطْوَةً، وَلَا لَكُمْ عَلَيْهِ إِمْرَةٌ. وَقَدْ تَرَوْنَ عُهُودَ اللهِ مَنْقُوضَةً فَلَا تَغْضَبُونَ، وَأَنْتُمْ لِنَقْضِ ذِمَمِ آبَائِكُمْ تَأْنَفُونَ. وَكَانَتْ أُمُورُ اللهِ عَلَيْكُمْ تَرِدُ وَعَنْكُمْ تَصْدُرُ وَإِلَيْكُمْ تَرْجِعُ. فَمَكَّنْتُمُ الظَّلَمَةَ مِنْ مَنْزِلَتِكُمْ، وَأَلْقَيْتُمْ إِلَيْهِمْ أَزِمَّتَكُمْ وَأَسْلَمْتُمْ أُمُورَ اللهِ فِي أَيْدِيهِمْ. يَعْمَلُونَ فِي الشُّبُهَاتِ، وَيَسِيرُونَ فِي الشَّهَوَاتِ. وَايْمُ اللهِ لَوْ فَرَّقُوكُمْ تَحْتَ كُلِّ كَوْكَبٍ لَجَمَعَكُمُ اللهُ لِشَرِّ يَوْمٍ لَهُمْ(١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي بَعْضِ أَيَّامِ صِفِّينَ

وَقَدْ رَأَيْتُ جَوْلَتَكُمْ وَانْحِيَازَكُمْ عَنْ صُفُوفِكُمْ، تَحُوزُكُمُ الْجُفَاةُ الطَّغَامُ(٢)، وَأَعْرَابُ أَهْلِ الشَّامِ، وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ(٣) وَيَآفِيخُ

(١) أى أنكم ستجتمعون لقهر الظالمين ولن يكون فى طاقتهم أن يفرقوكم، حتى لو شتتوكم تشتيت الكواكب فى السماء لاجتمعتم لقتالهم. وقيل انه يريد أن البلاء سيعم حتى لو فرقكم بنو أمية تحت كل كوكب طلباً لخلاصكم من البلاء لجمعكم الله لشر يوم لهم حتى يأخذكم البلاء كما يأخذهم (٢) الطغام كجراد: أوغاد الناس (٣) لهاميم جمع لهميم بالكسر وهو السابق الجواد من الخيل والناس

ٱلشَّرَفِ[1] وَٱلْأَنْفُ ٱلْمُقَدَّمُ، وَٱلسَّنَامُ ٱلْأَعْظَمُ. وَلَقَدْ شَفَى وَحَاوِحَ صَدْرِي[2] أَنْ رَأَيْتُكُمْ بِأَخَرَةٍ[3] تَحُوزُونَهُمْ كَمَا حَازُوكُمْ، وَتُزِيلُونَهُمْ عَنْ مَوَاقِفِهِمْ كَمَا أَزَالُوكُمْ. حَسًّا بِالنِّصَالِ[4]، وَشَجْرًا بِالرِّمَاحِ[5]. تَرْكَبُ أُولَاهُمْ أُخْرَاهُمْ، كَالْإِبِلِ ٱلْهِيمِ ٱلْمَطْرُودَةِ[6] تُرْمَى عَنْ حِيَاضِهَا. وَتُذَادُ عَنْ مَوَارِدِهَا.

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ
وَهِيَ مِنْ خُطَبِ ٱلْمَلَاحِمِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلْمُتَجَلِّي لِخَلْقِهِ بِخَلْقِهِ، وَٱلظَّاهِرِ لِقُلُوبِهِمْ بِحُجَّتِهِ. خَلَقَ ٱلْخَلْقَ مِنْ غَيْرِ رَوِيَّةٍ، إِذْ كَانَتِ ٱلرَّوِيَّاتُ لَا تَلِيقُ إِلَّا بِذَوِي ٱلضَّمَائِرِ وَلَيْسَ بِذِي ضَمِيرٍ فِي نَفْسِهِ. خَرَقَ عِلْمُهُ بَاطِنَ غَيْبِ ٱلسُّتُرَاتِ[7]، وَأَحَاطَ بِغُمُوضِ عَقَائِدِ ٱلسَّرِيرَاتِ (مِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) ٱخْتَارَهُ مِنْ شَجَرَةِ ٱلْأَنْبِيَاءِ وَمِشْكَاةِ ٱلضِّيَاءِ[8]، وَذُؤَابَةِ

---

(١) اليآفيخ جمع يأفوخ : هو من الرأس حيث يلتقى عظم مقدمه مع مؤخره (٢) الوحاوح جمع وحوحة صوت معه بحح يصدر عن المتألم. والمراد حرقة الغيظ (٣) الاخرة محركة : آخر الامر. وجملة ان رأيتكم فاعل شفى (٤) الحس بالفتح القتل . والنضال المباراة فى الرمى . وفى رواية النصال بالصاد (٥) الشجر كالضرب : الطعن (٦) الهيم بالكسر العطاش . وتذاد: تمنع (٧) جمع سترة ما يستر به أياً كان (٨) المشكاة كل كوة

الْعَلْيَاءِ(١) وَسُرَّةِ الْبَطْحَاءِ(٢). وَمَصَابِيحِ الظُّلْمَةِ، وَيَنَابِيعِ الْحِكْمَةِ (مِنْهَا) طَبِيبٌ دَوَّارٌ بِطِبِّهِ قَدْ أَحْكَمَ مَرَاهِمَهُ، وَأَحْمَى مَوَاسِمَهُ(٣). يَضَعُ ذَلِكَ حَيْثُ الْحَاجَةُ إِلَيْهِ مِنْ قُلُوبٍ عُمْيٍ، وَآذَانٍ صُمٍّ، وَأَلْسِنَةٍ بُكْمٍ. مُتَتَبِّعٌ بِدَوَائِهِ مَوَاضِعَ الْغَفْلَةِ وَمَوَاطِنَ الْحَيْرَةِ. لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِأَضْوَاءِ الْحِكْمَةِ(٤)، وَلَمْ يَقْدَحُوا بِزِنَادِ الْعُلُومِ الثَّاقِبَةِ. فَهُمْ فِي ذَلِكَ كَالْأَنْعَامِ السَّائِمَةِ، وَالصُّخُورِ الْقَاسِيَةِ. قَدِ انْجَابَتِ السَّرَائِرُ لِأَهْلِ الْبَصَائِرِ(٥). وَوَضَحَتْ مَحَجَّةُ الْحَقِّ لِخَابِطِهَا(٦)، وَأَسْفَرَتِ السَّاعَةُ عَنْ وَجْهِهَا، وَظَهَرَتِ الْعَلَامَةُ لِمُتَوَسِّمِهَا. مَالِي أَرَاكُمْ أَشْبَاحًا بِلَا أَرْوَاحٍ، وَأَرْوَاحًا بِلَا أَشْبَاحٍ، وَنُسَّاكًا بِلَا صَلَاحٍ، وَتُجَّارًا بِلَا أَرْبَاحٍ. وَأَيْقَاظًا نُوَّمًا، وَشُهُودًا غُيَّبًا، وَنَاظِرَةً عُمْيًا، وَسَامِعَةً صُمًّا، وَنَاطِقَةً بُكْمًا. رَأَيْتُ ضَلَالَةً قَدْ قَامَتْ عَلَى قُطْبِهَا(٧)،

---

(١) الذؤابة الناصية أو منبتها من الرأس (٢) ما بين أخشبي مكة كانت تسكنه قبائل من قريش، ويقال لهم قريش البطاح (٣) مواسمه جمع ميسم بالكسر وهو المكواة، يجمع على مواسم ومياسم (٤) قوله لم يستضيئوا، يحكي حال من لم ينجع فيهم الدواء ممن صار الفساد من مقومات أمزجتهم (٥) انجابت من قولهم انجابت الناقة اذا مدت عنقها للحلب، أي ان السرائر خضعت لنور البصائر فهو يكشفها ويملكها. وأهل البصائر يصرفون السرائر الى ما يريدون (٦) خابطها: السائر عليها (٧) قامت على قطبها تمثيل لانتظام أمرها

غير نافذة ومن العادة أن يوضع فيها المصباح

وَتَفَرَّقَتْ بِشُعَبِهَا[1] ، تَكِيلُكُمْ بِصَاعِهَا[2] ، وَتَخْبِطُكُمْ بِبَاعِهَا[3] . قَائِدُهَا خَارِجٌ مِنَ الْمِلَّةِ ، قَائِمٌ عَلَى الضَّلَّةِ . فَلَا يَبْقَى يَوْمَئِذٍ مِنْكُمْ إِلَّا ثُفَالَةٌ كَثُفَالَةِ الْقِدْرِ[4] ، أَوْ نُفَاضَةٌ كَنُفَاضَةِ الْعِكْمِ[5] . تَعْرُكُكُمْ عَرْكَ الْأَدِيمِ[6] ، وَتَدُوسُكُمْ دَوْسَ الْحَصِيدِ[7] ، وَتَسْتَخْلِصُ الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِكُمْ اسْتِخْلَاصَ الطَّيْرِ الْحَبَّةَ الْبَطِينَةَ[8] مِنْ بَيْنِ هَزِيلِ الْحَبِّ . أَيْنَ تَذْهَبُ بِكُمُ الْمَذَاهِبُ ، وَتَتِيهُ بِكُمُ الْغَيَاهِبُ ، وَتَخْدَعُكُمُ الْكَوَاذِبُ . وَمِنْ أَيْنَ تُؤْتَوْنَ وَأَنَّى تُؤْفَكُونَ . فَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ، وَلِكُلِّ غَيْبَةٍ إِيَابٌ . فَاسْتَمِعُوا مِنْ رَبَّانِيِّكُمْ[9] ، وَأَحْضِرُوا قُلُوبَكُمْ ، وَاسْتَيْقِظُوا إِنْ هَتَفَ بِكُمْ[10] . وَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ[11] ، وَلْيَجْمَعْ شَمْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ ذِهْنَهُ .

واستحكام قوتها (١) جمع شعبة، أى انتشرت بفروعها (٢) تكيلكم أى تأخذكم للهلاك جلة كما يأخذ الكيال ما يكيله من الحب (٣) تخبطكم، من خبط الشجرة ضربها بالعصى ليتناثر ورقها، أو من خبط البعير بيده الارض أى ضربها . وعبر بالباع ليفيد استطالتها عليهم وتناولها لقريبهم و بعيدهم (٤) الثفالة بالضم كالثفل . والثافل ما استقر تحت الشيء من كدرة . وثفالة القدر مايبقى فى قعره من عكارة . والمراد الأرذال والسفلة (٥) النفاضة مايسقط بالنفض . والعكم بالكسر العدل بالكسر أيضاً ونمط تجعل فيه المرأة ذخيرتها . والمراد مايبقى بعد تفريغه فى خلال نسيجه فينفض لينظف (٦) العرك كالنصر : شديد الدلك . وعركه حكه حتى عفاه . والاديم الجلد (٧) المحصود (٨) البطينة السمينة (٩) الربانى بتشديد الباء المتأله العارف بالله عز وجل (١٠) صاح بكم (١١) الرائد من يتقدم القوم ليكشف لهم مواضع الكلأ ويتعرف سهولة الوصول اليها من صعوبته . وفى المثل «لايكذب الرائد أهله» . يأمر الهداة

فَلَقَدْ فَلَقَ لَكُمُ الْأَمْرَ فَلْقَ الْخَرَزَةِ، وَقَرَفَهُ قَرْفَ الصَّمْغَةِ[1]. فَعِنْدَ ذٰلِكَ أَخَذَ الْبَاطِلُ مَآخِذَهُ، وَرَكِبَ الْجَهْلُ مَرَاكِبَهُ، وَعَظُمَتِ الطَّاغِيَةُ، وَقَلَّتِ الدَّاعِيَةُ. وَصَالَ الدَّهْرُ صِيَالَ السَّبُعِ الْعَقُورِ. وَهَدَرَ فَنِيقُ الْبَاطِلِ بَعْدَ كُظُومٍ[2]. وَتَوَاخَى النَّاسُ عَلَى الْفُجُورِ. وَتَهَاجَرُوا عَلَى الدِّينِ. وَتَحَابُّوا عَلَى الْكَذِبِ. وَتَبَاغَضُوا عَلَى الصِّدْقِ. فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ كَانَ الْوَلَدُ غَيْظًا[3]، وَالْمَطَرُ قَيْظًا، وَتَفِيضُ اللِّئَامُ فَيْضًا، وَتَغِيضُ الْكِرَامُ غَيْضًا[4]. وَكَانَ أَهْلُ ذٰلِكَ الزَّمَانِ ذِئَابًا، وَسَلَاطِينُهُ سِبَاعًا، وَأَوْسَاطُهُ أُكَّالًا، وَفُقَرَاؤُهُ أَمْوَاتًا. وَغَارَ الصِّدْقُ، وَفَاضَ الْكَذِبُ: وَاسْتُعْمِلَتِ الْمَوَدَّةُ بِاللِّسَانِ. وَتَشَاجَرَ النَّاسُ بِالْقُلُوبِ. وَصَارَ الْفُسُوقُ نَسَبًا، وَالْعَفَافُ عَجَبًا. وَلُبِسَ الْإِسْلَامُ لُبْسَ الْفَرْوِ مَقْلُوبًا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كُلُّ شَيْءٍ خَاشِعٌ لَهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ قَائِمٌ بِهِ. غِنَى كُلِّ فَقِيرٍ. وَعِزُّ كُلِّ

والدعاة الذين يتلقون عنه ويوصيهم بالصدق فى النصيحة (١) قرف الصمغة قشرها، وخص هذا بالذكر لأن الصمغة اذا قشرت لا يبقى لها أثر كذا قالوا (٢) الفنيق الفحل من الابل . و بعد كظوم أى امساك وسكون (٣) يغيظ والده لشبو به على العقوق ، ويكون المطر قيظاً لعدم فائدته فان الناس منصرفون عن فوائدهم والانتفاع بما يفيض الله عليهم من خير إلى اضرار بعضهم ببعض ، ما أشبه هذه الحال بحال هذا الزمان (٤) تغيض : من غاض الماء إذا غار فى الأرض وجفت

ذَلِيلٍ، وَقُوَّةُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَمَفْزَعُ كُلِّ مَلْهُوفٍ. مَنْ تَكَلَّمَ سَمِعَ نُطْقَهُ، وَمَنْ سَكَتَ عَلِمَ سِرَّهُ، وَمَنْ عَاشَ فَعَلَيْهِ رِزْقُهُ. وَمَنْ مَاتَ فَإِلَيْهِ مُنْقَلَبُهُ. لَمْ تَرَكَ الْعُيُونُ فَتُخْبِرَ عَنْكَ. بَلْ كُنْتَ قَبْلَ الْوَاصِفِينَ مِنْ خَلْقِكَ. لَمْ تَخْلُقِ الْخَلْقَ لِوَحْشَةٍ، وَلَا اسْتَعْمَلْتَهُمْ لِمَنْفَعَةٍ. وَلَا يَسْبِقُكَ مَنْ طَلَبْتَ، وَلَا يُفْلِتُكَ مَنْ أَخَذْتَ[1]. وَلَا يَنْقُصُ سُلْطَانَكَ مَنْ عَصَاكَ، وَلَا يَزِيدُ فِي مُلْكِكَ مَنْ أَطَاعَكَ، وَلَا يَرُدُّ أَمْرَكَ مَنْ سَخِطَ قَضَاءَكَ، وَلَا يَسْتَغْنِي عَنْكَ مَنْ تَوَلَّى عَنْ أَمْرِكَ. كُلُّ سِرٍّ عِنْدَكَ عَلَانِيَةٌ، وَكُلُّ غَيْبٍ عِنْدَكَ شَهَادَةٌ. أَنْتَ الْأَبَدُ لَا أَمَدَ لَكَ، وَأَنْتَ الْمُنْتَهَى لَا مَحِيصَ عَنْكَ، وَأَنْتَ الْمَوْعِدُ لَا مَنْجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ. بِيَدِكَ نَاصِيَةُ كُلِّ دَابَّةٍ، وَإِلَيْكَ مَصِيرُ كُلِّ نَسَمَةٍ. سُبْحَانَكَ مَا أَعْظَمَ مَا نَرَى مِنْ خَلْقِكَ وَمَا أَصْغَرَ عَظِيمَهُ فِي جَنْبِ قُدْرَتِكَ، وَمَا أَهْوَلَ مَا نَرَى مِنْ مَلَكُوتِكَ، وَمَا أَحْقَرَ ذَلِكَ فِيمَا غَابَ عَنَّا مِنْ سُلْطَانِكَ، وَمَا أَسْبَغَ نِعَمَكَ فِي الدُّنْيَا. وَمَا أَصْغَرَهَا فِي نِعَمِ الْآخِرَةِ.

(مِنْهَا) مِنْ مَلَائِكَةٍ أَسْكَنْتَهُمْ سَمَوَاتِكَ وَرَفَعْتَهُمْ عَنْ أَرْضِكَ،

ينابيعه (١) لايفلتك : لاينفلت منك

هُمْ أَعْلَمُ خَلْقِكَ بِكَ، وَأَخْوَفُهُمْ لَكَ، وَأَقْرَبُهُمْ مِنْكَ. لَمْ يَسْكُنُوا الْأَصْلَابَ، وَلَمْ يُضَمَّنُوا الْأَرْحَامَ، وَلَمْ يُخْلَقُوا مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ(١)، وَلَمْ يَشْعَبْهُمْ رَيْبُ الْمَنُونِ(٢). وَإِنَّهُمْ عَلَى مَكَانِهِمْ مِنْكَ، وَمَنْزِلَتِهِمْ عِنْدَكَ، وَاسْتِجْمَاعِ أَهْوَائِهِمْ فِيكَ، وَكَثْرَةِ طَاعَتِهِمْ لَكَ، وَقِلَّةِ غَفْلَتِهِمْ عَنْ أَمْرِكَ، لَوْ عَايَنُوا كُنْهَ مَا خَفِيَ عَلَيْهِمْ مِنْكَ لَحَقَرُوا أَعْمَالَهُمْ، وَلَزَرَوْا عَلَى أَنْفُسِهِمْ(٣). وَلَعَرَفُوا أَنَّهُمْ لَمْ يَعْبُدُوكَ حَقَّ عِبَادَتِكَ، وَلَمْ يُطِيعُوكَ حَقَّ طَاعَتِكَ. سُبْحَانَكَ خَالِقاً وَمَعْبُوداً بِحُسْنِ بَلَائِكَ عِنْدَ خَلْقِكَ(٤). خَلَقْتَ دَاراً وَجَعَلْتَ فِيهَا مَأْدُبَةً(٥): مَشْرَباً وَمَطْعَماً وَأَزْوَاجاً وَخَدَماً وَقُصُوراً وَأَنْهَاراً وَزُرُوعاً وَثِمَاراً. ثُمَّ أَرْسَلْتَ دَاعِياً يَدْعُو إِلَيْهَا. فَلَا الدَّاعِيَ أَجَابُوا، وَلَا فِيمَا رَغَّبْتَ رَغِبُوا، وَلَا إِلَى مَا شَوَّقْتَ إِلَيْهِ اشْتَاقُوا. أَقْبَلُوا عَلَى جِيفَةٍ افْتَضَحُوا بِأَكْلِهَا، وَاصْطَلَحُوا عَلَى حُبِّهَا، وَمَنْ عَشِقَ شَيْئاً أَعْشَى بَصَرَهُ(٦)، وَأَمْرَضَ قَلْبَهُ. فَهُوَ يَنْظُرُ بِعَيْنٍ غَيْرِ صَحِيحَةٍ،

(١) المهين: الحقير، يريد النطفة (٢) المنون الدهر. والريب صرفه. أى لم تفرقهم صروف الزمان (٣) زرى عليه كرمى: عابه (٤) البلاء يكون نعمة ويكون نقمة، ويتعين الأول باضافة الحسن اليه، أى ما عبدوك الا شكراً لنعمك عليهم (٥) المأدبة بفتح الدال وضمها ما يصنع من الطعام للمدعوين فى عرس ونحوه، والمراد منها نعيم الجنة (٦) أعشاه أعماه

وَيَسْمَعُ بِأُذُنٍ غَيْرِ سَمِيعَةٍ. قَدْ خَرَقَتِ الشَّهَوَاتُ عَقْلَهُ، وَأَمَاتَتِ الدُّنْيَا قَلْبَهُ، وَوَلِهَتْ عَلَيْهَا نَفْسُهُ. فَهُوَ عَبْدٌ لَهَا، وَلِمَنْ فِي يَدِهِ شَيْءٌ مِنْهَا. حَيْثُمَا زَالَتْ زَالَ إِلَيْهَا وَحَيْثُمَا أَقْبَلَتْ أَقْبَلَ عَلَيْهَا. وَلَا يَزْدَجِرُ مِنَ اللهِ بِزَاجِرٍ، وَلَا يَتَّعِظُ مِنْهُ بِوَاعِظٍ. وَهُوَ يَرَى الْمَأْخُوذِينَ عَلَى الْغِرَّةِ[1] - حَيْثُ لَا إِقَالَةَ وَلَا رَجْعَةَ - كَيْفَ نَزَلَ بِهِمْ مَا كَانُوا يَجْهَلُونَ، وَجَاءَهُمْ مِنْ فِرَاقِ الدُّنْيَا مَا كَانُوا يَأْمَنُونَ، وَقَدِمُوا مِنَ الْآخِرَةِ عَلَى مَا كَانُوا يُوعَدُونَ. فَغَيْرُ مَوْصُوفٍ مَا نَزَلَ بِهِمْ، اجْتَمَعَتْ عَلَيْهِمْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ وَحَسْرَةُ الْفَوْتِ. فَفَتَرَتْ لَهَا أَطْرَافُهُمْ، وَتَغَيَّرَتْ لَهَا أَلْوَانُهُمْ. ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ فِيهِمْ وُلُوجاً[2]. فَحِيلَ بَيْنَ أَحَدِهِمْ وَبَيْنَ مَنْطِقِهِ، وَإِنَّهُ لَبَيْنَ أَهْلِهِ يَنْظُرُ بِبَصَرِهِ وَيَسْمَعُ بِأُذُنِهِ، عَلَى صِحَّةٍ مِنْ عَقْلِهِ، وَبَقَاءٍ مِنْ لُبِّهِ. يُفَكِّرُ فِيمَ أَفْنَى عُمُرَهُ، وَفِيمَ أَذْهَبَ دَهْرَهُ. وَيَتَذَكَّرُ أَمْوَالاً جَمَعَهَا أَغْمَضَ فِي مَطَالِبِهَا[3]، وَأَخَذَهَا مِنْ مُصَرَّحَاتِهَا وَمُشْتَبِهَاتِهَا. قَدْ لَزِمَتْهُ تَبِعَاتُ جَمْعِهَا[4]، وَأَشْرَفَ عَلَى فِرَاقِهَا، تَبْقَى لِمَنْ وَرَاءَهُ يَنْعَمُونَ فِيهَا وَيَتَمَتَّعُونَ بِهَا. فَيَكُونُ الْمَهْنَأُ لِغَيْرِهِ[5]،

---

(١) على الغرة بالكسر: بغتة وعلى غفلة (٢) ولوجا: دخولا (٣) أغمض لم يفرق بين حلال وحرام، كأنه أغمض عينيه فلا يميز. أو أغمض أى طلبها من أدق الوجوه وأخفاها فضلا عن أظهرها وأجلاها (٤) تبعاتها بفتح فكسر ما يطالبه به الناس من حقوقهم فيها، وما يحاسبه به الله من منع حقه منها وتخطى حدود شرعه فى جمعها (٤) المهنأ ما أتاك من خير بلا مشقة

وَالْعِبْءِ عَلَى ظَهْرِهِ[١] . وَالْمَرْءُ قَدْ غَلِقَتْ رُهُونُهُ بِهَا[٢] . فَهُوَ يَعَضُّ يَدَهُ نَدَامَةً عَلَى مَا أَصْحَرَ لَهُ عِنْدَ الْمَوْتِ مِنْ أَمْرِهِ[٣] ، وَيَزْهَدُ فِيمَا كَانَ يَرْغَبُ فِيهِ أَيَّامَ عُمُرِهِ. وَيَتَمَنَّى أَنَّ الَّذِى كَانَ يَغْبِطُهُ بِهَا وَيَحْسُدُهُ عَلَيْهَا قَدْ حَازَهَا دُونَهُ . فَلَمْ يَزَلِ الْمَوْتُ يُبَالِغُ فِي جَسَدِهِ حَتَّى خَالَطَ لِسَانُهُ سَمْعَهُ[٤]. فَصَارَ بَيْنَ أَهْلِهِ لَا يَنْطِقُ بِلِسَانِهِ ، وَلَا يَسْمَعُ بِسَمْعِهِ ، يُرَدِّدُ طَرْفَهُ بِالنَّظَرِ فِي وُجُوهِهِمْ ، يَرَى حَرَكَاتِ أَلْسِنَتِهِمْ وَلَا يَسْمَعُ رَجْعَ كَلَامِهِمْ . ثُمَّ ازْدَادَ الْمَوْتُ الْتِيَاطًا بِهِ[٥]. فَقُبِضَ بَصَرُهُ كَمَا قُبِضَ سَمْعُهُ. وَخَرَجَتِ الرُّوحُ مِنْ جَسَدِهِ ، فَصَارَ جِيفَةً بَيْنَ أَهْلِهِ ، قَدْ أُوحِشُوا مِنْ جَانِبِهِ ، وَتَبَاعَدُوا مِنْ قُرْبِهِ . لَا يُسْعِدُ بَاكِيًا ، وَلَا يُجِيبُ دَاعِيًا . ثُمَّ حَمَلُوهُ إِلَى مَخَطٍّ فِي الْأَرْضِ ، وَأَسْلَمُوهُ فِيهِ إِلَى عَمَلِهِ ، وَانْقَطَعُوا عَنْ زَوْرَتِهِ[٦] . حَتَّى إِذَا بَلَغَ الْكِتَابُ أَجَلَهُ ، وَالْأَمْرُ مَقَادِيرَهُ ، وَأُلْحِقَ آخِرُ الْخَلْقِ بِأَوَّلِهِ ، وَجَاءَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ مَا يُرِيدُهُ مِنْ تَجْدِيدِ خَلْقِهِ ، أَمَادَ السَّمَاءَ وَفَطَرَهَا[٧] وَأَرَجَّ الْأَرْضَ وَأَرْجَفَهَا ، وَقَلَعَ جِبَالَهَا وَنَسَفَهَا . وَدَكَّ بَعْضُهَا بَعْضًا مِنْ

---

(١) العبء: الحمل والثقل (٢) غلقت رهونه: استحقها مرتهنها، وأعوزته القدرة على تخليصها كناية عن تعذر الخلاص (٣) أصحر له: من أصحر إذا برز في الصحراء، أى على ما ظهر له وانكشف من أمره (٤) خالط لسانه سمعه : شارك السمع اللسان في العجز عن أداء وظيفته (٥) التياطا أى التصاقاً به (٦) زيارته (٧) أماد: جواب إذا بلغ الكتاب الخ .

هَيْبَةِ جَلَالَتِهِ وَمَخُوفِ سَطْوَتِهِ. وَأَخْرَجَ مَنْ فِيهَا. فَجَدَّدَهُمْ بَعْدَ أَخْلَاقِهِمْ[1]، وَجَمَعَهُمْ بَعْدَ تَفَرُّقِهِمْ. ثُمَّ مَيَّزَهُمْ لِمَا يُرِيدُ مِنْ مَسْأَلَتِهِمْ عَنْ خَفَايَا الْأَعْمَالِ وَخَبَايَا الْأَفْعَالِ. وَجَعَلَهُمْ فَرِيقَيْنِ أَنْعَمَ عَلَى هٰؤُلَاءِ وَانْتَقَمَ مِنْ هٰؤُلَاءِ. فَأَمَّا أَهْلُ طَاعَتِهِ فَأَثَابَهُمْ بِجِوَارِهِ، وَخَلَّدَهُمْ فِي دَارِهِ، حَيْثُ لَا يَظْعَنُ النُّزَّالُ، وَلَا تَتَغَيَّرُ بِهِمُ الْحَالُ. وَلَا تَنُوبُهُمُ الْأَفْزَاعُ[2]، وَلَا تَنَالُهُمُ الْأَسْقَامُ، وَلَا تَعْرِضُ لَهُمُ الْأَخْطَارُ، وَلَا تُشْخِصُهُمُ الْأَسْفَارُ[3]. وَأَمَّا أَهْلُ الْمَعْصِيَةِ فَأَنْزَلَهُمْ شَرَّ دَارٍ، وَغَلَّ الْأَيْدِيَ إِلَى الْأَعْنَاقِ، وَقَرَنَ النَّوَاصِيَ بِالْأَقْدَامِ، وَأَلْبَسَهُمْ سَرَابِيلَ الْقَطِرَانِ[4]، وَمُقَطَّعَاتِ النِّيرَانِ[5]. فِي عَذَابٍ قَدِ اشْتَدَّ حَرُّهُ، وَبَابٍ قَدْ أُطْبِقَ عَلَى أَهْلِهِ فِي نَارٍ لَهَا كَلَبٌ وَلَجَبٌ[6]، وَلَهَبٌ سَاطِعٌ وَقَصِيفٌ هَائِلٌ[7]، لَا يَظْعَنُ مُقِيمُهَا، وَلَا يُفَادَى أَسِيرُهَا وَلَا تُفْصَمُ كُبُولُهَا[8]. لَا مُدَّةَ لِلدَّارِ فَتَفْنَى، وَلَا أَجَلَ لِلْقَوْمِ فَيُقْضَى، (مِنْهَا فِي ذِكْرِ النَّبِيِّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) قَدْ حَقَّرَ الدُّنْيَا وَصَغَّرَهَا

وأمادها حركها على غير انتظام . وفطرها صدعها (١) أخلاقهم بالفتح : من قولهم ثوب اخلاق اذا كانت الخلوقة شاملة له كله . والخلوقة البلى (٢) لاتنوبهم الافزاع: جمع فزع بمعنى الخوف (٣) أشخصه : أزعجه (٤) السربال : القميص . والقطران معروف (٥) المقطعات كل ثوب يقطع كالقميص والجبة ونحوها ، بخلاف مالا يقطع كالازار والرداء . والمقطعات أشمل للبدن وأشد استحكاماً فى احتوائه (٦) عبر بالكلب محركا عن هيجانها. واللجب الصوت المرتفع (٧) القصيف أشد الصوت (٨) جمع كبل

وَأَهْوَنَ بِهَا وَهَوَّنَهَا . وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ زَوَاهَا عَنْهُ اخْتِيَارًا[1] ، وَبَسَطَهَا لِغَيْرِهِ احْتِقَارًا . فَأَعْرَضَ عَنْهَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا عَنْ نَفْسِهِ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا[2]، أَوْ يَرْجُوَ فِيهَا مُقَامًا. بَلَّغَ عَنْ رَبِّهِ مُعْذِرًا[3] ، وَنَصَحَ لِأُمَّتِهِ مُنْذِرًا ، وَدَعَا إِلَى الْجَنَّةِ مُبَشِّرًا

نَحْنُ شَجَرَةُ النُّبُوَّةِ ، وَمَحَطُّ الرِّسَالَةِ ، وَمُخْتَلَفُ الْمَلَائِكَةِ[4] ، وَمَعَادِنُ الْعِلْمِ ، وَيَنَابِيعُ الْحِكَمِ . نَاصِرُنَا وَمُحِبُّنَا يَنْتَظِرُ الرَّحْمَةَ، وَعَدُوُّنَا وَمُبْغِضُنَا يَنْتَظِرُ السَّطْوَةَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

إِنَّ أَفْضَلَ مَا تَوَسَّلَ بِهِ الْمُتَوَسِّلُونَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ الْإِيمَانُ بِهِ وَبِرَسُولِهِ وَالْجِهَادُ فِي سَبِيلِهِ، فَإِنَّهُ ذِرْوَةُ الْإِسْلَامِ ، وَكَلِمَةُ الْإِخْلَاصِ فَإِنَّهَا الْفِطْرَةُ . وَإِقَامُ الصَّلَاةِ فَإِنَّهَا الْمِلَّةُ . وَإِيتَاءُ الزَّكَاةِ فَإِنَّهَا فَرِيضَةٌ وَاجِبَةٌ . وَصَوْمُ شَهْرِ رَمَضَانَ فَإِنَّهُ جُنَّةٌ مِنَ الْعِقَابِ . وَحَجُّ الْبَيْتِ وَاعْتِمَارُهُ فَإِنَّهُمَا يَنْفِيَانِ الْفَقْرَ وَيَرْحَضَانِ الذَّنْبَ[5] . وَصِلَةُ الرَّحِمِ ،

بفتح فسكون : القيد. وتفصم تنقطع (١) زواها: قبضها (٢) الرياش: اللباس الفاخر (٣) معذراً : مبيناً لله حجة تقوم مقام العذر فى عقابهم ان خالفوا أمره (٤) مختلف الملائكة بفتح اللام محل اختلافهم أى ورود واحد منهم بعد آخر، فيكون الثانى كأنه خلف للأول وهكذا (٥) رحضه ـ كمنعه ـ غسله

فَإِنَّهَا مَثْرَاةٌ فِي الْمَالِ، وَمَنْسَأَةٌ فِي الْأَجَلِ[1]. وَصَدَقَةُ السِّرِّ فَإِنَّهَا تُكَفِّرُ الْخَطِيئَةَ. وَصَدَقَةُ الْعَلَانِيَةِ فَإِنَّهَا تَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ. وَصَنَائِعُ الْمَعْرُوفِ فَإِنَّهَا تَقِي مَصَارِعَ الْهَوَانِ

أَفِيضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الذِّكْرِ. وَارْغَبُوا فِيمَا وَعَدَ الْمُتَّقِينَ فَإِنَّ وَعْدَهُ أَصْدَقُ الْوَعْدِ. وَاقْتَدُوا بِهَدْيِ نَبِيِّكُمْ فَإِنَّهُ أَفْضَلُ الْهَدْيِ. وَاسْتَنُّوا بِسُنَّتِهِ فَإِنَّهَا أَهْدَى السُّنَنِ. وَتَعَلَّمُوا الْقُرْآنَ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْحَدِيثِ، وَتَفَقَّهُوا فِيهِ فَإِنَّهُ رَبِيعُ الْقُلُوبِ، وَاسْتَشْفُوا بِنُورِهِ فَإِنَّهُ شِفَاءُ الصُّدُورِ. وَأَحْسِنُوا تِلَاوَتَهُ فَإِنَّهُ أَحْسَنُ الْقَصَصِ، فَإِنَّ الْعَالِمَ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمِهِ كَالْجَاهِلِ الْحَائِرِ الَّذِي لَا يَسْتَفِيقُ مِنْ جَهْلِهِ، بَلِ الْحُجَّةُ عَلَيْهِ أَعْظَمُ، وَالْحَسْرَةُ لَهُ أَلْزَمُ، وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ أَلْوَمُ[2]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا حُلْوَةٌ خَضِرَةٌ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ وَتَحَبَّبَتْ بِالْعَاجِلَةِ، وَرَاقَتْ بِالْقَلِيلِ، وَتَحَلَّتْ بِالْآمَالِ، وَتَزَيَّنَتْ

---

(١) منسأة: مطال فيه ومزيد (٢) ألوم: أشد لوماً لنفسه بين أيدي الله لأنه لا يجد منها عذراً يقبل أو يرد

بِالْغُرُورِ. لَا تَدُومُ حَبْرَتُهَا(١)، وَلَا تُؤْمَنُ فَجْعَتُهَا. غَرَّارَةٌ ضَرَّارَةٌ. حَائِلَةٌ زَائِلَةٌ(٢) نَافِدَةٌ بَائِدَةٌ(٣)، أَكَّالَةٌ غَوَّالَةٌ(٤). لَا تَعْدُو ـ إِذَا تَنَاهَتْ إِلَى أُمْنِيَّةِ أَهْلِ الرَّغْبَةِ فِيهَا وَالرِّضَاءِ بِهَا(٥) ـ أَنْ تَكُونَ كَمَا قَالَ اللهُ تَعَالَى سُبْحَانَهُ «كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيماً تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ(٦) وَكَانَ اللهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا» لَمْ يَكُنْ امْرُؤٌ مِنْهَا فِي حَبْرَةٍ إِلَّا أَعْقَبَتْهُ بَعْدَهَا عَبْرَةً(٧)، وَلَمْ يَلْقَ فِي سَرَّائِهَا بَطْنًا(٨) إِلَّا مَنَحَتْهُ مِنْ ضَرَّائِهَا ظَهْرًا. وَلَمْ تَطُلَّهُ فِيهَا دِيمَةُ رَخَاءٍ(٩) إِلَّا هَتَنَتْ عَلَيْهِ مُزْنَةُ بَلَاءٍ. وَحَرِيٌّ إِذَا أَصْبَحَتْ لَهُ مُنْتَصِرَةً أَنْ تُمْسِيَ لَهُ مُتَنَكِّرَةً وَإِنْ جَانِبٌ مِنْهَا اعْذَوْذَبَ وَاحْلَوْلَى أَمَرَّ مِنْهَا جَانِبٌ فَأَوْبَى(١٠). لَا يَنَالُ امْرُؤٌ مِنْ غَضَارَتِهَا رَغَباً(١١) إِلَّا أَرْهَقَتْهُ مِنْ نَوَائِبِهَا تَعَباً(١٢).

---

(١) الحبرة بالفتح السرور والنعمة (٢) حائلة: متغيرة (٣) نافدة: فانية. بائدة أى هالكة (٤) غوالة: مهلكة (٥) أى أنها إذا وصلت بأهل الرغبة فيها إلى أمانيهم فلا تتجاوز الوصف الذى ذكره الله فى قوله كماء الخ. فقوله ان تكون مفعول لتعدو (٦) الهشيم: النبت اليابس المكسر (٧) بالفتح: الدمعة قبل أن تفيض، أو تردد البكاء فى الصدر، أو الحزن بلا بكاء (٨) كنى بالبطن والظهر عن الاقبال والادبار (٩) الطل: المطر الضعيف. وطلت السماء أمطرته. والديمة مطر يدوم فى سكون لا رعد ولا برق معه. والرخاء السعة. وهتنت المزن: انصبت (١٠) أوبى صار كثير الوباء. والوباء: هو المعروف بالريح الأصفر (١١) الغضارة النعمة والسعة. والرغب بالتحريك ـ الرغبة والمرغوب (١٢) أرهقته التعب: الحقته به

وَلَا يُمْسِي مِنْهَا فِي جَنَاحِ أَمْنٍ إِلَّا أَصْبَحَ عَلَى قَوَادِمِ خَوْفٍ(١). غَرَّارَةٌ غُرُورٌ مَا فِيهَا، فَانِيَةٌ فَانٍ مَنْ عَلَيْهَا. لَا خَيْرَ فِي شَيْءٍ مِنْ أَزْوَادِهَا إِلَّا التَّقْوَى. مَنْ أَقَلَّ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُؤْمِنُهُ. وَمَنِ اسْتَكْثَرَ مِنْهَا اسْتَكْثَرَ مِمَّا يُوبِقُهُ(٢)، وَزَالَ عَمَّا قَلِيلٍ عَنْهُ. كَمْ مِنْ وَاثِقٍ بِهَا فَجَعَتْهُ(٣)، وَذِي طُمَأْنِينَةٍ إِلَيْهَا قَدْ صَرَعَتْهُ. وَذِي أُبَّهَةٍ قَدْ جَعَلَتْهُ حَقِيرًا(٤) وَذِي نَخْوَةٍ قَدْ رَدَّتْهُ ذَلِيلًا(٥). سُلْطَانُهَا دِوَلٌ(٦)، وَعَيْشُهَا رَنِقٌ(٧)، وَعَذْبُهَا أُجَاجٌ(٨) وَحُلْوُهَا صَبِرٌ(٩)، وَغِذَاؤُهَا سِمَامٌ(١٠)، وَأَسْبَابُهَا رِمَامٌ(١١). حَيُّهَا بِعَرَضِ مَوْتٍ. وَصَحِيحُهَا بِعَرَضِ(*) سُقْمٍ. مُلْكُهَا مَسْلُوبٌ، وَعَزِيزُهَا مَغْلُوبٌ وَمَوْفُورُهَا مَنْكُوبٌ(١٢). وَجَارُهَا مَحْرُوبٌ(١٣). أَلَسْتُمْ فِي مَسَاكِنِ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَطْوَلَ أَعْمَارًا، وَأَبْقَى آثَارًا وَأَبْعَدَ آمَالًا، وَأَعَدَّ عَدِيدًا، وَأَكْثَفَ جُنُودًا. تَعَبَّدُوا لِلدُّنْيَا أَيَّ تَعَبُّدٍ، وَآثَرُوهَا أَيَّ إِيثَارٍ.

---

(١) القوادم — جمع قادمة — الواحدة من أربع أو عشر ريشات فى مقدم جناح الطائر، وهى القوادم (٢) يهلكه (٣) أوجعته بفقد ما يعز عليه (٤) ابهة بضم فتشديد: عظمة (٥) النخوة بالفتح: الافتخار (٦) جمع دولة: هى انقلاب الزمان (٧) رنق — بفتح فكسر — كدر (٨) مالح شديد الملوحة (٩) الصبر — ككتف — عصارة شجر مر (١٠) جمع رسم مثلث السين، وهو من المواد ما إذا خالط المزاج أفسده فقتل صاحبه (١١) جمع رمة بالضم وهى القطعة البالية من الحبل، أى ما يتمسك به منها فهو بال منقطع (١٢) موفورها ما كثر منها مصاب بالنكبة، وهى المصيبة، أى فى معرض لذلك (١٣) من حربه حرباً

(*) فى نسخه: بضم العين وسكون الراء

ثمَّ ظعنُوا عنْهَا بِغيْرِ زَادٍ مُبلِّغٍ وَلا ظَهْرٍ قَاطِعٍ[١] فهَلْ بلغكُمْ أنَّ الدُّنيَا سَخَتْ لهُمْ نفْسًا بِفِدْيَةٍ[٢]، أَوْ أَعَانَتْهُمْ بِمعُونَةٍ أَوْ أَحْسنَتْ لهُمْ صُحْبةً. بَلْ أَرْهَقَتْهُمْ بِالْقَوَادِحِ[٣]، وَأَوْهَنَتْهُمْ بِالْقَوَارِعِ، وَضَعْضَعَتْهُمْ بِالنَّوَائِبِ[٤] وَعَفَّرَتْهُمْ لِلْمَنَاخِرِ[٥]، وَوَطِئَتْهُمْ بِالْمَنَاسِمِ[٦]، وَأَعَانَتْ عَليْهِمْ رَيْبَ الْمَنُونِ. فَقَدْ رَأَيْتُمْ تَنَكُّرَهَا لِمَنْ دَانَ لَهَا[٧]، وَآثَرَهَا وَأَخْلَدَ لهَا[٨]، حَتَّى ظَعَنُوا عَنْهَا لِفِرَاقِ الْأَبَدِ[٩]. وَهَلْ زَوَّدَتْهُمْ إِلَّا السَّغَبَ[١٠]، أَوْ أَحلَّتْهُمْ إِلَّا الضَّنْكَ[١١]، أَوْ نَوَّرَتْ لَهُمْ إِلَّا الظُّلْمَةَ[١٢]، أَوْ أَعْقَبَتْهُمْ إِلَّا النَّدَامَةَ. أَفَهَذِهِ تُؤْثِرُونَ أَمْ إِلَيْهَا تَطْمَئِنُّونَ؟ أَمْ عَلَيْهَا تَحْرِصُونَ؟. فَبِئْسَتِ الدَّارُ لِمَنْ لَمْ يَتَّهِمْهَا وَلَمْ يَكُنْ فِيهَا عَلَى وَجَلٍ مِنْهَا فَاعْلَمُوا ـ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ ـ بِأَنَّكُمْ تَارِكُوهَا وَظَاعِنُونَ عَنْهَا. وَاتَّعِظُوا فِيهَا بِالَّذِينَ قَالُوا «مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً». حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ فَلَا يُدْعَوْنَ رُكْبَانًا[١٣]،

بالتحريك إذا سلب ماله (١) ظهر قاطع: راحلة تركب لقطع الطريق (٢) اى سخت نفسها لهم بفداء (٣) أرهقتهم: غشيتهم بالقوادح بالقاف جمع قادح وهو أكال يقع فى الشجر والاسنان، أى بما ينهكهم ويمزق أجسادهم. وفى نسخة الفوادح بالفاء من فدحه الأمر إذا أثقله (٤) ضعضعتهم: ذللتهم (٥) كبتهم على مناخرهم فى العفر وهو التراب (٦) جمع منسم وهو مقدم خف البعير أو الخف نفسه (٧) دان لها: خضع (٨) ركن اليها (٩) أى فراق مدته لانهاية لها (١٠) السغب ـ محركة ـ الجوع (١١) الضنك الضيق (١٢) أو نورت لهم الخ لم يكن لهم مما ظنوه نورا لها إلا الظلام (١٣) لايقال لهم

وَأُنْزِلُوا الْأَجْدَاثَ(١) . فَلَا يُدْعَوْنَ ضِيفَاناً . وَجُعِلَ لَهُمْ مِنَ الصَّفِيحِ أَجْنَانٌ(٢) ، وَمِنَ التُّرَابِ أَكْفَانٌ(٣) ، وَمِنَ الرُّفَاتِ جِيرَانٌ(٤) ، فَهُمْ جِيرَةٌ لَا يُجِيبُونَ دَاعِياً، وَلَا يَمْنَعُونَ ضَيْماً، وَلَا يُبَالُونَ مَنْدَبَةً . إِنْ جِيدُوا لَمْ يَفْرَحُوا(٥) ، وَإِنْ قُحِطُوا لَمْ يَقْنَطُوا . جَمِيعٌ وَهُمْ آحَادٌ ، وَجِيرَةٌ وَهُمْ أَبْعَادٌ. مُتَدَانُونَ لَا يَتَزَاوَرُونَ(٦)، وَقَرِيبُونَ لَا يَتَقَارَبُونَ. حُلَمَاءُ قَدْ ذَهَبَتْ أَضْغَانُهُمْ، وَجُهَلَاءُ قَدْ مَاتَتْ أَحْقَادُهُمْ . لَا يُخْشَى فَجْعُهُمْ(٧)، وَلَا يُرْجَى دَفْعُهُمْ اسْتَبْدَلُوا بِظَهْرِ الْأَرْضِ بَطْناً ، وَبِالسَّعَةِ ضِيقاً ، وَبِالْأَهْلِ غُرْبَةً ، وَبِالنُّورِ ظُلْمَةً . فَجَاءُوهَا كَمَا فَارَقُوهَا(٨)، حُفَاةً عُرَاةً . قَدْ ظَعَنُوا عَنْهَا بِأَعْمَالِهِمْ إِلَى الْحَيَاةِ الدَّائِمَةِ وَالدَّارِ الْبَاقِيَةِ ، كَمَا قَالَ سُبْحَانَهُ « كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ نُعِيدُهُ وَعْداً عَلَيْنَا إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ »

---

(١) القبور (٢) الصفيح: وجه كل شيء عريض ، والمراد وجه الأرض . والاجنان جمع جنن محركة وهو القبر (٣) لأن أكفانهم تبلى ولا يغشى أبدانهم سوى التراب (٤) الرفات العظام المندقة المحطومة (٥) جيدوا : مطروا (٦) متقاربون لايزور بعضهم بعضا (٧) لاتخاف منهم أن يفجعوك بضرر (٨) جاءوا إلى الأرض واتصلوا بها بعد ما فارقوها وانفصلوا عنها فى بدء خلقتهم ، فانهم خلقوا منها كما قال تعالى «منها خلقناكم وفيها نعيدكم » وقوله قد ظعنوا عنها يشير إلى أنهم بعد الموت يذهبون بأرواحهم اما الى نعيم واما الى شقاء ، أوالظعن عنها هو البعث منها يوم القيامة ومفارقتها إما إلى الجنة وإما إلى النار كما يرشد اليه الاستشهاد بالآية

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

ذكر فيها ملك الموت وتوفية النفس

هَلْ تُحِسُّ بِهِ إِذَا دَخَلَ مَنْزِلًا؟، أَمْ هَلْ تَرَاهُ إِذَا تَوَفَّى أَحَداً؟، بَلْ كَيْفَ يَتَوَفَّى الْجَنِينَ فِي بَطْنِ أُمِّهِ . أَيَلِجُ عَلَيْهِ مِنْ بَعْضِ جَوَارِحِهَا[١]؟، أَمِ الرُّوحُ أَجَابَتْهُ بِإِذْنِ رَبِّهَا؟ أَمْ هُوَ سَاكِنٌ مَعَهُ فِي أَحْشَائِهَا؟ . كَيْفَ يَصِفُ إِلٰهَهُ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَةِ مَخْلُوقٍ مِثْلِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا مَنْزِلُ قُلْعَةٍ[٢]، وَلَيْسَتْ بِدَارِ نُجْعَةٍ[٣]. قَدْ تَزَيَّنَتْ بِغُرُورِهَا، وَغَرَّتْ بِزِينَتِهَا. دَارٌ هَانَتْ عَلَى رَبِّهَا، فَخَلَطَ حَلَالَهَا بِحَرَامِهَا وَخَيْرَهَا بِشَرِّهَا، وَحَيَاتَهَا بِمَوْتِهَا، وَحُلْوَهَا بِمُرِّهَا . لَمْ يُصْفِهَا اللهُ تَعَالَى لِأَوْلِيَائِهِ، وَلَمْ يَضِنَّ بِهَا عَلَى أَعْدَائِهِ . خَيْرُهَا زَهِيدٌ، وَشَرُّهَا عَتِيدٌ[٤]. وَجَمْعُهَا يَنْفَدُ، وَمُلْكُهَا يُسْلَبُ، وَعَامِرُهَا يَخْرَبُ. فَمَا خَيْرُ دَارٍ تُنْقَضُ

---

(١) يلج: يدخل (٢) القلعة كهمزة وطرفة ودجنة: من لا يثبت على السرج، أو من يزل قدمه عند الصراع، أى هى منزل من لا يستقر (٣) النجعة بالضم طلب الكلأ فى موضعه، أى ليست محط الرحال ولا مبلغ الآمال (٤) حاضر

نَقْضَ ٱلبِنَاءِ ، وَعُمُرٍ يفْنَى فَنَاءَ ٱلزَّادِ ، وَمُدَّةٍ تَنْقَطِعُ ٱنْقِطَاعَ ٱلسَّيْرِ. أُجْمِلُوا مَاٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكُمْ مِنْ طَلَبِكُمْ[١]، وَٱسْأَلوهُ مِنْ أَدَاءِ حَقِّهِ مَاسَأَلَكُمْ. وَأَسْمِعُوا دَعْوَةَ ٱلمَوْتِ آذَانَكُمْ قَبلَ أَنْ يُدْعَى بِكُمْ . إِنَّ ٱلزَّاهِدِينَ فِي ٱلدُّنْيَا تَبْكِي قُلُوبُهُمْ وَإِنْ ضَحِكُوا ، وَيَشْتَدُّ حُزْنُهُمْ وَإِنْ فَرِحُوا ، وَيَكْثُرُ مَقْتُهُمْ أَنْفُسَهُمْ وَإِنِ ٱغْتُبِطُوا بِمَا رُزِقُوا[٢] . قَدْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ ٱلآجَالِ، وَحَضَرَتْكُمْ كَوَاذِبُ ٱلآمَالِ. فَصَارَتِ ٱلدُّنْيَا أَمْلَكَ بِكُمْ مِنَ ٱلآخِرَةِ، وَٱلْعَاجِلَةُ أَذْهَبَ بِكُمْ مِنَ ٱلآجِلَةِ ، وَإِنَّمَا أَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينِ ٱللهِ مَافَرَّقَ بَيْنَكُمْ إِلَّا خُبْثُ ٱلسَّرَائِرِ ، وَسُوءُ ٱلضَّمَائِرِ . فَلَا تَوَازَرُونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ،وَلَاتَبَاذَلُونَ وَلَاتَوَادُّونَ. مَا بَالُكُمْ تَفْرَحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ ٱلدُّنْيَا تُدْرِكُونَهُ وَلَا يَحْزُنُكُمُ ٱلْكَثِيرُ مِنَ ٱلآخِرَةِ تُحْرَمُونَهُ .وَيُقْلِقُكُمُ ٱلْيَسِيرُ مِنَ ٱلدُّنْيَا يَفُوتُكُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذٰلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ وَقِلَّةِ صَبْرِكُمْ عَمَّا زُوِيَ مِنْهَا عَنْكُمْ[٣] كَأَنَّهَا دَارُ مُقَامِكُمْ . وَكَأَنَّ مَتَاعَهَا بَاقٍ عَلَيْكُمْ . وَمَا يَمْنَعُ أَحَدَكُمْ

---

(١) مطلوبكم، أى اجعلوا الفرائض من مطالبكم التى تسعون لنيلها ، و اسألوا الله أن يمنحكم ما سألكم من أداء حقه، أى أن يمن عليكم بالتوفيق لأداء حقه (٢) اغتبطوا: غبطهم غيرهم بما آتاهم الله من الرزق (٣) قلة صبركم عطف على وجوهكم . وزوى من زواه إذا نحاه

أَنْ يَسْتَقْبِلَ أَخَاهُ بِمَا يَخَافُ مِنْ عَيْبِهِ إِلَّا مَخَافَةُ أَنْ يَسْتَقْبِلَهُ بِمِثْلِهِ . قَدْ تَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْآجِلِ وَحُبِّ الْعَاجِلِ ، وَصَارَ دِينُ أَحَدِكُمْ لُعْقَةً عَلَى لِسَانِهِ[1] . صَنِيعَ مَنْ قَدْ فَرَغَ مِنْ عَمَلِهِ وَأَحْرَزَ رِضَا سَيِّدِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَاصِلِ الْحَمْدَ بِالنِّعَمِ وَالنِّعَمَ بِالشُّكْرِ . نَحْمَدُهُ عَلَى آلَائِهِ كَمَا نَحْمَدُهُ عَلَى بَلَائِهِ . وَنَسْتَعِينُهُ عَلَى هٰذِهِ النُّفُوسِ الْبِطَاءِ عَمَّا أُمِرَتْ بِهِ[2] ، السِّرَاعِ إِلَى مَا نُهِيَتْ عَنْهُ . وَنَسْتَغْفِرُهُ مِمَّا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُهُ وَأَحْصَاهُ كِتَابُهُ : عِلْمٌ غَيْرُ قَاصِرٍ وَكِتَابٌ غَيْرُ مُغَادِرٍ[3] . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ عَايَنَ الْغُيُوبَ وَوَقَفَ عَلَى الْمَوْعُودِ ، إِيمَانًا نَفَى إِخْلَاصُهُ الشِّرْكَ وَيَقِينُهُ الشَّكَّ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شَهَادَتَيْنِ تُصْعِدَانِ الْقَوْلَ وَتَرْفَعَانِ الْعَمَلَ . لَا يَخِفُّ مِيزَانٌ تُوضَعَانِ فِيهِ ، وَلَا يَثْقُلُ مِيزَانٌ تُرْفَعَانِ عَنْهُ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللَّهِ بِتَقْوَى اللَّهِ الَّتِي هِيَ الزَّادُ وَبِهَا الْمَعَادُ : زَادٌ

---

(١) عبر باللعقة عن الاقرار باللسان مع ركون القلب الى مخالفته (٢) البطاء بالكسر جمع بطيئة . والسراع جمع سريعة (٣) غير تارك شيئاً الا أحاط به

مُبلِغٌ وَمعادٌ مُنْجِحٌ. دعَا إِلَيْهَا أَسْمَعُ دَاعٍ وَاعٍ[1]. فَأَسْمَعَ دَاعِيهَا وَفَازَ وَاعِيهَا

عِبادَ اللهِ إِنَّ تَقْوَى اللهِ حَمَتْ أَوْلِياءَ اللهِ مَحارِمَهُ[2]. وَأَلْزَمَتْ قُلُوبَهُمْ مَخافَتَهُ، حَتَّى أَسْهَرَتْ لَيالِيَهُمْ، وَأَظْمَأَتْ هَوَاجِرَهُمْ[3]. فَأَخَذُوا الرَّاحَةَ بِالنَّصَبِ[4]، وَالرِّيَّ بِالظَّمإِ. وَاسْتَقْرَبُوا الْأَجَلَ فَبادَرُوا الْعَمَلَ، وَكَذَّبُوا الْأَمَلَ فَلَاحَظُوا الْأَجَلَ. ثُمَّ إِنَّ الدُّنْيا دارُ فَنَاءٍ وَعَنَاءٍ وَغِيَرٍ وَعِبَرٍ فَمِنَ الْفَنَاءِ أَنَّ الدَّهْرَ مُوتِرٌ قَوْسَهُ[5]، لَا تُخْطِئُ سِهَامُهُ، وَلَا تُوسَى جِرَاحُهُ[6]. يَرْمِي الْحَيَّ بِالْمَوْتِ، وَالصَّحِيحَ بِالسُّقْمِ، وَالنَّاجِيَ بِالْعَطَبِ. آكِلٌ لَا يَشْبَعُ، وَشَارِبٌ لَا يَنْقَعُ[7]. وَمِنَ الْعَنَاءِ أَنَّ الْمَرْءَ يَجْمَعُ مَا لَا يَأْكُلُ وَيَبْنِي مَا لَا يَسْكُنُ. ثُمَّ يَخْرُجُ إِلَى اللهِ لَا مَالًا حَمَلَ، وَلَا بِنَاءً نَقَلَ. وَمِنْ غِيَرِهَا[8] أَنَّكَ تَرَى الْمَرْحُومَ مَغْبُوطًا وَالْمَغْبُوطَ مَرْحُوماً لَيْسَ ذٰلِكَ إِلَّا نَعِيمًا زَلَّ[9]، وَبُؤْسًا نَزَلَ. وَمِنْ عِبَرِهَا أَنَّ الْمَرْءَ يُشْرِفُ عَلَى

---

(١) رعاها فهمها وحفظها (٢) حمى الشيء منعه أي منعتهم ارتكاب محرماته (٣) أظمأتها بالصيام (٤) التعب (٥) فمن أسباب الفناء كون الدهر قد أوتر قوسه ليرمي بها أبناءه (٦) توسى تداوى من أسوت الجرح داويته (٧) لا ينقع — كينفع — لا يشتفي من العطش بالشرب (٨) غيرها بكسر ففتح تقلبها . و المرحوم الذي ترق له وترحمه لسوء حاله يصبح مغبوطاً على ما تجدد له من نعمة (٩) من زل فلان زليلا وزلولا إذا مر سريعاً . و المراد انتقل. أو هو الفعل اللازم من أزل اليه نعمة أسداها

أَمَلِهِ فَيَقْطَعُهُ حُضُورُ أَجَلِهِ. فَلَا أَمَلٌ يُدْرَكُ وَلَا مُؤَمَّلٌ يُتْرَكُ، فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَغَرَّ سُرُورَهَا وَأَظْمَأَ رِيَّهَا وَأَضْحَى فَيْئَهَا[1]. لَاجَاءٍ يُرَدُّ[2]، وَلَا مَاضٍ يَرْتَدُّ. فَسُبْحَانَ اللهِ مَا أَقْرَبَ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ لِلَحَاقِهِ بِهِ، وَأَبْعَدَ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ لِانْقِطَاعِهِ عَنْهُ

إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِشَرٍّ مِنَ الشَّرِّ إِلَّا عِقَابُهُ، وَلَيْسَ شَيْءٌ بِخَيْرٍ مِنَ الْخَيْرِ إِلَّا ثَوَابُهُ. وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا سَمَاعُهُ أَعْظَمُ مِنْ عِيَانِهِ. وَكُلُّ شَيْءٍ مِنَ الْآخِرَةِ عِيَانُهُ أَعْظَمُ مِنْ سَمَاعِهِ. فَلْيَكْفِكُمْ مِنَ الْعِيَانِ السَّمَاعُ، وَمِنَ الْغَيْبِ الْخَبَرُ. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا نَقَصَ مِنَ الدُّنْيَا وَزَادَ فِي الْآخِرَةِ خَيْرٌ مِمَّا نَقَصَ مِنَ الْآخِرَةِ وَزَادَ فِي الدُّنْيَا. فَكَمْ مِنْ مَنْقُوصٍ رَابِحٍ وَمَزِيدٍ خَاسِرٍ. إِنَّ الَّذِي أُمِرْتُمْ بِهِ أَوْسَعُ مِنَ الَّذِي نُهِيتُمْ عَنْهُ. وَمَا أُحِلَّ لَكُمْ أَكْثَرُ مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ. فَذَرُوا مَا قَلَّ لِمَا كَثُرَ، وَمَا ضَاقَ لِمَا اتَّسَعَ. قَدْ تَكَفَّلَ لَكُمْ بِالرِّزْقِ وَأُمِرْتُمْ بِالْعَمَلِ، فَلَا يَكُونَنَّ الْمَضْمُونُ لَكُمْ طَلَبُهُ أَوْلَى[3] بِكُمْ مِنَ الْمَفْرُوضِ عَلَيْكُمْ عَمَلُهُ، مَعَ أَنَّهُ وَاللهِ لَقَدِ اعْتَرَضَ الشَّكُّ وَدَخِلَ الْيَقِينُ[4]،

---

(١) أضحى كضحى كدعى: برز للشمس. والفىء الظل بعد الزوال أو مطلقاً (٢) الجائى يريد به الموت (٣) طلبه مبتدأ خبره أولى وجملتهما خبر يكون (٤) دخل —

حَتَّى كَأَنَّ الَّذِي ضُمِنَ لَكُمْ قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ، وَكَأَنَّ الَّذِي قَدْ فُرِضَ عَلَيْكُمْ قَدْ وُضِعَ عَنْكُمْ. فَبَادِرُوا الْعَمَلَ وَخَافُوا بَغْتَةَ الْأَجَلِ، فَإِنَّهُ لَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الْعُمُرِ مَا يُرْجَى مِنْ رَجْعَةِ الرِّزْقِ(١). مَا فَاتَ مِنَ الرِّزْقِ رُجِيَ غَدًا زِيَادَتُهُ. وَمَا فَاتَ أَمْسِ مِنَ الْعُمُرِ لَمْ يُرْجَ الْيَوْمَ رَجْعَتُهُ. الرَّجَاءُ مَعَ الْجَائِي، وَالْيَأْسُ مَعَ الْمَاضِي. فَاتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)
فِي الِاسْتِسْقَاءِ

اللَّهُمَّ قَدِ انْصَاحَتْ جِبَالُنَا(٢)، وَاغْبَرَّتْ أَرْضُنَا، وَهَامَتْ دَوَابُّنَا. وَتَحَيَّرَتْ فِي مَرَابِضِهَا، وَعَجَّتْ عَجِيجَ الثَّكَالَى عَلَى أَوْلَادِهَا، وَمَلَّتِ التَّرَدُّدَ فِي مَرَاتِعِهَا، وَالْحَنِينَ إِلَى مَوَارِدِهَا. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ أَنِينَ الْآنَّةِ، وَحَنِينَ الْحَانَّةِ. اللَّهُمَّ فَارْحَمْ حَيْرَتَهَا فِي مَذَاهِبِهَا، وَأَنِينَهَا فِي مَوَالِجِهَا(٣).

كفرح ـ خالطه فساد الأوهام (١) الذى يفوت من العمر لا يرجى رجوعه بخلاف الذى يفوت من الرزق فانه يمكن تعويضه (٢) انصاحت جفت أعالى بقولها ويبست من الجدب. وليس من المناسب تفسير انصاحت بانشقت الا أن يراد المبالغة فى الحرارة التى اشتدت لتأخر المطر حتى انقد باطن الأرض نارا وتنفست فى الجبال فانشقت. وتفسير بقية الألفاظ يأتى فى آخر الدعاء لصاحب الكتاب (٣) مداخلها فى

اللَّهُمَّ خَرَجْنَا إِلَيْكَ حِينَ اعْتَكَرَتْ عَلَيْنَا حَدَابِيرُ السِّنِينَ، وَأَخْلَفَتْنَا مَخَائِلُ الْجُودِ[1]. فَكُنْتَ الرَّجَاءَ لِلْمُبْتَئِسِ[2]، وَالْبَلَاغَ لِلْمُلْتَمِسِ. نَدْعُوكَ حِينَ قَنَطَ الْأَنَامُ، وَمُنِعَ الْغَمَامُ، وَهَلَكَ السَّوَامُ[3]، أَنْ لَا تُؤَاخِذَنَا بِأَعْمَالِنَا، وَلَا تَأْخُذَنَا بِذُنُوبِنَا. وَانْشُرْ عَلَيْنَا رَحْمَتَكَ بِالسَّحَابِ الْمُنْبَعِقِ[4]، وَالرَّبِيعِ الْمُغْدِقِ[5]، وَالنَّبَاتِ الْمُونِقِ[6]. سَحًّا وَابِلًا[7] تُحْيِي بِهِ مَا قَدْ مَاتَ، وَتَرُدُّ بِهِ مَا قَدْ فَاتَ. اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ مُحْيِيَةً مُرْوِيَةً، تَامَّةً عَامَّةً، طَيِّبَةً مُبَارَكَةً، هَنِيئَةً مَرِيعَةً[8]. زَاكِيًا نَبْتُهَا[9]، ثَامِرًا فَرْعُهَا، نَاضِرًا وَرَقُهَا، تُنْعِشُ بِهَا الضَّعِيفَ مِنْ عِبَادِكَ، وَتُحْيِي بِهَا الْمَيْتَ مِنْ بِلَادِكَ. اللَّهُمَّ سُقْيَا مِنْكَ تُعْشِبُ بِهَا نِجَادُنَا[10]، وَتَجْرِي بِهَا وِهَادُنَا، وَيُخْصِبُ بِهَا جَنَابُنَا[11]، وَتُقْبِلُ بِهَا ثِمَارُنَا، وَتَعِيشُ بِهَا مَوَاشِينَا، وَتَنْدَى بِهَا أَقَاصِينَا[12]،

---

(١) مخايل جمع مخيلة - كمصيبة - هى السحابة تظهر كأنها ماطرة ثم لا تمطر. والجود بالفتح: المطر (٢) الذى مسته البأساء والضراء. والبلاغ الكفاية (٣) جمع سائمة البهيمة الراعية من الابل ونحوها (٤) انبعق المزن انفرج عن المطر كأنما هو حى انشقت بطنه فنزل ما فيها (٥) أغدق المطر كثر ماؤه (٦) من آنقنى اذا أعجبنى. أو من آنقه إذا سره وأفرحه (٧) سحا: صبا. والوابل الشديد من المطر الضخم القطر (٨) المريعة بفتح الميم: الخصيبة (٩) زاكيا ناميا. وثامرا مثمرا آتيا بالثمر (١٠) جمع نجد ما ارتفع من الأرض. والوهاد جمع وهدة ما انخفض منها (١١) الجناب الناحية (١٢) القاصية الناحية أيضا، أو هى بمعنى البعيدة عنا من أطراف بلادنا فى

وَتَسْتَمِينَ بِهَا ضَوَاحِينَا(١) . مِنْ بَرَكَاتِكَ الْوَاسِعَةِ ، وَعَطَايَاكَ الْجَزِيلَةِ عَلَى بَرِيَّتِكَ الْمُرْمِلَةِ(٢) ، وَوَحْشِكَ الْمُهْمَلَةِ. وَأَنْزِلْ عَلَيْنَا سَمَاءً مُخْضِلَةً(٣) مِدْرَارًا هَاطِلَةً . يُدَافِعُ الْوَدْقُ مِنْهَا الْوَدْقَ(٤)، وَيَحْفِزُ الْقَطْرُ مِنْهَا الْقَطْرَ(٥) غَيْرَ خُلَّبٍ بَرْقُهَا(٦) ، وَلَا جَهَامٍ عَارِضُهَا(٧) ، وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا(٨) ، وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا(٩) ، حَتَّى يُخْصِبَ لِإِمْرَاعِهَا الْمُجْدِبُونَ، وَيَحْيَى بِبَرَكَتِهَا الْمُسْنِتُونَ(١٠) ، فَإِنَّكَ تُنْزِلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا، وَتَنْشُرُ رَحْمَتَكَ وَأَنْتَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ

تَفْسِيرُ مَا فِي هٰذِهِ الْخُطْبَةِ مِنَ الْغَرِيبِ

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: (انْصَاحَتْ جِبَالُنَا) أَيْ تَشَقَّقَتْ مِنَ الْمُحُولِ، يُقَالُ: انْصَاحَ الثَّوْبُ إِذَا انْشَقَّ . وَيُقَالُ أَيْضًا: انْصَاحَ النَّبْتُ وَصَاحَ وَصَوَّحَ إِذَ جَفَّ وَيَبِسَ. وَقَوْلُهُ : (وَهَامَتْ دَوَابُّنَا) أَيْ عَطِشَتْ ، وَالْهُيَامُ الْعَطَشُ . وَقَوْلُهُ : (حَدَابِيرُ السِّنِينَ)- جَمْعُ حِدْبَارٍ - وَهِيَ

مقابلة جنابنا (١) ضاحية المال التى تشرب ضحى . والضواحى جمعها (٢) بصيغة الفاعل : الفقيرة (٣) مخضلة من أخضله إذا بله (٤) الودق المطر (٥) يحفز : يدفع (٦) البرق الخلب ما يطمعك فى المطر ولا مطر معه (٧) الجهام بالفتح السحاب الذى لامطر فيه . والعارض ما يعرض فى الأفق من السحاب (٨) الرباب السحاب الأبيض (٩) جمع ذهبة بكسر الذال المطرة القليلة وهو المراد باللينة فى تفسير صاحب الكتاب (١٠) المقحطون

النَّاقَةُ الَّتِي أَنْضَاهَا السَّيْرُ ، فَشَبَّهَ بِهَا السَّنَةَ الَّتِي فَشَا فِيهَا الْجَدْبُ ، قَالَ ذُو الرُّمَّةِ :

حَدَابِيرُ مَا تَنْفَكُّ إِلَّا مُنَاخَةً عَلَى الْخَسْفِ أَوْ نَرْمِي بِهَا بَلَدًا قَفْرًا

وَقَوْلُهُ : (وَلَا قَزَعٍ رَبَابُهَا) الْقَزَعُ الْقِطَعُ الصِّغَارُ الْمُتَفَرِّقَةُ مِنَ السَّحَابِ . وَقَوْلُهُ : (وَلَا شَفَّانٍ ذِهَابُهَا) فَإِنَّ تَقْدِيرَهُ وَلَا ذَاتِ شَفَّانٍ ذِهَابُهَا . وَالشَّفَّانُ الرِّيحُ الْبَارِدَةُ ، وَالذِّهَابُ الْأَمْطَارُ اللَّيِّنَةُ . فَحَذَفَ ذَاتَ لِعِلْمِ السَّامِعِ بِهِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ دَاعِيًا إِلَى الْحَقِّ وَشَاهِدًا عَلَى الْخَلْقِ . فَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ غَيْرَ وَانٍ وَلَا مُقَصِّرٍ [١] ، وَجَاهَدَ فِي اللَّهِ أَعْدَاءَهُ غَيْرَ وَاهِنٍ وَلَا مُعَذِّرٍ [٢] . إِمَامُ مَنِ اتَّقَى ، وَبَصَرُ مَنِ اهْتَدَى (مِنْهَا) لَوْ تَعْلَمُونَ مَا أَعْلَمُ مِمَّا طُوِيَ عَنْكُمْ غَيْبُهُ ، إِذًا لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعُدَاتِ [٣] تَبْكُونَ عَلَى أَعْمَالِكُمْ ، وَتَلْتَدِمُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ [٤] . وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا وَلَا

---

(١) وان : متباطىء متثاقل (٢) واهن ضعيف . والمعذر من يعتذر ولايثبت له عذر (٣) الصعدات بضمتين جمع صعيد بمعنى الطريق ، أى لتركتم منازلكم وهمتم في الطرق من شدة الخوف (٤) الالتدام ضرب النساء صدورهن أو وجوههن

خَالِفَ عَلَيْهَا[١] ، وَلَهَمَّتْ كُلَّ أمْرِىءٍ نَفْسُهُ[٢] لَا يَلْتَفِتُ إِلَى غَيْرِهَا . وَلٰكِنَّكُمْ نَسِيتُمْ مَا ذُكِّرْتُمْ ، وَأَمِنْتُمْ مَا حُذِّرْتُمْ ، فَتَاهَ عَنْكُمْ رَأْيُكُمْ ، وَتَشَتَّتَ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ . وَلَوَدِدْتُ أَنَّ ٱللهَ فَرَّقَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ هُوَ أَحَقُّ بِي مِنْكُمْ . قَوْمٌ وَٱللهِ مَيَامِينُ الرَّأْيِ[٣] ، مَرَاجِيحُ ٱلْحِلْمِ ، مَقَاوِيلُ بِالْحَقِّ ، مَتَارِيكُ لِلْبَغْيِ . مَضَوْا قُدُماً[٤] ، عَلَى ٱلطَّرِيقَةِ وَأَوْجَفُوا عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ[٥] ، فَظَفِرُوا بِالْعُقْبَى ٱلدَّائِمَةِ وَٱلْكَرَامَةِ ٱلْبَارِدَةِ[٦] . أَمَا وَٱللهِ لَيُسَلَّطَنَّ عَلَيْكُمْ غُلَامُ ثَقِيفٍ ٱلذَّيَّالُ ٱلْمَيَّالُ[٧] . يَأْكُلُ خَضِرَتَكُمْ وَيُذِيبُ شَحْمَتَكُمْ إِيهٍ أَبَا وَذَحَةَ . (أَقُولُ : ٱلْوَذَحَةُ ٱلْخُنْفَسَاءُ . وَهٰذَا ٱلْقَوْلُ يُومِئُ بِهِ إِلَى ٱلْحَجَّاجِ ، وَلَهُ مَعَ ٱلْوَذَحَةِ حَدِيثٌ[٨] لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ)

للنياحة (١) الخالف من تتركه فى أهلك ومالك إذا خرجت لسفر أو حرب (٢) همته: حزنته وشغلته (٣) ميامين ـ جمع ميمون ـ المبارك . ومراجيح أى حلماء ، من رجح إذا ثقل ومال بغيره . والمراد الرزانة أى رزناء الحلم بكسر الحاء وهو العقل . ومقاويل ـ جمع مقوال ـ من يحسن القول . ومتاريك ـ جمع متراك ـ المبالغ فى الترك (٤) القدم بضمتين المضى أمام ، أى سابقين (٥) الوجيف ضرب من سير الخيل والابل . وأوجف خيله سيرها بهذا النوع ، أى أسرعوا على الطريق المستقيمة (٦) من قولهم عيش بارد أى هنىء (٧) الذيال الطويل القد الطويل الذيل المتبختر فى مشيته (٨) قالوا ان الحجاج رأى خنفساء تدب إلى مصلاه فطردها فعادت ثم طردها فعادت فأخذها بيده فلسعته فورمت يده وأخذته حمى من اللسعة فأهلكته ، قتله الله بأضعف مخلوقاته وأهونها

(وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ)

فَلاَ أَمْوَالَ بَذَلْتُمُوهَا لِلَّذِي رَزَقَهَا، وَلاَ أَنْفُسَ خَاطَرْتُمْ بِهَا لِلَّذِي خَلَقَهَا. تَكْرُمُونَ بِاللهِ عَلَى عِبَادِهِ(١)، وَلاَ تُكْرِمُونَ اللهَ فِي عِبَادِهِ. فَاعْتَبِرُوا بِنُزُولِكُمْ مَنَازِلَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ، وَانْقِطَاعِكُمْ عَنْ أَوْصَلِ إِخْوَانِكُمْ

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

أَنْتُمُ الْأَنْصَارُ عَلَى الْحَقِّ، وَالْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ، وَالْجُنَنُ يَوْمَ الْبَأْسِ(٢)، وَالْبِطَانَةُ دُونَ النَّاسِ(٣). بِكُمْ أَضْرِبُ الْمُدْبِرَ، وَأَرْجُو طَاعَةَ الْمُقْبِلِ. فَأَعِينُونِي بِمُنَاصَحَةٍ خَلِيَّةٍ مِنَ الْغِشِّ سَلِيمَةٍ مِنَ الرَّيْبِ. فَوَاللهِ إِنِّي لَأَوْلَى النَّاسِ بِالنَّاسِ

وَمِنْ كَلاَمٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

وَقَدْ جَمَعَ النَّاسَ وَحَضَّهُمْ عَلَى الْجِهَادِ فَسَكَتُوا مَلِيّاً(٤)

فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ: مَا بَالُكُمْ أَمُخْرَسُونَ أَنْتُمْ؟ (فَقَالَ قَوْمٌ مِنْهُمْ: يَا أَمِيرَ

---

(١) كرم الشيء - كحسن يحسن - أي عز ونفس، أي أنكم تصيرون اعزاء بنسبتكم للايمان بالله ثم لا تبجلون الله ولا تعظمونه بالاحسان إلى عباده (٢) الجنن - بضم ففتح - جمع جنة بالضم وهي الوقاية . والباس الشدة (٣) بطانة الرجل خواصه وأصحاب سره (٤) قال بعضهم ان أمير المؤمنين قال هذا الكلام عند ما كان يغير أهل الشام على

الْمُؤْمِنِينَ إِنْ سِرْتَ سِرْنَا مَعَكَ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا بَالُكُمْ : لَا سُدِّدْتُمْ لِرُشْدٍ(١) ، وَلَا هُدِيتُمْ لِقَصْدٍ ، أَفِي مِثْلِ هٰذَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَخْرُجَ ؟ إِنَّمَا يَخْرُجُ فِي مِثْلِ هٰذَا رَجُلٌ مِمَّنْ أَرْضَاهُ مِنْ شُجْعَانِكُمْ وَذَوِي بَأْسِكُمْ ، وَلَا يَنْبَغِي لِي أَنْ أَدَعَ الْجُنْدَ وَالْمِصْرَ وَبَيْتَ الْمَالِ وَجِبَايَةَ الْأَرْضِ وَالْقَضَاءَ بَيْنَ الْمُسْلِمِينَ وَالنَّظَرَ فِي حُقُوقِ الْمُطَالِبِينَ ، ثُمَّ أَخْرُجَ فِي كَتِيبَةٍ أَتْبَعُ أُخْرَى أَتَقَلْقَلُ تَقَلْقُلَ الْقِدْحِ فِي الْجَفِيرِ الْفَارِغِ(٢) ، وَإِنَّمَا أَنَا قُطْبُ الرَّحَى تَدُورُ عَلَيَّ وَأَنَا بِمَكَانِي ، فَإِذَا فَارَقْتُهُ اسْتَحَارَ(٣) مَدَارُهَا وَاضْطَرَبَ ثِفَالُهَا(٤) هٰذَا لَعَمْرُ اللّٰهِ الرَّأْيُ السُّوءُ . وَاللّٰهِ لَوْلَا رَجَائِي الشَّهَادَةَ عِنْدَ لِقَائِي الْعَدُوَّ - لَوْ قَدْ حُمَّ لِي لِقَاؤُهُ -(٥) لَقَرَّبْتُ رِكَابِي(٦) ، ثُمَّ شَخَصْتُ عَنْكُمْ فَلَا أَطْلُبُكُمْ مَا اخْتَلَفَ جَنُوبٌ وَشَمَالٌ . إِنَّهُ لَا غَنَاءَ فِي كَثْرَةِ عَدَدِكُمْ(٧) مَعَ قِلَّةِ اجْتِمَاعِ قُلُوبِكُمْ . لَقَدْ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ الَّتِي لَا

أطراف أعماله بعد واقعة صفين (١) سدده : وفقه للسداد (٢) القدح بالكسر السهم قبل أن يراش وينصل . والجفير الكنانة توضع فيها السهام . وانما خص القدح لأنه يكون أشد قلقلة من السهم المراش حيث ان حد الريش قد يمنعه من القلقلة أو يخففها (٣) استحار : تردد واضطرب (٤) الثفال كغراب وكتاب: الحجر الأسفل من الرحى وككتاب ما وقيت به الرحى من الارض (٥) حم : قدر (٦) حزمت ابلي وأحضرتها للركوب . وشخصت أي بعدت عنكم وتخليت عن أمر الخلافة (٧) الغناء - بالفتح والمد - النفع

يَهْلِكُ عَلَيْهَا إِلَّا هَالِكٌ[١] ، مَنِ ٱسْتَقَامَ فَإِلَى ٱلْجَنَّةِ وَمَنْ زَلَّ فَإِلَى ٱلنَّارِ

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)

تَاللهِ لَقَدْ عَلِمْتُ تَبْلِيغَ ٱلرِّسَالَاتِ ، وَإِتْمَامَ ٱلْعِدَاتِ[٢] ، وَتَمَامَ ٱلْكَلِمَاتِ . وَعِنْدَنَا أَهْلَ ٱلْبَيْتِ أَبْوَابُ ٱلْحُكْمِ وَضِيَاءُ ٱلْأَمْرِ . أَلَا وَإِنَّ شَرَائِعَ ٱلدِّينِ وَاحِدَةٌ ، وَسُبُلَهُ قَاصِدَةٌ[٣] . مَنْ أَخَذَ بِهَا لَحِقَ وَغَنِمَ ، وَمَنْ وَقَفَ عَنْهَا ضَلَّ وَنَدِمَ . ٱعْمَلُوا لِيَوْمٍ تُذْخَرُ لَهُ ٱلذَّخَائِرُ ، وَتُبْلَى فِيهِ ٱلسَّرَائِرُ . وَمَنْ لَا يَنْفَعُهُ حَاضِرُ لُبِّهِ فَعَازِبُهُ عَنْهُ أَعْجَزُ[٤] ، وَغَائِبُهُ أَعْوَزُ[٥] . وَٱتَّقُوا نَارًا حَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَقَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحِلْيَتُهَا حَدِيدٌ ، وَشَرَابُهَا صَدِيدٌ[٦] . أَلَا وَإِنَّ ٱللِّسَانَ ٱلصَّالِحَ يَجْعَلُهُ ٱللهُ لِلْمَرْءِ فِي ٱلنَّاسِ خَيْرٌ لَهُ مِنَ ٱلْمَالِ يُورِثُهُ مَنْ لَا يَحْمَدُهُ[٧]

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)

وَقَدْ قَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ : نَهَيْتَنَا عَنِ ٱلْحُكُومَةِ ثُمَّ أَمَرْتَنَا

---

(١) الذى حتم هلاكه لتمكن الفساد من طبعه وجبلته (٢) جمع عدة بمعنى الوعد (٣) مستقيمة (٤) عازبه: غائبه، أى من لم ينتفع بعقله الموهب له الحاضر فى نفسه فأولى به أن لا ينتفع بعقل غيره الذى هو غائب عن نفسه . أى ليس من صفاتها بل من صفات الغير (٥) عوز الشىء كفرح : أى لم يوجد (٦) الصديد ماء الجرح الرقيق والحيم (٧) اللسان الصالح : الذكر الحسن

بِهَا فَمَا نَدْرِي أَيُّ الْأَمْرَيْنِ أَرْشَدُ؟ فَصَفَقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِحْدَى يَدَيْهِ عَلَى الْأُخْرَى ثُمَّ قَالَ:

هٰذَا جَزَاءُ مَنْ تَرَكَ الْعُقْدَةَ[1]. أَمَا وَاللهِ لَوْ أَنِّي حِينَ أَمَرْتُكُمْ بِمَا أَمَرْتُكُمْ بِهِ حَمَلْتُكُمْ عَلَى الْمَكْرُوهِ الَّذِي يَجْعَلُ اللهُ فِيهِ خَيْرًا، فَإِنِ اسْتَقَمْتُمْ هَدَيْتُكُمْ، وَإِنِ اعْوَجَجْتُمْ قَوَّمْتُكُمْ، وَإِنْ أَبَيْتُمْ تَدَارَكْتُكُمْ، لَكَانَتِ الْوُثْقَى، وَلٰكِنْ بِمَنْ وَإِلَى مَنْ؟. أُرِيدُ أَنْ أُدَاوِيَ بِكُمْ وَأَنْتُمْ دَائِي، كَنَاقِشِ الشَّوْكَةِ بِالشَّوْكَةِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّ ضَلْعَهَا مَعَهَا[2]. اللَّهُمَّ قَدْ مَلَّتْ أَطِبَّاءُ هٰذَا الدَّاءِ الدَّوِيِّ[3]، وَكَلَّتِ النَّزَعَةُ بِأَشْطَانِ الرَّكِيِّ[4]. أَيْنَ الْقَوْمُ الَّذِينَ دُعُوا إِلَى الْإِسْلَامِ فَقَبِلُوهُ، وَقَرَأُوا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ. وَهِيجُوا إِلَى الْقِتَالِ فَوَلِهُوا وَلَهَ اللِّقَاحِ إِلَى أَوْلَادِهَا[5]، وَسَلَبُوا السُّيُوفَ أَغْمَادَهَا. وَأَخَذُوا بِأَطْرَافِ الْأَرْضِ زَحْفًا زَحْفًا وَصَفًّا صَفًّا. بَعْضٌ هَلَكَ وَبَعْضٌ نَجَا. لَا يُبَشَّرُونَ بِالْأَحْيَاءِ[6]، وَلَا

---

(١) ما حصل عليه التعاقد من حرب الخارجين عن البيعة حتى يكون الظفر أو الهزيمة (٢) الضلع بتسكين اللام الميل. وأصل المثل «لا تنقش الشوكة بالشوكة فان ضلعها معها» يضرب للرجل يخاصم آخر ويستعين عليه بمن هو من قرابته أو أهل مشربه. ونقش الشوكة اخراجها من العضو تدخل فيه (٣) الدوى بفتح فكسر: المؤلم (٤) كلت: ضعفت. والنزعة جمع نازع. والاشطان جمع شطن وهو الحبل. والركى جمع ركية وهي البئر، أي ضعفت قوة النازعين لمياه المعونة من آبار هذه الهمم الغائضة الغائرة (٥) اللقاح جمع لقوح وهي الناقة. ووله‍ا الى اولادها فزعها اليها اذا فارقتها.

(٦) اذا قيل لهم نجا فلان فبقى حياً لا يفرحون لأن أفضل الحياة عندهم الموت في سبيل الحق. ولا يحزنون اذا قيل لهم مات فلان فان الموت عندهم حياة السعادة الابدية.

يُعَزَّوْنَ عَنِ ٱلْمَوْتَى . مُرْهُ ٱلْعُيُونِ مِنَ ٱلْبُكَاءِ[١] . خُمْصُ ٱلْبُطُونِ[٢] مِنَ ٱلصِّيَامِ . ذُبُلُ ٱلشِّفَاهِ مِنَ ٱلدُّعَاءِ[٣] . صُفْرُ ٱلْأَلْوَانِ مِنَ ٱلسَّهَرِ . عَلَى وُجُوهِهِمْ غَبَرَةُ ٱلْخَاشِعِينَ . أُولٰئِكَ إِخْوَانِي ٱلذَّاهِبُونَ . فَحَقَّ لَنَا أَنْ نَظْمَأَ إِلَيْهِمْ وَنَعَضَّ ٱلْأَيْدِيَ عَلَى فِرَاقِهِمْ . إِنَّ ٱلشَّيْطَانَ يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ[٤] ، وَيُرِيدُ أَنْ يَحُلَّ دِينَكُمْ عُقْدَةً عُقْدَةً ، وَيُعْطِيَكُمْ بِٱلْجَمَاعَةِ ٱلْفُرْقَةَ[٥] . فَاصْدِفُوا عَنْ نَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ[٦] . وَٱقْبَلُوا ٱلنَّصِيحَةَ مِمَّنْ أَهْدَاهَا إِلَيْكُمْ ، وَٱعْقِلُوهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ[٧] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَالَهُ لِلْخَوَارِجِ وَقَدْ خَرَجَ إِلَى مُعَسْكَرِهِمْ وَهُمْ مُقِيمُونَ عَلَى إِنْكَارِ ٱلْحُكُومَةِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

أَكُلُّكُمْ شَهِدَ مَعَنَا صِفِّينَ ؟ فَقَالُوا : مِنَّا مَنْ شَهِدَ وَمِنَّا مَنْ لَمْ يَشْهَدْ . قَالَ : فَٱمْتَازُوا فِرْقَتَيْنِ ، فَلْيَكُنْ مَنْ شَهِدَ صِفِّينَ فِرْقَةً ، وَمَنْ لَمْ يَشْهَدْهَا فِرْقَةً حَتَّى أُكَلِّمَ كُلًّا بِكَلَامِهِ . وَنَادَى ٱلنَّاسَ فَقَالَ : أَمْسِكُوا عَنِ ٱلْكَلَامِ وَأَنْصِتُوا لِقَوْلِي ، وَأَقْبِلُوا بِأَفْئِدَتِكُمْ إِلَيَّ ، فَمَنْ نَشَدْنَاهُ شَهَادَةً فَلْيَقُلْ بِعِلْمِهِ فِيهَا . ثُمَّ كَلَّمَهُمْ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ (مِنْهُ) :

---

(١) مره بضم فسكون جمع امره من مرهت عينه اذا فسدت او ابيضت حماليقها (٢) خمص البطون ضوامرها (٣) ذبلت شفته جفت ويبست لذهاب الريق (٤) يسنى يسهل (٥) يعطيكم الفرقة بدل الجماعة كأنه يبيعهم الثانية بالاولى (٦) فاصدفوا ، اي فأعرضوا عن وساوسه (٧) اعقلوها : احبسوها على انفسهم لا تتركوها فتضيع منكم فتخسرون .

أَلَمْ تَقُولُوا عِنْدَ رَفْعِهِمُ ٱلْمَصَاحِفَ حِيلَةً وَغِيلَةً ، وَمَكْرًا وَخَدِيعَةً : إِخْوَانُنَا وَأَهْلُ دَعْوَتِنَا ، ٱسْتَقَالُونَا وَٱسْتَرَاحُوا إِلَى كِتَابِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ ، فَالرَّأْيُ ٱلْقَبُولُ مِنْهُمْ وَٱلتَّنْفِيسُ عَنْهُمْ . فَقُلْتُ لَكُمْ : هٰذَا أَمْرٌ ظَاهِرُهُ إِيمَانٌ وَبَاطِنُهُ عُدْوَانٌ ، وَأَوَّلُهُ رَحْمَةٌ وَآخِرُهُ نَدَامَةٌ . فَأَقِيمُوا عَلَى شَأْنِكُمْ ، وَٱلْزَمُوا طَرِيقَتَكُمْ ، وَعَضُّوا عَلَى ٱلْجِهَادِ بِنَوَاجِذِكُمْ . وَلَا تَلْتَفِتُوا إِلَى نَاعِقٍ نَعَقَ : إِنْ أُجِيبَ أَضَلَّ ، وَإِنْ تُرِكَ ذَلَّ . وَقَدْ كَانَتْ هٰذِهِ ٱلْفَعْلَةُ ، وَقَدْ رَأَيْتُكُمْ أَعْطَيْتُمُوهَا[1] ، وَٱللهِ لَئِنْ أَبَيْتُهَا مَا وَجَبَتْ عَلَيَّ فَرِيضَتُهَا ، وَلَا حَمَّلَنِي ٱللهُ ذَنْبَهَا . وَوَٱللهِ إِنْ جِئْتُهَا إِنِّي لَلْمُحِقُّ ٱلَّذِي يُتَّبَعُ . وَإِنَّ ٱلْكِتَابَ لَمَعِي . مَا فَارَقْتُهُ مُذْ صَحِبْتُهُ . فَلَقَدْ كُنَّا مَعَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ ٱلْقَتْلَ لَيَدُورُ عَلَى ٱلْآبَاءِ وَٱلْأَبْنَاءِ وَٱلْإِخْوَانِ وَٱلْقَرَابَاتِ ، فَمَا نَزْدَادُ عَلَى كُلِّ مُصِيبَةٍ وَشِدَّةٍ إِلَّا إِيمَانًا ، وَمُضِيًّا عَلَى ٱلْحَقِّ ، وَتَسْلِيمًا لِلْأَمْرِ ، وَصَبْرًا عَلَى مَضَضِ ٱلْجِرَاحِ . وَلٰكِنَّا إِنَّمَا أَصْبَحْنَا نُقَاتِلُ إِخْوَانَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ عَلَى مَا دَخَلَ فِيهِ مِنَ ٱلزَّيْغِ وَٱلِاعْوِجَاجِ وَٱلشُّبْهَةِ وَٱلتَّأْوِيلِ .

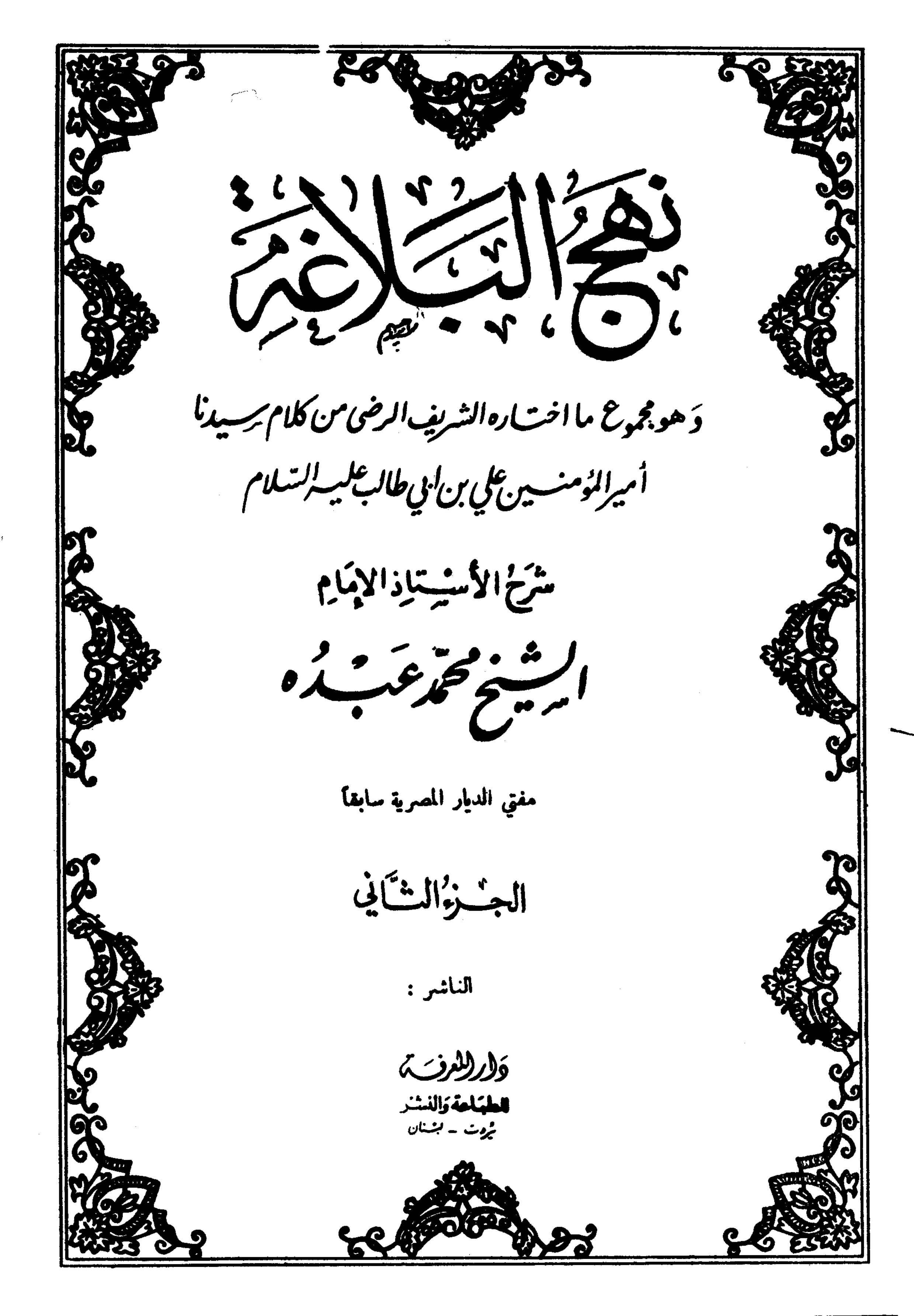
فَإِذَا طَمِعْنَا فِي خَصْلَةٍ[2] يَلُمُّ ٱللهُ بِهَا شَعَثَنَا وَنَتَدَانَى بِهَا إِلَى ٱلْبَقِيَّةِ فِيمَا بَيْنَنَا رَغِبْنَا فِيهَا وَأَمْسَكْنَا عَمَّا سِوَاهَا .

---

(١) انتم الذين اعطيتم لها صورتها هذه التي صارت عليها برأيكم (٢) المراد من الخصلة بالفتح هنا الوسيلة . ولم شعثه : جمع امره . ونتدانى : نتقارب الى ما بقي بيننا من علائق الارتباط .

فهرست الجزء الاول من نهج البلاغة

[تم الجزء الاول]



نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية سابقاً

الجزء الثاني

الناشر :

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بسم الله الرحمن الرحيم

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قاله لأصحابه في ساحة الحرب

وَأَيُّ ٱمْرِىءٍ مِنْكُمْ أَحَسَّ مِنْ نَفْسِهِ رِبَاطَةَ جَأْشٍ عِنْدَ ٱللِّقَاءِ(٢) ، وَرَأَى مِنْ أَحَدٍ مِنْ إِخْوَانِهِ فَشَلاً فَلْيَذُبَّ عَنْ أَخِيهِ(٣) بِفَضْلِ نَجْدَتِهِ ٱلَّتِي فُضِّلَ بِهَا عَلَيْهِ كَمَا يَذُبُّ عَنْ نَفْسِهِ . فَلَوْ شَاءَ ٱللهُ لَجَعَلَهُ مِثْلَهُ . إِنَّ ٱلْمَوْتَ طَالِبٌ حَثِيثٌ لَا يَفُوتُهُ ٱلْمُقِيمُ وَلَا يُعْجِزُهُ ٱلْهَارِبُ . إِنَّ أَكْرَمَ ٱلْمَوْتِ ٱلْقَتْلُ(٤) . وَٱلَّذِي نَفْسُ ٱبْنِ أَبِي طَالِبٍ بِيَدِهِ لَأَلْفُ ضَرْبَةٍ بِالسَّيْفِ أَهْوَنُ عَلَيَّ مِنْ مِيتَةٍ عَلَى ٱلْفِرَاشِ (مِنْهُ) وَكَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْكُمْ تَكِشُّونَ كَشِيشَ ٱلضِّبَابِ(٥) . لَا تَأْخُذُونَ حَقّاً وَلَا تَمْنَعُونَ ضَيْماً . قَدْ خُلِّيتُمْ وَٱلطَّرِيقَ(٦) . فَالنَّجَاةُ لِلْمُقْتَحِمِ وَٱلْهَلَكَةُ لِلْمُتَلَوِّمِ (مِنْهُ) فَقَدِّمُوا

---

(١) رباطة الجأش: قوة القلب عند لقاء الاعداء (٢) الفشل: الضعف وقوله فليذب أي فليدفع والنجدة بالفتح: الشجاعة (٣) في سبيل الحماية عن الحق ورد كيد الباطل عنه (٤) كشيش الضباب صوت احتكاك جلودها عند ازدحامها ، والمراد حكاية حالهم عند الهزيمة (٥) قد خلى بينكم وبين طريق الآخرة . فمن اقتحم أخطار القتال ورمى

الدَّارِعَ[١]، وَأَخِّرُوا الْحَاسِرَ، وَعَضُّوا عَلَى الْأَضْرَاسِ، فَإِنَّهُ أَنْبَى لِلسُّيُوفِ عَنِ الْهَامِ[٢]. وَالْتَوُوا فِي أَطْرَافِ الرِّمَاحِ[٣] فَإِنَّهُ أَمْوَرُ لِلْأَسِنَّةِ. وَغُضُّوا الْأَبْصَارَ فَإِنَّهُ أَرْبَطُ لِلْجَأْشِ وَأَسْكَنُ لِلْقُلُوبِ. وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. وَرَايَتَكُمْ فَلَا تُمِيلُوهَا وَلَا تُخِلُّوهَا، وَلَا تَجْعَلُوهَا إِلَّا بِأَيْدِي شُجْعَانِكُمْ وَالْمَانِعِينَ الذِّمَارَ مِنْكُمْ[٤]، فَإِنَّ الصَّابِرِينَ عَلَى نُزُولِ الْحَقَائِقِ[٥] هُمُ الَّذِينَ يَحُفُّونَ بِرَايَاتِهِمْ، وَيَكْتَنِفُونَ حِفَافَيْهَا: وَرَاءَهَا وَأَمَامَهَا. وَلَا يَتَأَخَّرُونَ عَنْهَا فَيُسْلِمُوهَا، وَلَا يَتَقَدَّمُونَ عَلَيْهَا فَيُفْرِدُوهَا. أَجْزَأَ امْرُؤٌ قِرْنَهُ[٦]، وَآسَى أَخَاهُ بِنَفْسِهِ، وَلَمْ يَكِلْ قِرْنَهُ إِلَى أَخِيهِ فَيَجْتَمِعَ عَلَيْهِ قِرْنُهُ وَقِرْنُ أَخِيهِ. وَايْمُ اللَّهِ لَئِنْ فَرَرْتُمْ مِنْ سَيْفِ الْعَاجِلَةِ لَا تَسْلَمُوا مِنْ سَيْفِ الْآخِرَةِ. وَأَنْتُمْ لَهَامِيمُ الْعَرَبِ[٧]

بنفسه اليها فقد نجا، ومن تلوم أى توقف وتباطأ فقد هلك (١) الدارع لابس الدرع، والحاسر من لادرع له (٢) أنبى: من نبا السيف إذا دفعته الصلابة من موقعه فلم يقطع (٣) إذا وصلت اليكم أطراف الرماح فانعطفوا وأميلوا جانبكم فتزلق ولا تنفذ فيكم أسنتها، وأمور أى أشد فعلا للمور وهو الاضطرب الموجب للانزلاق وعدم النفوذ (٤) الذمار بالكسر مايلزم الرجل حفظه وحمايته من ماله وعرضه (٥) جمع حاقة وهى النازلة الثابتة، ويحفون بالرايات أى يستديرون حولها، ويكتنفونها: يحيطون بها، وحفافيها: جانبيها (٦) أجزأ وما بعده أفعال ماضية فى معنى الأمر أى فليكف كل منكم قرنه أى كفؤه وخصمه فيقتله وليواس أخاه. آساه يؤاسيه: قواه، رباعى ثلاثيه أسى البناء إذا قوى، ومنه الأسية للمحكم من البناء والدعامة ولا يترك خصمه إلى أخيه فيجتمع على أخيه خصمان فيغلبانه ثم ينقلبان عليه فيهلكانه (٧) لهاميم جمع لهميم بالكسر: الجواد السابق من الانسان والخيل

وَالسَّنَامُ الْأَعْظَمُ . إِنَّ فِي الْفِرَارِ مَوْجِدَةَ اللهِ[١] ، وَالذُّلَّ اللَّازِمَ وَالْعَارَ الْبَاقِيَ . وَإِنَّ الْفَارَّ لَغَيْرُ مَزِيدٍ فِي عُمُرِهِ وَلَا مَحْجُوزٍ بَيْنَهُ وَبَيْنَ يَوْمِهِ . الرَّائِحُ[*] إِلَى اللهِ كَالظَّمْآنِ يَرِدُ الْمَاءَ . الْجَنَّةُ تَحْتَ أَطْرَافِ الْعَوَالِي[٢] . الْيَوْمَ تُبْلَى الْأَخْبَارُ[٣] . وَاللهِ لَأَنَا أَشْوَقُ إِلَى لِقَائِهِمْ مِنْهُمْ إِلَى دِيَارِهِمْ . اللَّهُمَّ فَإِنْ رَدُّوا الْحَقَّ فَافْضُضْ جَمَاعَتَهُمْ ، وَشَتِّتْ كَلِمَتَهُمْ ، وَأَبْسِلْهُمْ بِخَطَايَاهُمْ[٤] . إِنَّهُمْ لَنْ يَزُولُوا عَنْ مَوَاقِفِهِمْ دُونَ طَعْنٍ دِرَاكٍ[٥] . يَخْرُجُ مِنْهُ النَّسِيمُ ، وَضَرْبٍ يَفْلِقُ الْهَامَ ، وَيُطِيحُ الْعِظَامَ ، وَيُنْدِرُ السَّوَاعِدَ وَالْأَقْدَامَ[٦] . وَحَتَّى يُرْمَوْا بِالْمَنَاسِرِ تَتْبَعُهَا الْمَنَاسِرُ[٧] ، وَيُرْجَمُوا بِالْكَتَائِبِ تَقْفُوهَا الْحَلَائِبُ[٨] . وَحَتَّى يُجَرَّ بِبِلَادِهِمُ الْخَمِيسُ يَتْلُوهُ الْخَمِيسُ ، وَحَتَّى تَدْعَقَ الْخُيُولُ فِي نَوَاحِرِ أَرْضِهِمْ[٩] ، وَبِأَعْنَانِ مَسَارِبِهِمْ وَمَسَارِحِهِمْ[١٠]

---

(١) موجدته: غضبه (٢) الرماح (٣) تبلى: تمتحن أخبار كل امرئ عما فى قلبه من دعوى الشجاعة والصدق فى الايمان فيتبين الصادق من الكاذب (٤) أبسله: أسلمه للهلكة (٥) دراك ـ ككتاب ـ متتابع متوال يفتح فى أبدانهم أبواباً يمر منها النسيم (٦) يندرها كيهلكها أى يسقطها (٧) المناسر جمع منسر كمجلس القطعة من الجيش تكون أمام الجيش الأعظم (٨) الكتائب جمع كتيبة من المائة إلى الألف: والحلائب جمع حلبة على مافى القاموس الجماعة من الخيل تجتمع من كل صوب للنصرة ، والخميس الجيش العظيم وقيل من أربعة آلاف إلى اثنى عشر ألفاً (٩) دعق الطريق ـ كمنع ـ وطئه وطئاً شديداً . ودعق الغارة بثها (١٠) أعنان الشىء أطرافه ، والمسارب المذاهب للرعى

(*) فى نسخة : من رائح .

(أَقُولُ : الدَّعْقُ : الدَّقُّ ، أَيْ تَدُقُّ الْخُيُولُ بِحَوَافِرِهَا أَرْضَهُمْ . وَنَوَاحِرُ أَرْضِهِمْ مُتَقَابِلَاتُهُمَا . يُقَالُ : مَنَازِلُ بَنِي فُلَانٍ تَتَنَاحَرُ ، أَيْ تَتَقَابَلُ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في التحكيم

إِنَّا لَمْ نُحَكِّمِ الرِّجَالَ وَإِنَّمَا حَكَّمْنَا الْقُرْآنَ . وَهٰذَا الْقُرْآنُ إِنَّمَا هُوَ خَطٌّ مَسْتُورٌ بَيْنَ الدَّفَّتَيْنِ[1] لَا يَنْطِقُ بِلِسَانٍ ، وَلَا بُدَّ لَهُ مِنْ تَرْجُمَانٍ . وَإِنَّمَا يَنْطِقُ عَنْهُ الرِّجَالُ . وَلَمَّا دَعَانَا الْقَوْمُ إِلَى أَنْ نُحَكِّمَ بَيْنَنَا الْقُرْآنَ لَمْ نَكُنِ الْفَرِيقَ الْمُتَوَلِّيَ عَنْ كِتَابِ اللّٰهِ تَعَالَى . وَقَدْ قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ « فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللّٰهِ وَالرَّسُولِ » . فَرَدُّهُ إِلَى اللّٰهِ أَنْ نَحْكُمَ بِكِتَابِهِ ، وَرَدُّهُ إِلَى الرَّسُولِ أَنْ نَأْخُذَ بِسُنَّتِهِ ، فَإِذَا حُكِمَ بِالصِّدْقِ فِي كِتَابِ اللّٰهِ فَنَحْنُ أَحَقُّ النَّاسِ بِهِ ، وَإِنْ حُكِمَ بِسُنَّةِ رَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَنَحْنُ أَوْلَاهُمْ بِهِ . وَأَمَّا قَوْلُكُمْ لِمَ جَعَلْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ أَجَلًا فِي التَّحْكِيمِ ، فَإِنَّمَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ لِيَتَبَيَّنَ الْجَاهِلُ وَيَتَثَبَّتَ الْعَالِمُ . وَلَعَلَّ اللّٰهَ أَنْ يُصْلِحَ فِي هٰذِهِ الْهُدْنَةِ أَمْرَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ ، وَلَا تُؤْخَذَ بِأَكْظَامِهَا[2] فَتَعْجَلَ عَنْ تَبَيُّنِ الْحَقِّ

---

(١) الدفتان صفحتان من جلد تحويان ورق المصحف (٢) الاكظام جمع كظم محركة

وَتَنْقَادَ لِأَوَّلِ الْغَيِّ. إِنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ مَنْ كَانَ الْعَمَلُ بِالْحَقِّ أَحَبَّ إِلَيْهِ ـ وَإِنْ نَقَصَهُ وَكَرَثَهُ(١) ـ مِنَ الْبَاطِلِ وَإِنْ جَرَّ إِلَيْهِ فَائِدَةً وَزَادَهُ. فَأَيْنَ يُتَاهُ بِكُمْ ! . وَمِنْ أَيْنَ أُتِيتُمْ ! . اسْتَعِدُّوا لِلْمَسِيرِ إِلَى قَوْمٍ حَيَارَى عَنِ الْحَقِّ لَا يُبْصِرُونَهُ ، وَمُوزَعِينَ بِالْجَوْرِ(٢) لَا يَعْدِلُونَ بِهِ . جُفَاةٍ عَنِ الْكِتَابِ . نُكُبٍ عَنِ الطَّرِيقِ(٣) . مَا أَنْتُمْ بِوَثِيقَةٍ يُعْلَقُ بِهَا(٤) ، وَلَا زَوَافِرِ عِزٍّ يُعْتَصَمُ إِلَيْهَا(٥) . لَبِئْسَ حُشَّاشُ نَارِ الْحَرْبِ أَنْتُمْ(٦) . أُفٍّ لَكُمْ ! لَقَدْ لَقِيتُ مِنْكُمْ بَرَحاً(٧) ، يَوْماً أُنَادِيكُمْ وَيَوْماً أُنَاجِيكُمْ ، فَلَا أَحْرَارُ عِنْدَ النِّدَاءِ ، وَلَا إِخْوَانُ ثِقَةٍ عِنْدَ النَّجَاءِ(٨)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لما عوتب على التسوية في العطاء

أَتَأْمُرُونِي أَنْ أَطْلُبَ النَّصْرَ بِالْجَوْرِ فِيمَنْ وُلِّيتُ عَلَيْهِ ، وَاللهِ

مخرج النفس . والأخذ بالاكظام المضايقة والاشتداد بسلب المهلة (١) كرثه ـ كنصره وضربه ـ اشتد عليه الغم بحكم الحق فان الحزن بالحق مسرة لديه. والمسرة بالباطل زهرة ثمرتها الغم الدائم ، وقوله من الباطل متعلق بأحب (٢) موزعين من أوزعه أى أغراه وقوله لايعدلون به أى لايستبدلونه بالعدل (٣) نكب ـ جمع ناكب ـ الحائد عن الطريق (٤) أى بعروة وثيقة يستمسك بها (٥) زافرة الرجل أنصاره وأعوانه (٦) الحشاش جمع حاش من حش النار أى أوقدها، أى لبئس الموقدون لنار الحرب أنتم (٧) برحا ـ بالفتح ـ شرا وشدة (٨) النجاء الافضاء بالسر والتكلم مع شخص بحيث لايسمع الآخر

مَا أَطُورُ بِهِ مَا سَمَرَ سَمِيرٌ(١)، وَمَا أَمَّ نَجْمٌ فِي السَّمَاءِ نَجْماً(٢). لَوْ كَانَ الْمَالُ لِي لَسَوَّيْتُ بَيْنَهُمْ فَكَيْفَ وَإِنَّمَا الْمَالُ مَالُ اللَّهِ. أَلَا وَإِنَّ إِعْطَاءَ الْمَالِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ تَبْذِيرٌ وَإِسْرَافٌ، وَهُوَ يَرْفَعُ صَاحِبَهُ فِي الدُّنْيَا وَيَضَعُهُ فِي الْآخِرَةِ، وَيُكْرِمُهُ فِي النَّاسِ وَيُهِينُهُ عِنْدَ اللَّهِ. وَلَمْ يَضَعِ امْرُؤٌ مَالَهُ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَلَا عِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ إِلَّا حَرَمَهُ اللَّهُ شُكْرَهُمْ، وَكَانَ لِغَيْرِهِ وُدُّهُمْ. فَإِنْ زَلَّتْ بِهِ النَّعْلُ يَوْماً فَاحْتَاجَ إِلَى مَعُونَتِهِمْ فَشَرُّ خَدِينٍ(٣)، وَأَلْأَمُ خَلِيلٍ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلْخَوَارِجِ أَيْضاً

فَإِنْ أَبَيْتُمْ إِلَّا أَنْ تَزْعُمُوا أَنِّي أَخْطَأْتُ وَضَلَلْتُ، فَلِمَ تُضَلِّلُونَ عَامَّةَ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِضَلَالِي، وَتَأْخُذُونَهُمْ بِخَطَائِي، وَتُكَفِّرُونَهُمْ بِذُنُوبِي. سُيُوفُكُمْ عَلَى عَوَاتِقِكُمْ تَضَعُونَهَا مَوَاضِعَ الْبُرْءِ وَالسُّقْمِ، وَتَخْلِطُونَ مَنْ أَذْنَبَ بِمَنْ لَمْ يُذْنِبْ. وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَمَ الزَّانِيَ الْمُحْصَنَ ثُمَّ صَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ وَرَّثَهُ أَهْلَهُ. وَقَتَلَ الْقَاتِلَ وَوَرَّثَ مِيرَاثَهُ أَهْلَهُ. وَقَطَعَ السَّارِقَ وَجَلَدَ الزَّانِيَ غَيْرَ الْمُحْصَنِ.

---

(١) ما أطور به من طار يطور: حام حول الشيء، أي ما أمر به ولا أقارب به مبالغة في الابتعاد عن العمل بما يقولون. وما سمر سمير أي مدى الدهر (٢) أي ما قصد نجم نجماً (٣) صديق

ثُمَّ قَسَمَ عَلَيْهِمَا مِنَ الْفَيْءِ وَنَكَحَا الْمُسْلِمَاتِ ، فَأَخَذَهُمْ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِذُنُوبِهِمْ ، وَأَقَامَ حَقَّ اللهِ فِيهِمْ ، وَلَمْ يَمْنَعْهُمْ سَهْمَهُمْ مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَمْ يُخْرِجْ أَسْمَاءَهُمْ مِنْ بَيْنِ أَهْلِهِ[١] . ثُمَّ أَنْتُمْ شِرَارُ النَّاسِ ، وَمَنْ رَمَى بِهِ الشَّيْطَانُ مَرَامِيَهُ ، وَضَرَبَ بِهِ تِيهَهُ[٢] .

وَسَيَهْلِكُ فِيَّ صِنْفَانِ : مُحِبٌّ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْحُبُّ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَمُبْغِضٌ مُفْرِطٌ يَذْهَبُ بِهِ الْبُغْضُ إِلَى غَيْرِ الْحَقِّ ، وَخَيْرُ النَّاسِ فِيَّ حَالاً النَّمَطُ الْأَوْسَطُ ، فَالْزَمُوهُ وَالْزَمُوا السَّوَادَ الْأَعْظَمَ فَإِنَّ يَدَ اللهِ عَلَى الْجَمَاعَةِ . وَإِيَّاكُمْ وَالْفُرْقَةَ فَإِنَّ الشَّاذَّ مِنَ النَّاسِ لِلشَّيْطَانِ كَمَا أَنَّ الشَّاذَّ مِنَ الْغَنَمِ لِلذِّئْبِ أَلَا مَنْ دَعَا إِلَى هٰذَا الشِّعَارِ فَاقْتُلُوهُ وَلَوْ كَانَ تَحْتَ عِمَامَتِي هٰذِهِ[٣] وَإِنَّمَا حُكِّمَ الْحَكَمَانِ لِيُحْيِيَا مَا أَحْيَا الْقُرْآنُ وَيُمِيتَا مَا أَمَاتَ الْقُرْآنُ . وَإِحْيَاؤُهُ الِاجْتِمَاعُ عَلَيْهِ ، وَإِمَاتَتُهُ الِافْتِرَاقُ عَنْهُ . فَإِنْ جَرَّنَا الْقُرْآنُ إِلَيْهِمْ اتَّبَعْنَاهُمْ ، وَإِنْ جَرَّهُمْ إِلَيْنَا اتَّبَعُونَا . فَلَمْ آتِ ـ لَا أَبَا لَكُمْ ـ بُجْراً[٤] ، وَلَا خَتَلْتُكُمْ عَنْ أَمْرِكُمْ[٥]

---

(١) كان من زعم الخوارج أن من أخطأ وأذنب فقد كفر ، فأراد الامام أن يقيم الحجة على بطلان زعمهم بما رواه عن النبي صلى الله عليه وسلم (٢) سلك به فى بادية ضلاله (٣) الشعار علامة القوم فى الحرب والسفر، وهو مايتنادون به ليعرف بعضهم بعضاً . قيل كان شعار الخوارج « لاحكم الالله» وقيل المراد بهذا الشعار هو ما امتازوا به من الخروج عن الجماعة، فيريد الامام أن كل خارج عن رأى الجماعة مستبد برأيه عامل على التصرف بهواه فهو واجب القتل وإلا كان أمره فتنة وتفريقاً بين المؤمنين (٤) البجر ـ بالضم ـ الشر والأمر العظيم (٥) ختلتكم : خدعتكم .

وَلَا لَبَسْتُهُ عَلَيْكُمْ ، إِنَّمَا اجْتَمَعَ رَأْيُ مَلَإِكُمْ عَلَى اخْتِيَارِ رَجُلَيْنِ أَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ لَا يَتَعَدَّيَا الْقُرْآنَ فَتَاهَا عَنْهُ، وَتَرَكَا الْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ، وَكَانَ الْجَوْرُ هَوَاهُمَا فَمَضَيَا عَلَيْهِ . وَقَدْ سَبَقَ اسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا ـ فِي الْحُكُومَةِ بِالْعَدْلِ وَالصَّمْدِ لِلْحَقِّ ـ سُوءَ رَأْيِهِمَا(١) وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فيما يخبر به من الملاحم بالبصرة (٢)

يَا أَحْنَفُ كَأَنِّي بِهِ وَقَدْ سَارَ بِالْجَيْشِ الَّذِي لَا يَكُونُ لَهُ غُبَارٌ وَلَا لَجَبٌ(٣) ، وَلَا قَعْقَعَةُ لُجُمٍ ، وَلَا حَمْحَمَةُ خَيْلٍ(٤). يُثِيرُونَ الْأَرْضَ بِأَقْدَامِهِمْ كَأَنَّهَا أَقْدَامُ النَّعَامِ (يُومِي بِذَلِكَ إِلَى صَاحِبِ الزَّنْجِ. ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ): وَيْلٌ لِسِكَكِكُمُ الْعَامِرَةِ(٥) ، وَالدُّورِ الْمُزَخْرَفَةِ الَّتِي لَهَا أَجْنِحَةٌ كَأَجْنِحَةِ النُّسُورِ(٦) ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ الْفِيَلَةِ، مِنْ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَا يُنْدَبُ

والتلبيس خلط الأمر وتشبيهه حتى لايعرف وجه الحق فيه (١) الصمد: القصد. وسوء مفعول لاستثناؤنا (٢) الملاحم جمع ملحمة وهى الواقعة العظيمة (٣) اللجب الصياح. واللجم جمع لجام. وقعقعتها مايسمع من صوت اضطرابها بين أسنان الخيل (٤) الحمحمة صوت البرذون عند الشعير وعر الفرس (أى صوته) عند مايقصر فى الصهيل و يستعين بنفسه (٥) جمع سكة: الطريق المستوى وهو إخبار عما يصيب تلك الطرق من تخريب ما حواليها من البنيان على يد صاحب الزنج ، وقد تقدم خبره فى قيامه وسقوطه فراجعه (٦) أجنحة الدور رواشنها . وقيل ان الجناح والروشن يشتركان فى إخراج

قَتلُهُمْ[1]، وَلَا يُفْتَقَدُ غَائِبُهُمْ. أَنَا كَابُّ ٱلدُّنْيَا لِوَجْهِهَا، وَقَادِرُهَا بِقَدْرِهَا، وَنَاظِرُهَا بِعَيْنِهَا

(مِنْهُ، وَيُومِي بِهِ إِلَى وَصْفِ ٱلْأَتْرَاكِ) كَأَنِّي أَرَاهُمْ قَوْمًا كَأَنَّ وُجُوهَهُمُ ٱلْمَجَانُّ ٱلْمُطَرَّقَةُ[2]، يَلْبَسُونَ ٱلسَّرَقَ وَٱلدِّيبَاجَ[3]، وَيَعْتَقِبُونَ ٱلْخَيْلَ ٱلْعِتَاقَ[4]. وَيَكُونُ هُنَاكَ ٱسْتِحْرَارُ قَتْلٍ حَتَّى[5] يَمْشِيَ ٱلْمَجْرُوحُ عَلَى ٱلْمَقْتُولِ، وَيَكُونَ ٱلْمُفْلِتُ أَقَلَّ مِنَ ٱلْمَأْسُورِ (فَقَالَ لَهُ بَعْضُ أَصْحَابِهِ: لَقَدْ أُعْطِيتَ يَاأَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عِلْمَ ٱلْغَيْبِ، فَضَحِكَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَقَالَ لِلرَّجُلِ وَكَانَ كَلْبِيًّا): يَاأَخَا كَلْبٍ لَيْسَ هُوَ بِعِلْمِ غَيْبٍ، وَإِنَّمَا هُوَ تَعَلُّمٌ مِنْ ذِي عِلْمٍ. وَإِنَّمَا عِلْمُ ٱلْغَيْبِ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا عَدَّدَ ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ «إِنَّ ٱللّٰهَ عِنْدَهُ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ» ٱلْآيَةَ، فَيَعْلَمُ سُبْحَانَهُ مَا فِي ٱلْأَرْحَامِ مِنْ ذَكَرٍ

الخشب من حائط الدار إلى الطريق بحيث لايصل إلى جدار آخر يقابله وإلا فهو الساباط، ويختلفان فى أن الجناح توضع له أعمدة من الطريق بخلاف الروشن، وخراطيمها مايعمل من الاخشاب والبوارى بارزة عن السقوف لوقاية الغرف عن الأمطار وشعاع الشمس. أو الخراطيم هى الميازيب تطلى بالقار على طول نحو خمسة أذرع أو أزيد

(١) أولئك أصحاب الزنجى لأنهم عبيد (٢) فى القاموس أى التى يطرق بعضها على بعض كالنعل المطرقة أى المخصوفة،وهو عجز عن التعبير ،والأحسن أن يقال أى التى الزق بها الطراق ـ ككتاب ـ وهو جلد يقور على مقدار الترس ثم يلزق به (٣) السرق ـ بالتحريك ـ شقق الحرير الأبيض أو هو الحرير عامة (٤) يعتقبون: يحتبسون كرائم الخيل ويمنعونها غيرهم (٥) استحرار القتل: اشتداده

أَوْ أُنْثَى ، وَقَبِيحٍ أَوْ جَمِيلٍ ، وَسَخِيٍّ أَوْ بَخِيلٍ ، وَشَقِيٍّ أَوْ سَعِيدٍ ، وَمَنْ يَكُونُ فِي النَّارِ حَطَباً ، أَوْ فِي الْجِنَانِ لِلنَّبِيِّينَ مُرَافِقاً . فَهَذَا عِلْمُ الْغَيْبِ الَّذِي لَا يَعْلَمُهُ أَحَدٌ إِلَّا اللهُ ، وَمَا سِوَى ذٰلِكَ فَعِلْمٌ عَلَّمَهُ اللهُ نَبِيَّهُ فَعَلَّمَنِيهِ ، وَدَعَا لِي بِأَنْ يَعِيَهُ صَدْرِي ، وَتَضْطَمَّ عَلَيْهِ جَوَانِحِي[1]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي ذِكْرِ المكاييل والموازين

عِبَادَ اللهِ ، إِنَّكُمْ ـ وَمَا تَأْمُلُونَ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا أَثْوِيَاءُ . مُؤَجَّلُونَ[2] وَمَدِينُونَ مُقْتَضَوْنَ . أَجَلٌ مَنْقُوصٌ وَعَمَلٌ مَحْفُوظٌ . فَرُبَّ دَائِبٍ مُضَيِّعٌ[3] ، وَرُبَّ كَادِحٍ خَاسِرٌ . وَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي زَمَنٍ لَا يَزْدَادُ الْخَيْرُ فِيهِ إِلَّا إِدْبَارًا ، وَلَا الشَّرُّ إِلَّا إِقْبَالًا ، وَلَا الشَّيْطَانُ فِي هَلَاكِ النَّاسِ إِلَّا طَمَعاً . فَهَذَا أَوَانٌ قَوِيَتْ عُدَّتُهُ[4] ، وَعَمَّتْ مَكِيدَتُهُ ، وَأَمْكَنَتْ فَرِيسَتُهُ[5] . اُضْرِبْ بِطَرْفِكَ حَيْثُ شِئْتَ مِنَ النَّاسِ فَهَلْ تُبْصِرُ إِلَّا فَقِيرًا

---

(١) تضطم : هو افتعال من الضم ، أى وتنضم عليه جوانحى . والجوانح الاضلاع تحت الترائب مما يلى الصدر . وانضمامها عليه اشتمالها على قلب يعيها (٢) أثوياء جمع ثوى كغنى وهو الضيف (٣) الدائب المداوم فى العمل . والكادح الساعى لنفسه بجهد ومشقة، والمراد من يقصر سعيه على جمع حطام الدنيا (٤) الضمير للشيطان (٥) أمكنت الفريسة : أى سهلت و تيسرت

يُكَابِدُ فَقْرًا، أَوْ غَنِيًّا بَدَّلَ نِعْمَةَ اللهِ كُفْرًا، أَوْ بَخِيلًا اتَّخَذَ الْبُخْلَ بِحَقِّ اللهِ وَفْرًا، أَوْ مُتَمَرِّدًا كَأَنَّ بِأُذُنِهِ عَنْ سَمْعِ الْمَوَاعِظِ وَقْرًا. أَيْنَ خِيَارُكُمْ وَصُلَحَاؤُكُمْ وَأَيْنَ أَحْرَارُكُمْ وَسُمَحَاؤُكُمْ وَأَيْنَ الْمُتَوَرِّعُونَ فِي مَكَاسِبِهِمْ، وَالْمُتَنَزِّهُونَ فِي مَذَاهِبِهِمْ. أَلَيْسَ قَدْ ظَعَنُوا جَمِيعًا عَنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا الدَّنِيَّةِ وَالْعَاجِلَةِ الْمُنَغِّصَةِ. وَهَلْ خُلِقْتُمْ إِلَّا فِي حُثَالَةٍ[1] لَا تَلْتَقِي بِذَمِّهِمُ الشَّفَتَانِ، اسْتِصْغَارًا لِقَدْرِهِمْ، وَذَهَابًا عَنْ ذِكْرِهِمْ، فَإِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. ظَهَرَ الْفَسَادُ فَلَا مُنْكِرٌ مُغَيِّرٌ، وَلَا زَاجِرٌ مُزْدَجِرٌ. أَفَبِهٰذَا تُرِيدُونَ أَنْ تُجَاوِرُوا اللهَ فِي دَارِ قُدْسِهِ، وَتَكُونُوا أَعَزَّ أَوْلِيَائِهِ عِنْدَهُ؟ هَيْهَاتَ لَا يُخْدَعُ اللهُ عَنْ جَنَّتِهِ، وَلَا تُنَالُ مَرْضَاتُهُ إِلَّا بِطَاعَتِهِ. لَعَنَ اللهُ الْآمِرِينَ بِالْمَعْرُوفِ التَّارِكِينَ لَهُ، وَالنَّاهِينَ عَنِ الْمُنْكَرِ الْعَامِلِينَ بِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِأَبِي ذَرٍّ رحمه الله لما خرج إلى الرَّبَذَةِ[2]

يَا أَبَا ذَرٍّ، إِنَّكَ غَضِبْتَ لِلهِ فَارْجُ مَنْ غَضِبْتَ لَهُ. إِنَّ الْقَوْمَ خَافُوكَ عَلَى دُنْيَاهُمْ وَخِفْتَهُمْ عَلَى دِينِكَ، فَاتْرُكْ فِي أَيْدِيهِمْ مَا خَافُوكَ عَلَيْهِ،

(١) الحثالة ـ بالضم ـ الردىء من كل شيء. والمراد قزم الناس وصغراء النفوس

(٢) محركة: موضع على قرب من المدينة المنورة فيه قبر أبي ذر الغفاري رضي الله عنه والذي أخرجه اليه الخليفة الثالث رضي الله عنه

وَأَهْرُبْ مِنْهُمْ بِمَا خِفْتَهُمْ عَلَيْهِ . فَمَا أَحْوَجَهُمْ إِلَى مَا مَنَعْتَهُمْ وَمَا أَغْنَاكَ عَمَّا مَنَعُوكَ . وَسَتَعْلَمُ مَنِ الرَّابِحُ غَدًا ، وَالْأَكْثَرُ حُسَّدًا . وَلَوْ أَنَّ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرَضِينَ كَانَتَا عَلَى عَبْدٍ رَتْقًا ثُمَّ اتَّقَى اللّٰهَ لَجَعَلَ اللّٰهُ لَهُ مِنْهُمَا مَخْرَجًا ، وَلَا يُؤْنِسَنَّكَ إِلَّا الْحَقُّ ، وَلَا يُوحِشَنَّكَ إِلَّا الْبَاطِلُ . فَلَوْ قَبِلْتَ دُنْيَاهُمْ لَأَحَبُّوكَ ، وَلَوْ قَرَضْتَ مِنْهَا لَأَمِنُوكَ[1] .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيَّتُهَا النُّفُوسُ الْمُخْتَلِفَةُ وَالْقُلُوبُ الْمُتَشَتِّتَةُ . الشَّاهِدَةُ أَبْدَانُهُمْ ، وَالْغَائِبَةُ عَنْهُمْ عُقُولُهُمْ ، أَظْأَرُكُمْ عَلَى الْحَقِّ[2] وَأَنْتُمْ تَنْفِرُونَ عَنْهُ نُفُورَ الْمِعْزَى مِنْ وَعْوَعَةِ الْأَسَدِ ، هَيْهَاتَ أَنْ أَطْلَعَ بِكُمْ سِرَارَ الْعَدْلِ[3] ، أَوْ أُقِيمَ اعْوِجَاجَ الْحَقِّ . اللَّهُمَّ إِنَّكَ تَعْلَمُ أَنَّهُ لَمْ يَكُنِ الَّذِي كَانَ مِنَّا مُنَافَسَةً فِي سُلْطَانٍ وَلَا الْتِمَاسَ شَيْءٍ مِنْ فُضُولِ الْحُطَامِ ، وَلٰكِنْ لِنَرُدَّ الْمَعَالِمَ مِنْ دِينِكَ ، وَنُظْهِرَ الْإِصْلَاحَ فِي بِلَادِكَ . فَيَأْمَنَ الْمَظْلُومُونَ مِنْ عِبَادِكَ ، وَتُقَامَ الْمُعَطَّلَةُ مِنْ حُدُودِكَ . اللَّهُمَّ إِنِّي أَوَّلُ مَنْ أَنَابَ وَسَمِعَ

---

(١) لو قرضت منها : لو قطعت منها جزءا واختصصت به نفسك أى لو رضيت أن تنال منها

(٢) أظأركم : أعطفكم (٣) السرار كسحاب فى الأصل : آخر ليلة من الشهر ، والمراد الظلمة أى أن أطلع بكم شارفاً يكشف عما عرض على العدل من الظلمة ، كما يدل على هذا قوله : أو أقيم اعوجاج الحق ، فان الحق لا اعوجاج فيه ، ولكن قوماً خلطوه بالباطل ، فهذا ما أصابه

وَأَجَابَ ، لَمْ يَسْبِقْنِي إِلَّا رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالصَّلَاةِ

وَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ لَا يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ ٱلْوَالِيَ عَلَى ٱلْفُرُوجِ وَٱلدِّمَاءِ وَٱلْمَغَانِمِ وَٱلْأَحْكَامِ وَإِمَامَةِ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلْبَخِيلُ فَتَكُونَ فِي أَمْوَالِهِمْ نَهْمَتُهُ (١)، وَلَا ٱلْجَاهِلُ فَيُضِلَّهُمْ بِجَهْلِهِ ، وَلَا ٱلْجَافِي فَيَقْطَعَهُمْ بِجَفَائِهِ ، وَلَا ٱلْحَائِفُ لِلدُّوَلِ (٢) فَيَتَّخِذَ قَوْمًا دُونَ قَوْمٍ ، وَلَا ٱلْمُرْتَشِي فِي ٱلْحُكْمِ فَيَذْهَبَ بِالْحُقُوقِ وَيَقِفَ بِهَا دُونَ ٱلْمَقَاطِعِ (٣) ، وَلَا ٱلْمُعَطِّلُ لِلسُّنَّةِ فَيُهْلِكَ ٱلْأُمَّةَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا أَخَذَ وَأَعْطَى ، وَعَلَى مَا أَبْلَى وَٱبْتَلَى (٤) . ٱلْبَاطِنُ لِكُلِّ خَفِيَّةٍ . ٱلْحَاضِرُ لِكُلِّ سَرِيرَةٍ . ٱلْعَالِمُ بِمَا تُكِنُّ ٱلصُّدُورُ وَمَا تَخُونُ ٱلْعُيُونُ . وَنَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ غَيْرُهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُهُ وَبَعِيثُهُ (٥) شَهَادَةً يُوَافِقُ فِيهَا ٱلسِّرُّ ٱلْإِعْلَانَ وَٱلْقَلْبُ ٱللِّسَانَ (مِنْهَا) فَإِنَّهُ وَٱللّٰهِ ٱلْجِدُّ لَا

من اعوجاج (١) النهمة ـ بالفتح ـ افراط الشهوة والمبالغة فى الحرص (٢) الحائف ـ من الحيف ـ أى الجور والظلم . والدول : جمع دولة بالضم هى المال لأنه يتداول أى ينتقل من يد ليد . والمراد من يحيف فى قسم الأموال فيفضل قوماً فى العطاء على قوم بلا موجب للتفضيل (٣) المقاطع : الحدود التى عينها الله لها (٤) الا بلاء : الاحسان. والانعام . والابتلاء الامتحان (٥) مصطفاه ومبعوثه

اللَّعِبُ ، وَالْحَقُّ لَا الْكَذِبُ . وَمَا هُوَ إِلَّا الْمَوْتُ أَسْمَعَ دَاعِيهِ[١]
وَأَعْجَلَ حَادِيهِ . فَلَا يَغُرَّنَّكَ سَوَادُ النَّاسِ مِنْ نَفْسِكَ[٢] ، فَقَدْ رَأَيْتَ مَنْ
كَانَ قَبْلَكَ مِمَّنْ جَمَعَ الْمَالَ . وَحَذِرَ الْإِقْلَالَ وَأَمِنَ الْعَوَاقِبَ ، طُولَ أَمَلٍ[٣]
وَاسْتِبْعَادَ أَجَلٍ ، كَيْفَ نَزَلَ بِهِ الْمَوْتُ فَأَزْعَجَهُ عَنْ وَطَنِهِ ، وَأَخَذَهُ مِنْ
مَأْمَنِهِ ، مَحْمُولًا عَلَى أَعْوَادِ الْمَنَايَا ، يَتَعَاطَى بِهِ الرِّجَالُ الرِّجَالَ ، حَمْلًا عَلَى
الْمَنَاكِبِ وَإِمْسَاكًا بِالْأَنَامِلِ . أَمَا رَأَيْتُمُ الَّذِينَ يَأْمُلُونَ بَعِيدًا وَيَبْنُونَ
مَشِيدًا وَيَجْمَعُونَ كَثِيرًا ، أَصْبَحَتْ بُيُوتُهُمْ قُبُورًا ، وَمَا جَمَعُوا بُورًا .
وَصَارَتْ أَمْوَالُهُمْ لِلْوَارِثِينَ ، وَأَزْوَاجُهُمْ لِقَوْمٍ آخَرِينَ ، لَا فِي حَسَنَةٍ
يَزِيدُونَ ، وَلَا مِنْ سَيِّئَةٍ يُسْتَعْتَبُونَ . فَمَنْ أَشْعَرَ التَّقْوَى قَلْبَهُ بَرَّزَ مَهَلُهُ[٤]
وَفَازَ عَمَلُهُ . فَاهْتَبِلُوا هَبَلَهَا ، وَاعْمَلُوا لِلْجَنَّةِ عَمَلَهَا[٥] . فَإِنَّ الدُّنْيَا لَمْ تُخْلَقْ
لَكُمْ دَارَ مُقَامٍ ، بَلْ خُلِقَتْ لَكُمْ مَجَازًا لِتَزَوَّدُوا مِنْهَا الْأَعْمَالَ إِلَى
دَارِ الْقَرَارِ . فَكُونُوا مِنْهَا عَلَى أَوْفَازٍ[٦] . وَقَرِّبُوا الظُّهُورَ لِلزِّيَالِ

---

(١) أى أن الداعى إلى الموت قد أسمع بصوته كل حى ، فلا حى إلا وهو يعلم أنه يموت . وأعجل حاديه أى أن الحادى لسير المنايا إلى منازل الأجسام لإخلائها من سكنة الأرواح قد أعجل المدبرين عن تدبيرهم وأخذهم قبل الاستعداد لرحيلهم (٢) لا تغتر بكثرة الأحياء فكلما رأيت حياً زعمت أنك باق مثله (٣) طول مفعول لأجله ، أى كان منه ذلك لطول الأمل الخ (٤) برز الرجل على أقرانه أى فاقهم . والمهل : التقدم فى الخير ، أى ، فاق تقدمه إلى الخير على تقدم غيره (٥) اهتبل الصيد : طلبه ، وكلمة الحكمة : اغتنمها ، والضمير فى هبلها للتقوى لا للدنيا ، أى اغتنموا خير التقوى (٦) الوفز — ويحرك — : العجلة ، وجمعه أوفاز ، أى كونوا

١٦

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةُ بِأَزِمَّتِهَا، وَقَذَفَتْ إِلَيْهِ ٱلسَّمٰوَاتُ وَٱلْأَرَضُونَ مَقَالِيدَهَا(١)، وَسَجَدَتْ لَهُ بِالْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ٱلْأَشْجَارُ ٱلنَّاضِرَةُ. وَقَدَحَتْ لَهُ مِنْ قُضْبَانِهَا ٱلنِّيرَانَ ٱلْمُضِيئَةَ(٢)، وَآتَتْ أُكُلَهَا بِكَلِمَاتِهِ ٱلثِّمَارُ ٱلْيَانِعَةُ (مِنْهَا) وَكِتَابُ ٱللّٰهِ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ نَاطِقٌ لَا يَعْيَى لِسَانُهُ، وَبَيْتٌ لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ، وَعِزٌّ لَا تُهْزَمُ أَعْوَانُهُ (مِنْهَا) أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَتَنَازُعٍ مِنَ ٱلْأَلْسُنِ، فَقَفَّى بِهِ ٱلرُّسُلَ، وَخَتَمَ بِهِ ٱلْوَحْيَ، فَجَاهَدَ فِي ٱللّٰهِ ٱلْمُدْبِرِينَ عَنْهُ وَٱلْعَادِلِينَ بِهِ (مِنْهَا) وَإِنَّمَا ٱلدُّنْيَا مُنْتَهَى بَصَرِ ٱلْأَعْمَى(٣)، لَا يُبْصِرُ مِمَّا وَرَاءَهَا شَيْئاً، وَٱلْبَصِيرُ يَنْفُذُهَا بَصَرُهُ وَيَعْلَمُ أَنَّ ٱلدَّارَ وَرَاءَهَا. فَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا شَاخِصٌ، وَٱلْأَعْمَى إِلَيْهَا شَاخِصٌ. وَٱلْبَصِيرُ مِنْهَا مُتَزَوِّدٌ، وَٱلْأَعْمَى لَهَا مُتَزَوِّدٌ. (مِنْهَا) وَٱعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا وَيَكَادُ صَاحِبُهُ يَشْبَعُ مِنْهُ وَيَمَلُّهُ إِلَّا ٱلْحَيَاةَ فَإِنَّهُ لَا يَجِدُ لَهُ فِي ٱلْمَوْتِ رَاحَةً(٤). وَإِنَّمَا ذٰلِكَ بِمَنْزِلَةِ ٱلْحِكْمَةِ ٱلَّتِي هِيَ حَيَاةٌ لِلْقَلْبِ ٱلْمَيِّتِ،

منها على استعجال، والظهور: ظهور المطايا، أى أحضروها للزيال أى فراق الدنيا

(١) مقاليدها ــ جمع مقلاد ــ وهو المفتاح (٢) أى أن الأشجار أشعلت النيران المضيئة من قضبانها أى أغصانها. وقوله بكلماته أى بأوامره التكوينية، والضمائر لله سبحانه (٣) يشير إلى أن من يقصر نظره على الدنيا فكأنه لم يبصر شيئاً فهو بمنزلة الأعمى (٤) لا يجد

وَبَصَرٌ لِلعَيْنِ الْعَمْيَاءِ، وَسَمْعٌ لِلْأُذُنِ الصَّمَّاءِ، وَرِيٌّ لِلظَّمْآنِ وَفِيهَا الْغِنَى كُلُّهُ وَالسَّلَامَةُ. كِتَابُ اللَّهِ تُبْصِرُونَ بِهِ، وَتَنْطِقُونَ بِهِ، وَتَسْمَعُونَ بِهِ وَيَنْطِقُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ، وَيَشْهَدُ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ. لَا يَخْتَلِفُ فِي اللَّهِ، وَلَا يُخَالِفُ بِصَاحِبِهِ عَنِ اللَّهِ. قَدِ اصْطَلَحْتُمْ عَلَى الْغِلِّ فِيمَا بَيْنَكُمْ[1]، وَنَبَتَ الْمَرْعَى عَلَى دِمَنِكُمْ. وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى حُبِّ الْآمَالِ، وَتَعَادَيْتُمْ فِي كَسْبِ الْأَمْوَالِ. لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكُمُ الْخَبِيثُ[2]، وَتَاهَ بِكُمُ الْغُرُورُ، وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ.

فى الموت راحة حيث لم يهيء من العمل الصالح الباقى ما يكسبه السعادة بعد الموت . قال وإنما ذلك أى شعور الانسان بخيفة ما بعد الموت بمنزلة حكمة واعظة تنبهه من غفلة الغرور وتبعثه إلى خير العمل ، ثم بعد بيانه لما يجده الانسان فى نفسه من خيفة ما وراء الموت ولما يرشد اليه ذلك الوجدان أخذ يبين الوسيلة الموصلة إلى منجاة مما يخشاه القلب و تتوجس منه النفس ، وانها التمسك بكتاب الله الذى بين أوصافه ، و بهذا التفسير التأم الكلام واندفعت حيرة الشارحين فى هذا المقام . وقوله كتاب الله جملة مستأنفة أى هذا كتاب الله فيه ما تحتاجون اليه مما هدتكم الفطرة إلى طلبه (١) الغل : الحقد. والاصطلاح عليه : الاتفاق على تمكينه فى النفوس . وقوله نبت المرعى على دمنكم تأكيد وتوضيح للجملة قبلها . والدمن بكسر ففتح: جمع دمنة بالكسر وهى الحقد القديم . ونبت المرعى عليه استتاره بظواهر النفاق وزينة الخداع ، وأصل الدمن السرقين ومايكون من أرواث الماشية وأبوالها، وسميت بهاالأحقاد لأنها أشبه شيء بها، قد تنبت عليها الخضر وهى على مافيها من قذر. وهذا كلام ينعى به حالهم مع وجود كتاب الله ومرشد الالهام (٢) استهام أصله من هام على وجهه إذا خرج لا يدرى أين يذهب أى أخرجكم الشيطان من نور الفطرة وضياء

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَقَدْ شَاوَرَهُ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ فِي ٱلْخُرُوجِ إِلَى غَزْوِ ٱلرُّومِ بِنَفْسِهِ

وَقَدْ تَوَكَّلَ ٱللهُ لِأَهْلِ هٰذَا ٱلدِّينِ بِإِعْزَازِ ٱلْحَوْزَةِ(١)، وَسَتْرِ ٱلْعَوْرَةِ. وَٱلَّذِي نَصَرَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَنْتَصِرُونَ، وَمَنَعَهُمْ وَهُمْ قَلِيلٌ لَا يَمْتَنِعُونَ:

حَيٌّ لَا يَمُوتُ

إِنَّكَ مَتَى تَسِرْ إِلَى هٰذَا ٱلْعَدُوِّ بِنَفْسِكَ فَتَلْقَهُمْ بِشَخْصِكَ فَتُنْكَبْ لَا تَكُنْ لِلْمُسْلِمِينَ كَانِفَةٌ دُونَ أَقْصَى بِلَادِهِمْ(٢). لَيْسَ بَعْدَكَ مَرْجِعٌ يَرْجِعُونَ إِلَيْهِ. فَٱبْعَثْ إِلَيْهِمْ رَجُلًا مِحْرَبًا، وَٱحْفِزْ مَعَهُ أَهْلَ ٱلْبَلَاءِ وَٱلنَّصِيحَةِ(٣)، فَإِنْ أَظْهَرَ ٱللهُ فَذَاكَ مَا تُحِبُّ، وَإِنْ تَكُنِ ٱلْأُخْرَى كُنْتَ رِدْءًا لِلنَّاسِ(٤) وَمَثَابَةً لِلْمُسْلِمِينَ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ (٥)

وَقَدْ وَقَعَتْ مُشَاجَرَةٌ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عُثْمَانَ فَقَالَ ٱلْمُغِيرَةُ بْنُ ٱلْأَخْنَسِ لِعُثْمَانَ أَنَا أَكْفِيكَهُ فَقَالَ عَلِيٌّ كَرَّمَ ٱللهُ وَجْهَهُ لِلْمُغِيرَةِ:

يَا بْنَ ٱللَّعِينِ ٱلْأَبْتَرِ، وَٱلشَّجَرَةِ ٱلَّتِي لَا أَصْلَ لَهَا وَلَا فَرْعَ، أَنْتَ

الشريعة إلى ظلمات الضلال والحيرة (١) الحوزة: ما يحوزه المالك ويتولى حفظه. واعزاز حوزة الدين: حمايتها من تغلب أعدائه (٢) كانفة: عاصمة يلجأون اليها، من كنفه إذا صانه وستره (٣) احفز من حفزته ـ كضربته ـ إذا دفعته وسقته سوقا شديداً. وأهل البلاء: أهل المهارة فى الحرب مع الصدق فى القصد والجراءة فى الاقدام. والبلاء: هو الاجادة فى العمل واحسانه (٤) الردء ـ بالكسر ـ الملجأ. والمثابة: المرجع (٥) قالوا

تَـكْفِينِي ؟ وَاللهِما أعزَّ اللهُ مَنْ أَنْتَ نَاصِرُهُ ، وَلَا قَامَ مَنْ أَنْتَ مُنْهِضُهُ. اخرُجْ عنَّا أَبْعَدَ اللهُ نَوَاكَ[١] ، ثُمَّ أَبْلِـغْ جُهْدَكَ فَلَا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمْ تَـكُنْ بَيْعَتُـكُمْ إِيَّايَ فَلْتَةً ، وَلَيْسَ أَمْرِي وَأَمْرُكُمْ وَاحِدًا . إِنِّي أُرِيدُكُمْ لِلهِ وَأَنْتُمْ تُرِيدُونَنِي لِأَنْفُسِكُمْ . أَيُّهَا النَّاسُ ، أَعِينُـونِي عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَايْمُ اللهِ لَأُنْصِفَنَّ الْمَظْلُومَ مِنْ ظَالِمِهِ ، وَلَأَقُودَنَّ الظَّالِمَ بِخِزَامَتِهِ[٢] ، حَتَّى أُورِدَهُ مَنْهَلَ الْحَقِّ وَإِنْ كَانَ كَارِهًا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في معنى طلحة والزُّبير

وَاللهِ مَا أَنْـكَرُوا عَلَيَّ مُنْـكَرًا ، وَلَا جَعَلُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ نَصَفًا[٣] . وَإِنَّهُمْ لَيَطْلُبُونَ حَقًّا هُمْ تَرَكُوهُ ، وَدَمًا هُمْ سَفَـكُوهُ . فَإِنْ كُنْتُ شَرِيكَهُمْ فِيهِ فَإِنَّ لَهُمْ نَصِيبَهُمْ مِنْهُ ، وَإِنْ كَانُوا وَلُوهُ دُونِي فَمَا الطَّلِبَةُ

كان نزاع بين أمير المؤمنين وبين عثمان ، فقال المغيرة بن الأخنس بن شريق لعثمان أنا أكفيكه ، فقال علي يابن اللعين الخ . و إنما قال ذلك لأن أباه كان من رؤوس المنافقين، ووصفه بالأبتر -وهو من لاعقب له- لأن ولده هذا كلا ولد (١) النوى ههنا بمعنى الدار (٢) الخزامة -بالكسر- حلقة من شعر تجعل في وترة أنف البعير ليشد فيها الزمام ويسهل قياده (٣) النصف -محركة- اسم من الانصاف

إِلَّا قِبَلَهُمْ (١) . وَإِنَّ أَوَّلَ عَدْلِهِمْ لَلْحُكْمُ عَلَى أَنْفُسِهِمْ . إِنَّ مَعِي لَبَصِيرَتِي مَا لَبَسْتُ وَلَا لُبِسَ عَلَيَّ . وَإِنَّهَا لَلْفِئَةُ الْبَاغِيَةُ فِيهَا الْحَمَا وَالْحُمَةُ (٢)، وَالشُّبْهَةُ الْمُغْدِفَةُ (٣) . وَإِنَّ الْأَمْرَ لَوَاضِحٌ . وَقَدْ زَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ نِصَابِهِ (٤) ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ شَغْبِهِ (٥) وَايْمُ اللهِ لَأُفْرِطَنَّ لَهُمْ حَوْضاً (٦) أَنَا مَاتِحُهُ لَا يَصْدِرُونَ عَنْهُ بِرِيٍّ ، وَلَا يَعُبُّونَ بَعْدَهُ فِي حَسْيٍ (٧)

(مِنْهُ) فَأَقْبَلْتُمْ إِلَيَّ إِقْبَالَ الْعُوذِ الْمَطَافِيلِ عَلَى أَوْلَادِهَا (٨)، تَقُولُونَ الْبَيْعَةَ الْبَيْعَةَ . قَبَضْتُ كَفِّي فَبَسَطْتُمُوهَا ، وَنَازَعَتْكُمْ يَدِي فَجَاذَبْتُمُوهَا

---

(١) الطلبة ـ بالكسر ـ ما يطالب به من الثأر (٢) المراد بالحما هنا مطلق القريب والنسيب وهو كناية عن الزبير فانه من قرابة النبي صلى الله عليه وسلم ابن عمته. قالوا وكان النبي أخبر علياً أنه ستبغي عليه فئة فيها بعض أحمائه وإحدى زوجاته . والحمة بضم ففتح كناية عنها . وأصلها الحية أو ابرة اللاسعة من الهوام. والله أعلم (٣) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها . وأغدف الليل : أرخى سدوله . يعني أن شبهة الطلب بدم عثمان شبهة ساترة للحق (٤) زاح يزيح زيحاً وزيحاناً : بعد وذهب، كانزاح. والنصاب الأصل، أي قد انقلع الباطل عن مغرسه (٥) الشغب ـ بالفتح ـ تهييج الشر (٦) أفرط الحوض : ملأه حتى فاض . والمراد حوض المنية . وماتحه : أي نازع مائه لأسقيهم (٧) عب : شرب بلا تنفس. والحسي ـ بفتح الحاء ويكسر ـ سهل من الأرض يستنقع فيه الماء، أو يكون غليظ من الأرض فوقه رمل يجمع ماء المطر فتحفر فيه حفرة لتنزح منها ماء وكلما نزحت دلوا جمعت أخرى ، فتلك الحفرة حسي، يريد أنه يسقيهم كأساً لا يتجرعون سواها (٨) العوذ ـ بالضم ـ جمع عائذة وهي الحديثة النتاج من الظباء والابل، أو كل أنثى . والمطافيل : جمع مطفل ـ بضم الميم وكسر الفاء ـ ذات الطفل من الانس والوحش

اللَّهُمَّ إِنَّهُمَا قَطَعَانِي وَظَلَمَانِي، وَنَكَثَا بَيْعَتِي، وَأَلَّبَا النَّاسَ عَلَيَّ[١]. فَاحْلُلْ مَا عَقَدَا، وَلَا تُحْكِمْ لَهُمَا مَا أَبْرَمَا، وَأَرِهِمَا الْمَسَاءَةَ فِيمَا أَمَّلَا وَعَمِلَا. وَلَقَدِ اسْتَثَبْتُهُمَا قَبْلَ الْقِتَالِ[٢]، وَاسْتَأْنَيْتُ بِهِمَا أَمَامَ الْوِقَاعِ، فَغَمَطَا النِّعْمَةَ وَرَدَّا الْعَافِيَةَ[٣]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يومي فيها إلى ذكر الملاحم

يَعْطِفُ الْهَوَى عَلَى الْهُدَى[٤] إِذَا عَطَفُوا الْهُدَى عَلَى الْهَوَى، وَيَعْطِفُ الرَّأْيَ عَلَى الْقُرْآنِ إِذَا عَطَفُوا الْقُرْآنَ عَلَى الرَّأْيِ

(مِنْهَا) حَتَّى تَقُومَ الْحَرْبُ بِكُمْ عَلَى سَاقٍ بَادِيًا نَوَاجِذُهَا[٥]، مَمْلُوءَةً أَخْلَافُهَا، حُلْوًا رَضَاعُهَا، عَلْقَمًا عَاقِبَتُهَا. أَلَا وَفِي غَدٍ ـ وَسَيَأْتِي غَدٌ بِمَا لَا تَعْرِفُونَ ـ يَأْخُذُ الْوَالِي مِنْ غَيْرِهَا عُمَّالَهَا عَلَى مَسَاوِي أَعْمَالِهَا[٦]

---

(١) التأليب : الافساد (٢) استثبتهما من ثاب بالثاء إذا رجع ، اى استرجعتهما (٣) أمام الوقاع ـ ككتاب ـ قبل المواقعة بالحرب . وغمط النعمة : جحدها (٤) يعطف الخ خبر عن قائم ينادي بالقرآن ويطالب الناس باتباعه ورد كل رأي اليه (٥) النواجذ: أقصى الأضراس أو الأنياب . والأخلاف : جمع خلف بالكسر وهو الضرع . وبدو النواجذ كناية عن شدة الاحتدام، فانما تبدو من الأسد إذا اشتد غضبه. وامتلاء الاخلاف غزارة ما فيها من الشر . وحلاوة الرضاع استطابة أهل النجدة واستعذابهم لما ينالهم منها.ومرارة العاقبة بما يصير اليه الظالمون وبئس المصير (٦) إذا انتهت

وَتُخْرِجُ لَهُ ٱلْأَرْضُ أَفَالِيذَ[١] كَبِدِهَا، وَتُلْقِي إِلَيْهِ سِلْماً مَقَالِيدَهَا. فَيُرِيكُمْ كَيْفَ عَدْلُ ٱلسِّيرَةِ. وَيُحْيِي مَيِّتَ ٱلْكِتَابِ وَٱلسُّنَّةِ.

(مِنْهَا) كَأَنِّي بِهِ قَدْ نَعَقَ بِالشَّامِ وَفَحَصَ بِرَايَاتِهِ فِي ضَوَاحِي كُوفَانَ، فَعَطَفَ عَلَيْهَا عَطْفَ ٱلضَّرُوسِ[٢]، وَفَرَشَ ٱلْأَرْضَ بِالرُّؤُوسِ. قَدْ فَغَرَتْ فَاغِرَتُهُ، وَثَقُلَتْ فِي ٱلْأَرْضِ وَطْأَتُهُ. بَعِيدُ ٱلْجَوْلَةِ، عَظِيمُ ٱلصَّوْلَةِ. وَٱللهِ لَيُشَرِّدَنَّكُمْ فِي أَطْرَافِ ٱلْأَرْضِ[٣] حَتَّى لَا يَبْقَى مِنْكُمْ إِلَّا قَلِيلٌ كَالْكُحْلِ فِي ٱلْعَيْنِ، فَلَا تَزَالُونَ كَذَٰلِكَ حَتَّى تَؤُوبَ إِلَى ٱلْعَرَبِ عَوَازِبُ أَحْلَامِهَا[٤]. فَالْزَمُوا ٱلسُّنَنَ ٱلْقَائِمَةَ وَٱلْآثَارَ ٱلْبَيِّنَةَ وَٱلْعَهْدَ ٱلْقَرِيبَ ٱلَّذِي عَلَيْهِ بَاقِي ٱلنُّبُوَّةِ. وَٱعْلَمُوا أَنَّ ٱلشَّيْطَانَ إِنَّمَا يُسَنِّي لَكُمْ طُرُقَهُ لِتَتَّبِعُوا عَقِبَهُ[٥].

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي وَقْتِ ٱلشُّورَى

لَمْ يُسْرِعْ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى دَعْوَةِ حَقٍّ، وَصِلَةِ رَحِمٍ، وَعَائِدَةِ كَرَمٍ

الحرب حاسب الوالى القائم كل عامل من عمال السوء على مساوى أعمالهم، وانما كان الوالى من غيرها لأنه برئ من جرمها (١) أفاليذ: جمع أفلاذ، جمع فلذة: وهى القطعة من الذهب والفضة (٢) انتقال إلى الكلام فى قائم الفتنة. وفحص: بحث. وكوفان: الكوفة. والضروس: الناقة السيئة الخلق تعض حالبها (٣) ليشردنكم، أى ليفرقنكم (٤) عوازب أحلامها: غائبات عقولها (٥) يسنى: يسهل

فَاسْمَعُوا قَوْلِي، وَعُوا مَنْطِقِي. عَسَى أَنْ تَرَوْا(١) هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِ هٰذَا الْيَوْمِ تُنْتَضَى فِيهِ السُّيُوفُ، وَتُخَانُ فِيهِ الْعُهُودُ، حَتَّى يَكُونَ بَعْضُكُمْ أَئِمَّةً لِأَهْلِ الضَّلَالَةِ، وَشِيعَةً لِأَهْلِ الْجَهَالَةِ.

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي النَّهْيِ عَنْ عَيْبِ النَّاسِ

وَإِنَّمَا يَنْبَغِي لِأَهْلِ الْعِصْمَةِ وَالْمَصْنُوعِ إِلَيْهِمْ فِي السَّلَامَةِ(٢) أَنْ يَرْحَمُوا أَهْلَ الذُّنُوبِ وَالْمَعْصِيَةِ، وَيَكُونَ الشُّكْرُ هُوَ الْغَالِبَ عَلَيْهِمْ وَالْحَاجِزَ لَهُمْ عَنْهُمْ، فَكَيْفَ بِالْعَائِبِ الَّذِي عَابَ أَخَاهُ وَعَيَّرَهُ بِبَلْوَاهُ. أَمَا ذَكَرَ مَوْضِعَ سَتْرِ اللهِ عَلَيْهِ مِنْ ذُنُوبِهِ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ(٣) مِنَ الذَّنْبِ الَّذِي عَابَهُ بِهِ. وَكَيْفَ يَذُمُّهُ بِذَنْبٍ قَدْ رَكِبَ مِثْلَهُ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ رَكِبَ ذٰلِكَ الذَّنْبَ بِعَيْنِهِ فَقَدْ عَصَى اللهَ فِيمَا سِوَاهُ مِمَّا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ. وَايْمُ اللهِ لَئِنْ لَمْ يَكُنْ عَصَاهُ فِي الْكَبِيرِ وَعَصَاهُ فِي الصَّغِيرِ لَجُرْأَتُهُ عَلَى عَيْبِ النَّاسِ أَكْبَرُ.

يَا عَبْدَ اللهِ، لَا تَعْجَلْ فِي عَيْبِ أَحَدٍ بِذَنْبِهِ فَلَعَلَّهُ مَغْفُورٌ لَهُ، وَلَا تَأْمَنْ عَلَى نَفْسِكَ صَغِيرَ مَعْصِيَةٍ فَلَعَلَّكَ مُعَذَّبٌ عَلَيْهِ. فَلْيَكْفُفْ مَنْ

---

(١) قوله عسى أن تروا الخ. ابتداء كلام ينذرهم به من عاقبة الامر. وتنتضى: تسل

(٢) الذين أنعم الله عليهم وأحسن صنعه اليهم بالسلامة من الآثام (٣) مما هو أعظم الخ. بيان للذنوب التي سترها الله عليه

عَلِمَ مِنْكُمْ عَيْبَ غَيْرِهِ لِمَا يَعْلَمُ مِنْ عَيْبِ نَفْسِهِ ، وَلْيَكُنِ الشُّكْرُ شَاغِلًا لَهُ عَلَى مُعَافَاتِهِ مِمَّا ابْتُلِيَ بِهِ غَيْرُهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ، مَنْ عَرَفَ مِنْ أَخِيهِ وَثِيقَةَ دِينٍ وَسَدَادَ طَرِيقٍ فَلَا يَسْمَعَنَّ فِيهِ أَقَاوِيلَ الرِّجَالِ . أَمَا إِنَّهُ قَدْ يَرْمِي الرَّامِي وَتُخْطِئُ السِّهَامُ وَيَحِيلُ الْكَلَامُ(١) ، وَبَاطِلُ ذٰلِكَ يَبُورُ وَاللّٰهُ سَمِيعٌ وَشَهِيدٌ . أَمَا إِنَّهُ لَيْسَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ إِلَّا أَرْبَعُ أَصَابِعَ (فَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِ هٰذَا، فَجَمَعَ أَصَابِعَهُ وَوَضَعَهَا بَيْنَ أُذُنِهِ وَعَيْنِهِ ثُمَّ قَالَ) : الْبَاطِلُ أَنْ تَقُولَ سَمِعْتُ وَالْحَقُّ أَنْ تَقُولَ رَأَيْتُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَيْسَ لِوَاضِعِ الْمَعْرُوفِ فِي غَيْرِ حَقِّهِ وَعِنْدَ غَيْرِ أَهْلِهِ مِنَ الْحَظِّ فِيمَا أَتَى إِلَّا مَحْمَدَةُ اللِّئَامِ، وَثَنَاءُ الْأَشْرَارِ، وَمَقَالَةُ الْجُهَّالِ، مَادَامَ مُنْعِمًا عَلَيْهِمْ. مَا أَجْوَدَ يَدَهُ وَهُوَ عَنْ ذَاتِ اللّٰهِ بَخِيلٌ ! . فَمَنْ آتَاهُ اللّٰهُ مَالًا فَلْيَصِلْ بِهِ الْقَرَابَةَ، وَلْيُحْسِنْ مِنْهُ الضِّيَافَةَ ، وَلْيَفُكَّ بِهِ الْأَسِيرَ وَالْعَانِيَ، وَلْيُعْطِ مِنْهُ الْفَقِيرَ

(١) يحيل — كيميل — يتغير عن وجه الحق . وفى نسخة يحيك بالكاف — من حاك القول فى القلب — أخذ، والسيف: أثر

وَالْغَارِمَ ، وَلْيَصْبِرْ نَفْسَهُ عَلَى الْحُقُوقِ وَالنَّوَائِبِ ابْتِغَاءَ الثَّوَابِ ، فَإِنَّ فَوْزًا بِهٰذِهِ الْخِصَالِ شَرَفُ مَكَارِمِ الدُّنْيَا وَدَرْكُ فَضَائِلِ الْآخِرَةِ إِنْ شَاءَ اللهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
فِي الاسْتِسْقَاءِ

أَلَا وَإِنَّ الْأَرْضَ الَّتِي تَحْمِلُكُمْ وَالسَّمَاءَ الَّتِي تُظِلُّكُمْ مُطِيعَتَانِ لِرَبِّكُمْ ، وَمَا أَصْبَحَتَا تَجُودَانِ لَكُمْ بِبَرَكَتِهِمَا تَوَجُّعًا لَكُمْ وَلَا زُلْفَةً إِلَيْكُمْ وَلَا لِخَيْرٍ تَرْجُوَانِهِ مِنْكُمْ ، وَلٰكِنْ أُمِرَتَا بِمَنَافِعِكُمْ فَأَطَاعَتَا ، وَأُقِيمَتَا عَلَى حُدُودِ مَصَالِحِكُمْ فَقَامَتَا

إِنَّ اللهَ يَبْتَلِي عِبَادَهُ عِنْدَ الْأَعْمَالِ السَّيِّئَةِ بِنَقْصِ الثَّمَرَاتِ وَحَبْسِ الْبَرَكَاتِ ، وَإِغْلَاقِ خَزَائِنِ الْخَيْرَاتِ ، لِيَتُوبَ تَائِبٌ وَيُقْلِعَ مُقْلِعٌ ، وَيَتَذَكَّرَ مُتَذَكِّرٌ ، وَيَزْدَجِرَ مُزْدَجِرٌ . وَقَدْ جَعَلَ اللهُ سُبْحَانَهُ الِاسْتِغْفَارَ سَبَبًا لِدُرُورِ الرِّزْقِ وَرَحْمَةِ الْخَلْقِ فَقَالَ : « اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ » فَرَحِمَ اللهُ امْرَأً اسْتَقْبَلَ تَوْبَتَهُ ، وَاسْتَقَالَ خَطِيئَتَهُ ، وَبَادَرَ مَنِيَّتَهُ

اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ مِنْ تَحْتِ الْأَسْتَارِ وَالْأَكْنَانِ، وَبَعْدَ عَجِيجِ الْبَهَائِمِ وَالْوِلْدَانِ، رَاغِبِينَ فِي رَحْمَتِكَ، وَرَاجِينَ فَضْلَ نِعْمَتِكَ، وَخَائِفِينَ مِنْ عَذَابِكَ وَنِقْمَتِكَ. اللَّهُمَّ فَاسْقِنَا غَيْثَكَ وَلَا تَجْعَلْنَا مِنَ الْقَانِطِينَ، وَلَا تُهْلِكْنَا بِالسِّنِينَ[1]، وَلَا تُؤَاخِذْنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا يَا أَرْحَمَ الرَّاحِمِينَ. اللَّهُمَّ إِنَّا خَرَجْنَا إِلَيْكَ نَشْكُو إِلَيْكَ مَا لَا يَخْفَى عَلَيْكَ حِينَ أَلْجَأَتْنَا الْمَضَايِقُ الْوَعْرَةُ، وَأَجَاءَتْنَا الْمَقَاحِطُ الْمُجْدِبَةُ[2]، وَأَعْيَتْنَا الْمَطَالِبُ الْمُتَعَسِّرَةُ، وَتَلَاحَمَتْ عَلَيْنَا الْفِتَنُ الْمُسْتَصْعَبَةُ. اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ أَنْ لَا تَرُدَّنَا خَائِبِينَ، وَلَا تَقْلِبَنَا وَاجِمِينَ[3]. وَلَا تُخَاطِبَنَا بِذُنُوبِنَا[4]، وَلَا تُقَايِسَنَا بِأَعْمَالِنَا. اللَّهُمَّ انْشُرْ عَلَيْنَا غَيْثَكَ، وَبَرَكَتَكَ، وَرِزْقَكَ وَرَحْمَتَكَ. وَاسْقِنَا سُقْيَا نَافِعَةً مُرْوِيَةً مُعْشِبَةً تُنْبِتُ بِهَا مَا قَدْ فَاتَ، وَتُحْيِي بِهَا مَا قَدْ مَاتَ. نَافِعَةَ الْحَيَا[5]، كَثِيرَةَ الْمُجْتَنَى، تُرْوِي بِهَا الْقِيعَانَ[6]، وَتُسِيلُ الْبُطْنَانَ[7]. وَتَسْتَوْرِقُ الْأَشْجَارَ، وَتُرْخِصُ الْأَسْعَارَ إِنَّكَ عَلَى مَا تَشَاءُ قَدِيرٌ

(١) جمع سنة ـ محركة ـ بمعنى الجدب والقحط (٢) أجاءته اليه: ألجأته (٣) واجين : كاسفين حزنين (٤) لاتخاطبنا ، أى لاتدعنا باسم المذنبين ولا تجعل فعلك بنا مناسباً لأعمالنا (٥) الحيا : الخصب والمطر (٦) جمع قاع : الارض السهلة المطمئنة قد انفرجت عنها الجبال والآكام (٧) جمع بطن : بمعنى ما انخفض من الأرض فى ضيق

ومن خطبة له عليه السلام

بَعَثَ اللهُ رُسُلَهُ بِمَا خَصَّهُمْ بِهِ مِنْ وَحْيِهِ، وَجَعَلَهُمْ حُجَّةً لَهُ عَلَى خَلْقِهِ، لِئَلَّا تَجِبَ الْحُجَّةُ لَهُمْ بِتَرْكِ الْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ. فَدَعَاهُمْ بِلِسَانِ الصِّدْقِ إِلَى سَبِيلِ الْحَقِّ. أَلَا إِنَّ اللهَ قَدْ كَشَفَ الْخَلْقَ كَشْفَةً(١)، لَا أَنَّهُ جَهِلَ مَا أَخْفَوْهُ مِنْ مَصُونِ أَسْرَارِهِمْ وَمَكْنُونِ ضَمَائِرِهِمْ، وَلٰكِنْ لِيَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا، فَيَكُونَ الثَّوَابُ جَزَاءً وَالْعِقَابُ بَوَاءً(٢). أَيْنَ الَّذِينَ زَعَمُوا أَنَّهُمُ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ دُونَنَا، كَذِبًا وَبَغْيًا عَلَيْنَا أَنْ رَفَعَنَا اللهُ وَوَضَعَهُمْ، وَأَعْطَانَا وَحَرَمَهُمْ، وَأَدْخَلَنَا وَأَخْرَجَهُمْ. بِنَا يُسْتَعْطَى الْهُدَى وَيُسْتَجْلَى الْعَمَى. إِنَّ الْأَئِمَّةَ مِنْ قُرَيْشٍ غُرِسُوا فِي هٰذَا الْبَطْنِ مِنْ هَاشِمٍ. لَا تَصْلُحُ عَلَى سِوَاهُمْ، وَلَا تَصْلُحُ الْوُلَاةُ مِنْ غَيْرِهِمْ (مِنْهَا) آثَرُوا عَاجِلًا وَأَخَّرُوا آجِلًا، وَتَرَكُوا صَافِيًا وَشَرِبُوا آجِنًا(٣). كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى فَاسِقِهِمْ وَقَدْ صَحِبَ الْمُنْكَرَ فَأَلِفَهُ، وَبَسِئَ بِهِ وَوَافَقَهُ(٤)، حَتَّى شَابَتْ عَلَيْهِ مَفَارِقُهُ، وَصُبِغَتْ بِهِ خَلَائِقُهُ(٥). ثُمَّ أَقْبَلَ مُزْبِدًا كَالتَّيَّارِ

---

(١) كشف الخلق: علم حالهم فى جميع أطوارهم (٢) بواء مصدر باء فلان بفلان أى قتل به، والعقاب قصاص (٣) الآجن: الماء المتغير اللون والطعم (٤) بسئ به ـ كفرح ـ استأنس به (٥) ملكاته الراسخة فى نفسه

لَا يُبَالِي مَا غَرَّقَ . أَوْ كَوَقْعِ ٱلنَّارِ فِي ٱلْهَشِيمِ لَا يَحْفِلُ مَا حَرَّقَ(١) . أَيْنَ ٱلْعُقُولُ ٱلْمُسْتَصْبِحَةُ بِمَصَابِيحِ ٱلْهُدَى ، وَٱلْأَبْصَارُ ٱللَّامِحَةُ إِلَى مَنَارِ ٱلتَّقْوَى . أَيْنَ ٱلْقُلُوبُ ٱلَّتِي وُهِبَتْ لِلّٰهِ وَعُوقِدَتْ عَلَى طَاعَةِ ٱللّٰهِ . ازْدَحَمُوا عَلَى ٱلْحُطَامِ وَتَشَاحُّوا عَلَى ٱلْحَرَامِ . وَرُفِعَ لَهُمْ عَلَمُ ٱلْجَنَّةِ وَٱلنَّارِ فَصَرَفُوا عَنِ ٱلْجَنَّةِ وُجُوهَهُمْ ، وَأَقْبَلُوا إِلَى ٱلنَّارِ بِأَعْمَالِهِمْ . دَعَاهُمْ رَبُّهُمْ فَنَفَرُوا وَوَلَّوْا . وَدَعَاهُمُ ٱلشَّيْطَانُ فَاسْتَجَابُوا وَأَقْبَلُوا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ، إِنَّمَا أَنْتُمْ فِي هٰذِهِ ٱلدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ ٱلْمَنَايَا(٢) ، مَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ . لَا تَنَالُونَ مِنْهَا نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى ، وَلَا يُعَمَّرُ مُعَمَّرٌ مِنْكُمْ يَوْمًا مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِهَدْمِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ . وَلَا تُجَدَّدُ لَهُ زِيَادَةٌ فِي أَكْلِهِ إِلَّا بِنَفَادِ مَا قَبْلَهَا مِنْ رِزْقِهِ . وَلَا يُحْيَى لَهُ أَثَرٌ إِلَّا مَاتَ لَهُ أَثَرٌ . وَلَا يَتَجَدَّدُ لَهُ جَدِيدٌ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَخْلَقَ لَهُ جَدِيدٌ(٣) . وَلَا تَقُومُ لَهُ نَابِتَةٌ إِلَّا وَتَسْقُطُ مِنْهُ مَحْصُودَةٌ . وَقَدْ مَضَتْ أُصُولٌ نَحْنُ فُرُوعُهَا فَمَا بَقَاءُ فَرْعٍ بَعْدَ ذَهَابِ أَصْلِهِ (مِنْهَا) وَمَا أُحْدِثَتْ بِدْعَةٌ إِلَّا تُرِكَ بِهَا سُنَّةٌ . فَاتَّقُوا ٱلْبِدَعَ وَٱلْزَمُوا ٱلْمَهْيَعَ(٤) . إِنَّ

(١) لا يحفل – كيضرب – لايبالى (٢) تنتضل فيه: تترامى اليه المنايا (٣) يخلق – كيسمع وينصر ويكرم – يبلى (٤) المهيع – كالمقعد – الطريق الواضح

عَوَازِمَ ٱلأُمُورِ أَفْضَلُهَا(١) . وَإِنَّ مُحْدَثَاتِهَا شِرَارُهَا

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

(وَقَدِ ٱسْتَشَارَهُ عُمَرُ بْنُ ٱلْخَطَّابِ فِي ٱلشُّخُوصِ لِقِتَالِ ٱلْفُرْسِ بِنَفْسِهِ)

إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ لَمْ يَكُنْ نَصْرُهُ وَلَا خِذْلَانُهُ بِكَثْرَةٍ وَلَا قِلَّةٍ . وَهُوَ دِينُ ٱللهِ ٱلَّذِي أَظْهَرَهُ ، وَجُنْدُهُ ٱلَّذِي أَعَدَّهُ وَأَمَدَّهُ ، حَتَّى بَلَغَ مَا بَلَغَ وَطَلَعَ حَيْثُ طَلَعَ . وَنَحْنُ عَلَى مَوْعُودٍ مِنَ ٱللهِ . وَٱللهُ مُنْجِزٌ وَعْدَهُ وَنَاصِرٌ جُنْدَهُ . وَمَكَانُ ٱلْقَيِّمِ بِالْأَمْرِ(٢) مَكَانُ ٱلنِّظَامِ مِنَ ٱلْخَرَزِ يَجْمَعُهُ وَيَضُمُّهُ . فَإِنِ ٱنْقَطَعَ ٱلنِّظَامُ تَفَرَّقَ وَذَهَبَ ، ثُمَّ لَمْ يَجْتَمِعْ بِحَذَافِيرِهِ أَبَدًا . وَٱلْعَرَبُ ٱلْيَوْمَ وَإِنْ كَانُوا قَلِيلًا فَهُمْ كَثِيرُونَ بِالْإِسْلَامِ وَعَزِيزُونَ بِالِاجْتِمَاعِ . فَكُنْ قُطْبًا ، وَٱسْتَدِرِ ٱلرَّحَى بِالْعَرَبِ ، وَأَصْلِهِمْ دُونَكَ نَارَ ٱلْحَرْبِ ، فَإِنَّكَ إِنْ شَخَصْتَ(٣) مِنْ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱنْتَقَضَتْ عَلَيْكَ ٱلْعَرَبُ مِنْ أَطْرَافِهَا وَأَقْطَارِهَا ، حَتَّى يَكُونَ مَا تَدَعُ وَرَاءَكَ مِنَ ٱلْعَوْرَاتِ أَهَمَّ إِلَيْكَ مِمَّا بَيْنَ يَدَيْكَ

---

(١) عوازم الأمور : ما تقادم منها وكانت عليه ناشئة الدين ، من قولهم ناقة عوزم ـ كجعفر ـ أى عجوز فيها بقية شباب (٢) القائم به يريد الخليفة. والنظام : السلك ينظم فيه الخرز (٣) شخصت: خرجت

إِنَّ الأَعَاجِمَ إِنْ يَنْظُرُوا إِلَيْكَ غَداً يَقُولُوا هٰذَا أَصْلُ الْعَرَبِ فَإِذَا قَطَعْتُمُوهُ اسْتَرَحْتُمْ، فَيَكُونُ ذٰلِكَ أَشَدَّ لِكَلَبِهِمْ عَلَيْكَ وَطَمَعِهِمْ فِيكَ. فَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ مَسِيرِ الْقَوْمِ إِلَى قِتَالِ الْمُسْلِمِينَ فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ هُوَ أَكْرَهُ لِمَسِيرِهِمْ مِنْكَ، وَهُوَ أَقْدَرُ عَلَى تَغْيِيرِ مَا يَكْرَهُ. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتَ مِنْ عَدَدِهِمْ فَإِنَّا لَمْ نَكُنْ نُقَاتِلُ فِيمَا مَضَى بِالْكَثْرَةِ، وَإِنَّمَا كُنَّا نُقَاتِلُ بِالنَّصْرِ وَالْمَعُونَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَبَعَثَ مُحَمَّداً صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ لِيُخْرِجَ عِبَادَهُ مِنْ عِبَادَةِ الأَوْثَانِ إِلَى عِبَادَتِهِ، وَمِنْ طَاعَةِ الشَّيْطَانِ إِلَى طَاعَتِهِ، بِقُرْآنٍ قَدْ بَيَّنَهُ وَأَحْكَمَهُ، لِيَعْلَمَ الْعِبَادُ رَبَّهُمْ إِذْ جَهِلُوهُ، وَلِيُقِرُّوا بِهِ إِذْ جَحَدُوهُ، وَلِيُثْبِتُوهُ بَعْدَ إِذْ أَنْكَرُوهُ. فَتَجَلَّى سُبْحَانَهُ لَهُمْ فِي كِتَابِهِ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَكُونُوا رَأَوْهُ بِمَا أَرَاهُمْ مِنْ قُدْرَتِهِ، وَخَوَّفَهُمْ مِنْ سَطْوَتِهِ. وَكَيْفَ مَحَقَ مَنْ مَحَقَ بِالْمَثُلَاتِ[1]، وَاحْتَصَدَ مَنِ احْتَصَدَ بِالنَّقِمَاتِ. وَإِنَّهُ سَيَأْتِي عَلَيْكُمْ مِنْ بَعْدِي زَمَانٌ لَيْسَ فِيهِ شَيْءٌ أَخْفَى مِنَ الْحَقِّ وَلَا أَظْهَرَ مِنَ الْبَاطِلِ، وَلَا أَكْثَرَ مِنَ الْكَذِبِ عَلَى اللّٰهِ وَرَسُولِهِ. وَلَيْسَ عِنْدَ أَهْلِ

---

(١) المثلات ـ بفتح فضم ـ العقوبات

ذٰلِكَ الزَّمَانِ سِلْعَةٌ أَبْوَرُ مِنَ الْكِتَابِ إِذَا تُلِيَ حَقَّ تِلَاوَتِهِ ، وَلَا أَنْفَقُ مِنْهُ[(١)] إِذَا حُرِّفَ عَنْ مَوَاضِعِهِ . وَلَا فِي الْبِلَادِ شَيْءٌ أَنْكَرُ مِنَ الْمَعْرُوفِ ، وَلَا أَعْرَفُ مِنَ الْمُنْكَرِ . فَقَدْ نَبَذَ الْكِتَابَ حَمَلَتُهُ ، وَتَنَاسَاهُ حَفَظَتُهُ . فَالْكِتَابُ يَوْمَئِذٍ وَأَهْلُهُ مَنْفِيَّانِ طَرِيدَانِ[(٢)] ، وَصَاحِبَانِ مُصْطَحِبَانِ فِي طَرِيقٍ وَاحِدٍ لَا يُؤْوِيهِمَا مُؤْوٍ . فَالْكِتَابُ وَأَهْلُهُ فِي ذٰلِكَ الزَّمَانِ فِي النَّاسِ وَلَيْسَا فِيهِمْ ، وَمَعَهُمْ وَلَيْسَا مَعَهُمْ ، لِأَنَّ الضَّلَالَةَ لَا تُوَافِقُ الْهُدَى وَإِنِ اجْتَمَعَا . فَاجْتَمَعَ الْقَوْمُ عَلَى الْفُرْقَةِ . وَافْتَرَقُوا عَنِ الْجَمَاعَةِ . كَأَنَّهُمْ أَئِمَّةُ الْكِتَابِ وَلَيْسَ الْكِتَابُ إِمَامَهُمْ . فَلَمْ يَبْقَ عِنْدَهُمْ مِنْهُ إِلَّا اسْمُهُ ، وَلَا يَعْرِفُونَ إِلَّا خَطَّهُ وَزَبْرَهُ[(٣)] . وَمِنْ قَبْلُ مَا مَثَّلُوا بِالصَّالِحِينَ كُلَّ مُثْلَةٍ[(٤)] ، وَسَمَّوْا صِدْقَهُمْ عَلَى اللّٰهِ فِرْيَةً[(٥)] ، وَجَعَلُوا فِي الْحَسَنَةِ عُقُوبَةَ السَّيِّئَةِ

وَإِنَّمَا هَلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ بِطُولِ آمَالِهِمْ وَتَغَيُّبِ آجَالِهِمْ ، حَتَّى نَزَلَ بِهِمُ الْمَوْعُودُ[(٦)] الَّذِي تُرَدُّ عَنْهُ الْمَعْذِرَةُ ، وَتُرْفَعُ عَنْهُ التَّوْبَةُ ، وَتَحُلُّ مَعَهُ الْقَارِعَةُ وَالنِّقْمَةُ[(٧)]

---

(١) أنفق منه : أروج منه (٢) يطردهما وينفيهما أهل الباطل وأعداء الكتاب
(٣) الزبر ـ بالفتح ـ الكتب مصدر كتب (٤) ما مثلوا : أي شنعوا، وما مصدرية
(٥) فرية بالكسر أي كذبا (٦) الموت الذي لا يقبل فيه عذر ولا تفيد بعده توبة
(٧) القارعة : الداهية المهلكة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ مَنِ ٱسْتَنْصَحَ ٱللهُ وُفِّقَ ، وَمَنِ ٱتَّخَذَ قَوْلَهُ دَلِيلًا هُدِيَ لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ فَإِنَّ جَارَ ٱللهِ آمِنٌ ، وَعَدُوَّهُ خَائِفٌ . وَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِمَنْ عَرَفَ عَظَمَةَ ٱللهِ أَنْ يَتَعَظَّمَ ، فَإِنَّ رِفْعَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا عَظَمَتُهُ أَنْ يَتَوَاضَعُوا لَهُ ، وَسَلَامَةَ ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ مَا قُدْرَتُهُ أَنْ يَسْتَسْلِمُوا لَهُ . فَلَا تَنْفِرُوا مِنَ ٱلْحَقِّ نِفَارَ ٱلصَّحِيحِ مِنَ ٱلْأَجْرَبِ ، وَٱلْبَارِي مِنْ ذِي ٱلسُّقْمِ (١) . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ لَنْ تَعْرِفُوا ٱلرُّشْدَ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي تَرَكَهُ ، وَلَنْ تَأْخُذُوا بِمِيثَاقِ ٱلْكِتَابِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَقَضَهُ ، وَلَنْ تَمَسَّكُوا بِهِ حَتَّى تَعْرِفُوا ٱلَّذِي نَبَذَهُ . فَٱلْتَمِسُوا ذٰلِكَ مِنْ عِنْدِ أَهْلِهِ فَإِنَّهُمْ عَيْشُ ٱلْعِلْمِ وَمَوْتُ ٱلْجَهْلِ . هُمُ ٱلَّذِينَ يُخْبِرُكُمْ حُكْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ ، وَصَمْتُهُمْ عَنْ مَنْطِقِهِمْ ، وَظَاهِرُهُمْ عَنْ بَاطِنِهِمْ . لَا يُخَالِفُونَ ٱلدِّينَ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ ، فَهُوَ بَيْنَهُمْ شَاهِدٌ صَادِقٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فِي ذِكْرِ أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ)

كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا يَرْجُو ٱلْأَمْرَ لَهُ وَيَعْطِفُهُ عَلَيْهِ دُونَ صَاحِبِهِ ، لَا يَمُتَّانِ إِلَى ٱللهِ بِحَبْلٍ ، وَلَا يَمُدَّانِ إِلَيْهِ بِسَبَبٍ (٢) . كُلٌّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا حَامِلُ ضَبٍّ

(١) البارى: المعافى من المرض (٢) الضمير لطلحة والزبير . وقوله لايمتان : أى لايمدان، والسبب الحبل أيضا

لِصَاحِبِهِ[١] . وَعَمَّا قَلِيلٍ يُكْشَفُ قِنَاعُهُ بِهِ . وَٱللهِ لَئِنْ أَصَابُوا ٱلَّذِي يُرِيدُونَ لَيَنْتَزِعَنَّ هٰذَا نَفْسَ هٰذَا ، وَلَيَأْتِيَنَّ هٰذَا عَلَى هٰذَا . قَدْ قَامَتِ ٱلْفِئَةُ ٱلْبَاغِيَةُ فَأَيْنَ ٱلْمُحْتَسِبُونَ[٢] . فَقَدْ سُنَّتْ لَهُمُ ٱلسُّنَنُ وَقُدِّمَ لَهُمُ ٱلْخَبَرُ . وَلِكُلِّ ضَلَّةٍ عِلَّةٌ ، وَلِكُلِّ نَاكِثٍ شُبْهَةٌ . وَٱللهِ لَا أَكُونُ كَمُسْتَمِعِ ٱللَّدْمِ[٣] يَسْمَعُ ٱلنَّاعِيَ وَيَحْضُرُ ٱلْبَاكِيَ ثُمَّ لَا يَعْتَبِرُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قَبْلَ مَوْتِهِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُّ ٱمْرِئٍ لَاقٍ مَا يَفِرُّ مِنْهُ فِي فِرَارِهِ . وَٱلْأَجَلُ مَسَاقُ ٱلنَّفْسِ[٤] . وَٱلْهَرَبُ مِنْهُ مُوَافَاتُهُ . كَمْ أَطْرَدْتُ ٱلْأَيَّامَ أَبْحَثُهَا عَنْ مَكْنُونِ هٰذَا ٱلْأَمْرِ فَأَبَى ٱللهُ إِلَّا إِخْفَاءَهُ . هَيْهَاتَ . عِلْمٌ مَخْزُونٌ . أَمَّا وَصِيَّتِي : فَٱللهُ لَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئاً . وَمُحَمَّدٌ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هٰذَيْنِ ٱلْعَمُودَيْنِ ، وَأَوْقِدُوا هٰذَيْنِ ٱلْمِصْبَاحَيْنِ . وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ مَا لَمْ تَشْرُدُوا[٥] . حُمِّلَ كُلُّ ٱمْرِئٍ مِنْكُمْ مَجْهُودَهُ[٦] . وَخُفِّفَ عَنِ ٱلْجَهَلَةِ .

---

(١) الضب ـ بالفتح ويكسر ـ الحقد (٢) الذين يجاهدون حسبة لله (٣) اللدم : الضرب على الصدر والوجه عند النياحة (٤) مساق النفس تسوقها اليه أطوار الحياة حتى توافيه (٥) برئتم من الذم مالم تشردوا ـ كتنصروا ـ أى تنفروا وتميلوا عن الحق (٦) حمل كل

رَبٌّ رَحِيمٌ، وَدِينٌ قَوِيمٌ، وَإِمَامٌ عَلِيمٌ. أَنَا بِالأَمْسِ صَاحِبُكُمْ. وَأَنَا الْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ. وَغَدًا مُفَارِقُكُمْ. غَفَرَ اللهُ لِي وَلَكُمْ

إِنْ تَثْبُتِ الْوَطْأَةُ فِي هٰذِهِ الْمَزَلَّةِ فَذَاكَ. وَإِنْ تَدْحَضِ الْقَدَمُ[1] فَإِنَّمَا كُنَّا فِي أَفْيَاءِ أَغْصَانٍ، وَمَهَبِّ رِيَاحٍ. وَتَحْتَ ظِلِّ غَمَامٍ اضْمَحَلَّ فِي الْجَوِّ مُتَلَفِّقُهَا[2]، وَعَفَا فِي الأَرْضِ مَخَطُّهَا. وَإِنَّمَا كُنْتُ جَارًا جَاوَرَكُمْ بَدَنِي أَيَّامًا، وَسَتُعْقَبُونَ مِنِّي جُثَّةً خَلَاءً[3]: سَاكِنَةً بَعْدَ حَرَاكٍ، وَصَامِتَةً بَعْدَ نُطْقٍ. لِيَعِظْكُمْ هُدُوِّي، وَخُفُوتُ أَطْرَافِي[4]، وَسُكُونُ أَطْرَافِي، فَإِنَّهُ أَوْعَظُ لِلْمُعْتَبِرِينَ مِنَ الْمَنْطِقِ الْبَلِيغِ وَالْقَوْلِ الْمَسْمُوعِ. وَدَاعِيكُمْ وَدَاعُ امْرِئٍ مُرْصِدٍ لِلتَّلَاقِي[5]، غَدًا تَرَوْنَ أَيَّامِي وَيُكْشَفُ لَكُمْ عَنْ سَرَائِرِي، وَتَعْرِفُونَنِي بَعْدَ خُلُوِّ مَكَانِي وَقِيَامِ غَيْرِي مَقَامِي

امرء الخ. هـذا وما بعده ماض قصد به الأمر (١) قوله ان تثبت، يريد بثبات الوطأة معافاته من جراحه. والمزلة: محل الزلل. ودحضت القدم: زلت وزلقت (٢) الأفياء: جمع فيء، وهو الظل ينسخ ضوء الشمس عن بعض الأمكنة. والمتلفق: المنضم بعضه على بعض. وعفا: اندرس وذهب. ومخطها: مكان ماخطت فى الأرض، وضمير متلفقها للغمام. وضمير مخطها للرياح. يريد أنه كان فى حال شأنها الزوال فزالت وماهو بالعجيب (٣) خالية من الروح (٤) الخفوت: السكون، وأطرافه فى الأول عيناه وفى الثانى يداه ورأسه ورجلاه (٥) وداعيكم أى وداعى لكم، ومرصد أى منتظر

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

يومي فيها إلى ذكر الملاحم

وَأَخَذُوا يَمِيناً وَشِمَالًا طَعْناً فِي مَسَالِكِ ٱلْغَيِّ، وَتَرْكاً لِمَذَاهِبِ ٱلرُّشْدِ. فَلَا تَسْتَعْجِلُوا مَا هُوَ كَائِنٌ مُرْصَدٌ. وَلَا تَسْتَبْطِئُوا مَا يَجِيءُ بِهِ ٱلْغَدُ. فَكَمْ مِنْ مُسْتَعْجِلٍ بِمَا إِنْ أَدْرَكَهُ وَدَّ أَنَّهُ لَمْ يُدْرِكْهُ. وَمَا أَقْرَبَ ٱلْيَوْمَ مِنْ تَبَاشِيرِ غَدٍ[1]. يَاقَوْمِ هٰذَا إِبَّانُ وُرُودِ كُلِّ مَوْعُودٍ[2]. وَدُنُوٌّ مِنْ طَلْعَةِ مَا لَا تَعْرِفُونَ. أَلَا وَمَنْ أَدْرَكَهَا مِنَّا يَسْرِي فِيهَا بِسِرَاجٍ مُنِيرٍ، وَيَحْذُو فِيهَا عَلَى مِثَالِ ٱلصَّالِحِينَ لِيَحُلَّ فِيهَا رِبْقاً[3]، وَيُعْتِقَ رِقّاً، وَيَصْدَعَ شَعْباً، وَيَشْعَبَ صَدْعاً[4]، فِي سُتْرَةٍ عَنِ ٱلنَّاسِ لَا يُبْصِرُ ٱلْقَائِفُ أَثَرَهُ[5] وَلَوْ تَابَعَ نَظَرَهُ. ثُمَّ لَيُشْحَذَنَّ فِيهَا قَوْمٌ شَحْذَ ٱلْقَيْنِ ٱلنَّصْلَ[6]. تُجْلَى بِالتَّنْزِيلِ أَبْصَارُهُمْ[7]. وَيُرْمَى بِالتَّفْسِيرِ فِي مَسَامِعِهِمْ

(١) تباشيره : أوائله (٢) إبان ــ بكسر فتشديد ــ وقت. والدنو : القرب (٣) الربق ــ بكسر فسكون ــ حبل فيه عدة عرى كل عروة ربقة ــ بفتح الراء ــ تشد فيه البهم (٤) يفرق جمع ضلال ويجمع متفرق الحق (٥) القائف الذى يعرف الآثار فيتبعها (٦) يشحذن، من شحذ السكين : أى حددها. والقين : الحداد والنصل: حديدة السيف والسكين ونحوها (٧) تجلى بالتنزيل يعودون إلى القرآن وتدبره فينكشف الغطاء عن أبصارهم

وَيُغْبَقُونَ كَأْسَ الْحِكْمَةِ بَعْدَ الصَّبُوحِ[١]. (مِنْهَا) وَطَالَ الْأَمَدُ بِهِمْ[٢] لِيَسْتَكْمِلُوا الْخِزْيَ، وَيَسْتَوْجِبُوا الْغِيَرَ[٣]، حَتَّى إِذَا اخْلَوْلَقَ الْأَجَلُ[٤]، وَاسْتَرَاحَ قَوْمٌ إِلَى الْفِتَنِ، وَأَشَالُوا عَنْ لَقَاحِ حَرْبِهِمْ[٥]. وَلَمْ يَمُنُّوا عَلَى اللهِ بِالصَّبْرِ[٦]. وَلَمْ يَسْتَعْظِمُوا بَذْلَ أَنْفُسِهِمْ فِي الْحَقِّ. حَتَّى إِذَا وَافَقَ وَارِدُ الْقَضَاءِ انْقِطَاعَ مُدَّةِ الْبَلَاءِ حَمَلُوا بَصَائِرَهُمْ عَلَى أَسْيَافِهِمْ[٧]، وَدَانُوا لِرَبِّهِمْ بِأَمْرِ وَاعِظِهِمْ. حَتَّى إِذَا قَبَضَ اللهُ رَسُولَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَجَعَ قَوْمٌ عَلَى الْأَعْقَابِ. وَغَالَتْهُمُ السُّبُلُ، وَاتَّكَلُوا عَلَى الْوَلَائِجِ[٨] وَوَصَلُوا غَيْرَ الرَّحِمِ، وَهَجَرُوا السَّبَبَ الَّذِي أُمِرُوا بِمَوَدَّتِهِ، وَنَقَلُوا الْبِنَاءَ عَنْ رَصِّ أَسَاسِهِ، فَبَنَوْهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ. مَعَادِنُ كُلِّ خَطِيئَةٍ، وَأَبْوَابُ كُلِّ ضَارِبٍ فِي غَمْرَةٍ[٩].

فينهضون إلى الحق كما نهض أهل القرآن عند نزوله (١) يغبقون ـ مبنى للمجهول ـ يسقون كأس الحكمة بالمساء بعد ماشربوه بالصباح. والصبوح مايشرب وقت الصباح. والمراد أنها تفاض عليهم الحكم الالهية فى حركاتهم وسكونهم وسرهم واعلانهم (٢) قوله وطال الخ انتقال لحكاية أهل الجاهلية. وطول الأمد فيها ليزيد الله لهم فى العقوبة (٣) الغير ـ بكسر ففتح ـ أحداث الدهر ونوائبه (٤) من قولهم اخلولق السحاب اذا استوى وصار خليقاً أن يمطر : أى يشرف الأجل على الانقضاء (٥) أشالت الناقة ذنبها : رفعته، أى رفعوا أيديهم بسيوفهم ليلقحوا حروبهم على غيرهم، أى يسعروها عليهم (٦) الضمير فيه للمؤمنين المفهومين من سياق الخطاب والجملة جواب إذا (٧) من ألطف أنواع التمثيل، يريد أشهروا عقيدتهم داعين اليها غيرهم (٨) دخائل المكر والخديعة (٩) الغمرة : الشدة . والمزدحم، يريد مزدحم الفتن

قَدْ مَارُوا فِي الْحَيْرَةِ[١]، وَذَهَلُوا فِي السَّكْرَةِ عَلَى سُنَّةٍ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ: مِنْ مُنْقَطِعٍ إِلَى الدُّنْيَا رَاكِنٍ، أَوْ مُفَارِقٍ لِلدِّينِ مُبَايِنٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَأَحْمَدُ اللهَ وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى مَدَاحِرِ الشَّيْطَانِ وَمَزَاجِرِهِ[٢]، وَالِاعْتِصَامِ مِنْ حَبَائِلِهِ وَمَخَاتِلِهِ. وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَنَجِيبُهُ وَصَفْوَتُهُ. لَا يُوَازَى فَضْلُهُ، وَلَا يُجْبَرُ فَقْدُهُ. أَضَاءَتْ بِهِ الْبِلَادُ بَعْدَ الضَّلَالَةِ الْمُظْلِمَةِ، وَالْجَهَالَةِ الْغَالِبَةِ، وَالْجَفْوَةِ الْجَافِيَةِ. وَالنَّاسُ يَسْتَحِلُّونَ الْحَرِيمَ، وَيَسْتَذِلُّونَ الْحَكِيمَ. يَحْيَوْنَ عَلَى فَتْرَةٍ[٣]، وَيَمُوتُونَ عَلَى كَفْرَةٍ. ثُمَّ إِنَّكُمْ مَعْشَرَ الْعَرَبِ أَغْرَاضُ بَلَايَا قَدِ اقْتَرَبَتْ. فَاتَّقُوا سَكَرَاتِ النِّعْمَةِ، وَاحْذَرُوا بَوَائِقَ النِّقْمَةِ[٤] وَتَثَبَّتُوا فِي قَتَامِ الْعِشْوَةِ[٥]، وَاعْوِجَاجِ الْفِتْنَةِ عِنْدَ طُلُوعِ جَنِينِهَا، وَظُهُورِ كَمِينِهَا، وَانْتِصَابِ قُطْبِهَا وَمَدَارِ رَحَاهَا. تَبْدَأُ فِي مَدَارِجَ خَفِيَّةٍ، وَتَؤُولُ إِلَى فَظَاعَةٍ جَلِيَّةٍ. شِبَابُهَا كَشِبَابِ الْغُلَامِ[٦]

---

(١) ماروا تحركوا واضطربوا (٢) الدحر ـ بالفتح ـ الطرد. والمداحر والمزاجر ما بها يدحر ويزجر: وهي الأعمال الفاضلة. ومخاتل الشيطان: مكائده (٣) خلو من الشرائع الالهية لا يعرفون منها شيئاً لعدم الرسول المبلغ ثم يغيرون ويبدلون ويتخذون الأصنام آلهة والأهواء شريعة فيموتون كفارا (٤) البوائق ـ جمع بائقة ـ وهي الداهية (٥) القتام ـ كسحاب ـ الغبار. والعشوة ـ بالضم ويكسر ويفتح ـ ركوب الأمر على غير بيان (٦) شباب

وَآثَارُهَا كَآثَارِ السَّلَامِ. تَتَوَارَثُهَا الظَّلَمَةُ بِالعُهُودِ. أَوَّلُهُمْ قَائِدٌ لِآخِرِهِمْ وَآخِرُهُمْ مُقْتَدٍ بِأَوَّلِهِمْ . يَتَنَافَسُونَ فِي دُنْيَا دَنِيَّةٍ . وَيَتَكَالَبُونَ عَلَى جِيفَةٍ مُرِيحَةٍ[1] عَنْ قَلِيلٍ يَتَبَرَّأُ التَّابِعُ مِنَ الْمَتْبُوعِ ، وَالْقَائِدُ مِنَ الْمَقُودِ . فَيَتَزَايَلُونَ بِالْبَغْضَاءِ[2] ، وَيَتَلَاعَنُونَ عِنْدَ اللِّقَاءِ . ثُمَّ يَأْتِي بَعْدَ ذٰلِكَ طَالِعُ الْفِتْنَةِ الرَّجُوفِ[3] ، وَالْقَاصِمَةِ الزَّحُوفِ . فَتَزِيغُ قُلُوبٌ بَعْدَ اسْتِقَامَةٍ ، وَتَضِلُّ رِجَالٌ بَعْدَ سَلَامَةٍ . وَتَخْتَلِفُ الْأَهْوَاءُ عِنْدَ هُجُومِهَا ، وَتَلْتَبِسُ الْآرَاءُ عِنْدَ نُجُومِهَا[4] . مَنْ أَشْرَفَ لَهَا قَصَمَتْهُ وَمَنْ سَعَى فِيهَا حَطَمَتْهُ . يَتَكَادَمُونَ فِيهَا تَكَادُمَ الْحُمُرِ فِي الْعَانَةِ[5] . قَدِ اضْطَرَبَ مَعْقُودُ الْحَبْلِ ، وَعَمِيَ وَجْهُ الْأَمْرِ . تَغِيضُ فِيهَا الْحِكْمَةُ[6] ، وَتَنْطِقُ فِيهَا الظَّلَمَةُ . وَتَدُقُّ أَهْلَ الْبَدْوِ بِمِسْحَلِهَا[7] ، وَتَرُضُّهُمْ بِكَلْكَلِهَا . يَضِيعُ فِي غُبَارِهَا الْوُحْدَانُ[8] ، وَيَهْلِكُ فِي طَرِيقِهَا

كل شيء أوله أي بداياتها في عنفوان وشدة كشباب الغلام وفتوته . والسلام ــ بكسر السين ــ الحجارة . وآثارها في الأبدان الرض والحطم (١) أراح اللحم : أنتن (٢) يتزايلون : يتفارقون (٣) شديدة الرجفان والاضطراب ، أو شديد ارجافها وزلزالها للناس . والقاصمة : الكاسرة . والزحوف : الشديدة الزحف (٤) ظهورها (٥) يتكادمون يعض بعضهم بعضا كما تكون الحمر في العانة أي الجماعة منها وهي خاصة بحمر الوحش (٦) تغيض ــ بالغين المعجمة ــ تنقص وتغور (٧) المسحل ــ كمنبر ــ المبرد أو المنحت . والمراد بالدق التفتيت ، والرض التهشيم . والكلكل الصدر (٨) جمع واحد

الرُّكْبَانُ . تَرِدُ بِمُرِّ الْقَضَاءِ . وَتَحْلُبُ عَبِيطَ الدِّمَاءِ[١] . وَتَثْلِمُ مَنَارَ الدِّينِ[٢] ، وَتَنْقُضُ عَقْدَ الْيَقِينِ . تَهْرُبُ مِنْهَا الْأَكْيَاسُ[٣] ، وَتُدَبِّرُهَا الْأَرْجَاسُ[٤] . مِرْعَادٌ مِبْرَاقٌ ، كَاشِفَةٌ عَنْ سَاقٍ . تُقَطَّعُ فِيهَا الْأَرْحَامُ ، وَيُفَارَقُ عَلَيْهَا الْإِسْلَامُ . بَرِيُّهَا سَقِيمٌ ، وَظَاعِنُهَا مُقِيمٌ

(مِنْهَا) بَيْنَ قَتِيلٍ مَطْلُولٍ[٥] وَخَائِفٍ مُسْتَجِيرٍ . يُخْتَلُونَ بِعَقْدِ الْأَيْمَانِ[٦] بِغُرُورِ الْإِيمَانِ. فَلَا تَكُونُوا أَنْصَابَ الْفِتَنِ[٧] وَأَعْلَامَ الْبِدَعِ. وَالْزَمُوا مَا عُقِدَ عَلَيْهِ حَبْلُ الْجَمَاعَةِ ، وَبُنِيَتْ عَلَيْهِ أَرْكَانُ الطَّاعَةِ . وَاقْدَمُوا عَلَى اللهِ مَظْلُومِينَ وَلَا تَقْدَمُوا عَلَيْهِ ظَالِمِينَ . وَاتَّقُوا مَدَارِجَ الشَّيْطَانِ وَمَهَابِطَ الْعُدْوَانِ . وَلَا تُدْخِلُوا بُطُونَكُمْ لُعَقَ الْحَرَامِ[٨] فَإِنَّكُمْ بِعَيْنِ مَنْ حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَعْصِيَةَ[٩]، وَسَهَّلَ لَكُمْ سَبِيلَ الطَّاعَةِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلّٰهِ الدَّالِّ عَلَى وُجُودِهِ بِخَلْقِهِ . وَبِمُحْدَثِ خَلْقِهِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ .

أى المتفردون (١) عبيط الدماء : الطرى الخالص منها (٢) ثلم الاناء والسيف أو نحوه كسر حرفه (٣) جمع كيس : الحاذق العاقل (٤) جمع رجس وهو القذر والنجس، والمراد الأشرار (٥) طلت دمه : هدرته (٦) يختلون أى يخدعهم الظالمون بحلف الأيمان، ويغرونهم بظاهر الايمان وأنهم مؤمنون مثلهم (٧) الأنصاب كل ماينصب ليقصد (٨) اللعق — جمع لعقة بضم اللام — وهى ماتأخذه فى الملعقة (٩) انكم بعين الخ

وَ بِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شَبَهَ لَهُ . لَا تَسْتَلِمُهُ الْمَشَاعِرُ[١] ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، لِافْتِرَاقِ الصَّانِعِ وَالْمَصْنُوعِ ، وَالْحَادِّ وَالْمَحْدُودِ ، وَالرَّبِّ وَالْمَرْبُوبِ . الْأَحَدِ لَا بِتَأْوِيلِ عَدَدٍ ، وَالْخَالِقِ لَا بِمَعْنَى حَرَكَةٍ وَنَصَبٍ[٢] ، وَالسَّمِيعِ لَا بِأَدَاةٍ[٣] ، وَالْبَصِيرِ لَا بِتَفْرِيقِ آلَةٍ[٤] ، وَالشَّاهِدِ لَا بِمُمَاسَّةٍ وَالْبَائِنِ لَا بِتَرَاخِي مَسَافَةٍ[٥] ، وَالظَّاهِرِ لَا بِرُؤْيَةٍ ، وَالْبَاطِنِ لَا بِلَطَافَةٍ . بَانَ مِنَ الْأَشْيَاءِ بِالْقَهْرِ لَهَا وَالْقُدْرَةِ عَلَيْهَا . وَبَانَتِ الْأَشْيَاءُ مِنْهُ بِالْخُضُوعِ لَهُ وَالرُّجُوعِ إِلَيْهِ . مَنْ وَصَفَهُ فَقَدْ حَدَّهُ[٦] وَمَنْ حَدَّهُ فَقَدْ عَدَّهُ ، وَمَنْ عَدَّهُ فَقَدْ أَبْطَلَ أَزَلَهُ ، وَمَنْ قَالَ كَيْفَ فَقَدِ اسْتَوْصَفَهُ ، وَمَنْ قَالَ أَيْنَ فَقَدْ حَيَّزَهُ . وَعَالِمٌ إِذْ لَا مَعْلُومٌ . وَرَبٌّ إِذْ لَا مَرْبُوبٌ . وَقَادِرٌ إِذْ لَا مَقْدُورٌ

(مِنْهَا) قَدْ طَلَعَ طَالِعٌ وَلَمَعَ لَامِعٌ ، وَلَاحَ لَائِحٌ[٧] وَاعْتَدَلَ مَائِلٌ . وَاسْتَبْدَلَ اللهُ بِقَوْمٍ قَوْمًا ، وَبِيَوْمٍ يَوْمًا . وَانْتَظَرْنَا الْغِيَرَ انْتِظَارَ الْمُجْدِبِ الْمَطَرَ[٨] . وَإِنَّمَا الْأَئِمَّةُ قُوَّامُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ ، وَعُرَفَاؤُهُ عَلَى عِبَادِهِ ، لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ عَرَفَهُمْ وَعَرَفُوهُ ، وَلَا يَدْخُلُ النَّارَ إِلَّا مَنْ

أى انه يراكم (١) لا تستلمه المشاعر أى لا تصل اليه الحواس (٢) النصب ـ محركة ـ التعب (٣) الأداة : الآلة (٤) تفريق الآلة : تفريق الأجفان وفتح بعضها عن بعض (٥) البائن : المنفصل عن خلقه (٦) من وصفه أى من كيفه بكيفيات المحدثين (٧) لاح : بدا . قالوا هذه خطبة خطبها بعد قتل عثمان (٨) الغير ـ بكسر ففتح ـ صروف

أنكرهم وأنكروه. إنّ الله تعالى خصّكم بالإسلام واستخصّكم له، وذلك لأنّه اسم سلامة وجماع كرامة(١). اصطفى الله تعالى منهجه وبيّن حججه من ظاهر علم وباطن حكم. لا تفنى غرائبه، ولا تنقضي عجائبه. فيه مرابيع النّعم(٢)، ومصابيح الظّلم. لا تفتح الخيرات إلّا بمفاتيحه، ولا تكشف الظّلمات إلّا بمصابيحه. قد أحمى حماه(٣) وأرعى مرعاه. فيه شفاء المشتفي، وكفاية المكتفي

ومن خطبة له عليه السّلام

وهو في مهلة من الله يهوي مع الغافلين(٤)، ويغدو مع المذنبين. بلا سبيل قاصد، ولا إمام قائد

(منها) حتّى إذا كشف لهم عن جزاء معصيتهم. واستخرجهم من جلابيب غفلتهم، استقبلوا مدبرا، واستدبروا مقبلا. فلم ينتفعوا بما أدركوا من طلبتهم، ولا بما قضوا من وطرهم. إنّي أحذّركم ونفسي هذه المنزلة. فلينتفع امرؤ بنفسه، فإنّما البصير من سمع فتفكّر، ونظر فأبصر، وانتفع بالعبر ثمّ سلك جددا واضحا يتجنّب

الحوادث وتقلباتها: انتظرها لعلها يقوم حق وينتكس باطل (١) جماع الشيء مجمعه (٢) مرابيع – جمع مرباع بكسر الميم – المكان ينبت نبته فى أول الربيع، أو هو المطر أول الربيع (٣) أحمى المكان: جعله حمى لا يقرب، أى أعز الله الاسلام ومنعه من الاعداء، ومن دخل فيه وصار من أهله متعه الله بخيراته وأباحه رعى ما تنبته أرضه الطيبة من الفوائد (٤) قوله وهو فى مهلة، كلام فى ضال غير معين

فِيهِ ٱلصَّرْعَةَ فِي ٱلْمَهَاوِي ، وَٱلضَّلَالَ فِي ٱلْمَغَاوِي[1] . وَلَا يُمِينُ عَلَى نَفْسِهِ ٱلْغُوَاةَ بِتَعَسُّفٍ فِي حَقٍّ ، أَوْ تَحْرِيفٍ فِي نُطْقٍ ، أَوْ تَخَوُّفٍ مِنْ صِدْقٍ . فَأَفِقْ أَيُّهَا ٱلسَّامِعُ مِنْ سَكْرَتِكَ ، وَاسْتَيْقِظْ مِنْ غَفْلَتِكَ وَٱخْتَصِرْ مِنْ عَجَلَتِكَ ، وَأَنْعِمِ ٱلْفِكْرَ فِيمَا جَاءَكَ عَلَى لِسَانِ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِمَّا لَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا مَحِيصَ عَنْهُ ، وَخَالِفْ مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ إِلَى غَيْرِهِ ، وَدَعْهُ وَمَا رَضِيَ لِنَفْسِهِ . وَضَعْ فَخْرَكَ وَٱحْطُطْ كِبْرَكَ ، وَٱذْكُرْ قَبْرَكَ فَإِنَّ عَلَيْهِ مَمَرَّكَ ، وَكَمَا تَدِينُ تُدَانُ . وَكَمَا تَزْرَعُ تَحْصُدُ . وَمَا قَدَّمْتَ ٱلْيَوْمَ تَقْدَمُ عَلَيْهِ غَدًا ، فَٱمْهَدْ لِقَدَمِكَ[2] وَقَدِّمْ لِيَوْمِكَ . فَٱلْحَذَرَ ٱلْحَذَرَ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ . وَٱلْجِدَّ ٱلْجِدَّ أَيُّهَا ٱلْغَافِلُ « وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ »

إِنَّ مِنْ عَزَائِمِ ٱللهِ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ ٱلَّتِي عَلَيْهَا يُثِيبُ وَيُعَاقِبُ وَلَهَا يَرْضَى وَيَسْخَطُ ، أَنَّهُ لَا يَنْفَعُ عَبْدًا ـ وَإِنْ أَجْهَدَ نَفْسَهُ وَأَخْلَصَ فِعْلَهُ ـ أَنْ يَخْرُجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا لَاقِيًا رَبَّهُ بِخَصْلَةٍ مِنْ هٰذِهِ ٱلْخِصَالِ لَمْ يَتُبْ مِنْهَا : أَنْ يُشْرِكَ بِٱللهِ فِيمَا ٱفْتَرَضَ عَلَيْهِ مِنْ عِبَادَتِهِ ، أَوْ يَشْفِيَ غَيْظَهُ

(١) جمع مغواة، وهي الشبهة يذهب معهـا الانسان إلى مايخالف الحق (٢) مهد ـ كمنع ـ بسط

بِهَلَاكِ نَفْسٍ ، أَوْ يُقِرَّ بِأَمْرٍ فَعَلَهُ غَيْرُهُ ، أَوْ يَسْتَنْجِحَ حَاجَةً إِلَى النَّاسِ بِإِظْهَارِ بِدْعَةٍ فِي دِينِهِ(١) ، أَوْ يَلْقَى النَّاسَ بِوَجْهَيْنِ ، أَوْ يَمْشِيَ فِيهِمْ بِلِسَانَيْنِ . اعْقِلْ ذَلِكَ فَإِنَّ الْمِثْلَ دَلِيلٌ عَلَى شِبْهِهِ

إِنَّ الْبَهَائِمَ هَمُّهَا بُطُونُهَا . وَإِنَّ السِّبَاعَ هَمُّهَا الْعُدْوَانُ عَلَى غَيْرِهَا . وَإِنَّ النِّسَاءَ هَمُّهُنَّ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْفَسَادُ فِيهَا . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُسْتَكِينُونَ(٢) . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ مُشْفِقُونَ . إِنَّ الْمُؤْمِنِينَ خَائِفُونَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَنَاظِرُ قَلْبِ اللَّبِيبِ بِهِ يُبْصِرُ أَمَدَهُ(٣) ، وَيَعْرِفُ غَوْرَهُ وَنَجْدَهُ . دَاعٍ دَعَا ، وَرَاعٍ رَعَى ، فَاسْتَجِيبُوا لِلدَّاعِي وَاتَّبِعُوا الرَّاعِيَ

قَدْ خَاضُوا بِحَارَ الْفِتَنِ ، وَأَخَذُوا بِالْبِدَعِ دُونَ السُّنَنِ . وَأَرَزَ الْمُؤْمِنُونَ(٤) . وَنَطَقَ الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ . نَحْنُ الشِّعَارُ(٥) وَالْأَصْحَابُ

---

(١) يستنجح أى يطلب نجاح حاجته من الناس بالابتداع فى الدين (٢) خاضعون لله عز وجل (٣) ناظر القلب ، استعاره من ناظر العين : وهو النقطة السوداء منها ، والمراد بصيرة القلب بها يدرك اللبيب أمده أى غايته ومنتهاه . والغور ماانخفض من الأرض . والنجد ماارتفع منها ، أى يدرك باطن أمره وظاهره (٤) أرز يأرز — بكسر الراء فى المضارع — أى انقبض وثبت. وأرزت الحية لاذت بجحرها ورجعت اليه (٥) مايلى البدن من الثياب والمراد بطانة النبى صلى الله عليه وسلم

وَالْخَزَنَةُ وَالْأَبْوَابُ . لَا تُؤْتَى الْبُيُوتُ إِلَّا مِنْ أَبْوَابِهَا فَمَنْ أَتَاهَا مِنْ غَيْرِ أَبْوَابِهَا سُمِّيَ سَارِقًا

(مِنْهَا) فِيهِمْ كَرَائِمُ الْقُرْآنِ[1] ، وَهُمْ كُنُوزُ الرَّحْمَنِ . إِنْ نَطَقُوا صَدَقُوا ، وَإِنْ صَمَتُوا لَمْ يُسْبَقُوا[2] . فَلْيَصْدُقْ رَائِدٌ أَهْلَهُ ، وَلْيُحْضِرْ عَقْلَهُ ، وَلْيَكُنْ مِنْ أَبْنَاءِ الْآخِرَةِ ، فَإِنَّهُ مِنْهَا قَدِمَ وَإِلَيْهَا يَنْقَلِبُ . فَالنَّاظِرُ بِالْقَلْبِ الْعَامِلُ بِالْبَصَرِ يَكُونُ مُبْتَدَأُ عَمَلِهِ أَنْ يَعْلَمَ أَعَمَلُهُ عَلَيْهِ أَمْ لَهُ . فَإِنْ كَانَ لَهُ مَضَى فِيهِ ، وَإِنْ كَانَ عَلَيْهِ وَقَفَ عَنْهُ . فَإِنَّ الْعَامِلَ بِغَيْرِ عِلْمٍ كَالسَّائِرِ عَلَى غَيْرِ طَرِيقٍ . فَلَا يَزِيدُهُ بُعْدُهُ عَنِ الطَّرِيقِ إِلَّا بُعْدًا مِنْ حَاجَتِهِ . وَالْعَامِلُ بِالْعِلْمِ كَالسَّائِرِ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ، فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ أَسَائِرٌ هُوَ أَمْ رَاجِعٌ . وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ ظَاهِرٍ بَاطِنًا عَلَى مِثَالِهِ ، فَمَا طَابَ ظَاهِرُهُ طَابَ بَاطِنُهُ . وَمَا خَبُثَ ظَاهِرُهُ خَبُثَ بَاطِنُهُ . وَقَدْ قَالَ الرَّسُولُ الصَّادِقُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ « إِنَّ اللهَ يُحِبُّ الْعَبْدَ[3] ، وَيُبْغِضُ عَمَلَهُ ، وَيُحِبُّ الْعَمَلَ وَيُبْغِضُ بَدَنَهُ[*] » وَاعْلَمْ أَنَّ لِكُلِّ

---

(١) الضمير لآل النبي ، والكرائم : جمع كريمة ، والمراد أنزلت فى مدحهم آيات كريمات . والقرآن كريم كله وهذه كرائم من كرائم (٢) لم يسبقهم أحد الى الكلام وهم سكوت أى يهاب سكوتهم فلم يجرؤ أحد على الكلام فيما سكتوا عنه (٣) ان الله يحب الخ أى يحب من المؤمن ايمانه ويبغض مايأتيه من سيئات الأعمال ولا يفيده ذلك الحب مع هذا

(*) يوجد بهامش الاصل : (المؤمن اذا صدرت منه صغيرة فالله يحبه ويبغض عمله ، والكافر اذا أحسن فالله يحب عمله ولايحبه)

عَمَلٍ نَبَاتًا . وَكُلُّ نَبَاتٍ لَا غِنَى بِهِ عَنِ ٱلْمَاءِ ، وَٱلْمِيَاهُ مُخْتَلِفَةٌ . فَمَا طَابَ سَقْيُهُ طَابَ غَرْسُهُ وَحَلَتْ ثَمَرَتُهُ ، وَمَا خَبُثَ سَقْيُهُ خَبُثَ غَرْسُهُ وَأَمَرَّتْ ثَمَرَتُهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

يَذْكُرُ فِيهَا بَدِيعَ خِلْقَةِ ٱلْخُفَّاشِ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي ٱنْحَسَرَتِ ٱلْأَوْصَافُ عَنْ كُنْهِ مَعْرِفَتِهِ(١) وَرَدَعَتْ عَظَمَتُهُ ٱلْعُقُولَ فَلَمْ تَجِدْ مَسَاغًا إِلَى بُلُوغِ غَايَةِ مَلَكُوتِهِ . هُوَ ٱللَّهُ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ أَحَقُّ وَأَبْيَنُ مِمَّا تَرَى ٱلْعُيُونُ ، لَمْ تَبْلُغْهُ ٱلْعُقُولُ بِتَحْدِيدٍ فَيَكُونَ مُشَبَّهًا . وَلَمْ تَقَعْ عَلَيْهِ ٱلْأَوْهَامُ بِتَقْدِيرٍ فَيَكُونَ مُمَثَّلًا ، خَلَقَ ٱلْخَلْقَ عَلَى غَيْرِ تَمْثِيلٍ وَلَا مَشُورَةِ مُشِيرٍ ، وَلَا مَعُونَةِ مُعِينٍ . فَتَمَّ خَلْقُهُ بِأَمْرِهِ ، وَأَذْعَنَ لِطَاعَتِهِ ، فَأَجَابَ وَلَمْ يُدَافِعْ ، وَٱنْقَادَ وَلَمْ يُنَازِعْ . وَمِنْ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ وَعَجَائِبِ خِلْقَتِهِ مَا أَرَانَا مِنْ غَوَامِضِ

البغض إلا عذابا يتطهر به من خبث أعماله . ويحب من الكافر عمله إن كان حسناء ويبغض ذاته لالتياثها بدنس الكفر، ولاينتفع بالعمل المحبوب إلا انفعا موقتا فى الدنيا وله فى الآخرة عذاب عظيم ، فلا يكمل للانسان حظه من السعادة إلا إذا كان مؤمنا طيب العمل (١) انحسرت : انقطعت

ٱلْحِكْمَةِ فِي هٰذِهِ ٱلْخَفَافِيشِ ٱلَّتِي يَقْبِضُهَا ٱلضِّيَاءُ ٱلْبَاسِطُ لِكُلِّ شَيْءٍ. وَيَبْسُطُهَا ٱلظَّلَامُ ٱلْقَابِضُ لِكُلِّ حَيٍّ. وَكَيْفَ عَشِيَتْ أَعْيُنُهَا[1] عَنْ أَنْ تَسْتَمِدَّ مِنَ ٱلشَّمْسِ ٱلْمُضِيئَةِ نُورًا تَهْتَدِي بِهِ فِي مَذَاهِبِهَا، وَتَتَّصِلَ بِعَلَانِيَةِ بُرْهَانِ ٱلشَّمْسِ إِلَى مَعَارِفِهَا. وَرَدَعَهَا بِتَلَأْلُؤِ ضِيَائِهَا عَنِ ٱلْمُضِيِّ فِي سُبُحَاتِ إِشْرَاقِهَا[2] وَأَكَنَّهَا فِي مَكَامِنِهَا عَنِ ٱلذَّهَابِ فِي بَلَجِ ٱئْتِلَاقِهَا[3]، فَهِيَ مُسْدِلَةُ ٱلْجُفُونِ بِالنَّهَارِ عَلَى أَحْدَاقِهَا. وَجَاعِلَةُ ٱللَّيْلِ سِرَاجًا تَسْتَدِلُّ بِهِ فِي ٱلْتِمَاسِ أَرْزَاقِهَا. فَلَا يَرُدُّ أَبْصَارَهَا إِسْدَافُ ظُلْمَتِهِ[4]. وَلَا تَمْتَنِعُ مِنَ ٱلْمُضِيِّ فِيهِ لِغَسَقِ دُجُنَّتِهِ. فَإِذَا أَلْقَتِ ٱلشَّمْسُ قِنَاعَهَا، وَبَدَتْ أَوْضَاحُ نَهَارِهَا[5]، وَدَخَلَ مِنْ إِشْرَاقِ نُورِهَا عَلَى ٱلضِّبَابِ فِي وِجَارِهَا[6] أَطْبَقَتِ ٱلْأَجْفَانَ عَلَى مَآقِيهَا[7] وَتَبَلَّغَتْ بِمَا ٱكْتَسَبَتْ مِنْ فَيْءِ ظُلَمِ لَيَالِيهَا[8]. فَسُبْحَانَ مَنْ جَعَلَ ٱللَّيْلَ لَهَا نَهَارًا وَمَعَاشًا. وَٱلنَّهَارَ سَكَنًا وَقَرَارًا. وَجَعَلَ لَهَا أَجْنِحَةً مِنْ لَحْمِهَا تَعْرُجُ بِهَا عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ إِلَى ٱلطَّيَرَانِ

---

(١) العشا ـ مقصورا ـ سوء البصر وضعفه (٢) سبحات النور : درجانه وأطواره (٣) الائتلاق : اللمعان. والبلج ـ بالتحريك ـ الضوء ووضوحه (٤) أسدف الليل : أظلم. والدجنة الظلمة، وغسق الدجنة شدتها (٥) أوضاح ـ جمع وضح بالتحريك ـ وهو هنا بياض الصبح (٦) الضباب ـ ككتاب ـ جمع ضب الحيوان المعروف. والوجار ـ ككتاب ـ الجحر (٧) جمع ماق، وهو طرف العين مما يلي الأنف (٨) تبلغت : اكتفت أو اقتاتت

كَأَنَّهَا شَظَايَا الْآذَانِ(١)، غَيْرَ ذَوَاتِ رِيشٍ وَلَا قَصَبٍ(٢). إِلَّا أَنَّكَ تَرَى مَوَاضِعَ الْعُرُوقِ بَيِّنَةً أَعْلَاماً(٣). لَهَا جَنَاحَانِ لَمَّا يَرِقَّا فَيَنْشَقَّا(٤). وَلَمْ يَغْلُظَا فَيَثْقُلَا. تَطِيرُ وَوَلَدُهَا لَاصِقٌ بِهَا لَاجِئٌ إِلَيْهَا يَقَعُ إِذَا وَقَعَتْ. وَيَرْتَفِعُ إِذَا ارْتَفَعَتْ. لَا يُفَارِقُهَا حَتَّى تَشْتَدَّ أَرْكَانُهُ. وَيَحْمِلَهُ لِلنُّهُوضِ جَنَاحُهُ. وَيَعْرِفَ مَذَاهِبَ عَيْشِهِ وَمَصَالِحَ نَفْسِهِ. فَسُبْحَانَ الْبَارِي لِكُلِّ شَيْءٍ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ(٥).

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

خَاطَبَ بِهِ أَهْلَ الْبَصْرَةِ عَلَى جِهَةِ اقْتِصَاصِ الْمَلَاحِمِ

فَمَنِ اسْتَطَاعَ عِنْدَ ذَلِكَ أَنْ يَعْتَقِلَ نَفْسَهُ عَلَى اللّٰهِ عَزَّ وَجَلَّ فَلْيَفْعَلْ. فَإِنْ أَطَعْتُمُونِي فَإِنِّي حَامِلُكُمْ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ عَلَى سَبِيلِ الْجَنَّةِ، وَإِنْ كَانَ ذَا مَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ وَمَذَاقَةٍ مَرِيرَةٍ

---

(١) شظايا: جمع شظية ـ كعطية ـ وهى الفلقة من الشيء، أى كأنها مؤلفة من شقق الآذان (٢) القصبة: عمود الريشة أو أسفلها المتصل بالجناح، وقد يكون مجرداً عن الزغب فى بعض الحيوانات مما ليس بطائر كبعض أنواع القنفد أو الفيران له قصب محدد الأطراف يرمى به صائده كما يرمى النابل، و يعرف بالفأر الأمريكى (٣) أى رسوما ظاهرة (٤) لما يرقا، عبر بلما إشارة إلى أنهما مارقا فى الماضى ولاهما رقيقان، فهو نفى مستمر إلى وقت الكلام فى أى زمن كان (٥) خلا تقدمه من سواه فاذاه

وَأَمَّا فُلَانَةُ فَأَدْرَكَهَا رَأْيُ النِّسَاءِ، وَضِغْنٌ غَلَا فِي صَدْرِهَا كَمِرْجَلِ الْقَيْنِ(١)، وَلَوْ دُعِيَتْ لِتَنَالَ مِنْ غَيْرِي مَا أَتَتْ إِلَيَّ لَمْ تَفْعَلْ، وَلَهَا بَعْدُ حُرْمَتُهَا الْأُولَى وَالْحِسَابُ عَلَى اللهِ تَعَالَى

(مِنْهُ) سَبِيلٌ أَبْلَجُ الْمِنْهَاجِ أَنْوَرُ السِّرَاجِ. فَبِالْإِيمَانِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحَاتِ. وَبِالصَّالِحَاتِ يُسْتَدَلُّ عَلَى الْإِيمَانِ. وَبِالْإِيمَانِ يُعْمَرُ الْعِلْمُ. وَبِالْعِلْمِ يُرْهَبُ الْمَوْتُ وَبِالْمَوْتِ تُخْتَمُ الدُّنْيَا. وَبِالدُّنْيَا تُحْرَزُ الْآخِرَةُ(٢). وَإِنَّ الْخَلْقَ لَا مَقْصَرَ لَهُمْ عَنِ الْقِيَامَةِ(٣). مُرْقِلِينَ فِي مِضْمَارِهَا إِلَى الْغَايَةِ الْقُصْوَى

(مِنْهُ) قَدْ شَخَصُوا مِنْ مُسْتَقَرِّ الْأَجْدَاثِ(٤)، وَصَارُوا إِلَى مَصَائِرِ الْغَايَاتِ. لِكُلِّ دَارٍ أَهْلُهَا، لَا يَسْتَبْدِلُونَ بِهَا وَلَا يُنْقَلُونَ عَنْهَا. وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَخُلُقَانِ مِنْ خُلُقِ اللهِ سُبْحَانَهُ.

---

(١) المرجل: القدر. والقين ـ بالفتح ـ الحداد، أي أن ضغينتها وحقدها كانا دائمي الغليان كقدر الحداد فانه يغلي مادام يصنع. ولو دعاها أحد لتصيب من غيري غرضاً من الاساءة والعدوان مثل ما أتت إليّ ـ أي فعلت بي ـ لم تفعل، لأن حقدها كان على خاصة (٢) وبالدنيا الخ: أي أنه إذا رهب الموت وهو ختام الدنيا كانت الرهبة سببا في حرص الانسان على الفائدة من حياته فلا يضيع عمره بالباطل، وبهذا يحرز الآخرة (٣) المقصر ـ كمقعد ـ المحبس، أي لا مستقر لهم دون القيامة فهم ذاهبون اليها مرقلين أي مسرعين في ميدان هي غايته ومنتهاه (٤) شخصوا: ذهبوا

وَإِنَّهُمَا لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ . وَعَلَيْكُمْ بِكِتَابِ ٱللَّهِ فَإِنَّهُ ٱلْحَبْلُ ٱلْمَتِينُ وَٱلنُّورُ ٱلْمُبِينُ . وَٱلشِّفَاءُ ٱلنَّافِعُ ، وَٱلرِّيُّ ٱلنَّاقِعُ[1] وَٱلْعِصْمَةُ لِلْمُتَمَسِّكِ وَٱلنَّجَاةُ لِلْمُتَعَلِّقِ . لَا يَعْوَجُّ فَيُقَامَ وَلَا يَزِيغُ فَيُسْتَعْتَبَ[2] . وَلَا تُخْلِقُهُ كَثْرَةُ ٱلرَّدِّ وَوُلُوجُ ٱلسَّمْعِ[3] . مَنْ قَالَ بِهِ صَدَقَ وَمَنْ عَمِلَ بِهِ سَبَقَ .

(وَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَخْبِرْنَا عَنِ ٱلْفِتْنَةِ وَهَلْ سَأَلْتَ رَسُولَ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْهَا فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)

لَمَّا أَنْزَلَ ٱللَّهُ سُبْحَانَهُ قَوْلَهُ (الٓمٓ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) عَلِمْتُ أَنَّ ٱلْفِتْنَةَ لَا تَنْزِلُ بِنَا وَرَسُولُ ٱللَّهِ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بَيْنَ أَظْهُرِنَا . فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ مَا هٰذِهِ ٱلْفِتْنَةُ ٱلَّتِي أَخْبَرَكَ ٱللَّهُ تَعَالَى بِهَا[4] فَقَالَ : « يَا عَلِيُّ إِنَّ أُمَّتِي سَيُفْتَنُونَ مِنْ بَعْدِي » فَقُلْتُ يَا رَسُولَ ٱللَّهِ : أَوَلَيْسَ قَدْ قُلْتَ لِي يَوْمَ أُحُدٍ حَيْثُ ٱسْتُشْهِدَ مَنِ ٱسْتُشْهِدَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ

والأجداث القبور والمصائر الغايات — جمع مصير — مايصير اليه الانسان من شقاء وسعادة . والكلام فى القيامة (١) نقع العطش إذا أزاله (٢) يستعتب من أعتب ، إذا انصرف . والسين والتاء للطلب أو زائدتان ، أى لا يميل عن الحق فيصرف ، أو يطلب منه الانصراف عنه (٣) أخلقه : ألبسه ثوباً خلقاً أى بالياً ، وكثرة الرد : كثرة ترديده على الألسنة بالقراءة ، أى أن القرآن دائماً فى أثوابه الجدد رائق لنظر العقل وان كثرت تلاوته لانطباقه على الأحوال المختلفة فى الأزمنة المتعددة وليس كسائر الكلام كلما تكرر ابتذل وملته النفس (٤) فقلت يارسول الله الخ أشكل على الشارحين العطف بالفاء مع كون الآية مكية والسؤال كان بعد أحد ، ووقعته كانت بعد الهجرة ،

وَحِيزَتْ عَنِّي ٱلشَّهَادَةُ (١) فَشَقَّ ذَٰلِكَ عَلَيَّ فَقُلْتَ لِي: « أَبْشِرْ فَإِنَّ ٱلشَّهَادَةَ مِنْ وَرَائِكَ » فَقَالَ لِي: « إِنَّ ذَٰلِكَ لَكَذَٰلِكَ فَكَيْفَ صَبْرُكَ إِذًا (٢) » فَقُلْتُ: يَارَسُولَ ٱللهِ لَيْسَ هَٰذَا مِنْ مَوَاطِنِ ٱلصَّبْرِ، وَلَٰكِنْ مِنْ مَوَاطِنِ ٱلْبُشْرَى وَٱلشُّكْرِ (٣). فَقَالَ: « يَاعَلِيُّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ سَيُفْتَنُونَ بِأَمْوَالِهِمْ، وَيَمُنُّونَ بِدِينِهِمْ عَلَىٰ رَبِّهِمْ، وَيَتَمَنَّوْنَ رَحْمَتَهُ، وَيَأْمَنُونَ سَطْوَتَهُ. وَيَسْتَحِلُّونَ حَرَامَهُ بِالشُّبُهَاتِ ٱلْكَاذِبَةِ وَٱلْأَهْوَاءِ ٱلسَّاهِيَةِ. فَيَسْتَحِلُّونَ ٱلْخَمْرَ بِالنَّبِيذِ، وَٱلسُّحْتَ بِالْهَدِيَّةِ. وَٱلرِّبَا بِالْبَيْعِ » قُلْتُ يَارَسُولَ ٱللهِ: بِأَيِّ ٱلْمَنَازِلِ أُنْزِلُهُمْ عِنْدَ ذَٰلِكَ؟ أَبِمَنْزِلَةِ رِدَّةٍ أَمْ بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ؟ فَقَالَ: « بِمَنْزِلَةِ فِتْنَةٍ »

وصعب عليهم التوفيق بين كلام الامام و بين ما أجمع عليه المفسرون من كون العنكبوت مكية بجميع آياتها، والذى أراه أن علمه بكون الفتنة لاتنزل والنبى بين أظهرهم كان عند نزول الآية فى مكة، ثم شغله عن استخبار الغيب اشتداد المشركين على الموحدين واهتمام هؤلاء برد كيد أولئك، ثم بعدما خفت الوطأة وصفا الوقت لاستكمال العلم سأل هذا السؤال فالفاء لترتيب السؤال على العلم، والعلم كان ممتداً إلى يوم السؤال فهى لتعقيب قوله لعلمه، والتعقيب يصدق بأن يكون ما بعد الفاء غير منقطع عما قبلها وان امتد زمن ماقبلها سنين، تقول تزوج فولدله وحملت فولدت (١) حيزت حازها الله عنى فلم أنلها (٢) على أية حالة يكون صبرك إذا هيئت لك الشهادة (٣) قوله من مواطن البشرى، هذا شأن أهل الحق يستبشرون بالموت فى سبيل الحق فانه الحياة الأبدية

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي جَعَلَ ٱلْحَمْدَ مِفْتَاحًا لِذِكْرِهِ. وَسَبَبًا لِلْمَزِيدِ مِنْ فَضْلِهِ وَدَلِيلًا عَلَى آلَائِهِ وَعَظَمَتِهِ. عِبَادَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱلدَّهْرَ يَجْرِي بِالْبَاقِينَ كَجَرْيِهِ بِالْمَاضِينَ. لَا يَعُودُ مَا قَدْ وَلَّى مِنْهُ، وَلَا يَبْقَى سَرْمَدًا مَا فِيهِ. آخِرُ فِعَالِهِ كَأَوَّلِهِ. مُتَسَابِقَةٌ أُمُورُهُ[1]، مُتَظَاهِرَةٌ أَعْلَامُهُ. فَكَأَنَّكُمْ بِالسَّاعَةِ تَحْدُوكُمْ حَدْوَ ٱلزَّاجِرِ بِشَوْلِهِ. فَمَنْ شَغَلَ نَفْسَهُ بِغَيْرِ نَفْسِهِ تَحَيَّرَ فِي ٱلظُّلُمَاتِ، وَٱرْتَبَكَ فِي ٱلْهَلَكَاتِ. وَمَدَّتْ بِهِ شَيَاطِينُهُ فِي طُغْيَانِهِ، وَزَيَّنَتْ لَهُ سَيِّئَ أَعْمَالِهِ. فَالْجَنَّةُ غَايَةُ ٱلسَّابِقِينَ. وَٱلنَّارُ غَايَةُ ٱلْمُفَرِّطِينَ

اعْلَمُوا عِبَادَ ٱللَّهِ أَنَّ ٱلتَّقْوَى دَارُ حِصْنٍ عَزِيزٍ. وَٱلْفُجُورَ دَارُ حِصْنٍ ذَلِيلٍ لَا يَمْنَعُ أَهْلَهُ وَلَا يُحْرِزُ مَنْ لَجَأَ إِلَيْهِ[2]. أَلَا وَبِالتَّقْوَى تُقْطَعُ حُمَةُ ٱلْخَطَايَا[3]. وَبِالْيَقِينِ تُدْرَكُ ٱلْغَايَةُ ٱلْقُصْوَى

---

(١) تتسابق أمور الدهر، أى مصائبه كأن كلا منها يطلب النزول قبل الآخر فالسابق منها مهلك. والمتأخر لاحق له فى مثل أثره. والأعلام هى الرايات كنى بها عن الجيوش وتظاهرها: تعاونها. والساعة: القيامة. وحدوها: سوقها وحثها لأهل الدنيا على المسير للوصول اليها. وزاجر الابل: سائقها. والشول ـ بالفتح ـ جمع شائلة، وهى من الابل مامضى عليها من حملها أو وضعها سبعة أشهر (٢) لايحرز، أى لايحفظ (٣) الحمة ـ بضم ففتح ـ فى الأصل إبرة الزنبور والعقرب ونحوها تلسع

عِبَادَ ٱللَّهِ ، ٱللَّهَ ٱللَّهَ فِي أَعَزِّ ٱلْأَنْفُسِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحَبِّهَا إِلَيْكُمْ . فَإِنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَوْضَحَ لَكُمْ سَبِيلَ ٱلْحَقِّ وَأَنَارَ طُرُقَهُ . فَشِقْوَةٌ لَازِمَةٌ أَوْ سَعَادَةٌ دَائِمَةٌ . فَتَزَوَّدُوا فِي أَيَّامِ ٱلْفَنَاءِ(١) لِأَيَّامِ ٱلْبَقَاءِ. فَقَدْ دُلِلْتُمْ عَلَى ٱلزَّادِ وَأُمِرْتُمْ بِالظَّعْنِ(٢) . وَحُثِثْتُمْ عَلَى ٱلْمَسِيرِ . فَإِنَّمَا أَنْتُمْ كَرَكْبٍ وُقُوفٍ لَا يَدْرُونَ مَتَى يُؤْمَرُونَ بِالْمَسِيرِ . أَلَا فَمَا يَصْنَعُ بِالدُّنْيَا مَنْ خُلِقَ لِلْآخِرَةِ وَمَا يَصْنَعُ بِالْمَالِ مَنْ عَمَّا قَلِيلٍ يُسْلَبُهُ ، وَتَبْقَى عَلَيْهِ تَبِعَتُهُ وَحِسَابُهُ(٣)

عِبَادَ ٱللَّهِ ، إِنَّهُ لَيْسَ لِمَا وَعَدَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْخَيْرِ مَتْرَكٌ ، وَلَا فِيمَا نَهَى عَنْهُ مِنَ ٱلشَّرِّ مَرْغَبٌ . عِبَادَ ٱللَّهِ ، ٱحْذَرُوا يَوْماً تُفْحَصُ فِيهِ ٱلْأَعْمَالُ . وَيَكْثُرُ فِيهِ ٱلزِّلْزَالُ . وَتَشِيبُ فِيهِ ٱلْأَطْفَالُ

ٱعْلَمُوا عِبَادَ ٱللَّهِ أَنَّ عَلَيْكُمْ رَصَدًا مِنْ أَنْفُسِكُمْ(٤) ، وَعُيُونًا مِنْ

بها . والمراد هنا سطوة الخطايا على النفس (١) يريد أيام الدنيا (٢) المراد بالظعن المأمور به ههنا السير الى السعادة بالاعمال الصالحة ، وهذا ماحثنا الله عليه. والمراد بالمسير الذى لاندرى متى نؤمر به هو مفارقة الدنيا. والأمر فى الأول خطابى شرعى وفى الثانى فعلى تكوينى (٣) تبعتهمايتعلق به من حق الغير فيه (٤) الرصد: يريد به رقيب الذمة وواعظ السر الروحى الذى لايغفل عن التنبيه ولا يخطىء فى الانذار والتحذير حتى لا تكون من مخطىء خطيئة الا ويناديه من سره مناد يعنفه على ما ارتكب، ويعيبه على ما اقترف، ويبين لهوجه الحق فيما فعل. ولا تعارضه علل

جَوَارِحِكُمْ ، وَحُفَّاظَ صِدْقٍ يَحْفَظُونَ أَعْمَالَكُمْ . وَعَدَدَ أَنْفَاسِكُمْ . لَا تَسْتُرُكُمْ مِنْهُمْ ظُلْمَةُ لَيْلٍ دَاجٍ ، وَلَا يُكِنُّكُمْ مِنْهُمْ بَابٌ ذُو رِتَاجٍ (١) وَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ

يَذْهَبُ الْيَوْمُ بِمَا فِيهِ ، وَيَجِيءُ الْغَدُ لَاحِقًا بِهِ ، فَكَأَنَّ كُلَّ امْرِئٍ مِنْكُمْ قَدْ بَلَغَ مِنَ الْأَرْضِ مَنْزِلَ وَحْدَتِهِ (٢) ، وَمَخَطَّ حُفْرَتِهِ . فَيَالَهُ مِنْ بَيْتِ وَحْدَةٍ ، وَمَنْزِلِ وَحْشَةٍ ، وَمُفْرَدِ غُرْبَةٍ . وَكَأَنَّ الصَّيْحَةَ قَدْ أَتَتْكُمْ ، وَالسَّاعَةَ قَدْ غَشِيَتْكُمْ ، وَبَرَزْتُمْ لِفَصْلِ الْقَضَاءِ . قَدْ زَاحَتْ عَنْكُمُ الْأَبَاطِيلُ (٣) . وَاضْمَحَلَّتْ عَنْكُمُ الْعِلَلُ . وَاسْتَحَقَّتْ بِكُمُ الْحَقَائِقُ . وَصَدَرَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ مَصَادِرَهَا . فَاتَّعِظُوا بِالْعِبَرِ ، وَاعْتَبِرُوا بِالْغِيَرِ ، وَانْتَفِعُوا بِالنُّذُرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَرْسَلَهُ عَلَى حِينِ فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ ، وَطُولِ هَجْعَةٍ مِنَ الْأُمَمِ (٤) ،

الهوى ولا يخفف مرارة نصحه تلاعب الأوهام. وأى حجاب يحجب الانسان عن سره

(١) الرتاج — ككتاب — الباب العظيم إذا كان محكم الغلق (٢) منزل وحدته هو القبر (٣) زاحت : بعدت وانكشفت (٤) الهجعة : المرة من الهجوع وهو النوم ليلا، نوم الغفلة فى ظلمات الجهالة وانتقاض الأحكام الالهية التى أبرمت على ألسنة

وَانْتِقَاضٍ مِنَ الْمُبْرَمِ . فَجَاءهُمْ بِتَصْدِيقِ الَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ ، وَالنُّورِ الْمُقْتَدَى بِهِ . ذٰلِكَ الْقُرْآنُ فَاسْتَنْطِقُوهُ وَلَنْ يَنْطِقَ وَلَكِنْ أُخْبِرُكُمْ عَنْهُ . أَلَا إِنَّ فِيهِ عِلْمَ مَا يَأْتِى ، وَالْحَدِيثَ عَنِ الْمَاضِى ، وَدَوَاءَ دَائِكُمْ، وَنَظْمَ مَا بَيْنَكُمْ

(مِنْهَا) فَعِنْدَ ذٰلِكَ لَا يَبْقَى بَيْتُ مَدَرٍ وَلَا وَبَرٍ[1] إِلَّا وَأَدْخَلَهُ الظَّلَمَةُ تَرْحَةً ، وَأَوْلَجُوا فِيهِ نِقْمَةً . فَيَوْمَئِذٍ لَا يَبْقَى لَكُمْ فِى السَّمَاءِ وَلَا فِى الْأَرْضِ نَاصِرٌ . أَصْفَيْتُمْ بِالْأَمْرِ غَيْرَ أَهْلِهِ[2] ، وَأَوْرَدْتُمُوهُ غَيْرَ مَوْرِدِهِ . وَسَيَنْتَقِمُ اللّٰهُ مِمَّنْ ظَلَمَ مَأْكَلًا بِمَأْكَلٍ وَمَشْرَبًا بِمَشْرَبٍ ، مِنْ مَطَاعِمِ الْعَلْقَمِ وَمَشَارِبِ الصَّبِرِ وَالْمَقِرِ[3] . وَلِبَاسِ شِعَارِ الْخَوْفِ وَدِثَارِ السَّيْفِ[4] . وَإِنَّمَاهُمْ مَطَايَا الْخَطِيئَاتِ وَزَوَامِلُ الْآثَامِ[5] . فَأُقْسِمُ ثُمَّ أُقْسِمُ ، لَتَنْخَمَنَّهَا أُمَيَّةُ مِنْ بَعْدِى كَمَا تُلْفَظُ النُّخَامَةُ[6] ثُمَّ

الأنبياء السابقين نقضها الناس بمخالفتها (١) الاشارة بذلك لحالة الاختلاف ومخالفة القرآن بالتأويل . والترحة ضد الفرحة (٢) أصفيته بالشيء ، آثرته به واختصصته (٣) الصبر - ككتف - عصارة شجر مر . والمقر - على وزانه - السم (٤) الدثار - ككتاب - من اللباس أعلاه فوق اللابس. والسيف يكون أشبه بالدثار إذا عمت إباحة الدم باحكام الهوى فلا يكون لبدن ولا لعضو منه انفلات عنه (٥) الزوامل : جمع زاملة ، وهى مايحمل عليها الطعام من الابل ونحوها (٦) نخم - كفرح - أخرج النخامة من صدره فالقاها . والنخامة - بالضم - ما يدفعه الصدر أو الدماغ من المواد

لا تَذُوقُهَا وَلا تَتَطَعَّمُ بِطَعْمِهَا أَبَدًا مَا كَرَّ ٱلْجَدِيدَان

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَلَقَدْ أَحْسَنْتُ جِوَارَكُمْ ، وَأَحَطْتُ بِجُهْدِي مِنْ وَرَائِكُمْ . وَأَعْتَقْتُكُمْ مِنْ رِبَقِ ٱلذُّلِّ . وَحَلَقِ ٱلضَّيْمِ (١) شُكْرًا مِنِّي لِلْبِرِّ ٱلْقَلِيلِ، وَإِطْرَاقًا عَمَّا أَدْرَكَهُ ٱلْبَصَرُ وَشَهِدَهُ ٱلْبَدَنُ مِنَ ٱلْمُنْكَرِ ٱلْكَثِيرِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَمْرُهُ قَضَاءٌ وَحِكْمَةٌ ، وَرِضَاهُ أَمَانٌ وَرَحْمَةٌ . يَقْضِي بِعِلْمٍ ، وَيَعْفُو بِحِلْمٍ . ٱللَّهُمَّ لَكَ ٱلْحَمْدُ عَلَى مَا تَأْخُذُ وَتُعْطِي ، وَعَلَى مَا تُعَافِي وَتَبْتَلِي : حَمْدًا يَكُونُ أَرْضَى ٱلْحَمْدِ لَكَ ، وَأَحَبَّ ٱلْحَمْدِ إِلَيْكَ ، وَأَفْضَلَ ٱلْحَمْدِ عِنْدَكَ . حَمْدًا يَمْلَأُ مَا خَلَقْتَ ، وَيَبْلُغُ مَا أَرَدْتَ . حَمْدًا لَا يُحْجَبُ عَنْكَ وَلَا يَقْصُرُ دُونَكَ . حَمْدًا لَا يَنْقَطِعُ عَدَدُهُ ، وَلَا يَفْنَى مَدَدُهُ . فَلَسْنَا نَعْلَمُ كُنْهَ عَظَمَتِكَ ، إِلَّا أَنَّا نَعْلَمُ أَنَّكَ حَيٌّ قَيُّومٌ لَا تَأْخُذُكَ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ . لَمْ يَنْتَهِ إِلَيْكَ نَظَرٌ ، وَلَمْ يُدْرِكْكَ بَصَرٌ . أَدْرَكْتَ ٱلْأَبْصَارَ ، وَأَحْصَيْتَ ٱلْأَعْمَالَ ، وَأَخَذْتَ بِالنَّوَاصِي وَٱلْأَقْدَامِ . وَمَا ٱلَّذِي نَرَى

الخاطبة (١) حلق ـ بحركة ـ جمع حلقة

مِنْ خَلْقِكَ وَنَعْجَبُ لَهُ مِنْ قُدْرَتِكَ وَنَصِفُهُ مِنْ عَظِيمِ سُلْطَانِكَ ، وَمَا تَغَيَّبَ عَنَّا مِنْهُ ، وَقَصُرَتْ أَبْصَارُنَا عَنْهُ ، وَانْتَهَتْ عُقُولُنَا دُونَهُ ، وَحَالَتْ سَوَاتِرُ الْغُيُوبِ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُ أَعْظَمُ . فَمَنْ فَرَّغَ قَلْبَهُ وَأَعْمَلَ فِكْرَهُ لِيَعْلَمَ كَيْفَ أَقَمْتَ عَرْشَكَ ، وَكَيْفَ ذَرَأْتَ خَلْقَكَ(١) ، وَكَيْفَ عَلَّقْتَ فِي الْهَوَاءِ سَمٰوَاتِكَ ، وَكَيْفَ مَدَدْتَ عَلَى مَوْرِ الْمَاءِ أَرْضَكَ(٢) رَجَعَ طَرْفُهُ حَسِيرًا ، وَعَقْلُهُ مَبْهُورًا ، وَسَمْعُهُ وَالِهًا ، وَفِكْرُهُ حَائِرًا(٣)

(مِنْهَا) يَدَّعِي بِزَعْمِهِ أَنَّهُ يَرْجُو اللّٰهَ . كَذَبَ وَالْعَظِيمِ ، مَا بَالُهُ لَا يَتَبَيَّنُ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ ؟ فَكُلُّ مَنْ رَجَا عُرِفَ رَجَاؤُهُ فِي عَمَلِهِ . وَكُلُّ رَجَاءٍ إِلَّا رَجَاءَ اللّٰهِ تَعَالَى فَإِنَّهُ مَدْخُولٌ(٤) وَكُلُّ خَوْفٍ مُحَقَّقٌ إِلَّا خَوْفَ اللّٰهِ فَإِنَّهُ مَعْلُولٌ

---

(١) ذرأت : خلقت (٢) المور — بالفتح — الموج (٣) كليلا . والمبهور المغلوب والمنقطع نفسه من الاعياء . والواله — من الوله — وهوذهاب الشعور (٤) المدخول: المغشوش غير الخالص أو هو المعيب الناقص لا يترتب عليه عمل . والخوف المحقق هو الثابت الذى يبعث على البعد عن المخوف والهرب منه وهو فى جانب الله ما يمنع عن إتيان نواهيه ويحمل على إتيان أوامره هرباً من عقابه وخشية من جلاله . والخوف المعلول هو مالم يثبت فى النفس ولم يخالط القلب ، و إنما هو عارض فى الخيال يزيله أدنى الشواغل و يغلب عليه أقل الرغائب، فهو يرد على الوهم ثم يفارقه ثم يعود إليه، شان الأوهام التى لاقرارلها، فهو معلول: من علهيعله إذا شربه مرة بعد أخرى ، ومراد الامام أن الراجى لعبدمن العبيديظهر رجاؤه فى سعيه واهتمامه بشأن من رجاه وموافقته على أهوائه ، وكذلك الخائف من أمير أو سلطان يرى أثر خوفه فى تهيبه والامتناع من كل مايحرك غضبه، بل مايتوهم فيه أنه غير حسن عنده،

يَرْجُو ٱللهَ فِي ٱلْكَبِيرِ ، وَيَرْجُو ٱلعِبَادَ فِي ٱلصَّغِيرِ ، فَيُعْطِي ٱلْعَبْدَ مَالَا يُعْطِي ٱلرَّبَّ . فَمَا بَالُ ٱللهِ جَلَّ ثَنَاؤُهُ يُقَصَّرُ بِهِ عَمَّا يُصْنَعُ لِعِبَادِهِ ؟ أَتَخَافُ أَنْ تَكُونَ فِي رَجَائِكَ لَهُ كَاذِباً ؟ أَوْتَكُونَ لَا تَرَاهُ لِلرَّجَاءِ مَوْضِعاً ؟ وَكَذَلِكَ إِنْ هُوَ خَافَ عَبْدًا مِنْ عَبِيدِهِ أَعْطَاهُ مِنْ خَوْفِهِ مَالَا يُعْطِي رَبَّهُ ، فَجَعَلَ خَوْفَهُ مِنَ ٱلْعِبَادِ نَقْدًا ، وَخَوْفَهُ مِنْ خَالِقِهِمْ ضِمَارًا وَوَعْدًا[١] . وَكَذَلِكَ مَنْ عَظُمَتِ ٱلدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَبُرَ مَوْقِعُهَا فِي قَلْبِهِ آثَرَهَا عَلَى ٱللهِ تَعَالَى فَانْقَطَعَ إِلَيْهَا وَصَارَ عَبْدًا لَهَا . وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَافٍ لَكَ فِي ٱلْأُسْوَةِ[٢] . وَدَلِيلٌ لَكَ عَلَى ذَمِّ ٱلدُّنْيَا وَعَيْبِهَا ، وَكَثْرَةِ مَخَازِيهَا وَمَسَاوِيهَا ، إِذْ قُبِضَتْ عَنْهُ أَطْرَافُهَا ، وَوُطِّئَتْ لِغَيْرِهِ أَكْنَافُهَا[٣] ، وَفُطِمَ عَنْ رَضَاعِهَا ، وَزُوِيَ عَنْ زَخَارِفِهَا . وَإِنْ شِئْتَ ثَنَّيْتُ بِمُوسَى كَلِيمِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ يَقُولُ « رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ » وَٱللهِ مَا سَأَلَهُ إِلَّا خُبْزًا يَأْكُلُهُ لِأَنَّهُ كَانَ يَأْكُلُ بَقْلَةَ ٱلْأَرْضِ . وَلَقَدْ كَانَتْ خُضْرَةُ ٱلْبَقْلِ

لكنهم فى رجاء الله وخوفه يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم ، مع أنهم يرجون الله فى سعادة الدارين ويخافونه فى شقاء الأبد، فيعطون للعبيد مالايعطون لله (١) الضمار ـ ككتاب ـ من الوعود ما كان مسوفا به (٢) الأسوة : القدوة (٣) الأكناف : الجوانب.

تُرَى مِنْ شَفِيفِ صِفَاقِ بَطْنِهِ ، لِهُزَالِهِ وَتَشَذُّبِ لَحْمِهِ(١) . وَإِنْ شِئْتَ ثَلَّثْتُ بِدَاوُدَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ صَاحِبِ ٱلْمَزَامِيرِ وَقَارِىءِ أَهْلِ ٱلْجَنَّةِ ، فَلَقَدْ كَانَ يَعْمَلُ سَفَائِفَ ٱلْخُوصِ بِيَدِهِ(٢) ، وَيَقُولُ لِجُلَسَائِهِ أَيُّكُمْ يَكْفِينِي بَيْعَهَا . وَيَأْكُلُ قُرْصَ ٱلشَّعِيرِ مِنْ ثَمَنِهَا . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي عِيسَى بْنِ مَرْيَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ، فَلَقَدْ كَانَ يَتَوَسَّدُ ٱلْحَجَرَ وَيَلْبَسُ ٱلْخَشِنَ وَيَأْكُلُ ٱلْجَشِبَ . وَكَانَ إِدَامُهُ ٱلْجُوعَ ، وَسِرَاجُهُ بِاللَّيْلِ ٱلْقَمَرَ . وَظِلَالُهُ فِي ٱلشِّتَاءِ مَشَارِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا(٣) ، وَفَاكِهَتُهُ وَرَيْحَانُهُ مَا تُنْبِتُ ٱلْأَرْضُ لِلْبَهَائِمِ . وَلَمْ تَكُنْ لَهُ زَوْجَةٌ تَفْتِنُهُ ، وَلَا وَلَدٌ يَحْزُنُهُ ، وَلَا مَالٌ يَلْفِتُهُ ، وَلَا طَمَعٌ يُذِلُّهُ . دَابَّتُهُ رِجْلَاهُ ، وَخَادِمُهُ يَدَاهُ . فَتَأَسَّ(٤) بِنَبِيِّكَ ٱلْأَطْيَبِ ٱلْأَطْهَرِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنَّ فِيهِ أُسْوَةً لِمَنْ تَأَسَّى ، وَعَزَاءً لِمَنْ تَعَزَّى . وَأَحَبُّ ٱلْعِبَادِ إِلَى ٱللهِ ٱلْمُتَأَسِّي بِنَبِيِّهِ وَٱلْمُقْتَصُّ لِأَثَرِهِ . قَضَمَ ٱلدُّنْيَا قَضْماً(٥) ، وَلَمْ يُعِرْهَا طَرْفاً . أَهْضَمُ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) الصفاق ـ ككتاب ـ هو الجلد الأسفل تحت الجلد الذي عليه الشعر، أوهو مابين الجلد والمصران أو جلد البطن كله . والتشذب : التفرق. وانهضام اللحم : تحلل الأجزاء وتفرقها (٢) السفائف ـ جمع سفيفة ـ وصف، من سف الخوص اذا نسجه، أي منسوجات الخوص (٣) ظلاله ـ جمع ظل ـ بمعنى المسكن والمأوى ومن كان كنه المشرق والمغرب فلا كن له (٤) تأس : أي اقتد (٥) القضم : الأكل بأطراف الأسنان ، كأنه لم يتناول منها إلا على أطراف أسنانه ولم يملأ منها فمه أو بمعنى

كَشْحًا [١] ، وَأَخْمَصُهُمْ مِنَ الدُّنْيَا بَطْنًا . عُرِضَتْ عَلَيْهِ الدُّنْيَا فَأَبَى أَنْ يَقْبَلَهَا . وَعَلِمَ أَنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَبْغَضَ شَيْئًا فَأَبْغَضَهُ ، وَحَقَرَ شَيْئًا فَحَقَرَهُ ، وَصَغَّرَ شَيْئًا فَصَغَّرَهُ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِينَا إِلَّا حُبُّنَا مَا أَبْغَضَ اللهُ وَرَسُولُهُ وَتَعْظِيمُنَا مَا صَغَّرَ اللهُ وَرَسُولُهُ لَكَفَى بِهِ شِقَاقًا لِلهِ وَمُحَادَّةً عَنْ أَمْرِ اللهِ [٢] .
وَلَقَدْ كَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَأْكُلُ عَلَى الْأَرْضِ ، وَيَجْلِسُ جِلْسَةَ الْعَبْدِ ، وَيَخْصِفُ بِيَدِهِ نَعْلَهُ [٣] ، وَيَرْقَعُ بِيَدِهِ ثَوْبَهُ ، وَيَرْكَبُ الْحِمَارَ الْعَارِيَ وَيُرْدِفُ خَلْفَهُ . وَيَكُونُ السِّتْرُ عَلَى بَابِ بَيْتِهِ فَتَكُونُ فِيهِ التَّصَاوِيرُ فَيَقُولُ يَا فُلَانَةُ ـ لِإِحْدَى أَزْوَاجِهِ ـ غَيِّبِيهِ عَنِّي فَإِنِّي إِذَا نَظَرْتُ إِلَيْهِ ذَكَرْتُ الدُّنْيَا وَزَخَارِفَهَا [٤] . فَأَعْرَضَ عَنِ الدُّنْيَا بِقَلْبِهِ ، وَأَمَاتَ ذِكْرَهَا مِنْ نَفْسِهِ ، وَأَحَبَّ أَنْ تَغِيبَ زِينَتُهَا عَنْ عَيْنِهِ ، لِكَيْلَا يَتَّخِذَ مِنْهَا رِيَاشًا [٥] ، وَلَا يَعْتَقِدَهَا قَرَارًا وَلَا يَرْجُوَ فِيهَا مُقَامًا ، فَأَخْرَجَهَا

أكل اليابس (١) أهضم من الهضم : وهو خمص البطن أى خلوها وانطباقها من الجوع . والكشح ما بين الخاصرة إلى الضلع الخلف . وأخمصهم : أخلاهم (٢) المحادة المخالفة فى عناد (٣) خصف النعل : خرزها . والحمار العارى ماليس عليه برذعة ولا اكاف . وأردف خلفه : أركب معه شخصاً آخر على حمار واحد أو جمل أو فرس أو نحوها وجعله خلفه (٤) فى هذا دليل على أن الرسم على الورق والأثواب ونحوها لايمنع استعماله ، وإنما يتجافى عنه بالنظر تزهدا وتورعا (٥) الرياش : اللباس الفاخر

مِنَ ٱلنَّفْسِ ، وَأَشْخَصَهَا عَنِ ٱلْقَلْبِ[١] ، وَغَيَّبَهَا عَنِ ٱلْبَصَرِ . وَكَذَا مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا أَبْغَضَ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيْهِ وَأَنْ يُذْكَرَ عِنْدَهُ

وَلَقَدْ كَانَ فِي رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا يَدُلُّكَ عَلَى مَسَاوِي ٱلدُّنْيَا وَعُيُوبِهَا . إِذْ جَاعَ فِيهَا مَعَ خَاصَّتِهِ[٢] ، وَزُوِيَتْ عَنْهُ زَخَارِفُهَا مَعَ عَظِيمِ زُلْفَتِهِ . فَلْيَنْظُرْ نَاظِرٌ بِعَقْلِهِ أَكْرَمَ ٱللهُ مُحَمَّدًا بِذٰلِكَ أَمْ أَهَانَهُ ؟ فَإِنْ قَالَ أَهَانَهُ فَقَدْ كَذَبَ وَٱلْعَظِيمِ ، وَإِنْ قَالَ أَكْرَمَهُ فَلْيَعْلَمْ أَنَّ ٱللهَ قَدْ أَهَانَ غَيْرَهُ حَيْثُ بَسَطَ ٱلدُّنْيَا لَهُ وَزَوَاهَا عَنْ أَقْرَبِ ٱلنَّاسِ مِنْهُ . فَتَأَسَّى مُتَأَسٍّ بِنَبِيِّهِ[٣] ، وَٱقْتَصَّ أَثَرَهُ ، وَوَلَجَ مَوْلِجَهُ ، وَإِلَّا فَلَا يَأْمَنِ ٱلْهَلَكَةَ فَإِنَّ ٱللهَ جَعَلَ مُحَمَّدًا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَلَمًا لِلسَّاعَةِ[٤] ، وَمُبَشِّرًا بِٱلْجَنَّةِ ، وَمُنْذِرًا بِٱلْعُقُوبَةِ . خَرَجَ مِنَ ٱلدُّنْيَا خَمِيصًا[٥] ، وَوَرَدَ ٱلْآخِرَةَ سَلِيمًا . لَمْ يَضَعْ حَجَرًا عَلَى حَجَرٍ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ ، وَأَجَابَ دَاعِيَ رَبِّهِ . فَمَا أَعْظَمَ مِنَّةَ ٱللهِ عِنْدَنَا حِينَ أَنْعَمَ عَلَيْنَا بِهِ سَلَفًا نَتَّبِعُهُ ، وَقَائِدًا نَطَأُ عَقِبَهُ[٦] . وَٱللهِ لَقَدْ رَقَعْتُ

(١) أشخصها : أبعدها (٢) خاصته اسم فاعل فى معنى المصدر أى مع خصوصيته وتفضله عنده به. وعظيم الزلفة : منزلته العليا من القرب إلى الله . وزوى الدنيا عنه قبضها وأبعدها (٣) فتأسى خبر يريد به الطلب أى فليقتد مقتد بنبيه (٤) العلم ـ بالتحريك ـ العلامة أى أن بعثته دليل على قرب الساعة حيث لانبى بعده (٥) خميصا : أى خالى البطن كناية عن عدم التمتع بالدنيا (٦) العقب ـ بفتح فكسر ـ مؤخر القدم.

مِدْرَعَتِي هٰذِهِ حَتَّى اسْتَحْيَيْتُ مِنْ رَاقِعِها(١) . وَلَقَدْ قَالَ لِي قَائِلٌ أَلَا تَنْبِذُهَا ؟ فَقُلْتُ اغْرُبْ عَنِّي فَعِنْدَ الصَّبَاحِ يَحْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى(٢)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ بِالنُّورِ الْمُضِيءِ وَالْبُرْهَانِ الْجَلِيِّ ، وَالْمِنْهَاجِ الْبَادِي(٣) وَالْكِتَابِ الْهَادِي . أُسْرَتُهُ خَيْرُ أُسْرَةٍ(٤) ، وَشَجَرَتُهُ خَيْرُ شَجَرَةٍ . أَغْصَانُهَا مُعْتَدِلَةٌ وَثِمَارُهَا مُتَهَدِّلَةٌ(٥) . مَوْلِدُهُ بِمَكَّةَ وَهِجْرَتُهُ بِطَيْبَةَ(٦) . عَلَا بِهَا ذِكْرُهُ وَامْتَدَّ بِهَا صَوْتُهُ . أَرْسَلَهُ بِحُجَّةٍ كَافِيَةٍ ، وَمَوْعِظَةٍ شَافِيَةٍ ، وَدَعْوَةٍ مُتَلَافِيَةٍ(٧) . أَظْهَرَ بِهِ الشَّرَائِعَ الْمَجْهُولَةَ ، وَقَمَعَ بِهِ الْبِدَعَ الْمَدْخُولَةَ ، وَبَيَّنَ بِهِ الْأَحْكَامَ الْمَفْصُولَةَ(٨) . فَمَنْ يَتَّبِعْ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِيناً تَتَحَقَّقْ

ووطوء العقب مبالغة في الاتباع والسلوك على طريقه نقفوه خطوة خطوة حتى كأننا نطأ مؤخر قدمه (١) المدرعة – بالكسر – ثوب من صوف (٢) اغرب عني : اذهب وابعد. والمثل معناه إذا أصبح النائمون وقدرأوا السارين واصلين إلى مقاصدهم حمدوا سراهم وندموا على نوم أنفسهم، أو إذا أصبح السارون وقد وصلوا إلى ما ساروا اليه حمدوا سراهم وإن كان شاقاً حيث أبلغهم إلى ماقصدوا . والسرى – بضم ففتح – السير ليلا (٣) أي الظاهر (٤) الأسرة – كغرفة – رهط الرجل الأدنون (٥) متدلية : دانية للاقتطاف (٦) المدينة المنورة (٧) من تلافاه : تداركه بالاصلاح قبل أن يهلكه الفساد ، فدعوة النبي تلافت أمور الناس قبل هلاكهم (٨) المفصولة التي فصلها الله

شِقْوَتُهُ ، وَتَنْفَصِمُ عُرْوَتُهُ ، وَتَعْظُمُ كَبْوَتُهُ[1] . وَيَكُونُ مَآبُهُ إِلَى الْحُزْنِ الطَّوِيلِ وَالْعَذَابِ الْوَبِيلِ . وَأَتَوَكَّلُ عَلَى اللهِ تَوَكُّلَ الْإِنَابَةِ إِلَيْهِ . وَأَسْتَرْشِدُهُ السَّبِيلَ الْمُؤَدِّيَ إِلَى جَنَّتِهِ ، الْقَاصِدَةَ إِلَى مَحَلِّ رَغْبَتِهِ (*) .

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ وَطَاعَتِهِ فَإِنَّهَا النَّجَاةُ غَدًا وَالْمَنْجَاةُ أَبَدًا . رَهَّبَ فَأَبْلَغَ ، وَرَغَّبَ فَأَسْبَغَ[2] . وَوَصَفَ لَكُمُ الدُّنْيَا وَانْقِطَاعَهَا ، وَزَوَالَهَا وَانْتِقَالَهَا . فَأَعْرِضُوا عَمَّا يُعْجِبُكُمْ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكُمْ مِنْهَا . أَقْرَبُ دَارٍ مِنْ سَخَطِ اللهِ ، وَأَبْعَدُهَا مِنْ رِضْوَانِ اللهِ . فَغُضُّوا عَنْكُمْ ـ عِبَادَ اللهِ ـ غُمُومَهَا وَأَشْغَالَهَا لِمَا قَدْ أَيْقَنْتُمْ بِهِ مِنْ فِرَاقِهَا وَتَصَرُّفِ حَالَاتِهَا . فَاحْذَرُوهَا حَذَرَ الشَّفِيقِ النَّاصِحِ[3] وَالْمُجِدِّ الْكَادِحِ . وَاعْتَبِرُوا بِمَا قَدْ رَأَيْتُمْ مِنْ مَصَارِعِ الْقُرُونِ قَبْلَكُمْ . قَدْ تَزَايَلَتْ أَوْصَالُهُمْ[4] ، وَزَالَتْ أَبْصَارُهُمْ وَأَسْمَاعُهُمْ ، وَذَهَبَ شَرَفُهُمْ وَعِزُّهُمْ ، وَانْقَطَعَ سُرُورُهُمْ وَنَعِيمُهُمْ . فَبُدِّلُوا بِقُرْبِ الْأَوْلَادِ فَقْدَهَا ، وَبِصُحْبَةِ الْأَزْوَاجِ مُفَارَقَتَهَا . لَا يَتَفَاخَرُونَ ، وَلَا يَتَنَاسَلُونَ ، وَلَا

---

(١) الكبوة : السقطة (٢) أسبغ أى أحاط بجميع وجوه الترغيب (٣) الشفيق : الخائف . والناصح : الخالص . والمجد : المجتهد . والكادح : المبالغ فى سعيه (٤) تزايلت : تفرقت . والاوصال : المفاصل أو مجتمع العظام وتفرقها أى قضى بها على عباده

(*) من أول الخطبة الى هنا زيادة فى بعض النسخ

يَتَزَاوَرُونَ ، وَلَا يَتَجَاوَرُونَ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ حَذَرَ الْغَالِبِ لِنَفْسِهِ، الْمَانِعِ لِشَهْوَتِهِ، النَّاظِرِ بِعَقْلِهِ . فَإِنَّ الْأَمْرَ وَاضِحٌ ، وَالْعَلَمَ قَائِمٌ ، وَالطَّرِيقَ جَدَدٌ ، وَالسَّبِيلَ قَصْدٌ[1]

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ وَقَدْ سَأَلَهُ : كَيْفَ دَفَعَكُمْ قَوْمُكُمْ عَنْ هٰذَا الْمَقَامِ وَأَنْتُمْ أَحَقُّ بِهِ ؟ فَقَالَ :

يَا أَخَا بَنِي أَسَدٍ إِنَّكَ لَقَلِقُ الْوَضِينِ[2] تُرْسِلُ فِي غَيْرِ سَدَدٍ ، وَلَكَ بَعْدُ ذِمَامَةُ الصِّهْرِ وَحَقُّ الْمَسْأَلَةِ ، وَقَدِ اسْتَعْلَمْتَ فَاعْلَمْ . أَمَّا الِاسْتِبْدَادُ عَلَيْنَا بِهٰذَا الْمَقَامِ وَنَحْنُ الْأَعْلَوْنَ نَسَباً ، وَالْأَشَدُّونَ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَوْطاً[3] ، فَإِنَّهَا كَانَتْ أَثَرَةٌ شَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ

كناية عن تبددهم وفنائهم (١) الجدد — بالتحريك — المستوى المسلوك والقصد القويم

(٢) الوضين : بطان يشد به الرحل على البعير كالحزام للسرج، فاذا قلق واضطرب اضطرب الرحل فكثر تململ الجمل وقل ثباته فى سيره . والارسال : الاطلاق والاهمال. والسدد — محركا — الاستقامة، أى تطلق لسانك بالكلام فى غير موضعه كحركة الجمل المضطرب فى مشيته . والذمامة : الحماية والكفاية . والصهر : الصلة بين أقارب الزوجة وأقارب الزوج ، وإنما كان للأسدى حماية الصهر لأن زينب بنت جحش زوجة رسول الله كانت أسدية (٣) النوط — بالفتح — التعلق. والاثرة: الاختصاص بالشىء دون مستحقه.

قَوْمٍ، وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ . وَالْحَكَمُ اللهُ وَالْمَعُودُ إِلَيْهِ الْقِيَامَةُ

وَدَعْ عَنْكَ نَهْباً صِيحَ فِي حَجَرَاتِهِ(١)

وَهَلُمَّ الْخَطْبَ فِي ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ(٢) ، فَلَقَدْ أَضْحَكَنِي الدَّهْرُ بَعْدَ إِبْكَائِهِ . وَلَا غَرْوَ وَاللهِ فَيَالَهُ خَطْباً . يَسْتَفْرِغُ الْعَجَبَ ، وَيُكْثِرُ الْأَوَدَ . حَاوَلَ الْقَوْمُ إِطْفَاءَ نُورِ اللهِ مِنْ مِصْبَاحِهِ ، وَسَدَّ فَوَّارِهِ مِنْ يَنْبُوعِهِ(٣) ، وَجَدَحُوا بَيْنِي وَبَيْنَهُمْ شِرْباً وَبِيئاً(٤) . فَإِنْ تَرْتَفِعْ عَنَّا وَعَنْهُمْ مِحَنُ الْبَلْوَى أَحْمِلْهُمْ مِنَ الْحَقِّ عَلَى مَحْضِهِ(٥) ، وَإِنْ تَكُنِ الْأُخْرَى(٦) « فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ »

والمراد بمن سخت نفوسهم عن الأمر أهل البيت (١) البيت لامرىء القيس. وتتمته :

وهات حديثاً ما حديث الرواحل

قاله عند ما كان جاراً لخالد بن سدوس فأغار عليه بنو جديلة فذهبوا بأهله فشكا لجيره خالد فقال له أعطني رواحلك ألحق بها القوم فأرد ابلك وأهلك ، فأعطاه ، وأدرك خالد القوم فقال لهم ردوا ما أخذتم من جارى ، فقالوا ما هو لك بجار ، فقال والله انه جارى وهذه رواحله، فقالوا رواحله ؟ فقال نعم . فرجعوا اليه وأنزلوه عنهن وذهبوا بهن . والنهب بالفتح الغنيمة. وصيح أى صاحوا للغارة. فى حجراته جمع حجرة ـ بفتح الحاء ـ الناحية. ووجه التمثيل ظاهر (٢) هلم: اذكر. والخطب عظيم الأمر وعجيبه الذى أدى لقيام من ذكره لمنازعته فى الخلافة . والاود الاعوجاج (٣) الفوار والفوارة من الينبوع : الثقب الذى يفور الماء منه بشدة (٤) جدحوا : خلطوا. والشرب بالكسر النصيب من الماء . والوبىء : مايوجب شربه الوباء، يريد به الفتنة التى يردونها نزاعا له فى حقه كأنها ماء خلط بالمواد السامة القاتلة (٥) محض الحق : خالصه (٦) وإن لا يزالوا

٦٥

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ خَالِقِ ٱلْعِبَادِ، وَسَاطِحِ ٱلْمِهَادِ، وَمُسِيلِ ٱلْوِهَادِ، وَمُخْصِبِ ٱلنِّجَادِ(١). لَيْسَ لِأَوَّلِيَّتِهِ ٱبْتِدَاءٌ، وَلَا لِأَزَلِيَّتِهِ ٱنْقِضَاءٌ. هُوَ ٱلْأَوَّلُ لَمْ يَزَلْ، وَٱلْبَاقِي بِلَا أَجَلٍ. خَرَّتْ لَهُ ٱلْجِبَاهُ، وَوَحَّدَتْهُ ٱلشِّفَاهُ. حَدَّ ٱلْأَشْيَاءَ عِنْدَ خَلْقِهِ لَهَا إِبَانَةً لَهُ مِنْ شَبَهِهَا(٢). لَا تُقَدِّرُهُ ٱلْأَوْهَامُ بِٱلْحُدُودِ وَٱلْحَرَكَاتِ، وَلَا بِٱلْجَوَارِحِ وَٱلْأَدَوَاتِ. لَا يُقَالُ لَهُ مَتَى، وَلَا يُضْرَبُ لَهُ أَمَدٌ بِحَتَّى. ٱلظَّاهِرُ لَا يُقَالُ مِمَّ(٣)، وَٱلْبَاطِنُ لَا يُقَالُ فِيمَ. لَا شَبَحٌ فَيَتَقَضَّى(٤)، وَلَا مَحْجُوبٌ فَيُحْوَى. لَمْ يَقْرُبْ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ بِٱلْتِصَاقٍ، وَلَمْ يَبْعُدْ عَنْهَا بِٱفْتِرَاقٍ. لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مِنْ عِبَادِهِ شُخُوصُ لَحْظَةٍ(٥)، وَلَا كُرُورُ لَفْظَةٍ، وَلَا ٱزْدِلَافُ رَبْوَةٍ(٦)، وَلَا ٱنْبِسَاطُ خُطْوَةٍ فِي لَيْلٍ

مفتونين فلا تمت نفسك غما عليهم (١) المهاد: الأرض. والوهاد ـ جمع وهدة ـ ماانخفض من الأرض. والنجاد ـ جمع نجد ـ ماارتفع منها، وتسييل الوهاد بمياه الأمطار، وتخصيب النجاد بأنواع النبات (٢) الابانة ههنا التمييز والفصل، والضمير فى له يرجع اليه سبحانه أى تمييزاً لذاته تعالى عن شبهها أى مشابهتها. و إبانة مفعول لأجله يتعلق بحد، أى حد الأشياء تنزيها لذاته عن مماثلتها (٣) ظاهر بآثار قدرته ولا يقال من أى شىء ظهر (٤) ليس بجسم فيفنى بالاضمحلال (٥) شخوص لحظة: امتداد بصر (٦) ازدلاف الربوة: تقربها من النظر وظهورها له لأنه يقع عليها قبل المنخفضات

دَاجٍ(١) ، وَلَا غَسَقٍ سَاجٍ ، يَتَفَيَّأُ عَلَيْهِ الْقَمَرُ الْمُنِيرُ(٢) ، وَتَعْقُبُهُ الشَّمْسُ ذَاتُ النُّورِ فِي الْأُفُولِ وَالْكُرُورِ(٣) ، وَتَقَلُّبِ الْأَزْمِنَةِ وَالدُّهُورِ . مِنْ إِقْبَالِ لَيْلٍ مُقْبِلٍ وَإِدْبَارِ نَهَارٍ مُدْبِرٍ . قَبْلَ كُلِّ غَايَةٍ وَمُدَّةٍ(٤) ، وَكُلِّ إِحْصَاءٍ وَعِدَّةٍ . تَعَالَى عَمَّا يَنْحَلُهُ(٥) الْمُحَدِّدُونَ مِنْ صِفَاتِ الْأَقْدَارِ ، وَنِهَايَاتِ الْأَقْطَارِ . وَتَأَثُّلِ الْمَسَاكِنِ(٦) ، وَتَمَكُّنِ الْأَمَاكِنِ . فَالْحَدُّ لِخَلْقِهِ مَضْرُوبٌ ، وَإِلَى غَيْرِهِ مَنْسُوبٌ . لَمْ يَخْلُقِ الْأَشْيَاءَ مِنْ أُصُولٍ أَزَلِيَّةٍ ، وَلَا أَوَائِلَ أَبَدِيَّةٍ ، بَلْ خَلَقَ مَا خَلَقَ فَأَقَامَ حَدَّهُ ، وَصَوَّرَ مَا صَوَّرَ فَأَحْسَنَ صُورَتَهُ(٧) لَيْسَ لِشَيْءٍ مِنْهُ امْتِنَاعٌ(٨) ، وَلَا لَهُ بِطَاعَةِ

---

(١) الداجى : المظلم. والغسق : الليل . وساج أى ساكن لاحركة فيه (٢) أصل التفيؤ للظل نسخ نور الشمس . ولما كان الظلام بالليل عاما كالضياء بالنهار عبر عن نسخ نور القمر له بالتفيؤ تشبيهاً له بنسخ الظل لضياء الشمس ، وهو من لطيف التشبيه ودقيقه (٣) الأفول : المغيب . والكرور : الرجوع بالشروق (٤) قوله قبل كل غاية متعلق بيخفى على معنى السلب، أى لايخفى عليه شىء من ذلك قبل كل غاية، أى يعلمه قبل الخ. ويصح أن يكون خبراً عن ضمير الذات العلية، أى هو موجود قبل كل غاية الخ (٥) نحله القول ـ كنعه ـ نسبه اليه أى عما ينسبه المحددون لذاته تعالى والمعرفون لها. من صفات الاقدار جمع قدر ـ بسكون الدال ـ وهو حال الشىء من الطول والعرض والعمق ومن الصغر والكبر. ونهايات الأقطار هى نهايات الأبعاد الثلاثة المتقدمة (٦) التأثل: التأصل (٧) لم تكن مواد متساوية فى القدم والأزلية وكان له فيها أثر التصوير والتشكيل فقط ، بل خلق المادة بجوهرها ، وأقام لها حدها ، أى مابه امتازت عن سائر الموجودات وصور منها ما صور من أنواع النباتات والحيوانات وغيرها (٨) أى لايمتنع عليه

شَيْءٍ ٱنْتِفَاعٌ . عِلْمُهُ بِالْأَمْوَاتِ ٱلْمَاضِينَ كَعِلْمِهِ بِالْأَحْيَاءِ ٱلْبَاقِينَ ، وَعِلْمُهُ بِمَا فِي ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْعُلَى كَعِلْمِهِ بِمَا فِي ٱلْأَرَضِينَ ٱلسُّفْلَى

(مِنْهَا) أَيُّهَا ٱلْمَخْلُوقُ ٱلسَّوِيُّ(١) ، وَٱلْمُنْشَأُ ٱلْمَرْعِيُّ فِي ظُلُمَاتِ ٱلْأَرْحَامِ ، وَمُضَاعَفَاتِ ٱلْأَسْتَارِ . بُدِئْتَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ(٢) ، وَوُضِعْتَ فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ، إِلَى قَدَرٍ مَعْلُومٍ ، وَأَجَلٍ مَقْسُومٍ . تَمُورُ فِي بَطْنِ أُمِّكَ جَنِيناً لَا تُحِيرُ دُعَاءً وَلَا تَسْمَعُ نِدَاءً . ثُمَّ أُخْرِجْتَ مِنْ مَقَرِّكَ إِلَى دَارٍ لَمْ تَشْهَدْهَا ، وَلَمْ تَعْرِفْ سُبُلَ مَنَافِعِهَا . فَمَنْ هَدَاكَ لِاجْتِرَارِ ٱلْغِذَاءِ مِنْ ثَدْيِ أُمِّكَ ، وَعَرَّفَكَ عِنْدَ ٱلْحَاجَةِ مَوَاضِعَ طَلَبِكَ وَإِرَادَتِكَ . هَيْهَاتَ ، إِنَّ مَنْ يَعْجِزُ عَنْ صِفَاتِ ذِي ٱلْهَيْئَةِ وَٱلْأَدَوَاتِ فَهُوَ عَنْ صِفَاتِ خَالِقِهِ أَعْجَزُ . وَمِنْ تَنَاوُلِهِ بِحُدُودِ ٱلْمَخْلُوقِينَ أَبْعَدُ

تمكن إذا قال للشيء كن فيكون (١) مستوى الخلقة لانقص فيه . والمنشأ المبتدع. والمرعى المحفوظ (٢) السلالة من الشيء : ماانسل منه . والنطفة : مزيج ينسل من البدن المؤلف من عناصر الأرض المخلوطة بالمواد السائلة ، فالمزاج البدنى أشبه بالمزاج الطينى بل هو [منه] بنوع اتقان واحكام. والقرار المكين: محل الجنين من الرحم. والقدر المعلوم: مبلغ المدة المحددة للحمل . وتمور : تتحرك . ولاتحير ، من قولهم ما أحار جوابا مارد أى لاتستطيع دعاء

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَيْهِ وَشَكَوْا مَا نَقِمُوهُ عَلَى عُثْمَانَ وَسَأَلُوهُ مُخَاطَبَتَهُ عَنْهُمْ وَاسْتِعْتَابَهُ لَهُمْ ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ فَقَالَ

إِنَّ النَّاسَ وَرَائِي وَقَدِ اسْتَسْفَرُونِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُمْ(١) وَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا أَقُولُ لَكَ ؟ مَا أَعْرِفُ شَيْئاً تَجْهَلُهُ ، وَلَا أَدُلُّكَ عَلَى أَمْرٍ لَا تَعْرِفُهُ . إِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نَعْلَمُ . مَا سَبَقْنَاكَ إِلَى شَيْءٍ فَنُخْبِرَكَ عَنْهُ ، وَلَا خَلَوْنَا بِشَيْءٍ فَنُبَلِّغَكَهُ . وَقَدْ رَأَيْتَ كَمَا رَأَيْنَا ، وَسَمِعْتَ كَمَا سَمِعْنَا ، وَصَحِبْتَ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا صَحِبْنَا . وَمَا ابْنُ أَبِي قُحَافَةَ وَلَا ابْنُ الْخَطَّابِ أَوْلَى بِعَمَلِ الْحَقِّ مِنْكَ ، وَأَنْتَ أَقْرَبُ إِلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَشِيجَةَ رَحِمٍ مِنْهُمَا(٢) . وَقَدْ نِلْتَ مِنْ صِهْرِهِ مَا لَمْ يَنَالَا . فَاللهَ اللهَ فِي نَفْسِكَ ، فَإِنَّكَ وَاللهِ مَا تُبَصَّرُ مِنْ عَمًى وَلَا تُعَلَّمُ مِنْ جَهْلٍ ، وَإِنَّ الطُّرُقَ

---

(١) استسفروني : جعلوني سفيراً (٢) الوشيجة : اشتباك القرابة، وانما كان عثمان أقرب وشيجه لرسول الله لأنه من بنى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف رابع أجداد النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، أما أبو بكر فهو من بنى تيم بن مرة سابع أجداد النبي ، وعمر من بنى عدى بن كعب ثامن أجداده صلى الله عليه وسلم . وأما أفضليته عليهما فى الصهر فلأنه تزوج ببنتى رسول الله رقية وأم كلثوم، توفيت الأولى فزوجه النبي بالثانية ولذا سمى ذا النورين . وغاية مانال الخليفتان أن النبي تزوج

لَوَاضِحَةٌ ، وَإِنَّ أَعْلَامَ الدِّينِ لَقَائِمَةٌ . فَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ عِبَادِ اللهِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ عَادِلٌ هُدِيَ وَهَدَى، فَأَقَامَ سُنَّةً مَعْلُومَةً ، وَأَمَاتَ بِدْعَةً مَجْهُولَةً . وَإِنَّ السُّنَنَ لَنَيِّرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ ، وَإِنَّ الْبِدَعَ لَظَاهِرَةٌ لَهَا أَعْلَامٌ . وَإِنَّ شَرَّ النَّاسِ عِنْدَ اللهِ إِمَامٌ جَائِرٌ ضَلَّ وَضُلَّ بِهِ ، فَأَمَاتَ سُنَّةً مَأْخُوذَةً ، وَأَحْيَى بِدْعَةً مَتْرُوكَةً . وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ « يُؤْتَى يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِالإِمَامِ الْجَائِرِ وَلَيْسَ مَعَهُ نَصِيرٌ وَلَا عَاذِرٌ فَيُلْقَى فِي جَهَنَّمَ فَيَدُورُ فِيهَا كَمَا تَدُورُ الرَّحَى ثُمَّ يَرْتَبِطُ فِي قَعْرِهَا(١) » وَإِنِّي أَنْشُدُكَ اللهَ أَنْ لَا تَكُونَ إِمَامَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ الْمَقْتُولَ ، فَإِنَّهُ كَانَ يُقَالُ : يُقْتَلُ فِي هٰذِهِ الْأُمَّةِ إِمَامٌ يَفْتَحُ عَلَيْهَا الْقَتْلَ وَالْقِتَالَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ، وَيَلْبِسُ أُمُورَهَا عَلَيْهَا ، وَيَبُثُّ الْفِتَنَ عَلَيْهَا ، فَلَا يُبْصِرُونَ الْحَقَّ مِنَ الْبَاطِلِ . يَمُوجُونَ فِيهَا مَوْجًا ، وَيَمْرُجُونَ فِيهَا مَرْجًا(٢) . فَلَا تَكُونَنَّ لِمَرْوَانَ سَيِّقَةً(٣) يَسُوقُكَ حَيْثُ شَاءَ بَعْدَ جَلَالِ السِّنِّ وَتَقَضِّي الْعُمُرِ . فَقَالَ لَهُ عُثْمَانُ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ : « كَلِّمِ النَّاسَ فِي أَنْ يُؤَجِّلُونِي حَتَّى أَخْرُجَ إِلَيْهِمْ مِنْ مَظَالِمِهِمْ » فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَا كَانَ بِالْمَدِينَةِ فَلَا أَجَلَ فِيهِ ، وَمَا غَابَ فَأَجَلُهُ وُصُولُ أَمْرِكَ إِلَيْهِ

---

(١) ربطه فارتبط ، أي شده وحبسه (٢) المرج : الخلط (٣) السيقة ـ كـكيسة ـ ما استاقه العدو من الدواب ، وكان مروان كاتبا ومشيرا لعثمان

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ
يَذْكُرُ فِيهَا عَجِيبَ خِلْقَةِ ٱلطَّاوُوسِ

أَبْتَدَعَهُمْ خَلْقاً عَجِيباً مِنْ حَيَوَانٍ وَمَوَاتٍ، وَسَاكِنٍ وَذِي حَرَكَاتٍ. فَأَقَامَ مِنْ شَوَاهِدِ ٱلْبَيِّنَاتِ عَلَى لَطِيفِ صَنْعَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ مَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْعُقُولُ مُعْتَرِفَةً بِهِ وَمُسَلِّمَةً لَهُ. وَنَعَقَتْ فِي أَسْمَاعِنَا دَلَائِلُهُ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ[1]، وَمَا ذَرَأَ مِنْ مُخْتَلِفِ صُوَرِ ٱلْأَطْيَارِ[2] ٱلَّتِي أَسْكَنَهَا أَخَادِيدَ ٱلْأَرْضِ وَخُرُوقَ فِجَاجِهَا، وَرَوَاسِيَ أَعْلَامِهَا. مِنْ ذَاتِ أَجْنِحَةٍ مُخْتَلِفَةٍ، وَهَيْئَاتٍ مُتَبَايِنَةٍ، مُصَرَّفَةٍ فِي زِمَامِ ٱلتَّسْخِيرِ[3] وَمُرَفْرِفَةٍ بِأَجْنِحَتِهَا فِي مَخَارِقِ ٱلْجَوِّ ٱلْمُنْفَسِحِ، وَٱلْفَضَاءِ ٱلْمُنْفَرِجِ. كَوَّنَهَا بَعْدَ أَنْ لَمْ تَكُنْ فِي عَجَائِبِ صُوَرٍ ظَاهِرَةٍ، وَرَكَّبَهَا فِي حِقَاقِ مَفَاصِلَ مُحْتَجِبَةٍ[4]. وَمَنَعَ

---

(١) نعقت من نعق بغنمه ـ كنع ـ صاح (٢) ذرأ: خلق. والأخاديد ـ جمع أخدود الشق في الأرض والخروق جمع خرق ـ: الأرض الواسعة تتخرق فيها الرياح. والفجاج ـ جمع فج ـ الطريق الواسع وقد يستعمل في متسع الفلا. والأعلام جمع علم بالتحريك، وهو الجبل (٣) يصرفها الله في أطوار مختلفة تنتقل فيها بزمام تسخيره واستخدامه لها فيما خلقها لأجله. ومرفرفة من رفرف الطائر بسط جناحيه. والمخارق ـ جمع مخرق ـ الفلاة. وشبه الجو بالفلاة للسعة فيهما (٤) الحقاق ـ ككتاب ـ: جمع حق بالضم ـ مجتمع المفصلين واحتجاب المفاصل: استتارها باللحم والجلد والعبالة: الضخامة. ويسمو يرتفع وخفوفا سرعة وخفة. ودفيف الطائر: مروره فويق الأرض، أو أن يحرك جناحيه ورجلاه

بَعْضَهَا بِعبَالَةِ خَلْقِهِ أَنْ يَسْمُوَ فِي ٱلسَّمَاءِ خُفُوفًا ، وَجَعَلَهُ يَدُفُّ دَفِيفًا . وَنَسقَهَا عَلَى ٱخْتِلَافِهَا فِي ٱلأَصَابِيغِ[1] بِلَطِيفِ قُدْرَتِهِ وَدَقِيقِ صَنْعَتِهِ . فَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي قَالَبِ[2] لَوْنٍ لَا يَشُوبُهُ غَيْرُ لَوْنِ مَا غُمِسَ فِيهِ . وَمِنْهَا مَغْمُوسٌ فِي لَوْنِ صِبْغٍ قَدْ طُوِّقَ بِخِلَافِ مَا صُبِغَ بِهِ وَمِنْ أَعْجَبِهَا خَلْقًا ٱلطَّاوُوسُ ٱلَّذِي أَقَامَهُ فِي أَحْكَمِ تَعْدِيلٍ ، وَنَضَّدَ أَلْوَانَهُ فِي أَحْسَنِ تَنْضِيدٍ[3] ، بِجَنَاحٍ أَشْرَجَ قَصَبَهُ ، وَذَنَبٍ أَطَالَ مَسْحَبَهُ . إِذَا دَرَجَ إِلَى ٱلأُنْثَى نَشَرَهُ مِنْ طَيِّهِ ، وَسَمَا بِهِ مُطِلًّا عَلَى رَأْسِهِ[4] كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ . يَخْتَالُ بِأَلْوَانِهِ ، وَيَمِيسُ بِزَيَفَانِهِ . يُفْضِي كَإِفْضَاءِ ٱلدِّيَكَةِ ، وَيَؤُرُّ بِمَلَاقَحَةٍ أَرَّ ٱلْفُحُولِ ٱلْمُغْتَلِمَةِ[5] فِي ٱلضِّرَابِ . أُحِيلُكَ مِنْ ذَلِكَ

في الأرض. و يدف بضم الدال(*) (١) نسقها: رتبها. والأصابيغ: جمع أصباغ ـ بفتح الهمزة ـ جمع صبغ بالكسر وهو اللون أو مايصبغ به (٢) القالب مثال تفرغ فيه الجواهر لتأتى على قدره . والطائر ذو اللون الواحد كأنما أفرغ فى قالب من اللون . وقوله قد طوق أي جميع بدنه بلون واحد إلا لون عنقه فانه يخالف سائر بدنه كأنه طوق صيغ لحليته (٣) التنضيد : النظم والترتيب . وقوله أشرج قصبه : أي داخل بين آحاده ونظمها على اختلافها فى الطول والقصر و إذا مشى إلى أنثاه ليسافدها نشر ذلك الذنب بعد طيه (٤) سمابه أي ارتفع به ، أي رفعه مطلا على رأسه ، أي مشرفا عليه كأنه يظلله . والقلع ـ بكسر فسكون ـ شراع السفينة . وعنجه : جذبه فرفعه، من عنجت البعير إذا جذبته بخطامه فرددته على رجليه . ويختال : يعجب . ويميس : يتبختر بزيفان ذنبه . وأصل الزيفان التبختر أيضاً و يريد بههنا حركة ذنب الطاووس يمينا وشمالا (٥) يفضي : أي يسافد أنثاه كما تسافد الديكة جمع ديك. ويؤر ـ كيشد ـ أي يأتي

(*) فى المنجد بكسر الدال

عَلَى مُعَايَنَةٍ(١) ، لَا كَمَنْ يُحِيلُ عَلَى ضَعِيفِ إِسْنَادِهِ . وَلَوْ كَانَ كَزَعْمِ مَنْ يَزْعُمُ أَنَّهُ يُلْقِحُ بِدَمْعَةٍ تَسْفَحُهَا مَدَامِعُهُ(٢) ، فَتَقِفُ فِي صَفَّتَيْ جُفُونِهِ وَأَنَّ أُنْثَاهُ تَطْعَمُ ذَلِكَ ، ثُمَّ تَبِيضُ لَا مِنْ لِقَاحِ فَحْلٍ سِوَى الدَّمْعِ الْمُنْبَجِسِ لَمَا كَانَ ذَلِكَ بِأَعْجَبَ مِنْ مُطَاعَمَةِ الْغُرَابِ(٣) . تَخَالُ قَصَبَهُ مَدَارِيَ مِنْ فِضَّةٍ وَمَا أُنْبِتَ عَلَيْهَا مِنْ عَجِيبِ دَارَاتِهِ وَشُمُوسِهِ خَالِصَ الْعِقْيَانِ وَفِلَذَ الزَّبَرْجَدِ(٤) فَإِنْ شَبَّهْتَهُ بِمَا أَنْبَتَتِ الْأَرْضُ قُلْتَ

أنثاه . بملاقحة أي مسافدة يفرز فيها مادة تناسلية من عضو التناسل يدفعها فى رحم قابل . والمغتلمة . على صيغة اسم الفاعل . من اغتلم إذا غلب للشهوة . والضراب : لقاح الفحل لأنثاه (١) أى ان لم يكفك الخبر فانى أحولك عنه إلى المعاينة فاذهب وعاين تجد صدق ما أقول (٢) تسفحها أى ترسلها أوعية الدمع . وصفة الجفن : استعارة من ضفتى النهر بمعنى جانبيه . وتطعم ذلك ـ كتعلم ـ أى تذوقه كأنها ترشفه . ولقاح الفحل ـ كسحاب ـ ماء التناسل يلقح به الأنثى . والمنبجس النابع من العين (٣) لما كان ذلك بأعجب أى لو صح ذلك الزعم فى الطاووس لكان له نظير فيما زعموا فى مطاعمة الغراب وتلقيحه لأنثاه حيث قالوا ان مطاعمة الغراب بانتقال جزء من الماء المستقر فى قانصة الذكر إلى الأنثى تتناوله من منقاره . والمماثلة بين الزعمين فى عدم الصحة . ومنشأ الزعم فى الغراب اخفاؤه لسفاده حتى ضرب المثل بقولهم : أخفى من سفاد الغراب (٤) القصب ـ جمع قصبة ـ هى عمود الريش . والمدارى ـ جمع مدرى بكسر الميم ـ قال ابن الأثير المدرى والمدراة مصنوع من حديد أو خشب على شكل سن من أسنان المشط وأطول منه يسرح به الشعر المتلبد و يستعمله من لا مشط له . والدارات : هالات القمر . والعقيان : الذهب الخالص أو ماينمو منه فى معدنه . وفلذ ـ كعنب ـ جمع فلذة بمعنى القطعة . وما أنبت معطوف على قصبه . والتشبيه فى بياض القصب والصفرة

جَنِيٌّ جُنِيَ مِنْ زَهْرَةِ كُلِّ رَبِيعٍ [١]. وَإِنْ ضَاهَيْتَهُ بِالْمَلَابِسِ فَهُوَ كَمَوْشِيِّ الْحُلَلِ [٢]، أَوْ مُونِقِ عَصْبِ الْيَمَنِ. وَإِنْ شَاكَلْتَهُ بِالْحُلِيِّ فَهُوَ كَفُصُوصٍ ذَاتِ أَلْوَانٍ قَدْ نُطِّقَتْ بِاللُّجَيْنِ الْمُكَلَّلِ [٣]. يَمْشِي مَشْيَ الْمَرِحِ الْمُخْتَالِ [٤] وَيَتَصَفَّحُ ذَنَبَهُ وَجَنَاحَيْهِ فَيُقَهْقِهُ ضَاحِكاً لِجَمَالِ سِرْبَالِهِ وَأَصَابِيغِ وِشَاحِهِ [٥] فَإِذَا رَمَى بِبَصَرِهِ إِلَى قَوَائِمِهِ زَقَا مُعْوِلاً بِصَوْتٍ يَكَادُ يُبِينُ عَنِ اسْتِغَاثَتِهِ، وَيَشْهَدُ بِصَادِقِ تَوَجُّعِهِ، لِأَنَّ قَوَائِمَهُ حُمْشٌ كَقَوَائِمِ الدِّيَكَةِ الْخِلَاسِيَّةِ [٦] وَقَدْ نَجَمَتْ مِنْ ظُنْبُوبِ سَاقِهِ صِيصِيَةٌ خَفِيَّةٌ [٧]. وَلَهُ فِي مَوْضِعِ الْعُرْفِ قُنْزُعَةٌ خَضْرَاءُ مُوَشَّاةٌ [٨]. وَمَخْرَجُ عُنُقِهِ كَالْإِبْرِيقِ. وَمَغْرَزُهَا إِلَى حَيْثُ

والخضرة فى الريش (١) جنى أى مجتنى جمع كل زهر لأنه جمع كل لون (٢) الموشى: المنقوش المنمنم على صيغة اسم الفاعل. والعصب ـ بالفتح ـ ضرب من البرود منقوش (٣) جعل اللجين ـ وهو الفضة ـ منطقة لها. والمكلل: المزين بالجواهر. فكما تمنطقت الفصوص باللجين كذلك زين اللجين بها (٤) المرح ـ ككتف ـ المعجب والمختال الزاهى بحسنه (٥) السربال: اللباس مطلقا أو هو الدرع خاصة والوشاح نظامان من لؤلؤ وجوهر يخالف بينهما و يعطف أحدهما على الآخر بعد عقد طرفه به حتى يكونا كدائرتين احداهما داخل الأخرى كل جزء من الواحدة يقابل جزءا من قرينتها ثم تلبسه المرأة على هيئة حالة السيف، وأديم عريض مرصع بالجواهر يلبس كذلك ما بين العاتق والكشح (٦) زقا يزقو: صاح، وأعول فهو معول رفع صوته بالبكاء يكاد يبين أى يفصح عن استغاثته من كراهة قوائمه أى ساقيه. حمش ـ جمع أحمش ـ أى دقيق. والديك الخلاسى ـ بكسر الخاء ـ هو المتولد بين دجاجتين هندية وفارسية (٧) وقد نجمت أى نبتت من ظنبوب ساقه أى من حرف عظمه الأسفل صيصية وهى شوكة تكون فى رجل الديك. والظنبوب ـ بالضم ـ كعرقوب عظم حرف الساق (٨) القنزعة ـ بضم

بَطْنُهُ كَصِبْغِ ٱلْوَسِمَةِ ٱلْيَمَانِيَّةِ[١]، أَوْ كَحَرِيرَةٍ مُلْبَسَةٍ مِرْءَاةً ذَاتَ صِقَالٍ[٢] وَكَأَنَّهُ مُتَلَفِّعٌ بِمِعْجَرٍ أَسْحَمَ[٣] . إِلَّا أَنَّهُ يُخَيَّلُ لِكَثْرَةِ مَائِهِ وَشِدَّةِ بَرِيقِهِ أَنَّ ٱلْخُضْرَةَ ٱلنَّاضِرَةَ مُمْتَزِجَةٌ بِهِ . وَمَعَ فَتْقِ سَمْعِهِ خَطٌّ كَمُسْتَدَقِّ ٱلْقَلَمِ فِي لَوْنِ ٱلْأُقْحُوَانِ[٤] أَبْيَضُ يَقَقٌ . فَهُوَ بِبَيَاضِهِ فِي سَوَادِ مَا هُنَالِكَ يَأْتَلِقُ[٥] . وَقَلَّ صِبْغٌ إِلَّا وَقَدْ أَخَذَ مِنْهُ بِقِسْطٍ[٦]، وَعَلَاهُ بِكَثْرَةِ صِقَالِهِ وَبَرِيقِهِ وَبَصِيصِ دِيبَاجِهِ وَرَوْنَقِهِ[٧] . فَهُوَ كَٱلْأَزَاهِيرِ ٱلْمَبْثُوثَةِ[٨] لَمْ تُرَبِّهَا أَمْطَارُ رَبِيعٍ[٩] وَلَا شُمُوسُ قَيْظٍ . وَقَدْ يَتَحَسَّرُ مِنْ رِيشِهِ[١٠]، وَيَعْرَى مِنْ لِبَاسِهِ ، فَيَسْقُطُ تَتْرَى ، وَيَنْبُتُ تِبَاعًا ، فَيَنْحَتُّ مِنْ قَصَبِهِ ٱنْحِتَاتَ أَوْرَاقِ

القاف والزاى ـ بينهما سكون ـ الخصلة من الشعر تترك على رأس الصبى . وموشاة : منقوشة (١) مغرزها : الموضع الذى غرز فيه العنق منتهياً إلى مكان البطن لونه كاون الوسمة وهى نبات يخضب به، أو هى نبات النيل الذى منه صغ النيلج المعروف بالنيلة (٢) الصقال : الجلاء (٣) المعجر ـ كمنبر ـ: ثوب تعتجر به المرأة فتضع طرفه على رأسها ثم تمر الطرف الآخر من تحت ذقنها حتى ترده إلى الطرف الأول فيغطى رأسها وعنقها وعاتقها و بعض صدرها وهو معنى التلفع ههنا . والأسحم الأسود (٤) الأقحوان : البابونج . واليقق ـ محركا ـ شديد البياض (٥) يلمع (٦) نصيب (٧) علاه أى فاق اللون الذى أخذ نصيباً منه بكثرة جلائه . والبصيص : اللمعان . والرونق : الحسن (٨) الأزاهير : جمع أزهار جمع زهر (٩) لم تربها، فعل من التربية. والقيظ : الحر (١٠) يتحسر هو من حسره أى كشفه، أى وقد ينكشف من ريشه .

ٱلْأَغصانِ(١)، ثُمَّ يتلاحقُ نامياً حتّى يعودَ كهيئتِهِ قبلَ سُقوطِهِ. لا يُخالِفُ سالِفَ أَلْوانِهِ، وَلا يقعُ لَوْنٌ في غيرِ مكانِهِ. وَإِذا تصفحْتَ شعْرةً مِنْ شعَراتِ قصَبِهِ أَرتْكَ حُمْرةً وَرْدِيَّةً، وَتارةً خُضْرةً زبَرْجدِيَّةً، وَأَحْياناً صُفْرةً عسْجَدِيّةً(٢). فكيْفَ تصِلُ إِلى صِفةِ هٰذا عمائقُ ٱلْفِطَنِ(٣)، أَوْ تبلُغُهُ قرائحُ ٱلْعُقُولِ، أَوْ تستنْظِمُ وَصْفَهُ أَقوالُ ٱلْواصِفِينَ. وَأَقلُّ أَجْزائِهِ قدْ أَعجزَ ٱلْأَوْهامَ أَنْ تُدْرِكَهُ، وَٱلْأَلْسِنَةَ أَنْ تصِفَهُ. فسُبْحانَ ٱلَّذِي بهرَ ٱلْعُقُولَ(٤) عنْ وَصْفِ خلْقٍ جلَّاهُ لِلْعُيُونِ فأَدْركتْهُ محْدُوداً مُكوَّناً، وَمُؤَلَّفاً مُلوَّناً. وَأَعجزَ ٱلْأَلْسُنَ عنْ تلْخِيصِ صِفتِهِ، وَقعدَ بِها عنْ تأْدِيةِ نعْتِهِ. وَسُبْحانَ منْ أَدْمجَ قوائِمَ ٱلذَّرَّةِ(٥) وَٱلْهمجةِ إِلى ما فوْقهُما مِنْ خلْقِ ٱلْحِيتانِ وَٱلْأَفْيلةِ. وَوَأَى على نفْسِهِ أَنْ لا يضْطرِبَ شبحٌ مِمّا أَوْلجَ فِيهِ ٱلرُّوحَ إِلّا وَجعلَ ٱلْحِمامَ موْعِدَهُ، وَٱلْفناءَ غايتَهُ(٦)

(مِنْها في صِفةِ ٱلْجنّةِ) فلوْ رميْتَ ببصرِ قلْبِكَ نحْوَ ما يُوصفُ لكَ مِنْها لعزفتْ نفْسُكَ(٧) عنْ بدائِعِ ما أُخْرِجَ إِلى ٱلدُّنْيا مِنْ شهواتِها

وتترى أي شيئاً بعد شيء (١) ينحت : يسقط و ينقشر (٢) ذهبية (٣) عمائق جمع عميقة (٤) بهر العقول: قهرها فردها. وجلاه ـ كحلاه ـ كشفه (٥) الذرة : واحدة الذر: صغار النمل . والهمجة ـ محركة ـ واحدة الهمج: ذباب صغير يسقط على وجوه الغنم . وقوائمها : أرجلها . وأدمجها : أودعها فيها (٦) وأى : وعد . والحمام : الموت (٧) عزفت الابل ـ كفرح ـ اشتكت بطونها من أكل العزف : وهو الثمام، أي لكرهت بدائع

وَلَذَّاتِهَا وَزَخَارِفِ مَنَاظِرِهَا ، وَلَذَهِلَتَ بِالْفِكْرِ فِي اصْطِفَاقِ أَشْجَارٍ (١) غُيِّبَتْ عُرُوقُهَا فِي كُثْبَانِ الْمِسْكِ عَلَى سَوَاحِلِ أَنْهَارِهَا ، وَفِي تَعْلِيقِ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ فِي عَسَالِيجِهَا وَأَفْنَانِهَا (٢) ، وَطُلُوعِ تِلْكَ الثِّمَارِ مُخْتَلِفَةً فِي غُلُفِ أَكْمَامِهَا (٣) . تُحْنَى مِنْ غَيْرِ تَكَلُّفٍ (٤) فَتَأْتِي عَلَى مُنْيَةِ مُجْتَنِيهَا ، وَيُطَافُ عَلَى نُزَّالِهَا فِي أَفْنِيَةِ قُصُورِهَا بِالْأَعْسَالِ الْمُصَفَّقَةِ (٥) ، وَالْخُمُورِ الْمُرَوَّقَةِ . قَوْمٌ لَمْ تَزَلِ الْكَرَامَةُ تَتَمَادَى بِهِمْ حَتَّى حَلُّوا دَارَ الْقَرَارِ (٦) ، وَأَمِنُوا نُقْلَةَ الْأَسْفَارِ . فَلَوْ شَغَلْتَ قَلْبَكَ أَيُّهَا الْمُسْتَمِعُ بِالْوُصُولِ إِلَى مَا يَهْجُمُ عَلَيْكَ مِنْ تِلْكَ الْمَنَاظِرِ الْمُونِقَةِ (٧) لَزَهِقَتْ نَفْسُكَ شَوْقاً إِلَيْهَا ، وَلَتَحَمَّلْتَ مِنْ مَجْلِسِي هٰذَا إِلَى مُجَاوَرَةِ أَهْلِ الْقُبُورِ اسْتِعْجَالاً بِهَا . جَعَلَنَا اللّٰهُ وَإِيَّاكُمْ مِمَّنْ سَعَى بِقَلْبِهِ إِلَى مَنَازِلِ الْأَبْرَارِ بِرَحْمَتِهِ .

(تَفْسِيرُ بَعْضِ مَا فِي هٰذِهِ الْخُطْبَةِ مِنَ الْغَرِيبِ) (*)

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيَؤُرُّ بِمَلَاقِحِهِ الْأَرُّ كِنَايَةٌ عَنِ النِّكَاحِ ، يُقَالُ أَرَّ الْمَرْأَةَ

الدنيا كما تكره الابل الثمام أو لتألمت نفسك من النظر والتناول لما تراه من بدائع الدنيا كما تألم بطون الابل من أكل الثمام (١) اصطفاق الأشجار : تضارب أوراقها بالنسيم بحيث يسمع لها صوت . والكثبان — جمع كثيب — وهو التل (٢) جمع فنن — بالتحريك — وهو الغصن (٣) غلف بضمتين — جمع غلاف — والأكمام جمع كم بكسر الكاف — وهو وعاء الطلع وغطاء النوار (٤) تحنى من حناه حنوا عطفه (٥) المصفاة (٦) قوله قوم الخ أى هم قوم أى نزال الجنة قوم شأنهم ماذكره (٧) المونقة : المعجبة

(*) هذا التفسير غير موجود فى بعض النسخ

يَؤُزُّهَا أيْ نَكَحَهَا ، وَقَوْلُهُ كَأَنَّهُ قِلْعُ دَارِيٍّ عَنَجَهُ نُوتِيُّهُ : اَلْقِلْعُ شِرَاعُ اَلسَّفِينَةِ، وَدَارِيٌّ : مَنْسُوبٌ إِلَى دَارِينَ ، وَهِيَ بَلْدَةٌ عَلَى اَلْبَحْرِ يُجْلَبُ مِنْهَا اَلطِّيبُ. وَعَنَجَهُ أيْ عَطَفَهُ . يُقَالُ عَنَجْتُ النَّاقَةَ ـ كَنَصَرْتُ ـ أَعْنُجُهَا عَنْجًا إِذَا عَطَفْتَهَا. وَالنُّوتِيُّ الْمَلَّاحُ . وَقَوْلُهُ صَفَّتَيْ جُفُونِهِ ، أَرَادَ جَانِبَيْ جُفُونِهِ . وَالصَّفَّتَانِ اَلْجَانِبَانِ . وَقَوْلُهُ وَفِلَذِ الزَّبَرْجَدِ ، الْفِلَذُ : جَمْعُ فِلْذَةٍ ، وَهِيَ الْقِطْعَةُ . وَقَوْلُهُ كَبَائِسِ اللُّؤْلُؤِ الرَّطْبِ ، الْكِبَاسَةُ : اَلْعِذْقُ(١) . وَالْعَسَالِيجُ الْغُصُونُ ، وَاحِدُهَا عُسْلُوجٌ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ اَلسَّلَامُ

لِيَتَأَسَّ صَغِيرُكُمْ بِكَبِيرِكُمْ(٢) ، وَلْيَرْأَفْ كَبِيرُكُمْ بِصَغِيرِكُمْ . وَلَا تَكُونُوا كَجُفَاةِ الْجَاهِلِيَّةِ لَا فِي الدِّينِ يَتَفَقَّهُونَ ، وَلَا عَنِ اللهِ يَعْقِلُونَ . كَقَيْضِ بَيْضٍ فِي أَدَاحٍ(٣) يَكُونُ كَسْرُهَا وِزْرًا ، وَيُخْرِجُ حِضَانُهَا شَرًّا

(١) العذق للنخلة كالعنقود للعنب مجموع الشماريخ وما قامت عليه من العرجون
(٢) ليتأس : أى ليقتد (٣) القيض : القشرة العليا اليابسة على البيضة . والأداحى ـ جمع أدحى ـ كلجى وهو مبيض النعام فى الرمل تدحوه برجلها لتبيض فيه فإذا مر مار بالأداحى فرأى فيها بيضاً أرقط ظن أنه بيض القطا لكثرته والفه للأفاعى ، طالقاً يبيض فيها ، فلا يسوغ المار أن يكسر البيض ، وربما كان فى الحقيقة بيض ثعبان فينتج حضان الطير له شرا . وكذلك الانسان الجاهل الجافى صورته الانسانية [illegible]

(مِنْهَا) اُفْتَرَقُوا بَعْدَ أُلْفَتِهِمْ، وَتَشَتَّتُوا عَنْ أَصْلِهِمْ. فَمِنْهُمْ آخِذٌ بِغُصْنٍ أَيْنَمَا مَالَ مَالَ مَعَهُ. عَلَى أَنَّ اللهَ تَعَالَى سَيَجْمَعُهُمْ لِشَرِّ يَوْمٍ لِبَنِي أُمَيَّةَ كَمَا تَجْتَمِعُ قَزَعُ الْخَرِيفِ[١] يُؤَلِّفُ اللهُ بَيْنَهُمْ، ثُمَّ يَجْعَلُهُمْ رُكَاماً كَرُكَامِ السَّحَابِ. ثُمَّ يَفْتَحُ لَهُمْ أَبْوَاباً يَسِيلُونَ مِنْ مُسْتَثَارِهِمْ كَسَيْلِ الْجَنَّتَيْنِ، حَيْثُ لَمْ تَسْلَمْ عَلَيْهِ قَارَةٌ، وَلَمْ تَثْبُتْ عَلَيْهِ أَكَمَةٌ، وَلَمْ يَرُدَّ سَنَنَهُ رَصُّ طَوْدٍ، وَلَا حِدَابُ أَرْضٍ. يُزَعْزِعُهُمُ اللهُ فِي بُطُونِ أَوْدِيَتِهِ[٢]، ثُمَّ يَسْلُكُهُمْ يَنَابِيعَ فِي الْأَرْضِ يَأْخُذُ بِهِمْ مِنْ قَوْمٍ حُقُوقَ قَوْمٍ، وَيُمَكِّنُ لِقَوْمٍ فِي دِيَارِ قَوْمٍ. وَأَيْمُ اللهِ لَيَذُوبَنَّ مَا فِي أَيْدِيهِمْ بَعْدَ

من اتلافه ولا ينتج الابقاء عليه إلا شراً، فانه بجهله يكون أشد ضرراً على الناس من الثعبان بسمه (١) القزع -محركا- : القطع المتفرقة من السحاب واحدته قزعة بالتحريك. والركام: السحاب المتراكم. والمستثار: موضع انبعاثهم ثائرين. وسيل الجنتين، هو الذي سماه الله سيل العرم الذي عاقب الله به سبأ على مابطروا نعمته فدمر جنانهم وحول نعيمهم شقاء. والقارة - كالقرارة - ماالطمأن من الأرض. والأكمة -محركة- غليظ من الأرض يرتفع عما حواليه. والسنن يريد به الجرى. والطود: الجبل العظيم والمقصود الجمع. والرص يراد به الارتصاص أى الانضمام والتلاصق، أى لم يمنع جريته تلاصق الجبال. والحداب -جمع حدب بالتحريك- ماغلظ من الأرض فى ارتفاع (٢) يزعزعهم: يفرقهم. و بطون الأودية كناية عن مسالك الاختفاء، ثم يسلكهم ينابيع فى الأرض أى أنهم يسرون دعوتهم و ينفثونها فى الصدور حتى تنور نائرتها فى القلوب كانفور الينابيع من عيونها. وقد كان ذلك فى قيام الهاشميين على الأمويين

ٱلْعُلُوِّ وَٱلتَّمْكِينِ(١) كَمَا تَذُوبُ ٱلْأَلْيَةُ عَلَى ٱلنَّارِ

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ لَوْلَمْ تَتَخَاذَلُوا عَنْ نَصْرِ ٱلْحَقِّ ، وَلَمْ تَهِنُوا عَنْ تَوْهِينِ ٱلْبَاطِلِ . لَمْ يَطْمَعْ فِيكُمْ مَنْ لَيْسَ مِثْلَكُمْ ، وَلَمْ يَقْوَمَنْ قَوِيَ عَلَيْكُمْ . لَكِنَّكُمْ تِهْتُمْ مَتَاهَ بَنِي إِسْرَائِيلَ . وَلَعَمْرِي لَيُضَعَّفَنَّ لَكُمُ ٱلتِّيهُ مِنْ بَعْدِي أَضْعَافًا(٢) بِمَا خَلَّفْتُمُ ٱلْحَقَّ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ ، وَقَطَعْتُمُ ٱلْأَدْنَى وَوَصَلْتُمُ ٱلْأَبْعَدَ . وَٱعْلَمُوا أَنَّكُمْ إِنِ ٱتَّبَعْتُمُ ٱلدَّاعِيَ لَكُمْ سَلَكَ بِكُمْ مِنْهَاجَ ٱلرَّسُولِ ، وَكُفِيتُمْ مَؤُونَةَ ٱلِاعْتِسَافِ ، وَنَبَذْتُمُ ٱلثِّقْلَ ٱلْفَادِحَ عَنِ ٱلْأَعْنَاقِ(٣)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

فِي أَوَّلِ خِلَافَتِهِ

إِنَّ ٱللهَ تَعَالَى أَنْزَلَ كِتَابًا هَادِيًا بَيَّنَ فِيهِ ٱلْخَيْرَ وَٱلشَّرَّ . فَخُذُوا نَهْجَ ٱلْخَيْرِ تَهْتَدُوا ، وَٱصْدِفُوا عَنْ سَمْتِ ٱلشَّرِّ تَقْصِدُوا(٤) . ٱلْفَرَائِضَ ٱلْفَرَائِضَ، أَدُّوهَا إِلَى ٱللهِ تُؤَدِّكُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . إِنَّ ٱللهَ حَرَّمَ حَرَامًا غَيْرَ مَجْهُولٍ، وَأَحَلَّ حَلَالًا غَيْرَ مَدْخُولٍ(٥) ، وَفَضَّلَ حُرْمَةَ ٱلْمُسْلِمِ عَلَى ٱلْحُرَمِ كُلِّهَا ، وَشَدَّ

في زمن مروان الحمار (١) الضمير في أيديهم لبني أمية . والالية الشحمة (٢) ليضعفن لكم التيه : لتزادن لكم الحيرة أضعاف ماهي لكم الآن (٣) الفادح ــ من فدحه الدين إذا أثقله (٤) صدف : أعرض. والسمت : الجهة. وتقصدوا تستقيموا (٥) معيب

بِالْإِخْلَاصِ وَالتَّوْحِيدِ حُقُوقَ الْمُسْلِمِينَ فِي مَعَاقِدِهَا[١]. فَالْمُسْلِمُ مَنْ سَلِمَ الْمُسْلِمُونَ مِنْ لِسَانِهِ وَيَدِهِ إِلَّا بِالْحَقِّ. وَلَا يَحِلُّ أَذَى الْمُسْلِمِ إِلَّا بِمَا يَجِبُ. بَادِرُوا أَمْرَ الْعَامَّةِ وَخَاصَّةَ أَحَدِكُمْ وَهُوَ الْمَوْتُ[٢] فَإِنَّ النَّاسَ أَمَامَكُمْ، وَإِنَّ السَّاعَةَ تَحْدُوكُمْ مِنْ خَلْفِكُمْ. تَخَفَّفُوا تَلْحَقُوا، فَإِنَّمَا يُنْتَظَرُ بِأَوَّلِكُمْ آخِرُكُمْ. اتَّقُوا اللهَ فِي عِبَادِهِ وَبِلَادِهِ فَإِنَّكُمْ مَسْئُولُونَ حَتَّى عَنِ الْبِقَاعِ وَالْبَهَائِمِ، أَطِيعُوا اللهَ وَلَا تَعْصُوهُ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الْخَيْرَ فَخُذُوا بِهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمُ الشَّرَّ فَأَعْرِضُوا عَنْهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعْدَ مَا بُويِعَ بِالْخِلَافَةِ، وَقَدْ قَالَ لَهُ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ لَوْ عَاقَبْتَ قَوْمًا مِمَّنْ أَجْلَبَ عَلَى عُثْمَانَ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا إِخْوَتَاهُ إِنِّي لَسْتُ أَجْهَلُ مَا تَعْلَمُونَ، وَلَكِنْ كَيْفَ لِي بِقُوَّةٍ وَالْقَوْمُ الْمُجْلِبُونَ عَلَى حَدِّ شَوْكَتِهِمْ، يَمْلِكُونَنَا وَلَا نَمْلِكُهُمْ.

---

(١) أي جعل الحقوق مرتبطة بالاخلاص والتوحيد لا تنفك عنه . ومعاقد الحقوق : [illegible] من النمم (٢) بادره: عاجله، أي عاجلوا أمر العامة بالاصلاح لئلا يغلبكم الفساد [illegible]، فاذا انقضى عملكم فى شؤون العامة فبادروا الموت بالعمل الصالح كيلا [illegible] على غفلة فلا تكونوا منه على أهبة . وفى تقديم الامام أمر العامة على أمر [illegible] دليل على أن الأول أهم ولايتم الثانى إلا به. وهذا ماتضافرت عليه الأدلة الشرعية

وَهَاهُمْ هٰؤُلَاءِ قَدْ ثَارَتْ مَعَهُمْ عُبْدَانُكُمْ ، وَٱلْتَفَّتْ إِلَيْهِمْ أَعْرَابُكُمْ ، وَهُمْ خِلَالَكُمْ (١) يَسُومُونَكُمْ مَا شَاءُوا . وَهَلْ تَرَوْنَ مَوْضِعاً لِقُدْرَةٍ عَلَى شَيْءٍ تُرِيدُونَهُ . إِنَّ هٰذَا ٱلْأَمْرَ أَمْرُ جَاهِلِيَّةٍ . وَإِنَّ لِهٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ مَادَّةً (٢) . إِنَّ ٱلنَّاسَ مِنْ هٰذَا ٱلْأَمْرِ - إِذَا حُرِّكَ - عَلَى أُمُورٍ : فِرْقَةٌ تَرَى مَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ تَرَى مَا لَا تَرَوْنَ ، وَفِرْقَةٌ لَا تَرَى هٰذَا وَلَا ذَاكَ ، فَاصْبِرُوا حَتَّى يَهْدَأَ ٱلنَّاسُ ، وَتَقَعَ ٱلْقُلُوبُ مَوَاقِعَهَا ، وَتُؤْخَذَ ٱلْحُقُوقُ مُسْمَحَةً (٣) فَاهْدَأُوا عَنِّي ، وَٱنْظُرُوا مَاذَا يَأْتِيكُمْ بِهِ أَمْرِي . وَلَا تَفْعَلُوا فَعْلَةً تُضَعْضِعُ قُوَّةً ، وَتُسْقِطُ مُنَّةً ، وَتُورِثُ وَهْناً وَذِلَّةً (٤) . وَسَأُمْسِكُ ٱلْأَمْرَ مَا ٱسْتَمْسَكَ . وَإِذَا لَمْ أَجِدْ بُدّاً فَآخِرُ ٱلدَّوَاءِ ٱلْكَيُّ (٥)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

عِنْدَ مَسِيرِ أَصْحَابِ ٱلْجَمَلِ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ

إِنَّ ٱللّٰهَ بَعَثَ رَسُولاً هَادِياً بِكِتَابٍ نَاطِقٍ وَأَمْرٍ قَائِمٍ ، لَا يَهْلِكُ عَنْهُ إِلَّا هَالِكٌ (٦) . وَإِنَّ ٱلْمُبْتَدَعَاتِ ٱلْمُشَبَّهَاتِ هُنَّ ٱلْمُهْلِكَاتُ (٧) إِلَّا مَا حَفِظَ

---

(١) خلالكم : فيما بينكم (٢) مادة أي عونا ومددا (٣) مسمحة : اسم فاعل ، من أسمح إذا جاد وكرم ، كأنها لتيسرها عند القدرة تجود عليه بنفسها فيأخذها (٤) ضعضعه : هدمه حتى الأرض . والمنة - بالضم - القدرة . والوهن : الضعف (٥) الكي كناية عن القتل (٦) الامن كان في طبعه عوج جبلي وان غفل عنه الناس في أزماننا هذه فختم عليه الشقاء الأبدي (٧) البدع الملبسة ثوب الدين المشبهة به هي المهلكة إلا أن يحفظ

اللهُ مِنْهَا . وَإِنَّ فِي سُلْطَانِ اللهِ عِصْمَةً لِأَمْرِكُمْ . فَأَعْطُوهُ طَاعَتَكُمْ غَيْرَ مُلَوَّمَةٍ وَلَا مُسْتَكْرَهٍ بِهَا[١] . وَاللهِ لَتَفْعَلُنَّ أَوْ لَيَنْقُلَنَّ اللهُ عَنْكُمْ سُلْطَانَ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ لَا يَنْقُلُهُ إِلَيْكُمْ أَبَدًا حَتَّى يَأْرِزَ الْأَمْرُ إِلَى غَيْرِكُمْ[٢] .

إِنَّ هٰؤُلَاءِ قَدْ تَمَالَأُوا عَلَى سَخْطَةِ إِمَارَتِي[٣] ، وَسَأَصْبِرُ مَا لَمْ أَخَفْ عَلَى جَمَاعَتِكُمْ . فَإِنَّهُمْ إِنْ تَمَّمُوا عَلَى فَيَالَةِ هٰذَا الرَّأْيِ[٤] انْقَطَعَ نِظَامُ الْمُسْلِمِينَ ، وَإِنَّمَا طَلَبُوا هٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَدًا لِمَنْ أَفَاءَهَا اللهُ عَلَيْهِ ، فَأَرَادُوا رَدَّ الْأُمُورِ عَلَى أَدْبَارِهَا . وَلَكُمْ عَلَيْنَا الْعَمَلُ بِكِتَابِ اللهِ تَعَالَى وَسِيرَةِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْقِيَامُ بِحَقِّهِ وَالنَّعْشُ لِسُنَّتِهِ[٥]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كَلَّمَ بِهِ بَعْضَ الْعَرَبِ وَقَدْ أَرْسَلَهُ قَوْمٌ مِنْ أَهْلِ الْبَصْرَةِ لَمَّا قَرُبَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهَا لِيَعْلَمَ لَهُمْ مِنْهُ حَقِيقَةَ حَالِهِ مَعَ أَصْحَابِ الْجَمَلِ لِتَزُولَ الشُّبْهَةُ مِنْ نُفُوسِهِمْ فَبَيَّنَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَمْرِهِ مَعَهُمْ مَا عَلِمَ بِهِ أَنَّهُ عَلَى الْحَقِّ ، ثُمَّ قَالَ لَهُ بَايِعْ ، فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ قَوْمٍ وَلَا أُحْدِثُ حَدَثًا

الله منها بالتوبة (١) ملوّمة ـ من لوّمه ـ مبالغة في لامه أي غير ملوم عليها بالنفاق (٢) يأرز : يرجع (٣) تمالأوا اتفقوا وتعاونوا. والسخطة ـ بالفتح ـ الكراهة وعدم الرضاء. والمراد من هؤلاء من انتقض عليه من طلحة والزبير رضي الله عنهما والمنضمين اليهما (٤) فيالة الرأي ـ بالفتح ـ ضعفه. وأفاءها عليه : أرجعها اليه (٥) النعش مصدر

حَتَّى أَرْجِعَ إِلَيْهِمْ. فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ:

أَرَأَيْتَ لَوْ أَنَّ ٱلَّذِينَ وَرَاءَكَ بَعَثُوكَ رَائِدًا تَبْتَغِي لَهُمْ مَسَاقِطَ ٱلْغَيْثِ فَرَجَعْتَ إِلَيْهِمْ وَأَخْبَرْتَهُمْ عَنِ ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ فَخَالَفُوا إِلَى ٱلْمَعَاطِشِ وَٱلْمَجَادِبِ مَا كُنْتَ صَانِعًا؟ قَالَ كُنْتُ تَارِكَهُمْ وَمُخَالِفَهُمْ إِلَى ٱلْكَلَإِ وَٱلْمَاءِ. فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فَامْدُدْ إِذًا يَدَكَ. فَقَالَ ٱلرَّجُلُ فَوَٱللهِ مَا ٱسْتَطَعْتُ أَنْ أَمْتَنِعَ عِنْدَ قِيَامِ ٱلْحُجَّةِ عَلَيَّ، فَبَايَعْتُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ. وَٱلرَّجُلُ يُعْرَفُ بِكُلَيْبٍ ٱلْجَرْمِيِّ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لَمَّا عَزَمَ عَلَى لِقَاءِ ٱلْقَوْمِ بِصِفِّينَ

اللَّهُمَّ رَبَّ ٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ، وَٱلْجَوِّ ٱلْمَكْفُوفِ[1]، ٱلَّذِي جَعَلْتَهُ مَغِيضًا لِلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ، وَمَجْرًى لِلشَّمْسِ وَٱلْقَمَرِ، وَمُخْتَلَفًا لِلنُّجُومِ ٱلسَّيَّارَةِ. وَجَعَلْتَ سُكَّانَهُ سِبْطًا مِنْ مَلَائِكَتِكَ لَا يَسْأَمُونَ مِنْ عِبَادَتِكَ. وَرَبَّ هٰذِهِ ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي جَعَلْتَهَا قَرَارًا لِلْأَنَامِ وَمَدْرَجًا لِلْهَوَامِّ وَٱلْأَنْعَامِ، وَمَا

نعشه إذا رفعه (١) الجو: مابين الأرض والأجرام العالية. وفيه من مصنوعات الله مالايحصى نوعه ولا يعد جنسه. وهو بحر تسبح فيه الكائنات الجوية ولكنها مكفوفة عن الأرض لاتسقط عليها حتى يريد الله إحداث أمر فيها. وجعلته مغيضا من غاض الماء إذا نقص، كأن هذا الجو منبع الضياء والظلام وهو مغيضها كما يغيض الماء فى البئر

لَا يُحْصَى مِمَّا يُرَى وَمِمَّا لَا يُرَى . وَرَبَّ الْجِبَالِ الرَّوَاسِي الَّتِي جَعَلْتَهَا لِلْأَرْضِ أَوْتَادًا ، وَلِلْخَلْقِ اعْتِمَادًا(١) ، إِنْ أَظْهَرْتَنَا عَلَى عَدُوِّنَا فَجَنِّبْنَا الْبَغْيَ وَسَدِّدْنَا لِلْحَقِّ . وَإِنْ أَظْهَرْتَهُمْ عَلَيْنَا فَارْزُقْنَا الشَّهَادَةَ وَاعْصِمْنَا مِنَ الْفِتْنَةِ . أَيْنَ الْمَانِعُ لِلذِّمَارِ(٢) وَالْغَائِرُ عِنْدَ نُزُولِ الْحَقَائِقِ مِنْ أَهْلِ الْحِفَاظِ . الْعَارُ وَرَاءَكُمْ وَالْجَنَّةُ أَمَامَكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُوَارِي عَنْهُ سَمَاءٌ سَمَاءً(٣) وَلَا أَرْضٌ أَرْضًا

(مِنْهَا) وَقَالَ قَائِلٌ : إِنَّكَ عَلَى هٰذَا الْأَمْرِ يَا ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَحَرِيصٌ ، فَقُلْتُ بَلْ أَنْتُمْ وَاللَّهِ لَأَحْرَصُ وَأَبْعَدُ ، وَأَنَا أَخَصُّ وَأَقْرَبُ ، وَإِنَّمَا طَلَبْتُ حَقًّا لِي وَأَنْتُمْ تَحُولُونَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ ، وَتَضْرِبُونَ وَجْهِي دُونَهُ(٤) . فَلَمَّا

والكلام الآتي صريح في أن الكواكب السيارة كالشمس والقمر تختلف أي يختلف بعضها بعضاً في الجو فهو مجال سيرها وميدان حركاتها. والسبط ــ بالكسر ــ الأمة (١) اعتماداً أي معتمدا أي ملجأ يعتصمون بها إذا طردتهم الغارات من السهول، وكما هي كذلك للانسان هي أيضاً كذلك للحيوانات تعتصم بها (٢) الذمار ــ ككتاب ــ مايلزم الرجل حفظه من أهله وعشيرته . والغائر : من غار على امرأته أو قريبته أن يمسها أجنبي . والحقائق : وصف لا اسم، يريد النوازل الثابتة التي لا تندفع بل لا تقلع إلا بعازمات الهمم ومن أهل الحفاظ بيان للمانع والغائر، والحفاظ: الوفاء ورعاية الذمم (٣) لا تواري: لا تحجب (٤) ضرب الوجه كناية عن الرد والمنع. وقرعته بالحجة من قرعه بالعصا ضربه بها. وهب ، من هبيب التيس أي صياحه، أي كان يتكلم بالمهمل مع سرعة

قَرَعْتُهُ بِالْحُجَّةِ فِي الْمَلَإِ الْحَاضِرِينَ هَبَّ لَا يَدْرِي مَا يُجِيبُنِي بِهِ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعِينُكَ عَلَى قُرَيْشٍ وَمَنْ أَعَانَهُمْ(١)، فَإِنَّهُمْ قَطَعُوا رَحِمِي، وَصَغَّرُوا عَظِيمَ مَنْزِلَتِي، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي أَمْرًا هُوَ لِي. ثُمَّ قَالُوا إِلَّا أَنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تَتْرُكَهُ(٢)

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ أَصْحَابِ الْجَمَلِ) فَخَرَجُوا يَجُرُّونَ حُرْمَةَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَمَا تُجَرُّ الْأَمَةُ عِنْدَ شِرَائِهَا، مُتَوَجِّهِينَ بِهَا إِلَى الْبَصْرَةِ، فَحَبَسَا نِسَاءَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا، وَأَبْرَزَا حَبِيسَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَهُمَا وَلِغَيْرِهِمَا(٣) فِي جَيْشٍ مَا مِنْهُمْ رَجُلٌ إِلَّا وَقَدْ أَعْطَانِي الطَّاعَةَ وَسَمَحَ لِي بِالْبَيْعَةِ طَائِعًا غَيْرَ مُكْرَهٍ فَقَدِمُوا عَلَى عَامِلِي بِهَا وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ(٤) وَغَيْرِهِمْ مِنْ أَهْلِهَا. فَقَتَلُوا طَائِفَةً صَبْرًا(٥)، وَطَائِفَةً غَدْرًا. فَوَاللهِ لَوْ لَمْ يُصِيبُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ إِلَّا رَجُلًا وَاحِدًا مُعْتَمِدِينَ لِقَتْلِهِ(٦) بِلَا جُرْمٍ جَرَّهُ، لَحَلَّ لِي قَتْلُ ذَلِكَ الْجَيْشِ كُلِّهِ

حل عليها الغضب كأنه مخبول لايدري مايقول (١) أستعينك : أستنصرك وأطلب منك المعونة (٢) ثم قالوا الخ أي أنهم اعترفوا بفضله وأنه أجدرهم بالقيام به، ففي الحق أن يأخذه ثم لما اختار المقدم في الشورى غيره عقدوا له الأمر وقالوا للامام في الحق أن تتركه فتناقض حكمهم بالحقية في القضيتين، ولايكون الحق في الأخذ إلا لمن توفرت فيه شروطه (٣) حبيس فعيل بمعنى مفعول يستوي فيه المذكر والمؤنث، وأم المؤمنين كانت محبوسة لرسول الله لايجوز لأحد أن يمسها بعده كأنها في حياته (٤) خزان جمع خازن (٥) القتل صبراً أن تحبس الشخص ثم ترميه حتى يموت (٦) معتمدين : قاصدين

إِذْ حَضَرُوهُ فَلَمْ يُنْكِرُوا وَلَمْ يَدْفَعُوا عَنْهُ بِلِسَانٍ وَلَا يَدٍ . دَعْ مَا أَنَّهُمْ قَدْ قَتَلُوا مِنَ الْمُسْلِمِينَ مِثْلَ الْعِدَّةِ الَّتِي دَخَلُوا بِهَا عَلَيْهِمْ (١)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَمِينُ وَحْيِهِ ، وَخَاتَمُ رُسُلِهِ ، وَبَشِيرُ رَحْمَتِهِ ، وَنَذِيرُ نِقْمَتِهِ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ بِهَذَا الْأَمْرِ أَقْوَاهُمْ عَلَيْهِ ، وَأَعْلَمُهُمْ بِأَمْرِ اللَّهِ فِيهِ . فَإِنْ شَغَبَ شَاغِبٌ اسْتُعْتِبَ (٢) فَإِنْ أَبَى قُوتِلَ . وَلَعَمْرِي لَئِنْ كَانَتِ الْإِمَامَةُ لَا تَنْعَقِدُ حَتَّى يَحْضُرَهَا عَامَّةُ النَّاسِ فَمَا إِلَى ذَلِكَ سَبِيلٌ ، وَلَكِنْ أَهْلُهَا يَحْكُمُونَ عَلَى مَنْ غَابَ عَنْهَا ثُمَّ لَيْسَ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَرْجِعَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَخْتَارَ

أَلَا وَإِنِّي أُقَاتِلُ رَجُلَيْنِ : رَجُلًا ادَّعَى مَا لَيْسَ لَهُ ، وَآخَرَ مَنَعَ الَّذِي عَلَيْهِ . أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللَّهِ فَإِنَّهَا خَيْرُ مَا تَوَاصَى الْعِبَادُ بِهِ ، وَخَيْرُ عَوَاقِبِ الْأُمُورِ عِنْدَ اللَّهِ . وَقَدْ فُتِحَ بَابُ الْحَرْبِ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ

---

(١) قوله دع ما أنهم أى يحل لى قتلهم بقتل مسلم واحد عمدا فدع من أعمالهم مازاد على ذلك وهو أنهم قتلوا من المسلمين عدد جيشهم فذلك مما يستحقون عليه عقاباً فوق حل دمائهم، وما فى قوله ما أنهم مثلها فى قولهم يعجبنى لو أن فلاناً يتكلم، ومثلها فى قوله تعالى « انه لحق مثل ما أنكم تنطقون » فهى زائدة أو مساعدة على سبك الجملة بالمصدر (٢) الشغب : تهييج الفساد . واستعتب : طلب منه الرضاء بالحق

أَهْلِ الْقِبْلَةِ(١) ، وَلَا يَحْمِلُ هٰذَا الْعَلَمَ إِلَّا أَهْلُ الْبَصَرِ وَالصَّبْرِ(٢) وَالْعِلْمِ بِمَوَاضِعِ الْحَقِّ . فَامْضُوا لِمَا تُؤْمَرُونَ بِهِ ، وَقِفُوا عِنْدَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ . وَلَا تَعْجَلُوا فِي أَمْرٍ حَتَّى تَتَبَيَّنُوا ، فَإِنَّ لَنَا مَعَ كُلِّ أَمْرٍ تُنْكِرُونَهُ غِيَرًا(٣)

أَلَا وَإِنَّ هٰذِهِ الدُّنْيَا الَّتِي أَصْبَحْتُمْ تَتَمَنَّوْنَهَا وَتَرْغَبُونَ فِيهَا ، وَأَصْبَحَتْ تُغْضِبُكُمْ وَتُرْضِيكُمْ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ ، وَلَا مَنْزِلِكُمُ الَّذِي خُلِقْتُمْ لَهُ وَلَا الَّذِي دُعِيتُمْ إِلَيْهِ . أَلَا وَإِنَّهَا لَيْسَتْ بِبَاقِيَةٍ لَكُمْ وَلَا تَبْقَوْنَ عَلَيْهَا . وَهِيَ وَإِنْ غَرَّتْكُمْ مِنْهَا فَقَدْ حَذَّرَتْكُمْ شَرَّهَا . فَدَعُوا غُرُورَهَا لِتَحْذِيرِهَا ، وَإِطْمَاعَهَا لِتَخْوِيفِهَا . وَسَابِقُوا فِيهَا إِلَى الدَّارِ الَّتِي دُعِيتُمْ إِلَيْهَا وَانْصَرِفُوا بِقُلُوبِكُمْ عَنْهَا . وَلَا يَخْنِنْ أَحَدُكُمْ خَنِينَ الْأَمَةِ عَلَى مَا زُوِيَ عَنْهُ مِنْهَا(٤) . وَاسْتَتِمُّوا نِعْمَةَ اللّٰهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَةِ اللّٰهِ وَالْمُحَافَظَةِ عَلَى مَا اسْتَحْفَظَكُمْ مِنْ كِتَابِهِ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَضُرُّكُمْ تَضْيِيعُ شَيْءٍ مِنْ دُنْيَاكُمْ بَعْدَ حِفْظِكُمْ قَائِمَةَ دِينِكُمْ . أَلَا وَإِنَّهُ لَا يَنْفَعُكُمْ بَعْدَ تَضْيِيعِ دِينِكُمْ شَيْءٌ حَافَظْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَمْرِ دُنْيَاكُمْ . أَخَذَ اللّٰهُ

---

(١) أهل القبلة من يعتقد بالله وصدق ما جاء به محمد صلى الله عليه وسلم و يصلى معنا إلى قبلة واحدة (٢) أى لا يحمل علم الحرب ورايتها القتال أهل القبلة إلا أهل العقل والمعرفة بالشرع وهم الامام ومن معه، أى ليس حملنا لهذا العلم عن جهل أو غفلة عن أحكام الله (٣) أى إذا اتفق أهل الحل والعقد من المسلمين على انكار شيء عدلنا إلى حكمهم وغيرنا حكمنا حتى كان اتفاقهم لا يخالف نصا شرعيا. فالغير بكسر ففتح اسم للتغيير أو التغير (٤) الخنين -

بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ
فِي مَعْنَى طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ ٱللهِ

قَدْ كُنْتُ وَمَا أُهَدَّدُ بِالْحَرْبِ ، وَلَا أُرَهَّبُ بِالضَّرْبِ . وَأَنَا عَلَى مَا قَدْ وَعَدَنِي رَبِّي مِنَ ٱلنَّصْرِ . وَٱللهِ مَا ٱسْتَعْجَلَ مُتَجَرِّدًا لِلطَّلَبِ بِدَمِ عُثْمَانَ(١) إِلَّا خَوْفًا مِنْ أَنْ يُطَالَبَ بِدَمِهِ لِأَنَّهُ مَظِنَّتُهُ ، وَلَمْ يَكُنْ فِي ٱلْقَوْمِ أَحْرَصَ عَلَيْهِ مِنْهُ(٢) ، فَأَرَادَ أَنْ يُغَالِطَ بِمَا أَجْلَبَ فِيهِ لِيُلْبِسَ ٱلْأَمْرَ(٣) وَيَقَعَ ٱلشَّكُّ . وَوَٱللهِ مَا صَنَعَ فِي أَمْرِ عُثْمَانَ وَاحِدَةً مِنْ ثَلَاثٍ : لَئِنْ كَانَ ٱبْنُ عَفَّانَ ظَالِمًا ـ كَمَا كَانَ يَزْعُمُ ـ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يُوَازِرَ قَاتِلِيهِ(٤) أَوْ يُنَابِذَ نَاصِرِيهِ . وَلَئِنْ كَانَ مَظْلُومًا لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَكُونَ مِنَ ٱلْمُنَهْنِهِينَ عَنْهُ(٥) ، وَٱلْمُعَذِّرِينَ فِيهِ(٦) . وَلَئِنْ كَانَ فِي شَكٍّ مِنَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ لَقَدْ كَانَ يَنْبَغِي لَهُ أَنْ يَعْتَزِلَهُ وَيَرْكُدَ جَانِبًا(٧) وَيَدَعَ

بالخاء المعجمة ـ ضرب من البكاء يردد به الصوت فى الأنف . وزوى : أى قبض

(١) متجرداً كأنه سيف تجرد من غمده (٢) أحرص عليه أى على دم عثمان بمعنى سفكه

(٣) يلبس رباعى من قولهم أمر ملبس أى مشتبه (٤) يوازر : ينصر ويعين . والمنابذة المراماة والمراد المعارضة والمدافعة (٥) نهنهه عن الأمر : كفه وزجره عن اتيانه

(٦) المعذرين فيه : المعتذرين عنه فيما نقم منه (٧) ويركد جانبا يسكن فى جانب

ٱلنَّاسَ مَعَهُ ، فَمَا فَعَلَ وَاحِدَةً مِنَ ٱلثَّلَاثِ ، وَجَاءَ بِأَمْرٍ لَمْ يُعْرَفْ بَابُهُ ، وَلَمْ تَسْلَمْ مَعَاذِيرُهُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَيُّهَا ٱلْغَافِلُونَ غَيْرُ ٱلْمَغْفُولِ عَنْهُمْ ، وَٱلتَّارِكُونَ ٱلْمَأْخُوذُ مِنْهُمْ (١) . مَالِي أَرَاكُمْ عَنِ ٱللهِ ذَاهِبِينَ ، وَإِلَى غَيْرِهِ رَاغِبِينَ . كَأَنَّكُمْ نَعَمٌ أَرَاحَ بِهَا سَائِمٌ إِلَى مَرْعًى وَبِيٍّ وَمَشْرَبٍ دَوِيٍّ (٢) . إِنَّمَا هِيَ كَالْمَعْلُوفَةِ لِلْمُدَى لَا تَعْرِفُ مَاذَا يُرَادُ بِهَا ، إِذَا أُحْسِنَ إِلَيْهَا تَحْسَبُ يَوْمَهَا دَهْرَهَا (٣) ، وَشِبَعَهَا أَمْرَهَا . وَٱللهِ لَوْ شِئْتُ أَنْ أُخْبِرَ كُلَّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَخْرَجِهِ وَمَوْلِجِهِ وَجَمِيعِ شَأْنِهِ لَفَعَلْتُ (٤) ، وَلَكِنْ أَخَافُ أَنْ تَكْفُرُوا فِيَّ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَلَا وَإِنِّي مُفْضِيهِ إِلَى ٱلْخَاصَّةِ مِمَّنْ يُؤْمَنُ ذَلِكَ مِنْهُ (٥) .

عن القاتلين والناصرين (١) التاركون الخ أى أن التاركين لما أمروا به المأخوذة منهم أعمارهم تطويها عنهم يد القدرة ساعة بعد ساعة. فالمأخوذ منهم صفة للتاركين (٢) النعم محركة ـ الابل أو هي والغنم. وأراح بها ذهب بها. وأصل الاراحة الانطلاق فى الريح فاستعمله فى مطلق الانطلاق، والسائم: الراعى . والوبى : الردى يجلب الوباء . والدوى : الوبيل يفسد الصحة، أصله من الدوا بالقصر أى المرض . والمدى ـ جمع مدية ـ السكين أى معلوفة للذبح (٣) تحسب يومها دهرها أى لا تنظر إلى عواقب أمورها فلا تعد شيئا لما بعد يومها ، ومتى شبعت ظنت أنه لا شأن لها بعد هذا الشبع . هذا كلام كأنه ثوب فصل على أقدار أهل هذا الزمان (٤) بمخرجه الخ أى من أين يخرج . وأين يلج أي يدخل (٥) مفضيه أصله من أفضى اليه خلا به و إلى الأرض مسها. والمراد انى موصله

وَالَّذِي بَعَثَهُ بِالْحَقِّ وَاصْطَفَاهُ عَلَى الْخَلْقِ مَا أَنْطِقُ إِلَّا صَادِقاً . وَقَدْ عَهِدَ إِلَيَّ بِذَلِكَ كُلِّهِ ، وَبِمَهْلِكِ مَنْ يَهْلِكُ وَمَنْجَى مَنْ يَنْجُو ، وَمَآلِ هَذَا الْأَمْرِ . وَمَا أَبْقَى شَيْئاً يَمُرُّ عَلَى رَأْسِي إِلَّا أَفْرَغَهُ فِي أُذُنِي وَأَفْضَى بِهِ إِلَيَّ.

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي وَاللَّهِ مَا أَحُثُّكُمْ عَلَى طَاعَةٍ إِلَّا وَأَسْبِقُكُمْ إِلَيْهَا ، وَلَا أَنْهَاكُمْ عَنْ مَعْصِيَةٍ إِلَّا وَأَتَنَاهَى قَبْلَكُمْ عَنْهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

انْتَفِعُوا بِبَيَانِ اللَّهِ ، وَاتَّعِظُوا بِمَوَاعِظِ اللَّهِ ، وَاقْبَلُوا نَصِيحَةَ اللَّهِ . فَإِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْذَرَ إِلَيْكُمْ بِالْجَلِيَّةِ(١) . وَاتَّخَذَ عَلَيْكُمُ الْحُجَّةَ . وَبَيَّنَ لَكُمْ مَحَابَّهُ مِنَ الْأَعْمَالِ وَمَكَارِهَهُ مِنْهَا لِتَتَّبِعُوا هَذِهِ وَتَجْتَنِبُوا هَذِهِ ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ « إِنَّ الْجَنَّةَ حُفَّتْ بِالْمَكَارِهِ وَإِنَّ النَّارَ حُفَّتْ بِالشَّهَوَاتِ » وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَا مِنْ طَاعَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي كُرْهٍ(٢) . وَمَا مِنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ شَيْءٌ إِلَّا يَأْتِي فِي شَهْوَةٍ . فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا نَزَعَ عَنْ شَهْوَتِهِ(٣) . وَقَمَعَ هَوَى نَفْسِهِ ، فَإِنَّ هَذِهِ النَّفْسَ أَبْعَدُ شَيْءٍ

إلى أهل اليقين ممن لاتخشى عليهم الفتنة (١) أعذر اليكم بالجلية أى بالأعذار الجلية . والعذر هنا مجاز عن سبب العقاب فى المؤاخذة عند مخالفة الأوامر الالهية (٢) أى لاشىء من طاعة الله إلاوفيه مخالفة لهوى النفس البهيمية فتكره إتيانه ، ولاشىء من معصية الله إلا وهو موافق لميل حيوانى فتشتهى النفوس اتيانه (٣) نزع عنه : انتهى وأقلع ،

مَنْزِعًا . وَإِنَّهَا لَا تَزَالُ تَنْزِعُ إِلَى مَعْصِيَةٍ فِي هَوًى . وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ لَا يُصْبِحُ وَلَا يُمْسِي إِلَّا وَنَفْسُهُ ظَنُونٌ عِنْدَهُ[1] ، فَلَا يَزَالُ زَارِيًا عَلَيْهَا وَمُسْتَزِيدًا لَهَا . فَكُونُوا كَالسَّابِقِينَ قَبْلَكُمْ وَالْمَاضِينَ أَمَامَكُمْ قَوَّضُوا مِنَ الدُّنْيَا تَقْوِيضَ الرَّاحِلِ[2] وَطَوَوْهَا طَيَّ الْمَنَازِلِ . وَاعْلَمُوا أَنَّ هٰذَا الْقُرْآنَ هُوَ النَّاصِحُ الَّذِي لَا يَغُشُّ ، وَالْهَادِي الَّذِي لَا يُضِلُّ ، وَالْمُحَدِّثُ الَّذِي لَا يَكْذِبُ . وَمَا جَالَسَ هٰذَا الْقُرْآنَ أَحَدٌ إِلَّا قَامَ عَنْهُ بِزِيَادَةٍ أَوْ نُقْصَانٍ : زِيَادَةٍ فِي هُدًى ، أَوْ نُقْصَانٍ فِي عَمًى . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ عَلَى أَحَدٍ بَعْدَ الْقُرْآنِ مِنْ فَاقَةٍ[3] ، وَلَا لِأَحَدٍ قَبْلَ الْقُرْآنِ مِنْ غِنًى فَاسْتَشْفُوهُ مِنْ أَدْوَائِكُمْ وَاسْتَعِينُوا بِهِ عَلَى لَأْوَائِكُمْ[4] ، فَإِنَّ فِيهِ شِفَاءً مِنْ أَكْبَرِ الدَّاءِ وَهُوَ الْكُفْرُ وَالنِّفَاقُ وَالْغَيُّ وَالضَّلَالُ . فَاسْأَلُوا اللَّهَ بِهِ[5] ،

فان عدي بالى كان بمعنى اشتاق ، وأبعد منزعا أي نزوعا بمعنى الانتهاء والكف عن المعاصى (١) ظنون ـ كصبور ـ الضعيف والقليل الحيلة ، فيريد أن المؤمن يظن فى نفسه النقص والتقصير فى الطاعة أو هو من البئر الظنون التى لا يدرى أفيها ماء أم لا فتكون هنا بمعنى متهمة فهو لا يثق بنفسه إذا وسوست له بأنها أدت حق مافرض عليها . وزاريا عليها : أى عائبا . ومستزيداً طالباً لها الزيادة من طيبات الأعمال (٢) التقويض نزع أعمدة الخيمة وأطنابها والمراد أنهم ذهبوا بما كنهم وطووا مدة الحياة كما يطوى المسافر منازل سفره أى مراحله ومسافاته (٣) أى فقر وحاجة إلى هاد سواه يرشد إلى مكارم الأخلاق وفضائل الأعمال ، وسائق إلى شرف المنازل وغايات المجد والرفعة (٤) اللأواء : الشدة (٥) فاطلبوا من الله ماتحبون من سعادة الدنيا والآخرة

وَتَوَجَّهُوا إِلَيْهِ بِحُبِّهِ ، وَلَا تَسْأَلُوا بِهِ خَلْقَهُ إِنَّهُ مَا تَوَجَّهَ الْعِبَادُ إِلَى اللهِ بِمِثْلِهِ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ شَافِعٌ مُشَفَّعٌ ، وَقَائِلٌ مُصَدَّقٌ . وَأَنَّهُ مَنْ شَفَعَ لَهُ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شُفِّعَ فِيهِ[1] ، وَمَنْ مَحَلَ بِهِ الْقُرْآنُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَدَقَ عَلَيْهِ ، فَإِنَّهُ يُنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : «أَلَا إِنَّ كُلَّ حَارِثٍ مُبْتَلًى فِي حَرْثِهِ وَعَاقِبَةِ عَمَلِهِ غَيْرَ حَرَثَةِ الْقُرْآنِ » فَكُونُوا مِنْ حَرَثَتِهِ وَأَتْبَاعِهِ وَاسْتَدِلُّوهُ عَلَى رَبِّكُمْ ، وَاسْتَنْصِحُوهُ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَاتَّهِمُوا عَلَيْهِ آرَاءَكُمْ[2] ، وَاسْتَغِشُّوا فِيهِ أَهْوَاءَكُمْ . الْعَمَلَ الْعَمَلَ ، ثُمَّ النِّهَايَةَ النِّهَايَةَ . وَالِاسْتِقَامَةَ الِاسْتِقَامَةَ ، ثُمَّ الصَّبْرَ الصَّبْرَ ، وَالْوَرَعَ الْوَرَعَ . إِنَّ لَكُمْ نِهَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى نِهَايَتِكُمْ . وَإِنَّ لَكُمْ عَلَماً فَاهْتَدُوا بِعَلَمِكُمْ[3] . وَإِنَّ لِلْإِسْلَامِ غَايَةً فَانْتَهُوا إِلَى غَايَتِهِ . وَاخْرُجُوا إِلَى اللهِ بِمَا افْتَرَضَ عَلَيْكُمْ مِنْ حَقِّهِ[4] ، وَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ وَظَائِفِهِ . أَنَا شَاهِدٌ لَكُمْ

باتباعه وأقبلوا على الله بالرغبة فى اقتفاء هديه وهو المراد من حبه ، ولا تجعلوه آلة لنيل الرغبات من الخلق لأنه ما تقرب العباد إلى الله بمثل احترامه والأخذ به كما أنزل الله (١) شفاعة القرآن : نطق آياته بانطباقها على عمل العامل. ومحل به مثلث الحاء كاده بتبيين سيئاته عند السلطان ، كناية عن مباينة أحكامه لما أتاه العبد من أعماله (٢) إذا خالفت آراؤكم القرآن فاتهموها بالخطأ واستغشوا أهواءكم أى ظنوا فيها الغش وارجعوا إلى القرآن (٣) العلم محركا يريد به القرآن (٤) خرج إلى فلان من حقه أداه فكأنه كان حبيساً فى مؤاخذته فانطلق ، الا أن من حقه فى العبارة بيان لما افترض ومعمول اخرجوا مقدر مثله . والوظائف ماقدر الله لنا من الأعمال المخصصة بالأوقات

وَحَجِيجٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَنْكُمْ(١)

أَلَا وَإِنَّ الْقَدَرَ السَّابِقَ قَدْ وَقَعَ ، وَالْقَضَاءَ الْمَاضِيَ قَدْ تَوَرَّدَ(٢) . وَإِنِّي مُتَكَلِّمٌ بِعِدَةِ اللهِ وَحُجَّتِهِ ، قَالَ اللهُ تَعَالَى : « إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ » وَقَدْ قُلْتُمْ رَبُّنَا اللهُ فَاسْتَقِيمُوا عَلَى كِتَابِهِ ، وَعَلَى مِنْهَاجِ أَمْرِهِ ، وَعَلَى الطَّرِيقَةِ الصَّالِحَةِ مِنْ عِبَادَتِهِ . ثُمَّ لَا تَمْرُقُوا مِنْهَا وَلَا تَبْتَدِعُوا فِيهَا وَلَا تُخَالِفُوا عَنْهَا . فَإِنَّ أَهْلَ الْمُرُوقِ مُنْقَطَعٌ بِهِمْ عِنْدَ اللهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . ثُمَّ إِيَّاكُمْ وَتَهْزِيعَ الْأَخْلَاقِ وَتَصْرِيفَهَا(٣) . وَاجْعَلُوا اللِّسَانَ وَاحِدًا . وَلْيَخْزُنِ الرَّجُلُ لِسَانَهُ(٤) . فَإِنَّ هٰذَا اللِّسَانَ جَمُوحٌ بِصَاحِبِهِ . وَاللهِ مَا أَرَى عَبْدًا يَتَّقِي

---

(١) حجيج ـ من حج ـ إذا أقنع بحجته. والامام كرم الله وجهه بعلو منزلته من الله يشهد للمحسنين ويقوم بالحجة عن المخاصين (٢) تورد: هو تفعل كتنزل، أي ورد شيئا بعد شيء. والمراد من القضاء الماضي ماقدر حدوثه من حادثة الخليفة الثالث وماتبعها من الحوادث . وعدة الله بكسر ففتح مخفف هي وعده، أي لاتخرجوا منها (٣) تهزيع الشيء : تكسيره، والصادق إذا كذب فقد انكسر صدقه والكريم إذا لؤم فقد انثلم كرمه ، فهو نهى عن حطم الكمال بمعول النقص. وتصريف الأخلاق من صرفته إذا قلبته، نهى عن النفاق والتلون فى الأخلاق وهو معنى الأمر بجعل اللسان واحداً (٤) ليخزن ـ كينصر ـ أى ليحفظ لسانه . والجموح : من جمح الفرس إذا غلب فارسه فيوشك أن يطرح به فى مهلكة فيرديه

والأحوال كالصوم والصلاة والزكاة

تَقْوَى تَنْفَعُهُ حَتَّى يَخْتَزِنَ لِسَانَهُ . وَإِنَّ لِسَانَ الْمُؤْمِنِ مِنْ وَرَاءِ قَلْبِهِ[١] .
وَإِنَّ قَلْبَ الْمُنَافِقِ مِنْ وَرَاءِ لِسَانِهِ . لِأَنَّ الْمُؤْمِنَ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَتَكَلَّمَ
بِكَلَامٍ تَدَبَّرَهُ فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ كَانَ خَيْرًا أَبْدَاهُ ، وَإِنْ كَانَ شَرًّا وَارَاهُ .
وَإِنَّ الْمُنَافِقَ يَتَكَلَّمُ بِمَا أَتَى عَلَى لِسَانِهِ لَا يَدْرِي مَاذَا لَهُ وَمَاذَا عَلَيْهِ .
وَقَدْ قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : «لَا يَسْتَقِيمُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى
يَسْتَقِيمَ قَلْبُهُ . وَلَا يَسْتَقِيمُ قَلْبُهُ حَتَّى يَسْتَقِيمَ لِسَانُهُ » فَمَنِ اسْتَطَاعَ
مِنْكُمْ أَنْ يَلْقَى اللهَ تَعَالَى وَهُوَ نَقِيُّ الرَّاحَةِ مِنْ دِمَاءِ الْمُسْلِمِينَ وَأَمْوَالِهِمْ ،
سَلِيمُ اللِّسَانِ مِنْ أَعْرَاضِهِمْ فَلْيَفْعَلْ . وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللهِ أَنَّ الْمُؤْمِنَ يَسْتَحِلُّ
الْعَامَ مَا اسْتَحَلَّ عَامًا أَوَّلَ ، وَيُحَرِّمُ الْعَامَ مَا حَرَّمَ عَامًا أَوَّلَ . وَإِنَّمَا أَحْدَثَ
النَّاسُ لَا يُحِلُّ لَكُمْ شَيْئًا مِمَّا حُرِّمَ عَلَيْكُمْ[٢] ، وَلَكِنَّ الْحَلَالَ مَا أَحَلَّ
اللهُ وَالْحَرَامَ مَا حَرَّمَ اللهُ . فَقَدْ جَرَّبْتُمُ الْأُمُورَ وَضَرَّسْتُمُوهَا[٣] ،
وَوُعِظْتُمْ بِمَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ وَضُرِبَتِ الْأَمْثَالُ لَكُمْ وَدُعِيتُمْ إِلَى
الْأَمْرِ الْوَاضِحِ . فَلَا يَصَمُّ عَنْ ذَٰلِكَ إِلَّا أَصَمُّ ، وَلَا يَعْمَى عَنْ ذَٰلِكَ إِلَّا أَعْمَى
وَمَنْ لَمْ يَنْفَعْهُ اللهُ بِالْبَلَاءِ وَالتَّجَارِبِ لَمْ يَنْتَفِعْ بِشَيْءٍ مِنَ الْعِظَةِ .

---

(١) لسان المؤمن تابع لاعتقاده لا يقول إلا مايعتقد ، والمنافق يقول ماينال بهغايته الخبيثة، فاذاقال شيئا أخطره على قلبه حتى لاينساه فيناقضه مرة أخرى فيكون قلبه تابعا للسانه (٢) البدع التى أحدثها الناس لاتغير شيئا من حكم الله (٣) ضرسته الحرب :

وَأَتَاهُ ٱلتَّقْصِيرُ مِنْ أَمَامِهِ[١] حَتَّى يَعْرِفَ مَا أَنْكَرَ، وَيُنْكِرَ مَا عَرَفَ.
وَإِنَّمَا ٱلنَّاسُ رَجُلَانِ: مُتَّبِعٌ شِرْعَةً، وَمُبْتَدِعٌ بِدْعَةً لَيْسَ مَعَهُ مِنَ ٱللهِ سُبْحَانَهُ بُرْهَانُ سُنَّةٍ وَلَا ضِيَاءُ حُجَّةٍ. وَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَعِظْ أَحَدًا بِمِثْلِ هٰذَا ٱلْقُرْآنِ، فَإِنَّهُ حَبْلُ ٱللهِ ٱلْمَتِينُ وَسَبَبُهُ ٱلْأَمِينُ، وَفِيهِ رَبِيعُ ٱلْقَلْبِ وَيَنَابِيعُ ٱلْعِلْمِ، وَمَا لِلْقَلْبِ جِلَاءٌ غَيْرُهُ، مَعَ أَنَّهُ قَدْ ذَهَبَ ٱلْمُتَذَكِّرُونَ وَبَقِيَ ٱلنَّاسُونَ وَٱلْمُتَنَاسُونَ. فَإِذَا رَأَيْتُمْ خَيْرًا فَأَعِينُوا عَلَيْهِ، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَرًّا فَاذْهَبُوا عَنْهُ فَإِنَّ رَسُولَ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ يَقُولُ:
« يَا ٱبْنَ آدَمَ ٱعْمَلِ ٱلْخَيْرَ وَدَعِ ٱلشَّرَّ فَإِذَا أَنْتَ جَوَادٌ قَاصِدٌ[٢] »

أَلَا وَإِنَّ ٱلظُّلْمَ ثَلَاثَةٌ: فَظُلْمٌ لَا يُغْفَرُ، وَظُلْمٌ لَا يُتْرَكُ، وَظُلْمٌ مَغْفُورٌ لَا يُطْلَبُ. فَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يُغْفَرُ فَالشِّرْكُ بِاللهِ، قَالَ ٱللهُ تَعَالَى: « إِنَّ ٱللهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ » وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي يُغْفَرُ فَظُلْمُ ٱلْعَبْدِ نَفْسَهُ عِنْدَ بَعْضِ ٱلْهَنَاتِ[٣]. وَأَمَّا ٱلظُّلْمُ ٱلَّذِي لَا يُتْرَكُ فَظُلْمُ ٱلْعِبَادِ بَعْضِهِمْ بَعْضًا. ٱلْقِصَاصُ هُنَاكَ شَدِيدٌ، لَيْسَ هُوَ جَرْحًا بِالْمُدَى[٤] وَلَا

جربته أى جربتموها (١) الاتيان من الأمام كناية عن الظهور، كأن التقصير عدو قوى يأتى مجاهرة لايخدع ولايفر فيأخذه أخذ العزيز المقتدر، عندذلك يعرف من الحق ما كان أنكر وينكر من الباطل ما كان عرف (٢) مستقيم أو قريب من الله والسعادة (٣) بفتح الهاء جمع هنة محركة: الشيء اليسير والعمل الحقير. والمراد به صغائر الذنوب (٤) جمع

ضَرْباً بِالسِّيَاطِ، وَلَكِنَّهُ مَا يُسْتَصْغَرُ ذٰلِكَ مَعَهُ[1]. فَإِيَّاكُمْ وَالتَّلَوُّنَ فِي دِينِ اللّٰهِ، فَإِنَّ جَمَاعَةً فِيمَا تَكْرَهُونَ مِنَ الْحَقِّ خَيْرٌ مِنْ فُرْقَةٍ فِيمَا تُحِبُّونَ مِنَ الْبَاطِلِ[2]. وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يُعْطِ أَحَدًا بِفُرْقَةٍ خَيْرًا مِمَّنْ مَضَى وَلَا مِمَّنْ بَقِيَ

يَا أَيُّهَا النَّاسُ طُوبَى لِمَنْ شَغَلَهُ عَيْبُهُ عَنْ عُيُوبِ النَّاسِ، وَطُوبَى لِمَنْ لَزِمَ بَيْتَهُ، وَأَكَلَ قُوتَهُ، وَاشْتَغَلَ بِطَاعَةِ رَبِّهِ، وَبَكَى عَلَى خَطِيئَتِهِ[3]، فَكَانَ مِنْ نَفْسِهِ فِي شُغُلٍ، وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي مَعْنَى الْحَكَمَيْنِ

فَأَجْمَعَ رَأْيُ مَلَئِكُمْ عَلَى أَنِ اخْتَارُوا رَجُلَيْنِ فَأَخَذْنَا عَلَيْهِمَا أَنْ

مدية: وهي السكين. والسياط جمع سوط (١) ولكنه العذاب الذي يعد الجرح والضرب صغيراً بالنسبة اليه (٢) من يحافظ على نظام الألفة والاجتماع وان ثقل عليه أداء بعض حقوق الجماعة وشق عليه ما تكلفه به من الحق فذلك الجدير بالسعادة دون من يسعى للشقاق وهدم نظام الجماعة و إن نال بذلك حقا باطلا وشهوة وقتية، فقد يكون فى حظه الوقتى شقاؤه الأبدى. ومتى كانت الفرقة عم الشقاق وأحاطت العداوات وأصبح كل واحد عرضة لشرور سواه، فمحيت الراحة وفسدت حال المعيشة (٣) قوله لمن لزم بيته: ترغيب فى العزلة عن اثارة الفتن واجتناب الفساد، وليس ترغيبا فى الكسالة وترك العامة وشأنهم، فقد حث أمير المؤمنين فى غير هذا الموضع على مقاومة المفاسد والأمر بالمعروف

يُجَعْجِعَا عِنْدَ ٱلْقُرْآنِ[١] ، وَلَا يُجَاوِزَاهُ، وَتَكُونَ أَلْسِنَتُهُمَا مَعَهُ وَقُلُوبُهُمَا تَبَعَهُ . فَتَاهَا عَنْهُ وَتَرَكَا ٱلْحَقَّ وَهُمَا يُبْصِرَانِهِ . وَكَانَ ٱلْجَوْرُ هَوَاهُمَا ، وَٱلِاعْوِجَاجُ دَأْبَهُمَا . وَقَدْ سَبَقَ ٱسْتِثْنَاؤُنَا عَلَيْهِمَا فِي ٱلْحُكْمِ بِالْعَدْلِ وَٱلْعَمَلِ بِالْحَقِّ سُوءَ رَأْيِهِمَا[٢] وَجَوْرَ حُكْمِهِمَا ، وَٱلثِّقَةُ فِي أَيْدِينَا لِأَنْفُسِنَا[٣] حِينَ خَالَفَا سَبِيلَ ٱلْحَقِّ ، وَأَتَيَا بِمَا لَا يُعْرَفُ مِنْ مَعْكُوسِ ٱلْحُكْمِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

لَا يَشْغَلُهُ شَأْنٌ . وَلَا يُغَيِّرُهُ زَمَانٌ ، وَلَا يَحْوِيهِ مَكَانٌ . وَلَا يَصِفُهُ لِسَانٌ . وَلَا يَعْزُبُ عَنْهُ عَدَدُ قَطْرِ ٱلْمَاءِ[٤] ، وَلَا نُجُومِ ٱلسَّمَاءِ ، وَلَا سَوَافِي ٱلرِّيحِ فِي ٱلْهَوَاءِ ، وَلَا دَبِيبُ ٱلنَّمْلِ عَلَى ٱلصَّفَا ، وَلَا مَقِيلُ ٱلذَّرِّ

والنهى عن المنكر (١) يجعجعا : من جعجع البعير إذا برك ولزم الجعجاع أى الأرض . أى أن يقيما عند القرآن. والتبع ـ محركا ـ التابع للواحد والجمع. وتاها أى ضلا

(٢) سوء مفعول سبق، أى أن استثناءنا وقت التحكيم حيث قلنا لا تحكموا الا بالعدل كان سابقا على سوء الرأى وجور الحكم فهما المخالفان لما شرط عليهما لا نحن . ويصح أن يكون مفعول استثناؤنا، والمعنى أننا استثنينا عليهم فيما سبق أن لا يسيئا رأيا ولا يجورا حكما، فيقبل حكمهما الا أن يجورا و يسيئا (٣) عبر بالثقة عن الحجة القوية والسبب المتين فى رفض حكمهما (٤) لا يعزب : لا يخفى. وسوافى الريح جمع سافية من سفت الريح التراب والورق أى حملته . والصفا مقصوراً ـ جمع صفاة ـ الحجر الأملس الضخم. ودبيب النمل أى حركته عليه فى غاية الخفاء لا يسمع لها حس . والذر : صغار

فِي اللَّيْلَةِ الظَّلْمَاءِ . يَعْلَمُ مَسَاقِطَ الْأَوْرَاقِ وَخَفِيَّ طَرْفِ الْأَحْدَاقِ(١) . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ غَيْرَ مَعْدُولٍ بِهِ(٢) ، وَلَا مَشْكُوكٍ فِيهِ ، وَلَا مَكْفُورٍ دِينُهُ وَلَا مَجْحُودٍ تَكْوِينُهُ(٣) . شَهَادَةَ مَنْ صَدَقَتْ نِيَّتُهُ وَصَفَتْ دِخْلَتُهُ(٤) ، وَخَلَصَ يَقِينُهُ ، وَثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ الْمُجْتَبَى مِنْ خَلَائِقِهِ ، وَالْمُعْتَامُ لِشَرْحِ حَقَائِقِهِ(٥) وَالْمُخْتَصُّ بِعَقَائِلِ كَرَامَاتِهِ . وَالْمُصْطَفَى لِكَرَائِمِ رِسَالَاتِهِ . وَالْمُوَضَّحَةُ بِهِ أَشْرَاطُ الْهُدَى(٦) . وَالْمَجْلُوُّ بِهِ غِرْبِيبُ الْعَمَى

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ الدُّنْيَا تَغُرُّ الْمُؤَمِّلَ لَهَا وَالْمُخْلِدَ إِلَيْهَا(٧) ، وَلَا تَنْفَسُ بِمَنْ نَافَسَ فِيهَا ، وَتَغْلِبُ مَنْ غَلَبَ عَلَيْهَا . وَايْمُ اللّٰهِ مَا كَانَ قَوْمٌ قَطُّ فِي غَضِّ نِعْمَةٍ مِنْ عَيْشٍ فَزَالَ عَنْهُمْ إِلَّا بِذُنُوبٍ اجْتَرَحُوهَا(٨) ، لِأَنَّ اللّٰهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ . وَلَوْ أَنَّ النَّاسَ حِينَ تَنْزِلُ بِهِمُ النِّقَمُ وَتَزُولُ عَنْهُمُ النِّعَمُ

النمل . ومقيلها محل استراحتها ومبيتها (١) طرف الحدقة: تحريك جفنيها. والحدقة هنا العين (٢) عدل بالله : جعل له مثلا وعديلا (٣) خلقه للخلق جميعا (٤) دخلته بالكسر : باطنه (٥) المجتبى : المصطفى . والعيمة ـ بكسر العين ـ المختار من المال . واعتام : أخذها فالمعتام المختار لبيان حقائق توحيده وتنزيهه . والعقائل الكرائم والكرامات ما أكرم الله به نبيه من معجزات ومنازل فى النفوس عاليات (٦) أشراط الهدى علاماته ودلائله. وغربيب الشيء ـ كعفريت ـ أشده سواداً فغربيب العمى أشد الضلال ظلمة (٧) المخلد: الراكن المائل ونفس ـ كفرح ـ ضن، أى لا تضن الدنيا بمن يبارى غيره فى اقتنائها وعدها من نفائسه ولا تحرص عليه بل تهلكه (٨) الغض الناضر. واجترح الذنب

فَزِعُوا إِلَى رَبِّهِمْ بِصِدْقٍ مِنْ نِيَّاتِهِمْ وَوَلَهٍ مِنْ قُلُوبِهِمْ لَرَدَّ عَلَيْهِمْ كُلَّ شَارِدٍ ، وَأَصْلَحَ لَهُمْ كُلَّ فَاسِدٍ . وَإِنِّي لَأَخْشَى عَلَيْكُمْ أَنْ تَكُونُوا فِي فَتْرَةٍ(١) . وَقَدْ كَانَتْ أُمُورٌ مَضَتْ مِلْتُمْ فِيهَا مَيْلَةً كُنْتُمْ فِيهَا عِنْدِي غَيْرَ مَحْمُودِينَ ، وَلَئِنْ رُدَّ عَلَيْكُمْ أَمْرُكُمْ إِنَّكُمْ لَسُعَدَاءُ . وَمَا عَلَيَّ إِلَّا ٱلْجُهْدُ ، وَلَوْ أَشَاءُ أَنْ أَقُولَ لَقُلْتُ . عَفَا ٱللهُ عَمَّا سَلَفَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَقَدْ سَأَلَهُ ذِعْلَبٌ ٱلْيَمَانِيُّ ، فَقَالَ : هَلْ رَأَيْتَ رَبَّكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : أَفَأَعْبُدُ مَا لَا أَرَى ؟ فَقَالَ : وَكَيْفَ تَرَاهُ ؟ فَقَالَ :

لَا تَرَاهُ ٱلْعُيُونُ بِمُشَاهَدَةِ ٱلْعِيَانِ ، وَلَكِنْ تُدْرِكُهُ ٱلْقُلُوبُ بِحَقَائِقِ ٱلْإِيمَانِ . قَرِيبٌ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ غَيْرُ مُلَامِسٍ(٢) . بَعِيدٌ مِنْهَا غَيْرُ مُبَايِنٍ . مُتَكَلِّمٌ لَا بِرَوِيَّةٍ ، مُرِيدٌ لَا بِهِمَّةٍ . صَانِعٌ لَا بِجَارِحَةٍ . لَطِيفٌ

اكتسبه وارتكبه (١) كنى بالفترة عن جهالة الغرور ، أو أراد في فترة من عذاب ينتظر بكم عقابا على انحطاط هممكم وتباطئكم عن جهاد عدوكم (٢) الملامسة والمباينة على معنى البعد المكاني من خواص المواد. وذات الله مبرأة من المادة وخواصها. فنسبة الأشياء اليها سواء وهي في تعاليها، فهي مع كل شيء وهي أعلى من كل شيء، فالبعد بعد المكانة من التنزيه. والروية التفكر .والهمة الاهتمام بالأمر بحيث لو لم يفعل لجر نقصا وأوجب

لَا يُوصَفُ بِالْخَفَاءِ . كَبِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْجَفَاءِ[١] بَصِيرٌ لَا يُوصَفُ بِالْحَاسَّةِ . رَحِيمٌ لَا يُوصَفُ بِالرِّقَّةِ . تَعْنُو الْوُجُوهُ لِعَظَمَتِهِ[٢] ، وَتَجِبُ الْقُلُوبُ مِنْ مَخَافَتِهِ

(وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَمِّ أَصْحَابِهِ)

أَحْمَدُ اللّٰهَ عَلَى مَا قَضَى مِنْ أَمْرٍ وَقَدَّرَ مِنْ فِعْلٍ ، وَعَلَى ابْتِلَائِي بِكُمْ أَيَّتُهَا الْفِرْقَةُ الَّتِي إِذَا أَمَرْتُ لَمْ تُطِعْ ، وَإِذَا دَعَوْتُ لَمْ تُجِبْ . إِنْ أُمْهِلْتُمْ خُضْتُمْ[٣] ، وَإِنْ حُورِبْتُمْ خُرْتُمْ . وَإِنِ اجْتَمَعَ النَّاسُ عَلَى إِمَامٍ طَعَنْتُمْ ، وَإِنْ أُجِئْتُمْ إِلَى مُشَاقَّةٍ نَكَصْتُمْ . لَا أَبَا لِغَيْرِكُمْ[٤] . مَا تَنْتَظِرُونَ بِنَصْرِكُمْ وَالْجِهَادِ عَلَى حَقِّكُمْ ؟ . الْمَوْتَ أَوِ الذُّلَّ لَكُمْ . فَوَاللّٰهِ لَئِنْ جَاءَ يَوْمِي ـ وَلَيَأْتِيَنِّي ـ لَيُفَرِّقَنَّ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأَنَا لِصُحْبَتِكُمْ قَالٍ[٥] ، وَبِكُمْ غَيْرُ كَثِيرٍ . لِلّٰهِ أَنْتُمْ . أَمَا دِينٌ يَجْمَعُكُمْ ؟ وَلَا حَمِيَّةٌ

هما وحز نا. والجارحة العضو البدنى (١) الجفاء : الغلظ والخشونة (٢) تعنو : تذل. ووجب القلب يجب وجيبا ووجبانا : خفق واضطرب (٣) أى فى الكلام الباطل. وخرتم أى ضعفتم وجبنتم. والمشاقة المراد بها الحرب ونكصتم رجعتم القهقرى (٤) المعروف فى التقريع لا أبا لكم ، ولا أبالك. وهو دعاء بفقد الأب أو تعيير بجهله ، فتلطف الامام بتوجيه الدعاء أو الذم لغيرهم (٥) قال أى كاره. وغير كثير بكم ، أى انى أفارق الدنيا وأنا فى قلة من الأعوان

تَشْحَذُكُمْ(١) ؟ أَوَلَيْسَ عَجَباً أَنَّ مُعَاوِيَةَ يَدْعُو ٱلْجُفَاةَ الطَّغَامَ فَيَتَّبِعُونَهُ(٢) عَلَى غَيْرِ مَعُونَةٍ وَلَا عَطَاءٍ . وَأَنَا أَدْعُوكُمْ - وَأَنْتُمْ تَرِيكَةُ ٱلْإِسْلَامِ(٣) وَبَقِيَّةُ ٱلنَّاسِ - إِلَى ٱلْمَعُونَةِ وَطَائِفَةٍ مِنَ ٱلْعَطَاءِ فَتَفَرَّقُونَ عَنِّي وَتَخْتَلِفُونَ عَلَيَّ . إِنَّهُ لَا يَخْرُجُ إِلَيْكُمْ مِنْ أَمْرِي رِضًى فَتَرْضَوْنَهُ(٤) ، وَلَا سُخْطٌ فَتَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ وَإِنَّ أَحَبَّ مَا أَنَا لَاقٍ إِلَيَّ ٱلْمَوْتُ . قَدْ دَارَسْتُكُمُ ٱلْكِتَابَ(٥) ، وَفَاتَحْتُكُمُ ٱلْحِجَاجَ ، وَعَرَّفْتُكُمْ مَا أَنْكَرْتُمْ ، وَسَوَّغْتُكُمْ مَا مَجَجْتُمْ . لَوْ كَانَ ٱلْأَعْمَى يَلْحَظُ(٦) ، أَوِ ٱلنَّائِمُ يَسْتَيْقِظُ . وَأَقْرِبْ بِقَوْمٍ مِنَ ٱلْجَهْلِ بِاللهِ قَائِدُهُمْ مُعَاوِيَةُ ، وَمُؤَدِّبُهُمُ ٱبْنُ ٱلنَّابِغَةِ(٧)

وان كنتم حولى كثيرين ويدل عليه قوله فيما بعد لله أنتم (١) من شحذ السكين كمنع أى حددها (٢) الجفاة - جمع جاف - أى غليظ . والطغام بالفتح أرذال الناس. والمعونة : مايعطى للجند لاصلاح السلاح وعلف الدواب زائداً على العطاء المفروض والأرزاق المعينة لكل منهم (٣) التريكة - كسفينة - بيضة النعامة بعد أن يخرج منها الفرخ تتركها فى مجثمها والمراد أنتم خلف الاسلام وعوض السلف (٤) يريد أنه لايوافقكم منى شىء لامايرضى ولامايسخط (٥) أى قرأت عليكم القرآن تعليماً وتفهيماً . وفاتحتكم ، مجرده فتح بمعنى قضى ، فهو بمعنى قاضيتكم أى حاكمتكم . والحجاج : المحاجة أى قاضيتكم عند الحجة حتى قضت عليكم بالعجز عن الخصام وعرفتكم الحق الذى كنتم تجهلونه وسوغت لأذواقكم من مشرب الصدق ما كنتم تمجونه وتطرحونه (٦) لو للتمنى كأنه يقول ليت الأعمى الخ (٧) أقرب بهم : ما أقربهم من الجهل : وابن النابغة عمرو بن العاص

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَقَدْ أَرْسَلَ رَجُلًا مِنْ أَصْحَابِهِ يَعْلَمُ لَهُ عِلْمَ أَحْوَالِ قَوْمٍ مِنْ جُنْدِ الْكُوفَةِ قَدْ هَمُّوا بِاللَّحَاقِ بِالْخَوَارِجِ وَكَانُوا عَلَى خَوْفٍ مِنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَلَمَّا عَادَ إِلَيْهِ الرَّجُلُ قَالَ لَهُ: «أَأَمِنُوا فَقَطَنُوا أَمْ جَبُنُوا فَظَعَنُوا؟»(١). فَقَالَ الرَّجُلُ: بَلْ ظَعَنُوا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

بُعْدًا لَهُمْ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ. أَمَا لَوْ أُشْرِعَتِ الْأَسِنَّةُ إِلَيْهِمْ(٢)، وَصُبَّتِ السُّيُوفُ عَلَى هَامَاتِهِمْ. لَقَدْ نَدِمُوا عَلَى مَا كَانَ مِنْهُمْ. إِنَّ الشَّيْطَانَ الْيَوْمَ قَدِ اسْتَفَلَّهُمْ(٣)، وَهُوَ غَدًا مُتَبَرِّئٌ مِنْهُمْ وَمُتَخَلٍّ عَنْهُمْ. فَحَسْبُهُمْ بِخُرُوجِهِمْ مِنَ الْهُدَى(٤)، وَارْتِكَاسِهِمْ فِي الضَّلَالِ وَالْعَمَى، وَصَدِّهِمْ عَنِ الْحَقِّ، وَجِمَاحِهِمْ فِي التِّيهِ(٥)

---

(١) أمنوا: اطمأنوا. وقطنوا أقاموا، وظعنوا رحلوا (٢) أشرعت: سددت وصوبت نحوهم. والهامات الرءوس (٣) استفلهم: دعاهم للتفلل وهو الانهزام عن الجماعة (٤) حسبهم: كافيهم من الشر خروجهم الخ. والباء زائدة وان جعل حسب اسم فعل بمعنى اكتف كانت الباء في موضعها أي فليكتفوا من الشر والخطيئة بذلك فهو كفيل لهم بكل شقاء. والارتكاس: الانقلاب والانتكاس (٥) صدهم: اعراضهم. والجماح: الجموح وهو أن يغلب الفرس راكبه. والمراد تعاصيهم في التيه أي الضلال

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

رُوِيَ عَنْ نَوْفٍ ٱلْبِكَالِيِّ[١] قَالَ خَطَبَنَا هٰذِهِ ٱلْخُطْبَةَ بِٱلْكُوفَةِ أَمِيرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى حِجَارَةٍ نَصَبَهَا لَهُ جَعْدَةُ بْنُ هُبَيْرَةَ ٱلْمَخْزُومِيُّ، وَعَلَيْهِ مِدْرَعَةٌ مِنْ صُوفٍ[٢] وَحَمَائِلُ سَيْفِهِ لِيفٌ، وَفِي رِجْلَيْهِ نَعْلَانِ مِنْ لِيفٍ، وَكَأَنَّ جَبِينَهُ ثَفِنَةُ بَعِيرٍ[٣]. فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي إِلَيْهِ مَصَائِرُ ٱلْخَلْقِ، وَعَوَاقِبُ ٱلْأَمْرِ. نَحْمَدُهُ عَلَى عَظِيمِ إِحْسَانِهِ وَنَيِّرِ بُرْهَانِهِ، وَنَوَامِي فَضْلِهِ وَٱمْتِنَانِهِ[٤]، حَمْدًا يَكُونُ لِحَقِّهِ قَضَاءً وَلِشُكْرِهِ أَدَاءً، وَإِلَى ثَوَابِهِ مُقَرِّبًا وَلِحُسْنِ مَزِيدِهِ مُوجِبًا. وَنَسْتَعِينُ بِهِ ٱسْتِعَانَةَ رَاجٍ لِفَضْلِهِ، مُؤَمِّلٍ لِنَفْعِهِ، وَاثِقٍ بِدَفْعِهِ، مُعْتَرِفٍ

---

(١) هو نوف بن فضالة التابعي البكالى نسبة إلى بنى بكال ــ ككتاب ــ بطن من حمير ضبطه بعضهم بتشديد الكاف كشداد. وجعدة بن هبيرة هو ابن أخت أمير المؤمنين وأمه أم هانىء بنت أبي طالب كان فارساً مقداماً فقيهاً (٢) المدرعة: ثوب يعرف عند بعض العامة بالدراعية قميص ضيق الأكمام، قال فى القاموس ولا يكون إلا من صوف (٣) الثفنة ــ بكسر بعد فتح ــ ما يمس الأرض من البعير عند البروك ويكون فيه غلظ من ملاطمة الأرض، وكذلك كان فى جبين أمير المؤمنين من كثرة السجود (٤) النوامى جمع نام بمعنى زائد

لَهُ بِالطَّوْلِ[١] ، مُذْعِنٍ لَهُ بِالعَمَلِ وَالْقَوْلِ . وَنُؤْمِنُ بِهِ إِيمَانَ مَنْ رَجَاهُ مُوقِنًا ، وَأَنَابَ إِلَيْهِ مُؤْمِنًا ، وَخَنَعَ لَهُ مُذْعِنًا[٢] ، وَأَخْلَصَ لَهُ مُوَحِّدًا ، وَعَظَّمَهُ مُمَجِّدًا ، وَلَاذَ بِهِ رَاغِبًا مُجْتَهِدًا . لَمْ يُولَدْ سُبْحَانَهُ فَيَكُونَ فِي الْعِزِّ مُشَارَكًا[٣] . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْرُوثًا هَالِكًا . وَلَمْ يَتَقَدَّمْهُ وَقْتٌ وَلَا زَمَانٌ . وَلَمْ يَتَعَاوَرْهُ زِيَادَةٌ وَلَا نُقْصَانٌ[٤] بَلْ ظَهَرَ لِلْعُقُولِ بِمَا أَرَانَا مِنْ عَلَامَاتِ التَّدْبِيرِ الْمُتْقَنِ وَالْقَضَاءِ الْمُبْرَمِ . فَمِنْ شَوَاهِدِ خَلْقِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ مُوَطَّدَاتٍ بِلَا عَمَدٍ[٥] ، قَائِمَاتٍ بِلَا سَنَدٍ . دَعَاهُنَّ فَأَجَبْنَ طَائِعَاتٍ مُذْعِنَاتٍ ، غَيْرَ مُتَلَكِّئَاتٍ وَلَا مُبْطِئَاتٍ[٦] . وَلَوْلَا إِقْرَارُهُنَّ لَهُ بِالرُّبُوبِيَّةِ وَإِذْعَانُهُنَّ بِالطَّوَاعِيَةِ لَمَا جَعَلَهُنَّ مَوْضِعًا لِعَرْشِهِ ، وَلَا مَسْكَنًا لِمَلَائِكَتِهِ ، وَلَا مَصْعَدًا لِلْكَلِمِ الطَّيِّبِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ مِنْ خَلْقِهِ . جَعَلَ نُجُومَهَا أَعْلَامًا يَسْتَدِلُّ بِهَا الْحَيْرَانُ فِي مُخْتَلِفِ فِجَاجِ الْأَقْطَارِ . لَمْ يَمْنَعْ ضَوْءَ نُورِهَا ادْلِهْمَامُ سُجُفِ اللَّيْلِ الْمُظْلِمِ[٧] . وَلَا اسْتَطَاعَتْ

---

(١) الطول ــ بالفتح ــ الفضل (٢) خنع : ذل وخضع (٣) لأن أباه يكون شريكه فى العز بل أعز منه لأنه علة وجوده. وسر الولادة حفظ النوع فلو صح لله أن يلد لكان فانيا يبقى نوعه فى أشخاص أولاده فيكون موروثا هالكا تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً (٤) يتعاوره : يتداوله ويتبادل عليه (٥) موطدات : مثبتات فى مداراتها على ثقل أجرامها (٦) التلكؤ : التوقف والتباطؤ (٧) ادلهمام الظلمة : كثافتها وشدتها . والسجف ــ بالكسر والفتح ــ وككتاب الستر. والجلابيب ــ جمع جلباب ــ ثوب واسع تلبسه المرأة فوق ثيابها كأنه ملحفة . ووجه الاستعارة فيها ظاهر.

جَلَابِيبُ سَوَادِ الْحَنَادِسِ أَنْ تَرُدَّ مَا شَاعَ فِي السَّمَوَاتِ مِنْ تَلَأْلُؤِ نُورِ الْقَمَرِ . فَسُبْحَانَ مَنْ لَا يَخْفَى عَلَيْهِ سَوَادُ غَسَقٍ دَاجٍ وَلَا لَيْلٍ سَاجٍ [1] فِي بِقَاعِ الْأَرَضِينَ الْمُتَطَأْطِئَاتِ ، وَلَا فِي يَفَاعِ السُّفْعِ الْمُتَجَاوِرَاتِ . وَمَا يَتَجَلْجَلُ بِهِ الرَّعْدُ فِي أُفُقِ السَّمَاءِ ، وَمَا تَلَاشَتْ عَنْهُ بُرُوقُ الْغَمَامِ ، وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ تُزِيلُهَا عَنْ مَسْقَطِهَا عَوَاصِفُ الْأَنْوَاءِ وَانْهِطَالُ السَّمَاءِ [2] وَيَعْلَمُ مَسْقَطَ الْقَطْرَةِ وَمَقَرَّهَا ، وَمَسْحَبَ الذَّرَّةِ وَمَجَرَّهَا ، وَمَا يَكْفِي الْبَعُوضَةَ مِنْ قُوتِهَا ، وَمَا تَحْمِلُ الْأُنْثَى فِي بَطْنِهَا . الْحَمْدُ لِلَّهِ الْكَائِنِ قَبْلَ أَنْ يَكُونَ كُرْسِيٌّ أَوْ عَرْشٌ ، أَوْ سَمَاءٌ أَوْ أَرْضٌ أَوْ جَانٌّ أَوْ إِنْسٌ لَا يُدْرَكُ بِوَهْمٍ . وَلَا يُقَدَّرُ بِفَهْمٍ . وَلَا يَشْغَلُهُ سَائِلٌ ، وَلَا يَنْقُصُهُ نَائِلٌ [3]

والحنادس: جمع حندس ـ بكسر الحاء ـ الليل المظلم (١) الساجى : الساكن . ووصف الليل بالسكون وصف له بصفة المشمولين به فان الحيوانات تسكن بالليل وتطلب أرزاقها بالنهار . والمتطأطئات : المنخفضات . واليفاع : التل أو المرتفع مطلقاً من الأرض . والسفع ـ جمع سفعاء ـ السوداء يضرب الى الحمرة ، والمراد منها الجبال عبر عنها بلونها فيما يظهر للنظر على بعد . وما يجلجل به الرعد: صوته . والجلجلة: صوت الرعد . وتلاشت: اضمحلت وأصله من لشئ بمعنى خس بعد رفعة. وما يضمحل عنه البرق هو الأشياء التى ترى عند لمعانه . والعواصف : الرياح الشديدة واضافتها للانواء من اضافة الشيء لصاحبه عادة . والأنواء ـ جمع نوء ـ أحد منازل القمر يعدها العرب ثمانية وعشرين يغيب منها عن الأفق فى كل ثلاث عشرة ليلة منزلة و يظهر عليه أخرى. والمغيب والظهور عند طلوع الفجر وكانوا ينسبون المطر لهذه الأنواء فيقولون مطرنا بنوء كذا لمصادفة هبوب الرياح وهطول الأمطار فى أوقات ظهور بعضها حتى جاء الاسلام وأبطل الاعتقاد بتأثير الكواكب فى الحوادث الأرضية تأثيراً روحانيا (٢) السماء هنا : المطر (٣) النائل:

وَلَا يُبْصِرُ بِعَيْنٍ . وَلَا يُحَدُّ بِأَيْنٍ . وَلَا يُوصَفُ بِالْأَزْوَاجِ ، وَلَا يُخْلَقُ بِعِلَاجٍ . وَلَا يُدْرَكُ بِالْحَوَاسِّ . وَلَا يُقَاسُ بِالنَّاسِ . الَّذِي كَلَّمَ مُوسَى تَكْلِيمًا ، وَأَرَاهُ مِنْ آيَاتِهِ عَظِيمًا . بِلَا جَوَارِحَ وَلَا أَدَوَاتٍ ، وَلَا نُطْقٍ وَلَا لَهَوَاتٍ (١) . بَلْ إِنْ كُنْتَ صَادِقًا أَيُّهَا الْمُتَكَلِّفُ لِوَصْفِ رَبِّكَ (٢) فَصِفْ جِبْرَائِيلَ وَمِيكَائِيلَ وَجُنُودَ الْمَلَائِكَةِ الْمُقَرَّبِينَ فِي حُجُرَاتِ الْقُدْسِ مُرْجَحِنِّينَ (٣) ، مُتَوَلِّهَةً عُقُولُهُمْ أَنْ يَحُدُّوا أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ . فَإِنَّمَا يُدْرَكُ بِالصِّفَاتِ ذَوُو الْهَيْئَاتِ وَالْأَدَوَاتِ ، وَمَنْ يَنْقَضِي إِذَا بَلَغَ أَمَدَ حَدِّهِ بِالْفَنَاءِ ، فَلَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ أَضَاءَ بِنُورِهِ كُلَّ ظَلَامٍ ، وَأَظْلَمَ بِظُلْمَتِهِ كُلَّ نُورٍ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي أَلْبَسَكُمُ الرِّيَاشَ (٤) وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمُ الْمَعَاشَ . وَلَوْ أَنَّ أَحَدًا يَجِدُ إِلَى الْبَقَاءِ سُلَّمًا ، أَوْ إِلَى دَفْعِ الْمَوْتِ

العطاء . والاين : المكان . والأزواج : القرناء والأمثال ، أى لايقال ذو قرناء ولا هو قرين لشيء . والعلاج لايكون إلا بين شيئين أحدهما يقاوم الآخر فيتغلب الآخر عليه، والله لايعالج شيئاً بل يقول له كن فيكون (١) اللهوات — جمع لهاة — اللحمة المشرفة على الحلق فى أقصى الفم (٢) المتكلف : هوشديدالتعرض لما لايعنيه، أى ان كنت أيها المتعرض لما لا يعنيك من وصف ربك صادقا فى دعوى القدرة على وصفه فصف أحد مخلوقاته فاذا عجزت فأنت عن وصف الخالق أشد عجزاً (٣) الحجرات: جمع حجرة — بضم الحاء — الغرفة . والمرجحن — كالمقشعر — المائل لثقله والمتحرك يميناً وشمالا كناية عن انحنائهم لعظمة الله واهتزازهم لهيبته . ومتولهة : أى حائرة أو متخوفة (٤) الرياش : اللباس الفاخر

سَبِيلًا ، لَكَانَ ذٰلِكَ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الَّذِى سُخِّرَ لَهُ مُلْكُ الْجِنِّ وَالإِنْسِ مَعَ النُّبُوَّةِ وَعَظِيمِ الزُّلْفَةِ . فَلَمَّا اسْتَوْفَى طُعْمَتَهُ[١] ، وَاسْتَكْمَلَ مُدَّتَهُ ، رَمَتْهُ قِسِيُّ الْفَنَاءِ بِنِبَالِ الْمَوْتِ . وَأَصْبَحَتِ الدِّيَارُ مِنْهُ خَالِيَةً ، وَالْمَسَاكِنُ مُعَطَّلَةً ، وَوَرِثَهَا قَوْمٌ آخَرُونَ ، وَإِنَّ لَكُمْ فِى الْقُرُونِ السَّالِفَةِ لَعِبْرَةً . أَيْنَ الْعَمَالِقَةُ وَأَبْنَاءُ الْعَمَالِقَةِ . أَيْنَ الْفَرَاعِنَةُ وَأَبْنَاءُ الْفَرَاعِنَةِ . أَيْنَ أَصْحَابُ مَدَائِنِ الرَّسِّ الَّذِينَ قَتَلُوا النَّبِيِّينَ وَأَطْفَأُوا سُنَنَ الْمُرْسَلِينَ . وَأَحْيَوْا سُنَنَ الْجَبَّارِينَ[٢] . وَأَيْنَ الَّذِينَ سَارُوا بِالْجُيُوشِ وَهَزَمُوا الأُلُوفَ . وَعَسْكَرُوا الْعَسَاكِرَ وَمَدَّنُوا الْمَدَائِنَ

(١) الطعمة ـ بالضم ـ المأكلة أى مايؤكل . والمراد رزقه المقسوم (٢) سئل أمير المؤمنين عن أصحاب مدائن الرس فيما رواه الرضى عن آبائه إلى جده الحسين فقال . انهم كانوا يسكنون فى مدائن لهم على نهر يسمى الرس من بلاد المشرق (هو نهر أرس فى بلاد أذربيجان) وكانوا يعبدون شجرة صنو برمغروسة على شفير عين تسمى دوشاب (يقال غرسها يافث بن نوح) وكان اسم الصنو برة شاه درخت وعدة مدائنهم اثنتا عشرة مدينة اسم الأولى أبان ، والثانية آذر ، والثالثة دى ، والرابعة بهمن ، والخامسة اسفندارمز ، والسادسة فروردين ، والسابعة اردى بهشت ، والثامنة خزداد ، والتاسعة مرداد ، والعاشرة تير ، والحادية عشرة مهر ، والثانية عشرة شهر يور ، فبعث الله لهم نبياً ينهاهم عن عبادة الشجرة ويأمرهم بعبادة الله فبغوا عليه وقتلوه أشنع قتل حيث أقاموا فى العين أنابيب من رصاص بعضها فوق بعض كالبرابخ ثم نزعوا منها الماء واحتفروا حفرة فى قعرها وألقوا نبيهم فيها حياً واجتمعوا يسمعون أنينه وشكواه حتى مات فعاقبهم الله بارسال ريح عاصفة ملتهبة سلقت أبدانهم وقذفت عليهم الأرض مواد كبريتية متقدة فذابت

(مِنْهَا) قَدْ لَبِسَ لِلْحِكْمَةِ جُنَّتَهَا(١). وَأَخَذَهَا بِجَمِيعِ أَدَبِهَا مِنَ الْإِقْبَالِ عَلَيْهَا وَالْمَعْرِفَةِ بِهَا وَالتَّفَرُّغِ لَهَا. وَهِيَ عِنْدَ نَفْسِهِ ضَالَّتُهُ الَّتِي يَطْلُبُهَا، وَحَاجَتُهُ الَّتِي يَسْأَلُ عَنْهَا. فَهُوَ مُغْتَرِبٌ إِذَا اغْتَرَبَ الْإِسْلَامُ(٢)، وَضَرَبَ بِعَسِيبِ ذَنَبِهِ، وَأَلْصَقَ الْأَرْضَ بِجِرَانِهِ. بَقِيَّةٌ مِنْ بَقَايَا حُجَّتِهِ(٣)، خَلِيفَةٌ مِنْ خَلَائِفِ أَنْبِيَائِهِ (ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ):

أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي قَدْ بَثَثْتُ لَكُمُ الْمَوَاعِظَ الَّتِي وَعَظَ الْأَنْبِيَاءُ بِهَا أُمَمَهُمْ. وَأَدَّيْتُ إِلَيْكُمْ مَا أَدَّتِ الْأَوْصِيَاءُ إِلَى مَنْ بَعْدَهُمْ. وَأَدَّبْتُكُمْ بِسَوْطِي فَلَمْ تَسْتَقِيمُوا. وَحَدَوْتُكُمْ بِالزَّوَاجِرِ فَلَمْ تَسْتَوْسِقُوا(٤). لِلَّهِ أَنْتُمْ! أَتَتَوَقَّعُونَ إِمَامًا غَيْرِي يَطَأُ بِكُمُ الطَّرِيقَ، وَيُرْشِدُكُمُ السَّبِيلَ؟

أَلَا إِنَّهُ قَدْ أَدْبَرَ مِنَ الدُّنْيَا مَا كَانَ مُقْبِلًا، وَأَقْبَلَ مِنْهَا مَا كَانَ مُدْبِرًا، وَأَزْمَعَ التَّرْحَالَ عِبَادُ اللَّهِ الْأَخْيَارُ، وَبَاعُوا قَلِيلًا مِنَ الدُّنْيَا

أجسادهم وهلكوا وانقلبت مدائنهم (١) جنة الحكمة : مايحفظها على صاحبها من الزهد والورع. والكلام فى العارف مطلقا (٢) هو مع الاسلام فاذا صار الاسلام غريباً اغترب معه لايضل عنه . وعسيب الذنب : أصله . والضمير فى ضرب للاسلام . وهذا كناية عن التعب والاعياء، يريد ضعف . والجران ـ ككتاب ـ مقدم عنق البعير من المذبح إلى المنحر، والبعير أقل ما يكون نفعه عند بروكه. والصاق جرانه بالأرض كناية عن الضعف كسابقه (٣) بقية: تابع لمغترب: وضمير حجته وأنبيائه لله المعلوم من الكلام (٤) استوسقت الابل : اجتمعت وانضم بعضها إلى بعض

لَا يَبْقَى بِكَثِيرٍ مِنَ الْآخِرَةِ لَا يَفْنَى. مَا ضَرَّ إِخْوَانَنَا الَّذِينَ سُفِكَتْ دِمَاؤُهُمْ وَهُمْ بِصِفِّينَ أَنْ لَا يَكُونُوا الْيَوْمَ أَحْيَاءً؟ يُسِيغُونَ الْغُصَصَ وَيَشْرَبُونَ الرَّنِقَ[١]. قَدْ وَاللهِ لَقُوا اللهَ فَوَفَّاهُمْ أُجُورَهُمْ، وَأَحَلَّهُمْ دَارَ الْأَمْنِ بَعْدَ خَوْفِهِمْ. أَيْنَ إِخْوَانِي الَّذِينَ رَكِبُوا الطَّرِيقَ وَمَضَوْا عَلَى الْحَقِّ؟ أَيْنَ عَمَّارٌ[٢]؟ وَأَيْنَ ابْنُ التَّيِّهَانِ؟ وَأَيْنَ ذُو الشَّهَادَتَيْنِ؟ وَأَيْنَ نُظَرَاؤُهُمْ مِنْ إِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ تَعَاقَدُوا عَلَى الْمَنِيَّةِ، وَأُبْرِدَ بِرُءُوسِهِمْ إِلَى الْفَجَرَةِ. (قَالَ ثُمَّ ضَرَبَ بِيَدِهِ عَلَى لِحْيَتِهِ الشَّرِيفَةِ الْكَرِيمَةِ فَأَطَالَ الْبُكَاءَ، ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ):

أَوْهِ عَلَى إِخْوَانِي الَّذِينَ تَلَوُا الْقُرْآنَ فَأَحْكَمُوهُ[٣]، وَتَدَبَّرُوا الْفَرْضَ فَأَقَامُوهُ، أَحْيَوُا السُّنَّةَ وَأَمَاتُوا الْبِدْعَةَ. دُعُوا لِلْجِهَادِ فَأَجَابُوا، وَوَثِقُوا بِالْقَائِدِ فَاتَّبَعُوهُ (ثُمَّ نَادَى بِأَعْلَى صَوْتِهِ): الْجِهَادَ الْجِهَادَ عِبَادَ اللهِ. أَلَا وَإِنِّي مُعَسْكِرٌ فِي يَوْمِي هٰذَا فَمَنْ أَرَادَ الرَّوَاحَ إِلَى اللهِ فَلْيَخْرُجْ

---

(١) الرنق ــ بكسر النون وفتحها وسكونها ــ الكدر (٢) عمار بن ياسر من السابقين الأولين. وأبو الهيثم مالك بن التيهان بتشديد الياء وكسرها من أكابر الصحابة. وذو الشهادتين خزيمة بن ثابت قبل النبي شهادته بشهادة رجلين فى قصة مشهورة كلهم قتلوا فى صفين. وأبرد برءوسهم أى أرسلت مع البريد بعد قتلهم إلى البغاة للتشفى منهم رضى الله عنهم
(٣) أوه بفتح الهمزة وسكون الواو وكسر الهاء ــ كلمة توجع

قَال نَوْفٌ : وَعَقَدَ لِلْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلاَمُ فِي عَشْرَةِ آلاَفٍ ، وَلِقَيْسِ ابْنِ سَعْدٍ رَحِمَهُ اللهُ فِي عَشْرَةِ آلاَفٍ ، وَلِأَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ فِي عَشْرَةِ آلاَفٍ ، وَلِغَيْرِهِمْ عَلَى أَعْدَادٍ أُخَرَ وَهُوَ يُرِيدُ الرَّجْعَةَ إِلَى صِفِّينَ ، فَمَا دَارَتِ الْجُمُعَةُ حَتَّى ضَرَبَهُ الْمَلْعُونُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ ، فَتَرَاجَعَتِ الْعَسَاكِرُ فَكُنَّا كَأَغْنَامٍ فَقَدَتْ رَاعِيهَا تَخْتَطِفُهَا الذِّئَابُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ رُؤْيَةٍ ، وَالْخَالِقِ مِنْ غَيْرِ مَنْصَبَةٍ[1] . خَلَقَ الْخَلاَئِقَ بِقُدْرَتِهِ ، وَاسْتَعْبَدَ الْأَرْبَابَ بِعِزَّتِهِ ، وَسَادَ الْعُظَمَاءَ بِجُودِهِ . وَهُوَ الَّذِي أَسْكَنَ الدُّنْيَا خَلْقَهُ ، وَبَعَثَ إِلَى الْجِنِّ وَالْإِنْسِ رُسُلَهُ لِيَكْشِفُوا لَهُمْ عَنْ غِطَائِهَا ، وَلِيُحَذِّرُوهُمْ مِنْ ضَرَّائِهَا ، وَلِيَضْرِبُوا لَهُمْ أَمْثَالَهَا ، وَلِيُبَصِّرُوهُمْ عُيُوبَهَا ، وَلِيَهْجُمُوا عَلَيْهِمْ بِمُعْتَبَرٍ مِنْ تَصَرُّفِ مَصَاحِّهَا وَأَسْقَامِهَا[2] ، وَحَلاَلِهَا وَحَرَامِهَا . وَمَا أَعَدَّ اللهُ لِلْمُطِيعِينَ مِنْهُمْ

(١) المنصبة - كمصطبة - التعب (٢) هجم عليه - كنصر - دخل غفلة . والمعتبر مصدر ميمى الاعتبار والاتعاظ بمعنى . والتصرف : التبدل . والمصاح - جمع مصحة بكسر الصاد وفتحها - بمعنى الصحة والعافية ، كأن الناس فى غفلة عن سر تعاقب الصحة والمرض على بدن الانسان حتى نبهتهم رسل الله إلى أن هذا ابتلاء منه سبحانه ليعرف الانسان عجزه وأن أمره بيد خالقه

وَالْعُصَاةِ مِن جَنَّةٍ وَنَارٍ وَكَرَامَةٍ وَهَوَانٍ . أَحْمَدُهُ إِلَى نَفْسِهِ كَمَا اسْتَحْمَدَ إِلَى خَلْقِهِ (١) جَعَلَ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ، وَلِكُلِّ قَدْرٍ أَجَلًا ، وَلِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابًا .

(مِنْهَا) فَالْقُرْآنُ آمِرٌ زَاجِرٌ ، وَصَامِتٌ نَاطِقٌ . حُجَّةُ اللهِ عَلَى خَلْقِهِ . أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقَهُ . وَارْتَهَنَ عَلَيْهِ أَنْفُسَهُمْ (٢) . أَتَمَّ نُورَهُ ، وَأَكْمَلَ بِهِ دِينَهُ ، وَقَبَضَ نَبِيَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ فَرَغَ إِلَى الْخَلْقِ مِنْ أَحْكَامِ الْهُدَى بِهِ . فَعَظِّمُوا مِنْهُ سُبْحَانَهُ مَا عَظَّمَ مِنْ نَفْسِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يُخْفِ عَنْكُمْ شَيْئًا مِنْ دِينِهِ . وَلَمْ يَتْرُكْ شَيْئًا رَضِيَهُ أَوْ كَرِهَهُ إِلَّا وَجَعَلَ لَهُ عَلَمًا بَادِيًا وَآيَةً مُحْكَمَةً تَزْجُرُ عَنْهُ أَوْ تَدْعُو إِلَيْهِ . فَرِضَاهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ ، وَسَخَطُهُ فِيمَا بَقِيَ وَاحِدٌ . وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَنْ يَرْضَى عَنْكُمْ بِشَيْءٍ سَخِطَهُ عَلَى مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَلَنْ يَسْخَطَ عَلَيْكُمْ بِشَيْءٍ رَضِيَهُ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، وَإِنَّمَا تَسِيرُونَ فِي أَثَرٍ بَيِّنٍ ، وَتَتَكَلَّمُونَ بِرَجْعِ قَوْلٍ قَدْ قَالَهُ الرِّجَالُ مِنْ قَبْلِكُمْ . قَدْ كَفَاكُمْ مَؤُونَةَ دُنْيَاكُمْ ، وَحَثَّكُمْ عَلَى الشُّكْرِ ، وَافْتَرَضَ مِنْ أَلْسِنَتِكُمُ الذِّكْرَ . وَأَوْصَاكُمْ بِالتَّقْوَى

---

(١) أى كما طلب من خلقه أن يحمدوه (٢) حبس نفوسهم فى ضنك المؤاخذة حتى يؤدوا حق القرآن من العمل به فان لم يفعلوا لم يخلصوا بل يهلكوا

وَجَعَلَهَا مُنْتَهَى رِضَاهُ وَحَاجَتَهُ مِنْ خَلْقِهِ. فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِعَيْنِهِ[١] وَنَوَاصِيكُمْ بِيَدِهِ، وَتَقَلُّبُكُمْ فِي قَبْضَتِهِ. وَإِنْ أَسْرَرْتُمْ عَلِمَهُ، وَإِنْ أَعْلَنْتُمْ كَتَبَهُ. قَدْ وَكَّلَ بِذَٰلِكَ حَفَظَةً كِرَامًا لَا يُسْقِطُونَ حَقًّا، وَلَا يُثْبِتُونَ بَاطِلًا. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ مَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا مِنَ الْفِتَنِ وَنُورًا مِنَ الظُّلَمِ، وَيُخَلِّدْهُ فِيمَا اشْتَهَتْ نَفْسُهُ، وَيُنْزِلْهُ مَنْزِلَ الْكَرَامَةِ عِنْدَهُ. فِي دَارٍ اصْطَنَعَهَا لِنَفْسِهِ. ظِلُّهَا عَرْشُهُ. وَنُورُهَا بَهْجَتُهُ. وَزُوَّارُهَا مَلَائِكَتُهُ. وَرُفَقَاؤُهَا رُسُلُهُ. فَبَادِرُوا الْمَعَادَ. وَسَابِقُوا الْآجَالَ. فَإِنَّ النَّاسَ يُوشِكُ أَنْ يَنْقَطِعَ بِهِمُ الْأَمَلُ، وَيَرْهَقَهُمُ الْأَجَلُ[٢]، وَيُسَدَّ عَنْهُمْ بَابُ التَّوْبَةِ. فَقَدْ أَصْبَحْتُمْ فِي مِثْلِ مَا سَأَلَ إِلَيْهِ الرَّجْعَةَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ[٣]. وَأَنْتُمْ بَنُو سَبِيلٍ عَلَى سَفَرٍ مِنْ دَارٍ لَيْسَتْ بِدَارِكُمْ، وَقَدْ أُوذِنْتُمْ مِنْهَا بِالِارْتِحَالِ، وَأُمِرْتُمْ فِيهَا بِالزَّادِ. وَاعْلَمُوا أَنَّهُ لَيْسَ لِهَٰذَا الْجِلْدِ الرَّقِيقِ صَبْرٌ عَلَى النَّارِ، فَارْحَمُوا نُفُوسَكُمْ فَإِنَّكُمْ قَدْ جَرَّبْتُمُوهَا فِي مَصَائِبِ الدُّنْيَا. أَفَرَأَيْتُمْ جَزَعَ أَحَدِكُمْ مِنَ الشَّوْكَةِ تُصِيبُهُ،

(١) يقال فلان بعين فلان إذا كان بحيث لا يخفى عليه منه شيء (٢) أى يغشاهم بالمنية (٣) أى أنكم فى حالة يمكنكم فيها العمل لآخرتكم وهى الحالة التى ندم المهملون على فواتها وسألوا الرجعة اليها كما حكى الله عنهم إذ يقول الواحد منهم «رب ارجعون لعلى أعمل صالحاً فيما تركت»

وَالْعَثْرَةِ تُدْمِيهِ، وَالرَّمْضَاءُ تُحْرِقُهُ؟ فَكَيْفَ إِذَا كَانَ بَيْنَ طَابَقَيْنِ مِنْ نَارٍ، ضَجِيعَ حَجَرٍ وَقَرِينَ شَيْطَانٍ. أَعَلِمْتُمْ أَنَّ مَالِكًا إِذَا غَضِبَ عَلَى النَّارِ حَطَمَ بَعْضُهَا بَعْضًا لِغَضَبِهِ[1]، وَإِذَا زَجَرَهَا تَوَثَّبَتْ بَيْنَ أَبْوَابِهَا جَزَعًا مِنْ زَجْرَتِهِ

أَيُّهَا الْيَفَنُ الْكَبِيرُ[2] الَّذِي قَدْ لَهَزَهُ الْقَتِيرُ، كَيْفَ أَنْتَ إِذَا الْتَحَمَتْ أَطْوَاقُ النَّارِ بِعِظَامِ الْأَعْنَاقِ! وَنَشِبَتِ الْجَوَامِعُ[3] حَتَّى أَكَلَتْ لُحُومَ السَّوَاعِدِ. فَاللهَ اللهَ مَعْشَرَ الْعِبَادِ وَأَنْتُمْ سَالِمُونَ فِي الصِّحَّةِ قَبْلَ السُّقْمِ. وَفِي الْفُسْحَةِ قَبْلَ الضِّيقِ. فَاسْعَوْا فِي فِكَاكِ رِقَابِكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَغْلَقَ رَهَائِنُهَا[4]. أَسْهِرُوا عُيُونَكُمْ، وَأَضْمِرُوا بُطُونَكُمْ وَاسْتَعْمِلُوا أَقْدَامَكُمْ، وَأَنْفِقُوا أَمْوَالَكُمْ، وَخُذُوا مِنْ أَجْسَادِكُمْ وَجُودُوا بِهَا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَبْخَلُوا بِهَا عَنْهَا فَقَدْ قَالَ اللهُ سُبْحَانَهُ «إِنْ تَنْصُرُوا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ» وَقَالَ تَعَالَى «مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ وَلَهُ أَجْرٌ كَرِيمٌ» فَلَمْ يَسْتَنْصِرْكُمْ مِنْ ذُلٍّ، وَلَمْ يَسْتَقْرِضْكُمْ مِنْ قُلٍّ، اسْتَنْصَرَكُمْ وَلَهُ

(١) مالك هو الموكل بالجحيم (٢) اليفن — بالتحريك — الشيخ المسن. ولهزه: أي خالطه. والقتير: الشيب (٣) نشبت — كفرحت — علقت. والجوامع — جمع جامعة — الغل لأنها تجمع اليدين إلى العنق (٤) غلق الرهن — كفرح — استحقه صاحب الحق

جُنُودُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ. وَٱسْتَقْرَضَكُمْ وَلَهُ خَزَائِنُ ٱلسَّمَوَاتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ. أَرَادَ أَنْ يَبْلُوَكُمْ[١] أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا. فَبَادِرُوا بِأَعْمَالِكُمْ تَكُونُوا مَعَ جِيرَانِ ٱللَّهِ فِي دَارِهِ. رَافَقَ بِهِمْ رُسُلَهُ، وَأَزَارَهُمْ مَلَائِكَتَهُ، وَأَكْرَمَ أَسْمَاعَهُمْ أَنْ تَسْمَعَ حَسِيسَ نَارٍ أَبَدًا[٢]، وَصَانَ أَجْسَادَهُمْ أَنْ تَلْقَى لُغُوبًا وَنَصَبًا[٣] «ذٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ» أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَى نَفْسِي وَأَنْفُسِكُمْ، وَهُوَ حَسْبِي وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قَالَهُ لِلْبُرْجِ بْنِ مُسْهِرٍ ٱلطَّائِيِّ[٤]، وَقَدْ قَالَ لَهُ بِحَيْثُ يَسْمَعُهُ:
لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ، وَكَانَ مِنَ ٱلْخَوَارِجِ

أُسْكُتْ قَبَّحَكَ ٱللَّهُ يَا أَثْرَمُ[٥]، فَوَٱللَّهِ لَقَدْ ظَهَرَ ٱلْحَقُّ فَكُنْتَ فِيهِ ضَئِيلًا شَخْصُكَ، خَفِيًّا صَوْتُكَ، حَتَّى إِذَا نَعَرَ ٱلْبَاطِلُ نَجَمْتَ

---

(١) يختبركم (٢) الحسيس: الصوت الخفى (٣) لغب ـ كسمع ومنع وكرم ـ لغبا ولغوبا أعيى أشد الأعياء. والنصب: التعب أيضاً (٤) أحد شعراء الخوارج (٥) الثرم: محركا سقوط الثنية من الأسنان. والضئيل: النحيف المهزول، كناية عن الضعف. ونعر: أى صاح. ونجمت: ظهرت وذلك إذا لم يمكن فكاكه فى الوقت المشروط

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَا تُدْرِكُهُ الشَّوَاهِدُ ، وَلَا تَحْوِيهِ الْمَشَاهِدُ ، وَلَا تَرَاهُ النَّوَاظِرُ ، وَلَا تَحْجُبُهُ السَّوَاتِرُ ، الدَّالِّ عَلَى قِدَمِهِ بِحُدُوثِ خَلْقِهِ ، وَبِحُدُوثِ خَلْقِهِ عَلَى وُجُودِهِ ، وَبِاشْتِبَاهِهِمْ عَلَى أَنْ لَا شِبْهَ لَهُ . الَّذِي صَدَقَ فِي مِيعَادِهِ ، وَارْتَفَعَ عَنْ ظُلْمِ عِبَادِهِ . وَقَامَ بِالْقِسْطِ فِي خَلْقِهِ ، وَعَدَلَ عَلَيْهِمْ فِي حُكْمِهِ . مُسْتَشْهِدٌ بِحُدُوثِ الْأَشْيَاءِ عَلَى أَزَلِيَّتِهِ ، وَبِمَا وَسَمَهَا بِهِ مِنَ الْعَجْزِ عَلَى قُدْرَتِهِ ، وَبِمَا اضْطَرَّهَا إِلَيْهِ مِنَ الْفَنَاءِ عَلَى دَوَامِهِ . وَاحِدٌ لَا بِعَدَدٍ ، وَدَائِمٌ لَا بِأَمَدٍ[1] ، وَقَائِمٌ لَا بِعَمَدٍ . تَتَلَقَّاهُ الْأَذْهَانُ لَا بِمُشَاعَرَةٍ[2] . وَتَشْهَدُ لَهُ الْمَرَائِي لَا بِمُحَاضَرَةٍ . لَمْ تُحِطْ بِهِ الْأَوْهَامُ ، بَلْ تَجَلَّى لَهَا بِهَا ، وَبِهَا امْتَنَعَ مِنْهَا ، وَإِلَيْهَا حَاكَمَهَا[3] لَيْسَ بِذِي كِبَرٍ امْتَدَّتْ بِهِ النِّهَايَاتُ فَكَبَّرَتْهُ تَجْسِيماً ، وَلَا بِذِي عِظَمٍ

وبرزت . والتشبيه بقرن الماعز فى الظهور على غير شور (١) الأمد : الغاية (٢) المشاعرة : انفعال احدى الحواس بما تحسه من جهة عروض شىء منه عليها . والمرائى – جمع مرآة بالفتح – وهى المنظر أى تشهد له مناظر الأشياء لابحضوره فيها شاخصاً للأبصار (٣) أى أنه بعد ماتجلى للأوهام بآثاره فعرفته امتنع عليها بكنه ذاته وحاكمها إلى نفسها حيث رجعت بعد البحث خاسئة حسيرة معترفة بالعجز عن الوصول إليه

تَنَاهَتْ بِهِ ٱلْغَايَاتُ فَعَظَّمَتْهُ تَجْسِيدًا . بَلْ كَبُرَ شَأْنًا ، وَعَظُمَ سُلْطَانًا . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ ٱلصَّفِيُّ ، وَأَمِينُهُ ٱلرَّضِيُّ ، صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . أَرْسَلَهُ بِوُجُوبِ ٱلْحُجَجِ (١) ، وَظُهُورِ ٱلْفَلَجِ وَإِيضَاحِ ٱلْمَنْهَجِ ، فَبَلَّغَ ٱلرِّسَالَةَ صَادِعًا بِهَا ، وَحَمَلَ عَلَى ٱلْمَحَجَّةِ دَالًّا عَلَيْهَا . وَأَقَامَ أَعْلَامَ ٱلِاهْتِدَاءِ وَمَنَارَ ٱلضِّيَاءِ . وَجَعَلَ أَمْرَاسَ ٱلْإِسْلَامِ مَتِينَةً (٢) وَعُرَى ٱلْإِيمَانِ وَثِيقَةً

(مِنْهَا فِي صِفَةِ خَلْقِ أَصْنَافٍ مِنَ ٱلْحَيَوَانِ) : وَلَوْ فَكَّرُوا فِي عَظِيمِ ٱلْقُدْرَةِ وَجَسِيمِ ٱلنِّعْمَةِ لَرَجَعُوا إِلَى ٱلطَّرِيقِ وَخَافُوا عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ وَلَكِنِ ٱلْقُلُوبُ عَلِيلَةٌ ، وَٱلْبَصَائِرُ مَدْخُولَةٌ . أَلَا تَنْظُرُونَ إِلَى صَغِيرِ مَا خَلَقَ كَيْفَ أَحْكَمَ خَلْقَهُ ، وَأَتْقَنَ تَرْكِيبَهُ ، وَفَلَقَ لَهُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ، وَسَوَّى لَهُ ٱلْعَظْمَ وَٱلْبَشَرَ (٣) . ٱنْظُرُوا إِلَى ٱلنَّمْلَةِ فِي صِغَرِ جُثَّتِهَا وَلَطَافَةِ هَيْئَتِهَا ، لَا تَكَادُ تُنَالُ بِلَحْظِ ٱلْبَصَرِ ، وَلَا بِمُسْتَدْرَكِ ٱلْفِكْرِ ، كَيْفَ دَبَّتْ عَلَى أَرْضِهَا ، وَصُبَّتْ عَلَى رِزْقِهَا ، تَنْقُلُ ٱلْحَبَّةَ إِلَى جُحْرِهَا ، وَتُعِدُّهَا فِي مُسْتَقَرِّهَا . تَجْمَعُ فِي حَرِّهَا لِبَرْدِهَا ، وَفِي وُرُودِهَا لِصَدَرِهَا (٤) ،

---

(١) أى ليلزم العباد بالحجج البينة على ما دعاهم اليه من الحق . والفلج : الظفر وظهوره : علو كلمة الدين (٢) الأمراس جمع مرس بالتحريك وهو جمع مرسة بالتحريك وهو الحبل (٣) جمع بشرة وهى ظاهر الجلد الانسانى (٤) الصدر ـ محركا ـ الرجوع بعد

مَكْفُولَةٌ بِرِزْقِهَا مَرْزُوقَةٌ بِوِفْقِهَا . لَا يُغْفِلُهَا الْمَنَّانُ ، وَلَا يَحْرِمُهَا الدَّيَّانُ وَلَوْ فِي الصَّفَا الْيَابِسِ وَالْحَجَرِ الْجَامِسِ(١) وَلَوْ فَكَّرْتَ فِي مَجَارِي أَكْلِهَا فِي عُلْوِهَا وَسُفْلِهَا وَمَا فِي الْجَوْفِ مِنْ شَرَاسِيفِ بَطْنِهَا(٢) وَمَا فِي الرَّأْسِ مِنْ عَيْنِهَا وَأُذُنِهَا لَقَضَيْتَ مِنْ خَلْقِهَا عَجَباً ، وَلَقِيتَ مِنْ وَصْفِهَا تَعَباً . فَتَعَالَى الَّذِي أَقَامَهَا عَلَى قَوَائِمِهَا ، وَبَنَاهَا عَلَى دَعَائِمِهَا ، لَمْ يَشْرَكْهُ فِي فِطْرَتِهَا فَاطِرٌ ، وَلَمْ يُعِنْهُ فِي خَلْقِهَا قَادِرٌ . وَلَوْ ضَرَبْتَ فِي مَذَاهِبِ فِكْرِكَ لِتَبْلُغَ غَايَاتِهِ ، مَا دَلَّتْكَ الدَّلَالَةُ إِلَّا عَلَى أَنَّ فَاطِرَ النَّمْلَةِ هُوَ فَاطِرُ النَّخْلَةِ، لِدَقِيقِ تَفْصِيلِ كُلِّ شَيْءٍ(٣) ، وَغَامِضِ اخْتِلَافِ كُلِّ حَيٍّ ، وَمَا الْجَلِيلُ وَاللَّطِيفُ وَالثَّقِيلُ وَالْخَفِيفُ وَالْقَوِيُّ وَالضَّعِيفُ فِي خَلْقِهِ إِلَّا سَوَاءٌ ، وَكَذَلِكَ السَّمَاءُ وَالْهَوَاءُ وَالرِّيَاحُ وَالْمَاءُ . فَانْظُرْ إِلَى الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْمَاءِ وَالْحَجَرِ وَاخْتِلَافِ هٰذَا اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ ، وَتَفَجُّرِ هٰذِهِ الْبِحَارِ ، وَكَثْرَةِ هٰذِهِ الْجِبَالِ ، وَطُولِ هٰذِهِ الْقِلَالِ(٤) وَتَفَرُّقِ هٰذِهِ اللُّغَاتِ ، وَالْأَلْسُنِ الْمُخْتَلِفَاتِ . فَالْوَيْلُ لِمَنْ

الورود . وقوله بوفقها بكسر الواو أى بما يوافقها من الرزق و يلائم طبعها (١) الجامس الجامد (٢) الشراسيف : مقاط الاضلاع وهى أطرافها التى تشرف على البطن (٣) أى أن دقة التفصيل فى النملة على صغرها والنخلة على طولها تدلك على أن الصانع واحد (٤) القلال ــ جمع قلة بالضم ــ وهى رأس الجبل

جَحَدَ الْمُقَدِّرَ وَأَنْكَرَ الْمُدَبِّرَ . زَعَمُوا أَنَّهُمْ كَالنَّبَاتِ مَا لَهُمْ زَارِعٌ ، وَلَا لِاخْتِلَافِ صُوَرِهِمْ صَانِعٌ . وَلَمْ يَلْجَأُوا الَى حُجَّةٍ فِيمَا ادَّعَوْا[1] ، وَلَا تَحْقِيقٍ لِمَا أَوْعَوْا . وَهَلْ يَكُونُ بِنَاءٌ مِنْ غَيْرِ بَانٍ ، أَوْ جِنَايَةٌ مِنْ غَيْرِ جَانٍ . وَإِنْ شِئْتَ قُلْتُ فِي الْجَرَادَةِ إِذْ خَلَقَ لَهَا عَيْنَيْنِ حَمْرَاوَيْنِ . وَأَسْرَجَ لَهَا حَدَقَتَيْنِ قَمْرَاوَيْنِ[2] . وَجَعَلَ لَهَا السَّمْعَ الْخَفِيَّ ، وَفَتَحَ لَهَا الْفَمَ السَّوِيَّ ، وَجَعَلَ لَهَا الْحِسَّ الْقَوِيَّ ، وَنَابَيْنِ بِهِمَا تَقْرِضُ ، وَمِنْجَلَيْنِ بِهِمَا تَقْبِضُ[3] يَرْهَبُهَا الزُّرَّاعُ فِي زَرْعِهِمْ ، وَلَا يَسْتَطِيعُونَ ذَبَّهَا[4] . وَلَوْ أَجْلَبُوا بِجَمْعِهِمْ ، حَتَّى تَرِدَ الْحَرْثَ فِي نَزَوَاتِهَا[5] ، وَتَقْضِيَ مِنْهُ شَهَوَاتِهَا . وَخَلْقُهَا كُلُّهُ لَا يَكُونُ إِصْبَعاً مُسْتَدِقَّةً

فَتَبَارَكَ اللَّهُ الَّذِي يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ طَوْعاً وَكَرْهاً ، وَيَعْنُو لَهُ خَدّاً وَوَجْهاً ، وَيُلْقِي إِلَيْهِ بِالطَّاعَةِ سِلْماً وَضَعْفاً ، وَيُعْطِي لَهُ الْقِيَادَ رَهْبَةً وَخَوْفاً . فَالطَّيْرُ مُسَخَّرَةٌ لِأَمْرِهِ . أَحْصَى عَدَدَ الرِّيشِ مِنْهَا وَالنَّفَسِ ، وَأَرْسَى قَوَائِمَهَا عَلَى النَّدَى وَالْيَبَسِ[6] . وَقَدَّرَ أَقْوَاتَهَا ، وَأَحْصَى

---

(١) لم يلجأوا: لم يستندوا. وأوعاه ـ كوعاه ـ بمعنى حفظه (٢) أى مضيئتين كأن كلا منهما ليلة قمراء أضاءها القمر (٣) المنجل ـ كمنبر ـ آلة من حديد معروفة يقضب بها الزرع. قالوا أراد بهما هنا رجليها لاعوجاجهما وخشونتهما (٤) دفعها (٥) وثباتها، نزا عليه: وثب (٦) المراد من الندى هنا مقابل اليبس بالتحريك فيعم الماء، كأنه يريد أن

أَجْنَاسِهَا . فَهٰذَا غُرَابٌ وَهٰذَا عُقَابٌ . وَهٰذَا حَمَامٌ وَهٰـذَا نَعَامٌ . دَعَا كُلَّ طَائِرٍ بِاسْمِهِ ، وَكَفَلَ لَهُ بِرِزْقِهِ . وَأَنْشَأَ السَّحَابَ الثِّقَالَ فَأَهْطَلَ دِيَمَهَا[1] وَعَدَّدَ قِسَمَهَا ، فَبَلَّ الْأَرْضَ بَعْدَ جُفُوفِهَا ، وَأَخْرَجَ نَبْتَهَا بَعْدَ جُـدُوبِهَا .

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي التَّوْحِيدِ

وتجمع هٰذه الخطبة من أصول العلم ما لا تجمعه خطبة

مَا وَحَّدَهُ مَنْ كَيَّفَهُ ، وَلَا حَقِيقَتَهُ أَصَابَ مَنْ مَثَّلَهُ . وَلَا إِيَّاهُ عَنَى مَنْ شَبَّهَهُ . وَلَا صَمَدَهُ مَنْ أَشَارَ إِلَيْهِ وَتَوَهَّمَهُ[2] . كُلُّ مَعْرُوفٍ بِنَفْسِهِ مَصْنُوعٌ[3] . وَكُلُّ قَائِمٍ فِي سِوَاهُ مَعْلُولٌ . فَاعِلٌ لَا بِاضْطِرَابِ آلَةٍ . مُقَدِّرٌ لَا بِجَوْلِ فِكْرَةٍ . غَنِيٌّ لَا بِاسْتِفَادَةٍ . لَا تَصْحَبُهُ الْأَوْقَاتُ ، وَلَا

الله جعل من الطير ما تثبت أرجله فى الماء . ومنه ما لا يمشى الا فى الأرض اليابسة

(١) الهطل — بالفتح — تتابع المطر والدمع . والديم — كالهمم — جمع ديمة : مطر يدوم فى سكون بلا رعد ولا برق. وتعديد القسم احصاء ما قدر منها لكل بقعة. وجدوب الأرض : يبسها لاحتجاب المطر عنها (٢) صمده : قصده (٣) أى كل معروف الذات بالكنه مصنوع لأن معرفة الكنه انما تكون بمعرفة اجزاء الحقيقة فمعروف الكنه مركب والمركب مفتقر فى الوجود لغيره فهو مصنوع

تَرْفِدُهُ الْأَدَوَاتُ[١] سَبَقَ الْأَوْقَاتَ كَوْنُهُ . وَالْعَدَمَ وُجُودُهُ وَالِابْتِدَاءَ أَزَلُهُ . بِتَشْعِيرِهِ الْمَشَاعِرَ عُرِفَ أَنْ لَا مَشْعَرَ لَهُ[٢] . وَبِمُضَادَّتِهِ بَيْنَ الْأُمُورِ عُرِفَ أَنْ لَا ضِدَّ لَهُ . وَبِمُقَارَنَتِهِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ عُرِفَ أَنْ لَا قَرِينَ لَهُ . ضَادَّ النُّورَ بِالظُّلْمَةِ ، وَالْوُضُوحَ بِالْبُهْمَةِ وَالْجُمُودَ بِالْبَلَلِ ، وَالْحَرُورَ بِالصَّرَدِ[٣] . مُؤَلِّفٌ بَيْنَ مُتَعَادِيَاتِهَا[٤] . مُقَارِنٌ بَيْنَ مُتَبَايِنَاتِهَا مُقَرِّبٌ بَيْنَ مُتَبَاعِدَاتِهَا . مُفَرِّقٌ بَيْنَ مُتَدَانِيَاتِهَا[٥] لَا يُشْمَلُ بِحَدٍّ ، وَلَا يُحْسَبُ بِعَدٍّ ، وَإِنَّمَا تَحُدُّ الْأَدَوَاتُ أَنْفُسَهَا ، وَتُشِيرُ الْآلَةُ إِلَى نَظَائِرِهَا . مَنَعَتْهَا مُنْذُ الْقِدَمِيَّةَ ، وَحَمَتْهَا قَدُ الْأَزَلِيَّةَ . وَجَنَّبَتْهَا لَوْلَا التَّكْمِلَةَ[٦] .

---

(١) ترفده ـ كتنصره ـ أى تعينه (٢) المشعر ـ كمقعد ـ محل الشعور أى الاحساس فهو الحاسة . وتشعيرها: إعدادها للانفعال المخصوص الذى يعرض لها من المواد وهو مايسمى بالاحساس ، فالمشعر من حيث هو مشعر منفعل دائما ولو كان لله مشعر لـكان منفعلا ، والمنفعل لا يكون فاعلا، وقد قلنا انه هو الفاعل بتشعير المشاعر.وهذا بمنزلة أن يقال ان الله فاعل فى خلقه فلا يكون منفعلا عنهم كما يأتى التصريح به.و إنما خص باب الشعور بالذكر رداً على من زعم أن لله مشاعر .وعقده التضاد بين الأشياء دليل على استواء نسبتها اليه فلا ضد له إذ لو كانت له طبيعة تضاد شيئا لاختص ايجاده بما يلائمها الاما يضادها فلم تـكن أضداد ، والمقارنة بين الأشياء فى نظام الخلقة دليل أن صانعها واحد إذ لو كان له، شريك لخالفه فى النظام الايجادى فلم تـكن مقارنة. والمقارنة هنا : المشابهة (٣) الصرد ـ محركا ـ البرد أصلها فارسية (٤) متعادياتها كالعناصر (٥) كالجزئين من عنصر واحد فى جسمين مختلفى المزاج (٦) منذ ، وقد ، ولولا ، فواعل للافعال قبلها . ومنذ لابتداء الزمان ، وقد لنقريبه ولا يكون الابتداء والتقريب

بِهَا تَجَلَّى صَانِعُهَا لِلْعُقُولِ ، وَبِهَا امْتَنَعَ عَنْ نَظَرِ الْعُيُونِ . لَا يَجْرِي عَلَيْهِ السُّكُونُ وَالْحَرَكَةُ . وَكَيْفَ يَجْرِي عَلَيْهِ مَا هُوَ أَجْرَاهُ، وَيَعُودُ فِيهِ مَا هُوَ أَبْدَاهُ، وَيَحْدُثُ فِيهِ مَا هُوَ أَحْدَثَهُ . إِذاً لَتَفَاوَتَتْ ذَاتُهُ[١] ، وَلَتَجَزَّأَ كُنْهُهُ، وَلَامْتَنَعَ مِنَ الْأَزَلِ مَعْنَاهُ . وَلَكَانَ لَهُ وَرَاءٌ إِذْ وُجِدَ لَهُ أَمَامٌ . وَلَالْتَمَسَ التَّمَامَ إِذْ لَزِمَهُ النُّقْصَانُ . وَإِذاً لَقَامَتْ آيَةُ الْمَصْنُوعِ فِيهِ ، وَلَتَحَوَّلَ دَلِيلاً بَعْدَ أَنْ كَانَ مَدْلُولاً عَلَيْهِ . وَخَرَجَ بِسُلْطَانِ الِامْتِنَاعِ مِنْ أَنْ يُؤَثِّرَ فِيهِ مَا يُؤَثِّرُ فِي غَيْرِهِ[٢] الَّذِي لَا يَحُولُ وَلَا يَزُولُ ، وَلَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الْأُفُولُ[٣] . وَلَمْ يَلِدْ فَيَكُونَ مَوْلُوداً[٤] ، وَلَمْ يُولَدْ فَيَصِيرَ مَحْدُوداً[٥] .

إلا في الزمان المتناهي . وكل مخلوق يقال فيه قد وجد ووجد منذ كذا، وهذا مانع للقدم والأزلية ، وكل مخلوق يقال فيه لولا خالقه ما وجد فهو ناقص لذاته محتاج للتكملة بغيره، والأدوات أي آلات الادراك التي هي حادثة ناقصة كيف يمكن لها أن تحد الأزلي المتعالي عن النهاية في الكمال . وقوله بها أي بتلك الأدوات أي بواسطة ما أدركته من شؤون الحوادث عرف الصانع فتجلى للعقول ، وبها أي بمقتضى طبيعة تلك الأدوات من أنها لا تدرك إلا مادياً محدوداً امتنع سبحانه عن ادراك العيون التي هي نوع من تلك الأدوات (١) أي لاختلفت ذاته باختلاف الأعراض عليها ولتجزأت حقيقته، فان الحركة والسكون من خواص الجسم وهو منقسم، ولصار حادثاً فان الجسم بتركبه مفتقر لغيره (٢) وخرج عطف على قوله لا يجرى عليه السكون. وسلطان الامتناع هو سلطان العزة الأزلية (٣) من أفل النجم إذا غاب (٤) المراد بالمولود المتولد عن غيره سواء كان بطريق التناسل المعروف أو كان بطريق النشوء كتولد النبات عن العناصر ومن ولد له كان متولدا باحدى الطريقتين (٥) تكون بداية وجوده

جَلَّ عَنِ اتِّخَاذِ الْأَبْنَاءِ ، وَطَهُرَ عَنْ مُلَامَسَةِ النِّسَاءِ . لَا تَنَالُهُ الْأَوْهَامُ فَتُقَدِّرَهُ ، وَلَا تَتَوَهَّمُهُ الْفِطَنُ فَتُصَوِّرَهُ . وَلَا تُدْرِكُهُ الْحَوَاسُّ فَتُحِسَّهُ وَلَا تَلْمِسُهُ الْأَيْدِي فَتَمَسَّهُ . لَا يَتَغَيَّرُ بِحَالٍ ، وَلَا يَتَبَدَّلُ بِالْأَحْوَالِ . وَلَا تُبْلِيهِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامُ ، وَلَا يُغَيِّرُهُ الضِّيَاءُ وَالظَّلَامُ . وَلَا يُوصَفُ بِشَيْءٍ مِنَ الْأَجْزَاءِ[1] ، وَلَا بِالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ . وَلَا بِعَرَضٍ مِنَ الْأَعْرَاضِ ، وَلَا بِالْغَيْرِيَّةِ وَالْأَبْعَاضِ . وَلَا يُقَالُ لَهُ حَدٌّ وَلَا نِهَايَةٌ ، وَلَا انْقِطَاعٌ وَلَا غَايَةٌ . وَلَا أَنَّ الْأَشْيَاءَ تَحْوِيهِ ، فَتُقِلَّهُ أَوْ تُهْوِيَهُ[2] ، أَوْ أَنَّ شَيْئاً يَحْمِلُهُ فَيُمِيلَهُ أَوْ يُعَدِّلَهُ . لَيْسَ فِي الْأَشْيَاءِ بِوَالِجٍ[3] ، وَلَا عَنْهَا بِخَارِجٍ . يُخْبِرُ لَا بِلِسَانٍ وَلَهَوَاتٍ[4] ، وَيَسْمَعُ لَا بِخُرُوقٍ وَأَدَوَاتٍ . يَقُولُ وَلَا يَلْفِظُ ، وَيَحْفَظُ وَلَا يَتَحَفَّظُ[5] ، وَيُرِيدُ وَلَا يُضْمِرُ . يُحِبُّ وَيَرْضَى مِنْ غَيْرِ رِقَّةٍ ، وَيُبْغِضُ وَيَغْضَبُ مِنْ غَيْرِ مَشَقَّةٍ . يَقُولُ لِمَنْ أَرَادَ كَوْنَهُ كُنْ فَيَكُونُ . لَا بِصَوْتٍ يَقْرَعُ ، وَلَا بِنِدَاءٍ يُسْمَعُ . وَإِنَّمَا كَلَامُهُ سُبْحَانَهُ فِعْلٌ مِنْهُ[6]

يوم ولادته (١) أى لا يقال ذو جزء كذا ولا ذو عضو كذا (٢) تقله : أى ترفعه . وتهويه: أى تحطه وتسقطه (٣) أى داخل (٤) جمع لهاة اللحمة فى سقف أقصى الفم (٥) أى لا يتكلف الحفظ « ولا يؤوده حفظهما وهو العلى العظيم » (٦) كلامه أى الألفاظ والحروف التى يطلق عليها كلام الله باعتبار مادلت عليه وهى حادثة عند عموم الفرق ماخلا جماعة من الحنابلة . أو المراد بالكلام هنا ماأريد فى قوله تعالى « قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد » الآية ، وهو على ماقال بعض المفسرين أعيان الموجودات

أَنْشَأَهُ . وَمِثْلُهُ لَمْ يَكُنْ مِنْ قَبْلِ ذٰلِكَ كَائِناً ، وَلَوْ كَانَ قَدِيماً لَكَانَ إِلٰهاً ثَانِياً .

لَا يُقَالُ كَانَ بَعْدَ أَنْ لَمْ يَكُنْ فَتَجْرِيَ عَلَيْهِ الصِّفَاتُ الْمُحْدَثَاتُ ، وَلَا يَكُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَهُ فَصْلٌ[1] ، وَلَا لَهُ عَلَيْهَا فَضْلٌ ، فَيَسْتَوِيَ الصَّانِعُ وَالْمَصْنُوعُ ، وَيَتَكَافَأَ الْمُبْتَدِئُ وَالْبَدِيعُ . خَلَقَ الْخَلَائِقَ عَلَى غَيْرِ مِثَالٍ خَلَا مِنْ غَيْرِهِ ، وَلَمْ يَسْتَعِنْ عَلَى خَلْقِهَا بِأَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ . وَأَنْشَأَ الْأَرْضَ فَأَمْسَكَهَا مِنْ غَيْرِ اشْتِغَالٍ . وَأَرْسَاهَا عَلَى غَيْرِ قَرَارٍ . وَأَقَامَهَا بِغَيْرِ قَوَائِمَ . وَرَفَعَهَا بِغَيْرِ دَعَائِمَ . وَحَصَّنَهَا مِنَ الْأَوَدِ وَالِاعْوِجَاجِ[2] . وَمَنَعَهَا مِنَ التَّهَافُتِ وَالِانْفِرَاجِ[3] . أَرْسَى أَوْتَادَهَا ، وَضَرَبَ أَسْدَادَهَا ، وَاسْتَفَاضَ عُيُونَهَا وَخَدَّ أَوْدِيَتَهَا[4] . فَلَمْ يَهِنْ مَا بَنَاهُ[5] ، وَلَا ضَعُفَ مَا قَوَّاهُ . هُوَ الظَّاهِرُ عَلَيْهَا بِسُلْطَانِهِ وَعَظَمَتِهِ ، وَهُوَ الْبَاطِنُ لَهَا بِعِلْمِهِ وَمَعْرِفَتِهِ ، وَالْعَالِي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مِنْهَا بِجَلَالِهِ وَعِزَّتِهِ . لَا يُعْجِزُهُ شَيْءٌ مِنْهَا طَلَبَهُ ، وَلَا يَمْتَنِعُ عَلَيْهِ فَيَغْلِبَهُ ، وَلَا يَفُوتُهُ السَّرِيعُ مِنْهَا فَيَسْبِقَهُ ، وَلَا يَحْتَاجُ إِلَى ذِي مَالٍ فَيَرْزُقَهُ . خَضَعَتِ الْأَشْيَاءُ لَهُ ، وَذَلَّتْ مُسْتَكِينَةً لِعَظَمَتِهِ ،

---

(١) ولا يكون عطف على تجرى (٢) عطف تفسير على الاود (٣) التهافت : التساقط قطعة قطعة . والانفراج : الانشقاق (٤) الأوتاد : جمع وتد . والاسداد : جمع سد والمراد بها الجبال . وخد أى شق (٥) يهن — من الوهن — بمعنى الضعف

لَا تَسْتَطِيعُ الْهَرَبَ مِنْ سُلْطَانِهِ إِلَى غَيْرِهِ فَتَمْتَنِعَ مِنْ نَفْعِهِ وَضَرِّهِ، وَلَا كُفْوَ لَهُ فَيُكَافِئَهُ، وَلَا نَظِيرَ لَهُ فَيُسَاوِيَهُ. هُوَ الْمُفْنِي لَهَا بَعْدَ وُجُودِهَا، حَتَّى يَصِيرَ مَوْجُودُهَا كَمَفْقُودِهَا.

وَلَيْسَ فَنَاءُ الدُّنْيَا بَعْدَ ابْتِدَاعِهَا بِأَعْجَبَ مِنْ إِنْشَائِهَا وَاخْتِرَاعِهَا. وَكَيْفَ لَوِ اجْتَمَعَ جَمِيعُ حَيَوَانِهَا مِنْ طَيْرِهَا وَبَهَائِمِهَا، وَمَا كَانَ مِنْ مُرَاحِهَا وَسَائِمِهَا[1]، وَأَصْنَافِ أَسْنَاخِهَا وَأَجْنَاسِهَا[2]، وَمُتَبَلِّدَةِ أُمَمِهَا وَأَكْيَاسِهَا عَلَى إِحْدَاثِ بَعُوضَةٍ مَا قَدَرَتْ عَلَى إِحْدَاثِهَا، وَلَا عَرَفَتْ كَيْفَ السَّبِيلُ إِلَى إِيجَادِهَا. وَلَتَحَيَّرَتْ عُقُولُهَا فِي عِلْمِ ذَلِكَ وَتَاهَتْ، وَعَجَزَتْ قُوَاهَا وَتَنَاهَتْ، وَرَجَعَتْ خَاسِئَةً حَسِيرَةً[3] عَارِفَةً بِأَنَّهَا مَقْهُورَةٌ مُقِرَّةٌ بِالْعَجْزِ عَنْ إِنْشَائِهَا. مُذْعِنَةً بِالضَّعْفِ عَنْ إِفْنَائِهَا.

وَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ يَعُودُ بَعْدَ فَنَاءِ الدُّنْيَا وَحْدَهُ لَا شَيْءَ مَعَهُ. كَمَا كَانَ قَبْلَ ابْتِدَائِهَا كَذَلِكَ يَكُونُ بَعْدَ فَنَائِهَا. بِلَا وَقْتٍ وَلَا مَكَانٍ، وَلَا حِينٍ وَلَا زَمَانٍ. عُدِمَتْ عِنْدَ ذَلِكَ الْآجَالُ وَالْأَوْقَاتُ، وَزَالَتِ السُّنُونَ

---

(١) مراحها ـ بضم الميم ـ اسم مفعول من أراح الابل ردها إلى المراح بالضم أى المأوى. والسائم: الراعى يريد ما كان فى مأواه وما كان فى مرعاه (٢) الأسناخ: الأصول. والمراد منها الأنواع أى الأصناف الداخلة فى أنواعها. والمتبلدة أى الغبية. والأكياس: جمع كيس ـ بالتشديد ـ العاقل الحاذق (٣) الخاسىء: الذليل. والحسير: الكال المعيى

وَالسَّاعَاتُ . فَلَا شَيْءَ إلا الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ الَّذِي إِلَيْهِ مَصِيرُ جَمِيعِ الْأُمُورِ . بِلَا قُدْرَةٍ مِنْهَا كَانَ ابْتِدَاءُ خَلْقِهَا ، وَبِغَيْرِ امْتِنَاعٍ مِنْهَا كَانَ فَنَاؤُهَا . وَلَوْ قَدَرَتْ عَلَى الِامْتِنَاعِ دَامَ بَقَاؤُهَا . لَمْ يَتَكَاءَدْهُ صُنْعُ شَيْءٍ مِنْهَا إِذْ صَنَعَهُ[1] ، وَلَمْ يَؤُدْهُ مِنْهَا خَلْقُ مَا خَلَقَهُ وَبَرَأَهُ . وَلَمْ يُكَوِّنْهَا لِتَشْدِيدِ سُلْطَانٍ . وَلَا خَوْفٍ مِنْ زَوَالٍ وَنُقْصَانٍ ، وَلَا لِلِاسْتِعَانَةِ بِهَا عَلَى نِدٍّ مُكَاثِرٍ[2] ، وَلَا لِلِاحْتِرَازِ بِهَا مِنْ ضِدٍّ مُثَاوِرٍ . وَلَا لِلِازْدِيَادِ بِهَا فِي مُلْكِهِ ، وَلَا لِمُكَاثَرَةِ شَرِيكٍ فِي شِرْكِهِ . وَلَا لِوَحْشَةٍ كَانَتْ مِنْهُ فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَأْنِسَ إِلَيْهَا . ثُمَّ هُوَ يُفْنِيهَا بَعْدَ تَكْوِينِهَا لَا لِسَأَمٍ دَخَلَ عَلَيْهِ فِي تَصْرِيفِهَا وَتَدْبِيرِهَا ، وَلَا لِرَاحَةٍ وَاصِلَةٍ إِلَيْهِ . وَلَا لِثِقَلِ شَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهِ . لَمْ يُمِلَّهُ طُولُ بَقَائِهَا فَيَدْعُوَهُ إِلَى سُرْعَةِ إِفْنَائِهَا . لَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ دَبَّرَهَا بِلُطْفِهِ ، وَأَمْسَكَهَا بِأَمْرِهِ ، وَأَتْقَنَهَا بِقُدْرَتِهِ ، ثُمَّ يُعِيدُهَا بَعْدَ الْفَنَاءِ مِنْ غَيْرِ حَاجَةٍ مِنْهُ إِلَيْهَا ، وَلَا اسْتِعَانَةٍ بِشَيْءٍ مِنْهَا عَلَيْهَا ، وَلَا لِانْصِرَافٍ مِنْ حَالِ وَحْشَةٍ إِلَى حَالِ اسْتِئْنَاسٍ ، وَلَا مِنْ حَالِ جَهْلٍ وَعَمًى إِلَى حَالِ عِلْمٍ وَالْتِمَاسٍ . وَلَا مِنْ فَقْرٍ وَحَاجَةٍ

---

(١) لم يتكاءده : لم يشق عليه . ولم يؤده : لم يثقله . و برأه مرادف لخلقه (٢) الند ـ بالكسر ـ المثل . والمكاثرة : المغالبة بالكثرة يقال كاثره فكثره أى غلبه . والمثاور

إِلَى غِنًى وَكَثْرَةٍ . وَلا مِنْ ذُلٍّ وَضَعَةٍ إِلَى عِزٍّ وَقُدْرَةٍ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَلَا بِأَبِي وَأُمِّي هُمْ مِنْ عِدَّةٍ أَسْمَاؤُهُمْ فِي ٱلسَّمَاءِ مَعْرُوفَةٌ ، وَفِي ٱلْأَرْضِ مَجْهُولَةٌ(١) ، أَلَا فَتَوَقَّعُوا مَا يَكُونُ مِنْ إِدْبَارِ أُمُورِكُمْ ، وَٱنْقِطَاعِ وَصْلِكُمْ ، وَٱسْتِعْمَالِ صِغَارِكُمْ . ذَاكَ حَيْثُ تَكُونُ ضَرْبَةُ ٱلسَّيْفِ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِ أَهْوَنَ مِنَ ٱلدِّرْهَمِ مِنْ حِلِّهِ(٢) . ذَاكَ حَيْثُ يَكُونُ ٱلْمُعْطَى أَعْظَمَ أَجْرًا مِنَ ٱلْمُعْطِي(٣) . ذَاكَ حَيْثُ تَسْكَرُونَ مِنْ غَيْرِ شَرَابٍ ، بَلْ مِنَ ٱلنِّعْمَةِ وَٱلنَّعِيمِ ، وَتَحْلِفُونَ مِنْ غَيْرِ ٱضْطِرَارٍ ، وَتَكْذِبُونَ مِنْ غَيْرِ إِحْرَاجٍ(٤) . ذَلِكَ إِذَا عَضَّكُمُ ٱلْبَلَاءُ كَمَا يَعَضُّ ٱلْقَتَبُ غَارِبَ ٱلْبَعِيرِ(٥) . مَا أَطْوَلَ هٰذَا ٱلْعَنَاءَ وَأَبْعَدَ هٰذَا ٱلرَّجَاءَ

---

(١) يريد أهل الحق الذين سترتهم ظلمة الباطل فى الأرض فجهلهم أهلها وأشرقت بواطنهم فأضاءت بها السموات العلى فعرفهم سكانها (٢) لفساد المكاسب واختلاط الحرام بالحلال (٣) أى حيث يكون الخير فى الفقراء ويعم الشر جميع الأغنياء فيعطى الغنى سرفا وتبذيرا ، وينفق الفقير مايأخذ من مال الغنى فى وجهه الشرعى (٤) الاحراج : التضييق (٥) القتب : محركا الاكاف . والغارب : مابين العنق والسنام

أيُّهَا ٱلنَّاسُ أَلْقُوا هٰذِهِ ٱلْأَزِمَّةَ ٱلَّتِي تَحْمِلُ ظُهُورُهَا ٱلْأَثْقَالَ مِنْ أَيْدِيكُمْ(١) ، وَلَا تَصَدَّعُوا عَلَى سُلْطَانِكُمْ فَتَذُمُّوا غِبَّ فِعَالِكُمْ . وَلَا تَقْتَحِمُوا مَا ٱسْتَقْبَلْتُمْ مِنْ فَوْرِ نَارِ ٱلْفِتْنَةِ(٢) . وَأَمِيطُوا عَنْ سَنَنِهَا(٣) ، وَخَلُّوا قَصْدَ ٱلسَّبِيلِ لَهَا . فَقَدْ لَعَمْرِي يَهْلِكُ فِي لَهَبِهَا ٱلْمُؤْمِنُ وَيَسْلَمُ فِيهَا غَيْرُ ٱلْمُسْلِمِ

إِنَّمَا مَثَلِي بَيْنَكُمْ مَثَلُ ٱلسِّرَاجِ فِي ٱلظُّلْمَةِ يَسْتَضِيءُ بِهِ مَنْ وَلَجَهَا . فَٱسْمَعُوا أَيُّهَا ٱلنَّاسُ وَعُوا ، وَأَحْضِرُوا آذَانَ قُلُوبِكُمْ تَفْهَمُوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أُوصِيكُمْ أَيُّهَا ٱلنَّاسُ بِتَقْوَى ٱللهِ وَكَثْرَةِ حَمْدِهِ عَلَى آلَائِهِ إِلَيْكُمْ ، وَنَعْمَائِهِ عَلَيْكُمْ ، وَبَلَائِهِ لَدَيْكُمْ(٤) . فَكَمْ خَصَّكُمْ بِنِعْمَةٍ ، وَتَدَارَكَكُمْ بِرَحْمَةٍ : أَعْوَرْتُمْ لَهُ فَسَتَرَكُمْ(٥) ، وَتَعَرَّضْتُمْ لِأَخْذِهِ

---

(١) الأزمة ـ كأئمة ـ جمع زمام . والمراد بظهورها ظهور المزمومات بها . والكلام تجوز عن ترك الآراء الفاسدة التي يقادبها قوم يحملون أثقالا من الأوزار . ولا تصدعوا أي لاتفرقوا ولا تختلفوا على امامكم فتقبح عاقبتكم فتذموها (٢) فور النار : ارتفاع لهبها، أي لاترموا بأنفسكم في الفتنة التي تقبلون عليها (٣) أميطوا أي تنحوا عن طريقها وميلوا عن وجهة سيرها وخلوا لها سبيلها التي استقامت عليها (٤) البلاء : الاحسان (٥) أعورتم له أي ظهرت له عوراتكم وعيوبكم . ولأخذه، أي أن يأخذكم

فَأَمْهَلَكُمْ . وَأُوصِيكُمْ بِذِكْرِ الْمَوْتِ وَإِقْلَالِ الْغَفْلَةِ عَنْهُ . وَكَيْفَ غَفْلَتُكُمْ عَمَّا لَيْسَ يُغْفِلُكُمْ[1] ، وَطَمَعُكُمْ فِيمَنْ لَيْسَ يُمْهِلُكُمْ . فَكَفَى وَاعِظاً بِمَوْتَى عَايَنْتُمُوهُمْ . حُمِلُوا إِلَى قُبُورِهِمْ غَيْرَ رَاكِبِينَ[2] ، وَأُنْزِلُوا فِيهَا غَيْرَ نَازِلِينَ . فَكَأَنَّهُمْ لَمْ يَكُونُوا لِلدُّنْيَا عُمَّارًا ، وَكَأَنَّ الْآخِرَةَ لَمْ تَزَلْ لَهُمْ دَارًا . أَوْحَشُوا مَا كَانُوا يُوطِنُونَ[3] ، وَأَوْطَنُوا مَا كَانُوا يُوحِشُونَ . وَاشْتَغَلُوا بِمَا فَارَقُوا ، وَأَضَاعُوا مَا إِلَيْهِ انْتَقَلُوا . لَا عَنْ قَبِيحٍ يَسْتَطِيعُونَ انْتِقَالًا ، وَلَا فِي حَسَنٍ يَسْتَطِيعُونَ ازْدِيَادًا . أَنِسُوا بِالدُّنْيَا فَغَرَّتْهُمْ ، وَوَثِقُوا بِهَا فَصَرَعَتْهُمْ . فَسَابِقُوا - رَحِمَكُمُ اللهُ - إِلَى مَنَازِلِكُمُ الَّتِي أُمِرْتُمْ أَنْ تَعْمُرُوهَا . وَالَّتِي رُغِّبْتُمْ فِيهَا وَدُعِيتُمْ إِلَيْهَا . وَاسْتَتِمُّوا نِعَمَ اللهِ عَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْمُجَانَبَةِ لِمَعْصِيَتِهِ فَإِنَّ غَدًا مِنَ الْيَوْمِ قَرِيبٌ . مَا أَسْرَعَ السَّاعَاتِ فِي الْيَوْمِ ، وَأَسْرَعَ الْأَيَّامَ فِي الشَّهْرِ ، وَأَسْرَعَ الشُّهُورَ فِي السَّنَةِ ، وَأَسْرَعَ السِّنِينَ فِي الْعُمْرِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَمِنَ الْإِيمَانِ مَا يَكُونُ ثَابِتاً مُسْتَقِرًّا فِي الْقُلُوبِ . وَمِنْهُ مَا يَكُونُ

بالعقاب (١) أغفله : سها عنه وتركه (٢) إنما يقال ركب ونزل حقيقة لمن فعل بارادته (٣) أوطن المكان : اتخذه وطناً . وأوحشه : هجره حتى لا أنيس منه به. وقوله واشتغلوا

عَوَارِيَ بَيْنَ الْقُلُوبِ وَالصُّدُورِ إِلَى أَجَلٍ مَعْلُومٍ(١) . فَإِذَا كَانَتْ لَكُمْ بَرَاءَةٌ مِنْ أَحَدٍ فَقِفُوهُ حَتَّى يَحْضُرَهُ الْمَوْتُ(٢) ، فَعِنْدَ ذَلِكَ يَقَعُ حَدُّ الْبَرَاءَةِ . وَالْهِجْرَةُ قَائِمَةٌ عَلَى حَدِّهَا الْأَوَّلِ(٣) . مَا كَانَ لِلَّهِ فِي أَهْلِ الْأَرْضِ حَاجَةٌ مِنْ مُسْتَسِرِّ الْإِمَّةِ وَمُعْلَنِهَا(٤) . لَا يَقَعُ اسْمُ الْهِجْرَةِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا بِمَعْرِفَةِ الْحُجَّةِ فِي الْأَرْضِ . فَمَنْ عَرَفَهَا وَأَقَرَّ بِهَا فَهُوَ مُهَاجِرٌ . وَلَا يَقَعُ اسْمُ الِاسْتِضْعَافِ عَلَى مَنْ بَلَغَتْهُ الْحُجَّةُ فَسَمِعَتْهَا أُذُنُهُ وَوَعَاهَا قَلْبُهُ .

إِنَّ أَمْرَنَا صَعْبٌ مُسْتَصْعَبٌ ، لَا يَحْمِلُهُ إِلَّا عَبْدٌ مُؤْمِنٌ امْتَحَنَ اللَّهُ قَلْبَهُ لِلْإِيمَانِ ، وَلَا يَعِي حَدِيثَنَا إِلَّا صُدُورٌ أَمِينَةٌ وَأَحْلَامٌ رَزِينَةٌ(٥)

أى وكانوا اشتغلوا بالدنيا التى فارقوها وأضاعوا العاقبة التى انتقلوا اليها (١) عوارى الخ . كناية عن كونه زعماً بغير فهم (٢) إذا ارتبتم فى أحد وأردتم البراءة فلا تسارعوا لذلك وانتظروا به الموت عسى أن تدركه التوبة (٣) أى لم يزل حكمها الوجوب على من بلغته دعوة الاسلام ورضى الاسلام دينا وهو المراد بمعرفة الحجة الآتى فى الكلام. فلا يجوز لمسلم أن يقيم فى بلاد حرب على المسلمين ولا أن يقبل سلطان غير المسلم بل تجب عليه الهجرة إلا إذا تعذر عليه ذلك لمرض أو عدم نفقة فيكون من المستضعفين المعفو عنهم . وقول النبى صلى الله عليه وسلم « لاهجرة بعد الفتح » محمول على الهجرة من مكة (٤) استسر الأمر : كتمه . والامة ــ بكسر الهمزة ــ الحالة ، و بضمها الطاعة. أى أن الهجرة فرضت على المكلفين لمصلحتهم والا فالله لاحاجة به إلى مضمر إيمانه فى بلاد الكفر ، ولا إلى معلنه فى ديار الاسلام (٥) أحلام : عقول

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ سَلُونِي قَبْلَ أَنْ تَفْقِدُونِي ، فَلَأَنَا بِطُرُقِ ٱلسَّمَاءِ أَعْلَمُ مِنِّي بِطُرُقِ ٱلْأَرْضِ، قَبْلَ أَنْ تَشْغَرَ بِرِجْلِهَا فِتْنَةٌ تَطَأُ فِي خِطَامِهَا[1]، وَتَذْهَبُ بِأَحْلَامِ قَوْمِهَا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَحْمَدُهُ شُكْرًا لِإِنْعَامِهِ، وَأَسْتَعِينُهُ عَلَى وَظَائِفِ حُقُوقِهِ . عَزِيزُ ٱلْجُنْدِ عَظِيمُ ٱلْمَجْدِ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ دَعَا إِلَى طَاعَتِهِ ، وَقَاهَرَ أَعْدَاءَهُ جِهَادًا عَلَى دِينِهِ . لَا يَثْنِيهِ عَنْ ذَٰلِكَ ٱجْتِمَاعٌ عَلَى تَكْذِيبِهِ وَٱلْتِمَاسٌ لِإِطْفَاءِ نُورِهِ . فَٱعْتَصِمُوا بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّ لَهَا حَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ[2]. وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ فِي غَمَرَاتِهِ. وَٱمْهَدُوا لَهُ قَبْلَ حُلُولِهِ، وَأَعِدُّوا لَهُ قَبْلَ نُزُولِهِ. فَإِنَّ ٱلْغَايَةَ ٱلْقِيَامَةُ. وَكَفَى بِذَٰلِكَ وَاعِظًا لِمَنْ عَقَلَ، وَمُعْتَبَرًا لِمَنْ جَهِلَ. وَقَبْلَ بُلُوغِ ٱلْغَايَةِ مَا تَعْلَمُونَ مِنْ ضِيقِ ٱلْأَرْمَاسِ[3]، وَشِدَّةِ ٱلْإِبْلَاسِ.

(١) شغر برجله: رفعها. ثم الجملة كناية عن كثرة مداخل الفساد فيها. من قولهم بلدة شاغرة برجلها أى معرضة للغارة لا تمتنع عنها . وتطأ فى خطامها أى تتعثر فيه ، كناية عن ارسالها وطيشها وعدم قائدها . أما قوله عليه السلام فلأنا بطرق السماء أعلم الخ، فالقصد به أنه فى العلوم الملكوتية والمعارف الالهية أوسع احاطة منه بالعلوم الصناعية . وفى تلك تظهر مزية العقول العالية والنفوس الرفيعة . وبها ينال الرشد ويستضىء الفكر (٢) المعقل ــ كمسجد ــ الملجأ . وذروة كل شىء : أعلاه . ومبادرة الموت : سبقه بالأعمال الصالحة ، وفى غمراته حال من الموت . والغمرات : الشدائد . ومهد ــ كمنع ــ معناه هنا عمل (٣) الأرماس : القبور ــ جمع رمس ــ وأصله اسم للتراب. والابلاس حزن فى خذلان ويأس.

وَهَوْلِ ٱلْمُطَّلَعِ، وَرَوْعَاتِ ٱلْفَزَعِ. وَٱخْتِلَافِ ٱلْأَضْلَاعِ وَإِسْتِكَاكِ ٱلْأَسْمَاعِ. وَظُلْمَةِ ٱللَّحْدِ، وَخِيفَةِ ٱلْوَعْدِ. وَغَمِّ ٱلضَّرِيحِ، وَرَدْمِ ٱلصَّفِيحِ

فَاللهَ ٱللهَ عِبَادَاللهِ فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مَاضِيَةٌ بِكُمْ عَلَى سَنَنٍ، وَأَنْتُمْ وَٱلسَّاعَةُ فِي قَرَنٍ[1]. وَكَأَنَّهَا قَدْ جَاءَتْ بِأَشْرَاطِهَا، وَأَزِفَتْ بِأَفْرَاطِهَا، وَوَقَفَتْ بِكُمْ عَلَى صِرَاطِهَا. وَكَأَنَّهَا قَدْ أَشْرَفَتْ بِزَلَازِلِهَا، وَأَنَاخَتْ بِكَلَاكِلِهَا[2]. وَٱنْصَرَمَتِ ٱلدُّنْيَا بِأَهْلِهَا، وَأَخْرَجَتْهُمْ مِنْ حِضْنِهَا. فَكَانَتْ كَيَوْمٍ مَضَى أَوْ شَهْرٍ ٱنْقَضَى. وَصَارَ جَدِيدُهَا رَثًّا[3]، وَسَمِينُهَا غَثًّا. فِي مَوْقِفٍ ضَنْكِ ٱلْمَقَامِ، وَأُمُورٍ مُشْتَبِهَةٍ عِظَامٍ. وَنَارٍ شَدِيدٍ كَلَبُهَا[4]، عَالٍ لَجَبُهَا سَاطِعٍ لَهَبُهَا، مُتَغَيِّظٍ زَفِيرُهَا، مُتَأَجِّجٍ سَعِيرُهَا، بَعِيدٍ خُمُودُهَا، ذَاكٍ

والمطلع بضم فتشديد مع فتح : المنزلة التى منها يشرف الانسان على أمور الآخرة وهى منزلة البرزخ. وأصل المطلع موضع الاطلاع من ارتفاع إلى انحدار. واختلاف الأضلاع دخول بعضها فى موضع الآخر من شدة الضغط. واستكاك الأسماع: صممها من التراب أو الأصوات الهائلة. والضريح: اللحد. والردم: السد. والصفيح: الحجر العريض. والمراد مايسد به القبر (١) طريق معروف تفعل بكم فعلها بمن سبقكم. والقرن ــ محركا ــ الحبل يقرن به البعيران، كناية عن القرب وأن لا بد منها. والأشراط: العلامات. وأزفت: قربت. والافراط ــ جمع فرط ــ بسكون الراء وهو العلم المستقيم يهتدى به أى بدلائلها (٢) الكلاكل: الصدور كناية عن الأثقال (٣) الرث: البالى. والغث: المهزول (٤) الكلب ــ محركا ــ أكل بلا شبع. واللجب: الصياح أو الاضطراب. والتغيظ:

وَقُودُهَا ، مُخِيفٍ وَعِيدُهَا ، غَمٍّ قَرَارُهَا[1] ، مُظْلِمَةٍ أَقْطَارُهَا . حَامِيَةٍ قُدُورُهَا ، فَظِيعَةٍ أُمُورُهَا « وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا » قَدْ أُمِنَ ٱلْعَذَابُ ، وَٱنْقَطَعَ ٱلْعِتَابُ . وَزُحْزِحُوا عَنِ ٱلنَّارِ ، وَٱطْمَأَنَّتْ بِهِمُ ٱلدَّارُ ، وَرَضُوا ٱلْمَثْوَى وَٱلْقَرَارَ . ٱلَّذِينَ كَانَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي ٱلدُّنْيَا زَاكِيَةً ، وَأَعْيُنُهُمْ بَاكِيَةً . وَكَانَ لَيْلُهُمْ فِي دُنْيَاهُمْ نَهَارًا ، تَخَشُّعًا وَٱسْتِغْفَارًا . وَكَانَ نَهَارُهُمْ لَيْلًا تَوَحُّشًا وَٱنْقِطَاعًا[2] . فَجَعَلَ ٱللهُ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ مَآبًا ، وَٱلْجَزَاءَ ثَوَابًا . وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا . فِي مُلْكٍ دَائِمٍ ، وَنَعِيمٍ قَائِمٍ

فَارْعَوْا عِبَادَ ٱللهِ مَا بِرِعَايَتِهِ يَفُوزُ فَائِزُكُمْ . وَبِإِضَاعَتِهِ يَخْسَرُ مُبْطِلُكُمْ . وَبَادِرُوا آجَالَكُمْ بِأَعْمَالِكُمْ . فَإِنَّكُمْ مُرْتَهَنُونَ بِمَا أَسْلَفْتُمْ ، وَمَدِينُونَ بِمَا قَدَّمْتُمْ . وَكَأَنْ قَدْ نَزَلَ بِكُمُ ٱلْمَخُوفُ . فَلَا رَجْعَةً تَنَالُونَ ، وَلَا عَثْرَةً تُقَالُونَ ، إِسْتَعْمَلَنَا ٱللهُ وَإِيَّاكُمْ بِطَاعَتِهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ، وَعَفَا عَنَّا وَعَنْكُمْ بِفَضْلِ رَحْمَتِهِ

إِلْزَمُوا ٱلْأَرْضَ[3] ، وَٱصْبِرُوا عَلَى ٱلْبَلَاءِ . وَلَا تُحَرِّكُوا بِأَيْدِيكُمْ

الهيجان. والزفير صوت توقد النار . وذكت النار: اشتد لهيبها (١) غم: صفة من غمه إذا غطاه، أى مستور قرارها المستقر فيه أهلها (٢) لايريد من التوحش النفرة من الناس والجفوة فى معاملتهم بل يريد عدم الاستئناس بشؤون الدنيا والركون اليها (٣) لزوم الأرض كناية عن السكون، ينصحهم به عند عدم توفر أسباب المغالبة، و ينهاهم

وَسُيُوفِكُمْ فِي هَوَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَلَا تَسْتَعْجِلُوا بِمَا لَمْ يُعَجِّلْهُ اللهُ لَكُمْ . فَإِنَّهُ مَنْ مَاتَ مِنْكُمْ عَلَى فِرَاشِهِ وَهُوَ عَلَى مَعْرِفَةِ حَقِّ رَبِّهِ وَحَقِّ رَسُولِهِ وَأَهْلِ بَيْتِهِ مَاتَ شَهِيدًا وَوَقَعَ أَجْرُهُ عَلَى اللهِ ، وَاسْتَوْجَبَ ثَوَابَ مَا نَوَى مِنْ صَالِحِ عَمَلِهِ . وَقَامَتِ النِّيَّةُ مَقَامَ إِصْلَاتِهِ لِسَيْفِهِ . وَإِنَّ لِكُلِّ شَيْءٍ مُدَّةً وَأَجَلًا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اَلْحَمْدُ لِلّٰهِ الْفَاشِي حَمْدُهُ ، وَالْغَالِبِ جُنْدُهُ ، وَالْمُتَعَالِي جَدُّهُ(١) . أَحْمَدُهُ عَلَى نِعَمِهِ التُّؤَامِ(٢) ، وَآلَائِهِ الْعِظَامِ . الَّذِي عَظُمَ حِلْمُهُ فَعَفَا ، وَعَدَلَ فِي كُلِّ مَا قَضَى ، وَعَلِمَ مَا يَمْضِي وَمَا مَضَى . مُبْتَدِعِ الْخَلَائِقِ بِعِلْمِهِ . وَمُنْشِئِهِمْ بِحُكْمِهِ ، بِلَا اقْتِدَاءٍ وَلَا تَعْلِيمٍ ، وَلَا احْتِذَاءٍ لِمِثَالِ صَانِعٍ حَكِيمٍ . وَلَا إِصَابَةِ خَطَإٍ وَلَا حَضْرَةِ مَلَإٍ وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ . ابْتَعَثَهُ وَالنَّاسُ يَضْرِبُونَ فِي غَمْرَةٍ(٣) ، وَيَمُوجُونَ فِي حَيْرَةٍ . قَدْ قَادَتْهُمْ أَزِمَّةُ الْحَيْنِ ، وَاسْتَغْلَقَتْ عَلَى أَفْئِدَتِهِمْ أَقْفَالُ الرَّيْنِ.

عن التعجل بحمل السلاح تثبيتاً لقول يقوله أحدهم فى غير وقته، ويأمرهم بالحكمة فى العمل لايأتونه إلا عند رجحان نجحه. واصلات السيف: سله (١) الفاشى : المنتشر. والجد ـ بالفتح ـ العظمة (٢) جمع توأم ـ كجعفر ـ وهو المولود مع غيره فى بطن ، وهو مجاز عن الكثير أو المتواصل (٣) ضرب فى الماء: سبح. وضرب فى الأرض: سار بسرعة

أُوصِيكُمْ عِبَادَ ٱللهِ بِتَقْوَى ٱللهِ فَإِنَّهَا حَقُّ ٱللهِ عَلَيْكُمْ ، وَٱلْمُوجِبَةُ عَلَى ٱللهِ حَقَّكُمْ(١) . وَأَنْ تَسْتَعِينُوا عَلَيْهَا بِاللهِ وَتَسْتَعِينُوا بِهَا عَلَى ٱللهِ . فَإِنَّ ٱلتَّقْوَى فِي ٱلْيَوْمِ ٱلْحِرْزُ وَٱلْجُنَّةُ ، وَفِي غَدٍ ٱلطَّرِيقُ إِلَى ٱلْجَنَّةِ . مَسْلَكُهَا وَاضِحٌ ، وَسَالِكُهَا رَابِحٌ ، وَمُسْتَوْدَعُهَا حَافِظٌ(٢) . لَمْ تَبْرَحْ عَارِضَةً نَفْسَهَا عَلَى ٱلْأُمَمِ ٱلْمَاضِينَ وَٱلْغَابِرِينَ لِحَاجَتِهِمْ إِلَيْهَا غَدًا إِذَا أَعَادَ ٱللهُ مَا أَبْدَى ، وَأَخَذَ مَا أَعْطَى ، وَسَأَلَ مَا أَسْدَى(٣) . فَمَا أَقَلَّ مَنْ قَبِلَهَا وَحَمَلَهَا حَقَّ حَمْلِهَا . أُولٰئِكَ ٱلْأَقَلُّونَ عَدَدًا . وَهُمْ أَهْلُ صِفَةِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ إِذْ يَقُولُ : « وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ » . فَأَهْطِعُوا بِأَسْمَاعِكُمْ إِلَيْهَا(٤) ، وَكُظُّوا بِجِدِّكُمْ عَلَيْهَا . وَٱعْتَاضُوهَا مِنْ كُلِّ سَلَفٍ خَلَفًا ، وَمِنْ كُلِّ مُخَالِفٍ مُوَافِقًا . أَيْقِظُوا بِهَا نَوْمَكُمْ ،

وأبعد . والغمرة : الماء الكثير والشدة . والمراد هنا إما شدة الفتن و بلاياها أو شدة الجهل و رزاياه . والأزمة ـ جمع زمام ـ ما تقاد به الدابة . والحين ـ بفتح الحاء ـ الهلاك. والرين ـ بفتح الراء ـ التغطية والحجاب وهو هنا حجاب الضلال (١) جرى في الكلام على نحو قوله تعالى « وكان حقاً علينا نصر المؤمنين » يريد أن التقوى جعلها الله سببا لاستحقاق ثوابه ومعينة على رضائه . والجنة ـ بضم الجيم ـ الوقاية و بفتحها دار الثواب (٢) مستودع التقوى هو الذي تكون التقوى وديعة عنده وهو الله (٣) أسدى : منح وأعطى (٤) الاهطاع : الاسراع، أهطع البعير: مد عنقه وصوب رأسه،

وَاقْطَعُوا بِهَا يَوْمَكُمْ . وَأَشْعِرُوهَا قُلُوبَكُمْ ، وَارْحَضُوا بِهَا ذُنُوبَكُمْ[١] ، وَدَاوُوا بِهَا الْأَسْقَامَ ، وَبَادِرُوا بِهَا الْحِمَامَ . وَاعْتَبِرُوا بِمَنْ أَضَاعَهَا ، وَلَا يَعْتَبِرَنَّ بِكُمْ مَنْ أَطَاعَهَا[٢] . أَلَا فَصُونُوهَا وَتَصَوَّنُوا بِهَا[٣] ، وَكُونُوا عَنِ الدُّنْيَا نُزَّاهًا ، وَإِلَى الْآخِرَةِ وُلَّاهًا . وَلَا تَضَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ التَّقْوَى ، وَلَا تَرْفَعُوا مَنْ رَفَعَتْهُ الدُّنْيَا . وَلَا تَشِيمُوا بَارِقَهَا[٤] وَلَا تَسْتَمِعُوا نَاطِقَهَا ، وَلَا تُجِيبُوا نَاعِقَهَا . وَلَا تَسْتَضِيئُوا بِإِشْرَاقِهَا ، وَلَا تُفْتَنُوا بِأَعْلَاقِهَا ، فَإِنَّ بَرْقَهَا خَالِبٌ[٥] وَنُطْقَهَا كَاذِبٌ . وَأَمْوَالَهَا مَحْرُوبَةٌ ، وَأَعْلَاقَهَا مَسْلُوبَةٌ . أَلَا وَهِيَ الْمُتَصَدِّيَةُ الْعَنُونُ[٦] ، وَالْجَامِحَةُ الْحَرُونُ

---

(١) رحض ـ كمنع ـ غسل. والحمام ـ ككتاب ـ الموت (٢) أى لا تكونوا عبرة يتعظ بسوء مصيركم من أطاع التقوى وأدى حقوقها (٣) تصونوا : تحفظوا . والنزاه ـ جمع نازه ـ العفيف النفس . والولاه ـ جمع واله ـ الحزين على الشىء حتى يناله أى المشتاق (٤) شام البرق : نظر اليه أين يمطر . والبارق : السحاب ، أى لا تنظروا لما يغركم من مطامعها . والأعلاق ـ جمع علق ـ بالكسر بمعنى النفيس (٥) خالب : خادع. والمحروبة: المنهوبة (٦) المتصدية: المرأة تتعرض للرجال تميلهم إليها ، ومن الدواب ماتمشى معترضة خابطة . ـ والعنون ـ بفتح فضم ـ مبالغة من عن إذا ظهر، ومن الدواب المتقدمة فى السير، شبه الدنيا بالمرأة المتبرجة المستميلة ، أو بالدابة تسبق الدواب وان لم يدم تقدمها ، أو الخابطة على غير طريق . والجامحة : الصعبة على راكبها . والحرون التى إذا طلب بها السير وقفت والمائنة : الكاذبة . والخؤون : مبالغة فى الخائنة . والكنود ـ من كند ـ كنصر : كفر النعمة . وجحد الحق : أنكره وهو به عالم . والعنود : شديدة العناد . والصدود : كثيرة الصد والهجر . والحيود مبالغة فى الحيد : بمعنى الميل . والميود ـ من ماد ـ إذا اضطرب. يريد بهذه الأوصاف أن الدنيا فى طبيعتها لؤم فمن سالمها حاربته ، ومن

وَالْمَائِنَةُ الْخَؤُونُ . وَالْجَحُودُ الْكَنُودُ ، وَالْعَنُودُ الصَّدُودُ ، وَالْحَيُودُ الْمَيُودُ . حَالُهَا انْتِقَالٌ ، وَوَطْأَتُهَا زِلْزَالٌ ، وَعِزُّهَا ذُلٌّ ، وَجِدُّهَا هَزْلٌ ، وَعُلْوُهَا سُفْلٌ . دَارُ حَرَبٍ وَسَلَبٍ(١) ، وَنَهْبٍ وَعَطَبٍ . أَهْلُهَا عَلَى سَاقٍ وَسِيَاقٍ ، وَلَحَاقٍ وَفِرَاقٍ(٢) . قَدْ تَحَيَّرَتْ مَذَاهِبُهَا ، وَأَعْجَزَتْ مَهَارِبُهَا(٣) ، وَخَابَتْ مَطَالِبُهَا . فَأَسْلَمَتْهُمُ الْمَعَاقِلُ ، وَلَفَظَتْهُمُ الْمَنَازِلُ ، وَأَعْيَتْهُمُ الْمَحَاوِلُ(٤) . فَمِنْ نَاجٍ مَعْقُورٍ(٥) ، وَلَحْمٍ مَجْزُورٍ ، وَشِلْوٍ مَذْبُوحٍ ، وَدَمٍ مَسْفُوحٍ . وَعَاضٍّ عَلَى يَدَيْهِ ، وَصَافِقٍ بِكَفَّيْهِ ، وَمُرْتَفِقٍ بِخَدَّيْهِ(٦) ، وَزَارٍ عَلَى رَأْيِهِ ، وَرَاجِعٍ عَنْ عَزْمِهِ . وَقَدْ أَدْبَرَتِ

حار بها سالمته (١) الحرب ـ بالتحريك ـ سلب المال . والعطب : الهلاك (٢) أى قائمون على ساق استعدادا لما ينتظرون من آجالهم. والسياق مصدر ساق فلانا إذا أصاب ساقه، أى ولا يلبثون أن يضربوا على سوقهم فينكبوا للموت على وجوههم، أو هو السياق بمعنى الشروع فى نزع الروح من ساق المريض سياقا. واللحاق للماضين ، والفراق عن الباقين (٣) تحير المذاهب: حيرة الناس فيها. والمهارب أعجزت الناس عن الهروب لأنها ليست كما يرونها مهارب بل هى مهالك (٤) المحاول ـ جمع محال بفتح الميم ـ أو محالة بمعنى الحذق وجودة النظر، أى لم يفدهم ذلك خلاصا (٥) أى فنهم ناج من الموت معقور أى مجروح، أو هو من عقر الشاة والبعير إذا ضرب ساقه بالسيف وهو قائم، والمجزور : المسلوخ أخذ عنه جلده . والشلو ـ بالكسر ـ هنا البدن كله. والمسفوح المسفوك (٦) المرتفق بخديه : واضع خديه على مرفقيه ومرفقيه على ركبتيه منصوبتين وهو جالس على أليتيه. وهذه الأوصاف كناية عن الندم على التفريط والافراط . والزارى

ٱلْحِيلَةُ وَأَقْبَلَتِ ٱلْغِيلَةُ[١] ، وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ . وَهَيْهَاتَ هَيْهَاتَ قَدْ فَاتَ مَافَاتَ وَذَهَبَ مَا ذَهَبَ ،وَمَضَتِ الدُّنْيَا لِحَالِ بَالِهَا[٢] «فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَاءُوَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ »

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ تُسَمَّى ٱلْقَاصِعَة[٣]

وَهِيَ تَتَضَمَّنُ ذَمَّ إِبْلِيسَ عَلَى ٱسْتِكْبَارِهِ وَتَرْكِهِ ٱلسُّجُودَ لِآدَمَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وَأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ أَظْهَرَ ٱلْعَصَبِيَّةَ[٤] وَتَبِعَ ٱلْحَمِيَّةَ وَتَحْذِيرَ ٱلنَّاسِ مِنْ سُلُوكِ طَرِيقَتِهِ

ٱلْحَمْدُ لِلّٰهِ ٱلَّذِي لَبِسَ ٱلْعِزَّ وَٱلْكِبْرِيَاءَ وَٱخْتَارَهُمَا لِنَفْسِهِ دُونَ خَلْقِهِ ، وَجَعَلَهُمَا حِمًى وَحَرَمًا عَلَى غَيْرِهِ[٥]، وَٱصْطَفَاهُمَا لِجَلَالِهِ، وَجَعَلَ ٱللَّعْنَةَ عَلَى مَنْ نَازَعَهُ فِيهِمَا مِنْ عِبَادِهِ . ثُمَّ ٱخْتَبَرَ بِذَلِكَ مَلَائِكَتَهُ

على رأيه المقبح له اللائم لنفسه عليه (١) الغيلة : الشر الذى أضمرته الدنيا فى خداعها. ولات حين مناص أى ليس الوقت وقت التملص والفرار (٢) البال : القلب والخاطر. والمراد ذهبت على ما تهواه لا على مايريد أهلها (٣) من قصع فلان فلانا : أى حقره لأنه عليه السلام حقر فيها حال المتكبرين، أومن قصع الماء عطشه إذا أزاله، لأن سامعها لو كان متكبرا ذهب تأثيرها بكبره كما يذهب الماء بالعطش (٤) الاعتزاز بالعصبة وهى قوم الرجل الذين يدافعون عنه ، واستعمال قوتهم فى الباطل والفساد فهى هنا عصبية الجهل، كما أن الحمية حمية الجاهلية. أما التناصر فى الحق والحمية عليه فهو أمر محمود فى جميع أحواله، والسكر على الباطل تواضع للحق (٥) الحمى : ماحميته عن وصول الغير إليه

ٱلْمُقَرَّبِينَ لِيَمِيزَ ٱلْمُتَوَاضِعِينَ مِنْهُمْ مِنَ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ وَهُوَ ٱلْعَالِمُ بِمُضْمَرَاتِ ٱلْقُلُوبِ ، وَمَحْجُوبَاتِ ٱلْغُيُوبِ : « إِنِّي خَالِقٌ بَشَرًا مِنْ طِينٍ فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِنْ رُوحِي فَقَعُوا لَهُ سَاجِدِينَ فَسَجَدَ ٱلْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ إِلَّا إِبْلِيسَ » ٱعْتَرَضَتْهُ ٱلْحَمِيَّةُ فَافْتَخَرَ عَلَى آدَمَ بِخَلْقِهِ ، وَتَعَصَّبَ عَلَيْهِ لِأَصْلِهِ . فَعَدُوُّ ٱللهِ إِمَامُ ٱلْمُتَعَصِّبِينَ ، وَسَلَفُ ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ، ٱلَّذِي وَضَعَ أَسَاسَ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَنَازَعَ ٱللهَ رِدَاءَ ٱلْجَبَرِيَّةِ . وَادَّرَعَ لِبَاسَ ٱلتَّعَزُّزِ ، وَخَلَعَ قِنَاعَ ٱلتَّذَلُّلِ

أَلَا تَرَوْنَ كَيْفَ صَغَّرَهُ ٱللهُ بِتَكَبُّرِهِ ، وَوَضَعَهُ بِتَرَفُّعِهِ . فَجَعَلَهُ فِي ٱلدُّنْيَا مَدْحُورًا ، وَأَعَدَّ لَهُ فِي ٱلْآخِرَةِ سَعِيرًا

وَلَوْ أَرَادَ ٱللهُ أَنْ يَخْلُقَ آدَمَ مِنْ نُورٍ يَخْطَفُ ٱلْأَبْصَارَ ضِيَاؤُهُ ، وَيَبْهَرُ ٱلْعُقُولَ رُوَاؤُهُ (١) ، وَطِيبٍ يَأْخُذُ ٱلْأَنْفَاسَ عَرْفُهُ لَفَعَلَ . وَلَوْ فَعَلَ لَظَلَّتْ لَهُ ٱلْأَعْنَاقُ خَاضِعَةً ، وَلَخَفَّتِ ٱلْبَلْوَى فِيهِ عَلَى ٱلْمَلَائِكَةِ . وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَبْتَلِي خَلْقَهُ بِبَعْضِ مَا يَجْهَلُونَ أَصْلَهُ تَمْيِيزًا بِالِاخْتِبَارِ لَهُمْ وَنَفْيًا لِلِاسْتِكْبَارِ عَنْهُمْ ، وَإِبْعَادًا لِلْخُيَلَاءِ مِنْهُمْ

فَاعْتَبِرُوا بِمَا كَانَ مِنْ فِعْلِ ٱللهِ بِإِبْلِيسَ إِذْ أَحْبَطَ عَمَلَهُ ٱلطَّوِيلَ

---

(١) الرواء ــ بضم ففتح ــ حسن المنظر . والعرف ــ بالفتح ــ الرائحة والتصرف فيه

وَجَهْدَهُ الْجَهِيدَ ، وَكَانَ قَدْ عَبَدَ اللّٰهَ سِتَّةَ آلَافِ سَنَةٍ لَا يُدْرَى أَمِنْ سِنِي الدُّنْيَا أَمْ سِنِي الْآخِرَةِ عَنْ كِبْرِ سَاعَةٍ وَاحِدَةٍ[١]. فَمَنْ ذَا بَعْدَ إِبْلِيسَ يَسْلَمُ عَلَى اللّٰهِ بِمِثْلِ مَعْصِيَتِهِ[٢]؟ كَلَّا ، مَا كَانَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ لِيُدْخِلَ الْجَنَّةَ بَشَرًا بِأَمْرٍ أَخْرَجَ بِهِ مِنْهَا مَلَكًا إِنْ حُكْمَهُ فِي أَهْلِ السَّمَاءِ وَأَهْلِ الْأَرْضِ لَوَاحِدٌ. وَمَا بَيْنَ اللّٰهِ وَبَيْنَ أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ هَوَادَةٌ فِي إِبَاحَةِ حِمًى حَرَّمَهُ عَلَى الْعَالَمِينَ[٣]

فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنْ يُعْدِيَكُمْ بِدَائِهِ[٤] ، وَأَنْ يَسْتَفِزَّكُمْ بِنِدَائِهِ ، وَأَنْ يُجْلِبَ عَلَيْكُمْ بِخَيْلِهِ وَرَجْلِهِ . فَلَعَمْرِي لَقَدْ فَوَّقَ لَكُمْ سَهْمَ الْوَعِيدِ ، وَأَغْرَقَ لَكُمْ بِالنَّزْعِ الشَّدِيدِ[٥] ، وَرَمَاكُمْ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ[٦] . وَقَالَ : « رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ » قَذْفًا بِغَيْبٍ بَعِيدٍ ، وَرَجْمًا بِظَنٍّ مُصِيبٍ . صَدَّقَهُ بِهِ أَبْنَاءُ الْحَمِيَّةِ[٧] ،

---

(١) عن متعلق بأحبط ، أى أضاع عمله بسبب كبر ساعة (٢) أى يسلم من عقابه ، وكأنه استعمل سلم بمعنى ذهب أو فات فأتى بعلى (٣) الهوادة - بالفتح - اللين والرخصة (٤) أن يصيبكم بشىء من دائه بالمخالطة كما يعدى الأجرب السليم ، والضمير لابليس و يستفزكم : يستنهضكم لما يريد فان تباطأتم عليه أجلب عليكم بخيله أى ركبانه ، ورجله أى مشاته . والمراد أعوان السوء (٥) النزع فى القوس : مدها . وأغرق النازع إذا استوفى مد قوسه (٦) لأنه يجرى من ابن آدم مجرى الدم (٧) صدق ابليس

وَإِخْوَانُ ٱلْعَصَبِيَّةِ ، وَفُرْسَانُ ٱلْكِبْرِ وَٱلْجَاهِلِيَّةِ . حَتَّى إِذَا ٱنْقَادَتْ لَهُ ٱلْجَامِحَةُ مِنْكُمْ[1] ، وَٱسْتَحْكَمَتِ ٱلطَّمَاعِيَةُ مِنْهُ فِيكُمْ ، فَنَجَمَتِ ٱلْحَالُ مِنَ ٱلسِّرِّ ٱلْخَفِيِّ إِلَى ٱلْأَمْرِ ٱلْجَلِيِّ . ٱسْتَفْحَلَ سُلْطَانُهُ عَلَيْكُمْ ، وَدَلَفَ بِجُنُودِهِ نَحْوَكُمْ . فَأَقْحَمُوكُمْ وَلَجَاتِ ٱلذُّلِّ ، وَأَحَلُّوكُمْ وَرَطَاتِ ٱلْقَتْلِ ، وَأَوْطَأُوكُمْ إِثْخَانَ ٱلْجِرَاحَةِ طَعْنًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَحَزًّا فِي حُلُوقِكُمْ ، وَدَقًّا لِمَنَاخِرِكُمْ ، وَقَصْدًا لِمَقَاتِلِكُمْ ، وَسَوْقًا بِخَزَائِمِ ٱلْقَهْرِ إِلَى ٱلنَّارِ ٱلْمُعَدَّةِ . فَأَصْبَحَ أَعْظَمَ فِي دِينِكُمْ جَرْحًا[2] ، وَأَوْرَى فِي دُنْيَاكُمْ قَدْحًا مِنَ ٱلَّذِينَ أَصْبَحْتُمْ لَهُمْ مُنَاصِبِينَ وَعَلَيْهِمْ مُتَأَلِّبِينَ . فَٱجْعَلُوا عَلَيْهِ حَدَّكُمْ[3] ، وَلَهُ جِدَّكُمْ ، فَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ فَخَرَ عَلَى أَصْلِكُمْ ، وَوَقَعَ

فى توعد بنى آدم بالاغواء أولئك الغشماء أبناء الحمية الجاهلية (١) أى استعان ببعضكم على من لم يطعه منكم وهو المراد بالجامحة . والطماعية : الطمع . وقوله فنجمت الخ أى بعد أن كانت وسوسة فى الصدور وهمساً فى القول ظهرت إلى المجاهرة بالنداء ورفع الأيدى بالسلاح . ودلفت الكتيبة فى الحرب : تقدمت . وأقحموكم : أدخلوكم بغتة. والولجات ــ جمع ولجة ــ بالتحريك. كهف يستتر فيه المارة من مطر ونحوه. أوطأه: أركبه. وإثخان الجراحة المبالغة فيها ، أى أركبوكم الجراحات البالغة كناية عن اشعال الفتنة بينهم حتى يتقاتلوا . والخزائم ــ جمع خزامة ككتابة ــ وهى حلقة توضع فى وترة أنف البعير فيشد فيها الزمام (٢) فأصبح أى ابليس. وقوله وأورى الخ أى أشد قدحا للنار فى دنياكم لاتلافها ، وبالجملة فهو أضر عليكم بوساوسه من اخوانكم فى الانسانية الذين أصبحتم لهم مناصبين أى مجاهرين لهم بالعداوة ومتألبين أى مجتمعين (٣) أى غضبكم وحدتكم. وله جدكم ــ بفتح الجيم ــ أى قطعكم، يريد قطع الوصلة بينكم وبينه

فِي حَسَبِكُمْ ، وَدَفَعَ فِي نَسَبِكُمْ ، وَأَجْلَبَ بِخَيْلِهِ عَلَيْكُمْ ، وَقَصَدَ بِرَجْلِهِ سَبِيلَكُمْ . يَقْتَنِصُونَكُمْ بِكُلِّ مَكَانٍ ، وَيَضْرِبُونَ مِنْكُمْ كُلَّ بَنَانٍ[1] . لَا تَمْتَنِعُونَ بِحِيلَةٍ، وَلَا تَدْفَعُونَ بِعَزِيمَةٍ . فِي حَوْمَةِ ذُلٍّ . وَحَلْقَةِ ضِيقٍ . وَعَرْصَةِ مَوْتٍ . وَجَوْلَةِ بَلَاءٍ . فَأَطْفِئُوا مَا كَمَنَ فِي قُلُوبِكُمْ مِنْ نِيرَانِ الْعَصَبِيَّةِ وَأَحْقَادِ الْجَاهِلِيَّةِ ، فَإِنَّمَا تِلْكَ الْحَمِيَّةُ تَكُونُ فِي الْمُسْلِمِ مِنْ خَطَرَاتِ الشَّيْطَانِ وَنَخَوَاتِهِ ، وَنَزَغَاتِهِ وَنَفَثَاتِهِ[2] . وَاعْتَمِدُوا وَضْعَ التَّذَلُّلِ عَلَى رُءُوسِكُمْ ، وَإِلْقَاءَ التَّعَزُّزِ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ، وَخَلْعَ التَّكَبُّرِ مِنْ أَعْنَاقِكُمْ . وَاتَّخِذُوا التَّوَاضُعَ مَسْلَحَةً[3] بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ عَدُوِّكُمْ إِبْلِيسَ وَجُنُودِهِ، فَإِنَّ لَهُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ جُنُودًا وَأَعْوَانًا ، وَرَجْلًا وَفُرْسَانًا. وَلَا تَكُونُوا كَالْمُتَكَبِّرِ عَلَى ابْنِ أُمِّهِ مِنْ غَيْرِ مَا فَضْلٍ جَعَلَهُ اللَّهُ فِيهِ سِوَى مَا أَلْحَقَتِ الْعَظَمَةُ بِنَفْسِهِ مِنْ عَدَاوَةِ الْحَسَدِ ، وَقَدَحَتِ الْحَمِيَّةُ فِي قَلْبِهِ مِنْ نَارِ الْغَضَبِ ، وَنَفَخَ الشَّيْطَانُ فِي أَنْفِهِ مِنْ رِيحِ الْكِبْرِ الَّذِي أَعْقَبَهُ اللَّهُ بِهِ النَّدَامَةَ ، وَأَلْزَمَهُ آثَامَ الْقَاتِلِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ

---

(١) البنان : الأصابع (٢) النخوة : التكبر والتعاظم . والنزغة : المرة من النزغ بمعنى الافساد . والنفثة : النفخة (٣) المسلحة : الثغر يدافع العدو عنده والقوم ذو و السلاح

أَلَا وَقَدْ أَمْعَنْتُمْ فِي الْبَغْيِ (١) ، وَأَفْسَدْتُمْ فِي الْأَرْضِ مُصَارَحَةً لِلّٰهِ بِالْمُنَاصَبَةِ ، وَمُبَارَزَةً لِلْمُؤْمِنِينَ بِالْمُحَارَبَةِ . فَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي كِبْرِ الْحَمِيَّةِ وَفَخْرِ الْجَاهِلِيَّةِ . فَإِنَّهُ مَلَاقِحُ الشَّنَآنِ (٢) وَمَنَافِخُ الشَّيْطَانِ الَّتِي خَدَعَ بِهَا الْأُمَمَ الْمَاضِيَةَ ، وَالْقُرُونَ الْخَالِيَةَ . حَتَّى أَعْنَقُوا فِي حَنَادِسِ جَهَالَتِهِ (٣) ، وَمَهَاوِي ضَلَالَتِهِ ، ذُلُلاً عَلَى سِيَاقِهِ ، سُلُسًا فِي قِيَادِهِ . أَمْرًا تَشَابَهَتِ الْقُلُوبُ فِيهِ ، وَتَتَابَعَتِ الْقُرُونُ عَلَيْهِ . وَكِبْرًا تَضَايَقَتِ الصُّدُورُ بِهِ

أَلَا فَالْحَذَرَ الْحَذَرَ مِنْ طَاعَةِ سَادَاتِكُمْ وَكُبَرَائِكُمُ الَّذِينَ تَكَبَّرُوا عَنْ حَسَبِهِمْ ، وَتَرَفَّعُوا فَوْقَ نَسَبِهِمْ ، وَأَلْقَوُا الْهَجِينَةَ عَلَى رَبِّهِمْ (٤) ، وَجَاحَدُوا اللّٰهَ مَا صَنَعَ بِهِمْ . مُكَابَرَةً لِقَضَائِهِ ، وَمُغَالَبَةً لِآلَائِهِ (٥) . فَإِنَّهُمْ قَوَاعِدُ أَسَاسِ الْعَصَبِيَّةِ . وَدَعَائِمُ أَرْكَانِ الْفِتْنَةِ ، وَسُيُوفُ اعْتِزَاءِ الْجَاهِلِيَّةِ (٦) . فَاتَّقُوا اللّٰهَ وَلَا تَكُونُوا لِنِعَمِهِ عَلَيْكُمْ أَضْدَادًا ، وَلَا لِفَضْلِهِ

---

(١) أمعنتم : بالغتم . والمصارحة : التظاهر (٢) الملاقح – جمع ملقح كمكرم – الفحول التي تلقح الاناث وتستولد الأولاد . والشنآن البغض (٣) أعنقوا : من أعنقت الثريا غابت ، أي غابوا واختفوا . والحنادس – جمع حندس – بكسر الحاء الظلام الشديد . والمهاوي – جمع مهواة – الهوة التي يتردى فيها الصيد . والذلل – جمع ذلول – من الذل بالضم ضد الصعوبة . والسياق هنا السوق . والسلس – بضمتين – جمع سلس – ككتف – السهل . والقياد من أمام كالسوق من خلف (٤) الهجينة : الفعلة القبيحة . والتهجين : التقبيح أي أنهم باحتقار غيرهم من الناس قبحوا خلق الله لهم (٥) الآلاء : النعم (٦) اعتزاء الجاهلية : تفاخرهم بأنسابهم كل منهم يعتزي أي ينتسب إلى أبيه وما فوقه

عِنْدَكُمْ حُسَّادًا . وَلَا تُطِيعُوا الْأَدْعِيَاءَ الَّذِينَ شَرِبْتُمْ بِصَفْوِكُمْ كَدَرَهُمْ ، وَخَلَطْتُمْ بِصِحَّتِكُمْ مَرَضَهُمْ [١] ، وَأَدْخَلْتُمْ فِي حَقِّكُمْ بَاطِلَهُمْ ، وَهُمْ أَسَاسُ الْفُسُوقِ وَأَحْلَاسُ الْعُقُوقِ . اتَّخَذَهُمْ إِبْلِيسُ مَطَايَا ضَلَالٍ . وَجُنْدًا بِهِمْ يَصُولُ عَلَى النَّاسِ . وَتَرَاجِمَةً يَنْطِقُ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ . إِسْتِرَاقًا لِعُقُولِكُمْ وَدُخُولًا فِي عُيُونِكُمْ ، وَنَفْثًا فِي أَسْمَاعِكُمْ . فَجَعَلَكُمْ مَرْمَى نَبْلِهِ [٢] ، وَمَوْطِئَ قَدَمِهِ ، وَمَأْخَذَ يَدِهِ . فَاعْتَبِرُوا بِمَا أَصَابَ الْأُمَمَ الْمُسْتَكْبِرِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَصَوْلَاتِهِ ، وَوَقَائِعِهِ وَمَثُلَاتِهِ [٣] ، وَاتَّعِظُوا بِمَثَاوِي خُدُودِهِمْ [٤] ، وَمَصَارِعِ جُنُوبِهِمْ ، وَاسْتَعِيذُوا بِاللهِ مِنْ لَوَاقِحِ الْكِبْرِ [٥] كَمَا تَسْتَعِيذُونَهُ مِنْ طَوَارِقِ الدَّهْرِ . فَلَوْ رَخَّصَ اللهُ فِي الْكِبْرِ لِأَحَدٍ مِنْ عِبَادِهِ لَرَخَّصَ فِيهِ لِخَاصَّةِ أَنْبِيَائِهِ وَأَوْلِيَائِهِ . وَلَكِنَّهُ سُبْحَانَهُ

من أجداده، وكثيراً مايجر التفاخر إلى الحرب، وإنما تكون بدعوة الرؤساء فهم سيوفها (١) الأدعياء - جمع دعى - وهو من ينتسب إلى غير أبيه، والمراد منهم الأخساء المنسبون إلى الأشراف والأشرار المنتسبون إلى الأخيار. وشربتم بصفوكم كدرهم أى خلطوا صافى اخلاصكم بكدر نفاقهم. و بسلامة أخلاقكم مرض أخلاقهم. والاحلاس - جمع حلس بالكسر - كساء رقيق يكون على ظهر البعير ملازما له فقيل لكل ملازم لشيء هو حلسه . والعقوق : العصيان (٢) النبل - بالفتح - : السهام (٣) المثلات - بفتح فضم - العقوبات (٤) مثاوى - جمع مثوى - بمعنى المنزل . ومنازل الخدود : مواضعها من الأرض بعد الموت . ومصارع الجنوب : مطارحها على التراب (٥) لواقح الكبر : محدثاته فى النفوس

كَرَّهَ إِلَيْهِمُ التَّكَابُرَ وَرَضِيَ لَهُمُ التَّوَاضُعَ . فَأَلْصَقُوا بِالْأَرْضِ خُدُودَهُمْ، وَعَفَّرُوا فِي التُّرَابِ وُجُوهَهُمْ . وَخَفَضُوا أَجْنِحَتَهُمْ لِلْمُؤْمِنِينَ، وَكَانُوا أَقْوَامًا مُسْتَضْعَفِينَ . وَقَدِ اخْتَبَرَهُمُ اللهُ بِالْمَخْمَصَةِ(١) ، وَابْتَلَاهُمْ بِالْمَجْهَدَةِ . وَامْتَحَنَهُمْ بِالْمَخَاوِفِ، وَمَخَضَهُمْ بِالْمَكَارِهِ . فَلَا تَعْتَبِرُوا الرِّضَا وَالسُّخْطَ بِالْمَالِ وَالْوَلَدِ(٢) جَهْلًا بِمَوَاقِعِ الْفِتْنَةِ وَالِاخْتِبَارِ فِي مَوَاضِعِ الْغِنَى وَالِاقْتِدَارِ ، وَقَدْ قَالَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : « أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَلْ لَا يَشْعُرُونَ » فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ الْمُسْتَكْبِرِينَ فِي أَنْفُسِهِمْ بِأَوْلِيَائِهِ الْمُسْتَضْعَفِينَ فِي أَعْيُنِهِمْ

وَلَقَدْ دَخَلَ مُوسَى بْنُ عِمْرَانَ وَمَعَهُ أَخُوهُ هَارُونُ عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عَلَى فِرْعَوْنَ وَعَلَيْهِمَا مَدَارِعُ الصُّوفِ وَبِأَيْدِيهِمَا الْعِصِيُّ فَشَرَطَا لَهُ إِنْ أَسْلَمَ بَقَاءَ مُلْكِهِ وَدَوَامَ عِزِّهِ فَقَالَ :

« أَلَا تَعْجَبُونَ مِنْ هٰذَيْنِ يَشْرِطَانِ لِي دَوَامَ الْعِزِّ وَبَقَاءَ الْمُلْكِ وَهُمَا

(١) المخمصة : الجوع . والمجهدة : المشقة . ومخض اللبن : تحريكه ليخرج ز بده. والمكاره تستخلص إيمان الصادقين وتظهر مزاياهم العقلية والنفسية (٢) لاتجعلوا كثرة الأولاد و وفرة الأموال دليلا على رضاء الله، والنقص فيهما دليلا على سخطه، فقد يكون الأول فتنة واستدراجاً ، والثاني : وابتلاء

بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ » إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذُّهْبَانِ[1] ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ[2] ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا[3] . وَلَكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى[4]

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذَلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ

---

(١) الذهبان ــ بضم الذال ــ: جمع ذهب . والعقيان : نوع من الذهب ينمو في معدنه (٢) لو كان الأنبياء بهذه السلطة لخضع لهم الناس كافة بحكم الاضطرار فسقط البلاء أي ما به يتميز الخبيث من الطيب، ولم يبق محل للجزاء على خير أو شر، فان الفعل اضطراري وبذلك تضمحل أخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجة، ثم لا يكون للقابلين دعوة الأنبياء أجور المبتلين أي الممتحنين بالشدائد الصابرين على المكاره لاستهوائهم مع من قبل بالسطوة (٣) فان الخضوع بالرهبة يسمى إذ ذاك ايماناً مع أن الايمان في الحقيقة هو الاذعان والتصديق، فلا يكون معنى الاسم لازما له
(٤) خصاصة : فقر وحاجة

فِي ٱلِاعْتِبَارِ(١) وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلِاسْتِكْبَارِ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ، فَكَانَتِ ٱلنِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَٱلْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً. وَلٰكِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ٱلِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَٱلْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَٱلِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَٱلِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ. وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَى وَٱلِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ ٱلْمَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللهِ عَلَيْهِ إِلَى ٱلْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ(٢)، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ. فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا. ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَرًا، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلْأَرْضِ مَدَرًا. وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْرًا. بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ(٣)، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ. لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ(٤). ثُمَّ أَمَرَ

---

(١) أى أضعف تأثيراً فى القلوب من جهة اعتبارها واتعاظها . وأبعد للناس أى أشد توغلا بهم فى الاستكبار لأن الأنبياء يكونون قدوة فى العظمة والكبرياء حينئذ. وقوله فكانت النيات مشتركة، أى لأن الايمان لم يكن خالصا لله بل أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة (٢) الأحجار هى الكعبة. والنتائق ـ جمع نتيقة ـ: البقاع المرتفعة. ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان. والمدر قطع الطين اليابس أو العلك الذى لارمل فيه . وأقل الأرض مدراً لاينبت إلا قليلا (٣) لينة يصعب السير فيها والاستنبات منها. والوشلة ـ كفرحة ـ قليلة الماء (٤) لايزكو : لاينمو . والخف

بِمَا تَرَوْنَ مِنْ حَالِ الْفَقْرِ وَالذُّلِّ ، فَهَلَّا أُلْقِيَ عَلَيْهِمَا أَسَاوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ » إِعْظَامًا لِلذَّهَبِ وَجَمْعِهِ ، وَاحْتِقَارًا لِلصُّوفِ وَلُبْسِهِ . وَلَوْ أَرَادَ اللهُ سُبْحَانَهُ بِأَنْبِيَائِهِ حَيْثُ بَعَثَهُمْ أَنْ يَفْتَحَ لَهُمْ كُنُوزَ الذِّهْبَانِ[1] ، وَمَعَادِنَ الْعِقْيَانِ ، وَمَغَارِسَ الْجِنَانِ ، وَأَنْ يَحْشُرَ مَعَهُمْ طُيُورَ السَّمَاءِ وَوُحُوشَ الْأَرْضِ لَفَعَلَ ، وَلَوْ فَعَلَ لَسَقَطَ الْبَلَاءُ[2] ، وَبَطَلَ الْجَزَاءُ ، وَاضْمَحَلَّتِ الْأَنْبَاءُ ، وَلَمَا وَجَبَ لِلْقَابِلِينَ أُجُورُ الْمُبْتَلِينَ ، وَلَا اسْتَحَقَّ الْمُؤْمِنُونَ ثَوَابَ الْمُحْسِنِينَ ، وَلَا لَزِمَتِ الْأَسْمَاءُ مَعَانِيَهَا[3] . وَلٰكِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ رُسُلَهُ أُولِي قُوَّةٍ فِي عَزَائِمِهِمْ ، وَضَعَفَةً فِيمَا تَرَى الْأَعْيُنُ مِنْ حَالَاتِهِمْ ، مَعَ قَنَاعَةٍ تَمْلَأُ الْقُلُوبَ وَالْعُيُونَ غِنًى ، وَخَصَاصَةٍ تَمْلَأُ الْأَبْصَارَ وَالْأَسْمَاعَ أَذًى[4]

وَلَوْ كَانَتِ الْأَنْبِيَاءُ أَهْلَ قُوَّةٍ لَا تُرَامُ وَعِزَّةٍ لَا تُضَامُ ، وَمُلْكٍ تَمْتَدُّ نَحْوَهُ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ ، وَتُشَدُّ إِلَيْهِ عُقَدُ الرِّحَالِ لَكَانَ ذٰلِكَ أَهْوَنَ عَلَى الْخَلْقِ

---

(١) الذهبان — بضم الذال —: جمع ذهب . والعقيان : نوع من الذهب ينمو في معدنه (٢) لو كان الأنبياء بهذه السلطة لخضع لهم الناس كافة بحكم الاضطرار فسقط البلاء أي ما به يتميز الخبيث من الطيب، ولم يبق محل للجزاء على خير أو شر، فان الفعل اضطراري وبذلك تضمحل أخبار السماء بالوعد والوعيد لعدم الحاجة، ثم لا يكون للقابلين دعوة الأنبياء أجور المبتلين أي الممتحنين بالشدائد الصابرين على المكاره لاستهوائهم مع من قبل بالسطوة (٣) فان الخضوع بالرهبة يسمى إذ ذاك ايماناً مع أن الايمان في الحقيقة هو الاذعان والتصديق، فلا يكون معنى الاسم لازما له (٤) خصاصة : فقر وحاجة

فِي ٱلِاعْتِبَارِ[١] وَأَبْعَدَ لَهُمْ فِي ٱلِاسْتِكْبَارِ ، وَلَآمَنُوا عَنْ رَهْبَةٍ قَاهِرَةٍ لَهُمْ أَوْ رَغْبَةٍ مَائِلَةٍ بِهِمْ ، فَكَانَتِ ٱلنِّيَّاتُ مُشْتَرَكَةً وَٱلْحَسَنَاتُ مُقْتَسَمَةً . وَلٰكِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَكُونَ ٱلِاتِّبَاعُ لِرُسُلِهِ وَٱلتَّصْدِيقُ بِكُتُبِهِ وَٱلْخُشُوعُ لِوَجْهِهِ وَٱلِاسْتِكَانَةُ لِأَمْرِهِ وَٱلِاسْتِسْلَامُ لِطَاعَتِهِ أُمُورًا لَهُ خَاصَّةً لَا تَشُوبُهَا مِنْ غَيْرِهَا شَائِبَةٌ . وَكُلَّمَا كَانَتِ ٱلْبَلْوَى وَٱلِاخْتِبَارُ أَعْظَمَ كَانَتِ ٱلْمَثُوبَةُ وَٱلْجَزَاءُ أَجْزَلَ

أَلَا تَرَوْنَ أَنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ ٱخْتَبَرَ ٱلْأَوَّلِينَ مِنْ لَدُنْ آدَمَ صَلَوَاتُ ٱللّٰهِ عَلَيْهِ إِلَى ٱلْآخِرِينَ مِنْ هٰذَا ٱلْعَالَمِ بِأَحْجَارٍ لَا تَضُرُّ وَلَا تَنْفَعُ[٢] ، وَلَا تُبْصِرُ وَلَا تَسْمَعُ . فَجَعَلَهَا بَيْتَهُ ٱلْحَرَامَ ٱلَّذِي جَعَلَهُ لِلنَّاسِ قِيَامًا . ثُمَّ وَضَعَهُ بِأَوْعَرِ بِقَاعِ ٱلْأَرْضِ حَجَرًا ، وَأَقَلِّ نَتَائِقِ ٱلْأَرْضِ مَدَرًا . وَأَضْيَقِ بُطُونِ ٱلْأَوْدِيَةِ قُطْرًا . بَيْنَ جِبَالٍ خَشِنَةٍ ، وَرِمَالٍ دَمِثَةٍ[٣] ، وَعُيُونٍ وَشِلَةٍ ، وَقُرًى مُنْقَطِعَةٍ . لَا يَزْكُو بِهَا خُفٌّ ، وَلَا حَافِرٌ وَلَا ظِلْفٌ[٤] . ثُمَّ أَمَرَ

---

(١) أى أضعف تأثيراً فى القلوب من جهة اعتبارها وانعاظها . وأبعد للناس أى أشد توغلا بهم فى الاستكبار لأن الأنبياء يكونون قدوة فى العظمة والكبرياء حينئذ . وقوله فكانت النيات مشتركة أى لأن الايمان لم يكن خالصا لله بل أعظم الباعث عليه الرغبة والرهبة (٢) الأحجار هى الكعبة . والنتائق ـ جمع نتيقة ـ : البقاع المرتفعة . ومكة مرتفعة بالنسبة لما انحط عنها من البلدان . والمدر قطع الطين اليابس أو العلك الذى لارمل فيه . وأقل الأرض مدراً لاينبت إلا قليلا (٣) لينة يصعب السير فيها والاستنبات منها . والوشلة ـ كفرحة ـ قليلة الماء (٤) لايزكو : لاينمو . والخف

آدَمَ وَوَلَدَهُ أَنْ يَثْنُوا أَعْطَافَهُمْ نَحْوَهُ(١)، فَصَارَ مَثَابَةً لِمُنْتَجَعِ أَسْفَارِهِمْ، وَغَايَةً لِمُلْقَى رِحَالِهِمْ. تَهْوِي إِلَيْهِ ثِمَارُ الْأَفْئِدَةِ(٢) مِنْ مَفَاوِزِ قِفَارٍ سَحِيقَةٍ وَمَهَاوِي فِجَاجٍ عَمِيقَةٍ، وَجَزَائِرِ بِحَارٍ مُنْقَطِعَةٍ، حَتَّى يَهُزُّوا مَنَاكِبَهُمْ ذُلُلاً يُهَلِّلُونَ لِلَّهِ حَوْلَهُ(٣). وَيَرْمُلُونَ عَلَى أَقْدَامِهِمْ شُعْثاً غُبْراً لَهُ. قَدْ نَبَذُوا السَّرَابِيلَ وَرَاءَ ظُهُورِهِمْ(٤)، وَشَوَّهُوا بِإِعْفَاءِ الشُّعُورِ مَحَاسِنَ خَلْقِهِمْ، إِبْتِلَاءً عَظِيماً وَامْتِحَاناً شَدِيداً وَاخْتِبَاراً مُبِيناً. وَتَمْحِيصاً بَلِيغاً جَعَلَهُ اللَّهُ سَبَباً لِرَحْمَتِهِ، وَوُصْلَةً إِلَى جَنَّتِهِ. وَلَوْ أَرَادَ سُبْحَانَهُ أَنْ يَضَعَ بَيْتَهُ الْحَرَامَ وَمَشَاعِرَهُ الْعِظَامَ بَيْنَ جَنَّاتٍ وَأَنْهَارٍ، وَسَهْلٍ وَقَرَارٍ(٥)، جَمِّ الْأَشْجَارِ، دَانِي الثِّمَارِ، مُلْتَفِّ الْبُنَى، مُتَّصِلِ الْقُرَى، بَيْنَ بُرَّةٍ سَمْرَاءَ(٦)، وَرَوْضَةٍ

عبارة عن الجمال. والحافر عبارة عن الخيل وما شاكلها. والظلف عبارة عن البقر والغنم، تعبير عن الحيوان بما ركبت عليه قوائمه (١) ثنى عطفه اليه: مال وتوجه اليه. ومنتجع الأسفار: محل الفائدة منها ومكة صارت بفريضة الحج دارا للمنافع التجارية كما هى دار لكسب المنفعة الأخروية. وملقى مصدر ميمى من التى أى نهاية حصر حالهم عن ظهور ابلهم (٢) تهوى. تسرع سيرا اليه والثمار – جمع ثمرة – والمراد هنا الارواح. والمفاوز – جمع مفازة – الفلاة لاماء بها. والسحيقة: البعيدة. والمهاوى – كالهوات – منخفضات الأراضى. والفجاج: الطرق الواسعة بين الجبال (٣) يهزوا أى يحركوا مناكبهم أى رؤس أكتافهم لله يرفعون أصواتهم بالتلبية وذلك فى السعى والطواف. والرمل ضرب من السير فوق المشى ودون الجرى. والأشعث المنتشر: الشعر مع تلبد فيه. والأغبر: من علا بدنه الغبار (٤) السرابيل: الثياب. واعفاء الشعور: تركها بلا حلق ولاقص (٥) القرار المطمئن من الأرض. وجم الأشجار كثيرها والبنى – جمع بنية بضم الباء وكسرها – ما ابتنيته. وملتف البنى كثير العمران (٦) البرة: الحنطة. والسمراء:

خَضْرَاء ، وَأَرْيَافٍ مُحْدِقَةٍ ، وَعِرَاصٍ مُغْدِقَةٍ ، وَرِيَاضٍ نَاضِرَةٍ ، وَطُرُقٍ عَامِرَةٍ ، لَكَانَ قَدْ صَغُرَ قَدْرُ الْجَزَاءِ عَلَى حَسَبِ ضَعْفِ الْبَلَاءِ . وَلَوْ كَانَ الْإِسَاسُ الْمَحْمُولُ عَلَيْهَا(١) ، وَالْأَحْجَارُ الْمَرْفُوعُ بِهَا بَيْنَ زُمُرُّدَةٍ خَضْرَاء ، وَيَاقُوتَةٍ حَمْرَاء ، وَنُورٍ وَضِيَاءٍ لَخَفَّفَ ذَلِكَ مُسَارَعَةَ الشَّكِّ فِي الصُّدُورِ ، وَلَوَضَعَ مُجَاهَدَةَ إِبْلِيسَ عَنِ الْقُلُوبِ ، وَلَنَفَى مُعْتَلَجَ الرَّيْبِ مِنَ النَّاسِ(٢) ، وَلَكِنَّ اللهَ يَخْتَبِرُ عِبَادَهُ بِأَنْوَاعِ الشَّدَائِدِ ، وَيَتَعَبَّدُهُمْ بِأَنْوَاعِ الْمَجَاهِدِ ، وَيَبْتَلِيهِمْ بِضُرُوبِ الْمَكَارِهِ إِخْرَاجاً لِلتَّكَبُّرِ مِنْ قُلُوبِهِمْ ، وَإِسْكَاناً لِلتَّذَلُّلِ فِي نُفُوسِهِمْ . وَلِيَجْعَلَ ذَلِكَ أَبْوَاباً فُتُحاً إِلَى فَضْلِهِ(٣) ، وَأَسْبَاباً ذُلُلاً لِعَفْوِهِ .

فَاللهَ اللهَ فِي عَاجِلِ الْبَغْيِ ، وَآجِلِ وَخَامَةِ الظُّلْمِ ، وَسُوءِ عَاقِبَةِ الْكِبْرِ فَإِنَّهَا مَصْيَدَةُ إِبْلِيسَ الْعُظْمَى ، وَمَكِيدَتُهُ الْكُبْرَى الَّتِي تُسَاوِرُ قُلُوبَ الرِّجَالِ مُسَاوَرَةَ السُّمُومِ الْقَاتِلَةِ(٤) . فَمَا تُكْدِي أَبَداً(٥) ، وَلَا تُشْوِي

أجودها . والأرياف : الأراضي الخصبة والعراص ـ جمع عرصة ـ الساحة ليس بها بناء والمحدقة : من أحدقت الروضة صارت ذات شجر . والمغدقة : من أغدق المطر كثر ماؤه

(١) الاساس ـ بكسر الهمزة جمع اس ـ مثلثها أو أساس (٢) الاعتلاج : الالتطام. اعتلجت الأمواج التطمت ، أي زال تلاطم الريب والشك من صدور الناس (٣) فتحا بضمتين أي مفتوحة واسعة (٤) تساور القلوب أي تواثبها وتقاتلها (٥) أكدى الحافر

أَحَدًا ، لَاعَالِمًا لِعِلْمِهِ ، وَلَا مُقِلًّا فِي طِمْرِهِ(١). وَعَنْ ذٰلِكَ مَا حَرَسَ ٱللّٰهُ عِبَادَهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ(٢) بِالصَّلَوَاتِ وَٱلزَّكَوَاتِ ، وَمُجَاهَدَةِ ٱلصِّيَامِ فِي ٱلْأَيَّامِ ٱلْمَفْرُوضَاتِ تَسْكِينًا لِأَطْرَافِهِمْ(٣) ، وَتَخْشِيعًا لِأَبْصَارِهِمْ ، وَتَذْلِيلًا لِنُفُوسِهِمْ ، وَتَخْفِيضًا لِقُلُوبِهِمْ ، وَإِذْهَابًا لِلْخُيَلَاءِ عَنْهُمْ لِمَا فِي ذٰلِكَ مِنْ تَعْفِيرِ عِتَاقِ ٱلْوُجُوهِ بِالتُّرَابِ تَوَاضُعًا(٤) ، وَٱلْتِصَاقِ كَرَائِمِ ٱلْجَوَارِحِ بِالْأَرْضِ تَصَاغُرًا ، وَلُحُوقِ ٱلْبُطُونِ بِالْمُتُونِ مِنَ ٱلصِّيَامِ تَذَلُّلًا . مَعَ مَا فِي ٱلزَّكَاةِ مِنْ صَرْفِ ثَمَرَاتِ ٱلْأَرْضِ وَغَيْرِ ذٰلِكَ إِلَى أَهْلِ ٱلْمَسْكَنَةِ وَٱلْفَقْرِ(٥)

اُنْظُرُوا إِلَى مَا فِي هٰذِهِ ٱلْأَفْعَالِ مِنْ قَمْعِ نَوَاجِمِ ٱلْفَخْرِ(٦) ، وَقَدْعِ طَوَالِعِ ٱلْكِبْرِ . وَلَقَدْ نَظَرْتُ فَمَا وَجَدْتُ أَحَدًا مِنَ ٱلْعَالَمِينَ يَتَعَصَّبُ لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْأَشْيَاءِ إِلَّا عَنْ عِلَّةٍ تَحْتَمِلُ تَمْوِيهَ ٱلْجُهَلَاءِ ، أَوْ حُجَّةٍ تَلِيطُ بِعُقُولِ ٱلسُّفَهَاءِ غَيْرَكُمْ(٧) . فَإِنَّكُمْ تَتَعَصَّبُونَ لِأَمْرٍ لَا يُعْرَفُ لَهُ سَبَبٌ

---

(١) الطمر ـ بالكسر ـ الثوب الخلق أو الكساء البالى من غير الصوف، أى أن البغى والظلم والكبر هى آلات ابليس وأسلحته المهلكة لاينجو منها العالم فضلا عن الجاهل ولا الفقير فضلا عن الغنى إذا عجز عن التأثير فى الأرض. وأشوت الضربة أخطأت المقتل

(٢) ماحرس أى حراسة الله للمؤمنين بالصلوات الخ ناشئة عن ذلك ، فهذه الفرائض لتلخيص النفوس من تلك الرذائل (٣) الأطراف : الأيدى والأرجل (٤) عتاق الوجوه : كرامها وهو جمع عتيق من عتق إذا رقت بشرته . والمتون الظهور

(٥) هذا نوع من تحكيم الفقراء فى أموال الاغنياء وتسليط لهم عليهم، وفيه اضعاف لكبر الاغنياء (٦) القمع : القهر. والنواجم من نجم إذا طلع وظهر. والقدع الكف والمنع

(٧) تليط وتلوط أى تلصق : وقوله غيركم أى لا أنتم فانكم تتعصبون لا عن حجة

وَلَا عِلَّةٌ . أَمَّا إِبْلِيسُ فَتَعَصَّبَ عَلَى آدَمَ لِأَصْلِهِ . وَطَعَنَ عَلَيْهِ فِي خِلْقَتِهِ فَقَالَ : أَنَا نَارِيٌّ وَأَنْتَ طِينِيٌّ

وَأَمَّا الْأَغْنِيَاءُ مِنْ مُتْرَفَةِ الْأُمَمِ (١) فَتَعَصَّبُوا لِآثَارِ مَوَاقِعِ النِّعَمِ . فَقَالُوا : « نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ » فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ مِنَ الْعَصَبِيَّةِ فَلْيَكُنْ تَعَصُّبُكُمْ لِمَكَارِمِ الْخِصَالِ ، وَمَحَامِدِ الْأَفْعَالِ ، وَمَحَاسِنِ الْأُمُورِ الَّتِي تَفَاضَلَتْ فِيهَا الْمُجَدَاءُ وَالنُّجَدَاءُ مِنْ بُيُوتَاتِ الْعَرَبِ وَيَعَاسِيبِ الْقَبَائِلِ (٢) بِالْأَخْلَاقِ الرَّغِيبَةِ ، وَالْأَحْلَامِ الْعَظِيمَةِ ، وَالْأَخْطَارِ الْجَلِيلَةِ ، وَالْآثَارِ الْمَحْمُودَةِ . فَتَعَصَّبُوا لِخِلَالِ الْحَمْدِ مِنَ الْحِفْظِ لِلْجِوَارِ (٣) ، وَالْوَفَاءِ بِالذِّمَامِ ، وَالطَّاعَةِ لِلْبِرِّ ، وَالْمَعْصِيَةِ لِلْكِبْرِ ، وَالْأَخْذِ بِالْفَضْلِ ، وَالْكَفِّ عَنِ الْبَغْيِ ، وَالْإِعْظَامِ لِلْقَتْلِ ، وَالْإِنْصَافِ لِلْخَلْقِ ، وَالْكَظْمِ لِلْغَيْظِ ، وَاجْتِنَابِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ . وَاحْذَرُوا مَا نَزَلَ بِالْأُمَمِ قَبْلَكُمْ مِنَ الْمَثُلَاتِ (٤) بِسُوءِ

يقبلها السفيه ولا عن علة تحتمل التمويه (١) المترف ـ على صيغة اسم المفعول ـ الموسع له في النعم يتمتع بما شاء من اللذات. وآثار مواقع النعم ما ينشأ عنها من التعالي والتكبر. وعلة ابليس والامم المترفة وإن كانت فاسدة إلا أنها شيء في جانب ما تتعلل به القبائل في مقاتلة بعضها بعضا (٢) اليعاسيب ـ جمع يعسوب ـ وهو أمير النحل ، ويستعمل مجازا في رئيس القوم كما هنا . والاخلاق الرغيبة: المرضية المرغوبة . والاحلام: العقول (٣) الجوار ـ بالكسر ـ المجاورة بمعنى الاحتماء بالغير من الظلم. والذمام: العهد (٤) العقوبات

ٱلْأَفْعَالِ وَذَمِيمِ ٱلْأَعْمَالِ . فَتَذَكَّرُوا فِي ٱلْخَيْرِ وَٱلشَّرِّ أَحْوَالَهُمْ . وَاحْذَرُوا أَنْ تَكُونُوا أَمْثَالَهُمْ . فَإِذَا تَفَكَّرْتُمْ فِي تَفَاوُتِ حَالَيْهِمْ[1] فَالْزَمُوا كُلَّ أَمْرٍ لَزِمَتِ ٱلْعِزَّةُ بِهِ شَأْنَهُمْ[2]، وَزَاحَتِ ٱلْأَعْدَاءُ لَهُ عَنْهُمْ، وَمُدَّتِ ٱلْعَافِيَةُ فِيهِ عَلَيْهِمْ، وَٱنْقَادَتِ ٱلنِّعْمَةُ لَهُ مَعَهُمْ، وَوَصَلَتِ ٱلْكَرَامَةُ عَلَيْهِ حَبْلَهُمْ مِنَ ٱلِاجْتِنَابِ لِلْفُرْقَةِ[3]، وَٱللُّزُومِ لِلْأُلْفَةِ، وَٱلتَّحَاضِّ عَلَيْهَا وَٱلتَّوَاصِي بِهَا، وَٱجْتَنِبُوا كُلَّ أَمْرٍ كَسَرَ فِقْرَتَهُمْ[4]، وَأَوْهَنَ مُنَّتَهُمْ . مِنْ تَضَاغُنِ ٱلْقُلُوبِ، وَتَشَاحُنِ ٱلصُّدُورِ، وَتَدَابُرِ ٱلنُّفُوسِ، وَتَخَاذُلِ ٱلْأَيْدِي، وَتَدَبَّرُوا أَحْوَالَ ٱلْمَاضِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ قَبْلَكُمْ كَيْفَ كَانُوا فِي حَالِ ٱلتَّمْحِيصِ وَٱلْبَلَاءِ[5] . أَلَمْ يَكُونُوا أَثْقَلَ ٱلْخَلَائِقِ أَعْبَاءً، وَأَجْهَدَ ٱلْعِبَادِ بَلَاءً، وَأَضْيَقَ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا حَالًا . ٱتَّخَذَتْهُمُ ٱلْفَرَاعِنَةُ عَبِيدًا فَسَامُوهُمْ سُوءَ ٱلْعَذَابِ، وَجَرَّعُوهُمُ ٱلْمُرَارَ[6] فَلَمْ تَبْرَحِ ٱلْحَالُ بِهِمْ فِي ذُلِّ ٱلْهَلَكَةِ وَقَهْرِ ٱلْغَلَبَةِ . لَا يَجِدُونَ حِيلَةً

---

(١) من سعادة وشقاء (٢) لزمت العزة به شأنهم أى كان سببا فى عزتهم وما يتبعها من الأحوال الآتية. ومدت أى انبسطت (٣) من الاجتناب بيان لأسباب العزة و بعد الاعداء وانبساط العافية وانقياد النعمة والصلة بحبل الكرامة (٤) الفقرة ـ بالكسر والفتح ـ كالفقارة بالفتح ـ ما انتظم من عظم الصلب من الكاهل إلى عجب الذنب . وأوهن أى أضعف . والمنة ـ بضم الميم ـ القوة (٥) التمحيص : الابتلاء والاختبار (٦) المرار ـ بضم ففتح ـ شجر شديد المرارة تتقلص منه شفاه الابل إذا أكلته،

فِي ٱمْتِنَاعٍ، وَلَا سَبِيلًا إِلَى دِفَاعٍ. حَتَّى إِذَا رَأَى ٱللهُ جِدَّ ٱلصَّبْرِ مِنْهُمْ عَلَى ٱلْأَذَى فِي مَحَبَّتِهِ، وَٱلِاحْتِمَالَ لِلْمَكْرُوهِ مِنْ خَوْفِهِ جَعَلَ لَهُمْ مِنْ مَضَايِقِ ٱلْبَلَاءِ فَرَجًا، فَأَبْدَلَهُمُ ٱلْعِزَّ مَكَانَ ٱلذُّلِّ، وَٱلْأَمْنَ مَكَانَ ٱلْخَوْفِ فَصَارُوا مُلُوكًا حُكَّامًا. وَأَئِمَّةً أَعْلَامًا، وَبَلَغَتِ ٱلْكَرَامَةُ مِنَ ٱللهِ لَهُمْ مَا لَمْ تَبْلُغِ ٱلْآمَالُ إِلَيْهِ بِهِمْ

فَٱنْظُرُوا كَيْفَ كَانُوا حَيْثُ كَانَتِ ٱلْأَمْلَاءُ مُجْتَمِعَةً[1]، وَٱلْأَهْوَاءُ مُتَّفِقَةً، وَٱلْقُلُوبُ مُعْتَدِلَةً، وَٱلْأَيْدِي مُتَرَادِفَةً، وَٱلسُّيُوفُ مُتَنَاصِرَةً، وَٱلْبَصَائِرُ نَافِذَةً، وَٱلْعَزَائِمُ وَاحِدَةً. أَلَمْ يَكُونُوا أَرْبَابًا فِي أَقْطَارِ ٱلْأَرَضِينَ[2]، وَمُلُوكًا عَلَى رِقَابِ ٱلْعَالَمِينَ. فَٱنْظُرُوا إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ فِي آخِرِ أُمُورِهِمْ حِينَ وَقَعَتِ ٱلْفُرْقَةُ، وَتَشَتَّتَتِ ٱلْأُلْفَةُ وَٱخْتَلَفَتِ ٱلْكَلِمَةُ وَٱلْأَفْئِدَةُ، وَتَشَعَّبُوا مُخْتَلِفِينَ، وَتَفَرَّقُوا مُتَحَازِبِينَ قَدْ خَلَعَ ٱللهُ عَنْهُمْ لِبَاسَ كَرَامَتِهِ، وَسَلَبَهُمْ غَضَارَةَ نِعْمَتِهِ[3]. وَبَقِيَ قَصَصُ أَخْبَارِهِمْ فِيكُمْ عِبَرًا لِلْمُعْتَبِرِينَ

فَٱعْتَبِرُوا بِحَالِ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ وَبَنِي إِسْحَاقَ وَبَنِي إِسْرَائِيلَ

---

(١) الأملاء — جمع ملأ — بمعنى الجماعة والقوم . والأيدي المترادفة المتعاونة (٢) أربابا : سادات (٣) غضارة النعمة : سعتها . وقصص الأخبار : حكايتها أي جرعوهم عصارته

عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ . فَمَا أَشَدَّ ٱعْتِـدَالَ ٱلْأَحْوَالِ(١) ، وَأَقْرَبَ ٱشْتِبَاهَ ٱلْأَمْثَالِ .

تَأَمَّلُوا أَمْرَهُمْ فِي حَالِ تَشَتُّتِهِمْ وَتَفَرُّقِهِمْ لَيَالِيَ كَانَتِ ٱلْأَكَاسِرَةُ وَٱلْقَيَاصِرَةُ أَرْبَابًا لَهُمْ ، يَحْتَازُونَهُمْ عَنْ رِيفِ ٱلْآفَاقِ(٢) ، وَبَحْرِ ٱلْعِرَاقِ وَخُضْرَةِ ٱلدُّنْيَا إِلَى مَنَابِتِ ٱلشِّيحِ ، وَمَهَافِي ٱلرِّيحِ(٣) ، وَنَكَدِ ٱلْمَعَاشِ . فَتَرَكُوهُمْ عَالَةً مَسَاكِينَ إِخْوَانَ دَبَرٍ وَوَبَرٍ(٤) ، أَذَلَّ ٱلْأُمَمِ دَارًا ، وَأَجْدَبَهُمْ قَرَارًا . لَا يَأْوُونَ إِلَى جَنَاحِ دَعْوَةٍ يَعْتَصِمُونَ بِهَا(٥) ، وَلَا إِلَى ظِلِّ أُلْفَةٍ يَعْتَمِدُونَ عَلَى عِزِّهَا . فَٱلْأَحْوَالُ مُضْطَرِبَةٌ ، وَٱلْأَيْدِي مُخْتَلِفَةٌ ، وَٱلْكَثْرَةُ مُتَفَرِّقَةٌ . فِي بَلَاءِ أَزْلٍ(٦) ، وَإِطْبَاقِ جَهْلٍ ! مِنْ بَنَاتٍ مَوْءُودَةٍ(٧) ، وَأَصْنَامٍ مَعْبُودَةٍ ، وَأَرْحَامٍ مَقْطُوعَةٍ ، وَغَارَاتٍ مَشْنُونَةٍ

فَانْظُرُوا إِلَى مَوَاقِعِ نِعَمِ ٱللهِ عَلَيْهِمْ حِينَ بَعَثَ إِلَيْهِمْ رَسُولًا(٨) ،

---

(١) الاعتدال هنا التناسب . والاشتباه التشابه (٢) يحتازونهم: يقبضونهم عن الأراضي الخصبة (٣) المهافي : المواضع التي تهفو فيها الرياح أي تهب . والنكد ـ بالتحريك ـ أي الشدة والعسر (٤) الدبر ـ بالتحريك ـ القرحة في ظهر الدابة . والوبر : شعر الجمال . والمراد أنهم رعاة (٥) لا يأوون : لم يكن فيهم داع إلى الحق فيأوون اليه ويعتصمون بمناصرة دعوته (٦) بلاء أزل : على الاضافة . والأزل ـ بالفتح(*) ـ الشدة (٧) من وأد بنته ـ كوعد ـ أي دفنها وهي حية . وكان بنو اسماعيل من العرب يفعلون ذلك ببناتهم . وشن الغارة عليهم: صبها من كل وجه (٨) هو نبينا

(*) أي بفتح الهمزة مع سكون الزاي

فَعَقَدَ بِمِلَّتِهِ طَاعَتَهُمْ ، وَجَمَعَ عَلَى دَعْوَتِهِ أُلْفَتَهُمْ . كَيْفَ نَشَرَتِ النِّعْمَةُ عَلَيْهِمْ جَنَاحَ كَرَامَتِهَا ، وَأَسَالَتْ لَهُمْ جَدَاوِلَ نَعِيمِهَا ، وَالْتَفَّتِ الْمِلَّةُ بِهِمْ فِي عَوَائِدِ بَرَكَتِهَا(١) . فَأَصْبَحُوا فِي نِعْمَتِهَا غَرِقِينَ ، وَعَنْ خُضْرَةِ عَيْشِهَا فَكِهِينَ(٢) . قَدْ تَرَبَّعَتِ الْأُمُورُ بِهِمْ(٣) ، فِي ظِلِّ سُلْطَانٍ قَاهِرٍ وَآوَتْهُمُ الْحَالُ إِلَى كَنَفِ عِزٍّ غَالِبٍ . وَتَعَطَّفَتِ الْأُمُورُ عَلَيْهِمْ فِي ذُرَى مُلْكٍ ثَابِتٍ . فَهُمْ حُكَّامٌ عَلَى الْعَالَمِينَ ، وَمُلُوكٌ فِي أَطْرَافِ الْأَرَضِينَ . يَمْلِكُونَ الْأُمُورَ عَلَى مَنْ كَانَ يَمْلِكُهَا عَلَيْهِمْ . وَيُمْضُونَ الْأَحْكَامَ فِيمَنْ كَانَ يُمْضِيهَا فِيهِمْ . لَا تُغْمَزُ لَهُمْ قَنَاةٌ(٤) ، وَلَا تُقْرَعُ لَهُمْ صَفَاةٌ

أَلَا وَإِنَّكُمْ قَدْ نَفَضْتُمْ أَيْدِيَكُمْ مِنْ حَبْلِ الطَّاعَةِ . وَثَلَمْتُمْ حِصْنَ اللهِ الْمَضْرُوبَ عَلَيْكُمْ بِأَحْكَامِ الْجَاهِلِيَّةِ(٥) . فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ قَدِ امْتَنَّ عَلَى جَمَاعَةِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ فِيمَا عَقَدَ بَيْنَهُمْ مِنْ حَبْلِ هٰذِهِ الْأُلْفَةِ

صلى الله عليه وسلم (١) يقال التف الحبل بالحطب إذا جمعه ، فلة محمد صلى الله عليه وسلم جمعتهم بعد تفرقهم ، وجعلتهم جميعا فى بركاتها العائدة اليهم (٢) راضين طيبة نفوسهم (٣) تربعت : أقامت (٤) هذا وما بعده كناية عن القوة والامتناع من الضيم . والقناة الرمح . وغمزها : جسها باليد لينظر هل هى محتاجة للتقويم والتعديل فيفعل بها ذلك . والصفاة الحجر الصلد . وقرعها : صدمها لتكسر (٥) ثلمتم : خرقتم . وقوله بأحكام

الَّتِي يَنْتَقِلُونَ فِي ظِلِّهَا، وَيَأْوُونَ إِلَى كَنَفِهَا، بِنِعْمَةٍ لَا يَعْرِفُ أَحَدٌ مِنَ الْمَخْلُوقِينَ لَهَا قِيمَةً لِأَنَّهَا أَرْجَحُ مِنْ كُلِّ ثَمَنٍ وَأَجَلُّ مِنْ كُلِّ خَطَرٍ

وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ صِرْتُمْ بَعْدَ الْهِجْرَةِ أَعْرَابًا(١)، وَبَعْدَ الْمُوَالَاةِ أَحْزَابًا. مَا تَتَعَلَّقُونَ مِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا بِاسْمِهِ. وَلَا تَعْرِفُونَ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا رَسْمَهُ

تَقُولُونَ النَّارَ وَلَا الْعَارَ، كَأَنَّكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تُكْفِئُوا الْإِسْلَامَ عَلَى وَجْهِهِ، انْتِهَاكًا لِحَرِيمِهِ، وَنَقْضًا لِمِيثَاقِهِ(٢) الَّذِي وَضَعَهُ اللهُ لَكُمْ حَرَمًا فِي أَرْضِهِ وَأَمْنًا بَيْنَ خَلْقِهِ. وَإِنَّكُمْ إِنْ لَجَأْتُمْ إِلَى غَيْرِهِ حَارَبَكُمْ أَهْلُ الْكُفْرِ، ثُمَّ لَا جَبْرَائِيلُ وَلَا مِيكَائِيلُ وَلَا مُهَاجِرُونَ وَلَا أَنْصَارٌ يَنْصُرُونَكُمْ إِلَّا الْمُقَارَعَةَ بِالسَّيْفِ حَتَّى يَحْكُمَ اللهُ بَيْنَكُمْ

وَإِنَّ عِنْدَكُمُ الْأَمْثَالَ مِنْ بَأْسِ اللهِ وَقَوَارِعِهِ، وَأَيَّامِهِ وَوَقَائِعِهِ. فَلَا تَسْتَبْطِئُوا وَعِيدَهُ جَهْلًا بِأَخْذِهِ، وَتَهَاوُنًا بِبَطْشِهِ، وَيَأْسًا مِنْ

الجاهلية متعلق بثلمتم (١) أى صرتم من أعراب البادية الذين يكتفى فى اسلامهم بذكر الشهادتين وان لم يخالط الايمان قلوبهم، بعد أن كنتم من المهاجرين الصادقين. والموالاة: المحبة. والأحزاب: المتفرقون المتقاطعون (٢) هو ميثاق الاخوة الدينية

بَأْسِهِ . فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ لَمْ يَلْعَنِ ٱلْقَرْنَ ٱلْمَاضِيَ بَيْنَ أَيْدِيكُمْ إِلَّا لِتَرْكِهِمُ ٱلْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيَ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ . فَلَعَنَ ٱللهُ ٱلسُّفَهَاءَ لِرُكُوبِ ٱلْمَعَاصِي ، وَٱلْحُلَمَاءَ لِتَرْكِ ٱلتَّنَاهِي

أَلَا وَقَدْ قَطَعْتُمْ قَيْدَ ٱلْإِسْلَامِ وَعَطَّلْتُمْ حُدُودَهُ وَأَمَتُّمْ أَحْكَامَهُ

أَلَا وَقَدْ أَمَرَنِي ٱللهُ بِقِتَالِ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ وَٱلنَّكْثِ[١] وَٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ فَأَمَّا ٱلنَّاكِثُونَ فَقَدْ قَاتَلْتُ ، وَأَمَّا ٱلْقَاسِطُونَ فَقَدْ جَاهَدْتُ[٢] . وَأَمَّا ٱلْمَارِقَةُ فَقَدْ دَوَّخْتُ . وَأَمَّا شَيْطَانُ ٱلرَّدْهَةِ فَقَدْ كُفِيتُهُ بِصَعْقَةٍ سُمِعَتْ لَهَا وَجْبَةُ قَلْبِهِ وَرَجَّةُ صَدْرِهِ[٣] . وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَغْيِ . وَلَئِنْ أَذِنَ ٱللهُ فِي ٱلْكَرَّةِ عَلَيْهِمْ لَأُدِيلَنَّ مِنْهُمْ[٤] إِلَّا مَا يَتَشَذَّرُ فِي أَطْرَافِ ٱلْبِلَادِ تَشَذُّرًا

أَنَا وَضَعْتُ فِي ٱلصِّغَرِ بِكَلَاكِلِ ٱلْعَرَبِ[٥] ، وَكَسَرْتُ نَوَاجِمَ

---

(١) نقض العهد (٢) القاسطون : الجائرون عن الحق . والمارقة الذين مرقوا من الدين أى خرجوا منه . ودوخهم أى أضعفهم وأذلهم (٣) الردهة ـ بالفتح ـ النقرة فى الجبل قد يجتمع فيها الماء . وشيطانها ذو الثدية من رؤساء الخوارج وجد مقتولا فى ردهة. والصعقة : الغشية تصيب الانسان من الهول . ووجبة القلب اضطرابه وخفقانه . ورجة الصدر اهتزازه وارتعاده (٤) لأديلن منهم : لأمحقنهم . ثم أجعل الدولة لغيرهم. ومايتشذر أى يتفرق ، أى لايفلت منى إلا من يتفرق فى أطراف البلاد (٥) الكلاكل : الصدور عبر بها عن الأكابر . والنواجم من القرون : الظاهرة الرفيعة ، يريد بها

قُرُونِ رَبِيعَةَ وَمُضَرَ . وَقَدْ عَلِمْتُمْ مَوْضِعِي مِنْ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْقَرَابَةِ ٱلْقَرِيبَةِ ، وَٱلْمَنْزِلَةِ ٱلْخَصِيصَةِ . وَضَعَنِي فِي حِجْرِهِ وَأَنَا وَلَدٌ يَضُمُّنِي إِلَى صَدْرِهِ ، وَيَكْنُفُنِي إِلَى فِرَاشِهِ ، وَيُمِسُّنِي جَسَدَهُ وَيُشِمُّنِي عَرْفَهُ[1] . وَكَانَ يَمْضُغُ ٱلشَّيْءَ ثُمَّ يُلْقِمُنِيهِ . وَمَا وَجَدَ لِي كَذْبَةً فِي قَوْلٍ ، وَلَا خَطْلَةً فِي فِعْلٍ[2] . وَلَقَدْ قَرَنَ ٱللهُ بِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ لَدُنْ أَنْ كَانَ فَطِيماً أَعْظَمَ مَلَكٍ مِنْ مَلَائِكَتِهِ يَسْلُكُ بِهِ طَرِيقَ ٱلْمَكَارِمِ ، وَمَحَاسِنَ أَخْلَاقِ ٱلْعَالَمِ لَيْلَهُ وَنَهَارَهُ . وَلَقَدْ كُنْتُ أَتَّبِعُهُ ٱتِّبَاعَ ٱلْفَصِيلِ أَثَرَ أُمِّهِ[3] يَرْفَعُ لِي فِي كُلِّ يَوْمٍ مِنْ أَخْلَاقِهِ عَلَماً وَيَأْمُرُنِي بِالِاقْتِدَاءِ بِهِ . وَلَقَدْ كَانَ يُجَاوِرُ فِي كُلِّ سَنَةٍ بِحِرَاءَ[4] فَأَرَاهُ وَلَا يَرَاهُ غَيْرِي . وَلَمْ يَجْمَعْ بَيْتٌ وَاحِدٌ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْإِسْلَامِ غَيْرَ رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَخَدِيجَةَ وَأَنَا ثَالِثُهُمَا . أَرَى نُورَ ٱلْوَحْيِ وَٱلرِّسَالَةِ ، وَأَشُمُّ رِيحَ ٱلنُّبُوَّةِ

وَلَقَدْ سَمِعْتُ رَنَّةَ ٱلشَّيْطَانِ حِينَ نَزَلَ ٱلْوَحْيُ عَلَيْهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ

أشراف القبائل . قرون مضاف وربيعة مضاف اليه (١) عرفه - بالفتح - رائحته الذكية (٢) الخطلة: واحدة الخطل ، كالفرحة واحدة الفرح . والخطل : الخطأ ينشأ عن عدم الروية (٣) الفصيل ولد الناقة (٤) حراء بكسر الحاء جبل على القرب من مكة

وَآلِهِ ، فَقُلْتُ يَارَسُولَ ٱللهِ مَا هٰذِهِ ٱلرَّنَّةُ ؟ فَقَالَ هٰذَا ٱلشَّيْطَانُ أَيِسَ مِنْ عِبَادَتِهِ . إِنَّكَ تَسْمَعُ مَا أَسْمَعُ وَتَرَى مَا أَرَى إِلَّا أَنَّكَ لَسْتَ بِنَبِيٍّ . وَلٰـكِنَّكَ وَزِيرٌ وَإِنَّكَ لَعَلَى خَيْرٍ . وَلَقَدْ كُنْتُ مَعَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمَّا أَتَاهُ ٱلْمَلَأُ مِنْ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : يَا مُحَمَّدُ إِنَّكَ قَدِ ٱدَّعَيْتَ عَظِيماً لَمْ يَدَّعِهِ آبَاؤُكَ وَلَا أَحَدٌ مِنْ بَيْتِكَ ، وَنَحْنُ نَسْأَلُكَ أَمْرًا إِنْ أَجَبْتَنَا إِلَيْهِ وَأَرَيْتَنَاهُ عَلِمْنَا أَنَّكَ نَبِيٌّ وَرَسُولٌ ، وَإِنْ لَمْ تَفْعَلْ عَلِمْنَا أَنَّكَ سَاحِرٌ كَذَّابٌ . فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : وَمَا تَسْأَلُونَ ؟ قَالُوا تَدْعُو لَنَا هٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ حَتَّى تَنْقَلِعَ بِعُرُوقِهَا وَتَقِفَ بَيْنَ يَدَيْكَ ، فَقَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّ ٱللهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ، فَإِنْ فَعَلَ ٱللهُ لَـكُمْ ذٰلِكَ أَتُؤْمِنُونَ وَتَشْهَدُونَ بِالْحَقِّ ؟ قَالُوا نَعَمْ ، قَالَ فَإِنِّي سَأُرِيكُمْ مَا تَطْلُبُونَ ، وَإِنِّي لَأَعْلَمُ أَنَّكُمْ لَا تَفِيئُونَ إِلَى خَيْرٍ[١] ، وَإِنَّ فِيكُمْ مَنْ يُطْرَحُ فِي ٱلْقَلِيبِ[٢] ، وَمَنْ يُحَزِّبُ ٱلْأَحْزَابَ . ثُمَّ قَالَ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : يَا أَيَّتُهَا ٱلشَّجَرَةُ إِنْ كُنْتِ تُؤْمِنِينَ بِاللهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ وَتَعْلَمِينَ أَنِّي رَسُولُ ٱللهِ فَانْقَلِعِي بِعُرُوقِكِ حَتَّى تَقِفِي بَيْنَ يَدَيَّ بِإِذْنِ ٱللهِ. فَوَٱلَّذِي بَعَثَهُ

---

(١) لاتفيئون : لاترجعون (٢) القليب ـ كأمير ـ البئر . والمراد منه قليب بدر طرح فيه نيف وعشرون من أكابر قريش ، والأحزاب متفرقة من القبائل اجتمعوا على حربه

بِالْحَقِّ لَانْقَلَعَتْ بِعُرُوقِهَا وَجَاءَتْ وَلَهَا دَوِيٌّ شَدِيدٌ وَقَصْفٌ كَقَصْفِ أَجْنِحَةِ الطَّيْرِ(١) حَتَّى وَقَفَتْ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُرَفْرِفَةً، وَأَلْقَتْ بِغُصْنِهَا الْأَعْلَى عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، وَبِبَعْضِ أَغْصَانِهَا عَلَى مَنْكِبِي، وَكُنْتُ عَنْ يَمِينِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمَّا نَظَرَ الْقَوْمُ إِلَى ذٰلِكَ قَالُوا ـ عُلُوًّا وَاسْتِكْبَارًا ـ: فَمُرْهَا فَلْيَأْتِكَ نِصْفُهَا وَيَبْقَى نِصْفُهَا فَأَمَرَهَا بِذَلِكَ، فَأَقْبَلَ إِلَيْهِ نِصْفُهَا كَأَعْجَبِ إِقْبَالٍ وَأَشَدِّهِ دَوِيًّا، فَكَادَتْ تَلْتَفُّ بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالُوا ـ كُفْرًا وَعُتُوًّا ـ فَمُرْ هٰذَا النِّصْفَ فَلْيَرْجِعْ إِلَى نِصْفِهِ كَمَا كَانَ فَأَمَرَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَجَعَ. فَقُلْتُ أَنَا: لَا إِلٰهَ إِلَّا اللهُ فَإِنِّي أَوَّلُ مُؤْمِنٍ بِكَ يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَوَّلُ مَنْ أَقَرَّ بِأَنَّ الشَّجَرَةَ فَعَلَتْ مَا فَعَلَتْ بِأَمْرِ اللهِ تَعَالَى تَصْدِيقاً بِنُبُوَّتِكَ وَإِجْلَالاً لِكَلِمَتِكَ. فَقَالَ الْقَوْمُ كُلُّهُمْ: بَلْ سَاحِرٌ كَذَّابٌ، عَجِيبُ السِّحْرِ خَفِيفٌ فِيهِ، وَهَلْ يُصَدِّقُكَ فِي أَمْرِكَ إِلَّا مِثْلُ هٰذَا (يَعْنُونِي) وَإِنِّي لَمِنْ قَوْمٍ لَا تَأْخُذُهُمْ فِي اللهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ سِيمَاهُمْ سِيمَا الصِّدِّيقِينَ، وَكَلَامُهُمْ كَلَامُ الْأَبْرَارِ. عُمَّارُ اللَّيْلِ وَمَنَارُ النَّهَارِ(٢). مُتَمَسِّكُونَ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ. يُحْيُونَ سُنَنَ اللهِ وَسُنَنَ رَسُولِهِ.

صلى الله عليه وسلم في وقعة الخندق (١) القصف. الصوت الشديد (٢) عمار ـ جمع عامر ـ

لَا يَسْتَكْبِرُونَ وَلَا يَعْلُونَ ، وَلَا يَغُلُّونَ(١) وَلَا يُفْسِدُونَ . قُلُوبُهُمْ فِي الْجِنَانِ وَأَجْسَادُهُمْ فِي الْعَمَلِ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

رُوِيَ أَنَّ صَاحِباً لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُقَالُ لَهُ هَمَّامٌ كَانَ رَجُلًا عَابِدًا ، فَقَالَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ صِفْ لِي الْمُتَّقِينَ حَتَّى كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَيْهِمْ . فَتَثَاقَلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ جَوَابِهِ ثُمَّ قَالَ : يَا هَمَّامُ اتَّقِ اللَّهَ وَأَحْسِنْ فَإِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ، فَلَمْ يَقْنَعْ هَمَّامٌ بِهَذَا الْقَوْلِ حَتَّى عَزَمَ عَلَيْهِ ، فَحَمِدَ اللَّهَ وَأَثْنَى عَلَيْهِ وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ قَالَ :

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى خَلَقَ الْخَلْقَ حِينَ خَلَقَهُمْ غَنِيّاً عَنْ طَاعَتِهِمْ ، آمِناً مِنْ مَعْصِيَتِهِمْ ، لِأَنَّهُ لَا تَضُرُّهُ مَعْصِيَةُ مَنْ عَصَاهُ وَلَا تَنْفَعُهُ طَاعَةُ مَنْ أَطَاعَهُ . فَقَسَمَ بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ ، وَوَضَعَهُمْ مِنَ الدُّنْيَا مَوَاضِعَهُمْ . فَالْمُتَّقُونَ فِيهَا هُمْ أَهْلُ الْفَضَائِلِ . مَنْطِقُهُمُ الصَّوَابُ ،

أى يعمرونه بالسهر للفكر والعبادة (١) يغلون : يخونون

وَمَلْبَسُهُمُ ٱلِاقْتِصَادُ[1]، وَمَشْيُهُمُ ٱلتَّوَاضُعُ. غَضُّوا أَبْصَارَهُمْ عَمَّا حَرَّمَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ، وَوَقَفُوا أَسْمَاعَهُمْ عَلَى ٱلْعِلْمِ ٱلنَّافِعِ لَهُمْ. نُزِّلَتْ أَنْفُسُهُمْ مِنْهُمْ فِي ٱلْبَلَاءِ كَالَّتِي نُزِّلَتْ فِي ٱلرَّخَاءِ[2]. وَلَوْلَا ٱلْأَجَلُ ٱلَّذِي كُتِبَ لَهُمْ لَمْ تَسْتَقِرَّ أَرْوَاحُهُمْ فِي أَجْسَادِهِمْ طَرْفَةَ عَيْنٍ شَوْقًا إِلَى ٱلثَّوَابِ، وَخَوْفًا مِنَ ٱلْعِقَابِ. عَظُمَ ٱلْخَالِقُ فِي أَنْفُسِهِمْ فَصَغُرَ مَا دُونَهُ فِي أَعْيُنِهِمْ، فَهُمْ وَٱلْجَنَّةُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا[3] فَهُمْ فِيهَا مُنَعَّمُونَ، وَهُمْ وَٱلنَّارُ كَمَنْ قَدْ رَآهَا فَهُمْ فِيهَا مُعَذَّبُونَ. قُلُوبُهُمْ مَحْزُونَةٌ، وَشُرُورُهُمْ مَأْمُونَةٌ. وَأَجْسَادُهُمْ نَحِيفَةٌ[4]، وَحَاجَاتُهُمْ خَفِيفَةٌ، وَأَنْفُسُهُمْ عَفِيفَةٌ. صَبَرُوا أَيَّامًا قَصِيرَةً أَعْقَبَتْهُمْ رَاحَةً طَوِيلَةً. تِجَارَةٌ مُرْبِحَةٌ[5] يَسَّرَهَا لَهُمْ رَبُّهُمْ. أَرَادَتْهُمُ ٱلدُّنْيَا فَلَمْ يُرِيدُوهَا. وَأَسَرَتْهُمْ فَفَدَوْا أَنْفُسَهُمْ مِنْهَا. أَمَّا ٱللَّيْلُ فَصَافُّونَ أَقْدَامَهُمْ تَالِينَ لِأَجْزَاءِ ٱلْقُرْآنِ يُرَتِّلُونَهُ تَرْتِيلًا. يُحَزِّنُونَ بِهِ أَنْفُسَهُمْ

---

(١) ملبسهم الخ، أى أنهم لا يأتون من شهواتهم إلا بقدر حاجاتهم فى تقويم حياتهم، فكان الانفاق كثوب لهم على قدر أبدانهم لكنهم يتوسعون فى الخيرات (٢) نزلت الخ، أى أنهم إذا كانوا فى بلاء كانوا بالأمل فى الله كأنهم كانوا فى رخاء لا يجزعون ولا يهنون، وإذا كانوا فى رخاء كانوا من خوف الله وحذر النقمة كأنهم فى بلاء لا يبطرون ولا يتجبرون (٣) أى هم على يقين من الجنة والنار كيقين من رآهما، فكأنهم فى نعيم الأولى وعذاب الثانية رجاء وخوفا (٤) نحافة أجسادهم من الفكر فى صلاح دينهم والقيام بما يجب عليهم له (٥) يقال أربحت التجارة إذا أفادت ربحاً

وَيَسْتَثِيرُونَ بِهِ دَوَاءَ دَائِهِمْ[١]. فَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَشْوِيقٌ رَكَنُوا إِلَيْهَا طَمَعًا، وَتَطَلَّعَتْ نُفُوسُهُمْ إِلَيْهَا شَوْقًا، وَظَنُّوا أَنَّهَا نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ. وَإِذَا مَرُّوا بِآيَةٍ فِيهَا تَخْوِيفٌ أَصْغَوْا إِلَيْهَا مَسَامِعَ قُلُوبِهِمْ وَظَنُّوا أَنَّ زَفِيرَ جَهَنَّمَ وَشَهِيقَهَا فِي أُصُولِ آذَانِهِمْ[٢]. فَهُمْ حَانُونَ عَلَى أَوْسَاطِهِمْ، مُفْتَرِشُونَ لِجِبَاهِهِمْ وَأَكُفِّهِمْ وَرُكَبِهِمْ وَأَطْرَافِ أَقْدَامِهِمْ، يَطَّلِبُونَ إِلَى اللهِ تَعَالَى فِي فَكَاكِ رِقَابِهِمْ. وَأَمَّا النَّهَارُ فَحُلَمَاءُ عُلَمَاءُ، أَبْرَارٌ أَتْقِيَاءُ. قَدْ بَرَاهُمُ الْخَوْفُ بَرْيَ الْقِدَاحِ[٣] يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ النَّاظِرُ فَيَحْسَبُهُمْ مَرْضَى وَمَا بِالْقَوْمِ مِنْ مَرَضٍ وَيَقُولُ قَدْ خُولِطُوا[٤]

وَلَقَدْ خَالَطَهُمْ أَمْرٌ عَظِيمٌ. لَا يَرْضَوْنَ مِنْ أَعْمَالِهِمُ الْقَلِيلَ. وَلَا يَسْتَكْثِرُونَ الْكَثِيرَ. فَهُمْ لِأَنْفُسِهِمْ مُتَّهِمُونَ. وَمِنْ أَعْمَالِهِمْ مُشْفِقُونَ[٥] إِذَا زُكِّيَ أَحَدُهُمْ[٦] خَافَ مِمَّا يُقَالُ لَهُ فَيَقُولُ: أَنَا أَعْلَمُ

(١) استثار الساكن هيجه، وقارىء القرآن يستثير به الفكر الماحى للجهل فهو دواؤه
(٢) زفير النار: صوت توقدها. وشهيقها الشديد من زفيرها كأنه تردد البكاء أو نهيق الحمار، أى أنهم من كمال يقينهم بالنار يتخيلون صوتها تحت جدران آذانهم فهم من شدة الخوف قد حنوا ظهورهم وسلطوا الانحناء على أوساطهم. وفكاك الرقاب خلاصها (٣) القداح ــ جمع قدح بالكسر ــ وهو السهم قبل أن يراش. و براه: نحته، أى رقق الخوف أجسامهم كما ترقق السهام بالنحت (٤) خولط فى عقله أى مازجه خلل فيه، والأمر العظيم الذى خالط عقولهم هو الخوف الشديد من الله (٥) مشفقون: خائفون من التقصير فيها (٦) زكى: مدحه

بِنَفْسِي مِنْ غَيْرِي ، وَرَبِّي أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي . اللَّهُمَّ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا يَقُولُونَ ، وَاجْعَلْنِي أَفْضَلَ مِمَّا يَظُنُّونَ ، وَاغْفِرْ لِي مَا لَا يَعْلَمُونَ

فَمِنْ عَلَامَةِ أَحَدِهِمْ أَنَّكَ تَرَى لَهُ قُوَّةً فِي دِينٍ ، وَحَزْمًا فِي لِينٍ ، وَإِيمَانًا فِي يَقِينٍ . وَحِرْصًا فِي عِلْمٍ ، وَعِلْمًا فِي حِلْمٍ . وَقَصْدًا فِي غِنًى[1] وَخُشُوعًا فِي عِبَادَةٍ . وَتَجَمُّلًا فِي فَاقَةٍ . وَصَبْرًا فِي شِدَّةٍ . وَطَلَبًا فِي حَلَالٍ وَنَشَاطًا فِي هُدًى . وَتَحَرُّجًا عَنْ طَمَعٍ[2] . يَعْمَلُ الْأَعْمَالَ الصَّالِحَةَ وَهُوَ عَلَى وَجَلٍ . يُمْسِي وَهَمُّهُ الشُّكْرُ ، وَيُصْبِحُ وَهَمُّهُ الذِّكْرُ . يَبِيتُ حَذِرًا وَيُصْبِحُ فَرِحًا . حَذِرًا لِمَا حُذِّرَ مِنَ الْغَفْلَةِ . وَفَرِحًا بِمَا أَصَابَ مِنَ الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ . إِنِ اسْتَصْعَبَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيمَا تَكْرَهُ[3] لَمْ يُعْطِهَا سُؤْلَهَا فِيمَا تُحِبُّ . قُرَّةُ عَيْنِهِ فِيمَا لَا يَزُولُ . وَزَهَادَتُهُ فِيمَا لَا يَبْقَى[4] . يَمْزُجُ الْحِلْمَ بِالْعِلْمِ . وَالْقَوْلَ بِالْعَمَلِ . تَرَاهُ قَرِيبًا أَمَلُهُ . قَلِيلًا زَلَلُهُ . خَاشِعًا قَلْبُهُ . قَانِعَةً نَفْسُهُ . مَنْزُورًا أَكْلُهُ . سَهْلًا أَمْرُهُ . حَرِيزًا دِينُهُ[5] مَيِّتَةً شَهْوَتُهُ . مَكْظُومًا غَيْظُهُ . الْخَيْرُ مِنْهُ مَأْمُولٌ ، وَالشَّرُّ مِنْهُ مَأْمُونٌ .

---

(١) قصدا أي اقتصادا . والتجمل : التظاهر باليسر عند الفاقة أي الفقر (٢) التحرج عد الشيء حرجاً أي إثما أي تباعداً عن طمع (٣) إن استصعبت أي إذا لم تطاوعه نفسه فيما يشق عليها من الطاعة عاقبها بعدم إعطائها ما ترغبه من الشهوة (٤) ما لا يزول هو الآخرة وما لا يبقى هو الدنيا (٥) منزوراً : قليلا . وحريزاً أي حصينا

إِنْ كَانَ فِي الْغَافِلِينَ كُتِبَ فِي الذَّاكِرِينَ . وَإِنْ كَانَ فِي الذَّاكِرِينَ لَمْ يُكْتَبْ مِنَ الْغَافِلِينَ(١) . يَعْفُو عَمَّنْ ظَلَمَهُ ، وَيُعْطِي مَنْ حَرَمَهُ ، وَيَصِلُ مَنْ قَطَعَهُ . بَعِيدًا فُحْشُهُ(٢) . لَيِّنًا قَوْلُهُ . غَائِبًا مُنْكَرُهُ . حَاضِرًا مَعْرُوفُهُ . مُقْبِلًا خَيْرُهُ . مُدْبِرًا شَرُّهُ . فِي الزَّلَازِلِ وَقُورٌ(٣) ، وَفِي الْمَكَارِهِ صَبُورٌ . وَفِي الرَّخَاءِ شَكُورٌ . لَا يَحِيفُ عَلَى مَنْ يُبْغِضُ . وَلَا يَأْثَمُ فِيمَنْ يُحِبُّ(٤) . يَعْتَرِفُ بِالْحَقِّ قَبْلَ أَنْ يُشْهَدَ عَلَيْهِ . لَا يَضِيعُ مَا اسْتُحْفِظَ . وَلَا يَنْسَى مَا ذُكِّرَ . وَلَا يُنَابِزُ بِالْأَلْقَابِ(٥) . وَلَا يُضَارُّ بِالْجَارِ . وَلَا يَشْمَتُ بِالْمَصَائِبِ . وَلَا يَدْخُلُ فِي الْبَاطِلِ . وَلَا يَخْرُجُ مِنَ الْحَقِّ . إِنْ صَمَتَ لَمْ يَغُمَّهُ صَمْتُهُ ، وَإِنْ ضَحِكَ لَمْ يَعْلُ صَوْتُهُ . وَإِنْ بُغِيَ عَلَيْهِ صَبَرَ حَتَّى يَكُونَ اللهُ هُوَ الَّذِي يَنْتَقِمُ لَهُ . نَفْسُهُ مِنْهُ فِي عَنَاءٍ . وَالنَّاسُ مِنْهُ فِي رَاحَةٍ . أَتْعَبَ نَفْسَهُ لِآخِرَتِهِ ، وَأَرَاحَ النَّاسَ مِنْ نَفْسِهِ . بُعْدُهُ عَمَّنْ تَبَاعَدَ عَنْهُ زُهْدٌ وَنَزَاهَةٌ . وَدُنُوُّهُ مِمَّنْ دَنَا مِنْهُ لِينٌ وَرَحْمَةٌ . لَيْسَ تَبَاعُدُهُ بِكِبْرٍ وَعَظَمَةٍ ، وَلَا دُنُوُّهُ بِمَكْرٍ وَخَدِيعَةٍ

---

(١) أي إن كان بين الساكتين عن ذكر الله فهو ذاكر له بقلبه و إن كان بين الذاكرين بلسانهم لم يكن مقتصرا على تحريك اللسان مع غفلة القلب (٢) الفحش : القبيح من القول (٣) فى الزلازل أى الشدائد المرعدة . والوقور الذى لا يضطرب (٤) لا يأثم الخ أى لا تحمله المحبة على أن يرتكب إثما لارضاء حبيبه (٥) أى لا يدعو غيره باللقب

(قَالَ) فَصَعِقَ هَمَّامٌ صَعْقَةً كَانَتْ نَفْسُهُ فِيهَا[١]. فَقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: أَمَا وَاللهِ لَقَدْ كُنْتُ أَخَافُهَا عَلَيْهِ. ثُمَّ قَالَ: أَهٰكَذَا تَصْنَعُ الْمَوَاعِظُ الْبَالِغَةُ بِأَهْلِهَا. فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ فَمَا بَالُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ[٢]؟ فَقَالَ: وَيْحَكَ إِنَّ لِكُلِّ أَجَلٍ وَقْتاً لَا يَعْدُوهُ وَسَبَباً لَا يَتَجَاوَزُهُ. فَمَهْلاً لَا تَعُدْ لِمِثْلِهَا فَإِنَّمَا نَفَثَ الشَّيْطَانُ عَلَى لِسَانِكَ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
يَصِفُ فِيهَا الْمُنَافِقِينَ

نَحْمَدُهُ عَلَى مَا وَفَّقَ لَهُ مِنَ الطَّاعَةِ، وَذَادَ عَنْهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ[٣]. وَنَسْأَلُهُ لِمِنَّتِهِ تَمَاماً وَبِحَبْلِهِ اعْتِصَاماً. وَنَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّداً عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ خَاضَ إِلَى رِضْوَانِ اللهِ كُلَّ غَمْرَةٍ[٤]، وَتَجَرَّعَ فِيهِ كُلَّ غُصَّةٍ. وَقَدْ تَلَوَّنَ لَهُ الْأَدْنَوْنَ[٥]، وَتَأَلَّبَ عَلَيْهِ الْأَقْصَوْنَ. وَخَلَعَتْ إِلَيْهِ الْعَرَبُ أَعِنَّتَهَا،

الذى يكره و يشمئز منه (١) صعق: غشى عليه (٢) فما بالك لا تموت مع انطواء سرك على هذه المواعظ البالغة، وهذا سؤال الوقح البارد (٣) ذاد عنه: حمى عنه (٤) الغمرة: الشدة (٥) تلون أى تقلب له الأدنون أى الأقربون فلم يثبتوا معه. وتألب أى اجتمع على عداوته الأقصون أى الأبعدون. وخلعت العرب أعنتها - جمع عنان - وهو حبل اللجام أى خرجت عن طاعته فلم تنقد له بزمام أو المراد أنها خلعت الأعنة سرعة إلى حربه فان مالا يمسكه عنان يكون أسرع جرياً. والرواحل - جمع راحلة - وهى

وَضَرَبَتْ لِمُحَارَبَتِهِ بُطُونَ رَوَاحِلِهَا ، حَتَّى أَنْزَلَتْ بِسَاحَتِهِ عَدَاوَتَهَا مِنْ أَبْعَدِ الدَّارِ وَأَسْحَقِ الْمَزَارِ (١)

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ . وَأُحَذِّرُكُمْ أَهْلَ النِّفَاقِ فَإِنَّهُمُ الضَّالُّونَ الْمُضِلُّونَ ، وَالزَّالُّونَ الْمُزِلُّونَ (٢) . يَتَلَوَّنُونَ أَلْوَانًا ، وَيَفْتَنُّونَ افْتِنَانًا (٣) ، وَيَعْمِدُونَكُمْ بِكُلِّ عِمَادٍ ، وَيَرْصُدُونَكُمْ بِكُلِّ مِرْصَادٍ . قُلُوبُهُمْ دَوِيَّةٌ (٤) ، وَصِفَاحُهُمْ نَقِيَّةٌ . يَمْشُونَ الْخَفَاءَ (٥) ، وَيَدِبُّونَ الضَّرَاءَ وَصْفُهُمْ دَوَاءٌ ، وَقَوْلُهُمْ شِفَاءٌ ، وَفِعْلُهُمُ الدَّاءُ الْعَيَاءُ (٦) . حَسَدَةُ الرَّخَاءِ (٧) ، وَمُؤَكِّدُوا الْبَلَاءِ ، وَمُقْنِطُوا الرَّجَاءِ . لَهُمْ بِكُلِّ طَرِيقٍ صَرِيعٌ (٨) وَإِلَى

الناقة أي ساقوا ركائبهم اسراعا لمحاربته (١) أسحق : أقصى (٢) الزالون من زل أي أخطأ . والمزلون من أزله إذا أوقعه في الخطأ (٣) يفتنون أي يأخذون في فنون من القول لايذهبون مذهباً واحداً. ويعمدونكم أي يقيمونكم بكل عماد . والعماد مايقام عليه البناء أي إذا ملتم عن أهوائهم أقاموكم عليها بأعمدة من الخديعة حتى توافقوهم . والمرصاد: محل الارتقاب ويرصدونكم يقعدون لكم بكل طريق ليحولوكم عن الاستقامة (٤) دوية أي مريضة من الدوى بالقصر وهو المرض. والصفاح : جمع صفحة ، والمراد منها صفاح وجوههم ونقاوتها صفاؤها من علامات العداوة وقلوبهم ملتهبة بنارها (٥) يمشون مشى التستر ويدبون أي يمشون على هيئة دبيب الضراء أي يسرون سريان المرض في الجسم أو سريان النقص في الأموال والأنفس والثمرات (٦) الداء: العياء ــ بالفتح ــ الذى أعيي الأطباء ولا يمكن منه الشفاء (٧) حسدة : جمع حاسد ، أي يحسدون على السعة وإذا نزل بلاء بأحد أكدوه وزادوه وإذا رجى أحد شيئا أوقعوه في القنوط واليأس (٨) الصريع : المطروح على الأرض، أي أنهم كثيراً ماخدعوا أشخاصا حتى أوقعوهم في الهلكة

كُلِّ قَلْبٍ شَفِيعٌ، وَلِكُلِّ شَجْوٍ دُمُوعٌ[١]. يَتَقَارَضُونَ الثَّنَاءَ[٢]، وَيَتَرَاقَبُونَ الْجَزَاءَ. إِنْ سَأَلُوا أَلْحَفُوا[٣]، وَإِنْ عَذَلُوا كَشَفُوا، وَإِنْ حَكَمُوا أَسْرَفُوا. قَدْ أَعَدُّوا لِكُلِّ حَقٍّ بَاطِلًا، وَلِكُلِّ قَائِمٍ مَائِلًا، وَلِكُلِّ حَيٍّ قَاتِلًا، وَلِكُلِّ بَابٍ مِفْتَاحًا، وَلِكُلِّ لَيْلٍ مِصْبَاحًا. يَتَوَصَّلُونَ إِلَى الطَّمَعِ بِالْيَأْسِ لِيُقِيمُوا بِهِ أَسْوَاقَهُمْ، وَيُنَفِّقُوا بِهِ أَعْلَاقَهُمْ[٤]. يَقُولُونَ فَيُشَبِّهُونَ[٥]، وَيَصِفُونَ فَيُمَوِّهُونَ. قَدْ هَوَّنُوا الطَّرِيقَ[٦]، وَأَضْلَعُوا الْمَضِيقَ. فَهُمْ لُمَّةُ الشَّيْطَانِ[٧] وَحُمَةُ النِّيرَانِ «أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ»

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَظْهَرَ مِنْ آثَارِ سُلْطَانِهِ وَجَلَالِ كِبْرِيَائِهِ مَا حَيَّرَ

---

(١) الشجو : الحزن أى يبكون تصنعاممتى أرادوا (٢) يتقارضون كل واحد منهم يثنى على الآخر ليثنى الآخر عليه كأن كلا منهم يسلف الآخر ديناً ليؤديه اليه وكل يعمل للآخر عملا يرتقب جزاءه عليه (٣) بالغوا فى السؤال وألحوا . وان عذلوا أى لاموا كشفوا أى فضحوا من يلومونه (٤) ينفقون أى يروجون من النفاق ـ بالفتح ـ ضد الكساد . والاعلاق : جمع علق ، الشىء النفيس ، والمراد مايزينونه من خدائعهم (٥) أى يشبهون الحق بالباطل (٦) يهونون على الناس طرق السير معهم على أهوائهم الفاسدة ثم بعد أن ينقادوا لهم يضلعون عليهم المضائق أى يجعلونها معوجة يصعب تجاوزها فيهلكون (٧) اللمة ـ بضم ففتح ـ الجماعة من الثلاثة إلى العشرة والمراد هنا مطلق الجماعة . والحمة بالتخفيف الابرة تلسع بها العقرب ونحوها. والمراد لهيب النيران

مُقَلَ الْعُيُونِ مِنْ عَجَائِبِ قُدْرَتِهِ[١] ، وَرَدَعَ خَطَرَاتِ هَمَاهِمِ النُّفُوسِ عَنْ عِرْفَانِ كُنْهِ صِفَتِهِ[٢] . وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلٰهَ إِلَّا اللّٰهُ شَهَادَةَ إِيمَانٍ وَإِيقَانٍ ، وَإِخْلَاصٍ وَإِذْعَانٍ . وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ أَرْسَلَهُ وَأَعْلَامُ الْهُدَى دَارِسَةٌ ، وَمَنَاهِجُ الدِّينِ طَامِسَةٌ[٣] . فَصَدَعَ بِالْحَقِّ ، وَنَصَحَ لِلْخَلْقِ . وَهَدَى إِلَى الرُّشْدِ ، وَأَمَرَ بِالْقَصْدِ . صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنَّهُ لَمْ يَخْلُقْكُمْ عَبَثًا . وَلَمْ يُرْسِلْكُمْ هَمَلًا . عَلِمَ مَبْلَغَ نِعَمِهِ عَلَيْكُمْ ، وَأَحْصَى إِحْسَانَهُ إِلَيْكُمْ . فَاسْتَفْتِحُوهُ وَاسْتَنْجِحُوهُ[٤] ، وَاطْلُبُوا إِلَيْهِ وَاسْتَمْنِحُوهُ . فَمَا قَطَعَكُمْ عَنْهُ حِجَابٌ ، وَلَا أُغْلِقَ عَنْكُمْ دُونَهُ بَابٌ . وَإِنَّهُ لَبِكُلِّ مَكَانٍ ، وَفِي كُلِّ حِينٍ وَأَوَانٍ ، وَمَعَ كُلِّ إِنْسٍ وَجَانٍّ . لَا يَثْلِمُهُ الْعَطَاءُ[٥] ، وَلَا يُنْقِصُهُ الْحِبَاءُ

---

(١) المقل بضم ففتح جمع مقلة وهى شحمة العين التى تجمع البياض والسواد
(٢) هماهم النفوس : همومها فى طلب العلم (٣) من طمس بفتحات أى انمحى واندرس . وصدع أى شق بناء الباطل بصدمة الحق . والقصد الاعتدال فى كل شىء (٤) استفتحوه اسألوه الفتح على أعدائكم واستنجحوه اسألوه النجاح فى أعمالكم . واستمنحوه التمسوا منه العطاء (٥) ثلم السيف كسر جانبه مجاز عن عدم انتقاص خزائنه بالعطاء والحباء ـ ككتاب ـ العطية لا مكافاة . واستنفده جعله نافد المال لا شىء عنده . واستقصاه أتى على آخر ما عنده . والله سبحانه لا نهاية لما لديه من المواهب . ولا يلويه أى لا يميله . وتولهه تذهله . ويجنه كيظنه يستره . وكأنه يريد رضى الله عنه أن صور الموجودات حجاب بين الوهم وسبحات وجهه وعلو ذاته مانع للعقل عن اكتناهه فهو بهذا باطن

وَلَا يَسْتَنْفِدُهُ سَائِلٌ، وَلَا يَسْتَقْصِيهِ نَائِلٌ. وَلَا يَلْوِيهِ شَخْصٌ عَنْ شَخْصٍ، وَلَا يُلْهِيهِ صَوْتٌ عَنْ صَوْتٍ. وَلَا تَحْجُزُهُ هِبَةٌ عَنْ سَلْبٍ. وَلَا يَشْغَلُهُ غَضَبٌ عَنْ رَحْمَةٍ. وَلَا تُولِهُهُ رَحْمَةٌ عَنْ عِقَابٍ. وَلَا يُجِنُّهُ الْبُطُونُ عَنِ الظُّهُورِ. وَلَا يَقْطَعُهُ الظُّهُورُ عَنِ الْبُطُونِ. قَرُبَ فَنَأَى، وَعَلَا فَدَنَا. وَظَهَرَ فَبَطَنَ، وَبَطَنَ فَعَلَنَ. وَدَانَ وَلَمْ يُدَنْ[1]. لَمْ يَذْرَإِ الْخَلْقَ بِاحْتِيَالٍ[2]، وَلَا اسْتَعَانَ بِهِمْ لِكَلَالٍ

أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ فَإِنَّهَا الزِّمَامُ وَالْقِوَامُ[3]. فَتَمَسَّكُوا بِوَثَائِقِهَا، وَاعْتَصِمُوا بِحَقَائِقِهَا تَؤُلْ بِكُمْ إِلَى أَكْنَانِ الدَّعَةِ[4]، وَأَوْطَانِ السَّعَةِ، وَمَعَاقِلِ الْحِرْزِ وَمَنَازِلِ الْعِزِّ فِي يَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ، وَتُظْلِمُ لَهُ الْأَقْطَارُ. وَيُعَطَّلُ فِيهِ صُرُومُ الْعِشَارِ[5]. وَيُنْفَخُ فِي الصُّورِ.

ومع ذلك فالأشياء بذاتها لا وجود لها وإنما وجودها نسبتها إليه فالوجود الحقيقى البرىء من شوائب العدم وجوده فالوجودات أشعة ضياء الوجود الحق فهو الظاهر على كل شيء و بهذا تتبين الأوصاف الآتية (١) دان: جازى وحاسب ولم يحاسبه أحد (٢) ذرأ أي خلق، والاحتيال: التفكر فى العمل وطلب التمكن من ابرازه ولا يكون إلا من العجز. والكلال الملل من التعب (٣) التقوى زمام يقود للسعادة. وقوام بالفتح أى عيش يحيا به الأبرار (٤) الاكنان جمع كن بالكسر ما يستكن به. والدعة خفض العيش وسعته. والمعاقل: الحصون. والحرز: الحفظ (٥) الصروم جمع صرمة بالكسر وهى قطعة من الابل فوق العشرة إلى تسعة عشر أو فوق العشرين إلى الثلاثين أو الأربعين أو الخمسين. والعشار ـ جمع عشراء ـ بضم ففتح ـ كنفساء ـ وهى الناقة مضى لحملها عشرة أشهر. وتعطيل جماعات الابل اهمالها من الرعي. والمراد أن يوم

فَتَزْهَقُ كُلُّ مُهْجَةٍ ، وَتَبْكَمُ كُلُّ لَهْجَةٍ . وَتُدَكُّ الشُّمُّ الشَّوَامِخُ[١] ، وَالصُّمُّ الرَّوَاسِخُ . فَيَصِيرُ صَلْدُهَا سَرَاباً رَقْرَقاً[٢] ، وَمَعْهَدُهَا قَاعاً سَمْلَقاً . فَلَا شَفِيعٌ يَشْفَعُ وَلَا حَمِيمٌ يَدْفَعُ ، وَلَا مَعْذِرَةٌ تَنْفَعُ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعَثَهُ حِينَ لَا عَلَمٌ قَائِمٌ[٣] . وَلَا مَنَارٌ سَاطِعٌ . وَلَا مَنْهَجٌ وَاضِحٌ . أُوصِيكُمْ عِبَادَ اللهِ بِتَقْوَى اللهِ . وَأُحَذِّرُكُمُ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا دَارُ شُخُوصٍ[٤] ، وَمَحَلَّةُ تَنْغِيصٍ . سَاكِنُهَا ظَاعِنٌ . وَقَاطِنُهَا بَائِنٌ[٥] . تَمِيدُ بِأَهْلِهَا مَيَدَانَ السَّفِينَةِ تَقْصِفُهَا الْعَوَاصِفُ فِي لُجَجِ الْبِحَارِ[٦] . فَمِنْهُمُ الْغَرِقُ الْوَبِقُ[٧] .

القيامة تهمل فيه نفائس الأموال لاشتغال كل شخص بنجاة نفسه (١) الشم ــ جمع أشم ــ أى رفيع . والشامخ : المتسامى فى الارتفاع. والصم ــ جمع أصم ــ وهو الصلب المصمت أى الذى لا تجويف فيه . والراسخ : الثابت (٢) الصلد : الصلب الأملس . والسراب : مايخيله ضوء الشمس كالماء خصوصا فى الأراضى السبخة وليس بماء . والرقرق ــ كجعفر ــ المضطرب ومعهدها المحل الذى كان يعهد وجودها فيه . والقاع : ما اطمأن من الأرض. والسملق ــ كجعفر ــ المستوى أى تنسف تلك الجبال و يصير مكانها قاعا صفصفا أى مستويا (٣) الضمير فى بعثه للنبى صلى الله عليه وسلم (٤) الشخوص الذهاب والانتقال إلى بعيد (٥) بائن : مبتعد منفصل (٦) تميد أى تضطرب اضطراب السفينة . تقصفها أى تكسرها الرياح الشديدة (٧) الوبق ــ بكسر الباء ــ الهالك أى منهم من هلك عند تكسر السفينة ومنهم من بقيت فيه الحياة فخلص محمولا على بطون الأمواج كأن الأمواج فى انتفاخها كالحيوان المنقلب على ظهره و بطنه

ومِنْهُمُ النَّاجِي عَلَى بُطُونِ الْأَمْوَاجِ تَحْفِزُهُ الرِّيَاحُ بِأَذْيَالِهَا ، وَتَحْمِلُهُ عَلَى أَهْوَالِهَا . فَمَا غَرِقَ مِنْهَا فَلَيْسَ بِمُسْتَدْرَكٍ ، وَمَا نَجَا مِنْهَا فَإِلَى مَهْلِكٍ

عِبَادَ اللهِ الْآنَ فَاعْلَمُوا وَالْأَلْسُنُ مُطْلَقَةٌ ، وَالْأَبْدَانُ صَحِيحَةٌ ، وَالْأَعْضَاءُ لَدْنَةٌ (١) ، وَالْمُنْقَلَبُ فَسِيحٌ ، وَالْمَجَالُ عَرِيضٌ ، قَبْلَ إِرْهَاقِ الْفَوْتِ (٢) ، وَحُلُولِ الْمَوْتِ . فَحَقِّقُوا عَلَيْكُمْ نُزُولَهُ ، وَلَا تَنْتَظِرُوا قُدُومَهُ .

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَلَقَدْ عَلِمَ الْمُسْتَحْفَظُونَ مِنْ أَصْحَابِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (٣) أَنِّي لَمْ أَرُدَّ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ سَاعَةً قَطُّ . وَلَقَدْ وَاسَيْتُهُ بِنَفْسِي فِي الْمَوَاطِنِ الَّتِي تَنْكُصُ فِيهَا الْأَبْطَالُ (٤) ، وَتَتَأَخَّرُ فِيهَا الْأَقْدَامُ

لأعلى : وتحفزه أى تدفعه . ومصير هذا الناجي أيضا إلى الهلاك بعد طول العناء (١) اللدن - بالفتح - اللين أى والأعضاء فى لين الحياة يمكن استعمالها فى العمل . والمنقلب - بفتح اللام - مكان الانقلاب من الضلال إلى الهدى فى هذه الحياة (٢) أرهقه الشىء : أعجله فلم يتمكن من فعله . والفوت ذهاب الفرصة بحلول الأجل (٣) المستحفظون - بفتح الفاء - اسم مفعول أى الذين أودعهم النبي صلى الله عليه وسلم أمانة سره وطالبهم بحفظها . ولم يرد على الله ورسوله : لم يعارضهما فى أحكامهما (٤) المواساة بالشىء الاشراك فيه فقد أشرك النبي فى نفسه ولا تكون بالمال الا أن يكون كفافا فان أعطيت عن فضل فليس بمواساة قالوا والفصيح فى الفعل آسيته ولكن نطق الامام حجة

نَجْدَةً أَكْرَمَنِي ٱللهُ بِهَا(١)

وَلَقَدْ قُبِضَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَإِنَّ رَأْسَهُ لَعَلَى صَدْرِي. وَلَقَدْ سَالَتْ نَفْسُهُ فِي كَفِّي فَأَمْرَرْتُهَا عَلَى وَجْهِي(٢). وَلَقَدْ وُلِّيتُ غُسْلَهُ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَٱلْمَلَائِكَةُ أَعْوَانِي، فَضَجَّتِ ٱلدَّارُ وَٱلْأَفْنِيَةُ(٣) مَلَأٌ يَهْبِطُ وَمَلَأٌ يَعْرُجُ وَمَا فَارَقَتْ سَمْعِي هَيْنَمَةٌ مِنْهُمْ(٤). يُصَلُّونَ عَلَيْهِ حَتَّى وَارَيْنَاهُ فِي ضَرِيحِهِ. فَمَنْ ذَا أَحَقُّ بِهِ مِنِّي حَيًّا وَمَيِّتًا؟ فَانْفُذُوا عَلَى بَصَائِرِكُمْ(٥)، وَلْتَصْدُقْ نِيَّاتُكُمْ فِي جِهَادِ عَدُوِّكُمْ. فَوَٱلَّذِي لَا إِلٰهَ إِلَّا هُوَ إِنِّي لَعَلَى جَادَّةِ ٱلْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَعَلَى مَزَلَّةِ ٱلْبَاطِلِ(٦). أَقُولُ مَا تَسْمَعُونَ وَأَسْتَغْفِرُ ٱللهَ لِي وَلَكُمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

يَعْلَمُ عَجِيجَ ٱلْوُحُوشِ فِي ٱلْفَلَوَاتِ، وَمَعَاصِيَ ٱلْعِبَادِ فِي ٱلْخَلَوَاتِ، وَٱخْتِلَافَ ٱلنِّينَانِ فِي ٱلْبِحَارِ ٱلْغَامِرَاتِ(٧)، وَتَلَاطُمَ ٱلْمَاءِ بِالرِّيَاحِ ٱلْعَاصِفَاتِ

---

(١) النجدة ـ بالفتح ـ الشجاعة. ونصبها هنا على المصدرية لفعل محذوف (٢) نفسه دمه روى أن النبي صلى الله عليه وسلم قاء فى مرضه فتلقى قيأه أمير المؤمنين فى يده ومسح به وجهه (٣) ضجيج الدار كان بالملائكة النازلين والعارجين . والأفنية جمع فناء ـ بكسر الفاء ـ ما اتسع أمام الدار (٤) الهينمة الصوت الخفى (٥) البصيرة : ضياء العقل كأنه يقول فاذهبوا إلى عدوكم محمولين على اليقين الذى لاريبة فيه (٦) المزلة: مكان الزلل الموجب للسقوط فى الهلكة (٧) النينان ـ جمع نون ـ وهو الحوت

وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا نَجِيبُ اللهِ (١) وَسَفِيرُ وَحْيِهِ وَرَسُولُ رَحْمَتِهِ

أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنِّي أُوصِيكُمْ بِتَقْوَى اللهِ الَّذِي ابْتَدَأَ خَلْقَكُمْ ، وَإِلَيْهِ يَكُونُ مَعَادُكُمْ ، وَبِهِ نَجَاحُ طَلِبَتِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مُنْتَهَى رَغْبَتِكُمْ ، وَنَحْوَهُ قَصْدُ سَبِيلِكُمْ ، وَإِلَيْهِ مَرَامِي مَفْزَعِكُمْ (٢) . فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ دَوَاءُ دَاءِ قُلُوبِكُمْ ، وَبَصَرُ عَمَى أَفْئِدَتِكُمْ ، وَشِفَاءُ مَرَضِ أَجْسَادِكُمْ ، وَصَلَاحُ فَسَادِ صُدُورِكُمْ ، وَطَهُورُ دَنَسِ أَنْفُسِكُمْ ، وَجَلَاءُ عَشَا أَبْصَارِكُمْ وَأَمْنُ فَزَعِ جَأْشِكُمْ (٣) ، وَضِيَاءُ سَوَادِ ظُلْمَتِكُمْ . فَاجْعَلُوا طَاعَةَ اللهِ شِعَارًا دُونَ دِثَارِكُمْ (٤) ، وَدَخِيلًا دُونَ شِعَارِكُمْ ، وَلَطِيفًا بَيْنَ أَضْلَاعِكُمْ وَأَمِيرًا فَوْقَ أُمُورِكُمْ ، وَمَنْهَلًا لِحِينِ وُرُودِكُمْ (٥) ، وَشَفِيعًا لِدَرَكِ طَلِبَتِكُمْ وَجُنَّةً لِيَوْمِ فَزَعِكُمْ ، وَمَصَابِيحَ لِبُطُونِ قُبُورِكُمْ ، وَسَكَنًا لِطُولِ وَحْشَتِكُمْ ، وَنَفَسًا لِكُرَبِ مَوَاطِنِكُمْ . فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ حِرْزٌ مِنْ مَتَالِفَ مُكْتَنِفَةٍ ، وَمَخَاوِفَ مُتَوَقَّعَةٍ ، وَأُوَارِ نِيرَانٍ مُوقَدَةٍ (٦) . فَمَنْ

---

(١) النجيب المختار المصطفى (٢) مرمى المفزع مايدفع اليه الخوف وهو الملجأ أى واليه ملاجىء خوفكم (٣) الجأش : مايضطرب فى القلب عند الفزع أو التهيب أو توقع المكروه (٤) الشعار : مايلى البدن من الثياب . والدثار : مافوقه (٥) المنهل ماترده الشاربة من الماء للشرب . والدرك ـ بالتحريك ـ اللحاق . والطلبة ـ بالكسر ـ المطلوب. والجنة ـ بالضم ـ الوقاية (٦) الأوار ـ بالضم ـ حرارة النار ولهيبها

أَخَذَ بالتَّقْوَى عَزَبَتْ عَنْهُ الشَّدَائِدُ بَعْدَ دُنُوِّهَا[١] ، وَاحْلَوْلَتْ لَهُ الْأُمُورُ بَعْدَ مَرَارَتِهَا ، وَانْفَرَجَتْ عَنْهُ الْأَمْوَاجُ بَعْدَ تَرَاكُمِهَا ، وَأَسْهَلَتْ لَهُ الصِّعَابُ بَعْدَ إِنْصَابِهَا[٢] ، وَهَطَلَتْ عَلَيْهِ الْكَرَامَةُ بَعْدَ قُحُوطِهَا ، وَتَحَدَّبَتْ عَلَيْهِ الرَّحْمَةُ بَعْدَ نُفُورِهَا[٣] ، وَتَفَجَّرَتْ عَلَيْهِ النِّعَمُ بَعْدَ نُضُوبِهَا ، وَوَبَلَتْ عَلَيْهِ الْبَرَكَةُ بَعْدَ إِرْذَاذِهَا

فَاتَّقُوا اللهَ الَّذِى نَفَعَكُمْ بِمَوْعِظَتِهِ ، وَوَعَظَكُمْ بِرِسَالَتِهِ ، وَامْتَنَّ عَلَيْكُمْ بِنِعْمَتِهِ . فَعَبِّدُوا أَنْفُسَكُمْ لِعِبَادَتِهِ[٤] ، وَاخْرُجُوا إِلَيْهِ مِنْ حَقِّ طَاعَتِهِ .

ثُمَّ إِنَّ هٰذَا الْإِسْلَامَ دِينُ اللهِ الَّذِى اصْطَفَاهُ لِنَفْسِهِ ، وَاصْطَنَعَهُ عَلَى عَيْنِهِ ، وَأَصْفَاهُ[٥] خِيَرَةَ خَلْقِهِ ، وَأَقَامَ دَعَائِمَهُ عَلَى مَحَبَّتِهِ أَذَلَّ الْأَدْيَانَ بِعِزَّتِهِ ، وَوَضَعَ الْمِلَلَ بِرَفْعِهِ ، وَأَهَانَ أَعْدَاءَهُ بِكَرَامَتِهِ ، وَخَذَلَ

(١) عزبت بالزاى غابت و بعدت (٢) الانصاب مصدر بمعنى الاتعاب (٣) تحدب عليه : عطف. ونضب الماء نضو بأ غار وذهب فى الأرض. ونضوب النعمه: قلتها أو زوالها . وو بلت السماء : أمطرت مطراً شديداً . وأرذت ـ بتشديد الذال ـ ارذاذاً مطرت مطراً ضعيفاً فى سكون كأنه الغبار المتطاير (٤) فعبدوا أى فذللوا (٥) اصطناع الشىء على العين : الأمر بصنعته تحت النظر خوف المخالفة فى المطلوب من صنعته ، والمراد هنا تشريع الدين وتكميله على حسب علم الله الأعلى وتحت عنايته بحفظه . ووجه التجوز ظاهر ، وأصفاه العطاء و به أخلص له وآثره به ، وخيرة ـ بفتح الياء ـ أفضل مايضاف

مُحَادِّيهِ بِنَصْرِهِ(١) ، وَهَدَمَ أَرْكَانَ ٱلضَّلَالَةِ بِرُكْنِهِ . وَسَقَى مَنْ عَطِشَ مِنْ حِيَاضِهِ ، وَأَتْأَقَ ٱلْحِيَاضَ بِمَوَاتِحِهِ(٢) . ثُمَّ جَعَلَهُ لَا ٱنْفِصَامَ لِعُرْوَتِهِ ، وَلَا فَكَّ لِحَلْقَتِهِ ، وَلَا ٱنْهِدَامَ لِأَسَاسِهِ ، وَلَا زَوَالَ لِدَعَائِمِهِ ، وَلَا ٱنْقِلَاعَ لِشَجَرَتِهِ ، وَلَا ٱنْقِطَاعَ لِمُدَّتِهِ ، وَلَا عَفَاءَ لِشَرَائِعِهِ(٣) ، وَلَا جَذَّ لِفُرُوعِهِ ، وَلَا ضَنْكَ لِطُرُقِهِ ، وَلَا وُعُوثَةَ لِسُهُولَتِهِ ، وَلَا سَوَادَ لِوَضَحِهِ ، وَلَا عِوَجَ لِانْتِصَابِهِ ، وَلَا عَصَلَ فِي عُودِهِ ، وَلَا وَعَثَ لِفَجِّهِ ، وَلَا ٱنْطِفَاءَ لِمَصَابِيحِهِ ، وَلَا مَرَارَةَ لِحَلَاوَتِهِ ، فَهُوَ دَعَائِمُ أَسَاخَ فِي ٱلْحَقِّ أَسْنَاخَهَا(٤) ، وَثَبَّتَ لَهَا أَسَاسَهَا وَيَنَابِيعُ غَزُرَتْ عُيُونُهَا ، وَمَصَابِيحُ شَبَّتْ نِيرَانُهَا ، وَمَنَارٌ ٱقْتَدَى بِهَا سُفَّارُهَا(٥) ، وَأَعْلَامٌ قُصِدَ بِهَا فِجَاجُهَا ، وَمَنَاهِلُ رَوِيَ بِهَا وُرَّادُهَا . جَعَلَ فِيهِ مُنْتَهَى رِضْوَانِهِ ، وَذِرْوَةَ دَعَائِمِهِ ، وَسَنَامَ طَاعَتِهِ .

اليه أى وآثر هذا الدين بأفضل الخلق ليبلغه للناس (١) محاديه — جمع محاد — الشديد المخالفة . والركن : العز والمنعة (٢) تئق الحوض — كفرح — امتلأ . واتأقه ملأه . والمواتح — جمع ماتح — نازع الماء من الحوض (٣) العفاء — كسحاب — الدروس والاضمحلال . والجذ : القطع . والضنك : الضيق . والوعوثة : رخاوة فى السهل تغوص بها الأقدام عند السير فيعسر المشى فيه . والوضح : محركة بياض الصبح . والعصل — بفتح الصاد — الاعوجاج يصعب تقويمه . ووعث الطريق : تعسر المشى فيه . والفج : الطريق الواسع بين جبلين (٤) أساخ : أثبت . وأصل ساخ غاص فى لين وخاض فيه . والأسناخ : الأصول . وغزرت : كثرت . وشبت النار : ارتفعت من الايقاد (٥) المنار : ما ارتفع لتوضع عليه نار يهتدى اليها . والسفار — بضم فتشديد — [illegible] السفر أى يهتدى

فَهُوَ عِنْدَ اللهِ وَثِيقُ الْأَرْكَانِ، رَفِيعُ الْبُنْيَانِ، مُنِيرُ الْبُرْهَانِ، مُضِيءُ النِّيرَانِ، عَزِيزُ السُّلْطَانِ، مُشْرِفُ الْمَنَارِ[1] مُعْوِزُ الْمَثَارِ. فَشَرِّفُوهُ وَاتَّبِعُوهُ، وَأَدُّوا إِلَيْهِ حَقَّهُ، وَضَعُوهُ مَوَاضِعَهُ. ثُمَّ إِنَّ اللهَ بَعَثَ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِالْحَقِّ حِينَ دَنَا مِنَ الدُّنْيَا الِانْقِطَاعُ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْآخِرَةِ الِاطِّلَاعُ[2]. وَأَظْلَمَتْ بَهْجَتُهَا بَعْدَ إِشْرَاقٍ[3]، وَقَامَتْ بِأَهْلِهَا عَلَى سَاقٍ. وَخَشُنَ مِنْهَا مِهَادٌ، وَأَزِفَ مِنْهَا قِيَادٌ. فِي انْقِطَاعٍ مِنْ مُدَّتِهَا، وَاقْتِرَابٍ مِنْ أَشْرَاطِهَا[4]، وَتَصَرُّمٍ مِنْ أَهْلِهَا، وَانْفِصَامٍ مِنْ حَلْقَتِهَا، وَانْتِشَارٍ مِنْ سَبَبِهَا، وَعَفَاءٍ مِنْ أَعْلَامِهَا، وَتَكَشُّفٍ مِنْ عَوْرَاتِهَا، وَقِصَرٍ مِنْ طُولِهَا. جَعَلَهُ اللهُ بَلَاغًا لِرِسَالَتِهِ، وَكَرَامَةً لِأُمَّتِهِ، وَرَبِيعًا لِأَهْلِ زَمَانِهِ، وَرِفْعَةً لِأَعْوَانِهِ، وَشَرَفًا لِأَنْصَارِهِ

اليه المسافرون فى طريق الحق . والأعلام . مايوضع على أوليات الطرق أو أوساطها ليدل عليها فهو هدايات بسببها قصد السالكون طرقها (١) مشرف المنار : مرتفعه وأعوزه الشيء : احتاج اليه فلم ينله . والمثار مصدر من ثار الغبار إذا هاج أى لوطلب أحد اثارة هذا الدين لما استطاع لثباته (٢) الاطلاع : الاتيان اطلع فلان علينا أى أتانا (٣) الضمير فى بهجتها للدنيا . وقامت بأهلها على ساق أى أفزعتهم . وخشونة المهاد : كناية عن شدة آلامها. وأزف - كفرح - أى قرب ، والمراد من القياد انقيادها للزوال (٤) الأشراط جمع شرط - كسبب - أى علامات انقضائها. والتصرم : التقطع. والانفصام : الانقطاع .و إذا انفصمت الحلقة انقطعت الرابطة. وانتشار الأسباب تبددها

ثُمَّ أَنْزَلَ عَلَيْهِ الْكِتَابَ نُورًا لَا تُطْفَأُ مَصَابِيحُهُ، وَسِرَاجًا لَا يَخْبُو تَوَقُّدُهُ(١)، وَبَحْرًا لَا يُدْرَكُ قَعْرُهُ، وَمِنْهَاجًا لَا يُضِلُّ نَهْجُهُ(٢)، وَشُعَاعًا لَا يُظْلِمُ ضَوْءُهُ، وَفُرْقَانًا لَا يُخْمَدُ بُرْهَانُهُ، وَتِبْيَانًا لَا تُهْدَمُ أَرْكَانُهُ وَشِفَاءً لَا تُخْشَى أَسْقَامُهُ، وَعِزًّا لَا تُهْزَمُ أَنْصَارُهُ، وَحَقًّا لَا تُخْذَلُ أَعْوَانُهُ. فَهُوَ مَعْدِنُ الْإِيمَانِ وَبُحْبُوحَتُهُ(٣)، وَيَنَابِيعُ الْعِلْمِ وَبُحُورُهُ، وَرِيَاضُ الْعَدْلِ وَغُدْرَانُهُ(٤)، وَأَثَافِيُّ الْإِسْلَامِ وَبُنْيَانُهُ، وَأَوْدِيَةُ الْحَقِّ وَغِيطَانُهُ(٥). وَبَحْرٌ لَا يَنْزِفُهُ الْمُسْتَنْزِفُونَ(٦)، وَعُيُونٌ لَا يُنْضِبُهَا الْمَاتِحُونَ وَمَنَاهِلُ لَا يُغِيضُهَا الْوَارِدُونَ، وَمَنَازِلُ لَا يَضِلُّ نَهْجَهَا الْمُسَافِرُونَ، وَأَعْلَامٌ لَا يَعْمَى عَنْهَا السَّائِرُونَ وَآكَامٌ لَا يَجُوزُ عَنْهَا(٧) الْقَاصِدُونَ.

حتى لا تضبط. وعفاء الاعلام اندراسها (١) خبت النار: طفئت (٢) المنهاج: الطريق الواسع. والنهج هنا السلوك. ويضل رباعي أي لا يكون من سلوكه اضلال (٣) بحبوحة المكان: وسطه (٤) الرياض جمع روضة وهي مستنقع الماء في رمل أو عشب. والغدران جمع غدير وهو القطعة من الماء يغادرها السيل. والمراد أن الكتاب مجمع العدالة تلتقي فيه متفرقاتها. والأثافي جمع أثفية الحجر يوضع عليه القدر أي عليه قام الاسلام (٥) غيطان الحق ـ جمع غاط أو غوط ـ وهو المطمئن من الأرض أي أن هذا الكتاب منابت طيبة يزكو بها الحق وينمو (٦) لا ينزفه أي لا يفنى ماؤه ولا يستفرغه المغترفون ولا ينضبها ـ كيكرمها ـ أي ينقصها. والماتحون ـ جمع ماتح نازع الماء من الحوض. والمناهل: مواضع الشرب من النهر. ولا يغيضها من أغاض الماء نقصه (٧) آكام ـ جمع أكمة ـ وهو الموضع يكون أشد ارتفاعا مما حوله وهو دون الجبل في غلظ لا يبلغ أن يكون حجراً. فطرق الحق تنتهي إلى أعالي هذا الكتاب

جَعَلَهُ ٱللّٰهُ رِيًّا لِعَطَشِ ٱلْعُلَمَاءِ ، وَرَبِيعًا لِقُلُوبِ ٱلْفُقَهَاءِ ، وَمَحَاجَّ لِطُرُقِ ٱلصُّلَحَاءِ ، وَدَوَاءً لَيْسَ بَعْدَهُ دَاءٌ ، وَنُورًا لَيْسَ مَعَهُ ظُلْمَةٌ وَحَبْلًا وَثِيقًا عُرْوَتُهُ ، وَمَعْقِلًا مَنِيعًا ذِرْوَتُهُ ، وَعِزًّا لِمَنْ تَوَلَّاهُ ، وَسِلْمًا لِمَنْ دَخَلَهُ ، وَهُدًى لِمَنِ ٱئْتَمَّ بِهِ ، وَعُذْرًا لِمَنِ ٱنْتَحَلَهُ ، وَبُرْهَانًا لِمَنْ تَكَلَّمَ بِهِ ، وَشَاهِدًا لِمَنْ خَاصَمَ بِهِ ، وَفَلْجًا لِمَنْ حَاجَّ بِهِ (١) ، وَحَامِلًا لِمَنْ حَمَلَهُ ، وَمَطِيَّةً لِمَنْ أَعْمَلَهُ ، وَآيَةً لِمَنْ تَوَسَّمَ ، وَجُنَّةً لِمَنِ ٱسْتَلْأَمَ (٢) . وَعِلْمًا لِمَنْ وَعَى ، وَحَدِيثًا لِمَنْ رَوَى ، وَحُكْمًا لِمَنْ قَضَى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يُوصِي بِهِ أَصْحَابَهُ

تَعَاهَدُوا أَمْرَ ٱلصَّلَاةِ وَحَافِظُوا عَلَيْهَا ، وَٱسْتَكْثِرُوا مِنْهَا ، وَتَقَرَّبُوا بِهَا ، فَإِنَّهَا كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا . أَلَا تَسْمَعُونَ إِلَى جَوَابِ أَهْلِ ٱلنَّارِ حِينَ سُئِلُوا : « مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ ؟ قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ ٱلْمُصَلِّينَ » وَإِنَّهَا لَتَحُتُّ ٱلذُّنُوبَ حَتَّ ٱلْوَرَقِ (٣) ، وَتُطْلِقُهَا إِطْلَاقَ ٱلرِّبَقِ (٤)

وعندها ينقطع سير السائرين اليه لايتجاوزنها والمتجاوز هالك . والمحاج - جمع محجة - وهي الجادة من الطريق (١) الفلج - بالفتح (*) - الظفر والفوز (٢) الجنة - بالضم - مابه يتقى الضرر. واستلأم أي لبس اللأمة وهي الدرع أو جميع أدوات الحرب أي أن من جعل القرآن لأمة حربه لمدافعة الشبه والتوقي من الضلالة كان القرآن وقاية له (٣) حت الورق عن الشجرة : قشره (٤) الربق - بالكسر - حبل فيه عدة

(*) أي بفتح الفاء مع سكون اللام

وَشَبَّهَهَا رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالْحَمَّةِ(١) تَكُونُ عَلَى بَابِ ٱلرَّجُلِ فَهُوَ يَغْتَسِلُ مِنْهَا فِي ٱلْيَوْمِ وَٱللَّيْلَةِ خَمْسَ مَرَّاتٍ فَمَا عَسَى أَنْ يَبْقَى عَلَيْهِ مِنَ الدَّرَنِ. وَقَدْ عَرَفَ حَقَّهَا رِجَالٌ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ لَا تَشْغَلُهُمْ عَنْهَا زِينَةُ مَتَاعٍ وَلَا قُرَّةُ عَيْنٍ مِنْ وَلَدٍ وَلَا مَالٍ. يَقُولُ ٱللهُ سُبْحَانَهُ «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ ٱللهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ ٱلزَّكَاةِ» وَكَانَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَصِباً بِالصَّلَاةِ(٢) بَعْدَ ٱلتَّبْشِيرِ لَهُ بِالْجَنَّةِ لِقَوْلِ ٱللهِ سُبْحَانَهُ «وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَٱصْطَبِرْ عَلَيْهَا» فَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ وَيَصْبِرُ عَلَيْهَا نَفْسَهُ

ثُمَّ إِنَّ ٱلزَّكَاةَ جُعِلَتْ مَعَ ٱلصَّلَاةِ قُرْبَاناً لِأَهْلِ ٱلْإِسْلَامِ فَمَنْ أَعْطَاهَا طَيِّبَ ٱلنَّفْسِ بِهَا فَإِنَّهَا تُجْعَلُ لَهُ كَفَّارَةً، وَمِنَ ٱلنَّارِ حِجَازاً وَوِقَايَةً. فَلَا يُتْبِعَنَّهَا أَحَدٌ نَفْسَهُ(٣)، وَلَا يُكْثِرَنَّ عَلَيْهَا لَهَفَهُ. فَإِنَّ مَنْ أَعْطَاهَا غَيْرَ طَيِّبِ ٱلنَّفْسِ بِهَا يَرْجُو بِهَا مَا هُوَ أَفْضَلُ مِنْهَا فَهُوَ جَاهِلٌ بِالسُّنَّةِ مَغْبُونُ ٱلْأَجْرِ. ضَالُّ ٱلْعَمَلِ. طَوِيلُ ٱلنَّدَمِ

عرى كل منها ربقة أى اطلاق الحبل ممن ربطا به فكأن الذنوب ربق فى الاعناق والصلاة تفكها منه (١) الحمة — بالفتح — كل عين تنبع بالماء الحار يستشفى بها من العلل. والدرن: الوسخ. روى فى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم قال أيسر أحدكم أن يكون على بابه حمة يغتسل منها كل يوم خمس مرات فلا يبقى من درنه شىء؟ قالوا نعم، قال انها الصلوات الخمس (٢) نصبا — بفتح فكسر — أى تعبا (٣) أى من

ثُمَّ أَدَاءَ ٱلْأَمَانَةِ ، فَقَدْ خَابَ مَنْ لَيْسَ مِنْ أَهْلِهَا . إِنَّهَا عُرِضَتْ عَلَى ٱلسَّمٰوَاتِ ٱلْمَبْنِيَّةِ ، وَٱلْأَرَضِينَ ٱلْمَدْحُوَّةِ (١) ، وَٱلْجِبَالِ ذَاتِ ٱلطُّولِ ٱلْمَنْصُوبَةِ ، فَلَا أَطْوَلَ وَلَا أَعْرَضَ وَلَا أَعْلَى وَلَا أَعْظَمَ مِنْهَا . وَلَوِ ٱمْتَنَعَ شَيْءٌ بِطُولٍ أَوْ عَرْضٍ أَوْ قُوَّةٍ أَوْ عِزٍّ لَامْتَنَعْنَ ، وَلٰكِنْ أَشْفَقْنَ مِنَ ٱلْعُقُوبَةِ ، وَعَقَلْنَ مَا جَهِلَ مَنْ هُوَ أَضْعَفُ مِنْهُنَّ وَهُوَ ٱلْإِنْسَانُ «إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا»

إِنَّ ٱللّٰهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَا يَخْفَى عَلَيْهِ مَا ٱلْعِبَادُ مُقْتَرِفُونَ فِي لَيْلِهِمْ وَنَهَارِهِمْ (٢) . لَطُفَ بِهِ خُبْرًا ، وَأَحَاطَ بِهِ عِلْمًا ، أَعْضَاؤُكُمْ شُهُودُهُ ، وَجَوَارِحُكُمْ جُنُودُهُ ، وَضَمَائِرُكُمْ عُيُونُهُ ، وَخَلَوَاتُكُمْ عِيَانُهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وَٱللّٰهِ مَا مُعَاوِيَةُ بِأَدْهَى مِنِّي وَلٰكِنَّهُ يَغْدِرُ وَيَفْجُرُ . وَلَوْلَا كَرَاهِيَةُ ٱلْغَدْرِ لَكُنْتُ مِنْ أَدْهَى ٱلنَّاسِ ؛ وَلٰكِنْ كُلُّ غَدْرَةٍ فَجْرَةٌ ، وَكُلُّ فَجْرَةٍ كَفْرَةٌ . وَلِكُلِّ غَادِرٍ لِوَاءٌ يُعْرَفُ بِهِ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ . وَٱللّٰهِ مَا أُسْتَغْفَلُ

أعطى الزكاة فلا تذهب نفسه مع ما أعطى تعلقاً به ولهفاً عليه . ومغبون الأجر : منقوصه
(١) المدحوة : المبسوطة (٢) مقترفون أى مكتسبون . والخبر بضم الخاء العلم والله لطيف العلم بما يكسبه الناس أى دقيقه كأنه ينفذ فى سرائرهم كما ينفذ لطيف الجواهر فى مسام

بِالْمَكِيدَةِ ، وَلَا أُسْتَغْمَزُ بِالشَّدِيدَةِ[١]

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

أَيُّهَا النَّاسُ لَا تَسْتَوْحِشُوا فِي طَرِيقِ الْهُدَى لِقِلَّةِ أَهْلِهِ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ قَدِ اجْتَمَعُوا عَلَى مَائِدَةٍ شِبَعُهَا قَصِيرٌ[٢] ، وَجُوعُهَا طَوِيلٌ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا يَجْمَعُ النَّاسَ الرِّضَاءُ وَالسُّخْطُ[٣] . وَإِنَّمَا عَقَرَ نَاقَةَ ثَمُودَ رَجُلٌ وَاحِدٌ فَعَمَّهُمُ اللهُ بِالْعَذَابِ لَمَّا عَمُّوهُ بِالرِّضَا فَقَالَ سُبْحَانَهُ : «فَعَقَرُوهَا فَأَصْبَحُوا نَادِمِينَ » فَمَا كَانَ إِلَّا أَنْ خَارَتْ أَرْضُهُمْ بِالْخَسْفَةِ[٤] خُوَارَ السِّكَّةِ الْمُحْمَاةِ فِي الْأَرْضِ الْخَوَّارَةِ

أَيُّهَا النَّاسُ مَنْ سَلَكَ الطَّرِيقَ الْوَاضِحَ وَرَدَ الْمَاءَ ، وَمَنْ خَالَفَ وَقَعَ فِي التِّيهِ

الأجسام بل هو أعظم من ذلك. والعيان ـ بكسر العين ـ المعاينة والمشاهدة (١) لا أستغمز مبنى للمجهول أى لا أستضعف بالقوة الشديدة . والمعنى لا يستضعفنى شديد القوة . والغمز: محركة ـ الرجل الضعيف (٢) المائدة هى مائدة الدنيا فلا تغرنكم رغباتها فتنضم بكم مع الضالين فى محبتها فذلك متاع قليل (٣) أى يجمعهم فى استحقاق العقاب فان الراضى بالمنكر كفاعله ومن لم ينه عنه فهو به راض (٤) خارت : صوتت كخوار الثور . والسكة المحماة حديدة المحراث إذا أحميت فى النار فهى أسرع غوراً فى الأرض الخوارة أى السهلة اللينة ، وقد يكون لها صوت شديد إذا كان فى الأرض شىء من جذور

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

عند دفن سيدة النساء فاطمة عليها السلام

اَلسَّلَامُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ ٱللهِ عَنِّي وَعَنِ ٱبْنَتِكَ ٱلنَّازِلَةِ فِي جِوَارِكَ وَٱلسَّرِيعَةِ ٱللَّحَاقِ بِكَ. قَلَّ يَارَسُولَ ٱللهِ عَنْ صَفِيَّتِكَ صَبْرِي، وَرَقَّ عَنْهَا تَجَلُّدِي. إِلَّا أَنَّ لِي فِي ٱلتَّأَسِّي بِعَظِيمِ فُرْقَتِكَ[1]، وَفَادِحِ مُصِيبَتِكَ مَوْضِعَ تَعَزٍّ. فَلَقَدْ وَسَّدْتُكَ فِي مَلْحُودَةِ قَبْرِكَ، وَفَاضَتْ بَيْنَ نَحْرِي وَصَدْرِي نَفْسُكَ. إِنَّا لِلّٰهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ. فَلَقَدِ ٱسْتُرْجِعَتِ ٱلْوَدِيعَةُ، وَأُخِذَتِ ٱلرَّهِينَةُ. أَمَّا حُزْنِي فَسَرْمَدٌ، وَأَمَّا لَيْلِي فَمُسَهَّدٌ[2] إِلَى أَنْ يَخْتَارَ ٱللهُ لِي دَارَكَ ٱلَّتِي أَنْتَ بِهَا مُقِيمٌ. وَسَتُنَبِّئُكَ ٱبْنَتُكَ بِتَضَافُرِ أُمَّتِكَ عَلَى هَضْمِهَا[3] فَأَحْفِهَا ٱلسُّؤَالَ وَٱسْتَخْبِرْهَا ٱلْحَالَ. هٰذَا وَلَمْ يَطُلِ ٱلْعَهْدُ. وَلَمْ يَخْلُ مِنْكَ ٱلذِّكْرُ. وَٱلسَّلَامُ عَلَيْكُمَا سَلَامَ مُوَدِّعٍ لَا قَالٍ وَلَا سَئِمٍ[4]. فَإِنْ أَنْصَرِفْ فَلَا عَنْ مَلَالَةٍ. وَإِنْ أُقِمْ فَلَا عَنْ سُوءِ ظَنٍّ بِمَا وَعَدَ ٱللهُ ٱلصَّابِرِينَ

النبات ، يشتد الصوت كلما اشتدت السرعة (١) يريد بالتأسي الاعتبار بالمثال المتقدم. والفادح : المثقل . والتعزى : التصبر . وملحودة القبر : الجهة المشقوقة منه (٢) ينقضى بالسهاد وهو السهر (٣) هضمها : ظلمها . واحفاء السؤال : الاستقصاء فيه (٤) القالى:

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا الدُّنْيَا دَارُ مَجَازٍ[1] وَالآخِرَةُ دَارُ قَرَارٍ، فَخُذُوا مِنْ مَمَرِّكُمْ لِمَقَرِّكُمْ. وَلَا تَهْتِكُوا أَسْتَارَكُمْ عِنْدَ مَنْ يَعْلَمُ أَسْرَارَكُمْ. وَأَخْرِجُوا مِنَ الدُّنْيَا قُلُوبَكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَخْرُجَ مِنْهَا أَبْدَانُكُمْ. فَفِيهَا اخْتُبِرْتُمْ، وَلِغَيْرِهَا خُلِقْتُمْ. إِنَّ الْمَرْءَ إِذَا هَلَكَ قَالَ النَّاسُ مَا تَرَكَ وَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ مَا قَدَّمَ. لِلّٰهِ آبَاؤُكُمْ فَقَدِّمُوا بَعْضًا يَكُنْ لَكُمْ قَرْضًا وَلَا تُخَلِّفُوا كُلًّا فَيَكُونَ عَلَيْكُمْ

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلامُ

كَانَ كَثِيرًا مَا يُنَادِي بِهِ أَصْحَابَهُ

تَجَهَّزُوا رَحِمَكُمُ اللّٰهُ فَقَدْ نُودِيَ فِيكُمْ بِالرَّحِيلِ. وَأَقِلُّوا الْعُرْجَةَ عَلَى الدُّنْيَا[2]. وَانْقَلِبُوا بِصَالِحِ مَا بِحَضْرَتِكُمْ مِنَ الزَّادِ فَإِنَّ أَمَامَكُمْ عَقَبَةً كَؤُودًا، وَمَنَازِلَ مَخُوفَةً مَهُولَةً لَا بُدَّ مِنَ الْوُرُودِ عَلَيْهَا وَالْوُقُوفِ عِنْدَهَا. وَاعْلَمُوا أَنَّ مَلَاحِظَ الْمَنِيَّةِ نَحْوَكُمْ دَانِيَةٌ[3]. وَكَأَنَّكُمْ

المبغض . والسئم من السآمة (١) أي ممر إلى الآخرة (٢) العرجة ـ بالضم ـ اسم من التعريج بمعنى حبس المطية على المنزل أي اجعلوا ركونكم اليها قليلا . والكؤود : الصعبة المرتقى (٣) ملاحظ المنية : منبعث نظرها . ودانية : قريبة . ونشبت : علقت بكم

بِمَخَالِبِهَا وَقَدْ نَشِبَتْ فِيكُمْ ، وَقَدْ دَهَمَتْكُمْ فِيهَا مُفْظِعَاتُ الْأُمُورِ وَمُعْضِلَاتُ الْمَحْذُورِ. فَقَطِّعُوا عَلَائِقَ الدُّنْيَا، وَاسْتَظْهِرُوا بِزَادِ التَّقْوَى[١]

(وَقَدْ مَضَى شَيْءٌ مِنْ هٰذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ بِخِلَافِ هٰذِهِ الرِّوَايَةِ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

كلّم به طلحة والزبير بعد بيعته بالخلافة وقد عتبا من ترك مشورتهما والاستعانة في الأمور بهما

لَقَدْ نَقِمْتُمَا يَسِيرًا[٢] وَأَرْجَأْتُمَا كَثِيرًا. أَلَا تُخْبِرَانِي أَيُّ شَيْءٍ لَكُمَا فِيهِ حَقٌّ دَفَعْتُكُمَا عَنْهُ ، وَأَيُّ قَسْمٍ اسْتَأْثَرْتُ عَلَيْكُمَا بِهِ ، أَمْ أَيُّ حَقٍّ رَفَعَهُ إِلَيَّ أَحَدٌ مِنَ الْمُسْلِمِينَ ضَعُفْتُ عَنْهُ أَمْ جَهِلْتُهُ ، أَمْ أَخْطَأْتُ بَابَهُ

وَاللّٰهِ مَا كَانَتْ لِي فِي الْخِلَافَةِ رَغْبَةٌ ، وَلَا فِي الْوِلَايَةِ إِرْبَةٌ[٣] . وَلٰكِنَّكُمْ دَعَوْتُمُونِي إِلَيْهَا وَحَمَلْتُمُونِي عَلَيْهَا . فَلَمَّا أَفْضَتْ إِلَيَّ نَظَرْتُ إِلَى كِتَابِ اللّٰهِ وَمَا وَضَعَ لَنَا وَأَمَرَنَا بِالْحُكْمِ بِهِ فَاتَّبَعْتُهُ ، وَمَا اسْتَسَنَّ النَّبِيُّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَاقْتَدَيْتُهُ . فَلَمْ أَحْتَجْ فِي ذٰلِكَ إِلَى رَأْيِكُمَا وَلَا رَأْيِ غَيْرِكُمَا ، وَلَا وَقَعَ حُكْمٌ جَهِلْتُهُ فَأَسْتَشِيرَكُمَا

---

(١) استظهروا : استعينوا (٢) نقمتما أى غضبتما ليسير ، وأخرتما مما يرضيكما كثيرا لم تنظرا اليه (٣) الاربة ــ بكسر ــ الغرض والطلبة

وَإِخْوَانِي ٱلْمُسْلِمِينَ، وَلَوْ كَانَ ذٰلِكَ لَمْ أَرْغَبْ عَنْكُمَا وَلَا عَنْ غَيْرِكُمَا. وَأَمَّا مَا ذَكَرْتُمَا مِنْ أَمْرِ ٱلْأُسْوَةِ[1] فَإِنَّ ذٰلِكَ أَمْرٌ لَمْ أَحْكُمْ أَنَا فِيهِ بِرَأْيِي وَلَا وَلِيتُهُ هَوًى مِنِّي. بَلْ وَجَدْتُ أَنَا وَأَنْتُمَا مَا جَاءَ بِهِ رَسُولُ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَدْ فُرِغَ مِنْهُ، فَلَمْ أَحْتَجْ إِلَيْكُمَا فِيمَا فَرَغَ ٱللّٰهُ مِنْ قَسْمِهِ وَأَمْضَى فِيهِ حُكْمَهُ. فَلَيْسَ لَكُمَا وَٱللّٰهِ عِنْدِي وَلَا لِغَيْرِكُمَا فِي هٰذَا عُتْبَى. أَخَذَ ٱللّٰهُ بِقُلُوبِنَا وَقُلُوبِكُمْ إِلَى ٱلْحَقِّ، وَأَلْهَمَنَا وَإِيَّاكُمُ ٱلصَّبْرَ

(ثُمَّ قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) رَحِمَ ٱللّٰهُ ٱمْرَأً رَأَى حَقًّا فَأَعَانَ عَلَيْهِ، أَوْ رَأَى جَوْرًا فَرَدَّهُ وَكَانَ عَوْنًا بِالْحَقِّ عَلَى صَاحِبِهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

وقد سمع قوماً من أصحابه يسبّون أهل الشام أيام حربهم بصفّين

إِنِّي أَكْرَهُ لَكُمْ أَنْ تَكُونُوا سَبَّابِينَ، وَلٰكِنَّكُمْ لَوْ وَصَفْتُمْ أَعْمَالَهُمْ وَذَكَرْتُمْ حَالَهُمْ كَانَ أَصْوَبَ فِي ٱلْقَوْلِ وَأَبْلَغَ فِي ٱلْعُذْرِ، وَقُلْتُمْ مَكَانَ سَبِّكُمْ إِيَّاهُمْ. ٱللّٰهُمَّ ٱحْقِنْ دِمَاءَنَا وَدِمَاءَهُمْ، وَأَصْلِحْ

(١) الاسوة ههنا التسوية بين المسلمين فى قسمة الأموال، وكان ذلك قد أغضبهما على ماروى

ذَاتَ بَيْنِنَا وَبَيْنِهِمْ ، وَٱهْدِهِمْ مِنْ ضَلَالَتِهِمْ حَتَّى يَعْرِفَ ٱلْحَقَّ مَنْ جَهِلَهُ وَيَرْعَوِيَ عَنِ ٱلْغَيِّ وَٱلْعُدْوَانِ مَنْ لَهِجَ بِهِ (١)

وقال عليه السلام في بعض أيام صفين وقد رأى الحسن عليه السلام يتسرع الى الحرب

امْلِكُوا عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ لَا يَهُدَّنِي (٢)، فَإِنَّنِي أَنْفَسُ بِهٰذَيْنِ (يَعْنِي ٱلْحَسَنَ وَٱلْحُسَيْنَ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ) عَلَى ٱلْمَوْتِ لِئَلَّا يَنْقَطِعَ بِهِمَا نَسْلُ رَسُولِ ٱللّٰهِ صَلَّى ٱللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ (وَقَوْلُهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أَمْلِكُوا عَنِّي هٰذَا ٱلْغُلَامَ مِنْ أَعْلَى ٱلْكَلَامِ وَأَفْصَحِهِ)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

قاله لما اضطرب عليه أصحابه في أمر الحكومة

أَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّهُ لَمْ يَزَلْ أَمْرِي مَعَكُمْ عَلَى مَا أُحِبُّ حَتَّى نَهِكَتْكُمُ ٱلْحَرْبُ (٣)، وَقَدْ وَٱللّٰهِ أَخَذَتْ مِنْكُمْ وَتَرَكَتْ ، وَهِيَ لِعَدُوِّكُمْ أَنْهَكُ.

---

(١) الارعواء : النزوع عن الغى والرجوع عن وجه الخطأ . ولهج به أى أولع به
(٢) املكوا عنى أى خذوه بالشدة وأمسكوه لئلا يهدنى أى يهدمنى ويقوض أركان قوتى بموته فى الحرب. ونفس به ـ كفرح ـ أى ضن به، أى أبخل بالحسن والحسين على الموت (٣) نهكته الحمى : أضعفته وأضنته، أى كنتم مطيعين حتى أضعفتكم الحرب فجبنتم مع أنها فى عدوكم أشد تأثيرا. وقد ألزمه قومه بقبول التحكيم فالتزم باجابتهم فكأنهم أمروه ونهوه فامتثل لهم

لَقَدْ كُنْتُ أَمْسِ أَمِيرًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَأْمُورًا . وَكُنْتُ أَمْسِ نَاهِيًا فَأَصْبَحْتُ الْيَوْمَ مَنْهِيًّا . وَقَدْ أَحْبَبْتُمُ الْبَقَاءَ وَلَيْسَ لِي أَنْ أَحْمِلَكُمْ عَلَى مَا تَكْرَهُونَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بالبصرة وقد دخل على العلاء بن زياد الحارثي وهو من أصحابه يعوده فلما رأى سعة داره قال

مَا كُنْتَ تَصْنَعُ بِسِعَةِ هٰذِهِ الدَّارِ فِي الدُّنْيَا . أَمَا أَنْتَ إِلَيْهَا فِي الْآخِرَةِ كُنْتَ أَحْوَجَ ، وَبَلَى إِنْ شِئْتَ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ تَقْرِي فِيهَا الضَّيْفَ وَتَصِلُ فِيهَا الرَّحِمَ ، وَتُطْلِعُ مِنْهَا الْحُقُوقَ مَطَالِعَهَا (١) ، فَإِذًا أَنْتَ قَدْ بَلَغْتَ بِهَا الْآخِرَةَ

فَقَالَ لَهُ الْعَلَاءُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَشْكُو إِلَيْكَ أَخِي عَاصِمَ بْنَ زِيَادٍ ، قَالَ وَمَا لَهُ ؟ قَالَ لَبِسَ الْعَبَاءَةَ وَتَخَلَّى عَنِ الدُّنْيَا . قَالَ عَلَيَّ بِهِ . فَلَمَّا جَاءَ قَالَ : يَا عُدَيَّ نَفْسِهِ (٢) لَقَدِ اسْتَهَامَ بِكَ الْخَبِيثُ ، أَمَا رَحِمْتَ أَهْلَكَ وَوَلَدَكَ.

---

(١) أطلع الحق مطلعه : أظهره حيث يجب أن يظهر (٢) عدى — تصغير عدو — وفي هذا الكلام بيان أن لذائذ الدنيا لا تبعد العبد عن الله لطبيعتها ولكن لسوء القصد فيها

أَتَرَى اللهَ أَحَلَّ لَكَ الطَّيِّبَاتِ وَهُوَ يَكْرَهُ أَنْ تَأْخُذَهَا ؟ أَنْتَ أَهْوَنُ عَلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ . قَالَ : يَاأَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ هٰذَا أَنْتَ فِي خُشُونَةِ مَلْبَسِكَ وَجُشُوبَةِ مَأْكَلِكَ . قَالَ :

وَيْحَكَ إِنِّي لَسْتُ كَأَنْتَ ، إِنَّ اللهَ فَرَضَ عَلَى أَئِمَّةِ الْعَدْلِ أَنْ يُقَدِّرُوا أَنْفُسَهُمْ بِضَعَفَةِ النَّاسِ كَيْلَا يَتَبَيَّغَ بِالْفَقِيرِ فَقْرُهُ(١)

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وقد سأله سائل عن أحاديث البدع وعمّا في أيدي الناس من اختلاف الخبر(٢)، فقال عليه السلام

إِنَّ فِي أَيْدِي النَّاسِ حَقًّا وَبَاطِلًا . وَصِدْقًا وَكَذِبًا . وَنَاسِخًا وَمَنْسُوخًا وَعَامًّا وَخَاصًّا . وَمُحْكَمًا وَمُتَشَابِهًا . وَحِفْظًا وَوَهْمًا . وَلَقَدْ كُذِبَ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى عَهْدِهِ حَتَّى قَامَ خَطِيبًا فَقَالَ :

---

(١) يقدروا أنفسهم أى يقيسوا أنفسهم بالضعفاء ليكونوا قدوة للغنى فى الاقتصاد وصرف الأموال فى وجوه الخير ومنافع العامة وتسلية للفقير على فقره حتى لايتبيغ أى يهيج به ألم الفقر فيهلكه . وقد روى المعنى بتمامه بل بأكثر تفصيلا عنه كرم الله وجهه فى عبارة أخرى (٢) الخبر الحديث المروى عن النبي صلى الله عليه وسلم

« مَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ »

وَإِنَّمَا أَتَاكَ بِالْحَدِيثِ أَرْبَعَةُ رِجَالٍ لَيْسَ لَهُمْ خَامِسٌ:

رَجُلٌ مُنَافِقٌ مُظْهِرٌ لِلْإِيمَانِ ، مُتَصَنِّعٌ بِالْإِسْلَامِ لَا يَتَأَثَّمُ وَلَا يَتَحَرَّجُ[١] ، يَكْذِبُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مُتَعَمِّدًا ، فَلَوْ عَلِمَ النَّاسُ أَنَّهُ مُنَافِقٌ كَاذِبٌ لَمْ يَقْبَلُوا مِنْهُ وَلَمْ يُصَدِّقُوا قَوْلَهُ ، وَلَكِنَّهُمْ قَالُوا صَاحِبُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ رَأَى وَسَمِعَ مِنْهُ وَلَقِفَ عَنْهُ[٢] فَيَأْخُذُونَ بِقَوْلِهِ ، وَقَدْ أَخْبَرَكَ اللَّهُ عَنِ الْمُنَافِقِينَ بِمَا أَخْبَرَكَ ، وَوَصَفَهُمْ بِمَا وَصَفَهُمْ بِهِ لَكَ ، ثُمَّ بَقُوا بَعْدَهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ السَّلَامُ فَتَقَرَّبُوا إِلَى أَئِمَّةِ الضَّلَالَةِ وَالدُّعَاةِ إِلَى النَّارِ بِالزُّورِ وَالْبُهْتَانِ ، فَوَلَّوْهُمُ الْأَعْمَالَ وَجَعَلُوهُمْ حُكَّامًا عَلَى رِقَابِ النَّاسِ ، وَأَكَلُوا بِهِمُ الدُّنْيَا . وَإِنَّمَا النَّاسُ مَعَ الْمُلُوكِ وَالدُّنْيَا إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ فَهُوَ(*) أَحَدُ الْأَرْبَعَةِ[٣]

وَرَجُلٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ شَيْئًا لَمْ يَحْفَظْهُ عَلَى وَجْهِهِ فَوَهِمَ فِيهِ[٤] وَلَمْ يَتَعَمَّدْ كَذِبًا فَهُوَ فِي يَدَيْهِ وَيَرْوِيهِ وَيَعْمَلُ بِهِ وَيَقُولُ أَنَا سَمِعْتُهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ أَنَّهُ وَهِمَ فِيهِ لَمْ

---

(١) لايتأثم أى لايخاف الاثم، ولا يتحرج لايخشى الوقوع فى الحرج وهو الجرم
(٢) تناول وأخذ عنه (٣) فهو أى من عصم الله أحد الأربعة وهو خبرهم الرابع
(٤) وهم: غلط وأخطأ

(*) فى نسخة : فهذا أحد الأربعة

يَقْبَلُوهُ مِنْهُ ، وَلَوْ عَلِمَ هُوَ أَنَّهُ كَذَلِكَ لَرَفَضَهُ

وَرَجُلٌ ثَالِثٌ سَمِعَ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ شَيْئاً يَأْمُرُ بِهِ ثُمَّ نَهَى عَنْهُ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، أَوْ سَمِعَهُ يَنْهَى عَنْ شَيْءٍ ثُمَّ أَمَرَ بِهِ وَهُوَ لَا يَعْلَمُ ، فَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ وَلَمْ يَحْفَظِ النَّاسِخَ ، فَلَوْ عَلِمَ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضَهُ ، وَلَوْ عَلِمَ الْمُسْلِمُونَ إِذْ سَمِعُوهُ مِنْهُ أَنَّهُ مَنْسُوخٌ لَرَفَضُوهُ

وَآخَرُ رَابِعٌ لَمْ يَكْذِبْ عَلَى اللهِ وَلَا عَلَى رَسُولِهِ ، مُبْغِضٌ لِلْكَذِبِ خَوْفاً مِنَ اللهِ وَتَعْظِيماً لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ يَهِمْ[1] ، بَلْ حَفِظَ مَا سَمِعَ عَلَى وَجْهِهِ ، فَجَاءَ بِهِ عَلَى مَا سَمِعَهُ لَمْ يَزِدْ فِيهِ وَلَمْ يَنْقُصْ مِنْهُ ، فَحَفِظَ النَّاسِخَ فَعَمِلَ بِهِ ، وَحَفِظَ الْمَنْسُوخَ فَجَنَّبَ عَنْهُ[2] ، وَعَرَفَ الْخَاصَّ وَالْعَامَّ فَوَضَعَ كُلَّ شَيْءٍ مَوْضِعَهُ ، وَعَرَفَ الْمُتَشَابِهَ وَمُحْكَمَهُ[3] .

وَقَدْ كَانَ يَكُونُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الْكَلَامُ لَهُ وَجْهَانِ : فَكَلَامٌ خَاصٌّ وَكَلَامٌ عَامٌّ ، فَيَسْمَعُهُ مَنْ لَا يَعْرِفُ مَا عَنَى اللهُ بِهِ وَلَا مَا عَنَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ، فَيَحْمِلُهُ السَّامِعُ

(١) لم يهم أى لم يخطىء ولم يظن خلاف الواقع (٢) جنب أى تجنب (٣) أى عرف المتشابه من الكلام وهو مالا يعلمه إلا الله والراسخون فى العلم. ومحكم الكلام

وَيُوَجِّهُهُ عَلَى غَيْرِ مَعْرِفَةٍ بِمَعْنَاهُ وَمَا قُصِدَ بِهِ وَمَا خَرَجَ مِنْ أَجْلِهِ. وَلَيْسَ كُلُّ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مَنْ كَانَ يَسْأَلُهُ وَيَسْتَفْهِمُهُ حَتَّى أَنْ كَانُوا لَيُحِبُّونَ أَنْ يَجِيءَ الْأَعْرَابِيُّ وَالطَّارِئُ فَيَسْأَلَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى يَسْمَعُوا. وَكَانَ لَا يَمُرُّ بِي مِنْ ذٰلِكَ شَيْءٌ إِلَّا سَأَلْتُ عَنْهُ وَحَفِظْتُهُ. فَهٰذِهِ وُجُوهُ مَا عَلَيْهِ النَّاسُ فِي اخْتِلَافِهِمْ وَعِلَلِهِمْ فِي رِوَايَاتِهِمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَكَانَ مِنَ اقْتِدَارِ جَبَرُوتِهِ وَبَدِيعِ لَطَائِفِ صَنْعَتِهِ أَنْ جَعَلَ مِنْ مَاءِ الْبَحْرِ الزَّاخِرِ الْمُتَرَاكِمِ الْمُتَقَاصِفِ يَبَسًا جَامِدًا[1]. ثُمَّ فَطَرَ مِنْهُ أَطْبَاقًا[2] فَفَتَقَهَا سَبْعَ سَمٰوَاتٍ بَعْدَ ارْتِتَاقِهَا فَاسْتَمْسَكَتْ بِأَمْرِهِ، وَقَامَتْ عَلَى حَدِّهِ. وَأَرْسَى أَرْضًا يَحْمِلُهَا الْأَخْضَرُ الْمُثْعَنْجِرُ وَالْقَمْقَامُ الْمُسَخَّرُ[3].

---

(١) زخر البحر ـ كمنع ـ وزخوراً، وتزخر: طمى وامتلأ. والمتقاصف: المتزاحم كان أمواجه فى تزاحمها يقصف بعضها بعضاً أى يكسره. واليبس ـ بالتحريك ـ اليابس (٢) فطر منه أى من اليبس. والاطباق طبقات مختلفة فى تركيبها إلا أنها كانت رتقا يتصل بعضها ببعض ففتقها سبعاً وهى السموات وقف كل منها حيث مكنه الله على حسب ما أودع فيه من السر الحافظ له فاستمسكت بأمر الله التكوينى، وقامت على حده أى حد الأمر الالهى، وليس المراد من البحر هذا الذى نعرفه ولكن مادة الأجرام قبل تكاثفها فانها كانت مائرة ما ئجة أشبه بالبحر بل هى البحر الأعظم (٣) المراد من الأخضر الحامل للأرض هو البحر. أى صريحه الذى لم ينسخ

قَدْ ذَلَّ لِأَمْرِهِ، وَأَذْعَنَ لِهَيْبَتِهِ، وَوَقَفَ الْجَارِي مِنْهُ لِخَشْيَتِهِ. وَجَبَلَ جَلَامِيدَهَا[١] وَنُشُوزَ مُتُونِهَا وَأَطْوَادِهَا. فَأَرْسَاهَا فِي مَرَاسِيهَا. وَأَلْزَمَهَا قَرَارَتَهَا فَمَضَتْ رُؤُوسُهَا فِي الْهَوَاءِ، وَرَسَتْ أُصُولُهَا فِي الْمَاءِ. فَأَنْهَدَ جِبَالَهَا عَنْ سُهُولِهَا[٢]، وَأَسَاخَ قَوَاعِدَهَا فِي مُتُونِ أَقْطَارِهَا وَمَوَاضِعِ أَنْصَابِهَا. فَأَشْهَقَ قِلَالَهَا[٣]، وَأَطَالَ أَنْشَازَهَا[٤]. وَجَعَلَهَا لِلْأَرْضِ عِمَادًا، وَأَرَّزَهَا فِيهَا أَوْتَادًا فَسَكَنَتْ عَلَى حَرَكَتِهَا مِنْ أَنْ تَمِيدَ بِأَهْلِهَا[٥] أَوْ

والمثعنجر ـ بفتح الجيم ـ معظم البحر وأكثر مواضعه ماء، وبكسر الجيم هو السائل مطلقاً من ماء أو دمع. والقمقام ـ بفتح القاف وتضم ـ البحر أيضا، وهو مسخر لقدرة الله تعالى. وحمله للأرض احاطته بها كأنها قارة فيه (١) جبل: خلق. والجلاميد الصخور الصلبة. والنشوز: جمع نشز ـ بسكون الشين وفتحها وفتح النون ـ ما ارتفع من الأرض. والمتون: جمع متن: ماصلب منها وارتفع. والأطواد عطف على المتون وهي عظام الناتئات. وقرارتها ما استقرت فيه كمراسيها مارست أي رسخت فيه (٢) قوله فانهد الخ كأن النشوز والمتون والأطواد كانت في بداية أمرها على ضخامتها غير ظاهرة الامتياز ولا شامخة الارتفاع عن السهول حتى إذا ارتجت الأرض بما أحدثت يد القدرة الالهية في بطونها نهدت الجبال عن السهول فانفصلت كل الانفصال وامتازت بقواعد سائخة أي غائصة في المتون من أقطار الأرض. ومواضع الانصاب: جمع نصب ـ بضمتين ـ وهو ما جعل علماً يشهد فيقصد، فان الجبال إنما تشامخت من مرتفع الأرض وصلبها (٣) قلة الجبل أعلاه. وأشهقها جعلها شاهقة أي بعيدة الارتفاع (٤) أطال انشازها أي مد متونها المرتفعة في جوانب الأرض. وأرزها ـ بالتشديد: ثبتها (٥) أي أن الأرض على حركتها المخصوصة بها سكنت عن أن تميد أي تضطرب بأهلها وتتزلزل بهم إلا ما يشاء الله في بعض مواضعها لبعض الأسباب. وتسيخ ـ كتسوخ ـ أي تغوص

تَسِيخَ بِحِمْلِهَا أَوْ تَزُولَ عَنْ مَوَاضِعِهَا . فَسُبْحَانَ مَنْ أَمْسَكَهَا بَعْدَ مَوَجَانِ مِيَاهِهَا ، وَأَجْمَدَهَا بَعْدَ رُطُوبَةِ أَكْنَافِهَا . فَجَعَلَهَا لِخَلْقِهِ مِهَادًا(١) ، وَبَسَطَهَا لَهُمْ فِرَاشًا فَوْقَ بَحْرٍ لُجِّيٍّ رَاكِدٍ لَا يَجْرِي(٢) ، وَقَائِمٍ لَا يَسْرِي . تُكَرْكِرُهُ الرِّيَاحُ الْعَوَاصِفُ(٣) . وَتَمْخُضُهُ الْغَمَامُ الذَّوَارِفُ « إِنَّ فِي ذٰلِكَ لَعِبْرَةً لِمَنْ يَخْشَى »

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللّٰهُمَّ أَيُّمَا عَبْدٍ مِنْ عِبَادِكَ سَمِعَ مَقَالَتَنَا الْعَادِلَةَ غَيْرَ الْجَائِرَةِ ، وَالْمُصْلِحَةَ فِي الدِّينِ وَالدُّنْيَا غَيْرَ الْمُفْسِدَةِ فَأَبَى بَعْدَ سَمْعِهِ لَهَا إِلَّا النُّكُوصَ عَنْ نُصْرَتِكَ ، وَالْإِبْطَاءَ عَنْ إِعْزَازِ دِينِكَ ، فَإِنَّا نَسْتَشْهِدُكَ عَلَيْهِ بِأَكْبَرِ الشَّاهِدِينَ شَهَادَةً(٤) . وَنَسْتَشْهِدُ عَلَيْهِ جَمِيعَ مَنْ أَسْكَنْتَهُ أَرْضَكَ وَسَمَوَاتِكَ ، ثُمَّ أَنْتَ بَعْدُ الْمُغْنِي عَنْ نَصْرِهِ وَالْآخِذُ لَهُ بِذَنْبِهِ

---

(١) المهاد الفراش وما تهيئه لنوم الصبي (٢) لا يسيل في الهواء فتنخسف. وزوالها عن مواضعها: تحولها عن مركزها المعين لها (٣) تكركره: تذهب به وتعود . وشبه اشتمال السحاب على خلاصة ماء البحر وهو بخاره بمخضها له كأنه لبن تخرج زبده . والذوارف : جمع ذارفة ، من ذرف الدمع إذا سال (٤) أكبر الشاهدين هو النبي صلى الله عليه وسلم أو القرآن

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

ٱلْحَمْدُ لِلهِ ٱلْعَلِيِّ عَنْ شَبَهِ ٱلْمَخْلُوقِينَ[١] ، ٱلْغَالِبِ لِمَقَالِ ٱلْوَاصِفِينَ . ٱلظَّاهِرِ بِعَجَائِبِ تَدْبِيرِهِ لِلنَّاظِرِينَ ، ٱلْبَاطِنِ بِجَلَالِ عِزَّتِهِ عَنْ فِكْرِ ٱلْمُتَوَهِّمِينَ . ٱلْعَالِمِ بِلَا ٱكْتِسَابٍ وَلَا ٱزْدِيَادٍ وَلَا عِلْمٍ مُسْتَفَادٍ ، ٱلْمُقَدِّرِ لِجَمِيعِ ٱلْأُمُورِ بِلَا رَوِيَّةٍ وَلَا ضَمِيرٍ . ٱلَّذِي لَا تَغْشَاهُ ٱلظُّلَمُ وَلَا يَسْتَضِيءُ بِالْأَنْوَارِ ، وَلَا يَرْهَقُهُ لَيْلٌ[٢] وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ نَهَارٌ . لَيْسَ إِدْرَاكُهُ بِالْأَبْصَارِ وَلَا عِلْمُهُ بِالْأَخْبَارِ

(مِنْهَا فِي ذِكْرِ ٱلنَّبِيِّ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ) : أَرْسَلَهُ بِالضِّيَاءِ وَقَدَّمَهُ فِي ٱلِاصْطِفَاءِ فَرَتَقَ بِهِ ٱلْمَفَاتِقَ[٣] ، وَسَاوَرَ بِهِ ٱلْمُغَالِبَ . وَذَلَّلَ بِهِ ٱلصُّعُوبَةَ ، وَسَهَّلَ بِهِ ٱلْحُزُونَةَ حَتَّى سَرَّحَ ٱلضَّلَالَ عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ.

---

(١) شبه ـ بالتحريك ـ أى مشابهة (٢) رهقه ـ كفرح ـ غشيه (٣) الرتق: سد الفتق، والمفاتق مواضع الفتق وهى ما كان بين الناس من فساد وفى مصالحهم من اختلال . وساور به المغالب أى واثب بالنبى صلى الله عليه وسلم كل من يغالب الحق ، والحزونة غلظ فى الأرض. والمراد سهل به خشونة الأخلاق الرديئة والعقائد الفاسدة بتهذيب الطباع وتنوير العقول حتى سرح به الضلال أى أبعده عن يمين السالكين نهج الاعتدال وشمالهم، وكأنه يريد جانبي الافراط والتفريط والابعاد تجنبهما. ولزوم العدل الوسط

١٩٥

وَمِنْ كَلامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلامُ

وَأَشْهَدُ أَنَّهُ عَدْلٌ عَدَلَ وَحَكَمٌ فَصَلَ. وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ وَسَيِّدُ عِبَادِهِ كُلَّمَا نَسَخَ اللهُ الْخَلْقَ فِرْقَتَيْنِ(١) جَعَلَهُ فِي خَيْرِهِمَا. لَمْ يُسْهِمْ فِيهِ عَاهِرٌ(٢) وَلَا ضَرَبَ فِيهِ فَاجِرٌ

أَلَا وَإِنَّ اللهَ جَعَلَ لِلْخَيْرِ أَهْلًا. وَلِلْحَقِّ دَعَائِمَ، وَلِلطَّاعَةِ عِصَمًا(٣) وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدَ كُلِّ طَاعَةٍ عَوْنًا مِنَ اللهِ يَقُولُ عَلَى الْأَلْسِنَةِ وَيُثَبِّتُ الْأَفْئِدَةَ. فِيهِ كَفَاءٌ لِمُكْتَفٍ(٤)، وَشِفَاءٌ لِمُشْتَفٍ

وَاعْلَمُوا أَنَّ عِبَادَ اللهِ الْمُسْتَحْفَظِينَ عِلْمَهُ(٥) يَصُونُونَ مَصُونَهُ، وَيُفَجِّرُونَ عُيُونَهُ. يَتَوَاصَلُونَ بِالْوِلَايَةِ(٦). وَيَتَلَاقَوْنَ بِالْمَحَبَّةِ. وَيَتَسَاقَوْنَ بِكَأْسٍ رَوِيَّةٍ(٧). وَيَصْدُرُونَ بِرِيَّةٍ. لَا تَشُوبُهُمُ الرِّيبَةُ(٨)

---

(١) نسخ الخلق نقلهم بالتناسل عن أصولهم فجعلهم بعد الوحدة فى الأصول فرقا (٢) أى لم يكن لعاهر سهم فى أصوله. والعاهر من يأتى غير حله كالفاجر. وضرب فى الشيء صار له نصيب منه (٣) العصم – بكسر ففتح –: جمع عصمة وهى مايعتصم به. وعصم الطاعات الاخلاص لله وحده (٤) الكفاء – بالفتح –: الكافى أو الكفاية (٥) المستحفظين بصيغه اسم المفعول الذين أودعوا العلم ليحفظوه (٦) الولاية: الموالاة والمصافاة (٧) الروية فعيلة بمعنى فاعلة أى يروى شرابها من ظما التباعد والنفرة. وريّة – بكسر الراء وتشديد الياء – الواحدة من الرى: زوال العطش (٨) لايخالطهم الريب والشك فى عقائدهم ولا تسرع الغيبة فيهم بالافساد لامتناعهم عن الاغتياب

وَلَا تُسْرِعُ فِيهِمُ ٱلْغِيبَةُ . عَلَى ذَلِكَ عَقَدَ خَلْقَهُمْ وَأَخْلَاقَهُمْ[١] . فَعَلَيْهِ يَتَحَابُّونَ وَبِهِ يَتَوَاصَلُونَ . فَكَانُوا كَتَفَاضُلِ ٱلْبَذْرِ يُنْتَقَى[٢] ، فَيُؤْخَذُ مِنْهُ وَيُلْقَى . قَدْ مَيَّزَهُ ٱلتَّخْلِيصُ ، وَهَذَّبَهُ ٱلتَّمْحِيصُ[٣] . فَلْيَقْبَلِ ٱمْرُؤٌ كَرَامَةً بِقَبُولِهَا[٤] . وَلْيَحْذَرْ قَارِعَةً قَبْلَ حُلُولِهَا . وَلْيَنْظُرِ ٱمْرُؤٌ فِي قَصِيرِ أَيَّامِهِ ، وَقَلِيلِ مُقَامِهِ فِي مَنْزِلٍ حَتَّى يَسْتَبْدِلَ بِهِ مَنْزِلًا[٥] . فَلْيَصْنَعْ لِمُتَحَوَّلِهِ وَمَعَارِفِ مُنْتَقَلِهِ[٦] . فَطُوبَى لِذِي قَلْبٍ سَلِيمٍ أَطَاعَ مَنْ يَهْدِيهِ ، وَتَجَنَّبَ مَنْ يُرْدِيهِ ، وَأَصَابَ سَبِيلَ ٱلسَّلَامَةِ بِبَصَرِ مَنْ بَصَّرَهُ[٧] وَطَاعَةِ هَادٍ أَمَرَهُ . وَبَادَرَ ٱلْهُدَى قَبْلَ أَنْ تُغْلَقَ أَبْوَابُهُ وَتُقْطَعَ أَسْبَابُهُ . وَٱسْتَفْتَحَ ٱلتَّوْبَةَ وَأَمَاطَ ٱلْحَوْبَةَ . فَقَدْ أُقِيمَ عَلَى ٱلطَّرِيقِ وَهُدِيَ نَهْجَ ٱلسَّبِيلِ

وعدم اصغائهم اليه (١) عقد خلقهم أى أنه وصل خلقهم الجسمانى وأخلاقهم النفسية بهذه الصفات وأحكم صلتهما بها حتى كأنهما معقودان بها (٢) أى كانوا إذا نسبتهم إلى سائر الناس رأيتهم يفضلونهم ويمتازون عليهم كتفاضل البذر فان البذر يعتنى بتنقيته ليخلص النبات من الزوان ويكون النوع صافياً لايخالطه غيره ، وبعد التنقية يؤخذ منه ويلقى فى الأرض فالبذر يكون أفضل الحبوب وأخلصها (٣) التهذيب: التنقية. والتمحيص الاختبار (٤) الكرامة هنا النصيحة أى اقبلوا نصيحة لا أبتغى عليها أجراً إلا قبولها . والقارعة : داعية الموت أو القيامة تأتى بغتة (٥) حتى غاية للقصر والقلة فقصير الأيام ومابعده ينتهى باستبدال المنزل بمنزل آخر (٦) المتحول ـ بفتح الواو مشددة ـ مايتحول اليه . ومعارف المنتقل المواضع التى يعرف الانتقال اليها (٧) أى باستنارته بارشاد من أرشده وطاعة الهادى الذى أمره قبل أن تغلق أبواب الهدى

وَمِنْ دُعَاءٍ كَانَ يَدْعُو بِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَثِيراً

اَلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمْ يُصْبِحْ بِي مَيِّتاً وَلَا سَقِيماً[١]، وَلَا مَضْرُوباً عَلَى عُرُوقِي بِسُوءٍ، وَلَا مَأْخُوذاً بِأَسْوَإِ عَمَلِي، وَلَا مَقْطُوعاً دَابِرِي، وَلَا مُرْتَدّاً عَنْ دِينِي، وَلَا مُنْكِراً لِرَبِّي، وَلَا مُسْتَوْحِشاً مِنْ إِيمَانِي، وَلَا مُلْتَبِساً عَقْلِي، وَلَا مُعَذَّباً بِعَذَابِ ٱلْأُمَمِ مِنْ قَبْلِي. أَصْبَحْتُ عَبْداً مَمْلُوكاً ظَالِماً لِنَفْسِي، لَكَ ٱلْحُجَّةُ عَلَيَّ وَلَا حُجَّةَ لِي. لَا أَسْتَطِيعُ أَنْ آخُذَ إِلَّا مَا أَعْطَيْتَنِي، وَلَا أَتَّقِي إِلَّا مَا وَقَيْتَنِي

اَللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَفْتَقِرَ فِي غِنَاكَ، أَوْ أَضِلَّ فِي هُدَاكَ، أَوْ أُضَامَ فِي سُلْطَانِكَ، أَوْ أُضْطَهَدَ وَٱلْأَمْرُ لَكَ

اَللَّهُمَّ ٱجْعَلْ نَفْسِي أَوَّلَ كَرِيمَةٍ تَنْتَزِعُهَا مِنْ كَرَائِمِي، وَأَوَّلَ وَدِيعَةٍ تَرْتَجِعُهَا مِنْ وَدَائِعِ نِعَمِكَ عِنْدِي

اَللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ أَنْ نَذْهَبَ عَنْ قَوْلِكَ، أَوْ نَفْتَتِنَ عَنْ دِينِكَ. أَوْ تَتَابَعَ بِنَا أَهْوَاؤُنَا[٢] دُونَ ٱلْهُدَى ٱلَّذِي جَاءَ مِنْ عِنْدِكَ

(١) ميتاً حال من المجرور بالموت. والحوبة ـ بفتح الحاء ـ الأثم واماطتها تنحيتها وأصبح تامة (٢) التتابع: ركوب الأمر على خلاف الناس والاسراع إلى الشر واللجاجة يستعيذ من لجاجة الهوى به فيما دون الهدى

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بِصِفِّينَ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ لِي عَلَيْكُمْ حَقًّا بِوِلَايَةِ أَمْرِكُمْ ، وَلَكُمْ عَلَيَّ مِنَ ٱلْحَقِّ مِثْلُ ٱلَّذِي لِي عَلَيْكُمْ . فَالْحَقُّ أَوْسَعُ ٱلْأَشْيَاءِ فِي ٱلتَّوَاصُفِ[1] ، وَأَضْيَقُهَا فِي ٱلتَّنَاصُفِ . لَا يَجْرِي لِأَحَدٍ إِلَّا جَرَى عَلَيْهِ ، وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ إِلَّا جَرَى لَهُ ، وَلَوْ كَانَ لِأَحَدٍ أَنْ يَجْرِيَ لَهُ وَلَا يَجْرِي عَلَيْهِ لَكَانَ ذٰلِكَ خَالِصًا لِلَّهِ سُبْحَانَهُ دُونَ خَلْقِهِ لِقُدْرَتِهِ عَلَى عِبَادِهِ وَلِعَدْلِهِ فِي كُلِّ مَا جَرَتْ عَلَيْهِ صُرُوفُ قَضَائِهِ . وَلٰكِنَّهُ جَعَلَ حَقَّهُ عَلَى ٱلْعِبَادِ أَنْ يُطِيعُوهُ ، وَجَعَلَ جَزَاءَهُمْ عَلَيْهِ مُضَاعَفَةَ ٱلثَّوَابِ تَفَضُّلًا مِنْهُ وَتَوَسُّعًا بِمَا هُوَ مِنَ ٱلْمَزِيدِ أَهْلُهُ . ثُمَّ جَعَلَ سُبْحَانَهُ مِنْ حُقُوقِهِ حُقُوقًا ٱفْتَرَضَهَا لِبَعْضِ ٱلنَّاسِ عَلَى بَعْضٍ ، فَجَعَلَهَا تَتَكَافَأُ فِي وُجُوهِهَا وَيُوجِبُ بَعْضُهَا بَعْضًا . وَلَا يُسْتَوْجَبُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ[2] . وَأَعْظَمُ مَا ٱفْتَرَضَ سُبْحَانَهُ مِنْ تِلْكَ ٱلْحُقُوقِ حَقُّ ٱلْوَالِي عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ وَحَقُّ ٱلرَّعِيَّةِ عَلَى ٱلْوَالِي . فَرِيضَةً فَرَضَهَا ٱللهُ سُبْحَانَهُ لِكُلٍّ عَلَى كُلٍّ ، فَجَعَلَهَا نِظَامًا لِأُلْفَتِهِمْ وَعِزًّا لِدِينِهِمْ . فَلَيْسَتْ تَصْلُحُ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَّا

---

(١) يتسع القول فى وصفه حتى إذا وجب على الانسان الواصف له فر من أدائه ولم ينتصف من نفسه كما ينتصف لها (٢) لحقوق العباد التى يكافىء بعضها بعضاً ولا يستحق أحد منها شيئاً إلا بأدائه مكافأة مايستحقه هى من حقوقه تعالى أيضا

بِصَلَاحِ ٱلْوُلَاةِ ، وَلَا تَصْلُحُ ٱلْوُلَاةُ إِلَّا بِاسْتِقَامَةِ ٱلرَّعِيَّةِ . فَإِذَا أَدَّتِ ٱلرَّعِيَّةُ إِلَى ٱلْوَالِي حَقَّهُ ، وَأَدَّى ٱلْوَالِي إِلَيْهَا حَقَّهَا ، عَزَّ ٱلْحَقُّ بَيْنَهُمْ ، وَقَامَتْ ، مَنَاهِجُ ٱلدِّينِ ، وَٱعْتَدَلَتْ مَعَالِمُ ٱلْعَدْلِ ، وَجَرَتْ عَلَى أَذْلَالِهَا ٱلسُّنَنُ (١) فَصَلَحَ بِذَلِكَ ٱلزَّمَانُ ، وَطُمِعَ فِي بَقَاءِ ٱلدَّوْلَةِ ، وَيَئِسَتْ مَطَامِعُ ٱلْأَعْدَاءِ . وَإِذَا غَلَبَتِ ٱلرَّعِيَّةُ وَالِيَهَا ، وَأَجْحَفَ ٱلْوَالِي بِرَعِيَّتِهِ ٱخْتَلَفَتْ هُنَالِكَ ٱلْكَلِمَةُ . وَظَهَرَتْ مَعَالِمُ ٱلْجَوْرِ . وَكَثُرَ ٱلْإِدْغَالُ فِي ٱلدِّينِ (٢) وَتُرِكَتْ مَحَاجُّ ٱلسُّنَنِ . فَعُمِلَ بِالْهَوَى . وَعُطِّلَتِ ٱلْأَحْكَامُ . وَكَثُرَتْ عِلَلُ ٱلنُّفُوسِ . فَلَا يُسْتَوْحَشُ لِعَظِيمِ حَقٍّ عُطِّلَ (٣) . وَلَا لِعَظِيمِ بَاطِلٍ فُعِلَ . فَهُنَالِكَ تَذِلُّ ٱلْأَبْرَارُ وَتَعِزُّ ٱلْأَشْرَارُ ، وَتَعْظُمُ تَبِعَاتُ ٱللهِ عِنْدَ ٱلْعِبَادِ . فَعَلَيْكُمْ بِالتَّنَاصُحِ فِي ذَلِكَ وَحُسْنِ ٱلتَّعَاوُنِ عَلَيْهِ ، فَلَيْسَ أَحَدٌ وَإِنِ ٱشْتَدَّ عَلَى رِضَاءِ ٱللهِ حِرْصُهُ وَطَالَ فِي ٱلْعَمَلِ ٱجْتِهَادُهُ بِبَالِغٍ حَقِيقَةَ مَا ٱللهُ أَهْلُهُ مِنَ ٱلطَّاعَةِ لَهُ . وَلَكِنْ مِنْ وَاجِبِ حُقُوقِ ٱللهِ عَلَى ٱلْعِبَادِ ٱلنَّصِيحَةُ بِمَبْلَغِ جُهْدِهِمْ ، وَٱلتَّعَاوُنُ عَلَى إِقَامَةِ ٱلْحَقِّ بَيْنَهُمْ . وَلَيْسَ

---

(١) ذل الطريق ــ بكسر الذال ــ محجته وجرت أمور الله أذلالها وعلى أذلالها أى وجوهها . والسنن : جمع سنة . وطمع مبنى للمجهول (٢) الادغال فى الأمر : ادخال مايفسده فيه . ومحاج السنن : أوساط طرقها (٣) أى إذا عطل الحق لا تأخذ النفوس وحشة أو استغراب لتعودها على تعطيل الحقوق وأفعال

أُمْرُؤٌ وَإِنْ عَظُمَتْ فِي الْحَقِّ مَنْزِلَتُهُ ، وَتَقَدَّمَتْ فِي الدِّينِ فَضِيلَتُهُ بِفَوْقِ أَنْ يُعَاوِنَ عَلَى مَا حَمَّلَهُ اللَّهُ مِنْ حَقِّهِ(١) ، وَلَا امْرُؤٌ وَإِنْ صَغَّرَتْهُ النُّفُوسُ وَاقْتَحَمَتْهُ الْعُيُونُ(٢) بِدُونِ أَنْ يُعِينَ عَلَى ذَٰلِكَ أَوْ يُعَانَ عَلَيْهِ

(فَأَجَابَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَجُلٌ مِنْ أَصْحَابِهِ بِكَلَامٍ طَوِيلٍ يُكْثِرُ فِيهِ الثَّنَاءَ عَلَيْهِ وَيَذْكُرُ سَمْعَهُ وَطَاعَتَهُ لَهُ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ مِنْ حَقِّ مَنْ عَظُمَ جَلَالُ اللَّهِ فِي نَفْسِهِ ، وَجَلَّ مَوْضِعُهُ مِنْ قَلْبِهِ أَنْ يَصْغُرَ عِنْدَهُ لِعِظَمِ ذَٰلِكَ كُلُّ مَا سِوَاهُ(٣) . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ كَانَ كَذَٰلِكَ لَمَنْ عَظُمَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ(٤) وَلَطُفَ إِحْسَانُهُ إِلَيْهِ . فَإِنَّهُ لَمْ تَعْظُمْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا ازْدَادَ حَقُّ اللَّهِ عَلَيْهِ عِظَمًا ، وَإِنَّ مِنْ أَسْخَفِ حَالَاتِ الْوُلَاتِ عِنْدَ صَالِحِ النَّاسِ أَنْ يُظَنَّ بِهِمْ حُبُّ الْفَخْرِ(٥) ، وَيُوضَعَ أَمْرُهُمْ عَلَى الْكِبْرِ . وَقَدْ كَرِهْتُ أَنْ يَكُونَ جَالَ فِي ظَنِّكُمْ أَنِّي أُحِبُّ الْإِطْرَاءَ وَاسْتِمَاعَ الثَّنَاءِ(٦) . وَلَسْتُ بِحَمْدِ اللَّهِ كَذَٰلِكَ . وَلَوْ كُنْتُ أُحِبُّ

الباطل (١) بفوق أن يعاون الخ أى بأعلى من أن يحتاج إلى الاعانة أى يستغنى عن المساعدة (٢) اقتحمته : احتقرته . بدون أن يعين أى بأعجز أن يساعد غيره (٣) كل فاعل يصغر ، أى يصغر عنده كل ماسوى الله لعظم ذلك الجلال الالهى (٤) وأحق المعظمين لله بتصغير ماسواه هو الذى عظمت نعمة الله عليه (٥) أصل السخف : رقة العقل وغيره أى ضعفه ، والمراد أدنى حالة للولاة أن يظن بهم الصالحون أنهم يحبون الفخر و يبنون أمورهم على أساس الكبر (٦) كره الامام أن يخطر ببال قومه كونه يحب

أَنْ يُقَالَ ذٰلِكَ لَتَرَكْتُهُ انْحِطَاطًا لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَنْ تَنَاوُلِ مَا هُوَ أَحَقُّ بِهِ مِنَ الْعَظَمَةِ وَالْكِبْرِيَاءِ. وَرُبَّمَا اسْتَحْلَى النَّاسُ الثَّنَاءَ بَعْدَ الْبَلَاءِ[1]. فَلَا تُثْنُوا عَلَيَّ بِجَمِيلِ ثَنَاءٍ لِإِخْرَاجِي نَفْسِي إِلَى اللّٰهِ وَإِلَيْكُمْ مِنَ التَّقِيَّةِ فِي حُقُوقٍ لَمْ أَفْرُغْ مِنْ أَدَائِهَا[2]، وَفَرَائِضَ لَا بُدَّ مِنْ إِمْضَائِهَا، فَلَا تُكَلِّمُونِي بِمَا تُكَلَّمُ بِهِ الْجَبَابِرَةُ[3]، وَلَا تَتَحَفَّظُوا مِنِّي بِمَا يُتَحَفَّظُ بِهِ عِنْدَ أَهْلِ الْبَادِرَةِ. وَلَا تُخَالِطُونِي بِالْمُصَانَعَةِ. وَلَا تَظُنُّوا بِيَ اسْتِثْقَالًا فِي حَقٍّ قِيلَ لِي وَلَا الْتِمَاسَ إِعْظَامٍ لِنَفْسِي. فَإِنَّهُ مَنِ اسْتَثْقَلَ الْحَقَّ أَنْ يُقَالَ لَهُ أَوِ الْعَدْلَ أَنْ يُعْرَضَ عَلَيْهِ كَانَ الْعَمَلُ بِهِمَا أَثْقَلَ عَلَيْهِ. فَلَا تَكُفُّوا عَنْ مَقَالَةٍ بِحَقٍّ أَوْ مَشُورَةٍ بِعَدْلٍ، فَإِنِّي لَسْتُ فِي نَفْسِي بِفَوْقِ أَنْ أُخْطِئَ، وَلَا آمَنُ ذٰلِكَ مِنْ فِعْلِي إِلَّا أَنْ يَكْفِيَ اللّٰهُ مِنْ نَفْسِي مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنِّي[4]. فَإِنَّمَا أَنَا وَأَنْتُمْ عَبِيدٌ مَمْلُوكُونَ لِرَبٍّ لَا رَبَّ غَيْرُهُ.

الاطراء أى المبالغة فى الثناء عليه فان حق الثناء لله وحده فهو رب العظمة والكبرياء

(١) البلاء: اجهاد النفس فى احسان العمل (٢) لاخراجى متعلق بتثنوا. والتقية: الخوف والمراد لازمه وهو العقاب ومن متعلق باخراجى أى إذا أخرجت نفسى من عقاب الله فى حق من الحقوق أو قضاء فريضة من الفرائض فلا تثنوا على لذلك فانما وقيت نفسى وعملت لسعادتى على أنى ماأديت الواجب على فى ذلك، وما أجزل هذا القول وأجمعه (٣) ينهاهم عن مخاطبتهم له بألقاب العظمة كما يلقبون الجبابرة وعن التحفظ منه بالتزام الذلة والموافقة على الرأى صواباً أوخطأ كما يفعل مع أهل البادرة أى الغضب. وصانعه إذا أتى مايرضيه و إن كان غير راض عنه. والمصانعة المداراة (٤) يقول لا آمن

يَمْلِكُ مِنَّا مَا لَا نَمْلِكُ مِنْ أَنْفُسِنَا ، وَأَخْرَجَنَا مِمَّا كُنَّا فِيهِ إِلَى مَا صَلَحْنَا عَلَيْهِ ، فَأَبْدَلَنَا بَعْدَ الضَّلَالَةِ بِالْهُدَى ، وَأَعْطَانَا الْبَصِيرَةَ بَعْدَ الْعَمَى

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْتَعْدِيكَ عَلَى قُرَيْشٍ[1] فَإِنَّهُمْ قَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَأَكْفَأُوا إِنَائِي ، وَأَجْمَعُوا عَلَى مُنَازَعَتِي حَقّاً كُنْتُ أَوْلَى بِهِ مِنْ غَيْرِي ، وَقَالُوا : أَلَا إِنَّ فِي الْحَقِّ أَنْ تَأْخُذَهُ وَفِي الْحَقِّ أَنْ تُمْنَعَهُ ، فَاصْبِرْ مَغْمُوماً أَوْ مُتْ مُتَأَسِّفاً ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا لَيْسَ لِي رَافِدٌ وَلَا ذَابٌّ وَلَا مُسَاعِدٌ[2] إِلَّا أَهْلَ بَيْتِي ، فَضَنِنْتُ بِهِمْ عَنِ الْمَنِيَّةِ فَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى ، وَجَرَعْتُ رِيقِي عَلَى الشَّجَى ، وَصَبَرْتُ مِنْ كَظْمِ الْغَيْظِ عَلَى أَمَرَّ مِنَ الْعَلْقَمِ ، وَآلَمَ لِلْقَلْبِ مِنْ حَزِّ الشِّفَارِ[3] (وَقَدْ مَضَى هٰذَا الْكَلَامُ فِي أَثْنَاءِ خُطْبَةٍ مُتَقَدِّمَةٍ إِلَّا أَنِّي كَرَّرْتُهُ هٰهُنَا لِاخْتِلَافِ الرِّوَايَتَيْنِ)

(وَمِنْهُ فِي ذِكْرِ السَّائِرِينَ إِلَى الْبَصْرَةِ لِحَرْبِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

الخطأ فى أفعالى إلا إذا كان يسر الله لنفسى فعلا هو أشد ملكا له منى فقد كفانى الله ذلك الفعل فأكون على أمن من الخطأ فيه (١) أستعديك : أستعينك . واكفاء الاناء أى قلبه مجاز عن تضييعهم لحقه (٢) الرافد : المعين . والذاب : المدافع . وضننت أى بخلت . والقذى : مايقع فى العين . والشجى : مااعترض فى الحلق من عظم ونحوه يريد به غصة الحزن (٣) الشفار : جمع شفرة : حد السيف ونحوه

فَقَدِمُوا عَلَى عُمَّالِي وَخُزَّانِ بَيْتِ مَالِ الْمُسْلِمِينَ الَّذِي فِي يَدِي، وَعَلَى أَهْلِ مِصْرٍ كُلُّهُمْ فِي طَاعَتِي وَعَلَى بَيْعَتِي، فَشَتَّتُوا كَلِمَتَهُمْ، وَأَفْسَدُوا عَلَيَّ جَمَاعَتَهُمْ. وَوَثَبُوا عَلَى شِيعَتِي فَقَتَلُوا طَائِفَةً مِنْهُمْ غَدْرًا، وَطَائِفَةٌ عَضُّوا عَلَى أَسْيَافِهِمْ[1] فَضَارَبُوا بِهَا حَتَّى لَقُوا اللَّهَ صَادِقِينَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لَمَّا مَرَّ بِطَلْحَةَ وَعَبْدِ الرَّحْمٰنِ بْنِ عَتَّابِ بْنِ أُسَيْدٍ وَهُمَا قَتِيلَانِ يَوْمَ الْجَمَلِ

لَقَدْ أَصْبَحَ أَبُو مُحَمَّدٍ بِهٰذَا الْمَكَانِ غَرِيباً. أَمَا وَاللَّهِ لَقَدْ كُنْتُ أَكْرَهُ أَنْ تَكُونَ قُرَيْشٌ قَتْلَى تَحْتَ بُطُونِ الْكَوَاكِبِ. أَدْرَكْتُ وَتْرِي مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ[2] وَأَفْلَتَتْنِي أَعْيَانُ بَنِي جُمَحٍ، لَقَدْ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ إِلَى أَمْرٍ لَمْ يَكُونُوا أَهْلَهُ[3] فَوُقِصُوا دُونَهُ

(١) العض على السيوف مجاز عن ملازمة العمل بها (٢) الوتر: الثأر، وطلحة كان من بنى عبد مناف كالزبير وقاتله مروان بن الحكم وهما فى عسكر واحد فى حرب الجمل رماه بسهم على غرة انتقاما لعثمان رضى الله عنه. وأفلته الشىء خلص منه فجأة. وجمح قبيلة عربية كان من أعيانها أى عظمائها جماعة مع أم المؤمنين فى واقعة الجمل ولم يصبهم ما أصاب غيرهم. ومن هذه القبيلة صفوان ابن أمية بن خلف واسمه عبد الله، وعبد الرحمن بن صفوان (٣) أتلعوا أى رفعوا أعناقهم ومدوها لتناول أمر وهو مناوأة أمير المؤمنين على الخلافة

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَدْ أَحْيَى عَقْلَهُ(١) وَأَمَاتَ نَفْسَهُ، حَتَّى دَقَّ جَلِيلُهُ وَلَطُفَ غَلِيظُهُ، وَبَرَقَ لَهُ لَامِعٌ كَثِيرُ الْبَرْقِ فَأَبَانَ لَهُ الطَّرِيقَ وَسَلَكَ بِهِ السَّبِيلَ، وَتَدَافَعَتْهُ الْأَبْوَابُ إِلَى بَابِ السَّلَامَةِ وَدَارِ الْإِقَامَةِ، وَثَبَتَتْ رِجْلَاهُ بِطُمَأْنِينَةِ بَدَنِهِ فِي قَرَارِ الْأَمْنِ وَالرَّاحَةِ بِمَا اسْتَعْمَلَ قَلْبَهُ وَأَرْضَى رَبَّهُ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

بَعْدَ تِلَاوَتِهِ «أَلْهَاكُمُ التَّكَاثُرُ حَتَّى زُرْتُمُ الْمَقَابِرَ»(٢)

يَا لَهُ مَرَامًا مَا أَبْعَدَهُ(٣)، وَزَوْرًا مَا أَغْفَلَهُ، وَخَطَرًا مَا أَفْظَعَهُ. لَقَدِ اسْتَخْلَوْا مِنْهُمْ أَيَّ مُدَّكَرٍ(٤)، وَتَنَاوَشُوهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ أَفَبِمَصَارِعِ

فوقصوا أى كسرت أعناقهم دون الوصول اليه (١) حكاية عن صاحب التقوى. واحياء العقل بالعلم والفكر والنفوذ فى الاسرار الالهية. وإماتة النفس بكفها عن شهواتها. والجليل العظيم. ودق أى صغر حتى خفى أو كاد. وبروق اللامع من نور المقام الالهى يوضح طريق السعادة فلايزال السالك يتنقل من مقام عرفان وفضل إلى مقام آخر من مقامات الكمال، وهذاهو التدافع من باب إلى باب حتى يصل إلى أعلى مايمكن له وهناك سعادته ومقر نعيمه الأبدى (٢) ألهاه عن الشىء: صرفه عنه باللهو أى صرفكم عن الله اللهو بمكاثرة بعضكم لبعض وتعديد كل منكم مزايا اسلافه حتى بعد زيارتكم المقابر (٣) المرام الطلب بمعنى المطلوب. والزور بالفتح الزائرون وهم يرومون نيل الشرف بمن تقدمهم وتلك غفلة، فانما ينالون الشرف بمايكون من موجباته فى ذواتهم فما أبعد ما يرومون بغفلتهم (٤) استخلوهم أى وجدوهم خالين. والمدكر: الأدكار بمعنى

آبَائِهِمْ يَفْخَرُونَ ؟ أَمْ بِعَدِيدِ الْهَلْكَى يَتَكَاثَرُونَ ؟ يَرْتَجِعُونَ مِنْهُمْ أَجْسَادًا خَوَتْ(١) ، وَحَرَكَاتٍ سَكَنَتْ . وَلَأَنْ يَكُونُوا عِبَرًا أَحَقُّ مِنْ أَنْ يَكُونُوا مُفْتَخَرًا ، وَلَأَنْ يَهْبِطُوا بِهِمْ جَنَابَ ذِلَّةٍ أَحْجَى مِنْ أَنْ يَقُومُوا بِهِمْ مَقَامَ عِزَّةٍ(٢) . لَقَدْ نَظَرُوا إِلَيْهِمْ بِأَبْصَارِ الْعُشْوَةِ(٣) . وَضَرَبُوا مِنْهُمْ فِي غَمْرَةِ جَهَالَةٍ . وَلَوِ اسْتَنْطَقُوا عَنْهُمْ عَرَصَاتِ تِلْكَ الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ(٤) وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَقَالَتْ ذَهَبُوا فِي الْأَرْضِ ضُلَّالًا ؛ وَذَهَبْتُمْ فِي أَعْقَابِهِمْ جُهَّالًا . تَطَأُونَ فِي هَامِهِمْ(٥) ، وَتَسْتَثْبِتُونَ فِي أَجْسَادِهِمْ ، وَتَرْتَعُونَ فِيمَا لَفَظُوا ، وَتَسْكُنُونَ فِيمَا خَرَّبُوا ، وَإِنَّمَا الْأَيَّامُ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ بَوَاكٍ وَنَوَائِحُ عَلَيْكُمْ(٦)

الاعتبار أى أخلوا أسلافهم من الاعتبار ثم قلب المعنى فى عبارة الامام فكان أخلوا الادكار من آبائهم مبالغة فى تقريعهم حيث أخلوهم منه وهو محيط بهم ، وأى صفة لمحذوف تقديره مدكرا . وتناوشوهم تناولوهم بالمفاخرة من مكان بعيد عنها (١) خوت : سقط بناؤها وخلت من أرواحها (٢) أحجى : أقرب للحجى أى العقل فان موت الآباء دليل الفناء ، ومن عاقبته فناء كيف يفتخر؟ (٣) العشوة : ضعف البصر (٤) الخاوية: المنهدمة. والربوع : المساكن والضلال ـ كعشاق ـ جمع ضال (٥) جمع هامة أعلى الرأس . وتستثبتون أى تحاولون اثبات ماتثبتون من الأعمدة والأوتاد والجدران فى أجسادهم لذهابها تراباً وامتزاجها بالأرض التى تقيمون فيها ماتقيمون . ترتعون : تأكلون وتتلذذون بما لفظوه أى طرحوه وتركوه (٦) بواك : جمع باكية . ونوائح : جمع نائحة . و بكاء الأيام على السابقين واللاحقين حفظها لما يكون من مصابهم

أُولَئِكُمْ سَلَفُ غَايَتِكُمْ[١] ، وَفُرَّاطُ مَنَاهِلِكُمُ الَّذِينَ كَانَتْ لَهُمْ مَقَاوِمُ الْعِزِّ وَحَلَبَاتُ الْفَخْرِ مُلُوكًا وَسُوَقًا . سَلَكُوا فِي بُطُونِ الْبَرْزَخِ سَبِيلًا[٢] سُلِّطَتِ الْأَرْضُ عَلَيْهِمْ فِيهِ ، فَأَكَلَتْ مِنْ لُحُومِهِمْ وَشَرِبَتْ مِنْ دِمَائِهِمْ . فَأَصْبَحُوا فِي فَجَوَاتِ قُبُورِهِمْ جَمَادًا لَا يَنْمُونَ ، وَضِمَارًا لَا يُوجَدُونَ . لَا يُفْزِعُهُمْ وُرُودُ الْأَهْوَالِ ، وَلَا يَحْزُنُهُمْ تَنَكُّرُ الْأَحْوَالِ ، وَلَا يَحْفِلُونَ بِالرَّوَاجِفِ ، وَلَا يَأْذَنُونَ لِلْقَوَاصِفِ . غُيَّبًا لَا يُنْتَظَرُونَ ، وَشُهُودًا لَا يَحْضُرُونَ . وَإِنَّمَا كَانُوا جَمِيعًا فَتَشَتَّتُوا ، وَآلَافًا فَافْتَرَقُوا[٣] . وَمَا عَنْ طُولِ عَهْدِهِمْ وَلَا بُعْدِ مَحَلِّهِمْ عَمِيَتْ أَخْبَارُهُمْ وَصَمَّتْ دِيَارُهُمْ[٤] ، وَلَكِنَّهُمْ سُقُوا كَأْسًا بَدَّلَتْهُمْ بِالنُّطْقِ خَرَسًا ،

---

(١) سلف الغاية: السابق اليها، وغايتهم حدما ينتهون اليه وهو الموت. والفراط : جمع فارط ، وهو كالفرط ــ بالتحريك ــ متقدم القوم إلى الماء ليهيء لهم موضع الشرب. والمناهل مواضع ما تشرب الشار به من النهر مثلا. ومقاوم: جمع مقام . والحلبات : جمع حلبة ــ بالفتح ــ وهى الدفعة من الخيل فى الرهان أوهى الخيل تجتمع للنصرة من كل أوب . والسوق : بضم ففتح ــ جمع سوقة بالضم ــ بمعنى الرعية (٢) البرزخ : القبر . والفجوات : جمع فجوة ، وهى الفرجة والمراد منها شق القبر . ولا ينمون من النمو وهو الزيادة من الغذاء . والضمار ــ ككتاب ــ المال لا يرجى رجوعه وخلاف العيان . ولا يحفلون ــ بكسر الفاء ــ لا يبالون. والرواجف : جمع راجفة : الزلزلة توجب الاضطراب . والقواصف من قصف الرعد اشتدت هدهدته. وأذن له: استمع (٣) آلافا : جمع أليف ، أى مؤتلف مع غيره (٤) صمم يصم ــ بالفتح فيهما ــ خرس عن الكلام. وخرس الديار عدم صعود الصوت من سكانها

وَبِالسَّمْعِ صَمَماً ، وَبِالْحَرَكَاتِ سُكُوناً . فَكَأَنَّهُمْ فِي ٱرْتِجَالِ ٱلصِّفَةِ صَرْعَى سُبَاتٍ(١) . جِيرَانٌ لَا يَتَأَنَّسُونَ ، وَأَحِبَّاءُ لَا يَتَزَاوَرُونَ . بَلِيَتْ بَيْنَهُمْ عُرَى ٱلتَّعَارُفِ(٢) وَٱنْقَطَعَتْ مِنْهُمْ أَسْبَابُ ٱلْإِخَاءِ . فَكُلُّهُمْ وَحِيدٌ وَهُمْ جَمِيعٌ . وَبِجَانِبِ ٱلْهَجْرِ وَهُمْ أَخِلَّاءُ . لَا يَتَعَارَفُونَ لِلَيْلٍ صَبَاحاً وَلَا لِنَهَارٍ مَسَاءً . أَيُّ ٱلْجَدِيدَيْنِ ظَعَنُوا فِيهِ كَانَ عَلَيْهِمْ سَرْمَداً(٣) . شَاهَدُوا مِنْ أَخْطَارِ دَارِهِمْ أَفْظَعَ مِمَّا خَافُوا ، وَرَأَوْا مِنْ آيَاتِهَا أَعْظَمَ مِمَّا قَدَّرُوا . فَكِلْتَا ٱلْغَايَتَيْنِ مُدَّتْ لَهُمْ إِلَى مَبَاءَةٍ(٤) فَاتَتْ مَبَالِغَ ٱلْخَوْفِ وَٱلرَّجَاءِ. فَلَوْ كَانُوا يَنْطِقُونَ بِهَا لَعَيُّوا بِصِفَةِ مَا شَاهَدُوا وَمَا عَايَنُوا(٥) وَلَئِنْ عَمِيَتْ آثَارُهُمْ وَٱنْقَطَعَتْ أَخْبَارُهُمْ

لَقَدْ رَجَعَتْ فِيهِمْ أَبْصَارُ ٱلْعِبَرِ(٦) ، وَسَمِعَتْ عَنْهُمْ آذَانُ ٱلْعُقُولِ ، وَتَكَلَّمُوا مِنْ غَيْرِ جِهَاتِ ٱلنُّطْقِ. فَقَالُوا كَلَحَتِ ٱلْوُجُوهُ ٱلنَّوَاضِرُ(٧)

---

(١) ارتجال الصفة وصف الحال بلا تأمل، فالواصف لهم باول النظر يظنهم صرعوا من السبات بالضم أى النوم (٢) العرى : جمع عروة ، وهى مقبض الدلو والكوز مثلا، و بليت رثت وفنيت . والمراد زوال نسبة التعارف بينهم (٣) الجديدان : الليل والنهار فان ذهبوا فى نهار فلا يعرفون له ليلا أو فى ليل فلا يعرفون له نهارا (٤) الغايتان : الجنة والنار. والمباءة : مكان التبوّء والاستقرار والمراد منها مايرجعون اليه فى الآخرة وقد مدت الغاية أى أخرت عنه فى الدنيا إلى مرجع يفوق فى سعادته أو شقائه كل غاية سماليها الخوف والرجاء (٥) عيوا : عجزوا (٦) رجعت فيهم أبصار العبر نظرت اليهم بعدالموت نظرة ثانية . والعبر جمع عبرة (٧) كلح: كمنع ـ كلوحاً ـ تكشر فى عبوس

وَخَوَتِ ٱلْأَجْسَادُ ٱلنَّوَاعِمُ . وَلَبِسْنَا أَهْدَامَ ٱلْبِلَى[1] . وَتَكَاءَدَنَا ضِيقُ ٱلْمَضْجَعِ . وَتَوَارَثْنَا ٱلْوَحْشَةَ . وَتَهَكَّمَتْ عَلَيْنَا ٱلرُّبُوعُ ٱلصُّمُوتُ فَانْمَحَتْ مَحَاسِنُ أَجْسَادِنَا ، وَتَنَكَّرَتْ مَعَارِفُ صُوَرِنَا ، وَطَالَتْ فِي مَسَاكِنِ ٱلْوَحْشَةِ إِقَامَتُنَا . وَلَمْ نَجِدْ مِنْ كَرْبٍ فَرَجًا ، وَلَا مِنْ ضِيقٍ مُتَّسَعًا . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ بِعَقْلِكَ أَوْ كُشِفَ عَنْهُمْ مَحْجُوبُ ٱلْغِطَاءِ لَكَ وَقَدِ ٱرْتَسَخَتْ أَسْمَاعُهُمْ بِالْهَوَامِّ فَاسْتَكَّتْ[2] ، وَٱكْتَحَلَتْ أَبْصَارُهُمْ بِالتُّرَابِ فَخَسَفَتْ، وَتَقَطَّعَتِ ٱلْأَلْسِنَةُ فِي أَفْوَاهِهِمْ بَعْدَ ذَلَاقَتِهَا، وَهَمَدَتِ ٱلْقُلُوبُ فِي صُدُورِهِمْ بَعْدَ يَقَظَتِهَا . وَعَاثَ فِي كُلِّ جَارِحَةٍ مِنْهُمْ جَدِيدُ بِلًى سَمَّجَهَا[3] ، وَسَهَّلَ طُرُقَ ٱلْآفَةِ إِلَيْهَا ، مُسْتَسْلِمَاتٌ فَلَا أَيْدٍ تَدْفَعُ ، وَلَا قُلُوبٌ تَجْزَعُ لَرَأَيْتَ أَشْجَانَ قُلُوبٍ[4] ، وَأَقْذَاءَ عُيُونٍ . لَهُمْ فِي كُلِّ

---

(١) الأهدام: جمع هدم ـ بكسر الهاء ـ الثوب البالى أو المرقع . وتكاءد الأمر أى شق عليه . وتهكمت: تهدمت . والربوع: أماكن الاقامة. والصموت التى لا تنطق والمراد بها القبور (٢) ارتسخ مبالغة فى رسخ ، ورسخ الغدير: نش ماؤه أى أخذ فى النقصان ونضب ، أى نضب مستودع قوة السماع وذهبت مادته بامتصاص الهوام وهى الديدان هنا. واستكت الأذن صمت . وخسف عين فلان فقأها. وذلاقة الألسن حدتها فى النطق (٣) عاث: أفسد . والبلى: التحلل والفناء. وسمج الصورة تسميجا قبحها أى أفسد الفناء فى كل عضو منهم فقبحه (٤) لرأيت جواب لو مثلتهم . وأشجان القلوب: همومها. والاقذاء العيون

والنواضر الحسنة البواسم. وخوت: تهدمت بنيتها وتفرقت أعضاؤها

فَظَاعَةِ صِفَةُ حَالٍ لَا تَنْتَقِلُ، وَغَمْرَةٌ لَا تَنْجَلِي[١]. وَكَمْ أَكَلَتِ الْأَرْضُ مِنْ عَزِيزِ جَسَدٍ وَأَنِيقِ لَوْنٍ كَانَ فِي الدُّنْيَا غَذِيَّ تَرَفٍ[٢] وَرَبِيبَ شَرَفٍ. يَتَعَلَّلُ بِالسُّرُورِ فِي سَاعَةِ حُزْنِهِ[٣]، وَيَفْزَعُ إِلَى السَّلْوَةِ إِنْ مُصِيبَةٌ نَزَلَتْ بِهِ ضَنًّا بِغَضَارَةِ عَيْشِهِ وَشَحَاحَةً بِلَهْوِهِ وَلَعِبِهِ. فَبَيْنَا هُوَ يَضْحَكُ إِلَى الدُّنْيَا وَتَضْحَكُ إِلَيْهِ فِي ظِلِّ عَيْشٍ غَفُولٍ[٤] إِذْ وَطِئَ الدَّهْرُ بِهِ حَسَكَهُ، وَنَقَضَتِ الْأَيَّامُ قُوَاهُ، وَنَظَرَتْ إِلَيْهِ الْحُتُوفُ مِنْ كَثَبٍ[٥]. فَخَالَطَهُ بَثٌّ لَا يَعْرِفُهُ، وَنَجِيُّ هَمٍّ مَا كَانَ يَجِدُهُ. وَتَوَلَّدَتْ فِيهِ فَتَرَاتُ عِلَلٍ آنَسَ مَا كَانَ بِصِحَّتِهِ[٦]. فَفَزِعَ إِلَى مَا كَانَ عَوَّدَهُ الْأَطِبَّاءُ مِنْ تَسْكِينِ الْحَارِّ بِالْقَارِّ[٧]، وَتَحْرِيكِ الْبَارِدِ بِالْحَارِّ، فَلَمْ يُطْفِئْ بِبَارِدٍ إِلَّا ثَوَّرَ حَرَارَةً، وَلَا حَرَّكَ بِحَارٍّ إِلَّا هَيَّجَ بُرُودَةً، وَلَا اعْتَدَلَ بِمُمَازِجٍ

مايسقط فيها فيؤلمها (١) الغمرة: الشدة (٢) الأنيق: رائق الحسن. والغذى اسم بمعنى المفعول أى مغذى بالنعيم، والربيب بمعنى المربى، ربه يربه أى رباه (٣) يتشاغل بأسباب السرور ليتلهى بها عن حزنه. والسلوة: انصراف النفس عن الألم بتخيل اللذة. ضنا أى بخلا. وغضارة العيش: طيبه (٤) وصف العيش بالغفلة لأنه إذا كان هنيئا يوجبها. والحسك: نبات تعلق قشرته بصوف الغنم ورقه كورق الرجلة أو أدق، وعند ورقه شوك ملزز صلب ذو ثلاث شعب تمثيل لمس الآلام (٥) الحتوف: المهلكات. وأصل الحتف الموت. من كثب ــ بالتحريك ــ أى قرب، أى توجهت اليه المهلكات على قرب منه. والبث: الحزن. والنجى: المناجى: وخالطه الحزن: مازج خواطره (٦) آنس حال من ضمير فيه. والفترات: جمع فترة: انحطاط القوة أى تولد فيه الضعف بسبب العلل حال كونه أشد أنسا بصحته من جميع الأوقات السابقة (٧) القار هنا البارد

لِتِلْكَ ٱلطَّبَائِعِ إِلَّا أَمَدَّ مِنْهَا كلَّ ذَاتِ دَاءٍ[١] حَتَّى فَتَرَ مُعَلِّلُهُ[٢] ، وَذَهَلَ مُمَرِّضُهُ ، وَتَعَايَا أَهْلُهُ بِصِفَةِ دَائِهِ[٣] ، وَخَرِسُوا عَنْ جَوَابِ ٱلسَّائِلِينَ عَنْهُ . وَتَنَازَعُوا دُونَهُ شَجِيَّ خَبَرٍ يَكْتُمُونَهُ ، فَقَائِلٌ يَقُولُ هُوَ لِمَا بِهِ[٤] ، وَمُمَنٍّ لَهُمْ إِيَابَ عَافِيَتِهِ ، وَمُصَبِّرٌ لَهُمْ عَلَى فَقْدِهِ ، يُذَكِّرُهُمْ أُسَى ٱلْمَاضِينَ مِنْ قَبْلِهِ[٥] . فَبَيْنَا هُوَ كَذَٰلِكَ عَلَى جَنَاحٍ مِنْ فِرَاقِ ٱلدُّنْيَا وَتَرْكِ ٱلْأَحِبَّةِ ، إِذْ عَرَضَ لَهُ عَارِضٌ مِنْ غُصَصِهِ فَتَحَيَّرَتْ نَوَافِذُ فِطْنَتِهِ[٦] ، وَيَبِسَتْ رُطُوبَةُ لِسَانِهِ . فَكَمْ مِنْ مُهِمٍّ مِنْ جَوَابِهِ عَرَفَهُ فَعَيَّ عَنْ رَدِّهِ[٧] ، وَدُعَاءٍ مُؤْلِمٍ لِقَلْبِهِ سَمِعَهُ فَتَصَامَّ عَنْهُ مِنْ كَبِيرٍ كَانَ يُعَظِّمُهُ أَوْ صَغِيرٍ كَانَ يَرْحَمُهُ . وَإِنَّ لِلْمَوْتِ لَغَمَرَاتٍ هِيَ أَفْظَعُ مِنْ أَنْ تُسْتَغْرَقَ بِصِفَةٍ أَوْ تَعْتَدِلَ عَلَى قُلُوبِ أَهْلِ ٱلدُّنْيَا[٨]

---

(١) أى ماطلب تعديل مزاجه بدواء يمازج ما فيه من الطبائع ليعدلها إلا وساعد كل طبيعة على تولد الداء (٢) معلل المريض من يسليه عن مرضه بترجية الشفاء كما أن ممرضه من يتولى خدمته فى مرضه لمرضه (٣) تعايا أهله أى اشتركوا فى العجز عن وصف دائه. واختلف الحاضرون بين يدى المريض فى الخبر المحزن يكتمونه عنه (٤) هو لما به أى هو مملوك لعلته فهوهالك . والممنى مخيل الأمنية. والاياب الرجوع (٥) أسى جمع أسوة (٦) نوافذ الفطنة ما كان من أفكار نافذة أى مصيبة للحقيقة (٧) عى عجز لضعف القوة المحركة للسان (٨) تعتدل أى تستقيم عليها بالقبول والادراك، أى لغفلتهم عنها

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قَالَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ «رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللهِ»

إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الذِّكْرَ جِلَاءً لِلْقُلُوبِ[1] تَسْمَعُ بِهِ بَعْدَ الْوَقْرَةِ، وَتُبْصِرُ بِهِ بَعْدَ الْعَشْوَةِ، وَتَنْقَادُ بِهِ بَعْدَ الْمُعَانَدَةِ. وَمَا بَرِحَ لِلَّهِ ـ عَزَّتْ آلَاؤُهُ ـ فِي الْبُرْهَةِ بَعْدَ الْبُرْهَةِ وَفِي أَزْمَانِ الْفَتَرَاتِ[2] عِبَادٌ نَاجَاهُمْ فِي فِكْرِهِمْ، وَكَلَّمَهُمْ فِي ذَاتِ عُقُولِهِمْ، فَاسْتَصْبَحُوا بِنُورِ يَقَظَةٍ فِي الْأَسْمَاعِ وَالْأَبْصَارِ وَالْأَفْئِدَةِ[3]. يُذَكِّرُونَ بِأَيَّامِ اللهِ، وَيُخَوِّفُونَ مَقَامَهُ بِمَنْزِلَةِ الْأَدِلَّةِ فِي الْفَلَوَاتِ[4]. مَنْ أَخَذَ الْقَصْدَ حَمِدُوا إِلَيْهِ طَرِيقَهُ[5] وَبَشَّرُوهُ بِالنَّجَاةِ. وَمَنْ أَخَذَ يَمِيناً وَشِمَالًا ذَمُّوا إِلَيْهِ الطَّرِيقَ، وَحَذَّرُوهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَكَانُوا كَذَلِكَ مَصَابِيحَ تِلْكَ الظُّلُمَاتِ وَأَدِلَّةَ تِلْكَ الشُّبُهَاتِ وَإِنَّ لِلذِّكْرِ لَأَهْلًا أَخَذُوهُ مِنَ الدُّنْيَا بَدَلًا فَلَمْ تَشْغَلْهُمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْهُ، يَقْطَعُونَ بِهِ أَيَّامَ الْحَيَاةِ وَيَهْتِفُونَ بِالزَّوَاجِرِ عَنْ مَحَارِمِ اللهِ فِي أَسْمَاعِ

---

(١) الذكر: استحضار الصفات الالهية. والوقرة ثقل في السمع. والعشوة ضعف البصر (٢) الفترة بين العملين زمان بينهما يخلو منهما، والمراد أزمنة الخلو من الأنبياء مطلقاً. وناجاهم أي خاطبهم بالالهام (٣) استصبح: أضاء مصباحه أي أضاء مصباح الهدى لهم بنور اليقظة في أبصارهم الخ (٤) الفلوات: المفازات والقفار (٥) أخذ القصد أي ركب الاعتدال في سلوكه لاتتناسب عند عقولهم فيدركوها

الْغَافِلِينَ(١) . وَيَأْمُرُونَ بِالْقِسْطِ وَيَأْتَمِرُونَ بِهِ ، وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيَتَنَاهَوْنَ عَنْهُ . فَكَأَنَّمَا قَطَعُوا الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ وَهُمْ فِيهَا فَشَاهَدُوا مَا وَرَاءَ ذٰلِكَ ، فَكَأَنَّمَا اطَّلَعُوا غُيُوبَ أَهْلِ الْبَرْزَخِ فِي طُولِ الْإِقَامَةِ فِيهِ(٢) ، وَحَقَّقَتِ الْقِيَامَةُ عَلَيْهِمْ عِدَاتِهَا . فَكَشَفُوا غِطَاءَ ذٰلِكَ لِأَهْلِ الدُّنْيَا حَتَّى كَأَنَّهُمْ يَرَوْنَ مَا لَا يَرَى النَّاسُ ، وَيَسْمَعُونَ مَا لَا يَسْمَعُونَ . فَلَوْ مَثَّلْتَهُمْ لِعَقْلِكَ فِي مَقَاوِمِهِمُ الْمَحْمُودَةِ(٣) ، وَمَجَالِسِهِمُ الْمَشْهُودَةِ وَقَدْ نَشَرُوا دَوَاوِينَ أَعْمَالِهِمْ ، وَفَرَغُوا لِمُحَاسَبَةِ أَنْفُسِهِمْ عَنْ كُلِّ صَغِيرَةٍ وَكَبِيرَةٍ أُمِرُوا بِهَا فَقَصَّرُوا عَنْهَا ، أَوْ نُهُوا عَنْهَا فَفَرَّطُوا فِيهَا ، وَحَمَّلُوا ثِقَلَ أَوْزَارِهِمْ ظُهُورَهُمْ(٤) فَضَعُفُوا عَنِ الْإِسْتِقْلَالِ بِهَا فَنَشَجُوا نَشِيجًا وَتَجَاوَبُوا نَحِيبًا . يَعِجُّونَ إِلَى رَبِّهِمْ مِنْ مَقَاوِمِ نَدَمٍ وَاعْتِرَافٍ لَرَأَيْتَ

---

(١) هتف به ـ كضرب ـ صاح ودعا. وهتفت الحمامة صاتت (٢) فى طول الاقامة حال من أهل البرزخ. والعدات : جمع عدة ـ بكسر ففتح مخفف ـ أى كأنما القيامة كشفت لهم عن الوعود التى وعد بها الأخيار والأشرار (٣) مقاوم : جمع مقام ، مقاماتهم فى خطاب الوعظ . والدواوين : جمع ديوان ـ وهو مجتمع الصحف . والدفتر ما يكتب فيه أسماء الجيش وأهل الأعطيات (٤) أى نسبوا ما صدر عنهم إلى تقصير هممهم عن أداء الواجب عليهم ولم يحولوه على ربهم فجعلوا الأوزار حملا على ظهورهم فأحسوا بالضعف عن الاستقلال بها أى القيام بحملها. ونشج الباكى ينشج ـ كضرب يضرب ـ نشيجا غص بالبكاء فى حلقه . والنحيب أشد البكاء. وتجاوبوا به أجاب بعضهم بعضا يتناحبون . وعج يعج ـ كضرب ومل ـ صاح ورفع صوته فهم يصيحون من مواقف الندم والاعتراف بالخطأ

أَعْلَامَ هُدًى، وَمَصَابِيحَ دُجًى. قَدْ حَفَّتْ بِهِمُ الْمَلَائِكَةُ، وَتَنَزَّلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَفُتِحَتْ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ، وَأُعِدَّتْ لَهُمْ مَقَاعِدُ الْكَرَامَاتِ فِي مَقَامٍ اطَّلَعَ اللهُ عَلَيْهِمْ فِيهِ فَرَضِيَ سَعْيَهُمْ وَحَمِدَ مَقَامَهُمْ يَتَنَسَّمُونَ بِدُعَائِهِ رَوْحَ التَّجَاوُزِ(١). رَهَائِنُ فَاقَةٍ إِلَى فَضْلِهِ، وَأُسَارَى ذِلَّةٍ لِعَظَمَتِهِ. جَرَحَ طُولُ الْأَسَى قُلُوبَهُمْ(٢)، وَطُولُ الْبُكَاءِ عُيُونَهُمْ. لِكُلِّ بَابِ رَغْبَةٍ إِلَى اللهِ مِنْهُمْ يَدٌ قَارِعَةٌ يَسْأَلُونَ مَنْ لَا تَضِيقُ لَدَيْهِ الْمَنَادِحُ(٣) وَلَا يَخِيبُ عَلَيْهِ الرَّاغِبُونَ. فَحَاسِبْ نَفْسَكَ لِنَفْسِكَ فَإِنَّ غَيْرَهَا مِنَ الْأَنْفُسِ لَهَا حَسِيبٌ غَيْرُكَ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ عِنْدَ تِلَاوَتِهِ «يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ الْكَرِيمِ»

أَدْحَضُ مَسْئُولٍ حُجَّةً(٤)، وَأَقْطَعُ مُغْتَرٍّ مَعْذِرَةً. لَقَدْ أَبْرَحَ جَهَالَةً بِنَفْسِهِ

يَا أَيُّهَا الْإِنْسَانُ مَا جَرَّأَكَ عَلَى ذَنْبِكَ، وَمَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ، وَمَا آنَسَكَ

(١) تنسم النسيم: تشممه. والروح ـ بالفتح ـ النسيم أي يتوقعون التجاوز بدعائهم له
(٢) الأسى: الحزن (٣) المنادح: جمع مندوحة، وهي كالندحة بالضم والفتح. والمنتدح ـ بفتح الدال ـ المتسع من الأرض (٤) أدحض خبر عن محذوف هو الانسان ودحضت الحجة ـ كمنع ـ

بِهلَكَةِ نَفْسِكَ . أَمَا مِنْ دَائِكَ بُلُولٌ[١] . أَمْ لَيْسَ مِنْ نَوْمَتِكَ يَقَظَةٌ . أَمَا تَرْحَمُ مِنْ نَفْسِكَ مَا تَرْحَمُ مِنْ غَيْرِكَ . فَرُبَّمَا تَرَى الضَّاحِيَ لِحَرِّ الشَّمْسِ فَتُظِلُّهُ[٢] ، أَوْ تَرَى الْمُبْتَلَى بِأَلَمٍ يُمِضُّ جَسَدَهُ[٣] فَتَبْكِي رَحْمَةً لَهُ ، فَمَا صَبَّرَكَ عَلَى دَائِكَ ، وَجَلَّدَكَ عَلَى مُصَابِكَ ، وَعَزَّاكَ عَنِ الْبُكَاءِ عَلَى نَفْسِكَ . وَهِيَ أَعَزُّ الْأَنْفُسِ عَلَيْكَ . وَكَيْفَ لَا يُوقِظُكَ خَوْفُ بَيَاتِ نِقْمَةٍ[٤] وَقَدْ تَوَرَّطْتَ بِمَعَاصِيهِ مَدَارِجَ سَطَوَاتِهِ . فَتَدَاوَ مِنْ دَاءِ الْفَتْرَةِ فِي قَلْبِكَ بِعَزِيمَةٍ ، وَمِنْ كَرَى الْغَفْلَةِ فِي نَاظِرِكَ بِيَقَظَةٍ[٥] . وَكُنْ لِلّٰهِ مُطِيعاً ، وَبِذِكْرِهِ آنِسًا . وَتَمَثَّلْ فِي حَالِ تَوَلِّيكَ عَنْهُ إِقْبَالَهُ عَلَيْكَ[٦] . يَدْعُوكَ إِلَى عَفْوِهِ وَيَتَغَمَّدُكَ بِفَضْلِهِ وَأَنْتَ مُتَوَلٍّ عَنْهُ إِلَى غَيْرِهِ . فَتَعَالَى مِنْ قَوِيٍّ مَا أَكْرَمَهُ[٧] ، وَتَوَاضَعْتَ مِنْ ضَعِيفٍ مَا أَجْرَأَكَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ وَأَنْتَ فِي كَنَفِ سِتْرِهِ مُقِيمٌ ، وَفِي سَعَةِ فَضْلِهِ مُتَقَلِّبٌ . فَلَمْ يَمْنَعْكَ فَضْلُهُ

---

(١) بل مرضه يبل كقفل يقفل بلولا حسنت حاله بعد هزال (٢) ضحا ضحوا وضحوا : برز فى الشمس (٣) يمض جسده يبالغ فى نهكه بطلت . وأبرح بنفسه أى أعجبته نفسه بجهالتها (٤) أى خوف أن تبيت بنقمة من الله ورزية تذهب بنعيمك وقد وقعت بمعاصيه فى طرق سطواته وتعرضت لانتقامه (٥) الكرى ـ بالفتح والقصر ـ النوم (٦) تمثل تصور واذكر عند اعراضك عن الله إلى لهوك أنه مقبل عليك بنعمه ويتغمدك أى يغمرك (٧) الضمير فى تعالى لله

وَلَمْ يَهْتِكْ عَنْكَ سِتْرَهُ ، بَلْ لَمْ تَخْلُ مِنْ لُطْفِهِ مَطْرَفَ عَيْنٍ ، فِي نِعْمَةٍ يُحْدِثُهَا لَكَ[1] ، أَوْ سَيِّئَةٍ يَسْتُرُهَا عَلَيْكَ ، أَوْ بَلِيَّةٍ يَصْرِفُهَا عَنْكَ . فَمَا ظَنُّكَ بِهِ لَوْ أَطَعْتَهُ ؟ وَايْمُ اللهِ لَوْ أَنَّ هٰذِهِ الصِّفَةَ كَانَتْ فِي مُتَّفِقَيْنِ فِي الْقُوَّةِ ، مُتَوَازِيَيْنِ فِي الْقُدْرَةِ لَكُنْتَ أَوَّلَ حَاكِمٍ عَلَى نَفْسِكَ بِذَمِيمِ الْأَخْلَاقِ وَمَسَاوِي الْأَعْمَالِ . وَحَقًّا أَقُولُ مَا الدُّنْيَا غَرَّتْكَ[2] وَلٰكِنْ بِهَا اغْتَرَرْتَ . وَلَقَدْ كَاشَفَتْكَ الْعِظَاتُ وَآذَنَتْكَ عَلَى سَوَاءٍ . وَلَهِيَ بِمَا تَعِدُكَ مِنْ نُزُولِ الْبَلَاءِ بِجِسْمِكَ وَالنَّقْصِ فِي قُوَّتِكَ أَصْدَقُ وَأَوْفَى مِنْ أَنْ تَكْذِبَكَ أَوْ تَغُرَّكَ . وَلَرُبَّ نَاصِحٍ لَهَا عِنْدَكَ مُتَّهَمٌ[3] ، وَصَادِقٍ مِنْ خَبَرِهَا مُكَذَّبٌ . وَلَئِنْ تَعَرَّفْتَهَا فِي الدِّيَارِ الْخَاوِيَةِ[4] وَالرُّبُوعِ الْخَالِيَةِ لَتَجِدَنَّهَا مِنْ حُسْنِ تَذْكِيرِكَ وَبَلَاغِ مَوْعِظَتِكَ بِمَحَلَّةِ الشَّفِيقِ عَلَيْكَ وَالشَّحِيحِ بِكَ[5] . وَلَنِعْمَ دَارُ مَنْ لَمْ يَرْضَ بِهَا دَارًا ، وَمَحَلُّ مَنْ لَمْ يُوَطِّنْهَا مَحَلًّا[6] . وَإِنَّ السُّعَدَاءَ بِالدُّنْيَا غَدًا هُمُ الْهَارِبُونَ مِنْهَا الْيَوْمَ

---

(١) طرف عينه ـ كضرب ـ أطبق جفنيها والمراد من المطرف اللحظة يتحرك فيها الجفن فى نعمة يتعلق بلطفه (٢) إن الدنيا ماخبأت عن بصرك شيئا من تقلباتها المفزعة ولكن غفلت عما نرى ولقد كاشفتك وأظهرت لك العظات أى المواعظ، وآذنتك أعلمتك على عدل (٣) رب حادث من حوادثها يلقى اليك النصيحة بالعبرة فتتهمه وهو مخلص (٤) تعرفتها طلبت معرفتها وعاقبة الركون اليها (٥) البخيل بك على الشقاء والهلكة (٦) وطنه ـ بالتشديد ـ اتخذه وطنا

إِذَا رَجَفَتِ الرَّاجِفَةُ[(١)] . وَحَقَّتْ بِجَلَائِلِهَا الْقِيَامَةُ . وَلَحِقَ بِكُلِّ مَنْسَكٍ أَهْلُهُ ، وَبِكُلِّ مَعْبُودٍ عَبَدَتُهُ ، وَبِكُلِّ مُطَاعٍ أَهْلُ طَاعَتِهِ ، فَلَمْ يُجْزَ فِي عَدْلِهِ وَقِسْطِهِ يَوْمَئِذٍ خَرْقُ بَصَرٍ فِي الْهَوَاءِ[(٢)] ، وَلَا هَمْسُ قَدَمٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا بِحَقِّهِ . فَكَمْ حُجَّةٍ يَوْمَ ذَاكَ دَاحِضَةٍ ، وَعَلَائِقِ عُذْرٍ مُنْقَطِعَةٍ . فَتَحَرَّ مِنْ أَمْرِكَ مَا يَقُومُ بِهِ عُذْرُكَ[(٣)] ، وَتَثْبُتُ بِهِ حُجَّتُكَ . وَخُذْ مَا يَبْقَى لَكَ مِمَّا لَا تَبْقَى لَهُ[(٤)] . وَتَيَسَّرْ لِسَفَرِكَ . وَشِمْ بَرْقَ النَّجَاةِ . وَارْحَلْ مَطَايَا التَّشْمِيرِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

وَاللهِ لَأَنْ أَبِيتَ عَلَى حَسَكِ السَّعْدَانِ مُسَهَّدًا[(٥)] ، وَأُجَرَّ فِي الْأَغْلَالِ مُصَفَّدًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَلْقَى اللهَ وَرَسُولَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ظَالِمًا لِبَعْضِ

---

(١) الراجفة النفخة الأولى حين تهب ريح الفناء فتنسف الأرض نسفا. وحقت القيامة وقعت وثبتت بعظائمها. والمنسك ـ بفتح الميم والسين ـ العبادة أو مكانها (٢) يجز ـ من الجزاء ـ مبنى للمجهول ونائب فاعله خرق بصر وهمس قدم، أي لا تجازى لمحة البصر تنفذ فى الهواء ولا همسة القدم فى الأرض إلا بحق وذلك بعدل الله (٣) تحر من التحرى أى اطلب ما هو أحرى وأليق لأن يقوم به عذرك (٤) ما يبقى لك هو العمل الصالح تخذه من الدنيا التى لا تبقى لها . وتيسر : تأهب . وشام البرق : لمحه . ورحل المطية : وضع عليها رحلها للسفر (٥) كأنه يريد من الحسك الشوك . والسعدان نبت ترعاه الابل له شوك تشبه به حلمة الثدى . والمسهد ـ من سهده ـ إذا أسهره . والمصفد : المقيد

ٱلْعِبَادِ ، وَغَاصِباً لِشَيْءٍ مِنَ ٱلْحُطَامِ . وَكَيْفَ أَظْلِمُ أَحَدًا لِنَفْسٍ يُسْرِعُ إِلَى ٱلْبِلَى قُفُولُهَا[١] ، وَيَطُولُ فِي ٱلثَّرَى حُلُولُهَا

وَٱللهِ لَقَدْ رَأَيْتُ عَقِيلًا[٢] ، وَقَدْ أَمْلَقَ حَتَّى ٱسْتَمَاحَنِي مِنْ بُرِّكُمْ صَاعًا ، وَرَأَيْتُ صِبْيَانَهُ شُعْثَ ٱلشُّعُورِ غُبْرَ ٱلْأَلْوَانِ مِنْ فَقْرِهِمْ كَأَنَّمَا سُوِّدَتْ وُجُوهُهُمْ بِالْعِظْلِمِ ، وَعَاوَدَنِي مُؤَكِّدًا[٣] وَكَرَّرَ عَلَيَّ ٱلْقَوْلَ مُرَدِّدًا فَأَصْغَيْتُ إِلَيْهِ سَمْعِي فَظَنَّ أَنِّي أَبِيعُهُ دِينِي وَأَتَّبِعُ قِيَادَهُ[٤] مُفَارِقًا طَرِيقِي ، فَأَحْمَيْتُ لَهُ حَدِيدَةً ثُمَّ أَدْنَيْتُهَا مِنْ جِسْمِهِ لِيَعْتَبِرَ بِهَا فَضَجَّ ضَجِيجَ ذِي دَنَفٍ مِنْ أَلَمِهَا[٥] ، وَكَادَ أَنْ يَحْتَرِقَ مِنْ مِيسَمِهَا . فَقُلْتُ لَهُ ثَكِلَتْكَ ٱلثَّوَاكِلُ يَا عَقِيلُ[٦] ، أَتَئِنُّ مِنْ حَدِيدَةٍ أَحْمَاهَا إِنْسَانُهَا لِلَعِبِهِ ، وَتَجُرُّنِي إِلَى نَارٍ سَجَرَهَا جَبَّارُهَا لِغَضَبِهِ . أَتَئِنُّ مِنَ ٱلْأَذَى وَلَا أَئِنُّ مِنْ

---

(١) يريد من النفس نفسه كرم الله وجهه أي كيف أظلم لأجل منفعة نفس يسرع إلى الفناء رجوعها. والثرى التراب (٢) عقيل أخوه . وأملق: افتقر أشد الفقر. واستماحني: استعطاني. والبر القمح (٣) شعث — جمع أشعث — وهو من الشعر المتلبد بالوسخ. والغبر — بضم الغين —: جمع أغبر متغير اللون شاحبه. والعظلم — كزبرج — سواد يصبغ به قيل هو النيلج أي النيلة (٤) القياد : مايقاد به كالزمام (٥) الدنف — بالتحريك — المرض. والميسم — بكسر الميم وفتح السين — المكواة (٦) ثكل — كفرح — أصاب ثكلا بالضم وهو فقدان الحبيب أو خاص بالولد . والثوا كل النساء، دعاء عليه بالموت لتألمه من نار ضعيفة الحرارة وطلبه عملا وهو تناول شيء من بيت المال زيادة عن المفروض له يوجب الوقوع في نار سجرها أي أضرمها الجبار وهو الله للانتقام ممن عصاه .

لَظَى . وَأَعْجَبُ مِنْ ذٰلِكَ طَارِقٌ طَرَقَنَا بِمَلْفُوفَةٍ فِي وِعَائِهَا[١]، وَمَعْجُونَةٍ شَنِئْتُهَا كَأَنَّمَا عُجِنَتْ بِرِيقِ حَيَّةٍ أَوْ قَيْئِهَا ، فَقُلْتُ أَصِلَةٌ أَمْ زَكَاةٌ أَمْ صَدَقَةٌ فَذٰلِكَ مُحَرَّمٌ عَلَيْنَا أَهْلَ الْبَيْتِ . فَقَالَ لَا ذَا وَلَا ذَاكَ وَلٰكِنَّهَا هَدِيَّةٌ . فَقُلْتُ هَبِلَتْكَ الْهَبُولُ[٢] ، أَعَنْ دِينِ اللّٰهِ أَتَيْتَنِي لِتَخْدَعَنِي ، أَمُخْتَبِطٌ أَنْتَ أَمْ ذُو جِنَّةٍ أَمْ تَهْجُرُ[٣] . وَاللّٰهِ لَوْ أُعْطِيتُ الْأَقَالِيمَ السَّبْعَةَ بِمَا تَحْتَ أَفْلَاكِهَا عَلَى أَنْ أَعْصِيَ اللّٰهَ فِي نَمْلَةٍ أَسْلُبُهَا جُلْبَ شَعِيرَةٍ[٤] مَا فَعَلْتُ وَإِنَّ دُنْيَاكُمْ عِنْدِي لَأَهْوَنُ مِنْ وَرَقَةٍ فِي فَمِ جَرَادَةٍ تَقْضَمُهَا[٥] مَا لِعَلِيٍّ وَلِنَعِيمٍ يَفْنَى وَلَذَّةٍ لَا تَبْقَى . نَعُوذُ بِاللّٰهِ مِنْ سُبَاتِ الْعَقْلِ[٦] وَقُبْحِ الزَّلَلِ وَبِهِ نَسْتَعِينُ

(وَمِنْ دُعَاءٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

اللّٰهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ[٧] ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ فَأَسْتَرْزِقَ

ولظى اسم جهنم (١) الملفوفة نوع من الحلواء أهداها اليه الأشعث بن قيس . وشنئتها أى كرهتها . والصلة العطية (٢) هبلتك ـ بكسر الباء ـ ثكلتك والهبول ـ بفتح الهاء ـ المرأة لا يعيش لها ولد . عن دين الله متعلق بتخدعنى (٣) أمختبط فى رأسك فاختل نظام ادراكك ، أم أصابك جنون ، أم تهجر أى تهذو بما لا معنى له (٤) جلب الشعيرة ـ بكسر الجيم ـ قشرتها . وأصل الجلب غطاء الرحل فتجوز فى اطلاقه على غطاء الحبة (٥) قضمت الدابة الشعير ـ من باب علم ـ : كسرته بأطراف أسنانها (٦) سبات العقل نومه . والزلل : السقوط فى الخطأ (٧) صيانة الوجه حفظه من التعرض للسؤال . و بذل الجاه . إسقاط المنزلة من القلوب . واليسار : الغنى . والاقتار : الفقر . وقوله فأسترزق ترتيب على البذل

طَالِبِي رِزْقِكَ ، وَأَسْتَعْطِفَ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَابْتَلَى بِحَمْدِ مَنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتَتَنَ بِذَمِّ مَنْ مَنَعَنِي ، وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ كُلِّهِ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ « إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ »

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

دَارٌ بِالْبَلَاءِ مَحْفُوفَةٌ ، وَبِالْغَدْرِ مَعْرُوفَةٌ . لَا تَدُومُ أَحْوَالُهَا ، وَلَا تَسْلَمُ نُزَّالُهَا(١) أَحْوَالٌ مُخْتَلِفَةٌ ، وَتَارَاتٌ مُتَصَرِّفَةٌ . الْعَيْشُ فِيهَا مَذْمُومٌ وَالْأَمَانُ فِيهَا مَعْدُومٌ . وَإِنَّمَا أَهْلُهَا فِيهَا أَغْرَاضٌ مُسْتَهْدَفَةٌ تَرْمِيهِمْ بِسِهَامِهَا وَتُفْنِيهِمْ بِحِمَامِهَا(٢)

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللّٰهِ أَنَّكُمْ وَمَا أَنْتُمْ فِيهِ مِنْ هٰذِهِ الدُّنْيَا عَلَى سَبِيلِ مَنْ قَدْ مَضَى قَبْلَكُمْ(٣) مِمَّنْ كَانَ أَطْوَلَ مِنْكُمْ أَعْمَارًا ، وَأَعْمَرَ دِيَارًا ، وَأَبْعَدَ آثَارًا . أَصْبَحَتْ أَصْوَاتُهُمْ هَامِدَةً ، وَرِيَاحُهُمْ رَاكِدَةً(٤) ، وَأَجْسَادُهُمْ بَالِيَةً ، وَدِيَارُهُمْ خَالِيَةً وَآثَارُهُمْ عَافِيَةً . فَاسْتَبْدَلُوا بِالْقُصُورِ

بالاقتار فانه لو افتقر لطلب الرزق من طلاب رزق الله وهم الناس (١) النزال بالضم وتشديد الزاى جمع نازل (٢) الحمام ـ بالكسر ـ الموت (٣) أنتم وما تتمتعون به قيام على سبيل الماضين تنتهون إلى نهايته وهو الفناء. و بعد الآثار طول بقائها بعد ذويها (٤) راكدة : ساكنة. وركود الريح كناية عن انقطاع العمل و بطلان الحركة. آثارهم عافية أي مندرسة

الْمُشَيَّدَةِ وَالنَّمَارِقِ الْمُمَهَّدَةِ[١] الصُّخُورَ وَالْأَحْجَارَ الْمُسَنَّدَةَ ، وَالْقُبُورَ اللَّاطِئَةَ الْمُلْحَدَةَ[٢] ، الَّتِي قَدْ بُنِيَ بِالْخَرَابِ فِنَاؤُهَا[٣] ، وَشِيدَ بِالتُّرَابِ بِنَاؤُهَا . فَمَحَلُّهَا مُقْتَرِبٌ ، وَسَاكِنُهَا مُغْتَرِبٌ . بَيْنَ أَهْلِ مَحَلَّةٍ مُوحِشِينَ وَأَهْلِ فَرَاغٍ مُتَشَاغِلِينَ[٤] لَا يَسْتَأْنِسُونَ بِالْأَوْطَانِ ، وَلَا يَتَوَاصَلُونَ تَوَاصُلَ الْجِيرَانِ عَلَى مَا بَيْنَهُمْ مِنْ قُرْبِ الْجِوَارِ وَدُنُوِّ الدَّارِ . وَكَيْفَ يَكُونُ بَيْنَهُمْ تَزَاوُرٌ وَقَدْ طَحَنَهُمْ بِكَلْكَلِهِ الْبِلَى[٥] ، وَأَكَلَتْهُمُ الْجَنَادِلُ وَالثَّرَى . وَكَأَنْ قَدْ صِرْتُمْ إِلَى مَا صَارُوا إِلَيْهِ[٦] ، وَارْتَهَنَكُمْ ذَٰلِكَ الْمَضْجَعُ ، وَضَمَّكُمْ ذَٰلِكَ الْمُسْتَوْدَعُ . فَكَيْفَ بِكُمْ لَوْ تَنَاهَتْ بِكُمُ الْأُمُورُ[٧] ، وَبُعْثِرَتِ الْقُبُورُ « هُنَالِكَ تَبْلُو كُلُّ نَفْسٍ مَا أَسْلَفَتْ[٨] ، وَرُدُّوا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ »

---

(١) النمارق ــ جمع نمرقة ــ: تطلق على الوسادة الصغيرة وعلى الطنفسة أى البساط ولعله المراد هنا. والممهدة الممهدة وشبهه والصخور مفعول استبدلوا (٢) لطأ بالأرض ــ كمنع وفرح ــ: لصق. والملحدة من ألحد القبر جعل له لحدا أى شقا فى وسطه أو جانبه (٣) فناء الدار ــ بالكسر ــ: ساحتها وما اتسع أمامها. و بناء الفناء بالخراب تمثيل لما يتخيله الفكر فى ديار الموتى من الفناء الدائم إلى نهاية العالم (٤) متشاغلين عما شاهدوا من عقبى أعمالهم (٥) الكلكل هو صدر البعير كأن البلى بكسر الباء أى الفناء جمل برك عليهم فطحنهم. والجنادل : الحجارة. والثرى : التراب (٦) ولقرب آجالكم كأنكم قد صرتم إلى مصيرهم وحبستم فى ذلك المضجع كما يحبس الرهن فى يد المرتهن (٧) تناهى به الأمر : وصل إلى غايته . والمراد انتهاء مدة البرزخ . و بعثرت القبور قلب ثراها وأخرج موتاها (٨) تبلوه أى تخبره فتقف على خيره وشره

(وَمِنْ دُعَائِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

اللَّهُمَّ إِنَّكَ آنَسُ الآنِسِينَ لِأَوْلِيَائِكَ(١). وَأَحْضَرُهُمْ بِالْكِفَايَةِ لِلْمُتَوَكِّلِينَ عَلَيْكَ. تُشَاهِدُهُمْ فِي سَرَائِرِهِمْ، وَتَطَّلِعُ عَلَيْهِمْ فِي ضَمَائِرِهِمْ وَتَعْلَمُ مَبْلَغَ بَصَائِرِهِمْ. فَأَسْرَارُهُمْ لَكَ مَكْشُوفَةٌ، وَقُلُوبُهُمْ إِلَيْكَ مَلْهُوفَةٌ(٢). إِنْ أَوْحَشَتْهُمُ الْغُرْبَةُ آنَسَهُمْ ذِكْرُكَ، وَإِنْ صُبَّتْ عَلَيْهِمُ الْمَصَائِبُ لَجَأُوا إِلَى الاسْتِجَارَةِ بِكَ، عِلْماً بِأَنَّ أَزِمَّةَ الْأُمُورِ بِيَدِكَ، وَمَصَادِرَهَا عَنْ قَضَائِكَ

اللَّهُمَّ إِنْ فَهِهْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي(٣) أَوْ عَمِيتُ عَنْ طِلْبَتِي فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي، وَخُذْ بِقَلْبِي إِلَى مَرَاشِدِي، فَلَيْسَ ذَلِكَ بِنُكْرٍ مِنْ هِدَايَاتِكَ(٤) وَلَا بِبِدْعٍ مِنْ كِفَايَاتِكَ

اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ(٥) وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَدْلِكَ

---

(١) آنس أشد أنساً، فقلوب الأولياء أشد أنساً بالله من كل أليف فالله آنس الموجودات عندها وهو أشد النصراء حضوراً بما يكفي المعتمدين عليه (٢) الملهوف: المضطر يستغيث ويتحسر (٣) فهه ـ كفرح ـ عيي فلم يستطع البيان. والطلبة ـ بكسر الطاء ـ المطلوب. والمراشد: مواضع الرشد (٤) النكر ـ بالضم ـ: المنكر. والبدع ـ بالكسر ـ: الأمر يكون أولا، أي الغريب غير المعهود (٥) اعتراف منه بالتقصير فلو عامله الله بالعدل لاشتد عليه الهول فالتجأ إلى العفو

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

لِلّٰهِ بِلَاءُ فُلَانٍ(١) فَقَدْ قَوَّمَ الْأَوَدَ وَدَاوَى الْعَمَدَ . خَلَّفَ الْفِتْنَةَ وَأَقَامَ السُّنَّةَ . ذَهَبَ نَقِيَّ الثَّوْبِ ، قَلِيلَ الْعَيْبِ . أَصَابَ خَيْرَهَا وَسَبَقَ شَرَّهَا . أَدَّى إِلَى اللّٰهِ طَاعَتَهُ وَاتَّقَاهُ بِحَقِّهِ . رَحَلَ وَتَرَكَهُمْ فِي طُرُقٍ مُتَشَعِّبَةٍ(٢) لَا يَهْتَدِي فِيهَا الضَّالُّ وَلَا يَسْتَيْقِنُ الْمُهْتَدِي

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فِي وَصْفِ بَيْعَتِهِ بِالْخِلَافَةِ وَقَدْ تَقَدَّمَ مِثْلُهُ بِأَلْفَاظٍ مُخْتَلِفَةٍ

وَبَسَطْتُمْ يَدِي فَكَفَفْتُهَا ، وَمَدَدْتُمُوهَا فَقَبَضْتُهَا ، ثُمَّ تَدَاكَكْتُمْ عَلَيَّ(٣) تَدَاكَّ الْإِبِلِ الْهِيمِ عَلَى حِيَاضِهَا يَوْمَ وُرُودِهَا حَتَّى انْقَطَعَتِ النَّعْلُ وَسَقَطَتِ الرِّدَاءُ وَوُطِئَ الضَّعِيفُ وَبَلَغَ مِنْ سُرُورِ النَّاسِ بِبَيْعَتِهِمْ إِيَّايَ أَنِ ابْتَهَجَ بِهَا الصَّغِيرُ وَهَدَجَ إِلَيْهَا الْكَبِيرُ(٤) وَتَحَامَلَ نَحْوَهَا الْعَلِيلُ ، وَحَسَرَتْ إِلَيْهَا الْكِعَابُ

---

(١) هو الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه. وقوم الأود عدل الاعوجاج . والعمد ـ بالتحريك ـ : العلة . وخلف الفتنة تركها خلفاً لا هو أدركها ولا هى أدركته (٢) عبارة عن الاختلاف (٣) التداكّ : الازدحام كأن كل واحد يدك الآخر أى يدقه . والهيم أى العطاش جمع هيماء ، كعيناء وعين (٤) هدج : مشى مشية الضعيف ، وهدج الظليم إذا مشى فى ارتعاش والكعاب ـ كسحاب ـ : الجارية حين يبدو ثديها للنهود وهى الكاعبة . وحسرت

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَإِنَّ تَقْوَى اللهِ مِفْتَاحُ سَدَادٍ، وَذَخِيرَةُ مَعَادٍ. وَعِتْقٌ مِنْ كُلِّ مَلَكَةٍ[1]، وَنَجَاةٌ مِنْ كُلِّ هَلَكَةٍ. بِهَا يَنْجَحُ الطَّالِبُ، وَيَنْجُو الْهَارِبُ، وَتُنَالُ الرَّغَائِبُ. فَاعْمَلُوا وَالْعَمَلُ يُرْفَعُ[2]، وَالتَّوْبَةُ تَنْفَعُ، وَالدُّعَاءُ يُسْمَعُ. وَالْحَالُ هَادِئَةٌ، وَالْأَقْلَامُ جَارِيَةٌ: وَبَادِرُوا بِالْأَعْمَالِ عُمُرًا نَاكِسًا، وَمَرَضًا حَابِسًا أَوْ مَوْتًا خَالِسًا. فَإِنَّ الْمَوْتَ هَادِمُ لَذَّاتِكُمْ، وَمُكَدِّرُ شَهَوَاتِكُمْ، وَمُبَاعِدُ طِيَّاتِكُمْ[3]. زَائِرٌ غَيْرُ مَحْبُوبٍ، وَقِرْنٌ غَيْرُ مَغْلُوبٍ، وَوَاتِرٌ غَيْرُ مَطْلُوبٍ. قَدْ أَعْلَقَتْكُمْ حَبَائِلُهُ وَتَكَنَّفَتْكُمْ غَوَائِلُهُ، وَأَقْصَدَتْكُمْ مَعَابِلُهُ. وَعَظُمَتْ فِيكُمْ سَطْوَتُهُ

أى كشفت عن وجهها متوجهة إلى البيعة لتعقدها بلا استحياء لشدة الرغبة والحرص على اتمام الأمر لأمير المؤمنين. والغرض من الكلام الاحتجاج على المخالفين بأن الأمة بايعته مختارة (١) الملكة ـ بالتحريك ـ الرق أى عتق من رق الشهوات والأهواء. والهلكة ـ بالتحريك ـ: الهلاك (٢) والعمل الخ الواو واو الحال. وبادروا أى اسبقوا بأعمالكم حلول آجالكم التى تنكسكم أى تقلبكم من الحياة إلى الموت. والحابس المانع من العمل. والخالس: الخاطف (٣) طياتكم جمع طية ـ بالكسر ـ: القصد أى يحول بينكم وبين مقاصدكم فيبعدها والقرن ـ بالكسر ـ: الكفؤ فى الشجاعة. والتسمية تبكيت لمن يظن مغالبة الموت فلا يستعد له بالصالحات كأنه يقول إذا كنتم أقوياء فالموت كفؤ لكم غير مغلوب، والواتر: الجانى والموت لا يطالب بالقصاص على جنايته. أعلقتكم الحبائل أوقعتكم فيها فاقتنصتكم وهى جمع حبالة: المصيدة من الحبال. وتكنفتكم

وَتَتَابَعَتْ عَلَيْكُمْ عَدْوَتُهُ(١) ، وَقَلَّتْ عَنْكُمْ نَبْوَتُهُ . فَيُوشِكُ أَنْ تَغْشَاكُمْ دَوَاجِي ظُلَلِهِ ، وَاحْتِدَامُ عِلَلِهِ . وَحَنَادِسُ غَمَرَاتِهِ ؛ وَغَوَاشِي سَكَرَاتِهِ ، وَأَلِيمُ إِزْهَاقِهِ ، وَدُجُوُّ إِطْبَاقِهِ ، وَجُشُوبَةُ مَذَاقِهِ . فَكَأَنْ قَدْ أَتَاكُمْ بَغْتَةً فَأَسْكَتَ نَجِيَّكُمْ(٢) ، وَفَرَّقَ نَدِيَّكُمْ ، وَعَفَّى آثَارَكُمْ ، وَعَطَّلَ دِيَارَكُمْ ، وَبَعَثَ وُرَّاثَكُمْ يَقْتَسِمُونَ تُرَاثَكُمْ بَيْنَ حَمِيمٍ خَاصٍّ لَمْ يَنْفَعْ ، وَقَرِيبٍ مَحْزُونٍ لَمْ يَمْنَعْ ، وَآخَرَ شَامِتٍ لَمْ يَجْزَعْ . فَعَلَيْكُمْ بِالْجِدِّ وَالِاجْتِهَادِ ، وَالتَّأَهُّبِ وَالِاسْتِعْدَادِ ، وَالتَّزَوُّدِ فِي مَنْزِلِ الزَّادِ . وَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الدُّنْيَا كَمَا غَرَّتْ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْمَاضِيَةِ وَالْقُرُونِ الْخَالِيَةِ الَّذِينَ احْتَلَبُوا دِرَّتَهَا(٣) ، وَأَصَابُوا غِرَّتَهَا ، وَأَفْنَوْا عِدَّتَهَا ، وَأَخْلَقُوا جِدَّتَهَا . أَصْبَحَتْ مَسَاكِنُهُمْ أَجْدَاثاً(٤) ، وَأَمْوَالُهُمْ

أحاطتكم . أقصده: رماه بسهم فأصاب مقتله والمعابل — جمع معبلة كمكنسة بكسر الميم — وهي النصل الطويل العريض (١) العدوة — بالفتح — العدوان. والنبوة — بالفتح — أن يخطىء في الضربة فلا يصيب. والدواجي — جمع داجية — أي مظلمة. والظلل — جمع الظلة — أي السحابة . والاحتدام : الاشتداد . والحنادس : جمع حندس — بكسر الحاء والدال — الظلمة الشديدة . والغمرات : الشدائد . والدجو : الاظلام . والجشوبة : الخشونة (٢) النجي القوم يتناجون . والندى : الجماعة يجتمعون للمشاورة. وعفى الآثار محاها . والتراث : الميراث . والحميم : الصديق (٣) الدرة — بالكسر — : اللبن . والغرة — بالكسر — : الغفلة أي أصابوا منها غفلة فتمتعوا بلذاتها وأفنوا العدد الكثير من أيامها وجعلوا جديدها خلقا قديماً بطول أعمارهم (٤) الأجداث : القبور

مِيرَاثاً. لَا يَعْرِفُونَ مَنْ أَتَاهُمْ، وَلَا يَحْفِلُونَ مَنْ بَكَاهُمْ(١)، وَلَا يُجِيبُونَ مَنْ دَعَاهُمْ. فَاحْذَرُوا الدُّنْيَا فَإِنَّهَا غَدَّارَةٌ، غَرَّارَةٌ خَدُوعٌ، مُعْطِيَةٌ مَنُوعٌ، مُلْبِسَةٌ نَزُوعٌ(٢). لَا يَدُومُ رَخَاؤُهَا، وَلَا يَنْقَضِي عَنَاؤُهَا، وَلَا يَرْكُدُ بَلَاؤُهَا

(مِنْهَا فِي صِفَةِ الزُّهَّادِ) كَانُوا قَوْماً مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَلَيْسُوا مِنْ أَهْلِهَا فَكَانُوا فِيهَا كَمَنْ لَيْسَ مِنْهَا. عَمِلُوا فِيهَا بِمَا يُبْصِرُونَ، وَبَادَرُوا فِيهَا مَا يَحْذَرُونَ(٣). تَقَلَّبُ أَبْدَانُهُمْ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ أَهْلِ الْآخِرَةِ(٤)، يَرَوْنَ أَهْلَ الدُّنْيَا يُعَظِّمُونَ مَوْتَ أَجْسَادِهِمْ وَهُمْ أَشَدُّ إِعْظَاماً لِمَوْتِ قُلُوبِ أَحْيَائِهِمْ

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ
خَطَبَهَا بِذِي قَارٍ وَهُوَ مُتَوَجِّهٌ إِلَى الْبَصْرَةِ
ذَكَرَهَا الْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ الْجَمَلِ

فَصَدَعَ بِمَا أُمِرَ بِهِ(٥)، وَبَلَّغَ رِسَالَاتِ رَبِّهِ. فَلَمَّ اللَّهُ بِهِ الصَّدْعَ. وَرَتَقَ

---

(١) يحفلون: يبالون (٢) ما ألبست إلا نزعت لباسها عمن ألبسته. ولا يركد أي لا يسكن (٣) بادر المحذور: سبقه فلم يصبه (٤) تقلباً بدانهم أي تتقلب، أي أن أبدانهم وهي في الدنيا تتقلب بين أظهر أهل الآخرة وهو بين ظهرانيهم أي بينهم حاضراً ظاهراً (٥) الضمير في صدع للنبي صلى الله عليه وسلم. ولم الصدع لحم المنشق فأعاده إلى القيام بعد الاشراف على الانهدام. والفتق نقض خياطة الثوب فينفصل بعض أجزائه عن بعض. والرتق خياطتها

بِهِ ٱلْفَتْقَ . وَأَلَّفَ بِهِ ذَوِى ٱلْأَرْحَامِ بَعْدَ ٱلْعَدَاوَةِ ٱلْوَاغِرَةِ فِي ٱلصُّدُورِ ، وَٱلضَّغَائِنِ ٱلْقَادِحَةِ فِي ٱلْقُلُوبِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

كَلَّمَ بِهِ عَبْدَ ٱللهِ بْنَ زَمْعَةَ وَهُوَ مِنْ شِيعَتِهِ وَذَٰلِكَ أَنَّهُ قَدِمَ عَلَيْهِ فِي خِلَافَتِهِ يَطْلُبُ مِنْهُ مَالًا فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

إِنَّ هٰذَا ٱلْمَالَ لَيْسَ لِي وَلَا لَكَ وَإِنَّمَا هُوَ فَيْءٌ لِلْمُسْلِمِينَ(١) وَجَلْبُ أَسْيَافِهِمْ ، فَإِنْ شَرِكْتَهُمْ فِي حَرْبِهِمْ كَانَ لَكَ مِثْلُ حَظِّهِمْ ، وَإِلَّا فَجَنَاةُ أَيْدِيهِمْ لَا تَكُونُ لِغَيْرِ أَفْوَاهِهِمْ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ

أَلَا إِنَّ ٱللِّسَانَ بَضْعَةٌ مِنَ ٱلْإِنْسَانِ(٢) فَلَا يُسْعِدُهُ ٱلْقَوْلُ إِذَا ٱمْتَنَعَ وَلَا يُمْهِلُهُ ٱلنُّطْقُ إِذَا ٱتَّسَعَ . وَإِنَّا لَأُمَرَاءُ ٱلْكَلَامِ ، وَفِينَا تَنَشَّبَتْ عُرُوقُهُ وَعَلَيْنَا تَهَدَّلَتْ غُصُونُهُ

ليعود ثوباً . أى جمع الله به متفرق القلوب ومتشتت الأحوال . والواغرة: الداخنة . والقادحة المشتعلة (١) الفيء الخراج والغنيمة . وشركه ـ كعلمه ـ : شاركه . والجناة ـ بفتح الجيم ـ : ما يجنى من الشجر أى يقطف (٢) أى أن اللسان آلة تحركها سلطة النفس فلا يسعد بالنطق ناطق امتنع عليه ذهنه من المعانى فلم يستحضرها ولا يمهله النطق إذا هو اتسع فى فكره بل تنحدر المعانى إلى الألفاظ جارية على اللسان قهراً منه، فسعة الكلام تابعة لسعة العلم وتنشبت الأصول علقت ونبتت. والمراد من العروق الأفكار العالية والعلوم السامية.

وَاعْلَمُوا رَحِمَكُمُ اللهُ أَنَّكُمْ فِي زَمَانٍ الْقَائِلُ فِيهِ بِالْحَقِّ قَلِيلٌ، وَاللِّسَانُ عَنِ الصِّدْقِ كَلِيلٌ (١)، وَاللَّازِمُ لِلْحَقِّ ذَلِيلٌ. أَهْلُهُ مُعْتَكِفُونَ عَلَى الْعِصْيَانِ. مُصْطَلِحُونَ عَلَى الْإِدْهَانِ فَتَاهُمْ عَارِمٌ (٢)، وَشَائِبُهُمْ آثِمٌ، وَعَالِمُهُمْ مُنَافِقٌ، وَقَارِئُهُمْ مُمَاذِقٌ. لَا يُعَظِّمُ صَغِيرُهُمْ كَبِيرَهُمْ، وَلَا يَعُولُ غَنِيُّهُمْ فَقِيرَهُمْ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(رَوَى الْيَمَانِيُّ عَنْ أَحْمَدَ بْنِ قُتَيْبَةَ عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ مَالِكِ بْنِ دِحْيَةَ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ ذُكِرَ عِنْدَهُ اخْتِلَافُ النَّاسِ فَقَالَ):

إِنَّمَا فَرَّقَ بَيْنَهُمْ مَبَادِئُ طِينِهِمْ (٣) وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا فِلْقَةً مِنْ سَبَخِ أَرْضٍ وَعَذْبِهَا، وَحَزْنِ تُرْبَةٍ وَسَهْلِهَا. فَهُمْ عَلَى حَسَبِ قُرْبِ أَرْضِهِمْ يَتَقَارَبُونَ، وَعَلَى قَدْرِ اخْتِلَافِهَا يَتَفَاوَتُونَ. فَتَامُّ الرُّوَاءِ (٤) نَاقِصُ الْعَقْلِ، وَمَادُّ الْقَامَةِ قَصِيرُ الْهِمَّةِ، وَزَاكِي الْعَمَلِ قَبِيحُ الْمَنْظَرِ،

والغصون: وجوه القول فى فصاحته وصفاته الفاعلة فى النفوس. وتهدلت أى تدلت علينا فأظلتنا (١) كل لسانه نبا عن الغرض، وإذا مرنت الأسماع على سماع الكذب نباعنها لسان الصدق فلم يصب منها حظا (٢) شرس: سيء الخلق. والمماذق من يمزج وده بالغش وهو من صنف المنافقين (٣) جمع طينة يريد عناصر تركيبهم. والفلقة - بكسر الفاء -: القطعة من الشيء. وسبخ الأرض: مالحها. والحزن - بفتح الحاء -: الخشن ضد السهل فتقارب الناس حسب تقارب العناصر المؤلفة لبناهم وكذلك تباعدهم بتباعدها (٤) الرواء - بالضم والمد -: حسن المنظر. وماد القامة طويلها. والقعر يريد به قعر البدن أى أنه قصير

وَقَرِيبُ الْقَعْرِ بَعِيدُ السَّبْرِ ، وَمَعْرُوفُ الضَّرِيبَةِ مُنْكَرُ الْجَلِيبَةِ ، وتَائِهُ الْقَلْبِ مُتَفَرِّقُ اللُّبِّ ، وَطَلِيقُ اللِّسَانِ حَدِيدُ الْجَنَانِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ وَهُوَ يَلِي غُسْلَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَتَجْهِيزَهُ

بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي لَقَدِ انْقَطَعَ بِمَوْتِكَ مَالَمْ يَنْقَطِعْ بِمَوْتِ غَيْرِكَ مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْأَنْبَاءِ وَأَخْبَارِ السَّمَاءِ. خَصَّصْتَ[1] حَتَّى صِرْتَ مُسَلِّيًا عَمَّنْ سِوَاكَ وَعَمَّمْتَ حَتَّى صَارَ النَّاسُ فِيكَ سَوَاءً . وَلَوْلَا أَنَّكَ أَمَرْتَ بِالصَّبْرِ وَنَهَيْتَ عَنِ الْجَزَعِ لَأَنْفَدْنَا عَلَيْكَ مَاءَ الشُّئُونِ[2] ، وَلَكَانَ الدَّاءُ مُمَاطِلًا وَالْكَمَدُ مُحَالِفًا وَقَلَّا لَكَ[3] ، وَلَكِنَّهُ مَالَا يُمْلَكُ رَدُّهُ[4] وَلَا يُسْتَطَاعُ دَفْعُهُ . بِأَبِي أَنْتَ وَأُمِّي اذْكُرْنَا عِنْدَ رَبِّكَ وَاجْعَلْنَا مِنْ بَالِكَ

الجسم لكنه داهي الفؤاد. والضريبة الطبيعة . والجليبة ما يتصنعه الانسان على خلاف طبعه (١) النبي صلى الله عليه وسلم خص أقارب وأهل بيته حتى كان فيه الغنى والسلوة لهم عن جميع من سواه. وهو برسالته عام للخلق فالناس فى النسبة إلى دينه سواء (٢) لأنفدنا أى لأفنينا على فراقك ماء عيوننا الجارى من شؤونه وهى منابع الدمع من الرأس (٣) مماطلا بالشفاء . والكمد : الحزن . ومحالفته ملازمته . وقلاّ فعل ماض متصل بألف التثنية، أى مماطلة الداء ومحالفة الكمد قليلتان لك (٤) ماخبر لكن أى لكنه الموت الذى لا يملك رده الخ. وماحتم وقعه فلا يفيد الأسف عليه لأن الأسف وضع فى النفوس

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

اقْتَصَّ فِيهِ ذِكْرَ مَا كَانَ مِنْهُ بَعْدَ هِجْرَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ لَحَاقِهِ بِهِ

فَجَعَلْتُ أَتَّبِعُ مَأْخَذَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَأَطَأُ ذِكْرَهُ حَتَّى انْتَهَيْتُ إِلَى الْعَرَجِ(١) (فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ)

(قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: فَأَطَأُ ذِكْرَهُ. مِنَ الْكَلَامِ الَّذِي رُمِيَ بِهِ إِلَى غَايَتَيِ الْإِيجَازِ وَالْفَصَاحَةِ، أَرَادَ أَنِّي كُنْتُ أُعْطَى خَبَرَهُ(٢) صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مِنْ بَدْءِ خُرُوجِي إِلَى أَنِ انْتَهَيْتُ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ فَكَنَى عَنْ ذَلِكَ بِهَذِهِ الْكِنَايَةِ الْعَجِيبَةِ)

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

فَاعْمَلُوا وَأَنْتُمْ فِي نَفَسِ الْبَقَاءِ(٣) وَالصُّحُفُ مَنْشُورَةٌ، وَالتَّوْبَةُ مَبْسُوطَةٌ. وَالْمُدْبِرُ يُدْعَى، وَالْمُسِيءُ يُرْجَى. قَبْلَ أَنْ يَخْمُدَ الْعَمَلُ، وَيَنْقَطِعَ الْمَهَلُ، وَيَنْقَضِيَ الْأَجَلُ، وَيُسَدَّ بَابُ التَّوْبَةِ وَتَصْعَدَ الْمَلَائِكَةُ(٤)

لمداركة الفائت والحذر من الآتي (١) العرج ـ بالتحريك ـ موضع بين مكة والمدينة (٢) أعطى بالبناء للمجهول (٣) نفس ـ بالتحريك ـ أي سعة البقاء. وصحف الأعمال منشورة لكتابة الصالحات والسيئات. وبسط التوبة: قبولها. والمدبر أي المعرض عن الطاعة يدعى اليها. والمسيء يرجى احسانه ورجوعه عن اساءته. وخمود العمل: انقطاعه بحلول الموت (٤) صعود الملائكة لعرض أعمال العبد إذا انتهى

فَأَخَذَ امْرُؤٌ مِنْ نَفْسِهِ لِنَفْسِهِ(١). وَأَخَذَ مِنْ حَيٍّ لِمَيِّتٍ، وَمِنْ فَانٍ لِبَاقٍ، وَمِنْ ذَاهِبٍ لِدَائِمٍ. امْرُؤٌ خَافَ اللهَ(٢) وَهُوَ مُعَمَّرٌ إِلَى أَجَلِهِ، وَمَنْظُورٌ إِلَى عَمَلِهِ، امْرُؤٌ أَلْجَمَ نَفْسَهُ بِلِجَامِهَا وَزَمَّهَا بِزِمَامِهَا(٣)، فَأَمْسَكَهَا بِلِجَامِهَا عَنْ مَعَاصِي اللهِ وَقَادَهَا بِزِمَامِهَا إِلَى طَاعَةِ اللهِ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

في شأن الحكمين وذم أهل الشام

جُفَاةٌ طَغَامٌ(٤)، وَعَبِيدٌ أَقْزَامٌ. جُمِعُوا مِنْ كُلِّ أَوْبٍ، وَتُلُقِّطُوا مِنْ كُلِّ شَوْبٍ مِمَّنْ يَنْبَغِي أَنْ يُفَقَّهَ وَيُؤَدَّبَ(٥)، وَيُعَلَّمَ وَيُدَرَّبَ، وَيُوَلَّى

---

(١) أخذ أمر بصيغة الماضي أى فليأخذ، أو هو على حقيقته مرتب على قوله فاعملوا، أى لو عملتم لأخذ امرؤ، وأخذه من نفسه تعاطى الأعمال الجليلة لنفسه أى لتسعد بها نفسه. والحى والميت هو المرء نفسه ولكنه فى حياته قادر على العمل فاذا مات فليس له إلا ما أخذه من حياته. ومن فان أى حياة فانية وهى الدنيا لباق وهو الآخرة، وهكذا الذاهب والدائم (٢) امرؤ خاف الخ أى الناجى هو امرؤ خاف الله فأدى الواجب عليه له وللناس وهو فى مهلة الحياة تمتد به إلى أجله. ومنظور أى ممهل من الله لا يأخذه بالعقاب إلى أن يعمل فيعفو عن تقصيره و يثيبه على عمله (٣) زمها أى قادها بقيادها (٤) الجفاة ـ بضم الجيم ـ: جمع جاف، أى غليظ فظ. والطغام ـ كسحاب ـ: أوغاد الناس. والعبيد كناية عن ردئ الأخلاق. والأقزام: جمع قزم ـ بالتحريك ـ أرذال الناس جمعوا من كل أوب أى ناحية. والشوب الخلط كناية عن كونهم أخلاطا ليسوا من صراحة النسب فى شىء (٥) ممن ينبغى أى أنهم على جهل فينبغى أن يفقهوا و يؤدبوا و يعلموا فرائضهم و يمرنوا على العمل بها، وهم سفهاء الأحلام فينبغى أن يولى عليهم أى يقام

عَلَيْهِ وَيُؤْخَذَ عَلَى يَدَيْهِ . لَيْسُوا مِنَ ٱلْمُهَاجِرِينَ وَٱلْأَنْصَارِ ، وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ تَبَوَّأُوا ٱلدَّارَ

أَلَا وَإِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱخْتَارُوا لِأَنْفُسِهِمْ أَقْرَبَ ٱلْقَوْمِ مِمَّا تَكْرَهُونَ(١) ، وَإِنَّمَا عَهْدُكُمْ بِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ بِالْأَمْسِ يَقُولُ : « إِنَّهَا فِتْنَةٌ فَقَطِّعُوا أَوْتَارَكُمْ وَشِيمُوا سُيُوفَكُمْ » فَإِنْ كَانَ صَادِقًا(٢) فَقَدْ أَخْطَأَ بِمَسِيرِهِ غَيْرَ مُسْتَكْرَهٍ ، وَإِنْ كَانَ كَاذِبًا فَقَدْ لَزِمَتْهُ ٱلتُّهَمَةُ . فَادْفَعُوا فِي صَدْرِ عَمْرِو بْنِ ٱلْعَاصِ بِعَبْدِ ٱللهِ ٱبْنِ ٱلْعَبَّاسِ ، وَخُذُوا مَهَلَ ٱلْأَيَّامِ وَحُوطُوا قَوَاصِيَ ٱلْإِسْلَامِ . أَلَا تَرَوْنَ إِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى ، وَإِلَى صَفَاتِكُمْ تُرْمَى

لهم الأولياء ليلزموهم بمصالحهم ويعملوا لهم ويأخذوا على أيديهم فلا يبيحون لهم التصرف من أنفسهم والاجرتهم إلى الضرر بالجهل والسفه . تبوأوا الدار أى نزلوا المدينة المنورة، كناية عن الأنصار الأولين (١) أقرب القوم يريد به أباموسى الأشعرى وهو عبد الله ابن قيس، وهو لعدم وقوفه على وجوه الحيل يؤخذ بالخديعة فيكون أقرب إلى موافقة الأعداء على أغراضهم وهو مايكرهه ، أصحاب أمير المؤمنين خصوصا وقد عهدوه بالأمس أى عند اعداد الجيش للحرب يقول: ان الحادثة فتنة فقطعوا أوتار القسى وشيموا أى أغمدوا السيوف ولا تقاتلوا . يثبط بذلك أصحاب على عن الحرب (٢) ان صح قول أبى موسى انها فتنة ولم يكرهه أحد على الدخول فيها فقد أخطأ بمسيره اليها وكان عمله خلاف عقيدته، ومن كان شأنه ذلك فلا يصلح للحكم ، وإن كان كاذباً فيما يقول فقد كان عارفا بالحق ونطق بالباطل فهو منهم ويخشى أن يكون منه مثل ذلك فى الحكم. وقوله فادفعوا الخ أى اختاروا ابن عباس حكما فانه كفؤ لعمرو بن العاص. وخذوا مهل الأيام فى فسحتها فاستعدوا فيها بجمع قواكم وتوفير عددكم وتجنيد جيوشكم. وحوطوا

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

يَذْكُرُ فِيهَا آلَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

هُمْ عَيْشُ الْعِلْمِ وَمَوْتُ الْجَهْلِ. يُخْبِرُكُمْ حِلْمُهُمْ عَنْ عِلْمِهِمْ. وَصَمْتُهُمْ عَنْ حِكَمِ مَنْطِقِهِمْ. لَا يُخَالِفُونَ الْحَقَّ وَلَا يَخْتَلِفُونَ فِيهِ. هُمْ دَعَائِمُ الْإِسْلَامِ وَوَلَائِجُ الِاعْتِصَامِ[١] بِهِمْ عَادَ الْحَقُّ فِي نِصَابِهِ[٢]، وَانْزَاحَ الْبَاطِلُ عَنْ مُقَامِهِ، وَانْقَطَعَ لِسَانُهُ عَنْ مَنْبِتِهِ. عَقَلُوا الدِّينَ عَقْلَ وِعَايَةٍ وَرِعَايَةٍ[٣]، لَا عَقْلَ سَمَاعٍ وَرِوَايَةٍ. فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتُهُ قَلِيلٌ

وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

قَالَهُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَقَدْ جَاءَهُ بِرِسَالَةٍ مِنْ عُثْمَانَ وَهُوَ مَحْصُورٌ

قواصي الاسلام أي احفظوها من غارة أهل الفتنة عليها، واجعلوا كل قاصية لكم لا عليكم. وقواصي الاسلام أطرافه . و رمي الصفاة ـ بفتح الصاد ـ كناية عن طمع العدو فيما باليد. وأصل الصفاة الحجر الصلد يراد منها القوة وما يحميه الانسان (١) ولائج : جمع وليجة، وهي مايدخل فيه السائر اعتصاما من مطر أو برد أو توقياً من مفترس (٢) نصاب الحق: أصله، والأصل في معنى النصاب مقبض السكين ، فكأن الحق نصل ينفصل عن مقبضه و يعود إليه . وانزاح زال. وانقطاع لسان الباطل عن منبته ـ بكسر الباء ـ أي عن أصله مجاز عن بطلان حجته وانخذاله عند هجوم جيش الحق عليه (٣) عقل الوعاية حفظ في فهم. والرعاية ملاحظة أحكام الدين وتطبيق الأعمال عليها وهذا هو العلم بالدين حقيقة. أما السماع

يَسْأَلُهُ فِيهَا الْخُرُوجَ إِلَى مَالِهِ بِيَنْبُعَ لِيَقِلَّ هَتْفُ النَّاسِ بِاسْمِهِ لِلْخِلَافَةِ (١) بَعْدَ أَنْ كَانَ سَأَلَهُ مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَبْلُ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ:

يَا ابْنَ عَبَّاسٍ مَا يُرِيدُ عُثْمَانُ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَنِي جَمَلًا نَاضِحًا بِالْغَرْبِ (٢) أَقْبِلْ وَأَدْبِرْ، بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ، ثُمَّ بَعَثَ إِلَيَّ أَنْ أَقْدَمَ، ثُمَّ هُوَ الْآنَ يَبْعَثُ إِلَيَّ أَنْ أَخْرُجَ. وَاللَّهِ لَقَدْ دَفَعْتُ عَنْهُ حَتَّى خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ آثِماً

وَمِنْ خُطْبَةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحُثُّ فِيهِ أَصْحَابَهُ عَلَى الْجِهَادِ)

وَاللَّهُ مُسْتَأْدِيكُمْ شُكْرَهُ (٣) وَمُوَرِّثُكُمْ أَمْرَهُ، وَمُمْهِلُكُمْ فِي مِضْمَارٍ مَحْدُودٍ (٤)

والرواية مجردين عن الفهم والرعاية فنزلتهما لاتخالف منزلة الجهل إلا فى الاسم (١) كان الناس يهتفون باسم أمير المؤمنين للخلافة أى ينادون به وعثمان رضى الله عنه محصور، فأرسل اليه عثمان يأمره أن يخرج إلى ينبع وكان فيها رزق لأمير المؤمنين فخرج ثم استدعاه لينصره فحضر، ثم عاود الأمر بالخروج مرة ثانية (٢) نضح الجمل الماء حمله من بئر أو نهر ليسقى به الزرع فهو ناضح. والغرب - بفتح فسكون: - الدلو العظيمة، والكلام تمثيل للتسخير (٣) مستأديكم: طالب منكم أداء شكره. وأمره: سلطانه فى الأرض يورثه الصالحين المحافظين على رعاية أوامره ونواهيه (٤) ممهلكم أى معطيكم مهلة فى مضمار الحياة المحدود بالأجل. وأصل المضمار المكان تضمر فيه الخيل أى تحضر للسباق لتتنازعوا أى تتنافسوا فى سبقه. والسبق - بالتحريك -: الخطر يوضع بين المتسابقين

لِتَتَنَازَعُوا سَبَقَهُ . فَشُدُّوا عُقَدَ ٱلْمَآزِرِ(١) ، وَٱطْوُوا فُضُولَ ٱلْخَوَاصِرِ ، وَلَا تَجْتَمِعُ عَزِيمَةٌ وَوَلِيمَةٌ(٢) . مَا أَنْقَضَ ٱلنَّوْمَ لِعَزَائِمِ ٱلْيَوْمِ(٣) ، وَأَمْحَى ٱلظُّلَمَ لِتَذَاكِيرِ ٱلْهِمَمِ

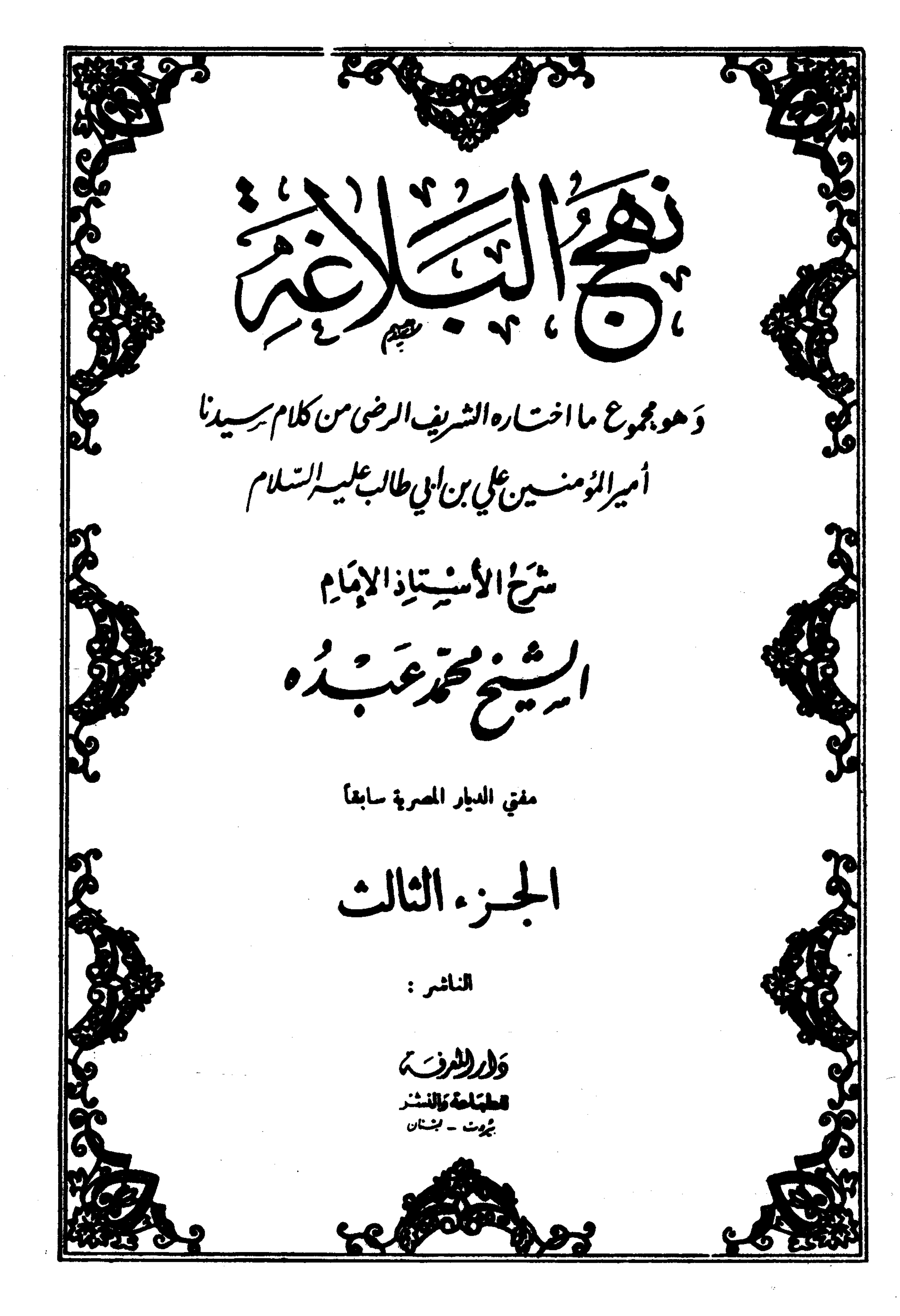
وَصَلَّى ٱللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ ٱلنَّبِيِّ ٱلْأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ مَصَابِيحِ ٱلدُّجَى وَٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَى وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيراً

يأخذه السابق منهم وهو هنا الجنة (١) العقد : جمع عقدة . والمآزر : جمع مئزر . وشد عقد المآزر كناية عن الجد والتشمير فان من شد العقدة أمن من انحلالها فيمضى فى عمله غير خائف . واطووا فضول الخواصر أى ما فضل من مآزركم يلتف على أقدامكم فاطووه حتى تخفوا فى العمل ولا يعوقكم شىء عن الاسراع فى عملكم (٢) أى لا يجتمع طلب المعالى مع الركون إلى اللذائذ (٣) ما تعجبية أى ما أشد النوم نقضاً لعزيمة النهار بعزم السائر على قطع جزء من الليل فى السير ، فاذا جاء الليل غلبه النوم فنقض عزيمته . والظلم : جمع ظلمة ، متى دخلت محت تذكار الهمة التى كانت فى النهار . والله أعلم .



فهرست الجزء الثانى من نهج البلاغة

تم الجزء الثاني من نهج البلاغة



نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية سابقاً

الجزء الثالث

الناشر :

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ

بَابُ الْمُخْتَارِ مِنْ كُتُبِ مَوْلَانَا أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَرَسَائِلِهِ إِلَى أَعْدَائِهِ وَأُمَرَاءِ بِلَادِهِ، وَيَدْخُلُ فِي ذٰلِكَ مَا اخْتِيرَ مِنْ عُهُودِهِ إِلَى عُمَّالِهِ وَوَصَايَاهُ لِأَهْلِهِ وَأَصْحَابِهِ وَإِنْ كَانَ كُلُّ كَلَامِهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ مُخْتَارًا

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنَ الْمَدِينَةِ إِلَى الْبَصْرَةِ)

مِنْ عَبْدِ اللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَهْلِ الْكُوفَةِ جَبْهَةِ الْأَنْصَارِ[1] . وَسَنَامِ الْعَرَبِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي أُخْبِرُكُمْ عَنْ أَمْرِ عُثْمَانَ حَتَّى يَكُونَ سَمْعُهُ كَعِيَانِهِ إِنَّ النَّاسَ طَعَنُوا عَلَيْهِ ، فَكُنْتُ رَجُلًا مِنَ الْمُهَاجِرِينَ أُكْثِرُ اسْتِعْتَابَهُ[2] وَأُقِلُّ عِتَابَهُ ، وَكَانَ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ أَهْوَنُ سَيْرِهِمَا فِيهِ

(١) شبههم بالجبهة من حيث الكرم ، وبالسنام من حيث الرفعة (٢) استعتابه: استرضاؤه. والوجيف: ضرب من سير الخيل والابل سريع. وجلة أهون سيرهما الوجيف خبر كان،

الْوَجِيفُ، وَأَرْفَقُ حِدَائِهِمَا الْعَنِيفُ، وَكَانَ مِنْ عَائِشَةَ فِيهِ فَلْتَةُ غَضَبٍ[١] فَأُتِيحَ لَهُ قَوْمٌ فَقَتَلُوهُ، وَبَايَعَنِي النَّاسُ غَيْرَ مُسْتَكْرَهِينَ وَلَا مُجْبَرِينَ بَلْ طَائِعِينَ مُخَيَّرِينَ

وَاعْلَمُوا أَنَّ دَارَ الْهِجْرَةِ قَدْ قَلَعَتْ بِأَهْلِهَا وَقَلَعُوا بِهَا[٢]، وَجَاشَتْ جَيْشَ الْمِرْجَلِ وَقَامَتِ الْفِتْنَةُ عَلَى الْقُطْبِ، فَأَسْرِعُوا إِلَى أَمِيرِكُمْ وَبَادِرُوا جِهَادَ عَدُوِّكُمْ إِنْ شَاءَ اللهُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِمْ بَعْدَ فَتْحِ الْبَصْرَةِ)

وَجَزَاكُمُ اللهُ مِنْ أَهْلِ مِصْرٍ عَنْ أَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّكُمْ أَحْسَنَ مَا يَجْزِي الْعَامِلِينَ بِطَاعَتِهِ وَالشَّاكِرِينَ لِنِعْمَتِهِ، فَقَدْ سَمِعْتُمْ وَأَطَعْتُمْ، وَدُعِيتُمْ فَأَجَبْتُمْ

أى انهما سارعا لاثارة الفتنة عليه. والحداء زجر الإبل وسوقها (١) قيل ان أم المؤمنين أخرجت نعلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وقميصه من تحت ستارها وعثمان رضى الله عنه على المنبر وقالت هذان نعلا رسول الله وقميصه لم تبل، وقد بدلت من دينه وغيرت من سنته، وجرى بينهما كلام المخاشنة، فقالت اقتلوا نعثلا، تشبهه برجل معروف. فأتيح أى قدر له قوم فقتلوه (٢) دار الهجرة المدينة. وقلع المكان بأهله نبذهم فلم يصلح لاستيطانهم. وجاشت غلت. والجيش الغليان. والمرجل — كمنبر —: القدر أى فعليكم أن تقتدوا بأهل دار الهجرة فقد خرجوا جميعاً لقتال أهل الفتنة. والقطب هو نفس الامام قامت

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَهُ لِشُرَيْحِ بْنِ الْحَارِثِ قَاضِيهِ)

رُوِيَ أَنَّ شُرَيْحَ بْنَ الْحَارِثِ قَاضِيَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ اشْتَرَى عَلَى عَهْدِهِ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا فَبَلَغَهُ ذٰلِكَ فَاسْتَدْعَاهُ وَقَالَ لَهُ: بَلَغَنِي أَنَّكَ ابْتَعْتَ دَارًا بِثَمَانِينَ دِينَارًا وَكَتَبْتَ كِتَابًا وَأَشْهَدْتَ فِيهِ شُهُودًا، فَقَالَ شُرَيْحٌ: قَدْ كَانَ ذٰلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ. قَالَ فَنَظَرَ إِلَيْهِ نَظَرَ مُغْضَبٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ: يَا شُرَيْحُ أَمَا إِنَّهُ سَيَأْتِيكَ مَنْ لَا يَنْظُرُ فِي كِتَابِكَ، وَلَا يَسْأَلُكَ عَنْ بَيِّنَتِكَ حَتَّى يُخْرِجَكَ مِنْهَا شَاخِصًا(١)، وَيُسْلِمَكَ إِلَى قَبْرِكَ خَالِصًا. فَانْظُرْ يَا شُرَيْحُ لَا تَكُونُ ابْتَعْتَ هٰذِهِ الدَّارَ مِنْ غَيْرِ مَالِكَ، أَوْ نَقَدْتَ الثَّمَنَ مِنْ غَيْرِ حَلَالِكَ فَإِذًا أَنْتَ قَدْ خَسِرْتَ دَارَ الدُّنْيَا وَدَارَ الْآخِرَةِ. أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَتَيْتَنِي عِنْدَ شِرَائِكَ مَا اشْتَرَيْتَ لَكَتَبْتُ لَكَ كِتَابًا عَلَى هٰذِهِ النُّسْخَةِ فَلَمْ تَرْغَبْ فِي شِرَاءِ هٰذِهِ الدَّارِ بِدِرْهَمٍ فَمَا فَوْقُ. وَالنُّسْخَةُ: «هٰذَا مَا اشْتَرَى عَبْدٌ ذَلِيلٌ مِنْ عَبْدٍ قَدْ أُزْعِجَ لِلرَّحِيلِ، اشْتَرَى مِنْهُ دَارًا مِنْ دَارِ الْغُرُورِ مِنْ جَانِبِ الْفَانِينَ، وَخِطَّةِ الْهَالِكِينَ، وَيَجْمَعُ هٰذِهِ الدَّارَ حُدُودٌ أَرْبَعَةٌ: الْحَدُّ الْأَوَّلُ

عليه فتنة أصحاب الجمل (١) ذاهبا مبعدا

يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْآفَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّانِي يَنْتَهِي إِلَى دَوَاعِي الْمُصِيبَاتِ، وَالْحَدُّ الثَّالِثُ يَنْتَهِي إِلَى الْهَوَى الْمُرْدِي، وَالْحَدُّ الرَّابِعُ يَنْتَهِي إِلَى الشَّيْطَانِ الْمُغْوِي، وَفِيهِ يُشْرَعُ بَابُ هٰذِهِ الدَّارِ[1]. اشْتَرَى هٰذَا الْمُغْتَرُّ بِالْأَمَلِ مِنْ هٰذَا الْمُزْعَجِ بِالْأَجَلِ هٰذِهِ الدَّارَ بِالْخُرُوجِ مِنْ عِزِّ الْقَنَاعَةِ وَالدُّخُولِ فِي ذُلِّ الطَّلَبِ وَالضَّرَاعَةِ[2]؛ فَمَا أَدْرَكَ هٰذَا الْمُشْتَرِي فِيمَا اشْتَرَى مِنْ دَرَكٍ فَعَلَى مُبَلْبِلِ أَجْسَامِ الْمُلُوكِ، وَسَالِبِ نُفُوسِ الْجَبَابِرَةِ، وَمُزِيلِ مُلْكِ الْفَرَاعِنَةِ، مِثْلِ كِسْرَى وَقَيْصَرَ، وَتُبَّعٍ وَحِمْيَرَ، وَمَنْ جَمَعَ الْمَالَ عَلَى الْمَالِ فَأَكْثَرَ، وَبَنَى وَشَيَّدَ وَزَخْرَفَ، وَنَجَّدَ وَادَّخَرَ، وَاعْتَقَدَ وَنَظَرَ بِزَعْمِهِ لِلْوَلَدِ - إِشْخَاصُهُمْ جَمِيعاً[3] إِلَى مَوْقِفِ الْعَرْضِ وَالْحِسَابِ، وَمَوْضِعِ الثَّوَابِ وَالْعِقَابِ. إِذَا وَقَعَ الْأَمْرُ بِفَصْلِ الْقَضَاءِ «وَخَسِرَ هُنَالِكَ الْمُبْطِلُونَ» شَهِدَ عَلَى ذٰلِكَ الْعَقْلُ إِذَا خَرَجَ مِنْ أَسْرِ الْهَوَى وَسَلِمَ مِنْ عَلَائِقِ الدُّنْيَا »

---

(١) يشرع أي يفتح في الحد الرابع (٢) الضراعة الذلة. والدرك - بالتحريك -: التبعة، والمراد منه ما يضر بملكية المشتري أو منفعته بما اشترى ويكون الضمان فيه على البائع. ومبلبل الأجسام مهيج دا آتها المهلكة لها. ونجد بتشديد الجيم أي زين. واعتقد المال اقتناه (٣) أشخاصهم مبتدأ مؤخر خبره على مبلبل الأجسام الخ أي إذا لحق المشتري ما يوجب الضمان فعلى مبلبل الأجسام إرساله هو والبائع إلى موقف الحساب الخ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَعْضِ أُمَرَاءِ جَيْشِهِ)

فَإِنْ عَادُوا إِلَى ظِلِّ الطَّاعَةِ فَذَاكَ الَّذِي نُحِبُّ، وَإِنْ تَوَافَتِ الْأُمُورُ بِالْقَوْمِ إِلَى الشِّقَاقِ وَالْعِصْيَانِ[1] فَانْهَدْ بِمَنْ أَطَاعَكَ إِلَى مَنْ عَصَاكَ، وَاسْتَغْنِ بِمَنِ انْقَادَ مَعَكَ عَمَّنْ تَقَاعَسَ عَنْكَ فَإِنَّ الْمُتَكَارِهَ[2] مَغِيبُهُ خَيْرٌ مِنْ شُهُودِهِ، وَقُعُودُهُ أَغْنَى مِنْ نُهُوضِهِ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ)
(عَامِلِ أَذْرَبِيجَانَ)

وَإِنَّ عَمَلَكَ لَيْسَ لَكَ بِطُعْمَةٍ[3] وَلَكِنَّهُ فِي عُنُقِكَ أَمَانَةٌ، وَأَنْتَ مُسْتَرْعًى لِمَنْ فَوْقَكَ. لَيْسَ لَكَ أَنْ تَفْتَاتَ فِي رَعِيَّةٍ[4] وَلَا تُخَاطِرَ إِلَّا بِوَثِيقَةٍ، وَفِي يَدَيْكَ مَالٌ مِنْ مَالِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ وَأَنْتَ مِنْ خُزَّانِهِ حَتَّى تُسَلِّمَهُ إِلَيَّ، وَلَعَلِّي أَنْ لَا أَكُونَ شَرَّ وُلَاتِكَ لَكَ وَالسَّلَامُ[5]

---

(١) توافى القوم وافى بعضهم بعضاً حتى تم اجتماعهم، أى وان اجتمعت أهواؤهم إلى الشقاق فانهد أى انهض (٢) المتكاره المتثاقل بكراهة الحرب وجوده فى الجيش يضر أكثر مما ينفع (٣) عملك أى ماوليت لتعمله فى شؤون الأمة. ومسترعى يرعاك من فوقك وهو الخليفة (٤) تفتات أى تستبد، وهو افتعال من الفوت كأنه يفوت آمره فيسبقه إلى الفعل قبل أن يأمره. والخزان ـ بضم فتشديد ـ: جمع خازن (٥) الولاة: جمع وال من ولى عليه إذا تسلط، يرجو أن لا يكون شر المتسلطين عليه ولا يحق الرجاء

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

إِنَّهُ بَايَعَنِي الْقَوْمُ الَّذِينَ بَايَعُوا أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ عَلَى مَا بَايَعُوهُمْ عَلَيْهِ، فَلَمْ يَكُنْ لِلشَّاهِدِ أَنْ يَخْتَارَ وَلَا لِلْغَائِبِ أَنْ يَرُدَّ، وَإِنَّمَا الشُّورَى لِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ، فَإِنِ اجْتَمَعُوا عَلَى رَجُلٍ وَسَمَّوْهُ إِمَامًا كَانَ ذَلِكَ لِلَّهِ رِضًى، فَإِنْ خَرَجَ مِنْ أَمْرِهِمْ خَارِجٌ بِطَعْنٍ أَوْ بِدْعَةٍ رَدُّوهُ إِلَى مَا خَرَجَ مِنْهُ، فَإِنْ أَبَى قَاتَلُوهُ عَلَى اتِّبَاعِهِ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ وَوَلَّاهُ اللَّهُ مَا تَوَلَّى

وَلَعَمْرِي يَا مُعَاوِيَةُ لَئِنْ نَظَرْتَ بِعَقْلِكَ دُونَ هَوَاكَ لَتَجِدَنِّي أَبْرَأَ النَّاسِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ، وَلَتَعْلَمَنَّ أَنِّي كُنْتُ فِي عُزْلَةٍ عَنْهُ إِلَّا أَنْ تَتَجَنَّى[1] فَتَجَنَّ مَا بَدَا لَكَ وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ أَيْضًا)

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَتْنِي مِنْكَ مَوْعِظَةٌ مُوَصَّلَةٌ[2]، وَرِسَالَةٌ مُحَبَّرَةٌ نَمَّقْتَهَا بِضَلَالِكَ، وَأَمْضَيْتَهَا بِسُوءِ رَأْيِكَ، وَكِتَابُ امْرِئٍ لَيْسَ لَهُ بَصَرٌ

---

(١) تجنى - كتولى - ادعى الجناية على من لم يفعلها. وتجن ما بدا لك أى تستره إلا إذا استقام وتخفيه (٢) موصلة بصيغة المفعول ملفقة من كلام مختلف وصل بعضه ببعض على التباين، كالثوب المرقع، ومحبرة أى مزينة. ونمقتها حسنت كتابتها. وأمضيتها أنفذتها وبعثتها. وكتاب

يَهْدِيهِ وَلاَ قَائِدٌ يُرْشِدُهُ ، قَدْ دَعَاهُ الْهَوَى فَأَجَابَهُ ، وَقَادَهُ الضَّلاَلُ فَاتَّبَعَهُ فَهَجَرَ لاَغِطاً[1] وَضَلَّ خَابِطاً

(مِنْهُ) لِأَنَّهَا بَيْعَةٌ وَاحِدَةٌ لاَ يُثَنَّى فِيهَا النَّظَرُ[2] وَلاَ يُسْتَأْنَفُ فِيهَا الْخِيَارُ . الْخَارِجُ مِنْهَا طَاعِنٌ ، وَالْمُرَوِّي فِيهَا مُدَاهِنٌ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَى جَرِيرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْبَجَلِيِّ لَمَّا أَرْسَلَهُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِذَا أَتَاكَ كِتَابِي فَاحْمِلْ مُعَاوِيَةَ عَلَى الْفَصْلِ[3] ، وَخُذْهُ بِالْأَمْرِ الْجَزْمِ ، ثُمَّ خَيِّرْهُ بَيْنَ حَرْبٍ مُجْلِيَةٍ أَوْ سِلْمٍ مُخْزِيَةٍ ، فَإِنِ اخْتَارَ الْحَرْبَ فَانْبِذْ إِلَيْهِ ، وَإِنِ اخْتَارَ السِّلْمَ فَخُذْ بَيْعَتَهُ وَالسَّلاَمُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلاَمُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

فَأَرَادَ قَوْمُنَا قَتْلَ نَبِيِّنَا وَاجْتِيَاحَ أَصْلِنَا[4] ، وَهَمُّوا بِنَا الْهُمُومَ وَفَعَلُوا

عطف على موعظة (١) هجر : هذى فى كلامه ولغا. واللغط الجلبة بلا معنى (٢) لاينظر فيها ثانياً بعد النظر الأول، ولاخيار لأحد فيها يستأنفه بعد عقدها. والمروى هو المتفكر هل يقبلها أو ينبذها. والمداهن المنافق (٣) الفصل الحكم القطعى . وحرب مجلية أى مخرجة له من وطنه. والسلم المخزية الصلح الدال على العجز . والخطل فى الرأى الموجب للخزى. فانبذ اليه أى اطرح اليه عهد الأمان وأعلنه بالحرب .والفعل من باب ضرب (٤) يحكى معاملة قريش للنبي صلى الله عليه وسلم فى أول البعثة. والاجتياح الاستئصال والاهلاك. وهموا الهموم : قصدوا نزولها. والأفاعيل: جمع أفعولة: الفعلة الرديئة والعذب هنيء

بِنَا الْأَفَاعِيلَ، وَمَنَعُونَا الْعَذْبَ، وَأَحْلَسُونَا الْخَوْفَ، وَاضْطَرُّونَا إِلَى جَبَلٍ وَعْرٍ، وَأَوْقَدُوا لَنَا نَارَ الْحَرْبِ، فَعَزَمَ اللَّهُ لَنَا عَلَى الذَّبِّ عَنْ حَوْزَتِهِ (١)، وَالرَّمْيِ مِنْ وَرَاءِ حُرْمَتِهِ. مُؤْمِنُنَا يَبْغِي بِذَلِكَ الْأَجْرَ، وَكَافِرُنَا يُحَامِي عَنِ الْأَصْلِ. وَمَنْ أَسْلَمَ مِنْ قُرَيْشٍ خِلْوٌ مِمَّا نَحْنُ فِيهِ بِحِلْفٍ يَمْنَعُهُ أَوْ عَشِيرَةٍ تَقُومُ دُونَهُ، فَهُوَ مِنَ الْقَتْلِ بِمَكَانِ أَمْنٍ (٢)

وَكَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ (٣) وَأَحْجَمَ النَّاسُ قَدَّمَ أَهْلَ بَيْتِهِ فَوَقَى بِهِمْ أَصْحَابَهُ حَرَّ السُّيُوفِ وَالْأَسِنَّةِ. فَقُتِلَ عُبَيْدَةُ بْنُ الْحَارِثِ يَوْمَ بَدْرٍ (٤)، وَقُتِلَ حَمْزَةُ يَوْمَ أُحُدٍ، وَقُتِلَ جَعْفَرٌ يَوْمَ مُؤْتَةَ. وَأَرَادَ مَنْ لَوْ شِئْتُ ذَكَرْتُ اسْمَهُ مِثْلَ الَّذِي أَرَادُوا مِنَ الشَّهَادَةِ (٥)، وَلَكِنْ آجَالُهُمْ عُجِّلَتْ وَمَنِيَّتُهُ أُجِّلَتْ. فَيَا عَجَباً لِلدَّهْرِ إِذْ

العيش. وأحلسونا: ألزمونا. واضطرونا: ألجأونا. والجبل الوعر الصعب الذى لا يرقى اليه كناية عن مضايقة قريش لشعب أبى طالب حيث جاهروهم بالعداوة وحلفوا لا يزوجونهم ولا يكلمونهم ولا يبايعونهم، وكتبوا على ذلك عهدهم عداوة للنبى صلى الله عليه وسلم

(١) عزم الله: أراد لنا أن نذب عن حوزته، والمراد من الحوزة هنا الشريعة الحقة. ورمى من وراء الحرمة: جعل نفسه وقاية لها يدافع السوء عنها فهو من ورائها أوهى من ورائه

(٢) كان المسلمون من غير آل البيت آمنين على أنفسهم اما بتحالفهم مع بعض القبائل أو بالاستناد إلى عشائرهم (٣) احمرار البأس اشتداد القتال، والوصف لما يسيل فيه من الدماء. وحر الأسنة ـ بفتح الحاء ـ: شدة وقعها (٤) عبيدة ابن عمه وحمزة عمه وجعفر أخو الامام. ومؤتة بضم الميم بلد فى حدود الشام (٥) من لو شئت يريد نفسه

صِرْتُ يُقْرَنُ بِي مَنْ لَمْ يَسْعَ بِقَدَمِي(١)، وَلَمْ تَكُنْ لَهُ كَسَابِقَتِي الَّتِي لَا يُدْلِي أَحَدٌ بِمِثْلِهَا إِلَّا أَنْ يَدَّعِيَ مُدَّعٍ مَا لَا أَعْرِفُهُ، وَلَا أَظُنُّ اللهَ يَعْرِفُهُ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ عَلَى كُلِّ حَالٍ

وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ مِنْ دَفْعِ قَتَلَةِ عُثْمَانَ إِلَيْكَ فَإِنِّي نَظَرْتُ فِي هٰذَا الْأَمْرِ فَلَمْ أَرَهُ يَسَعُنِي دَفْعُهُمْ إِلَيْكَ وَلَا إِلَى غَيْرِكَ، وَلَعَمْرِي لَئِنْ لَمْ تَنْزِعْ عَنْ غَيِّكَ وَشِقَاقِكَ(٢) لَتَعْرِفَنَّهُمْ عَنْ قَلِيلٍ يَطْلُبُونَكَ، لَا يُكَلِّفُونَكَ طَلَبَهُمْ فِي بَرٍّ وَلَا بَحْرٍ وَلَا جَبَلٍ وَلَا سَهْلٍ، إِلَّا أَنَّهُ طَلَبٌ يَسُوءُكَ وِجْدَانُهُ، وَزَوْرٌ لَا يَسُرُّكَ لُقْيَانُهُ(٣) وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ أَيْضًا)

وَكَيْفَ أَنْتَ صَانِعٌ إِذَا تَكَشَّفَتْ عَنْكَ جَلَابِيبُ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ دُنْيَا قَدْ تَبَهَّجَتْ بِزِينَتِهَا(٤) وَخَدَعَتْ بِلَذَّتِهَا. دَعَتْكَ فَأَجَبْتَهَا، وَقَادَتْكَ فَاتَّبَعْتَهَا، وَأَمَرَتْكَ فَأَطَعْتَهَا. وَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَقِفَكَ وَاقِفٌ عَلَى مَا لَا يُنْجِيكَ مِنْهُ مِجَنٌّ(٥). فَاقْعَسْ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ، وَخُذْ أُهْبَةَ الْحِسَابِ، وَشَمِّرْ

---

(١) بقدم مثل قدمى جرت وثبتت فى الدفاع عن الدين. والسابقة: فضله السابق فى الجهاد. وأدلى إليه برحمه: توسل، وبمال دفعه إليه وكلا المعنيين صحيح (٢) تنزع – كتضرب – أى تنته (٣) الزور – بفتح فسكون –: الزائرون. وافراد الضمير فى لقيانه باعتبار اللفظ (٤) الجلابيب جمع جلباب وهو الثوب فوق جميع الثياب كالملحفة. وتبهجت: تحسنت. والضمير فيه وفيما بعده للدنيا (٥) المجن: الترس، أى يوشك أن يطلعك الله على مهلكة لك لا تتقى منها بترس. واقعس

لِمَا قَدْ نَزَلَ بِكَ ، وَلَا تُمَكِّنِ ٱلْغُوَاةَ مِنْ سَمْعِكَ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ أُعْلِمْكَ ما أَغْفَلْتَ مِنْ نَفْسِكَ[1] ، فَإِنَّكَ مُتْرَفٌ قَدْ أَخَذَ ٱلشَّيْطَانُ مِنْكَ مَأْخَذَهُ وَبَلَغَ فِيكَ أَمَلَهُ ، وَجَرَى مِنْكَ مَجْرَى ٱلرُّوحِ وَٱلدَّمِ

وَمَتَى كُنْتُمْ يَامُعَاوِيَةُ سَاسَةَ ٱلرَّعِيَّةِ[2] وَوُلَاةَ أَمْرِ ٱلْأُمَّةِ ؟ بِغَيْرِ قَدَمٍ سَابِقٍ وَلَا شَرَفٍ بَاسِقٍ ، وَنَعُوذُ بِاللهِ مِنْ لُزُومِ سَوَابِقِ ٱلشَّقَاءِ وَأُحَذِّرُكَ أَنْ تَكُونَ مُتَمَادِيًا فِي غِرَّةِ ٱلْأُمْنِيَّةِ[3] مُخْتَلِفَ ٱلْعَلَانِيَةِ وَٱلسَّرِيرَةِ

وَقَدْ دَعَوْتَ إِلَى ٱلْحَرْبِ فَدَعِ ٱلنَّاسَ جَانِبًا وَٱخْرُجْ إِلَيَّ وَأَعْفِ ٱلْفَرِيقَيْنِ مِنَ ٱلْقِتَالِ لِيُعْلَمَ أَيُّنَا ٱلْمَرِينُ عَلَى قَلْبِهِ[4] وَٱلْمُغَطَّى عَلَى بَصَرِهِ. فَأَنَا أَبُو حَسَنٍ قَاتِلُ جَدِّكَ[5] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ شَدْخًا يَوْمَ بَدْرٍ ، وَذَلِكَ ٱلسَّيْفُ مَعِي، وَبِذَلِكَ ٱلْقَلْبِ أَلْقَى عَدُوِّي ، مَا ٱسْتَبْدَلْتُ دِينًا ، وَلَا

تأخر . والأهبة كالعدة وزنا ومعنى . والغواة: قرناء السوء يزينون الباطل ويحملون على الفساد (١) أى أنبهك بصدمة القوة إلى مالم تنتبه اليه من نفسك فتعرف الحق وتقلع عن الباطل. والمترف من أطغته النعمة (٢) ساسة: جمع سائس. والباسق العالى الرفيع (٣) الغرة ـ بالكسر ـ: الغرور. والأمنية ـ بضم الهمزة ـ: مايتمناه الانسان ويؤمل ادراكه (٤) المرين ـ بفتح فكسر ـ: اسم مفعول من ران ذنبه على قلبه غاب عليه فغطى بصيرته (٥) جد معاوية لأمه عتبة بن أبى ربيعة ، وخاله الوليد بن عتبة ، وأخوه حنظلة بن أبى سفيان . وشدخا أى كسرا . قالوا هو الكسر فى الرطب ، وقيل فى اليابس

اُسْتَحْدَثْتُ نَبِيًّا . وَإِنِّي لَعَلَى الْمِنْهَاجِ الَّذِي تَرَكْتُمُوهُ طَائِعِينَ[١] وَدَخَلْتُمْ فِيهِ مُكْرَهِينَ

وَزَعَمْتَ أَنَّكَ جِئْتَ ثَائِرًا بِعُثْمَانَ[٢] . وَلَقَدْ عَلِمْتَ حَيْثُ وَقَعَ دَمُ عُثْمَانَ فَاطْلُبْهُ مِنْ هُنَاكَ إِنْ كُنْتَ طَالِبًا ، فَكَأَنِّي قَدْ رَأَيْتُكَ تَضِجُّ مِنَ الْحَرْبِ إِذَا عَضَّتْكَ ضَجِيجَ الْجِمَالِ بِالْأَثْقَالِ[٣] وَكَأَنِّي بِجَمَاعَتِكَ تَدْعُونِي ـ جَزَعًا مِنَ الضَّرْبِ الْمُتَتَابِعِ وَالْقَضَاءِ الْوَاقِعِ وَمَصَارِعَ بَعْدَ مَصَارِعَ ـ إِلَى كِتَابِ اللهِ ، وَهِيَ كَافِرَةٌ جَاحِدَةٌ ، أَوْ مُبَايِعَةٌ حَائِدَةٌ

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَصَّى بِهَا جَيْشًا بَعَثَهُ إِلَى الْعَدُوِّ)

فَإِذَا نَزَلْتُمْ بِعَدُوٍّ أَوْ نَزَلَ بِكُمْ فَلْيَكُنْ مُعَسْكَرُكُمْ فِي قُبُلِ الْأَشْرَافِ[٤] أَوْ سِفَاحِ الْجِبَالِ ، أَوْ أَثْنَاءِ الْأَنْهَارِ كَيْمَا يَكُونَ لَكُمْ رِدْءًا وَدُونَكُمْ مَرَدًّا . وَلْتَكُنْ مُقَاتَلَتُكُمْ مِنْ وَجْهٍ وَاحِدٍ أَوِ اثْنَيْنِ .

---

(١) المنهاج هو طريق الدين الحق لم يدخل فيه أبو سفيان ومعاوية رضى الله عنهما إلا بعد الفتح كرها (٢) ثائر به طلب بدمه، ويشير بحيث وقع دم عثمان الى طلحة والزبير (٣) تفرس فيما سيكون من معاوية وجنده وكان الأمر كما تفرس الامام . والحائدة: العادلة عن البيعة بعد الدخول فيها (٤) قدام الجبال. والأشراف جمع شرف ـ محركة ـ العلو والعالى وسفاح الجبال أسافلها. والأثناء: منعطفات الأنهار. والردء ـ بكسر فسكون ـ: العون. والمرد ـ بتشديد

وَاجْعَلُوا لَكُمْ رُقَبَاءَ فِي صَيَاصِي الْجِبَالِ (١) وَمَنَاكِبِ الْهِضَابِ لِئَلا يَأْتِيَكُمُ الْعَدُوُّ مِنْ مَكَانِ مَخَافَةٍ أَوْ أَمْنٍ . وَاعْلَمُوا أَنَّ مُقَدِّمَةَ الْقَوْمِ عُيُونُهُمْ ، وَعُيُونُ الْمُقَدِّمَةِ طَلائِعُهُمْ . وَإِيَّاكُمْ وَالتَّفَرُّقَ ، فَإِذَا نَزَلْتُمْ فَانْزِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا ارْتَحَلْتُمْ فَارْتَحِلُوا جَمِيعاً ، وَإِذَا غَشِيَكُمُ اللَّيْلُ فَاجْعَلُوا الرِّمَاحَ كِفَّةً (٢) ، وَلَا تَذُوقُوا النَّوْمَ إِلَّا غِرَارًا أَوْ مَضْمَضَةً

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِمَعْقِلِ بْنِ قَيْسٍ الرِّيَاحِيِّ
حِينَ أَنْفَذَهُ إِلَى الشَّامِ فِي ثَلاثَةِ آلافٍ مُقَدِّمَةً لَهُ)

اتَّقِ اللهَ الَّذِي لا بُدَّ لَكَ مِنْ لِقَائِهِ وَلَا مُنْتَهَى لَكَ دُونَهُ . وَلَا تُقَاتِلَنَّ إِلَّا مَنْ قَاتَلَكَ . وَسِرِ الْبَرْدَيْنِ (٣) . وَغَوِّرْ بِالنَّاسِ . وَرَفِّهْ بِالسَّيْرِ . وَلَا تَسِرْ أَوَّلَ اللَّيْلِ (٤) فَإِنَّ اللهَ جَعَلَهُ سَكَناً وَقَدَّرَهُ مُقَامًا لَا ظَعْنًا . فَأَرِحْ فِيهِ بَدَنَكَ وَرَوِّحْ ظَهْرَكَ . فَإِذَا وَقَفْتَ حِينَ يَنْبَطِحُ السَّحَرُ (٥) أَوْ حِينَ

الدال — : مكان الرد والدفع (١) صياصي : أعالي . والمناكب : المرتفعات . والهضاب : جمع هضبة — بفتح فسكون — : الجبل لا يرتفع عن الأرض كثيراً مع انبساط في أعلاه (٢) مثل كفة الميزان فانصبوها مستديرة حولكم محيطة بكم كأنها كفة الميزان . والغرار — بكسر العين — : النوم الخفيف . والمضمضة أن ينام ثم يستيقظ ثم ينام تشبيها بمضمضة الماء في الفم يأخذه ثم يمجه (٣) الغداة والعشي (٤) وغور أي انزل بهم في الغائرة وهي القائلة . ونصف النهار أي وقت شدة الحر . ورفه أي هون ولا تتعب نفسك ولا دابتك . والظعن السفر (٥) ينبطح ينبسط

انْفَجِرُ الْفَجْرُ فَسِرْ عَلَى بَرَكَةِ اللهِ. فَإِذَا لَقِيتَ الْعَدُوَّ فَقِفْ مِنْ أَصْحَابِكَ وَسَطًا، وَلَا تَدْنُ مِنَ الْقَوْمِ دُنُوَّ مَنْ يُرِيدُ أَنْ يُنْشِبَ الْحَرْبَ، وَلَا تَبَاعَدْ عَنْهُمْ تَبَاعُدَ مَنْ يَهَابُ الْبَأْسَ حَتَّى يَأْتِيَكَ أَمْرِى، وَلَا يَحْمِلَنَّكُمْ شَنَآنُهُمْ[1] عَلَى قِتَالِهِمْ قَبْلَ دُعَائِهِمْ وَالْإِعْذَارِ إِلَيْهِمْ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَمِيرَيْنِ مِنْ أُمَرَاءِ جَيْشِهِ)

وَقَدْ أَمَّرْتُ عَلَيْكُمَا وَعَلَى مَنْ فِى حَيِّزِكُمَا[2] مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ فَاسْمَعَا لَهُ وَأَطِيعَا، وَاجْعَلَاهُ دِرْعًا وَمِجَنًّا[3]، فَإِنَّهُ مِمَّنْ لَا يُخَافُ وَهْنُهُ وَلَا سَقْطَتُهُ وَلَا بُطْؤُهُ عَمَّا الْإِسْرَاعُ إِلَيْهِ أَحْزَمُ، وَلَا إِسْرَاعُهُ إِلَى مَا الْبُطْءُ عَنْهُ أَمْثَلُ

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَسْكَرِهِ قَبْلَ لِقَاءِ الْعَدُوِّ بِصِفِّينَ)

لَا تُقَاتِلُوهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ فَإِنَّكُمْ بِحَمْدِ اللهِ عَلَى حُجَّةٍ، وَتَرْكُكُمْ إِيَّاهُمْ حَتَّى يَبْدَأُوكُمْ حُجَّةٌ أُخْرَى لَكُمْ عَلَيْهِمْ. فَإِذَا

مجاز عن استحكام الوقت بعد مضى مدة منه وبقاء مدة (١) الشنآن: البغضاء. والاعذار اليهم: تقديم مايعذرون به فى قتالهم (٢) الحيز مايتحيز فيه الجسم أى يتمكن، والمراد منه مقر سلطتهما (٣) الدرع مايلبس من مصنوع الحديد للوقاية من الضرب والطعن. والمجن الترس أى اجعلاه حاميا لكما. والوهن: الضعف. والسقطة: الغلطة وأحزم

كَانَتِ ٱلْهَزِيمَةُ بِإِذْنِ ٱللهِ فَلَا تَقْتُلُوا مُدْبِرًا، وَلَا تُصِيبُوا مُعْوِرًا[١]، وَلَا تُجْهِزُوا عَلَى جَرِيحٍ. وَلَا تَهِيجُوا ٱلنِّسَاءَ بِأَذًى وَإِنْ شَتَمْنَ أَعْرَاضَكُمْ وَسَبَبْنَ أُمَرَاءَكُمْ، فَإِنَّهُنَّ ضَعِيفَاتُ ٱلْقُوَى وَٱلْأَنْفُسِ وَٱلْعُقُولِ. إِنْ كُنَّا لَنُؤْمَرُ بِالْكَفِّ عَنْهُنَّ وَإِنَّهُنَّ لَمُشْرِكَاتٌ[٢]. وَإِنْ كَانَ ٱلرَّجُلُ لَيَتَنَاوَلُ ٱلْمَرْأَةَ فِي ٱلْجَاهِلِيَّةِ بِالْفِهْرِ أَوِ ٱلْهِرَاوَةِ[٣] فَيُعَيَّرُ بِهَا وَعَقِبُهُ مِنْ بَعْدِهِ

(وَكَانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يَقُولُ إِذَا لَقِيَ ٱلْعَدُوَّ مُحَارِبًا)

ٱللَّهُمَّ إِلَيْكَ أَفْضَتِ ٱلْقُلُوبُ[٤]. وَمُدَّتِ ٱلْأَعْنَاقُ. وَشَخَصَتِ ٱلْأَبْصَارُ، وَنُقِلَتِ ٱلْأَقْدَامُ، وَأُنْضِيَتِ ٱلْأَبْدَانُ. ٱللَّهُمَّ قَدْ صَرَّحَ مَكْتُومُ ٱلشَّنَآنِ[٥]. وَجَاشَتْ مَرَاجِلُ ٱلْأَضْغَانِ. ٱللَّهُمَّ إِنَّا نَشْكُو إِلَيْكَ غَيْبَةَ نَبِيِّنَا. وَكَثْرَةَ عَدُوِّنَا، وَتَشَتُّتَ أَهْوَائِنَا. «رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنْتَ خَيْرُ ٱلْفَاتِحِينَ»

أقرب للحرم. وأمثل أولى وأحسن (١) المعور – كمجرم – الذى أمكن من نفسه وعجز عن حمايتها. وأصله أعور أبدى عورته. وأجهز على الجريح: تمم أسباب موته (٢) هذا حكم الشريعة الاسلامية لا ما يتوهمه جاهلوها من اباحتها التعرض لأعراض الأعداء نعوذ بالله (٣) الفهر بالكسر الحجر على مقدار ما يدق به الجوز أو يملأ الكف. والهراوة – بالكسر –: العصا أو شبه الدبوس من الخشب وعقبه عطف على ضمير يعير (٤) أفضت انتهت ووصلت. وأنضيت: أبليت بالهزال والضعف فى طاعتك (٥) صرح القوم بما كانوا يكتمون من البغضاء. وجاشت: غلت. والمراجل: القدور. والأضغان: جمع ضغن، هو الحقد

(وَكَانَ يَقُولُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِأَصْحَابِهِ عِنْدَ الْحَرْبِ)

لَا تَشْتَدَّنَّ عَلَيْكُمْ فَرَّةٌ بَعْدَهَا كَرَّةٌ[١]، وَلَا جَوْلَةٌ بَعْدَهَا حَمْلَةٌ وَأَعْطُوا السُّيُوفَ حُقُوقَهَا. وَوَطِّئُوا لِلْجُنُوبِ مَصَارِعَهَا[٢] وَاذْمُرُوا أَنْفُسَكُمْ عَلَى الطَّعْنِ الدَّعْسِيِّ[٣] وَالضَّرْبِ الطِّلَحْفِيِّ. وَأَمِيتُوا الْأَصْوَاتَ فَإِنَّهُ أَطْرَدُ لِلْفَشَلِ. فَوَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ وَبَرَأَ النَّسَمَةَ مَا أَسْلَمُوا وَلَكِنِ اسْتَسْلَمُوا وَأَسَرُّوا الْكُفْرَ، فَلَمَّا وَجَدُوا أَعْوَانًا عَلَيْهِ أَظْهَرُوهُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

جَوَابًا عَنْ كِتَابٍ مِنْهُ إِلَيْهِ

فَأَمَّا طَلَبُكَ إِلَيَّ الشَّامَ[٤] فَإِنِّي لَمْ أَكُنْ لِأُعْطِيَكَ الْيَوْمَ مَا مَنَعْتُكَ أَمْسِ. وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّ الْحَرْبَ قَدْ أَكَلَتِ الْعَرَبَ إِلَّا حُشَاشَاتِ أَنْفُسٍ

---

(١) لا يشق عليكم الأمر إذا انهزمتم متى عدتم للكرة، ولا تثقل عليكم الدورة من وجه العدو إذا كانت بعدها حملة وهجوم عليه (٢) وطئوا مهدوا والجنوب: جمع جنب، مصارعها أماكن سقوطها، أي إذا صرعتم فأحكموا الضرب ليصيب فكأنكم مهدتم للمضروب مصرعه. وادمروا على وزن اكتبوا أي حرضوا (٣) الدعسي اسم من الدعس أي الطعن الشديد. والطلحفي ـ بفتحتين فسكون ففتح ـ: أشد الضرب. وإماتة الأصوات: انقطاعها بالسكوت (٤) كتب معاوية إلى علي يطلب منه أن يترك له الشام ويدعوه للشفقة على العرب الذين أكلتهم الحرب ولم يبق منهم إلا حشاشات أنفس: جمع حشاشة بالضم، بقية الروح ويخوفه باستواء العدد في رجال الفريقين ويفتخر بأنه من أمية

بَقِيَتْ أَلا وَمَنْ أَكَلَهُ الْحَقُّ فَإِلَى الْجَنَّةِ وَمَنْ أَكَلَهُ الْبَاطِلُ فَإِلَى النَّارِ. وَأَمَّا اسْتِوَاؤُنَا فِي الْحَرْبِ وَالرِّجَالِ فَلَسْتَ بِأَمْضَى عَلَى الشَّكِّ مِنِّي عَلَى الْيَقِينِ . وَلَيْسَ أَهْلُ الشَّامِ بِأَحْرَصَ عَلَى الدُّنْيَا مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ عَلَى الآخِرَةِ . وَأَمَّا قَوْلُكَ إِنَّا بَنُو عَبْدِ مَنَافٍ فَكَذَلِكَ نَحْنُ . وَلَكِنْ لَيْسَ أُمَيَّةُ كَهَاشِمٍ . وَلَا حَرْبٌ كَعَبْدِ الْمُطَّلِبِ. وَلَا أَبُو سُفْيَانَ كَأَبِي طَالِبٍ. وَلَا الْمُهَاجِرُ كَالطَّلِيقِ(١) ، وَلَا الصَّرِيحُ كَاللَّصِيقِ . وَلَا الْمُحِقُّ كَالْمُبْطِلِ وَلَا الْمُؤْمِنُ كَالْمُدْغِلِ. وَلَبِئْسَ الْخَلَفُ خَلَفٌ يَتْبَعُ سَلَفاً هَوَى فِي نَارِ جَهَنَّمَ

وَفِي أَيْدِينَا بَعْدُ فَضْلُ النُّبُوَّةِ الَّتِي أَذْلَلْنَا بِهَا الْعَزِيزَ وَنَعَشْنَا بِهَا الذَّلِيلَ(٢) . وَلَمَّا أَدْخَلَ اللهُ الْعَرَبَ فِي دِينِهِ أَفْوَاجًا وَأَسْلَمَتْ لَهُ هٰذِهِ الأُمَّةُ طَوْعاً وَكَرْهاً كُنْتُمْ مِمَّنْ دَخَلَ فِي الدِّينِ إِمَّا رَغْبَةً وَإِمَّا رَهْبَةً عَلَى حِينِ فَازَ أَهْلُ السَّبْقِ بِسَبْقِهِمْ، وَذَهَبَ الْمُهَاجِرُونَ الأَوَّلُونَ بِفَضْلِهِمْ. فَلَا تَجْعَلَنَّ لِلشَّيْطَانِ فِيكَ نَصِيباً ، وَلَا عَلَى نَفْسِكَ سَبِيلاً

وهو وهاشم من شجرة واحدة فأجابه أمير المؤمنين بما ترى (١) الطليق الذى أسر فأطلق بالمن عليه أو الفدية ، وأبو سفيان ومعاوية كانوا من الطلقاء يوم الفتح . والمهاجر من آمن فى المخافة وهاجر تخلصاً منها. والصريح صحيح النسب فى ذوى الحسب. واللصيق من ينتمى اليهم وهو أجنبى عنهم . والصراحة والالتصاق بالنسبة إلى الدين. والمدغل المفسد (٢) نعشنا : رفعنا

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)

(إِلَى عَبْدِ ٱللهِ بْنِ عَبَّاسٍ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى ٱلْبَصْرَةِ[1])

أَعْلَمْ أَنَّ ٱلْبَصْرَةَ مَهْبِطُ إِبْلِيسَ وَمَغْرِسُ ٱلْفِتَنِ، فَحَادِثْ أَهْلَهَا بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ، وَٱحْلُلْ عُقْدَةَ ٱلْخَوْفِ عَنْ قُلُوبِهِمْ

وَقَدْ بَلَغَنِي تَنَمُّرُكَ لِبَنِي تَمِيمٍ[2] وَغِلْظَتُكَ عَلَيْهِمْ، وَإِنَّ بَنِي تَمِيمٍ لَمْ يَغِبْ لَهُمْ نَجْمٌ إِلَّا طَلَعَ لَهُمْ آخَرُ[3]، وَإِنَّهُمْ لَمْ يُسْبَقُوا بِوَغْمٍ فِي جَاهِلِيَّةٍ وَلَا إِسْلَامٍ. وَإِنَّ لَهُمْ بِنَا رَحِماً مَاسَّةً وَقَرَابَةً خَاصَّةً نَحْنُ مَأْجُورُونَ عَلَى صِلَتِهَا وَمَأْزُورُونَ عَلَى قَطِيعَتِهَا. فَارْبَعْ[4] أَبَا ٱلْعَبَّاسِ رَحِمَكَ ٱللهُ فِيمَا جَرَى عَلَى لِسَانِكَ وَيَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَشَرٍّ فَإِنَّا شَرِيكَانِ فِي ذٰلِكَ، وَكُنْ عِنْدَ صَالِحِ ظَنِّي بِكَ، وَلَا يَفِيلَنَّ رَأْيِي فِيكَ. وَٱلسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ دَهَاقِينَ أَهْلِ بَلَدِكَ شَكَوْا مِنْكَ غِلْظَةً وَقَسْوَةً[5]،

---

(١) كان عبد الله بن عباس قد اشتد على بنى تميم لأنهم كانوا مع طلحة والزبير يوم الجمل فأقصى كثيرا منهم فعظم على بعضهم من شيعة الامام فشكى له (٢) تنمرك أى تنكر أخلاقك (٣) غيبوبة النجم: كناية عن الضعف. وطلوعه كناية عن القوة والوغم — بفتح فسكون —: الحرب. والحقد أى لم يسبقهم أحد فى البأس وكان بين بنى تميم وهاشم مصاهرة وهى تستلزم القرابة بالنسل (٤) اربع: ارفق وقف عند حد ما تعرف. وفال رأيه: ضعف (٥) الدهاقين: الأكابر يأمرون من دونهم ولا يأتمرون

وَاحْتِقَارًا وَجَفْوَةً ، وَنَظَرْتُ فَلَمْ أَرَهُمْ أَهْلًا لِأَنْ يُدْنَوْا لِشِرْكِهِمْ[١] وَلَا أَنْ يُقْصَوْا وَيُجْفَوْا لِعَهْدِهِمْ ، فَالْبَسْ لَهُمْ جِلْبَابًا مِنَ اللِّينِ تَشُوبُهُ بِطَرَفٍ مِنَ الشِّدَّةِ[٢] ، وَدَاوِلْ لَهُمْ بَيْنَ الْقَسْوَةِ وَالرَّأْفَةِ ، وَامْزُجْ لَهُمْ بَيْنَ التَّقْرِيبِ وَالْإِدْنَاءِ ، وَالْإِبْعَادِ وَالْإِقْصَاءِ إِنْ شَاءَ اللهُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ وَهُوَ خَلِيفَةُ عَامِلِهِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ عَلَى الْبَصْرَةِ. وَعَبْدُ اللهِ عَامِلُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا وَعَلَى كُورِ الْأَهْوَازِ وَفَارِسَ وَكَرْمَانَ[٣])

وَإِنِّي أُقْسِمُ بِاللهِ قَسَمًا صَادِقًا لَئِنْ بَلَغَنِي أَنَّكَ خُنْتَ مِنْ فَيْءِ الْمُسْلِمِينَ شَيْئًا صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا[٤] لَأَشُدَّنَّ عَلَيْكَ شَدَّةً تَدَعُكَ قَلِيلَ الْوَفْرِ ثَقِيلَ الظَّهْرِ ضَئِيلَ الْأَمْرِ . وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ أَيْضًا)

فَدَعِ الْإِسْرَافَ مُقْتَصِدًا ، وَاذْكُرْ فِي الْيَوْمِ غَدًا ، وَأَمْسِكْ مِنَ الْمَالِ بِقَدْرِ ضَرُورَتِكَ ، وَقَدِّمِ الْفَضْلَ لِيَوْمِ حَاجَتِكَ[٥]

---

(١) لأن يقربوا فانهم مشركون ولا لأن يبعدوا فانهم معاهدون
(٢) تشوبه : تخلطه (٣) كور : جمع كورة ، وهى الناحية المضافة إلى أعمال بلد من البلدان . والاهواز : تسع كور بين البصرة وفارس (٤) فيئهم : مالهم من غنيمة أو خراج . والوفر المال . والضئيل : الضعيف النحيف (٥) مايفضل من المال فقدمه ليوم

أَتَرْجُو أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ أَجْرَ الْمُتَوَاضِعِينَ وَأَنْتَ عِنْدَهُ مِنَ الْمُتَكَبِّرِينَ. وَتَطْمَعُ - وَأَنْتَ مُتَمَرِّغٌ فِي النَّعِيمِ تَمْنَعُهُ الضَّعِيفَ وَالْأَرْمَلَةَ - أَنْ يُوجِبَ لَكَ ثَوَابَ الْمُتَصَدِّقِينَ. وَإِنَّمَا الْمَرْءُ مَجْزِيٌّ بِمَا أَسْلَفَ[1]، وَقَادِمٌ عَلَى مَا قَدَّمَ. وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ)

وَكَانَ يَقُولُ مَا انْتَفَعْتُ بِكَلَامٍ بَعْدَ كَلَامِ
رَسُولِ اللهِ كَانْتِفَاعِي بِهَذَا الْكَلَامِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْمَرْءَ قَدْ يَسُرُّهُ دَرْكُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ، وَيَسُوءُهُ فَوْتُ مَا لَمْ يَكُنْ لِيُدْرِكَهُ[2]. فَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا نِلْتَ مِنْ آخِرَتِكَ. وَلْيَكُنْ أَسَفُكَ عَلَى مَا فَاتَكَ مِنْهَا. وَمَا نِلْتَ مِنْ دُنْيَاكَ فَلَا تُكْثِرْ فِيهِ فَرَحًا. وَمَا فَاتَكَ مِنْهَا فَلَا تَأْسَ عَلَيْهِ جَزَعًا. وَلْيَكُنْ هَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ الْمَوْتِ

الحاجة كالاعداد ليوم الحرب مثلا، أو قدم فضل الاستقامة للحاجة يوم القيامة (١) أسلف: قدم فى سالف أيامه (٢) قد يسر الانسان بشىء وقد حتم فى قضاء الله أنه له، ويحزن بفوات شىء ومحتوم عليه أن يفوته. والمقطوع بحصوله لا يصح الفرح به كالمقطوع بفواته لا يصح الحزن له لعدم الفائدة فى الثانى ونفى الغائلة فى الأول. ولا تأس أى لا تحزن

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

قَالَهُ قُبَيْلَ مَوْتِهِ عَلَى سَبِيلِ الْوَصِيَّةِ لَمَّا ضَرَبَهُ ابْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ اللهُ

وَصِيَّتِي لَكُمْ أَنْ لَا تُشْرِكُوا بِاللهِ شَيْئاً . وَمُحَمَّدٌ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ(١) فَلَا تُضَيِّعُوا سُنَّتَهُ . أَقِيمُوا هٰذَيْنِ الْعَمُودَيْنِ وَخَلَاكُمْ ذَمٌّ(٢) أَنَا بِالْأَمْسِ صَاحِبُكُمْ ، وَالْيَوْمَ عِبْرَةٌ لَكُمْ ، وَغَداً مُفَارِقُكُمْ . إِنْ أَبْقَ فَأَنَا وَلِيُّ دَمِي ، وَإِنْ أَفْنَ فَالْفَنَاءُ مِيعَادِي . وَإِنْ أَعْفُ فَالْعَفْوُ لِي قُرْبَةٌ وَهُوَ لَكُمْ حَسَنَةٌ ، فَاعْفُوا « أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لَكُمْ » وَاللهِ مَا فَجَأَنِي مِنَ الْمَوْتِ وَارِدٌ كَرِهْتُهُ ، وَلَا طَالِعٌ أَنْكَرْتُهُ . وَمَا كُنْتُ إِلَّا كَقَارِبٍ وَرَدَ(٣) وَطَالِبٍ وَجَدَ « وَمَا عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ »

(أَقُولُ : وَقَدْ مَضَى بَعْضُ هٰذَا الْكَلَامِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الْخُطَبِ إِلَّا أَنَّ فِيهِ هٰهُنَا زِيَادَةً أَوْجَبَتْ تَكْرِيرَهُ

---

(١) ومحمد عطف على أن لا تشركوا مرفوع (٢) عداكم الذم وجاوزكم اللوم بعد قيامكم بالوصية (٣) القارب : طالب الماء ليلا كما قال الخليل ولا يقال لطالبه نهاراً يريد أنه عليه السلام مستعد للموت راغب فى لقاء الله وليس يكره ما يقبل عليه منه

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)

بِمَا يُعْمَلُ فِي أَمْوَالِهِ كَتَبَهَا بَعْدَ مُنْصَرَفِهِ مِنْ صِفِّينَ

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ ٱللهِ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ فِي مَالِهِ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ لِيُولِجَهُ بِهِ ٱلْجَنَّةَ(١) وَيُعْطِيَهُ بِهِ ٱلْأَمَنَةَ

(مِنْهَا) وَإِنَّهُ يَقُومُ بِذٰلِكَ ٱلْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ يَأْكُلُ مِنْهُ بِالْمَعْرُوفِ وَيُنْفِقُ فِي ٱلْمَعْرُوفِ ، فَإِنْ حَدَثَ بِحَسَنٍ حَدَثٌ(٢) وَحُسَيْنٌ حَيٌّ قَامَ بِالْأَمْرِ بَعْدَهُ وَأَصْدَرَهُ مَصْدَرَهُ

وَإِنَّ لِابْنَيْ فَاطِمَةَ مِنْ صَدَقَةِ عَلِيٍّ مِثْلَ ٱلَّذِي لِبَنِي عَلِيٍّ ، وَإِنِّي إِنَّمَا جَعَلْتُ ٱلْقِيَامَ بِذٰلِكَ إِلَى ٱبْنَيْ فَاطِمَةَ ٱبْتِغَاءَ وَجْهِ ٱللهِ وَقُرْبَةً إِلَى رَسُولِ ٱللهِ ، وَتَكْرِيماً لِحُرْمَتِهِ وَتَشْرِيفاً لِوُصْلَتِهِ(٣)

وَيَشْتَرِطُ(٤) عَلَى ٱلَّذِي يَجْعَلُهُ إِلَيْهِ أَنْ يَتْرُكَ ٱلْمَالَ عَلَى أُصُولِهِ ، وَيُنْفِقَ مِنْ ثَمَرِهِ حَيْثُ أُمِرَ بِهِ وَهُدِيَ لَهُ ، وَأَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ أَوْلَادِ نَخْلِ هٰذِهِ ٱلْقُرَى وَدِيَّةً(٥) حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاسًا

---

(١) يولجه: يدخله. والأمنة ـ بالتحريك ـ: الأمن (٢) الحدث ـ بالتحريك ـ: الحادث أى الموت وأصدره أجراه كما كان يجرى على يد الحسن (٣) الوصلة ـ بالضم ـ: الصلة وهى هنا القرابة (٤) ضمير الفعل إلى على أو الحسن. والذى يجعله اليه هو من يتولى المال بعد على أو الحسن بوصيته. وترك المال على أصوله أن لا يباع منه شىء ولا يقطع منه غرس (٥) الودية ـ كهدية ـ: واحدة الودى أى صغار النخل وهو هنا الفسيل. والسر فى النهى أن النخلة

وَمَنْ كَانَ مِنْ إِمَائِى اللَّاتِى أَطُوفُ عَلَيْهِنَّ لَهَا وَلَدٌ أَوْ هِيَ حَامِلٌ فَتُمْسِكُ عَلَى وَلَدِهَا وَهِيَ مِنْ حَظِّهِ ، فَإِنْ مَاتَ وَلَدُهَا وَهِىَ حَيَّةٌ فَهِيَ عَتِيقَةٌ قَدْ أُفْرِجَ عَنْهَا الرِّقُّ وَحَرَّرَهَا الْعِتْقُ

(قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هٰذِهِ الْوَصِيَّةِ : أَنْ لَا يَبِيعَ مِنْ نَخْلِهَا وَدِيَّةً . الْوَدِيَّةُ الْفَسِيلَةُ وَجَمْعُهَا وَدِيٌّ . قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ حَتَّى تُشْكِلَ أَرْضُهَا غِرَاسًا هُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ . وَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّ الْأَرْضَ يَكْثُرُ فِيهَا غِرَاسُ النَّخْلِ حَتَّى يَرَاهَا النَّاظِرُ عَلَى غَيْرِ تِلْكَ الصِّفَةِ الَّتِي عَرَفَهَا بِهَا فَيُشْكِلَ عَلَيْهِ أَمْرُهَا وَيَحْسَبُهَا غَيْرَهَا)

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ يَكْتُبُهَا لِمَنْ يَسْتَعْمِلُهُ عَلَى الصَّدَقَاتِ وَإِنَّمَا ذَكَرْنَا هُنَا جُمَلًا لِيُعْلَمَ بِهَا أَنَّهُ كَانَ يُقِيمُ عِمَادَ الْحَقِّ وَيَشْرَعُ أَمْثِلَةَ الْعَدْلِ فِي صَغِيرِ الْأُمُورِ وَكَبِيرِهَا وَدَقِيقِهَا وَجَلِيلِهَا)

انْطَلِقْ عَلَى تَقْوَى اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ . وَلَا تُرَوِّعَنَّ مُسْلِمًا[1] وَلَا تَجْتَازَنَّ عَلَيْهِ كَارِهًا ، وَلَا تَأْخُذَنَّ مِنْهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ ، فَإِذَا قَدِمْتَ عَلَى الْحَيِّ فَانْزِلْ بِمَائِهِمْ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخَالِطَ أَبْيَاتَهُمْ ، ثُمَّ امْضِ

فى صغرها لم يستحكم جذعها فى الأرض فقلع فسيلها يضر بها (١) روعه ترويعا خوفه.

إِلَيْهِمْ بِالسَّكِينَةِ وَالْوَقَارِ حَتَّى تَقُومَ بَيْنَهُمْ فَتُسَلِّمَ عَلَيْهِمْ ، وَلَا تُخْدِجْ بِالتَّحِيَّةِ لَهُمْ[1] ، ثُمَّ تَقُولَ : عِبَادَ اللهِ أَرْسَلَنِي إِلَيْكُمْ وَلِيُّ اللهِ وَخَلِيفَتُهُ لِآخُذَ مِنْكُمْ حَقَّ اللهِ فِي أَمْوَالِكُمْ ، فَهَلْ للهِ فِي أَمْوَالِكُمْ مِنْ حَقٍّ فَتُؤَدُّوهُ إِلَى وَلِيِّهِ ؟ فَإِنْ قَالَ قَائِلٌ لَا ، فَلَا تُرَاجِعْهُ ، وَإِنْ أَنْعَمَ لَكَ مُنْعِمٌ[2] فَانْطَلِقْ مَعَهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُخِيفَهُ أَوْ تُوعِدَهُ أَوْ تَعْسِفَهُ أَوْ تُرْهِقَهُ ، فَخُذْ مَا أَعْطَاكَ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ فِضَّةٍ . فَإِنْ كَانَ لَهُ مَاشِيَةٌ أَوْ إِبِلٌ فَلَا تَدْخُلْهَا إِلَّا بِإِذْنِهِ ، فَإِنَّ أَكْثَرَهَا لَهُ ، فَإِذَا أَتَيْتَهَا فَلَا تَدْخُلْ عَلَيْهَا دُخُولَ مُتَسَلِّطٍ عَلَيْهِ وَلَا عَنِيفٍ بِهِ ، وَلَا تُنَفِّرَنَّ بَهِيمَةً وَلَا تُفْزِعَنَّهَا وَلَا تَسُوءَنَّ صَاحِبَهَا فِيهَا ، وَاصْدَعِ الْمَالَ صَدْعَيْنِ[3] ثُمَّ خَيِّرْهُ ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ . ثُمَّ اصْدَعِ الْبَاقِيَ صَدْعَيْنِ ثُمَّ خَيِّرْهُ ، فَإِذَا اخْتَارَ فَلَا تَعَرَّضَنَّ لِمَا اخْتَارَهُ . فَلَا تَزَالُ كَذَلِكَ حَتَّى يَبْقَى مَا فِيهِ وَفَاءٌ لِحَقِّ اللهِ فِي مَالِهِ فَاقْبِضْ حَقَّ اللهِ مِنْهُ . فَإِنِ اسْتَقَالَكَ فَأَقِلْهُ[4] ثُمَّ اخْلِطْهُمَا ثُمَّ اصْنَعْ مِثْلَ الَّذِي صَنَعْتَ أَوَّلًا حَتَّى تَأْخُذَ حَقَّ اللهِ فِي مَالِهِ . وَلَا تَأْخُذَنَّ عَوْدًا[5] وَلَا هَرِمَةً وَلَا

---

(١) أخدجت السحابة قل مطرها أى لاتبخل (٢) قال لك نعم. أو تعسفه تأخذه بشدة. وترهقه تكلفه مايصعب عليه (٣) اقسمه قسمين ثم خير صاحب المال فى أيهما (٤) أى فان ظن فى نفسه سوء الاختيار وأن ماأخذت منه الزكاة أكرم مما فى يده وطلب الاعفاء من هذه القسمة فأعفه منها واخلط وأعد القسمة (٥) العود ـ بفتح فسكون ـ : السنة من الابل. والهرمة والاجتياز : المرور ، أى لاتمر عليه وهو كاره لك لغلظة فيك

مَكْسُورَةً وَلَا مَهْلُوسَةً وَلَا ذَاتَ عَوَارٍ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ عَلَيْهَا إِلَّا مَنْ تَثِقُ بِدِينِهِ رَافِقًا بِمَالِ الْمُسْلِمِينَ حَتَّى يُوَصِّلَهُ إِلَى وَلِيِّهِمْ فَيَقْسِمَهُ بَيْنَهُمْ ، وَلَا تُوَكِّلْ بِهَا إِلَّا نَاصِحًا شَفِيقًا وَأَمِينًا حَفِيظًا ، غَيْرَ مُعْنِفٍ وَلَا مُجْحِفٍ[١] ، وَلَا مُلْغِبٍ وَلَا مُتْعِبٍ ، ثُمَّ احْدُرْ إِلَيْنَا مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ[٢] نُصَيِّرْهُ حَيْثُ أَمَرَ اللَّهُ بِهِ . فَإِذَا أَخَذَهَا أَمِينُكَ فَأَوْعِزْ إِلَيْهِ أَلَّا يَحُولَ بَيْنَ نَاقَةٍ وَبَيْنَ فَصِيلِهَا[٣] وَلَا يَمْصُرَ لَبَنَهَا فَيَضُرَّ ذَلِكَ بِوَلِيدِهَا ، وَلَا يَجْهَدَنَّهَا رُكُوبًا . وَلْيَعْدِلْ بَيْنَ صَوَاحِبَاتِهَا فِي ذَلِكَ وَبَيْنَهَا ؛ وَلْيُرَفِّهْ عَلَى اللَّاغِبِ[٤] . وَلْيَسْتَأْنِ بِالنَّقِبِ وَالظَّالِعِ . وَلْيُورِدْهَا مَا تَمُرُّ بِهِ مِنَ الْغُدُرِ[٥] وَلَا يَعْدِلْ بِهَا عَنْ نَبْتِ الْأَرْضِ إِلَى جَوَادِّ الطَّرِيقِ ، وَلْيُرَوِّحْهَا فِي السَّاعَاتِ وَلْيُمْهِلْهَا عِنْدَ النِّطَافِ[٦] وَالْأَعْشَابِ حَتَّى تَأْتِيَنَا بِإِذْنِ اللَّهِ بُدُنًا مُنْقِيَاتٍ غَيْرَ مُتْعَبَاتٍ وَلَا مَجْهُودَاتٍ[٧] ، لِنَقْسِمَهَا عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَسُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى

أسن من العود . والمهلوسة : الضعيفة. هلسه المرض أضعفه. والعوار ـ بفتح العين ، وتضم ـ: العيب (١) المجحف من يشتد فى سوقها حتى تهزل. والملغب المعي من التعب (٢) حدر يحدر كينصر و يضرب أسرع، والمراد سق الينا سريعاً (٣) فصيل الناقة : ولدها وهو رضيع. ومصر اللبن تمصيراً قلله ، أي لايبالغ فى حلبها حتى يقل اللبن فى ضرعها (٤) أي ليرح مالغب أى أعياه التعب ، وليستأن أي يرفق من الاناة بمعنى الرفق . والنقب ـ بفتح فكسر ـ : مانقب خفه كفرح ، أى تخرق . وظلع البعير غمز فى مشيته (٥) جمع غدير ماغادره السيل من المياه (٦) النطاف ـ جمع نطفة ـ : المياه القليلة، أى يجعل لها مهلة لتشرب وتأكل (٧) البدن ـ بضمتين ـ : جمع بادنة أي سمينة .

اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَإِنَّ ذٰلِكَ أَعْظَمُ لِأَجْرِكَ وَأَقْرَبُ لِرُشْدِكَ إِنْ شَاءَ اللهُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ وَقَدْ بَعَثَهُ عَلَى الصَّدَقَةِ

آمُرُهُ بِتَقْوَى اللهِ فِي سَرَائِرِ أَمْرِهِ وَخَفِيَّاتِ عَمَلِهِ ، حَيْثُ لَا شَهِيدَ غَيْرُهُ وَلَا وَكِيلَ دُونَهُ . وَآمُرُهُ أَنْ لَا يَعْمَلَ بِشَيْءٍ مِنْ طَاعَةِ اللهِ فِيمَا ظَهَرَ فَيُخَالِفَ إِلَى غَيْرِهِ فِيمَا أَسَرَّ[1] ، وَمَنْ لَمْ يَخْتَلِفْ سِرُّهُ وَعَلَانِيَتُهُ وَفِعْلُهُ وَمَقَالَتُهُ فَقَدْ أَدَّى الْأَمَانَةَ وَأَخْلَصَ الْعِبَادَةَ

وَآمُرُهُ أَنْ لَا يَجْبَهَهُمْ[2] وَلَا يَعْضَهَهُمْ ، وَلَا يَرْغَبَ عَنْهُمْ تَفَضُّلًا بِالْإِمَارَةِ عَلَيْهِمْ ، فَإِنَّهُمُ الْإِخْوَانُ فِي الدِّينِ وَالْأَعْوَانُ عَلَى اسْتِخْرَاجِ الْحُقُوقِ .

وَإِنَّ لَكَ فِي هٰذِهِ الصَّدَقَةِ نَصِيبًا مَفْرُوضًا وَحَقًّا مَعْلُومًا ، وَشُرَكَاءَ أَهْلَ مَسْكَنَةٍ وَضُعَفَاءَ ذَوِي فَاقَةٍ ، وَإِنَّا مُوَفُّوكَ حَقَّكَ فَوَفِّهِمْ حُقُوقَهُمْ ، وَإِلَّا تَفْعَلْ فَإِنَّكَ مِنْ أَكْثَرِ النَّاسِ خُصُومًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَبُؤْسًا لِمَنْ خَصْمُهُ عِنْدَ اللهِ الْفُقَرَاءُ وَالْمَسَاكِينُ[3] وَالسَّائِلُونَ وَالْمَدْفُوعُونَ وَالْغَارِمُ

والمنقيات اسم فاعل من أنقت الابل إذا سمنت ، وأصله صارت ذات نقي ـ بكسر فسكون ـ أي مخ (١) فيخالف هو مصب النهي (٢) جبهه ـ كمنعه ـ : ضرب جبهته. وعضه فلاناً كفرح بهته . نهى عن المخاشنة والتقريع. ولا يرغب عنهم لا يتجافى (٣) بئس ـ كسمع ـ بؤساً اشتدت حاجته، ومن كان خصمه الفقراء فلا بد أن يبأس لأنهم لا يعفون

وَابْنُ السَّبِيلِ . وَمَنِ اسْتَهَانَ بِالْأَمَانَةِ وَرَتَعَ فِي الْخِيَانَةِ وَلَمْ يُنَزِّهْ نَفْسَهُ وَدِينَهُ عَنْهَا فَقَدْ أَحَلَّ بِنَفْسِهِ فِي الدُّنْيَا الْخِزْيَ[1] وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ أَذَلُّ وَأَخْزَى. وَإِنَّ أَعْظَمَ الْخِيَانَةِ خِيَانَةُ الْأُمَّةِ ، وَأَفْظَعَ الْغِشِّ غِشُّ الْأَئِمَّةِ . وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ عَهْدِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ حِينَ قَلَّدَهُ مِصْرَ)

فَاخْفِضْ لَهُمْ جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ ، وَابْسُطْ لَهُمْ وَجْهَكَ ، وَآسِ[2] بَيْنَهُمْ فِي اللَّحْظَةِ وَالنَّظْرَةِ حَتَّى لَا يَطْمَعَ الْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ لَهُمْ وَلَا يَيْأَسَ الضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ بِهِمْ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُسَائِلُكُمْ مَعْشَرَ عِبَادِهِ عَنِ الصَّغِيرَةِ مِنْ أَعْمَالِكُمْ وَالْكَبِيرَةِ ، وَالظَّاهِرَةِ وَالْمَسْتُورَةِ ، فَإِنْ يُعَذِّبْ فَأَنْتُمْ أَظْلَمُ ، وَإِنْ يَعْفُ فَهُوَ أَكْرَمُ

وَاعْلَمُوا عِبَادَ اللَّهِ أَنَّ الْمُتَّقِينَ ذَهَبُوا بِعَاجِلِ الدُّنْيَا وَآجِلِ الْآخِرَةِ، فَشَارَكُوا أَهْلَ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَلَمْ يُشَارِكْهُمْ أَهْلُ الدُّنْيَا فِي آخِرَتِهِمْ. سَكَنُوا الدُّنْيَا بِأَفْضَلِ مَا سُكِنَتْ، وَأَكَلُوهَا بِأَفْضَلِ مَا أُكِلَتْ، فَحَظُوا

ولا يتسامحون فى حقهم لتفرح قلوبهم من المنع عند الحاجة (١) جمع خزية بفتح الخاء أى بلية، الجمع بضم ففتح كنوبه ونوب (٢) آس أمر من آسى بمد الهمزة أى سوى. يريد اجعل بعضهم أسوة بعض أى مستوين . وحيفك لهم أى ظلمك لأنهم يطمعون

مِنَ الدُّنْيَا بِمَا حَظِيَ بِهِ الْمُتْرَفُونَ(١) ، وَأَخَذُوا مِنْهَا مَا أَخَذَهُ الْجَبَابِرَةُ الْمُتَكَبِّرُونَ . ثُمَّ انْقَلَبُوا عَنْهَا بِالزَّادِ الْمُبَلِّغِ وَالْمَتْجَرِ الرَّابِحِ . أَصَابُوا لَذَّةَ زُهْدِ الدُّنْيَا فِي دُنْيَاهُمْ ، وَتَيَقَّنُوا أَنَّهُمْ جِيرَانُ اللهِ غَدًا فِي آخِرَتِهِمْ . لَا تُرَدُّ لَهُمْ دَعْوَةٌ ، وَلَا يَنْقُصُ لَهُمْ نَصِيبٌ مِنْ لَذَّةٍ . فَاحْذَرُوا عِبَادَ اللهِ الْمَوْتَ وَقُرْبَهُ ، وَأَعِدُّوا لَهُ عُدَّتَهُ ، فَإِنَّهُ يَأْتِي بِأَمْرٍ عَظِيمٍ وَخَطْبٍ جَلِيلٍ ، بِخَيْرٍ لَا يَكُونُ مَعَهُ شَرٌّ أَبَدًا ، أَوْ شَرٍّ لَا يَكُونُ مَعَهُ خَيْرٌ أَبَدًا . فَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى الْجَنَّةِ مِنْ عَامِلِهَا(٢) ؟ وَمَنْ أَقْرَبُ إِلَى النَّارِ مِنْ عَامِلِهَا ؟. وَأَنْتُمْ طُرَدَاءُ الْمَوْتِ إِنْ أَقَمْتُمْ لَهُ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ فَرَرْتُمْ مِنْهُ أَدْرَكَكُمْ ، وَهُوَ أَلْزَمُ لَكُمْ مِنْ ظِلِّكُمْ . الْمَوْتُ مَعْقُودٌ بِنَوَاصِيكُمْ(٣) وَالدُّنْيَا تُطْوَى مِنْ خَلْفِكُمْ . فَاحْذَرُوا نَارًا قَعْرُهَا بَعِيدٌ ، وَحَرُّهَا شَدِيدٌ ، وَعَذَابُهَا جَدِيدٌ . دَارٌ لَيْسَ فِيهَا رَحْمَةٌ ، وَلَا تُسْمَعُ فِيهَا دَعْوَةٌ ، وَلَا تُفَرَّجُ فِيهَا كُرْبَةٌ . وَإِنِ اسْتَطَعْتُمْ أَنْ يَشْتَدَّ خَوْفُكُمْ مِنَ اللهِ وَأَنْ يَحْسُنَ

فى ذلك إذا خصصتهم بشىء من الرعاية (١) المنعمون فان المتقى يؤدى حق الله وحقوق العباد ويتلذذ بما آتاه الله من النعمة وينفق ماله فيما يرفع شأنه ويعلى كلمته فيعيش سعيداً مترفاً كما عاش الجبابرة ثم ينقلب بالزاد وهو الأجر الذى يبلغه سعادة الآخرة جزاء على رعاية حق نفسه ومنفعتها الصحيحة فيما أوتى من الدنيا ، وهو بهذا يكون زاهداً فى الدنيا وهى مغدقة عليه (٢) استفهام بمعنى النفى، أى لا أقرب إلى الجنة ممن يعمل لها الخ (٣) النواصى جمع ناصية : مقدم شعر الرأس

ظَنِّكُمْ بِهِ فَاجْمَعُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنَّ الْعَبْدَ إِنَّمَا يَكُونُ حُسْنُ ظَنِّهِ بِرَبِّهِ عَلَى قَدْرِ خَوْفِهِ مِنْ رَبِّهِ[١] ، وَإِنَّ أَحْسَنَ النَّاسِ ظَنًّا بِاللهِ أَشَدُّهُمْ خَوْفًا لِلهِ

وَاعْلَمْ يَا مُحَمَّدُ بْنَ أَبِي بَكْرٍ أَنِّي قَدْ وَلَّيْتُكَ أَعْظَمَ أَجْنَادِي فِي نَفْسِي أَهْلَ مِصْرَ ، فَأَنْتَ مَحْقُوقٌ أَنْ تُخَالِفَ عَلَى نَفْسِكَ[٢] ، وَأَنْ تُنَافِحَ عَنْ دِينِكَ وَلَوْ لَمْ يَكُنْ لَكَ إِلَّا سَاعَةٌ مِنَ الدَّهْرِ ، وَلَا تُسْخِطَ اللهَ بِرِضَا أَحَدٍ مِنْ خَلْقِهِ فَإِنَّ فِي اللهِ خَلَفًا مِنْ غَيْرِهِ[٣] وَلَيْسَ مِنَ اللهِ خَلَفٌ فِي غَيْرِهِ

صَلِّ الصَّلَاةَ لِوَقْتِهَا الْمُوَقَّتِ لَهَا ، وَلَا تُعَجِّلْ وَقْتَهَا لِفَرَاغٍ ، وَلَا تُؤَخِّرْهَا عَنْ وَقْتِهَا لِاشْتِغَالٍ . وَاعْلَمْ أَنَّ كُلَّ شَيْءٍ مِنْ عَمَلِكَ تَبَعٌ لِصَلَاتِكَ

(وَمِنْهُ) فَإِنَّهُ لَا سَوَاءٌ إِمَامُ الْهُدَى وَإِمَامُ الرَّدَى ، وَوَلِيُّ النَّبِيِّ وَعَدُوُّ النَّبِيِّ . وَلَقَدْ قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنِّي لَا أَخَافُ عَلَى أُمَّتِي مُؤْمِنًا وَلَا مُشْرِكًا . أَمَّا الْمُؤْمِنُ فَيَمْنَعُهُ اللهُ بِإِيمَانِهِ ، وَأَمَّا الْمُشْرِكُ فَيَقْمَعُهُ اللهُ بِشِرْكِهِ[٤] ، وَلَكِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ كُلَّ مُنَافِقِ[٥] الْجَنَانِ عَالِمِ اللِّسَانِ ، يَقُولُ مَا تَعْرِفُونَ وَيَفْعَلُ مَا تُنْكِرُونَ

---

(١) فان من خاف ربه عمل لطاعته وانتهى عن معصيته فرجا ثوابه بخلاف من لم يخفه فان رجاءه يكون طمعاً فى غير مطمع نعوذ بالله منه (٢) أى مطالب بحق بمخالفتك شهوة نفسك. والمنافحة: المدافعة (٣) إذا فقدت مخلوقا ففى فضل الله عوض عنه، وليس فى خلق الله عوض عن الله (٤) يقمعه : يقهره لعلم الناس أنه مشرك فيحذرونه (٥) منافق الجنان : من أسر النفاق فى قلبه . وعالم اللسان : من يعرف أحكام الشريعة ويسهل عليه بيانها فيقول

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

إِلَى مُعَاوِيَةَ جَوَابًا ، وَهُوَ مِنْ مَحَاسِنِ الْكُتُبِ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ أَتَانِي كِتَابُكَ تَذْكُرُ فِيهِ اصْطِفَاءَ اللهِ مُحَمَّدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِدِينِهِ وَتَأْيِيدِهِ إِيَّاهُ بِمَنْ أَيَّدَهُ مِنْ أَصْحَابِهِ ، فَلَقَدْ خَبَّأَ لَنَا الدَّهْرُ مِنْكَ عَجَبًا[1] إِذْ طَفِقْتَ تُخْبِرُنَا بِبَلَاءِ اللهِ عِنْدَنَا وَنِعْمَتِهِ عَلَيْنَا فِي نَبِيِّنَا ، فَكُنْتَ فِي ذٰلِكَ كَنَاقِلِ التَّمْرِ إِلَى هَجَرَ[2] أَوْ دَاعِي مُسَدِّدِهِ إِلَى النِّضَالِ. وَزَعَمْتَ أَنَّ أَفْضَلَ النَّاسِ فِي الْإِسْلَامِ فُلَانٌ وَفُلَانٌ، فَذَكَرْتَ أَمْرًا إِنْ تَمَّ اعْتَزَلَكَ كُلُّهُ[3] ، وَإِنْ نَقَصَ لَمْ تَلْحَقْكَ ثُلْمَتُهُ. وَمَا أَنْتَ وَالْفَاضِلَ وَالْمَفْضُولَ[4] ، وَالسَّائِسَ وَالْمَسُوسَ ؟ وَمَا لِلطُّلَقَاءِ وَأَبْنَاءِ الطُّلَقَاءِ وَالتَّمْيِيزَ بَيْنَ الْمُهَاجِرِينَ الْأَوَّلِينَ وَتَرْتِيبَ دَرَجَاتِهِمْ وَتَعْرِيفَ طَبَقَاتِهِمْ. هَيْهَاتَ لَقَدْ حَنَّ قِدْحٌ لَيْسَ مِنْهَا[5]، وَطَفِقَ يَحْكُمُ فِيهَا مَنْ عَلَيْهِ الْحُكْمُ

---

(١) أخفى أمراً عجيباً ثم أظهره : وطفقت ـ بفتح فكسر ـ أخذت .وعطف النعمة على البلاء تفسير وليبلى المؤمنين منه بلاء حسناً (٢) هجر مدينة بالبحرين كثيرة النخيل . والمسدد : معلم رمى السهام . والنضال : المراماة أى كمن يدعو أستاذه فى فن الرمى إلى المناضلة. وهما مثلان لناقل الشيء إلى معدنه والمتعالم على معلميه (٣) ان صح ماادعيت من فضلهم لم يكن لك حظ منه فأنت عنه بمعزل. وثلمته : عيبه (٤) يريد أى حقيقة تكون لك مع هؤلاء، أى ليست لك ماهية تذكر بينهم. والطلقاء الذين أسروا بالحرب ثم أطلقوا ، وكان منهم أبو سفيان ومعاوية . والمهاجرون من نصروا الدين فى ضعفه ولم يحاربوه (٥) حن : صوت . حقاً يعرفه المؤمنون ويفعل منكراً ينكرونه

لَهَا . أَلَا تَرْبَعُ أَيُّهَا الْإِنْسَانُ عَلَى ظَلْعِكَ[١] وَتَعْرِفُ قُصُورَ ذَرْعِكَ ؟ وَتَتَأَخَّرُ حَيْثُ أَخَّرَكَ الْقَدَرُ، فَمَا عَلَيْكَ غَلَبَةُ الْمَغْلُوبِ وَلَا لَكَ ظَفَرُ الظَّافِرِ وَإِنَّكَ لَذَهَّابٌ فِي التِّيهِ[٢] رَوَّاغٌ عَنِ الْقَصْدِ . أَلَا تَرَى - غَيْرَ مُخْبِرٍ لَكَ وَلَكِنْ بِنِعْمَةِ اللَّهِ أُحَدِّثُ - أَنَّ قَوْمًا[٣] اسْتُشْهِدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَلِكُلٍّ فَضْلٌ، حَتَّى إِذَا اسْتُشْهِدَ شَهِيدُنَا[٤] قِيلَ سَيِّدُ الشُّهَدَاءِ، وَخَصَّهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِسَبْعِينَ تَكْبِيرَةً عِنْدَ صَلَاتِهِ عَلَيْهِ . أَوَلَا تَرَى أَنَّ قَوْمًا قُطِعَتْ أَيْدِيهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ - وَلِكُلٍّ فَضْلٌ - حَتَّى إِذَا فُعِلَ بِوَاحِدِنَا مَا فُعِلَ بِوَاحِدِهِمْ[٥] قِيلَ الطَّيَّارُ فِي الْجَنَّةِ وَذُو الْجَنَاحَيْنِ، وَلَوْلَا مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ مِنْ تَزْكِيَةِ الْمَرْءِ نَفْسَهُ لَذَكَرَ ذَاكِرٌ فَضَائِلَ جَمَّةً[٦] تَعْرِفُهَا قُلُوبُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا تَمُجُّهَا آذَانُ السَّامِعِينَ

والقدح - بالكسر - : السهم. وإذا كان سهم يخالف السهام كان له عند الرمى صوت يخالف أصواتها، مثل يضرب لمن يفتخر بقوم ليس منهم. وأصل المثل لعمر بن الخطاب رضى الله عنه قال له عقبة بن أبى معيط أأقتل من بين قريش ؟ فأجابه « حن قدح ليس منها » (١) يقال اربع على ظلعك أى قف عند حدك. والذرع - بالفتح - : بسط اليد ويقال للمقدار (٢) ذهاب - بتشديد الهاء - : كثير الذهاب. والتيه : الضلال . والرواغ : الميال . والقصد : الاعتدال (٣) مفعول لترى وقوله غير مخبر خبر لمبتدأ محذوف أي أنا والجملة اعتراضية (٤) هو حمزة بن عبد المطلب استشهد فى أحد والقائل رسول الله صلى الله عليه وسلم (٥) وأحدنا هو جعفر بن أبى طالب أخو الامام (٦) ذاكر هو الامام نفسه

فَدَعْ عَنْكَ مَنْ مَالَتْ بِهِ الرَّمِيَّةُ (١) فَإِنَّا صَنَائِعُ رَبِّنَا (٢) وَالنَّاسُ بَعْدُ صَنَائِعُ لَنَا . لَمْ يَمْنَعْنَا قَدِيمَ عِزِّنَا (٣) وَلَا عَادِيَّ طَوْلِنَا عَلَى قَوْمِكَ أَنْ خَلَطْنَاكُمْ بِأَنْفُسِنَا فَنَكَحْنَا وَأَنْكَحْنَا فِعْلَ الْأَكْفَاءِ وَلَسْتُمْ هُنَاكَ . وَأَنَّى يَكُونُ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ وَمِنَّا النَّبِيُّ وَمِنْكُمُ الْمُكَذِّبُ (٤) ، وَمِنَّا أَسَدُ اللَّهِ وَمِنْكُمْ أَسَدُ الْأَحْلَافِ ، وَمِنَّا سَيِّدُ شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ وَمِنْكُمْ صِبْيَةُ النَّارِ ، وَمِنَّا خَيْرُ نِسَاءِ الْعَالَمِينَ وَمِنْكُمْ حَمَّالَةُ الْحَطَبِ فِي كَثِيرٍ مِمَّا لَنَا وَعَلَيْكُمْ (٥)

فَإِسْلَامُنَا قَدْ سُمِعَ ، وَجَاهِلِيَّتُنَا لَا تُدْفَعُ (٦) ، وَكِتَابُ اللَّهِ يَجْمَعُ لَنَا مَا شَذَّ عَنَّا وَهُوَ قَوْلُهُ «وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ

---

(١) الرمية : الصيد يرميه الصائد. ومالت به : خالفت قصده فاتبعها، مثل يضرب لمن اعوج غرضه فمال عن الاستقامة لطلبه (٢) آل النبي اسراء احسان الله عليهم والناس اسراء فضلهم بعد ذلك. وأصل الصنيع من تصنعه لنفسك بالاحسان حتى خصصته بك كأنه عمل يدك (٣) قديم مفعول يمنع . والعادى : الاعتيادى المعروف . والطول ــ بفتح فسكون ــ: الفضل. وأن خلطنا كم فاعل يمنع . والأكفاء : جمع كفؤ ــ بالضم ــ النظير فى الشرف. (٤) المكذب أبو جهل. وأسد الله حمزة. وأسد الأحلاف أبو سفيان لأنه حزب الأحزاب وحالفهم على قتال النبي فى غزوة الخندق. وسيد شباب أهل الجنة : الحسن والحسين بنص قول الرسول . وصبية النار قيل هم أولاد مروان بن الحكم أخبر النبي عنهم وهم صبيان بأنهم من أهل النار ، ومرقوا عن الدين فى كبرهم. وخير النساء فاطمة. وحمالة الحطب أم جميل بنت حرب عمة معاوية وزوجة أبى لهب (٥) أى هذه الفضائل المعدودة لنا وأضدادها المسرودة لكم قليل فى كثير مما لنا وعليكم (٦) شرفنا فى الجاهلية

وَقَوْلُهُ تعالَى « إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰـذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا وَٱللهُ وَلِيُّ ٱلْمُؤْمِنِينَ » فَنَحْنُ مَرَّةً أَوْلَى بِالْقَرَابَةِ ، وَتَارَةً أَوْلَى بِالطَّاعَةِ . وَلَمَّا ٱحْتَجَّ ٱلْمُهَاجِرُونَ عَلَى ٱلْأَنْصَارِ يَوْمَ ٱلسَّقِيفَةِ بِرَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَجُوا عَلَيْهِمْ[1] ، فَإِنْ يَكُنِ ٱلْفَلَجُ بِهِ فَالْحَقُّ لَنَا دُونَكُمْ ، وَإِنْ يَكُنْ بِغَيْرِهِ فَالْأَنْصَارُ عَلَى دَعْوَاهُمْ

وَزَعَمْتَ أَنِّي لِكُلِّ ٱلْخُلَفَاءِ حَسَدْتُ وَعَلَى كُلِّهِمْ بَغَيْتُ ، فَإِنْ يَكُنْ ذٰلِكَ كَذٰلِكَ فَلَيْسَ ٱلْجِنَايَةُ عَلَيْكَ فَيَكُونَ ٱلْعُذْرُ إِلَيْكَ ،

* وَتِلْكَ شَكَاةٌ ظَاهِرٌ عَنْكَ عَارُهَا[2] *

وَقُلْتَ إِنِّي كُنْتُ أُقَادُ كَمَا يُقَادُ ٱلْجَمَلُ ٱلْمَخْشُوشُ حَتَّى أُبَايِعَ[3] وَلَعَمْرُ ٱللهِ لَقَدْ أَرَدْتَ أَنْ تَذُمَّ فَمَدَحْتَ ، وَأَنْ تَفْضَحَ فَافْتَضَحْتَ . وَمَا

لا ينكره أحد (١) يوم السقيفة عند ما اجتمعوا فى سقيفة بنى ساعدة بعد موت النبى صلى الله عليه وسلم ليختاروا خليفة له وطلب الأنصار أن يكون لهم نصيب فى الخلافة، فاحتج المهاجرون عليهم بأنهم شجرة الرسول ففلجوا أى ظفروا بهم، فظفر المهاجرين بهذه الحجة ظفر لأمير المؤمنين على معاوية، لأن الامام من ثمرة شجرة الرسول، فان لم تكن حجة المهاجرين بالنبى صحيحة فالأنصار قائمون على دعواهم من حق الخلافة، فليس لمثل معاوية حق فيها لأنه أجنبى منهم (٢) شكاة — بالفتح — أى نقيصة وأصلها المرض. وظاهر من ظهر إذا صار ظهراً أى خلفاً أى بعيد. والشطرة لأبى ذؤيب. وأول البيت * وعيرها الواشون أنى أحبها * (٣) الخشاش — ككتاب — ما يدخل فى عظم أنف البعير من خشب لينقاد . وخششت البعير : جعلت فى أنفه الخشاش ، طعن معاوية

عَلَى الْمُسْلِمِ مِنْ غَضَاضَةٍ فِي أَنْ يَكُونَ مَظْلُوماً[١] مَا لَمْ يَكُنْ شَاكّاً فِي دِينِهِ وَلَا مُرْتَاباً بِيَقِينِهِ. وَهٰذِهِ حُجَّتِي إِلَى غَيْرِكَ قَصْدُهَا[٢]، وَلٰكِنِّي أَطْلَقْتُ لَكَ مِنْهَا بِقَدْرِ مَا سَنَحَ مِنْ ذِكْرِهَا

ثُمَّ ذَكَرْتَ مَا كَانَ مِنْ أَمْرِي وَأَمْرِ عُثْمَانَ فَلَكَ أَنْ تُجَابَ عَنْ هٰذِهِ لِرَحِمِكَ مِنْهُ[٣] فَأَيُّنَا كَانَ أَعْدَى لَهُ[٤] وَأَهْدَى إِلَى مَقَاتِلِهِ. أَمَنْ بَذَلَ لَهُ نُصْرَتَهُ فَاسْتَقْعَدَهُ وَاسْتَكَفَّهُ[٥]، أَمَّنِ اسْتَنْصَرَهُ فَتَرَاخَى عَنْهُ وَبَثَّ الْمَنُونَ إِلَيْهِ[٦] حَتَّى أَتَى قَدَرُهُ عَلَيْهِ. كَلَّا وَاللّٰهِ لَقَدْ عَلِمَ اللّٰهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ[٧] وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا

وَمَا كُنْتُ لِأَعْتَذِرَ مِنْ أَنِّي كُنْتُ أَنْقِمُ عَلَيْهِ أَحْدَاثاً[٨]، فَإِنْ كَانَ الذَّنْبُ إِلَيْهِ إِرْشَادِي وَهِدَايَتِي لَهُ فَرُبَّ مَلُومٍ لَا ذَنْبَ لَهُ

*وَقَدْ يَسْتَفِيدُ الظِّنَّةَ الْمُتَنَصِّحُ[٩] *وَمَا أَرَدْتُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ

على الامام بأنه كان يجبر على مبايعة السابقين من الخلفاء (١) الغضاضة : النقص (٢) يحتج الامام على حقه لغير معاوية لأنه مظنة الاستحقاق، أما معاوية فهو منقطع عن جرثومة الأمر فلا حاجة للاحتجاج عليه . وسنح أى ظهر وعرض (٣) لقرابتك منه يصح الجدال معك فيه (٤) أعدى : أشد عدواناً . والمقاتل : وجوه القتل (٥) من بذل النصرة هو الامام واستقعده عثمان أى طلب قعوده ولم يقبل نصره (٦) استنصر عثمان بعشيرته من بنى أمية كمعاوية فخذلوه وخلوا بينه و بين الموت فكأنما بثوا المنون أى أفضوا بها إليه (٧) المعوقون : المانعون من النصرة (٨) نقم عليه ـ كضرب ـ عاب عليه . والأحداث : جمع حدث ، البدعة (٩) الظنة ـ بالكسر ـ التهمة . والمتنصح

وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ

وَذَكَرْتَ أَنَّهُ لَيْسَ لِي وَلِأَصْحَابِي إِلَّا السَّيْفُ. فَلَقَدْ أَضْحَكْتَ بَعْدَ اسْتِعْبَارٍ[١]، مَتَى أُلْفِيَتْ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ عَنِ الْأَعْدَاءِ نَاكِلِينَ[٢] وَبِالسُّيُوفِ مُخَوَّفِينَ* لَبِّثْ قَلِيلًا يَلْحَقِ الْهَيْجَا حَمَلْ[٣] * فَسَيَطْلُبُكَ مَنْ تَطْلُبُ، وَيَقْرُبُ مِنْكَ مَا تَسْتَبْعِدُ، وَأَنَا مُرْقِلٌ نَحْوَكَ[٤] فِي جَحْفَلٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالتَّابِعِينَ لَهُمْ بِإِحْسَانٍ شَدِيدٍ زِحَامُهُمْ[٥]، سَاطِعٍ قَتَامُهُمْ، مُتَسَرْبِلِينَ سَرَابِيلَ الْمَوْتِ[٦] أَحَبُّ اللِّقَاءِ إِلَيْهِمْ لِقَاءُ رَبِّهِمْ، قَدْ صَحِبَتْهُمْ ذُرِّيَّةٌ بَدْرِيَّةٌ[٧] وَسُيُوفٌ هَاشِمِيَّةٌ، قَدْ عَرَفْتَ مَوَاقِعَ نِصَالِهَا فِي أَخِيكَ وَخَالِكَ وَجَدِّكَ وَأَهْلِكَ[٨] «وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ»

المبالغ فى النصح لمن لاينتصح أى ربما تنشأ التهمة من اخلاص النصيحة عند من لايقبلها .وصدر البيت

* وكم سقت فى آثاركم من نصيحة * (١) الاستعبار البكاء فقوله يبكى من جهة أنه اصرار على غير الحق وتفريق فى الدين، و يضحك لتهديد من لايهدد (٢) الفيت: وجدت. وناكلين : متأخرين (٣) لبث ـ بتشديد الباء ـ فعل أمر من لبثه إذا استزاد لبثه . أى مكثه ، يريد أمهل . والهيجاء: الحرب . وحمل ـ بالتحريك ـ هو ابن بدر رجل من قشير أغير على ابله فى الجاهلية فاستنقذها وقال :

لبث قليلا يلحق الهيجا حمل   لابأس بالموت إذا الموت نزل

فصار مثلا يضرب للتهديد بالحرب (٤) مرقل : مسرع . والجحفل : الجيش العظيم (٥) صفة لجحفل . والساطع : المنتشر . والقتام ـ بالفتح ـ: الغبار (٦) متسربلين : لابسين لباس الموت كأنهم فى أكفانهم (٧) من ذرارى أهل بدر (٨) أخوه حنظلة

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى أَهْلِ ٱلْبَصْرَةِ)

وَقَدْ كَانَ مِنَ ٱنْتِشَارِ حَبْلِكُمْ وَشِقَاقِكُمْ مَا لَمْ تَغْبَوا عَنْهُ[١] فَعَفَوْتُ عَنْ مُجْرِمِكُمْ، وَرَفَعْتُ ٱلسَّيْفَ عَنْ مُدْبِرِكُمْ، وَقَبِلْتُ مِنْ مُقْبِلِكُمْ. فَإِنْ خَطَتْ بِكُمُ ٱلْأُمُورُ ٱلْمُرْدِيَةُ[٢] وَسَفَهُ ٱلْآرَاءِ ٱلْجَائِرَةِ إِلَى مُنَابَذَتِي وَخِلَافِي فَهَا أَنَاذَا قَدْ قَرَّبْتُ جِيَادِي[٣] وَرَحَلْتُ رِكَابِي، وَلَئِنْ أَلْجَأْتُمُونِي إِلَى ٱلْمَسِيرِ إِلَيْكُمْ لَأُوقِعَنَّ بِكُمْ وَقْعَةً لَا يَكُونُ يَوْمُ ٱلْجَمَلِ إِلَيْهَا إِلَّا كَلُعْقَةِ لَاعِقٍ[٤]، مَعَ أَنِّي عَارِفٌ لِذِي ٱلطَّاعَةِ مِنْكُمْ فَضْلَهُ وَلِذِي ٱلنَّصِيحَةِ حَقَّهُ، غَيْرَ مُتَجَاوِزٍ مُتَّهَماً إِلَى بَرِيءٍ، وَلَا نَاكِثاً إِلَى وَفِيٍّ[٥]

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

فَاتَّقِ ٱللّٰهَ فِيمَا لَدَيْكَ، وَٱنْظُرْ فِي حَقِّهِ عَلَيْكَ، وَٱرْجِعْ إِلَى مَعْرِفَةِ مَا لَا تُعْذَرُ بِجَهَالَتِهِ، فَإِنَّ لِلطَّاعَةِ أَعْلَامًا وَاضِحَةً، وَسُبُلًا نَيِّرَةً، وَمَحَجَّةً نَهْجَةً[٦]

وخاله الوليد بن عتبة وجده عتبة بن ربيعة (١) انتشار الحبل: تفرق طاقاته وانحلال فتله مجاز عن التفرق. وغبا عنه: جهله (٢) خطت: تجاوزت. والمردية: المهلكة. وسفه الآراء: ضعفها. والجائرة: المائلة عن الحق. والمنابذة: المخالفة (٣) قرب خيله أدناها منه ليركبها. ورحل ركابه: شد الرحال عليها. والركاب: الابل (٤) فى السهولة وسرعة الانتهاء. واللعقة اللحسة (٥) الناكث: ناقض عهده (٦) المحجة: الطريق.

وَغَايَةً مَطْلُوبَةً يَرِدُهَا ٱلْأَكْيَاسُ[١] وَيُخَالِفُهَا ٱلْأَنْكَاسُ . مَنْ نَكَبَ عَنْهَا جَارَ عَنِ ٱلْحَقِّ وَخَبَطَ فِي ٱلتِّيهِ[٢] ، وَغَيَّرَ ٱللهُ نِعْمَتَهُ ، وَأَحَلَّ بِهِ نِقْمَتَهُ . فَنَفْسَكَ نَفْسَكَ فَقَدْ بَيَّنَ ٱللهُ لَكَ سَبِيلَكَ . وَحَيْثُ تَنَاهَتْ بِكَ أُمُورُكَ فَقَدْ أَجْرَيْتَ إِلَى غَايَةِ خُسْرٍ وَمَحَلَّةِ كُفْرٍ[٣] ، وَإِنَّ نَفْسَكَ قَدْ أَوْلَجَتْكَ شَرًّا ، وَأَقْحَمَتْكَ غَيًّا[٤] ، وَأَوْرَدَتْكَ ٱلْمَهَالِكَ ، وَأَوْعَرَتْ عَلَيْكَ ٱلْمَسَالِكَ[٥]

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ لِلْحَسَنِ بْنِ عَلِيٍّ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ)

كَتَبَهَا إِلَيْهِ بِحَاضِرِينَ مُنْصَرِفًا مِنْ صِفِّينَ[٦]

مِنَ ٱلْوَالِدِ ٱلْفَانِ . ٱلْمُقِرِّ لِلزَّمَانِ[٧] ، ٱلْمُدْبِرِ ٱلْعُمُرِ ، ٱلْمُسْتَسْلِمِ لِلدَّهْرِ . ٱلذَّامِّ لِلدُّنْيَا ، ٱلسَّاكِنِ مَسَاكِنَ ٱلْمَوْتَى . وَٱلظَّاعِنِ عَنْهَا غَدًا . إِلَى ٱلْمَوْلُودِ ٱلْمُؤَمِّلِ مَا لَا يُدْرِكُ[٨] ، ٱلسَّالِكِ سَبِيلَ مَنْ قَدْ هَلَكَ ، غَرَضِ ٱلْأَسْقَامِ وَرَهِينَةِ ٱلْأَيَّامِ . وَرَمِيَّةِ ٱلْمَصَائِبِ[٩] . وَعَبْدِ ٱلدُّنْيَا . وَتَاجِرِ ٱلْغُرُورِ . وَغَرِيمِ ٱلْمَنَايَا . وَأَسِيرِ ٱلْمَوْتِ . وَحَلِيفِ ٱلْهُمُومِ . وَقَرِينِ

الواضحة . والنهجة : الواضحة كذلك (١) الأكياس العقلاء : جمع كيس ، كسيد والأنكاس : جمع نكس : – بكسر النون – الدنيء الخسيس (٢) نكب : عدل . وجار : مال . وخبط : مشى على غير هداية . والتيه : الضلال (٣) أجريت مطيتك مسرعا الى غاية خسران (٤) أولجتك : أدخلتك . وأقحمتك : رمت بك فى الغى ضد الرشاد (٥) أوعرت : أخشنت وصعبت (٦) حاضرين اسم بلدة فى نواحى صفين (٧) المعترف له بالشدة (٨) يؤمل البقاء وهو مما لا يدركه أحد (٩) هدفها ترمى اليه سهامها . والرهينة

الْأَحْزَانِ . وَنُصْبِ الْآفَاتِ[١] . وَصَرِيعِ الشَّهَوَاتِ ، وَخَلِيفَةِ الْأَمْوَاتِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ فِيمَا تَبَيَّنْتُ مِنْ إِدْبَارِ الدُّنْيَا عَنِّي وَجُمُوحِ الدَّهْرِ عَلَيَّ[٢] وَإِقْبَالِ الْآخِرَةِ إِلَيَّ مَا يَزَعُنِي عَنْ ذِكْرِ مَنْ سِوَايَ[٣] ، وَالِاهْتِمَامِ بِمَا وَرَائِي[٤] ، غَيْرَ أَنِّي حَيْثُ تَفَرَّدَ بِي دُونَ هُمُومِ النَّاسِ هَمُّ نَفْسِي ، فَصَدَفَنِي رَأْيِي وَصَرَفَنِي عَنْ هَوَايَ[٥] ، وَصَرَّحَ لِي مَحْضُ أَمْرِي فَأَفْضَى بِي إِلَى جِدٍّ لَا يَكُونُ فِيهِ لَعِبٌ ، وَصِدْقٍ لَا يَشُوبُهُ كَذِبٌ . وَوَجَدْتُكَ بَعْضِي بَلْ وَجَدْتُكَ كُلِّي حَتَّى كَأَنَّ شَيْئاً لَوْ أَصَابَكَ أَصَابَنِي ، وَكَأَنَّ الْمَوْتَ لَوْ أَتَاكَ أَتَانِي ، فَعَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِينِي مِنْ أَمْرِ نَفْسِي فَكَتَبْتُ إِلَيْكَ[٦] مُسْتَظْهِراً بِهِ إِنْ أَنَا بَقِيتُ لَكَ أَوْ فَنِيتُ

فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ أَيْ بُنَيَّ وَلُزُومِ أَمْرِهِ ، وَعِمَارَةِ قَلْبِكَ بِذِكْرِهِ ، وَالِاعْتِصَامِ بِحَبْلِهِ . وَأَيُّ سَبَبٍ أَوْثَقُ مِنْ سَبَبٍ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ إِنْ أَنْتَ أَخَذْتَ بِهِ ؟

أَحْيِ قَلْبَكَ بِالْمَوْعِظَةِ ، وَأَمِتْهُ بِالزَّهَادَةِ ، وَقَوِّهِ بِالْيَقِينِ ، وَنَوِّرْهُ

المرهونة أى أنه فى قبضتها وحكمها . والرمية ما أصابه السهم (١) من قولهم فلان نصب عينى بالضم أى لا يفارقنى . والصريع : الطريح (٢) جموح الدهر : استعصاؤه وتغلبه (٣) ما مفعول تبينت (٤) من أمر الآخرة (٥) صدفه : صرفه ، والضمير فى صرفنى للرأى . ومحض الأمر : خالصه (٦) مفعول كتب هو قوله فانى أوصيك الخ . وقوله

بِالْحِكْمَةِ ، وَذَلِّلْهُ بِذِكْرِ الْمَوْتِ ، وَقَرِّرْهُ بِالْفَنَاءِ(١) ، وَبَصِّرْهُ فَجَائِعَ الدُّنْيَا ، وَحَذِّرْهُ صَوْلَةَ الدَّهْرِ وَفُحْشَ تَقَلُّبِ اللَّيَالِي وَالْأَيَّامِ ، وَاعْرِضْ عَلَيْهِ أَخْبَارَ الْمَاضِينَ ، وَذَكِّرْهُ بِمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ مِنَ الْأَوَّلِينَ ، وَسِرْ فِي دِيَارِهِمْ وَآثَارِهِمْ فَانْظُرْ فِيمَا فَعَلُوا وَعَمَّا انْتَقَلُوا وَأَيْنَ حَلُّوا وَنَزَلُوا ، فَإِنَّكَ تَجِدُهُمْ قَدِ انْتَقَلُوا عَنِ الْأَحِبَّةِ ، وَحَلُّوا دِيَارَ الْغُرْبَةِ ، وَكَأَنَّكَ عَنْ قَلِيلٍ قَدْ صِرْتَ كَأَحَدِهِمْ . فَأَصْلِحْ مَثْوَاكَ ، وَلَا تَبِعْ آخِرَتَكَ بِدُنْيَاكَ . وَدَعِ الْقَوْلَ فِيمَا لَا تَعْرِفُ وَالْخِطَابَ فِيمَا لَمْ تُكَلَّفْ . وَأَمْسِكْ عَنْ طَرِيقٍ إِذَا خِفْتَ ضَلَالَتَهُ فَإِنَّ الْكَفَّ عِنْدَ حَيْرَةِ الضَّلَالِ خَيْرٌ مِنْ رُكُوبِ الْأَهْوَالِ . وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ تَكُنْ مِنْ أَهْلِهِ ، وَأَنْكِرِ الْمُنْكَرَ بِيَدِكَ وَلِسَانِكَ وَبَايِنْ مَنْ فَعَلَهُ بِجُهْدِكَ(٢) . وَجَاهِدْ فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ وَلَا تَأْخُذْكَ فِي اللَّهِ لَوْمَةُ لَائِمٍ . وَخُضِ الْغَمَرَاتِ لِلْحَقِّ حَيْثُ كَانَ(٣) ، وَتَفَقَّهْ فِي الدِّينِ ، وَعَوِّدْ نَفْسَكَ التَّصَبُّرَ عَلَى الْمَكْرُوهِ وَنِعْمَ الْخُلُقُ التَّصَبُّرُ . وَأَلْجِئْ نَفْسَكَ فِي الْأُمُورِ كُلِّهَا إِلَى إِلَٰهِكَ فَإِنَّكَ تُلْجِئُهَا إِلَى كَهْفٍ حَرِيزٍ(٤) ، وَمَانِعٍ عَزِيزٍ . وَأَخْلِصْ فِي الْمَسْأَلَةِ لِرَبِّكَ فَإِنَّ

مستظهراً به أى مستعينا بما أكتب اليك على ميل قلبك وهوى نفسك (١) اطلب منه الاقرار بالفناء . و بصره أى اجعله بصيراً بالفجائع جمع فجيعة وهى المصيبة تفزع بحلولها (٢) باين أى باعد وجانب الذى يفعل المنكر (٣) الغمرات الشدائد (٤) الكهف

بِيَدِهِ الْعَطَاءَ وَالْحِرْمَانَ ، وَأَكْثِرِ الِاسْتِخَارَةَ[١] وَتَفَهَّمْ وَصِيَّتِي وَلَا تَذْهَبَنَّ عَنْهَا صَفْحًا[٢] فَإِنَّ خَيْرَ الْقَوْلِ مَا نَفَعَ . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي عِلْمٍ لَا يَنْفَعُ ، وَلَا يُنْتَفَعُ بِعِلْمٍ لَا يَحِقُّ تَعَلُّمُهُ[٣]

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي لَمَّا رَأَيْتُنِي قَدْ بَلَغْتُ سِنًّا[٤] ، وَرَأَيْتُنِي أَزْدَادُ وَهْنًا بَادَرْتُ بِوَصِيَّتِي إِلَيْكَ ، وَأَوْرَدْتُ خِصَالًا مِنْهَا قَبْلَ أَنْ يَعْجَلَ بِي أَجَلِي دُونَ أَنْ أُفْضِيَ إِلَيْكَ بِمَا فِي نَفْسِي[٥] ، وَأَنْ أُنْقَصَ فِي رَأْيِي كَمَا نُقِصْتُ فِي جِسْمِي[٦] ، أَوْ يَسْبِقَنِي إِلَيْكَ بَعْضُ غَلَبَاتِ الْهَوَى وَفِتَنِ الدُّنْيَا[٧] ، فَتَكُونَ كَالصَّعْبِ النَّفُورِ . وَإِنَّمَا قَلْبُ الْحَدَثِ كَالْأَرْضِ الْخَالِيَةِ مَا أُلْقِيَ فِيهَا مِنْ شَيْءٍ قَبِلَتْهُ . فَبَادَرْتُكَ بِالْأَدَبِ قَبْلَ أَنْ يَقْسُوَ قَلْبُكَ وَيَشْتَغِلَ لُبُّكَ لِتَسْتَقْبِلَ بِجِدِّ رَأْيِكَ مِنَ الْأَمْرِ مَا قَدْ كَفَاكَ أَهْلُ التَّجَارِبِ بُغْيَتَهُ وَتَجْرِبَتَهُ[٨] ، فَتَكُونَ قَدْ كُفِيتَ مَؤُونَةَ الطَّلَبِ ، وَعُوفِيتَ مِنْ

الملجأ . والحريز : الحافظ (١) الاستخارة اجالة الرأى فى الأمر قبل فعله لاختيار أفضل وجوهه (٢) صفحا أى جانبا أى لا تعرض عنها (٣) لا يحق بكسر الحاء وضمها أى لا يكون من الحق كالسحر ونحوه (٤) أى وصلت النهاية من جهة السن . والوهن : الضعف (٥) أفضى : ألقى اليك (٦) وان أنقص عطف على ان يعجل (٧) أى يسبقى بالاستيلاء على قلبك غلبات الأهواء فلا تتمكن نصيحتى من النفوذ إلى فؤادك فتكون كالفرس الصعب غير المذلل . والنفور ضد الآنس (٨) ليكون جد رأيك أى محققه وثابته مستعداً لقبول الحقائق التى وقف عليها أهل التجارب وكفوك طلبها . والبغية ـ بالكسر ـ : الطلب

عِلَاجِ ٱلتَّجْرِبَةِ ، فَأَتَاكَ مِنْ ذٰلِكَ مَا قَدْ كُنَّا نَأْتِيهِ ، وَٱسْتَبَانَ لَكَ مَا رُبَّمَا أَظْلَمَ عَلَيْنَا مِنْهُ (١)

أَيْ بُنَيَّ إِنِّي وَإِنْ لَمْ أَكُنْ عُمِّرْتُ عُمُرَ مَنْ كَانَ قَبْلِي فَقَدْ نَظَرْتُ فِي أَعْمَالِهِمْ ، وَفَكَّرْتُ فِي أَخْبَارِهِمْ ، وَسِرْتُ فِي آثَارِهِمْ حَتَّى عُدْتُ كَأَحَدِهِمْ . بَلْ كَأَنِّي بِمَا ٱنْتَهَى إِلَيَّ مِنْ أُمُورِهِمْ قَدْ عُمِّرْتُ مَعَ أَوَّلِهِمْ إِلَى آخِرِهِمْ ، فَعَرَفْتُ صَفْوَ ذٰلِكَ مِنْ كَدَرِهِ ، وَنَفْعَهُ مِنْ ضَرَرِهِ ، فَاسْتَخْلَصْتُ لَكَ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ نَخِيلَهُ (٢) وَتَوَخَّيْتُ لَكَ جَمِيلَهُ ، وَصَرَفْتُ عَنْكَ مَجْهُولَهُ ، وَرَأَيْتُ حَيْثُ عَنَانِي مِنْ أَمْرِكَ مَا يَعْنِي ٱلْوَالِدَ ٱلشَّفِيقَ وَأَجْمَعْتُ عَلَيْهِ مِنْ أَدَبِكَ (٣) أَنْ يَكُونَ (٤) ذٰلِكَ وَأَنْتَ مُقْبِلُ ٱلْعُمُرِ وَمُقْتَبَلُ ٱلدَّهْرِ ، ذُو نِيَّةٍ سَلِيمَةٍ وَنَفْسٍ صَافِيَةٍ ، وَأَنْ أَبْتَدِئَكَ بِتَعْلِيمِ كِتَابِ ٱللهِ وَتَأْوِيلِهِ ، وَشَرَائِعِ ٱلْإِسْلَامِ وَأَحْكَامِهِ ، وَحَلَالِهِ وَحَرَامِهِ ، لَا أُجَاوِزُ ذٰلِكَ بِكَ إِلَى غَيْرِهِ (٥) . ثُمَّ أَشْفَقْتُ (٦) أَنْ يَلْتَبِسَ عَلَيْكَ مَا ٱخْتَلَفَ ٱلنَّاسُ فِيهِ مِنْ أَهْوَائِهِمْ وَآرَائِهِمْ مِثْلَ ٱلَّذِي ٱلْتَبَسَ عَلَيْهِمْ (٧) ، فَكَانَ

(١) استبان: ظهر إذا انضم رأيه إلى آراء أهل التجارب فربما يظهر له ما لم يكن ظهر لهم فان رأيه يأتى بأمر جديد لم يكونوا أتوا به (٢) النخيل: المختار المصفى. وتوخيت أى تحريت (٣) أجمعت : عزمت عطف على يعنى الوالد (٤) أن يكون مفعول رأيت (٥) لا أتعدى بك كتاب الله إلى غيره بل أقف بك عنده (٦) أشفقت أى خشيت وخفت (٧) مثل صفة لمفعول مطلق محذوف أى التباسا مثل الذى كان لهم

إِحْكَامُ ذٰلِكَ عَلَى مَا كَرِهْتَ مِنْ تَنْبِيهِكَ لَهُ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِكَ إِلَى أَمْرٍ لَا آمَنُ عَلَيْكَ بِهِ الْهَلَكَةَ[1]. وَرَجَوْتُ أَنْ يُوَفِّقَكَ اللّٰهُ فِيهِ لِرُشْدِكَ، وَأَنْ يَهْدِيَكَ لِقَصْدِكَ، فَعَهِدْتُ إِلَيْكَ وَصِيَّتِي هٰذِهِ

وَاعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ أَحَبَّ مَا أَنْتَ آخِذٌ بِهِ إِلَيَّ مِنْ وَصِيَّتِي تَقْوَى اللّٰهِ وَالِاقْتِصَارُ عَلَى مَا فَرَضَهُ اللّٰهُ عَلَيْكَ، وَالْأَخْذُ بِمَا مَضَى عَلَيْهِ الْأَوَّلُونَ مِنْ آبَائِكَ، وَالصَّالِحُونَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِكَ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَدَعُوا أَنْ نَظَرُوا لِأَنْفُسِهِمْ كَمَا أَنْتَ نَاظِرٌ[2]، وَفَكَّرُوا كَمَا أَنْتَ مُفَكِّرٌ، ثُمَّ رَدَّهُمْ آخِرُ ذٰلِكَ إِلَى الْأَخْذِ بِمَا عَرَفُوا وَالْإِمْسَاكِ عَمَّا لَمْ يُكَلَّفُوا. فَإِنْ أَبَتْ نَفْسُكَ أَنْ تَقْبَلَ ذٰلِكَ دُونَ أَنْ تَعْلَمَ كَمَا عَلِمُوا فَلْيَكُنْ طَلَبُكَ ذٰلِكَ بِتَفَهُّمٍ وَتَعَلُّمٍ، لَا بِتَوَرُّطِ الشُّبُهَاتِ وَعُلُوِّ الْخُصُومَاتِ. وَابْدَأْ قَبْلَ نَظَرِكَ فِي ذٰلِكَ بِالِاسْتِعَانَةِ بِإِلٰهِكَ وَالرَّغْبَةِ إِلَيْهِ فِي تَوْفِيقِكَ وَتَرْكِ كُلِّ شَائِبَةٍ أَوْلَجَتْكَ فِي شُبْهَةٍ[3]، أَوْ أَسْلَمَتْكَ إِلَى ضَلَالَةٍ. فَإِذَا أَيْقَنْتَ أَنْ

---

(١) أى أنك وان كنت تكره أن ينبهك أحد لما ذكرت لك فانى أعد اتقان التنبيه على كراهتك له أحب إلى من اسلامك أى القائك إلى أمر تخشى عليك به الهلكة

(٢) لم يتركوا النظر لأنفسهم فى أول أمرهم بعين لا ترى نقصا ولا تحذر خطراً ثم ردتهم آلام التجربة إلى الأخذ بما عرفوا حسن عاقبته وامساك أنفسهم عن عمل لم يكلفهم الله اتيانه (٣) الشائبة ما يشوب الفكر من شك وحيرة. وأولجتك: أدخلتك

قَدْ صفَا قلبُكَ فخشعَ ، وتمَّ رأيُكَ فاجتمعَ ، وكانَ همُّكَ في ذلِكَ همًّا وَاحِدًا فانظُرْ فيما فسَّرْتُ لكَ . وإنْ أنتَ لمْ يجتمعْ لكَ ما تُحبُّ مِنْ نفسِكَ ، وفراغِ نظرِكَ وفكرِكَ فاعلمْ أنَّكَ إنَّمَا تخبطُ الْعشواءَ[1] ، وتتورَّطُ الظَّلْماءَ . وليسَ طالبُ الدِّينِ مَنْ خبطَ أوْ خلطَ، والإمساكُ عنْ ذلِكَ أمثلُ[2]

فتفهَّمْ يابُنيَّ وصيَّتِي ، واعلمْ أنَّ مالِكَ الْموْتِ هُوَ مالِكُ الْحياةِ ، وأنَّ الْخالِقَ هُوَ الْمُميتُ ، وأنَّ الْمُفْنِيَ هُوَ الْمُعيدُ، وأنَّ الْمُبْتَلِيَ هُوَ الْمُعافِي ، وأنَّ الدُّنيا لمْ تكُنْ لِتَسْتقِرَّ إلَّا علَى مَا جعلَهَا اللهُ عليْهِ مِنَ النَّعماءِ[3] ، والابتلاءِ ، والْجزاءِ فِي الْمعادِ أوْ ما شاءَ مِمَّا لا نعلمُ ، فإنْ أشكلَ عليْكَ شيْءٌ مِنْ ذلِكَ فاحملْهُ علَى جهالَتِكَ بِهِ فإنَّكَ أوَّلُ مَا خُلِقْتَ خُلِقْتَ جاهِلًا ثُمَّ علِمْتَ . وما أكثرَ ما تجهلُ مِنَ الأمْرِ ويتحيَّرُ فِيهِ رأيُكَ ويضِلُّ فِيهِ بصرُكَ ، ثُمَّ تُبْصِرُهُ بعْدَ ذلِكَ . فاعتصِمْ بالَّذِي خلقَكَ

---

(١) العشواء الضعيفة البصر أى تخبط خبط الناقة العشواء لا تأمن أن تسقط فيما لا خلاص منه. وتورط الأمر: دخل فيه على صعوبة فى التخلص منه (٢) حبس النفس عن الخلط والخبط فى الدين أحسن (٣) لا تثبت الدنيا إلا على ما أودع الله فى طبيعتها من التلون بالنعماء تارة والاختبار بالبلاء تارة وإعقابها للجزاء فى المعاد يوم القيامة على الخير خيراً وعلى الشر شراً.

وَرَزَقَك وَسَوَّاكَ ، وَلْيَكُنْ لَهُ تَعَبُّدُكَ وَإِلَيْهِ رَغْبَتُكَ وَمِنْهُ شَفَقَتُكَ (١)

وَاعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ أَحَدًا لَمْ يُنْبِئْ عَنِ اللهِ كَمَا أَنْبَأَ عَنْهُ الرَّسُولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَارْضَ بِهِ رَائِدًا (٢) . وَإِلَى النَّجَاةِ قَائِدًا ، فَإِنِّي لَمْ آلُكَ نَصِيحَةً (٣) . وَإِنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ فِي النَّظَرِ لِنَفْسِكَ ـ وَإِنِ اجْتَهَدْتَ ـ مَبْلَغَ نَظَرِي لَكَ

وَاعْلَمْ يَا بُنَيَّ أَنَّهُ لَوْ كَانَ لِرَبِّكَ شَرِيكٌ لَأَتَتْكَ رُسُلُهُ ، وَلَرَأَيْتَ آثَارَ مُلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ ، وَلَعَرَفْتَ أَفْعَالَهُ وَصِفَاتِهِ ، وَلَكِنَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ كَمَا وَصَفَ نَفْسَهُ . لَا يُضَادُّهُ فِي مُلْكِهِ أَحَدٌ ، وَلَا يَزُولُ أَبَدًا . وَلَمْ يَزَلْ أَوَّلَ قَبْلَ الْأَشْيَاءِ بِلَا أَوَّلِيَّةٍ (٤) ، وَآخِرَ بَعْدَ الْأَشْيَاءِ بِلَا نِهَايَةٍ . عَظُمَ عَنْ أَنْ تَثْبُتَ رُبُوبِيَّتُهُ بِإِحَاطَةِ قَلْبٍ أَوْ بَصَرٍ . فَإِذَا عَرَفْتَ ذَلِكَ فَافْعَلْ كَمَا يَنْبَغِي لِمِثْلِكَ أَنْ يَفْعَلَهُ فِي صِغَرِ خَطَرِهِ (٥) ، وَقِلَّةِ مَقْدِرَتِهِ ، وَكَثْرَةِ عَجْزِهِ ، وَعَظِيمِ حَاجَتِهِ إِلَى رَبِّهِ فِي طَلَبِ طَاعَتِهِ ، وَالرَّهْبَةِ مِنْ عُقُوبَتِهِ ، وَالشَّفَقَةِ مِنْ سُخْطِهِ . فَإِنَّهُ لَمْ يَأْمُرْكَ إِلَّا بِحَسَنٍ وَلَمْ يَنْهَكَ إِلَّا عَنْ قَبِيحٍ

---

(١) شفقتك أي خوفك (٢) الرائد من ترسله في طلب الكلأ ليتعرف موقعه. والرسول قد عرف عن الله وأخبرنا فهو رائد سعادتنا (٣) لم أقصر في نصيحتك (٤) فهو أول بالنسبة إلى الأشياء لكونه قبلها إلا أنه لا أولية أي لا ابتداء له (٥) خطره أي قدره

يَا بُنَيَّ إِنِّي قَدْ أَنْبَأْتُكَ عَنِ الدُّنْيَا وَحَالِهَا وَزَوَالِهَا وَانْتِقَالِهَا، وَأَنْبَأْتُكَ عَنِ الْآخِرَةِ وَمَا أُعِدَّ لِأَهْلِهَا فِيهَا، وَضَرَبْتُ لَكَ فِيهِمَا الْأَمْثَالَ لِتَعْتَبِرَ بِهَا وَتَحْذُوَ عَلَيْهَا. إِنَّمَا مَثَلُ مَنْ خَبَرَ الدُّنْيَا(١) كَمَثَلِ قَوْمٍ سَفْرٍ نَبَا بِهِمْ مَنْزِلٌ جَدِيبٌ فَأَمُّوا مَنْزِلاً خَصِيباً وَجَنَاباً مَرِيعاً، فَاحْتَمَلُوا وَعْثَاءَ الطَّرِيقِ(٢) وَفِرَاقَ الصَّدِيقِ، وَخُشُونَةَ السَّفَرِ، وَجُشُوبَةَ الْمَطْعَمِ لِيَأْتُوا سَعَةَ دَارِهِمْ وَمَنْزِلَ قَرَارِهِمْ، فَلَيْسَ يَجِدُونَ لِشَيْءٍ مِنْ ذٰلِكَ أَلَماً، وَلَا يَرَوْنَ نَفَقَةً مَغْرَماً، وَلَا شَيْءَ أَحَبُّ إِلَيْهِمْ مِمَّا قَرَّبَهُمْ مِنْ مَنْزِلِهِمْ، وَأَدْنَاهُمْ مِنْ مَحَلِّهِمْ

وَمَثَلُ مَنِ اغْتَرَّ بِهَا كَمَثَلِ قَوْمٍ كَانُوا بِمَنْزِلٍ خَصِيبٍ فَنَبَا بِهِمْ إِلَى مَنْزِلٍ جَدِيبٍ، فَلَيْسَ شَيْءٌ أَكْرَهَ إِلَيْهِمْ وَلَا أَفْظَعَ عِنْدَهُمْ مِنْ مُفَارَقَةِ مَا كَانُوا فِيهِ إِلَى مَا يَهْجُمُونَ عَلَيْهِ(٣) وَيَصِيرُونَ إِلَيْهِ

يَا بُنَيَّ اجْعَلْ نَفْسَكَ مِيزَاناً فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ غَيْرِكَ، فَأَحْبِبْ لِغَيْرِكَ مَا تُحِبُّ لِنَفْسِكَ، وَاكْرَهْ لَهُ مَا تَكْرَهُ لَهَا، وَلَا تَظْلِمْ كَمَا لَا تُحِبُّ أَنْ تُظْلَمَ، وَأَحْسِنْ كَمَا تُحِبُّ أَنْ يُحْسَنَ إِلَيْكَ. وَاسْتَقْبِحْ مِنْ نَفْسِكَ

---

(١) خبر الدنيا: عرفها كما هي بامتحان أحوالها. والسفر ـ بفتح فسكون ـ: المسافرون. ونبا المنزل بأهله: لم يوافقهم المقام فيه لوخامته. والجديب: المقحط لا خير فيه. وأموا: قصدوا. والجناب: الناحية. والمريع ـ بفتح فكسر ـ: كثير العشب (٢) وعثاء السفر: مشقته. والجشوبة ـ بضم الجيم ـ: الغلظ، أو كون الطعام بلا أدم (٣) هجم عليه: انتهى اليه بغتة

مَا تَسْتَقْبِحُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَارْضَ مِنَ النَّاسِ بِمَا تَرْضَاهُ لَهُمْ مِنْ نَفْسِكَ[١]. وَلَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ وَإِنْ قَلَّ مَا تَعْلَمُ ، وَلَا تَقُلْ مَا لَا تُحِبُّ أَنْ يُقَالَ لَكَ

وَاعْلَمْ أَنَّ الْإِعْجَابَ ضِدُّ الصَّوَابِ وَآفَةُ الْأَلْبَابِ[٢] . فَاسْعَ فِي كَدْحِكَ[٣] وَلَا تَكُنْ خَازِناً لِغَيْرِكَ[٤] . وَإِذَا أَنْتَ هُدِيتَ لِقَصْدِكَ فَكُنْ أَخْشَعَ مَا تَكُونُ لِرَبِّكَ

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ طَرِيقاً ذَا مَسَافَةٍ بَعِيدَةٍ[٥] وَمَشَقَّةٍ شَدِيدَةٍ . وَأَنَّهُ لَا غِنَى لَكَ فِيهِ عَنْ حُسْنِ الِارْتِيَادِ[٦] . قَدِّرْ بَلَاغَكَ مِنَ الزَّادِ مَعَ خِفَّةِ الظَّهْرِ . فَلَا تَحْمِلَنَّ عَلَى ظَهْرِكَ فَوْقَ طَاقَتِكَ فَيَكُونَ ثِقْلُ ذٰلِكَ وَبَالًا عَلَيْكَ . وَإِذَا وَجَدْتَ مِنْ أَهْلِ الْفَاقَةِ مَنْ يَحْمِلُ لَكَ زَادَكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ فَيُوَافِيكَ بِهِ غَداً حَيْثُ تَحْتَاجُ إِلَيْهِ فَاغْتَنِمْهُ وَحَمِّلْهُ إِيَّاهُ[٧] . وَأَكْثِرْ مِنْ تَزْوِيدِهِ وَأَنْتَ قَادِرٌ عَلَيْهِ فَلَعَلَّكَ تَطْلُبُهُ فَلَا تَجِدُهُ . وَاغْتَنِمْ مَنِ اسْتَقْرَضَكَ

---

(١) اذا عاملوك بمثل ماتعاملهم فارض بذلك ولا تطلب منهم أزيد مما تقدم لهم (٢) الاعجاب: استحسان مايصدر عن النفس مطلقاً وهو خلق من أعظم الأخلاق مصيبة على صاحبه، ومن أشد الآفات ضرراً لقلبه (٣) الكدح: أشد السعي (٤) لاتحرص على جمع المال ليأخذه الوارثون بعدك بل انفق فيما يجلب رضاء الله عنك (٥) هو طريق السعادة الأبدية (٦) الارتياد: الطلب. وحسنه: اتيانه من وجهه . والبلاغ ـ بالفتح ـ : الكفاية (٧) الفاقة: الفقر ، واذا أسعفت الفقراء بالمال كان أجر الاسعاف وثوابه ذخيرة تنالها فى القيامة، فكأنهم حملوا عنك زاداً يبلغك موطن سعادتك يؤدونه اليك وقت الحاجة. وهذا الكلام من أفصح ما قيل فى الحث

فِي حَالِ غِنَاكَ لِيَجْعَلَ قَضَاءهُ لَكَ فِي يَوْمِ عُسْرَتِكَ

وَاعْلَمْ أَنَّ أَمَامَكَ عقبةً كَؤُودًا[١]، الْمُخِفُّ فِيهَا أَحْسَنُ حَالًا مِنَ الْمُثْقِلِ، وَالْمُبْطِئُ عَلَيْهَا أَقْبَحُ حَالًا مِنَ الْمُسْرِعِ، وَأَنَّ مَهْبِطَكَ بِهَا لَا مَحَالَةَ عَلَى جَنَّةٍ أَوْ عَلَى نَارٍ. فَارْتَدْ لِنَفْسِكَ قَبْلَ نُزُولِكَ[٢] وَوَطِّئِ الْمَنْزِلَ قَبْلَ حُلُولِكَ، فَلَيْسَ بَعْدَ الْمَوْتِ مُسْتَعْتَبٌ[٣]، وَلَا إِلَى الدُّنْيَا مُنْصَرَفٌ.

وَاعْلَمْ أَنَّ الَّذِي بِيَدِهِ خَزَائِنُ السَّمٰوَاتِ وَالْأَرْضِ قَدْ أَذِنَ لَكَ فِي الدُّعَاءِ وَتَكَفَّلَ لَكَ بِالْإِجَابَةِ، وَأَمَرَكَ أَنْ تَسْأَلَهُ لِيُعْطِيَكَ وَتَسْتَرْحِمَهُ لِيَرْحَمَكَ، وَلَمْ يَجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَنْ يَحْجُبُهُ عَنْكَ، وَلَمْ يُلْجِئْكَ إِلَى مَنْ يَشْفَعُ لَكَ إِلَيْهِ، وَلَمْ يَمْنَعْكَ إِنْ أَسَأْتَ مِنَ التَّوْبَةِ، وَلَمْ يُعَاجِلْكَ بِالنِّقْمَةِ، وَلَمْ يُعَيِّرْكَ بِالْإِنَابَةِ[٤] وَلَمْ يَفْضَحْكَ حَيْثُ الْفَضِيحَةُ بِكَ أَوْلَى، وَلَمْ يُشَدِّدْ عَلَيْكَ فِي قَبُولِ الْإِنَابَةِ، وَلَمْ يُنَاقِشْكَ بِالْجَرِيمَةِ، وَلَمْ يُؤْيِسْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ. بَلْ جَعَلَ نُزُوعَكَ عَنِ الذَّنْبِ حَسَنَةً[٥]، وَحَسَبَ سَيِّئَتَكَ وَاحِدَةً، وَحَسَبَ

---

(١) صعبة المرتقى. والمخف - بضم فكسر -: الذى خفف حمله، والمثقل بعكسه، وهو من أثقل ظهره بالأوزار (٢) ابعث رائداً من طيبات الأعمال توقفك على الصدقة به على جودة المنزل (٣) المستعتب والمنصرف مصدران، والاستعتاب: الاسترضاء، ولا انصراف إلى الدنيا بعد الموت حتى يمكن استرضاء الله بعد اغضابه باستئناف العمل (٤) الانابة: الرجوع إلى الله، والله لايعير الراجع إليه برجوعه (٥) نزوعك: رجوعك

حَسَنَتَكَ عَشْرًا، وَفَتَحَ لَكَ بَابَ الْمَتَابِ. فَإِذَا نَادَيْتَهُ سَمِعَ نِدَاءَكَ، وَإِذَا نَاجَيْتَهُ عَلِمَ نَجْوَاكَ[١] فَأَفْضَيْتَ إِلَيْهِ بِحَاجَتِكَ[٢]، وَأَبْثَثْتَهُ ذَاتَ نَفْسِكَ، وَشَكَوْتَ إِلَيْهِ هُمُومَكَ، وَاسْتَكْشَفْتَهُ كُرُوبَكَ[٣]، وَاسْتَعَنْتَهُ عَلَى أُمُورِكَ، وَسَأَلْتَهُ مِنْ خَزَائِنِ رَحْمَتِهِ مَا لَا يَقْدِرُ عَلَى إِعْطَائِهِ غَيْرُهُ مِنْ زِيَادَةِ الْأَعْمَارِ وَصِحَّةِ الْأَبْدَانِ وَسَعَةِ الْأَرْزَاقِ. ثُمَّ جَعَلَ فِي يَدَيْكَ مَفَاتِيحَ خَزَائِنِهِ بِمَا أَذِنَ لَكَ مِنْ مَسْأَلَتِهِ، فَمَتَى شِئْتَ اسْتَفْتَحْتَ بِالدُّعَاءِ أَبْوَابَ نِعْمَتِهِ، وَاسْتَمْطَرْتَ شَآبِيبَ رَحْمَتِهِ[٤]. فَلَا يُقَنِّطَنَّكَ إِبْطَاءُ إِجَابَتِهِ[٥] فَإِنَّ الْعَطِيَّةَ عَلَى قَدْرِ النِّيَّةِ. وَرُبَّمَا أُخِّرَتْ عَنْكَ الْإِجَابَةُ لِيَكُونَ ذَلِكَ أَعْظَمَ لِأَجْرِ السَّائِلِ وَأَجْزَلَ لِعَطَاءِ الْآمِلِ. وَرُبَّمَا سَأَلْتَ الشَّيْءَ فَلَا تُؤْتَاهُ وَأُوتِيتَ خَيْرًا مِنْهُ عَاجِلًا أَوْ آجِلًا، أَوْ صُرِفَ عَنْكَ لِمَا هُوَ خَيْرٌ لَكَ. فَلَرُبَّ أَمْرٍ قَدْ طَلَبْتَهُ فِيهِ هَلَاكُ دِينِكَ لَوْ أُوتِيتَهُ. فَلْتَكُنْ مَسْأَلَتُكَ فِيمَا يَبْقَى لَكَ جَمَالُهُ وَيُنْفَى عَنْكَ وَبَالُهُ. فَالْمَالُ لَا يَبْقَى لَكَ وَلَا تَبْقَى لَهُ

وَاعْلَمْ أَنَّكَ إِنَّمَا خُلِقْتَ لِلْآخِرَةِ لَا لِلدُّنْيَا، وَلِلْفَنَاءِ لَا لِلْبَقَاءِ،

---

(١) المناجاة: المكالمة سراً. والله يعلم السر كما يعلم العلن (٢) أفضيت: ألقيت. وأبثثته: كاشفته. وذات النفس: حالتها (٣) طلب كشفها (٤) الشؤبوب ـ بالضم ـ: الدفعة من المطر، وما أشبه رحمة الله بالمطر ينزل على الأرض الموات فيحييها، وما أشبه نوباتها بدفعات المطر (٥) القنوط: اليأس

وَلِلْمَوْتِ لَا لِلْحَيَاةِ ، وَأَنَّكَ فِي مَنْزِلِ قُلْعَةٍ[١] وَدَارِ بُلْغَةٍ ، وَطَرِيقٍ إِلَى الْآخِرَةِ ، وَأَنَّكَ طَرِيدُ الْمَوْتِ الَّذِي لَا يَنْجُو مِنْهُ هَارِبُهُ ، وَلَا بُدَّ أَنَّهُ مُدْرِكُهُ ، فَكُنْ مِنْهُ عَلَى حَذَرٍ أَنْ يُدْرِكَكَ وَأَنْتَ عَلَى حَالٍ سَيِّئَةٍ قَدْ كُنْتَ تُحَدِّثُ نَفْسَكَ مِنْهَا بِالتَّوْبَةِ فَيَحُولَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ ذَلِكَ ، فَإِذَا أَنْتَ قَدْ أَهْلَكْتَ نَفْسَكَ

يَا بُنَيَّ أَكْثِرْ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ وَذِكْرِ مَا تَهْجُمُ عَلَيْهِ وَتُفْضِي بَعْدَ الْمَوْتِ إِلَيْهِ حَتَّى يَأْتِيَكَ وَقَدْ أَخَذْتَ مِنْهُ حِذْرَكَ[٢] ، وَشَدَدْتَ لَهُ أَزْرَكَ ، وَلَا يَأْتِيَكَ بَغْتَةً فَيَبْهَرَكَ[٣] . وَإِيَّاكَ أَنْ تَغْتَرَّ بِمَا تَرَى مِنْ إِخْلَادِ أَهْلِ الدُّنْيَا إِلَيْهَا[٤] ، وَتَكَالُبِهِمْ عَلَيْهَا ، فَقَدْ نَبَّأَكَ اللهُ عَنْهَا ، وَنَعَتْ لَكَ نَفْسَهَا[٥] ، وَتَكَشَّفَتْ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهَا ، فَإِنَّمَا أَهْلُهَا كِلَابٌ عَاوِيَةٌ ، وَسِبَاعٌ ضَارِيَةٌ ، يَهِرُّ بَعْضُهَا بَعْضًا[٦] ، وَيَأْكُلُ عَزِيزُهَا ذَلِيلَهَا ، وَيَقْهَرُ

---

(١) قلعة ـ بضم القاف وسكون اللام، و بضمتين، وبضم ففتح، يقال منزل قلعة أي لا يملك لنازله، أو لا يدري متى ينتقل عنه. و البلغة : الكفاية أي دار تؤخذ منها الكفاية للآخرة
(٢) الحذر ـ بالكسر ـ الاحتراز والاحتراس. والازر ـ بالفتح ـ: القوة (٣) بهر ـ كمنع ـ: غلب، أي يغلبك على أمرك (٤) اخلاد أهل الدنيا: سكونهم اليها. والتكالب : التواثب
(٥) نعاه : أخبر بموته. والدنيا تخبر بحالها عن فنائها (٦) ضارية: مولعة بالافتراس. يهر ـ بكسر الهاء وضمها ـ: أي يعقت و يكره بعضها بعضاً

كَبِيرُهَا صَغِيرَهَا . نَعَمٌ مُعَقَّلَةٌ[١] ، وَأُخْرَى مُهْمَلَةٌ قَدْ أَضَلَّتْ عُقُولَهَا[٢] وَرَكِبَتْ مَجْهُولَهَا ، سُرُوحُ عَاهَةٍ[٣] بِوَادٍ وَعْثٍ . لَيْسَ لَهَا رَاعٍ يُقِيمُهَا ، وَلَا مُقِيمٌ يُسِيمُهَا[٤] . سَلَكَتْ بِهِمُ الدُّنْيَا طَرِيقَ الْعَمَى ، وَأَخَذَتْ بِأَبْصَارِهِمْ عَنْ مَنَارِ الْهُدَى ، فَتَاهُوا فِي حَيْرَتِهَا ، وَغَرِقُوا فِي نِعْمَتِهَا ، وَاتَّخَذُوهَا رَبًّا فَلَعِبَتْ بِهِمْ وَلَعِبُوا بِهَا وَنَسُوا مَا وَرَاءَهَا

رُوَيْدًا يُسْفِرُ الظَّلَامُ[٥] . كَأَنْ قَدْ وَرَدَتِ الْأَظْعَانُ[٦] . يُوشِكُ مَنْ أَسْرَعَ أَنْ يَلْحَقَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ كَانَتْ مَطِيَّتُهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ فَإِنَّهُ يُسَارُ بِهِ وَإِنْ كَانَ وَاقِفًا ، وَيَقْطَعُ الْمَسَافَةَ وَإِنْ كَانَ مُقِيمًا وَادِعًا[٧]

وَاعْلَمْ يَقِينًا أَنَّكَ لَنْ تَبْلُغَ أَمَلَكَ وَلَنْ تَعْدُوَ أَجَلَكَ ، وَأَنَّكَ فِي سَبِيلِ مَنْ كَانَ قَبْلَكَ . فَخَفِّضْ فِي الطَّلَبِ[٨] ، وَأَجْمِلْ فِي الْمُكْتَسَبِ فَإِنَّهُ

---

(١) عقل البعير ـ بالتشديد ـ : شد وظيفه الى ذراعه. والنعم ـ بالتحريك ـ : الابل، أى ابل منعها عن الشر عقالها وهم الضعفاء ، وأخرى مهملة تأتى من السوء ماتشاء وهم الأقوياء (٢) أضلت : أضاعت عقولها وركبت طريقها المجهول لها (٣) السروح ـ بالضم ـ : جمع سرح بفتح فسكون وهو المال السائم من ابل ونحوها. والعاهة: الآفة ، أى أنهم يسرحون لرعى الآفات وادى المتاعب . والوعث : الرخو يصعب السير فيه (٤) أسام الدابة: سرحها إلى المرعى (٥) يسفر أى يكشف ظلام الجهل عما خفى من الحقيقة عند انجلاء الغفلة بحلول المنية (٦) الأظعان ـ جمع ظعينة ـ : وهو الهودج تركب فيه المرأة ، عبر به عن المسافرين فى طريق الدنيا الى الآخرة كأن حالهم أن وردوا على غاية سيرهم (٧) الوادع : الساكن المستريح (٨) خفض: أمر من خفض ـ بالتشديد ـ أى رفق. وأجمل فى كسبه، أى سعى سعياً جميلا لايحرص فيمنع الحق ولايطمع فيتناول ما ليس بحق

رُبَّ طَلَبٍ قَدْ جَرَّ إِلَى حَرَبٍ[١]. فَلَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ بِمَرْزُوقٍ، وَلَا كُلُّ مُجْمِلٍ بِمَحْرُومٍ. وَأَكْرِمْ نَفْسَكَ عَنْ كُلِّ دَنِيَّةٍ وَإِنْ سَاقَتْكَ إِلَى الرَّغَائِبِ فَإِنَّكَ لَنْ تَعْتَاضَ بِمَا تَبْذُلُ مِنْ نَفْسِكَ عِوَضًا[٢]، وَلَا تَكُنْ عَبْدَ غَيْرِكَ وَقَدْ جَعَلَكَ اللّهُ حُرًّا. وَمَا خَيْرُ خَيْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِشَرٍّ[٣]، وَيُسْرٍ لَا يُنَالُ إِلَّا بِعُسْرٍ[٤]

وَإِيَّاكَ أَنْ تُوجِفَ بِكَ مَطَايَا الطَّمَعِ[٥] فَتُورِدَكَ مَنَاهِلَ الْهَلَكَةِ. وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَكُونَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ ذُو نِعْمَةٍ فَافْعَلْ. فَإِنَّكَ مُدْرِكٌ قِسْمَكَ وَآخِذٌ سَهْمَكَ. وَإِنَّ الْيَسِيرَ مِنَ اللّهِ سُبْحَانَهُ أَعْظَمُ وَأَكْرَمُ مِنَ الْكَثِيرِ مِنْ خَلْقِهِ وَإِنْ كَانَ كُلٌّ مِنْهُ

وَتَلَافِيكَ مَا فَرَطَ مِنْ صَمْتِكَ أَيْسَرُ مِنْ إِدْرَاكِكَ مَا فَاتَ مِنْ مَنْطِقِكَ[٦]، وَحِفْظُ مَا فِي الْوِعَاءِ بِشَدِّ الْوِكَاءِ. وَحِفْظُ مَا فِي يَدَيْكَ أَحَبُّ

---

(١) الحرب ـ بالتحريك ـ : سلب المال (٢) ان رغائب المال انما تطلب لصون النفس عن الابتذال، فلو بذل باذل نفسه لتحصيل المال فقد ضيع ماهو المقصود من المال فكان جمع المال عبثا ولاعوض لماضيع (٣) يريد أى خير فى شىء سماه الناس خيراً وهو مما لا يناله الانسان الا بالشر، فان كان طريقه شراً فكيف يكون هو خيراً (٤) ان العسر الذى يخشاه الانسان هو ما يضطره لرذيل الفعال فهو يسعى كل جهده ليتحامى الوقوع فيه فان جعل الرذائل وسيلة لكسب اليسر أى السعة فقد وقع أول الأمر فيما يهرب منه فا الفائدة فى يسره وهو لا يحميه من النقيصة (٥) توجف: تسرع. والمناهل ما ترده الابل ونحوها للشرب (٦) التلافى: التدارك لاصلاح مافسد أو كاد.

إِلَيَّ مِنْ طَلَبِ مَا فِي يَدِ غَيْرِكَ[١] . وَمَرَارَةُ الْيَأْسِ خَيْرٌ مِنَ الطَّلَبِ إِلَى النَّاسِ . وَالْحِرْفَةُ مَعَ الْعِفَّةِ خَيْرٌ مِنَ الْغِنَى مَعَ الْفُجُورِ . وَالْمَرْءُ أَحْفَظُ لِسِرِّهِ[٢] . وَرُبَّ سَاعٍ فِيمَا يَضُرُّهُ[٣] . مَنْ أَكْثَرَ أَهْجَرَ[٤] . وَمَنْ تَفَكَّرَ أَبْصَرَ . قَارِنْ أَهْلَ الْخَيْرِ تَكُنْ مِنْهُمْ . وَبَايِنْ أَهْلَ الشَّرِّ تَبِنْ عَنْهُمْ . بِئْسَ الطَّعَامُ الْحَرَامُ . وَظُلْمُ الضَّعِيفِ أَفْحَشُ الظُّلْمِ . إِذَا كَانَ الرِّفْقُ خُرْقاً كَانَ الْخُرْقُ رِفْقاً[٥] . رُبَّمَا كَانَ الدَّوَاءُ دَاءً وَالدَّاءُ دَوَاءً . وَرُبَّمَا نَصَحَ غَيْرُ النَّاصِحِ وَغَشَّ الْمُسْتَنْصَحُ[٦] . وَإِيَّاكَ وَاتِّكَالَكَ عَلَى الْمُنَى فَإِنَّهَا بَضَائِعُ الْمَوْتَى[٧] ، وَالْعَقْلُ حِفْظُ التَّجَارِبِ . وَخَيْرُ مَا جَرَّبْتَ

ومافرط أى قصر عن افادة الغرض أو انالة الوطر . وادراك مافات هو اللحاق بهلأجل استرجاعه، وفات أى سبق إلى غيرصواب وسابق الكلام لايدرك فيسترجع بخلاف مقصر السكوت فسهل تداركه، و إنما يحفظ الماء فى القربة مثلا بشد وكائها أى رباطها ، و إن لم يشد الوكاء صب ما فى الوعاء ولم يمكن إرجاعه فكذلك اللسان (١) ارشاد للاقتصاد فى المال (٢) فالأولى عدم اباحته لشخص آخر والا فشا (٣) قد يسعى الانسان بقصد فائدته فينقلب سعيه بالضرر عليه لجهله أو سوء قصده (٤) أهجر إهجاراً وهجراً بالضم : هذا فى كلامه. وكثير الكلام لايخلو من الاهجار (٥) إذا كان المقام يلزمه العنف فيكون إبداله بالرفق عنفاً ويكون العنف من الرفق ، وذلك كمقام التأديب و إجراء الحدود مثلا. والخرق ـ بالضم ـ: العنف (٦) المستنصح ـ اسم مفعول ـ: المطلوب منه النصح فيلزم التفكر والتروى فى جميع الأحوال لئلا يروج غش أو تنبذ نصيحة (٧) المنى : جمع منية ـ بضم فسكون ـ مايتمناه الشخص لنفسه و يعلل نفسه باحتمال الوصول إليه، وهى بضائع الموتى لأن المتجر بها يموت ولا يصل إلى شىء ، فان تمنيت فاعمل

مَا وَعَظَكَ(١) . بَادِرِ الْفُرْصَةَ قَبْلَ أَنْ تَكُونَ غُصَّةً . لَيْسَ كُلُّ طَالِبٍ يُصِيبُ ، وَلَا كُلُّ غَائِبٍ يَؤُوبُ . وَمِنَ الْفَسَادِ إِضَاعَةُ الزَّادِ(٢) وَمَفْسَدَةُ الْمَعَادِ . وَلِكُلِّ أَمْرٍ عَاقِبَةٌ . سَوْفَ يَأْتِيكَ مَا قُدِّرَ لَكَ . التَّاجِرُ مُخَاطِرٌ . وَرُبَّ يَسِيرٍ أَنْمَى مِنْ كَثِيرٍ . لَا خَيْرَ فِي مُعِينٍ مَهِينٍ(٣) وَلَا فِي صَدِيقٍ ظَنِينٍ . سَاهِلِ الدَّهْرَ مَا ذَلَّ لَكَ قَعُودُهُ(٤) . وَلَا تُخَاطِرْ بِشَيْءٍ رَجَاءَ أَكْثَرَ مِنْهُ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَجْمَحَ بِكَ مَطِيَّةُ اللَّجَاجِ(٥) . احْمِلْ نَفْسَكَ مِنْ أَخِيكَ عِنْدَ صَرْمِهِ عَلَى الصِّلَةِ(٦) ، وَعِنْدَ صُدُودِهِ عَلَى اللَّطَفِ وَالْمُقَارَبَةِ ، وَعِنْدَ جُمُودِهِ عَلَى الْبَذْلِ(٧) ، وَعِنْدَ تَبَاعُدِهِ عَلَى الدُّنُوِّ ، وَعِنْدَ شِدَّتِهِ عَلَى اللِّينِ ، وَعِنْدَ جُرْمِهِ عَلَى الْعُذْرِ حَتَّى كَأَنَّكَ لَهُ عَبْدٌ وَكَأَنَّهُ ذُو نِعْمَةٍ عَلَيْكَ . وَإِيَّاكَ أَنْ تَضَعَ ذَلِكَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ بِغَيْرِ

لأمنيتك (١) أفضل التجربة مازجرت عن سيئة وحلت على حسنة وذلك الموعظة (٢) زاد الصالحات والتقوى ، أو المراد إضاعة المال مع مفسدة المعاد بالاسراف فى الشهوات وهو أظهر (٣) مهين إما بفتح الميم بمعنى حقير فان الحقير لايصلح لأن يكون معيناً، أو بضمها بمعنى فاعل الاهانة فيعينك ويهينك فيفسد مايصلح . والظنين بالظاء. المتهم : وبالضاد البخيل (٤) القعود بالفتح من الابل مايقتعده الراعى فى كل حاجته، ويقال للبكر إلى أن يثنى وللفصيل، أى ساهل الدهر مادام منقاداً وخذ حظك من قياده (٥) اللجاج -بالفتح-: الخصومة أى أحذرك من أن تغلبك الخصومات فلا تملك نفسك من الوقوع فى مضارها (٦) صرمه: قطيعته، أى الزم نفسك بصلة صديقك إذا قطعك الخ (٧) جموده : بخله

أَهْلِهِ . لَا تَتَّخِذَنَّ عَدُوَّ صَدِيقِكَ صَدِيقاً فَتُعَادِيَ صَدِيقَكَ . وَامْحَضْ أَخَاكَ النَّصِيحَةَ حَسَنَةً كَانَتْ أَوْ قَبِيحَةً . وَتَجَرَّعِ الْغَيْظَ فَإِنِّي لَمْ أَرَ جُرْعَةً أَحْلَى مِنْهَا عَاقِبَةً وَلَا أَلَذَّ مَغَبَّةً(١) . وَلِنْ لِمَنْ غَالَظَكَ(٢) فَإِنَّهُ يُوشِكُ أَنْ يَلِينَ لَكَ . وَخُذْ عَلَى عَدُوِّكَ بِالْفَضْلِ فَإِنَّهُ أَحْلَى الظَّفَرَيْنِ(٣) وَإِنْ أَرَدْتَ قَطِيعَةَ أَخِيكَ فَاسْتَبْقِ لَهُ مِنْ نَفْسِكَ بَقِيَّةً تَرْجِعُ إِلَيْهَا إِنْ بَدَا لَهُ ذٰلِكَ يَوْماً مَا(٤) . وَمَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدِّقْ ظَنَّهُ(٥) . وَلَا تُضِيعَنَّ حَقَّ أَخِيكَ اتِّكَالاً عَلَى مَا بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ فَإِنَّهُ لَيْسَ لَكَ بِأَخٍ مَنْ أَضَعْتَ حَقَّهُ . وَلَا يَكُنْ أَهْلُكَ أَشْقَى الْخَلْقِ بِكَ . وَلَا تَرْغَبَنَّ فِيمَنْ زَهِدَ فِيكَ . وَلَا يَكُونَنَّ أَخُوكَ أَقْوَى عَلَى قَطِيعَتِكَ مِنْكَ عَلَى صِلَتِهِ(٦) وَلَا تَكُونَنَّ عَلَى الْإِسَاءَةِ أَقْوَى مِنْكَ عَلَى الْإِحْسَانِ ، وَلَا يَكْبُرَنَّ عَلَيْكَ ظُلْمُ مَنْ ظَلَمَكَ فَإِنَّهُ يَسْعَى فِي مَضَرَّتِهِ وَنَفْعِكَ . وَلَيْسَ جَزَاءُ مَنْ سَرَّكَ أَنْ تَسُوءَهُ

---

(١) المغبة ـ بفتحتين ثم باء مشددة ـ: بمعنى العاقبة ، وكظم الغيظ وإن صعب على النفس فى وقته إلا أنها تجد لذته عند الافاقة من الغيظ ، فللعفو لذة إن كان فى محله ، وللخلاص من الضرر المعقب لفعل الغضب لذة أخرى (٢) لن أمر من اللين ضد الغلظ والخشونة (٣) ظفر الانتقام وظفر التملك بالاحسان ، والثانى أحلى وأربح فائدة (٤) بقية من الصلة يسهل لك معها الرجوع إليه إذا ظهر له حسن العودة (٥) صدقه بلزوم ماظن بك من الخير (٦) مراده إذا أتى أخوك بأسباب القطيعة فقابلها بموجبات الصلة حتى تغلبه ولا يصح أن يكون أقدر على مايوجب القطيعة منك على مايوجب الصلة ، وهذا أبلغ قول فى لزوم حفظ الصداقة

وَاعْلَمْ يَابُنَيَّ أَنَّ الرِّزْقَ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ. مَا أَقْبَحَ الْخُضُوعَ عِنْدَ الْحَاجَةِ وَالْجَفَاءَ عِنْدَ الْغِنَى؟ إِنَّ لَكَ مِنْ دُنْيَاكَ مَا أَصْلَحْتَ بِهِ مَثْوَاكَ[1] . وَإِنْ جَزِعْتَ عَلَى مَا تَفَلَّتَ مِنْ يَدَيْكَ[2] فَاجْزَعْ عَلَى كُلِّ مَالَمْ يَصِلْ إِلَيْكَ . اسْتَدِلَّ عَلَى مَالَمْ يَكُنْ بِمَا قَدْ كَانَ . فَإِنَّ الْأُمُورَ أَشْبَاهٌ. وَلَا تَكُونَنَّ مِمَّنْ لَا تَنْفَعُهُ الْعِظَةُ إِلَّا إِذَا بَالَغْتَ فِي إِيلَامِهِ، فَإِنَّ الْعَاقِلَ يَتَّعِظُ بِالْآدَابِ وَالْبَهَائِمُ لَا تَتَّعِظُ إِلَّا بِالضَّرْبِ. اطْرَحْ عَنْكَ وَارِدَاتِ الْهُمُومِ بِعَزَائِمِ الصَّبْرِ وَحُسْنِ الْيَقِينِ. مَنْ تَرَكَ الْقَصْدَ جَارَ[3] وَالصَّاحِبُ مُنَاسِبٌ[4]. وَالصَّدِيقُ مَنْ صَدَقَ غَيْبُهُ[5]. وَالْهَوَى شَرِيكُ الْعَنَاءِ[6] * رُبَّ قَرِيبٍ أَبْعَدُ مِنْ بَعِيدٍ ، وَرُبَّ بَعِيدٍ أَقْرَبُ مِنْ قَرِيبٍ . وَالْغَرِيبُ مَنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَبِيبٌ . مَنْ تَعَدَّى الْحَقَّ ضَاقَ مَذْهَبُهُ . وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى قَدْرِهِ كَانَ أَبْقَى لَهُ . وَأَوْثَقُ سَبَبٍ أَخَذْتَ بِهِ سَبَبٌ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ . وَمَنْ لَمْ يُبَالِكَ فَهُوَ عَدُوُّكَ[7] قَدْ يَكُونُ الْيَأْسُ إِدْرَاكًا إِذَا

---

(١) منزلتك من الكرامة فى الدنيا والآخرة (٢) تفلت ـ بتشديد اللام ـ أى تملص من اليد فلم تحفظه ، فالذى يجزع على مافاته كالذى يجزع على مالم يصله ، والثانى لايحصر فينال فالجزع عليه غير لائق فكذا الأول (٣) القصد: الاعتدال. وجار :مال عن الصواب (٤) يراعى فيه ما يراعى فى قرابة النسب (٥) الغيب : ضد الحضور أى من حفظ لك حقك وهو غائب عنك (٦) الهوى شهوة غير منضبطة ولا مملوكة بسلطان الشرع والأدب . والعناء الشقاء (٧) لم يبالك أى لم يهتم بأمرك . باليته و باليت به أى راعيت واعتنيت به

* وفى نسخة : والهوى شريك العمى

كَانَ الطَّمَعُ هَلَاكًا . لَيْسَ كُلُّ عَوْرَةٍ تَظْهَرُ وَلَا كُلُّ فُرْصَةٍ تُصَابُ . وَرُبَّمَا أَخْطَأَ الْبَصِيرُ قَصْدَهُ وَأَصَابَ الْأَعْمَى رُشْدَهُ . أَخِّرِ الشَّرَّ فَإِنَّكَ إِذَا شِئْتَ تَعَجَّلْتَهُ(١) . وَقَطِيعَةُ الْجَاهِلِ تَعْدِلُ صِلَةَ الْعَاقِلِ . مَنْ أَمِنَ الزَّمَانَ خَانَهُ ، وَمَنْ أَعْظَمَهُ أَهَانَهُ(٢) . لَيْسَ كُلُّ مَنْ رَمَى أَصَابَ . إِذَا تَغَيَّرَ السُّلْطَانُ تَغَيَّرَ الزَّمَانُ . سَلْ عَنِ الرَّفِيقِ قَبْلَ الطَّرِيقِ ، وَعَنِ الْجَارِ قَبْلَ الدَّارِ . إِيَّاكَ أَنْ تَذْكُرَ فِي الْكَلَامِ مَا يَكُونُ مُضْحِكًا وَإِنْ حَكَيْتَ ذٰلِكَ عَنْ غَيْرِكَ . وَإِيَّاكَ وَمُشَاوَرَةَ النِّسَاءِ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ وَعَزْمَهُنَّ إِلَى وَهْنٍ(٣) . وَاكْفُفْ عَلَيْهِنَّ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ أَبْقَى عَلَيْهِنَّ ، وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ مِنْ إِدْخَالِكَ مَنْ لَا يُوثَقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ(٤) ، وَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفْنَ غَيْرَكَ فَافْعَلْ . وَلَا تُمَلِّكِ الْمَرْأَةَ مِنْ أَمْرِهَا مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا فَإِنَّ الْمَرْأَةَ رَيْحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرَمَانَةٍ(٥) وَلَا تَعْدُ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا تُطْمِعْهَا فِي أَنْ تَشْفَعَ بِغَيْرِهَا . وَإِيَّاكَ

---

(١) لأن فرص الشر لاتنقضى لكثرة طرقه ، وطريق الخير واحد وهو الحق
(٢) من هاب شيئا سلطه على نفسه (٣) الأفن ـ بالتحريك ـ : ضعف الرأى . والوهن : الضعف (٤) أى إذا أدخلت على النساء من لايوثق بأمانته فكأنك أخرجتهن إلى مختلط العامة فأى فرق بينهما ؟ (٥) القهرمان الذى يحكم فى الأمور ويتصرف فيها بأمره . ولاتعد ـ بفتح فسكون ـ أى لاتجاوز بإكرامها نفسها فتكرم غيرها بشفاعتها . أين هذه الوصية من حال الذين يصرفون النساء فى مصالح الأمة ،

وَٱلتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ غَيْرَةٍ (١) فَإِنَّ ذٰلِكَ يَدْعُو ٱلصَّحِيحَةَ إِلَى ٱلسَّقَمِ وَٱلْبَرِيئَةَ إِلَى ٱلرِّيَبِ . وَٱجْعَلْ لِكُلِّ إِنْسَانٍ مِنْ خَدَمِكَ عَمَلًا تَأْخُذُهُ بِهِ فَإِنَّهُ أَحْرَى أَنْ لَا يَتَوَاكَلُوا فِي خِدْمَتِكَ (٢) . وَأَكْرِمْ عَشِيرَتَكَ فَإِنَّهُمْ جَنَاحُكَ ٱلَّذِي بِهِ تَطِيرُ ، وَأَصْلُكَ ٱلَّذِي إِلَيْهِ تَصِيرُ ، وَيَدُكَ ٱلَّتِي بِهَا تَصُولُ . أَسْتَوْدِعُ ٱللَّهَ دِينَكَ وَدُنْيَاكَ . وَأَسْأَلُهُ خَيْرَ ٱلْقَضَاءِ لَكَ فِي ٱلْعَاجِلَةِ وَٱلْآجِلَةِ وَٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ . وَٱلسَّلَامُ

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

وَأَرْدَيْتَ جِيلًا (٣) مِنَ ٱلنَّاسِ كَثِيرًا خَدَعْتَهُمْ بِغَيِّكَ (٤) ، وَأَلْقَيْتَهُمْ فِي مَوْجِ بَحْرِكَ ، تَغْشَاهُمُ ٱلظُّلُمَاتُ وَتَتَلَاطَمُ بِهِمُ ٱلشُّبُهَاتُ ، فَجَازُوا عَنْ وِجْهَتِهِمْ (٥) وَنَكَصُوا عَلَى أَعْقَابِهِمْ ، وَتَوَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ ، وَعَوَّلُوا عَلَى أَحْسَابِهِمْ (٦) إِلَّا مَنْ فَاءَ مِنْ أَهْلِ ٱلْبَصَائِرِ فَإِنَّهُمْ فَارَقُوكَ بَعْدَ مَعْرِفَتِكَ ،

---

(١) التغاير : اظهار الغيرة على المرأة بسوء الظن في حالها من غير موجب (٢) يتواكلوا : يتكل بعضهم على بعض (٣) أرديت : أهلكت جيلا أي قبيلا وصنفا (٤) الغي : الضلال ضد الرشاد (٥) تعدوا عن وجهتهم بكسر الواو أي جهة قصدهم ، كانوا يقصدون حقا فمالوا إلى باطل . ونكصوا : رجعوا (٦) عولوا أي اعتمدوا على شرف قبائلهم فتعصبوا تعصب الجاهلية ونبذوا نصرة الحق إلا من فاء أي رجع إلى الحق

بل ومن يختص بخدمتهن كرامة لهن

وَهَرَبُوا إِلَى ٱللهِ مِنْ مُوَازَرَتِكَ[١] إِذْ حَمَلْتَهُمْ عَلَى ٱلصَّعْبِ وَعَدَلْتَ بِهِمْ عَنِ ٱلْقَصْدِ. فَاتَّقِ ٱللهَ يَامُعَاوِيَةُ فِي نَفْسِكَ وَجَاذِبِ ٱلشَّيْطَانَ قِيَادَكَ[٢]، فَإِنَّ ٱلدُّنْيَا مُنْقَطِعَةٌ عَنْكَ وَٱلْآخِرَةُ قَرِيبَةٌ مِنْكَ. وَٱلسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى قُثَمَ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى مَكَّةَ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ عَيْنِي بِالْمَغْرِبِ[٣] كَتَبَ إِلَيَّ يُعْلِمُنِي أَنَّهُ وُجِّهَ عَلَى ٱلْمَوْسِمِ أُنَاسٌ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ[٤] ٱلْعُمْيِ ٱلْقُلُوبِ، ٱلصُّمِّ ٱلْأَسْمَاعِ، ٱلْكُمْهِ ٱلْأَبْصَارِ[٥]، ٱلَّذِينَ يَلْتَمِسُونَ ٱلْحَقَّ بِالْبَاطِلِ، وَيُطِيعُونَ ٱلْمَخْلُوقَ فِي مَعْصِيَةِ ٱلْخَالِقِ، وَيَحْتَلِبُونَ ٱلدُّنْيَا دَرَّهَا بِالدِّينِ[٦]، وَيَشْتَرُونَ عَاجِلَهَا بِآجِلِ ٱلْأَبْرَارِ وَٱلْمُتَّقِينَ. وَلَنْ يَفُوزَ بِالْخَيْرِ إِلَّا عَامِلُهُ، وَلَا يُجْزَى جَزَاءَ ٱلشَّرِّ إِلَّا فَاعِلُهُ. فَأَقِمْ عَلَى مَا فِي يَدَيْكَ قِيَامَ ٱلْحَازِمِ ٱلصَّلِيبِ[٧] وَٱلنَّاصِحِ ٱللَّبِيبِ، وَٱلتَّابِعِ لِسُلْطَانِهِ ٱلْمُطِيعِ لِإِمَامِهِ. وَإِيَّاكَ وَمَا يُعْتَذَرُ مِنْهُ[٨]. وَلَا تَكُنْ عِنْدَ ٱلنَّعْمَاءِ بَطِرًا[٩] وَلَا عِنْدَ ٱلْبَأْسَاءِ فَشِلًا. وَٱلسَّلَامُ

---

(١) الموازرة: المعاضدة (٢) القياد ماتقاد به الدابة، أى إذا جذبك الشيطان بهواك فجاذبه أى امنع نفسك من متابعته (٣) عينى أى رقيبى فى البلاد الغربية (٤) وجه مبنى للمجهول أى وجههم معاوية. والموسم: الحج (٥) الكمه: جمع أكمه وهو من ولد أعمى (٦) يحتلبون الدنيا: يستخلصون خيرها. والدر — بالفتح —: اللبن، ويجعلون الدين وسيلة لماينالون من حطامها (٧) الصليب: الشديد (٨) إحذر أن تفعل شيئا يحتاج إلى الاعتذار منه (٩) البطر: شدة الفرح مع ثقة بدوام النعمة. والبأساء: الشدة، كما أن النعماء

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ لَمَّا بَلَغَهُ تَوَجُّدُهُ مِنْ عَزْلِهِ[1] بِالْأَشْتَرِ عَنْ مِصْرَ، ثُمَّ تُوُفِّيَ ٱلْأَشْتَرُ فِي تَوَجُّهِهِ إِلَى مِصْرَ قَبْلَ وُصُولِهِ إِلَيْهَا)

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي مَوْجِدَتُكَ مِنْ تَسْرِيحِ ٱلْأَشْتَرِ إِلَى عَمَلِكَ[2] وَإِنِّي لَمْ أَفْعَلْ ذٰلِكَ ٱسْتِبْطَاءً لَكَ فِي ٱلْجُهْدِ وَلَا ٱزْدِيَادًا فِي ٱلْجِدِّ[3]. وَلَوْ نَزَعْتُ مَا تَحْتَ يَدِكَ مِنْ سُلْطَانِكَ. لَوَلَّيْتُكَ مَا هُوَ أَيْسَرُ عَلَيْكَ مَؤُونَةً وَأَعْجَبُ إِلَيْكَ وِلَايَةً

إِنَّ ٱلرَّجُلَ ٱلَّذِي كُنْتُ وَلَّيْتُهُ أَمْرَ مِصْرَ كَانَ لَنَا رَجُلًا نَاصِحًا وَعَلَى عَدُوِّنَا شَدِيدًا نَاقِمًا[4]. فَرَحِمَهُ ٱللّٰهُ فَلَقَدِ ٱسْتَكْمَلَ أَيَّامَهُ وَلَاقَى حِمَامَهُ[5] وَنَحْنُ عَنْهُ رَاضُونَ. أَوْلَاهُ ٱللّٰهُ رِضْوَانَهُ وَضَاعَفَ ٱلثَّوَابَ لَهُ، فَأَصْحِرْ لِعَدُوِّكَ، وَٱمْضِ عَلَى بَصِيرَتِكَ[6]، وَشَمِّرْ لِحَرْبِ مَنْ حَارَبَكَ، وَٱدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ، وَأَكْثِرِ ٱلِاسْتِعَانَةَ بِاللّٰهِ يَكْفِكَ مَا أَهَمَّكَ وَيُعِنْكَ عَلَى مَا نَزَلَ بِكَ إِنْ شَاءَ ٱللّٰهُ

---

(١) توجده : تكدره (٢) موجدتك : أى غيظك . والتسريح : الارسال . والعمل : الولاية (٣) أى مارأيت منك تقصيراً فأردت أن أعاقبك بعزلك لتزداد جداً (٤) ناقما أى كارها (٥) الحمام ـ بالكسر ـ : الموت (٦) أصحر له أى أبرز له، من أصحر إذا برز للصحراء

الرخاء والسعة

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ)
بَعْدَ مَقْتَلِ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مِصْرَ قَدِ افْتُتِحَتْ وَمُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ رَحِمَهُ اللهُ قَدِ اسْتُشْهِدَ . فَعِنْدَ اللهِ نَحْتَسِبُهُ وَلَدًا نَاصِحًا[1] وَعَامِلًا كَادِحًا وَسَيْفًا قَاطِعًا وَرُكْنًا دَافِعًا . وَقَدْ كُنْتُ حَثَثْتُ النَّاسَ عَلَى لَحَاقِهِ وَأَمَرْتُهُمْ بِغِيَاثِهِ قَبْلَ الْوَقْعَةِ ، وَدَعَوْتُهُمْ سِرًّا وَجَهْرًا وَعَوْدًا وَبَدْءًا ، فَمِنْهُمُ الْآتِي كَارِهًا ، وَمِنْهُمُ الْمُعْتَلُّ كَاذِبًا ، وَمِنْهُمُ الْقَاعِدُ خَاذِلًا ، أَسْأَلُ اللهَ أَنْ يَجْعَلَ لِي مِنْهُمْ فَرَجًا عَاجِلًا ، فَوَاللهِ لَوْلَا طَمَعِي عِنْدَ لِقَائِي عَدُوِّي فِي الشَّهَادَةِ وَتَوْطِينِي نَفْسِي عَلَى الْمَنِيَّةِ لَأَحْبَبْتُ أَنْ لَا أَبْقَى مَعَ هٰؤُلَاءِ يَوْمًا وَاحِدًا وَلَا أَلْتَقِيَ بِهِمْ أَبَدًا

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ فِي ذِكْرِ جَيْشٍ أَنْفَذَهُ إِلَى بَعْضِ الْأَعْدَاءِ، وَهُوَ جَوَابُ كِتَابٍ كَتَبَهُ إِلَيْهِ عَقِيلٌ)

فَسَرَّحْتُ إِلَيْهِ جَيْشًا كَثِيفًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا بَلَغَهُ ذٰلِكَ شَمَّرَ

---

(١) احتسبه عند الله : سأل الأجر على الرزية فيه . وسماه ولداً لأنه كان ربيبا له ، وأمه أسماء بنت عميس كانت مع جعفر بن أبي طالب وولدت له محمدا وعونا وعبد الله بالحبشة أيام هجرتها معه إليها . و بعد قتله تزوجها أبو بكر فولدت له محمداً

هَارِبًا وَنَكَصَ نَادِمًا ، فَلَحِقُوهُ بِبَعْضِ الطَّرِيقِ وَقَدْ طَفَّلَتِ الشَّمْسُ لِلإِيَابِ (١) فَاقْتَتَلُوا شَيْئًا كَلا وَلَا (٢)، فَمَا كَانَ إِلَّا كَمَوْقِفِ سَاعَةٍ حَتَّى نَجَا جَرِيضًا (٣) بَعْدَ مَا أُخِذَ مِنْهُ بِالْمُخَنَّقِ وَلَمْ يَبْقَ مِنْهُ غَيْرُ الرَّمَقِ (٤). فَلأْيًا بِلَأْيٍ مَا نَجَا (٥). فَدَعْ عَنْكَ قُرَيْشًا وَتَرْكَاضَهُمْ فِي الضَّلَالِ ، وَتَجْوَالَهُمْ فِي الشِّقَاقِ (٦)، وَجِمَاحَهُمْ فِي التِّيهِ . فَإِنَّهُمْ قَدْ أَجْمَعُوا عَلَى حَرْبِي كَإِجْمَاعِهِمْ عَلَى حَرْبِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَبْلِي ، فَجَزَتْ قُرَيْشًا عَنِّي الْجَوَازِي (٧)، فَقَدْ قَطَعُوا رَحِمِي ، وَسَلَبُونِي سُلْطَانَ ابْنِ أُمِّي (٨). وَأَمَّا مَا سَأَلْتَ عَنْهُ مِنْ رَأْيِي فِي الْقِتَالِ فَإِنَّ رَأْيِي فِي قِتَالِ الْمُحِلِّينَ حَتَّى أَلْقَى اللهَ (٩)

هذا . و بعد وفاته تزوجها على فولدت له يحيى . والكادح المبالغ فى سعيه (١) طفلت تطفيلا أى دنت وقربت . والاياب : الرجوع إلى مغربها (٢) كناية عن السرعة التامة ، فان حرفين ثانيهما حرف لين سريعا الانقضاء عند السمع . قال أبو برهان المغربى :

وأسرع فى العين من لحظة وأقصر فى السمع من لا ولا

(٣) الجريض ـ بالجيم ـ : المغموم ، وبالحاء : الساقط لايستطيع النهوض (٤) المخنق ـ بضم وفتح فنون مشددة ـ : الحلق محل مايوضع الخناق . والرمق ـ بالتحريك ـ : بقية النفس (٥) لأيا : مصدر محذوف العامل ، ومعناه الشدة والعسر . ومابعده مصدرية، ونجا فى معنى المصدر أى عسرت نجاته عسراً بعسر (٦) التركاض : مبالغة فى الركض ، واستعاره لسرعة خواطرهم فى الضلال . وكذلك التجوال من الجول والجولان . والشقاق : الخلاف : وجماحهم استعصاؤهم على سابق الحق . والتيه : الضلال والغواية (٧) الجوازى : جمع جازية بمعنى المكافأة ، دعاء عليهم بالجزاء على أعمالهم (٨) يريد رسول الله صلى الله عليه وسلم فان فاطمة بنت أسد ام أمير المؤمنين ربت رسول الله فى حجرها فقال النبى فى شأنها : فاطمة أمى بعد أمى (٩) المحلون : الذين يحلون

لَا يَزِيدُنِي كَثْرَةُ ٱلنَّاسِ حَوْلِي عِزَّةً ، وَلَا تَفَرُّقُهُمْ عَنِّي وَحْشَةً . وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱبْنَ أَبِيكَ — وَلَوْ أَسْلَمَهُ ٱلنَّاسُ — مُتَضَرِّعًا مُتَخَشِّعًا ، وَلَا مُقِرًّا لِلضَّيْمِ وَاهِنًا ، وَلَا سَلِسَ ٱلزِّمَامِ لِلْقَائِدِ[1] ، وَلَا وَطِيءَ ٱلظَّهْرِ لِلرَّاكِبِ ٱلْمُتَقَعِّدِ ، وَلَـٰكِنَّهُ كَمَا قَالَ أَخُو بَنِي سُلَيْمٍ

فَإِنْ تَسْأَلِينِي كَيْفَ أَنْتَ فَإِنَّنِي ... صَبُورٌ عَلَى رَيْبِ ٱلزَّمَانِ صَلِيبُ[2]

يَعِزُّ عَلَيَّ أَنْ تُرَى بِي كَآبَةٌ[3] ... فَيَشْمَتَ عَادٍ أَوْ يُسَاءَ حَبِيبُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

فَسُبْحَانَ ٱللهِ مَا أَشَدَّ لُزُومَكَ لِلْأَهْوَاءِ ٱلْمُبْتَدَعَةِ وَٱلْحَيْرَةِ ٱلْمُتْعِبَةِ ، مَعَ تَضْيِيعِ ٱلْحَقَائِقِ وَٱطِّرَاحِ ٱلْوَثَائِقِ ٱلَّتِي هِيَ لِلهِ طِلْبَةٌ[4] ، وَعَلَى عِبَادِهِ حُجَّةٌ . فَأَمَّا إِكْثَارُكَ ٱلْحِجَاجَ فِي عُثْمَانَ وَقَتَلَتِهِ[5] فَإِنَّكَ إِنَّمَا نَصَرْتَ عُثْمَانَ حَيْثُ كَانَ ٱلنَّصْرُ لَكَ[6] ، وَخَذَلْتَهُ حَيْثُ كَانَ ٱلنَّصْرُ لَهُ . وَٱلسَّلَامُ

---

(١) السلس — بفتح فكسر — : السهل . والوطىء : اللين . والمتقعد الذى يتخذ الظهر قعوداً يستعمله للركوب فى كل حاجاته (٢) شديد (٣) يعز على : يشق على . والكآبة ما يظهر على الوجه من أثر الحزن . وعاد أى عدو (٤) طلبة — بالكسر — : مطلوبة (٥) الحجاج — بالكسر : — الجدال (٦) حيث كان للانتصار له فائدة لك تتخذه ذريعة لجمع الناس إلى غرضك . أماوهو حى وكان النصر القتال ويجوزونه

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أَهْلِ مِصْرَ لَمَّا وَلَّى عَلَيْهِمُ الْأَشْتَرَ رَحِمَهُ اللَّهُ)

مِنْ عَبْدِ اللَّهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ غَضِبُوا لِلَّهِ حِينَ عُصِيَ فِي أَرْضِهِ وَذُهِبَ بِحَقِّهِ، فَضَرَبَ الْجَوْرُ سُرَادِقَهُ عَلَى الْبَرِّ وَالْفَاجِرِ[1] وَالْمُقِيمِ وَالظَّاعِنِ، فَلَا مَعْرُوفٌ يُسْتَرَاحُ إِلَيْهِ[2]، وَلَا مُنْكَرٌ يُتَنَاهَى عَنْهُ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَعَثْتُ إِلَيْكُمْ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ اللَّهِ لَا يَنَامُ أَيَّامَ الْخَوْفِ، وَلَا يَنْكُلُ عَنِ الْأَعْدَاءِ سَاعَاتِ الرَّوْعِ[3]. أَشَدَّ عَلَى الْفُجَّارِ مِنْ حَرِيقِ النَّارِ، وَهُوَ مَالِكُ بْنُ الْحَارِثِ أَخُو مَذْحِجٍ[4]، فَاسْمَعُوا لَهُ وَأَطِيعُوا أَمْرَهُ فِيمَا طَابَقَ الْحَقَّ فَإِنَّهُ سَيْفٌ مِنْ سُيُوفِ اللَّهِ لَا كَلِيلُ الظُّبَةِ[5] وَلَا نَابِي الضَّرِيبَةِ[6]، فَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تَنْفِرُوا فَانْفِرُوا، وَإِنْ أَمَرَكُمْ أَنْ تُقِيمُوا فَأَقِيمُوا، فَإِنَّهُ لَا يُقْدِمُ وَلَا يُحْجِمُ وَلَا يُؤَخِّرُ وَلَا يُقَدِّمُ إِلَّا عَنْ أَمْرِي، وَقَدْ

---

(١) السرادق ـ بضم السين ـ : الغطاء الذى يمد فوق صحن البيت، والغبار والدخان . والبر ـ بفتح الباء ـ : التقى . والظاعن : المسافر (٢) يعمل به، وأصله استراح اليه بمعنى سكن واطمأن . والسكون إلى المعروف يستلزم العمل به (٣) نكل عنه ـ كضرب ونصر وعلم ـ : نكص وجبن . والروع: الخوف (٤) مذحج ـ كمجلس ـ : قبيلة مالك، وأصله اسم أكمة ولد عندها أبو القبيلتين طيء ومالك فسميت قبيلتاهما به (٥) الظُّبة ـ بضم ففتح مخفف ـ : حد السيف والسنان ونحوهما . والكليل: الذى لا يقطع (٦) الضريبة : المضروب بالسيف. ونبا عنها السيف : لم يؤثر فيها . وإنما دخلت التاء فى ضريبة وهى بمعنى المفعول يفيده فقد خذلته وأبطأت عنه

آثَرْتُكُمْ بِهِ عَلَى نَفْسِي لِنَصِيحَتِهِ لَكُمْ وَشِدَّةِ شَكِيمَتِهِ عَلَى عَدُوِّكُمْ (١)

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ)

فَإِنَّكَ جَعَلْتَ دِينَكَ تَبَعاً لِدُنْيَا امْرِئٍ ظَاهِرٍ غَيُّهُ مَهْتُوكٍ سِتْرُهُ ، يَشِينُ الْكَرِيمَ بِمَجْلِسِهِ وَيُسَفِّهُ الْحَلِيمَ بِخُلْطَتِهِ ، فَاتَّبَعْتَ أَثَرَهُ وَطَلَبْتَ فَضْلَهُ اتِّبَاعَ الْكَلْبِ لِلضِّرْغَامِ (٢) يَلُوذُ إِلَى مَخَالِبِهِ وَيَنْتَظِرُ مَا يُلْقَى إِلَيْهِ مِنْ فَضْلِ فَرِيسَتِهِ ، فَأَذْهَبْتَ دُنْيَاكَ وَآخِرَتَكَ ، وَلَوْ بِالْحَقِّ أَخَذْتَ أَدْرَكْتَ مَا طَلَبْتَ . فَإِنْ يُمَكِّنِّي اللهُ مِنْكَ وَمِنِ ابْنِ أَبِي سُفْيَانَ أَجْزِكُمَا بِمَا قَدَّمْتُمَا ، وَإِنْ تُعْجِزَا وَتَبْقَيَا فَمَا أَمَامَكُمَا شَرٌّ لَكُمَا (٣)

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ)

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ رَبَّكَ وَعَصَيْتَ إِمَامَكَ وَأَخْزَيْتَ أَمَانَتَكَ (٤)

بَلَغَنِي أَنَّكَ جَرَّدْتَ الْأَرْضَ فَأَخَذْتَ مَا تَحْتَ قَدَمَيْكَ وَأَكَلْتَ

لذهابها مذهب الأسماء كالنطيحة والذبيحة (١) خصصتكم به وأنا فى حاجة اليه تقديما لنفعكم على نفعى . والشكيمة فى اللجام : الحديدة المعترضة فى فم الفرس التى فيها الفأس، ويعبر بشدتها عن قوة النفس وشدة البأس (٢) الضرغام : الأسد (٣) وان تعجزانى عن الايقاع بكما وتبقيا فى الدنيا بعدى فأمامكما حساب الله على أعمالكما (٤) ألصقت بأمانتك خزية ـ بالفتح ـ أى رزية أفسدتها . وكأن هذا العامل أخذ ما عنده من

مَا تَحْتَ يَدَيْكَ ، فَارْفَعْ إِلَيَّ حِسَابَكَ ، وَاعْلَمْ أَنَّ حِسَابَ ٱللهِ أَعْظَمُ مِنْ حِسَابِ ٱلنَّاسِ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ[1])

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي كُنْتُ أَشْرَكْتُكَ فِي أَمَانَتِي ، وَجَعَلْتُكَ شِعَارِي وَبِطَانَتِي ، وَلَمْ يَكُنْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِي أَوْثَقَ مِنْكَ فِي نَفْسِي لِمُوَاسَاتِي وَمُوَازَرَتِي[2] ، وَأَدَاءِ ٱلْأَمَانَةِ إِلَيَّ . فَلَمَّا رَأَيْتَ ٱلزَّمَانَ عَلَى ٱبْنِ عَمِّكَ قَدْ كَلِبَ ، وَٱلْعَدُوَّ قَدْ حَرِبَ ، وَأَمَانَةَ ٱلنَّاسِ قَدْ خَزِيَتْ[3] ، وَهٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ قَدْ فَنَكَتْ وَشَغَرَتْ[4] قَلَبْتَ لِٱبْنِ عَمِّكَ ظَهْرَ ٱلْمِجَنِّ[5] فَفَارَقْتَهُ مَعَ ٱلْمُفَارِقِينَ ، وَخَذَلْتَهُ مَعَ ٱلْخَاذِلِينَ ، وَخُنْتَهُ مَعَ ٱلْخَائِنِينَ . فَلَا ٱبْنَ عَمِّكَ آسَيْتَ[6] ، وَلَا ٱلْأَمَانَةَ أَدَّيْتَ . وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنِ ٱللهَ تُرِيدُ بِجِهَادِكَ . وَكَأَنَّكَ لَمْ تَكُنْ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّكَ . وَكَأَنَّكَ إِنَّمَا كُنْتَ تَكِيدُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةَ عَنْ دُنْيَاهُمْ[7] وَتَنْوِي غِرَّتَهُمْ عَنْ فَيْئِهِمْ . فَلَمَّا أَمْكَنَتْكَ ٱلشِّدَّةُ

مخزون بيت المال (١) هو العامل السابق بعينه (٢) المواساة من آساه أناله من ماله عن كفاف لا عن فضل أومطلقا . وقالوا ليست مصدراً لواساه فانه غير فصيح وتقدم للامام استعماله وهو حجة. والموازرة: المناصرة (٣) كلب - كفرح - : اشتد وخشن والكلبة - بالضم - : الشدة والضيق . وحرب - كفرح - : اشتد غضبه، أو كطلب بمعنى سلب مالنا وخزيت - كرضيت - : وقعت فى بلية الفساد الفاضح (٤) من فنكت الجارية إذا صارت ماجنة . ومجون الأمة أخذها بغير الحزم فى أمرها كأنها هازلة . وشغرت : لم يبق فيها من يحميها (٥) المجن : الترس وهذا مثل يضرب لمن يخالف ماعهد فيه (٦) ساعدت وشاركت فى الملمات (٧) كاده عن الأمر خدعه حتى ناله منه

فِي خِيَانَةِ ٱلْأُمَّةِ أَسْرَعْتَ ٱلْكَرَّةَ ، وَعَاجَلْتَ ٱلْوَثْبَةَ ، وَٱخْتَطَفْتَ مَا قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنْ أَمْوَالِهِمُ ٱلْمَصُونَةِ لِأَرَامِلِهِمْ وَأَيْتَامِهِمُ ٱخْتِطَافَ ٱلذِّئْبِ ٱلْأَزَلِّ دَامِيَةَ ٱلْمِعْزَى ٱلْكَسِيرَةِ[1] ، فَحَمَلْتَهُ إِلَى ٱلْحِجَازِ رَحِيبَ ٱلصَّدْرِ بِحَمْلِهِ غَيْرَ مُتَأَثِّمٍ مِنْ أَخْذِهِ[2] كَأَنَّكَ ـ لَا أَبَا لِغَيْرِكَ ـ حَدَرْتَ إِلَى أَهْلِكَ تُرَاثاً مِنْ أَبِيكَ وَأُمِّكَ . فَسُبْحَانَ ٱللهِ ! أَمَا تُؤْمِنُ بِالْمَعَادِ ؟ أَوَمَا تَخَافُ نِقَاشَ ٱلْحِسَابِ[3]؟ أَيُّهَا ٱلْمَعْدُودُ كَانَ عِنْدَنَا مِنْ ذَوِي ٱلْأَلْبَابِ[4] كَيْفَ تُسِيغُ شَرَاباً وَطَعَاماً وَأَنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ تَأْكُلُ حَرَاماً وَتَشْرَبُ حَرَاماً ؟ وَتَبْتَاعُ ٱلْإِمَاءَ وَتَنْكِحُ ٱلنِّسَاءَ مِنْ مَالِ ٱلْيَتَامَى وَٱلْمَسَاكِينِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُجَاهِدِينَ ٱلَّذِينَ أَفَاءَ ٱللهُ عَلَيْهِمْ هٰذِهِ ٱلْأَمْوَالَ وَأَحْرَزَ بِهِمْ هٰذِهِ ٱلْبِلَادَ . فَٱتَّقِ ٱللهَ وَٱرْدُدْ إِلَى هٰؤُلَاءِ ٱلْقَوْمِ أَمْوَالَهُمْ ، فَإِنَّكَ إِنْ لَمْ تَفْعَلْ ثُمَّ أَمْكَنَنِي ٱللهُ مِنْكَ لَأُعْذِرَنَّ إِلَى ٱللهِ فِيكَ[5]، وَلَأَضْرِبَنَّكَ

والغرة : الغفلة . والفىء : مال الغنيمة والخراج (١) الأزل : السريع الجرى أو الخفيف لحم الوركين . والدامية : المجروحة . والكسيرة : المكسورة . والمعزى: أخت الضأن اسم جنس كالمعز والمعيز (٢) التأثم التحرز من الاثم بمعنى الذنب . ولا أبا لغيرك ، تقال للتوبيخ مع التحامى من الدعاء عليه . وحدرت: أسرعت اليهم بتراث أى ميراث ، أو هو من حدره بمعنى حطه من أعلى لأسفل (٣) النقاش ـ بالكسر ـ : المناقشة بمعنى الاستقصاء فى الحساب (٤) كان هنا زائدة لافادة معنى المضى فقط لا تامة ولا ناقصة . وسغت الشراب أسيغه ـ كبعته أبيعه ـ : بلعته بسهولة (٥) لأعاقبنك عقابا يكون لى

بِسَيْفِي الَّذِي مَا ضَرَبْتُ بِهِ أَحَدًا إِلَّا دَخَلَ النَّارَ . وَوَاللهِ لَوْ أَنَّ الْحَسَنَ وَالْحُسَيْنَ فَعَلَا مِثْلَ الَّذِي فَعَلْتَ مَا كَانَتْ لَهُمَا عِنْدِي هَوَادَةٌ[١] وَلَا ظَفِرَا مِنِّي بِإِرَادَةٍ حَتَّى آخُذَ الْحَقَّ مِنْهُمَا وَأُزِيحَ الْبَاطِلَ مِنْ مَظْلَمَتِهِمَا . وَأُقْسِمُ بِاللهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ مَا يَسُرُّنِي أَنَّ مَا أَخَذْتَ مِنْ أَمْوَالِهِمْ حَلَالٌ لِي[٢] أَتْرُكُهُ مِيرَاثًا لِمَنْ بَعْدِي . فَضَحِّ رُوَيْدًا فَكَأَنَّكَ قَدْ بَلَغْتَ الْمَدَى[٣] وَدُفِنْتَ تَحْتَ الثَّرَى وَعُرِضَتْ عَلَيْكَ أَعْمَالُكَ بِالْمَحَلِّ الَّذِي يُنَادِي الظَّالِمُ فِيهِ بِالْحَسْرَةِ، وَيَتَمَنَّى الْمُضَيِّعُ الرَّجْعَةَ وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ[٤]

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ الْمَخْزُومِيِّ وَكَانَ عَامِلَهُ عَلَى الْبَحْرَيْنِ فَعَزَلَهُ وَاسْتَعْمَلَ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ مَكَانَهُ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ وَلَّيْتُ النُّعْمَانَ بْنَ عَجْلَانَ الزُّرَقِيَّ عَلَى الْبَحْرَيْنِ ، وَنَزَعْتُ يَدَكَ بِلَا ذَمٍّ لَكَ وَلَا تَثْرِيبٍ عَلَيْكَ[٥]. فَلَقَدْ أَحْسَنْتَ الْوِلَايَةَ وَأَدَّيْتَ الْأَمَانَةَ . فَأَقْبِلْ غَيْرَ ظَنِينٍ[٦] وَلَا مَلُومٍ وَلَا مُتَّهَمٍ وَلَا مَأْثُومٍ.

---

(١) الهوادة ـ بالفتح ـ: الصلح والاختصاص بالميل (٢) أى لا أعتمد على قرابتك منى فانى لا أسر بأن يكون لى فضلا عن ذوى قرابتى (٣) فضح من ضحيت الغنم إذا رعيتها فى الضحى ، أى فارع نفسك على مهل فانما أنت على شرف الموت ، وكأنك قد بلغت المدى بالفتح مفرد بمعنى الغاية أو بالضم جمع مدية بالضم أيضاً بمعنى الغاية . والثرى : التراب (٤) ليس الوقت وقت فرار (٥) التثريب اللوم (٦) الظنين : المتهم عذراً عند الله فى فعلتك هذه

فَقَدْ أَرَدْتُ ٱلْمَسِيرَ إِلَى ظَلَمَةِ أَهْلِ ٱلشَّامِ[١] وَأَحْبَبْتُ أَنْ تَشْهَدَ مَعِي فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى جِهَادِ ٱلْعَدُوِّ[٢] وَإِقَامَةِ عَمُودِ ٱلدِّينِ إِنْ شَاءَ ٱللهُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى مَصْقَلَةَ بْنِ هُبَيْرَةَ ٱلشَّيْبَانِيِّ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى أَرْدَشِيرَ خُرَّه[٣])

بَلَغَنِي عَنْكَ أَمْرٌ إِنْ كُنْتَ فَعَلْتَهُ فَقَدْ أَسْخَطْتَ إِلٰهَكَ وَأَغْضَبْتَ إِمَامَكَ : أَنَّكَ تَقْسِمُ[٤] فَيْءَ ٱلْمُسْلِمِينَ ٱلَّذِي حَازَتْهُ رِمَاحُهُمْ وَخُيُولُهُمْ وَأُرِيقَتْ عَلَيْهِ دِمَاؤُهُمْ فِيمَنِ ٱعْتَامَكَ مِنْ أَعْرَابِ قَوْمِكَ[٥] . فَوَٱلَّذِي فَلَقَ ٱلْحَبَّةَ وَبَرَأَ ٱلنَّسَمَةَ لَئِنْ كَانَ ذٰلِكَ حَقًّا لَتَجِدَنَّ بِكَ عَلَيَّ هَوَانًا ، وَلَتَخِفَّنَّ عِنْدِي مِيزَانًا . فَلَا تَسْتَهِنْ بِحَقِّ رَبِّكَ ، وَلَا تُصْلِحْ دُنْيَاكَ بِمَحْقِ دِينِكَ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا

أَلَا وَإِنَّ حَقَّ مَنْ قِبَلَكَ وَقِبَلَنَا[٦] مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ فِي قِسْمَةِ هٰذَا ٱلْفَيْءِ سَوَاءٌ يَرِدُونَ عِنْدِي عَلَيْهِ وَيَصْدُرُونَ عَنْهُ

---

(١) الظلمة ـ بالتحريك ـ : جمع ظالم (٢) أستظهر به : أستعين (٣) أردشيرخره ـ بضم الخاء وتشديد الراء ـ : بلدة من بلاد العجم (٤) أنك الخ بدل من أمر (٥) اعتامك : اختارك ، وأصله أخذ العيمة بالكسر وهي خيار المال (٦) قبل ـ بكسر ففتح ـ : ظرف بمعنى عند

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى زِيَادِ بْنِ أَبِيهِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْهِ يُرِيدُ خَدِيعَتَهُ بِاسْتِلْحَاقِهِ)

وَقَدْ عَرَفْتُ أَنَّ مُعَاوِيَةَ كَتَبَ إِلَيْكَ يَسْتَزِلُّ لُبَّكَ وَيَسْتَفِلُّ غَرْبَكَ[1]، فَاحْذَرْهُ فَإِنَّمَا هُوَ الشَّيْطَانُ يَأْتِي الْمُؤْمِنَ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ وَعَنْ يَمِينِهِ وَعَنْ شِمَالِهِ لِيَقْتَحِمَ غَفْلَتَهُ[2] وَيَسْتَلِبَ غِرَّتَهُ

وَقَدْ كَانَ مِنْ أَبِي سُفْيَانَ فِي زَمَنِ عُمَرَ فَلْتَةٌ مِنْ حَدِيثِ النَّفْسِ[3] وَنَزْغَةٌ مِنْ نَزَغَاتِ الشَّيْطَانِ لَا يَثْبُتُ بِهَا نَسَبٌ وَلَا يُسْتَحَقُّ بِهَا إِرْثٌ، وَالْمُتَعَلِّقُ بِهَا كَالْوَاغِلِ الْمُدَفَّعِ وَالنَّوْطِ الْمُذَبْذَبِ

(فَلَمَّا قَرَأَ زِيَادٌ الْكِتَابَ قَالَ شَهِدَ بِهَا وَرَبِّ الْكَعْبَةِ ، وَلَمْ يَزَلْ فِي نَفْسِهِ حَتَّى ادَّعَاهُ مُعَاوِيَةُ)

قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْوَاغِلُ ، هُوَ الَّذِي يَهْجُمُ عَلَى الشَّرْبِ لِيَشْرَبَ مَعَهُمْ وَلَيْسَ مِنْهُمْ فَلَا يَزَالُ مُدَفَّعاً مُحَاجَزاً . وَالنَّوْطُ الْمُذَبْذَبُ هُوَ مَا يُنَاطُ بِرَحْلِ الرَّاكِبِ مِنْ قَعْبٍ أَوْ قَدَحٍ أَوْ مَا أَشْبَهَ ذَلِكَ ، فَهُوَ أَبَداً يَتَقَلْقَلُ إِذَا حَثَّ ظَهْرَهُ وَاسْتَعْجَلَ سَيْرَهُ)

---

(١) يستزل أى يطلب به الزلل وهو الخطأ . واللب : القلب . و يستفل بالفاء أى يطلب فل غربك أى ثلم حدك (٢) يدخل غفلته بغتة فيأخذه فيها . وتشبيه الغفلة بالبيت يسكن فيه الغافل من أحسن أنواع التشبيه. والغرة - بالكسر - : خلو العقل عن مضارب الحيل ، والمراد منها العقل الغر ، أى يسلب العقل الساذج (٣) فلتة أبى سفيان

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عُثْمَانَ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْبَصْرَةِ وَقَدْ بَلَغَهُ أَنَّهُ دُعِيَ إِلَى وَلِيمَةِ قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا فَمَضَى إِلَيْهَا)

أَمَّا بَعْدُ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رَجُلًا مِنْ فِتْيَةِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ دَعَاكَ إِلَى مَأْدُبَةٍ(١) فَأَسْرَعْتَ إِلَيْهَا تُسْتَطَابُ لَكَ الْأَلْوَانُ(٢) وَتُنْقَلُ إِلَيْكَ الْجِفَانُ، وَمَا ظَنَنْتُ أَنَّكَ تُجِيبُ إِلَى طَعَامِ قَوْمٍ عَائِلُهُمْ مَجْفُوٌّ(٣). وَغَنِيُّهُمْ مَدْعُوٌّ. فَانْظُرْ إِلَى مَا تَقْضَمُهُ مِنْ هَذَا الْمَقْضَمِ(٤)، فَمَا اشْتَبَهَ عَلَيْكَ عِلْمُهُ فَالْفِظْهُ(٥)، وَمَا أَيْقَنْتَ بِطِيبِ وُجُوهِهِ(٦) فَنَلْ مِنْهُ

أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَأْمُومٍ إِمَامًا يَقْتَدِي بِهِ وَيَسْتَضِيءُ بِنُورِ عِلْمِهِ، أَلَا وَإِنَّ إِمَامَكُمْ قَدِ اكْتَفَى مِنْ دُنْيَاهُ بِطِمْرَيْهِ(٧)، وَمِنْ طُعْمِهِ بِقُرْصَيْهِ. أَلَا وَإِنَّكُمْ لَا تَقْدِرُونَ عَلَى ذَلِكَ وَلَكِنْ أَعِينُونِي بِوَرَعٍ وَاجْتِهَادٍ، وَعِفَّةٍ وَسَدَادٍ(٨). فَوَاللَّهِ مَا كَنَزْتُ مِنْ دُنْيَاكُمْ تِبْرًا، وَلَا ادَّخَرْتُ مِنْ غَنَائِمِهَا

قوله فى شأن زياد إنى أعلم من وضعه فى رحم أمه يريد نفسه (١) المأدبة ـ بفتح الدال وضمها ـ: الطعام يصنع لدعوة أو عرس (٢) تستطاب يطلب لك طيبها. والألوان: أصناف الطعام والجفان ـ بكسر الجيم ـ: جمع جفنة القصعة (٣) سائلهم: محتاجهم، مجفو أى مطرود من الجفاء (٤) قضم ـ كسمع ـ أكل بطرف أسنانه والمراد الأكل مطلقاً، والمقضم كمقعد المأكل (٥) اطرحه حيث اشتبه عليك حله من حرمته (٦) بطيب وجوهه بالحل فى طرق كسبه (٧) الطمر ـ بالكسر ـ: الثوب الخلق (٨) ان ورع الولاة وعفتهم يعين الخليفة على اصلاح شؤون

وَفْرًا(١) ، وَلَا أَعْدَدْتُ لِبَالِي ثَوْبَيَّ طِمْرًا(٢) . بَلَى كَانَتْ فِي أَيْدِينَا فَدَكٌ مِنْ كُلِّ مَا أَظَلَّتْهُ ٱلسَّمَاءُ ، فَشَحَّتْ عَلَيْهَا نُفُوسُ قَوْمٍ وَسَخَتْ عَنْهَا نُفُوسُ آخَرِينَ . وَنِعْمَ ٱلْحَكَمُ ٱللهُ . وَمَا أَصْنَعُ بِفَدَكٍ وَغَيْرِ فَدَكٍ وَٱلنَّفْسُ مَظَانُّهَا فِي غَدٍ جَدَثٌ(٣) تَنْقَطِعُ فِي ظُلْمَتِهِ آثَارُهَا ، وَتَغِيبُ أَخْبَارُهَا ، وَحُفْرَةٌ لَوْ زِيدَ فِي فُسْحَتِهَا وَأَوْسَعَتْ يَدَا حَافِرِهَا لَأَضْغَطَهَا ٱلْحَجَرُ وَٱلْمَدَرُ(٤) ، وَسَدَّ فُرَجَهَا ٱلتُّرَابُ ٱلْمُتَرَاكِمُ ، وَإِنَّمَا هِيَ نَفْسِي أَرُوضُهَا بِالتَّقْوَى(٥) لِتَأْتِيَ آمِنَةً يَوْمَ ٱلْخَوْفِ ٱلْأَكْبَرِ ، وَتَثْبُتَ عَلَى جَوَانِبِ ٱلْمَزْلَقِ(٦) . وَلَوْ شِئْتُ لَاهْتَدَيْتُ ٱلطَّرِيقَ(٧) إِلَى مُصَفَّى هٰذَا ٱلْعَسَلِ وَلُبَابِ هٰذَا ٱلْقَمْحِ وَنَسَائِجِ هٰذَا ٱلْقَزِّ ، وَلٰكِنْ هَيْهَاتَ أَنْ

---

(١) التبر ـ بكسر فسكون ـ : فتات الذهب والفضة قبل أن يصاغ . والوفر المال (٢) أى ما كان يهيء لنفسه طمراً آخر بدلا عن الثوب الذى يبلى ، بل كان ينتظر حتى يبلى ثم يعمل الطمر ، والثوب هنا عبارة عن الطمرين فان مجموع الرداء والازار يعد ثوباً واحداً فبهما يكسو البدن لا بأحدهما (٣) فدك ـ بالتحريك ـ : قرية لرسول الله صلى الله عليه وسلم كان صالح أهلها على النصف من نخيلها بعد فتح خيبر ، وإجماع الشيعة على أنه كان أعطاها فاطمة رضى الله عنها قبل وفاته إلا أن أبا بكر رضى الله عنه ردها لبيت المال قائلا انها كانت مالا فى يد النبى يحمل به الرجال وينفقه فى سبيل الله وإنا إليه كما كان عليه . والقوم الآخرون الذين سخت نفوسهم عنها هم بنو هاشم . المظان: جمع مظنة وهو المكان الذى يظن فيه وجود الشيء . وموضع النفس الذى يظن وجودها فيه فى غد جدث بالتحريك أى قبر (٤) أضغطها جعلها من الضيق بحيث تضغط وتعصر الحال فيها (٥) أروضها : أذللها (٦) موضع ماتخشى الزلة وهو الصراط (٧) كان كرم الله وجهه اماما عالى السلطان واسع الامكان فلو أراد

يَغْلِبَنِي هَوَايَ وَيَقُودَنِي جَشَعِي[١] إِلَى تَخَيُّرِ الْأَطْعِمَةِ . وَلَعَلَّ بِالْحِجَازِ أَوِ الْيَمَامَةِ[٢] مَنْ لَا طَمَعَ لَهُ فِي الْقُرْصِ وَلَا عَهْدَ لَهُ بِالشِّبَعِ ، أَوْ أَبِيتَ مِبْطَاناً وَحَوْلِي بُطُونٌ غَرْثَى وَأَكْبَادٌ حَرَّى؟ أَوْ أَكُونَ كَمَا قَالَ الْقَائِلُ

وَحَسْبُكَ دَاءً أَنْ تَبِيتَ بِبِطْنَةٍ[٣] وَحَوْلَكَ أَكْبَادٌ تَحِنُّ إِلَى الْقِدِّ

أَأَقْنَعُ مِنْ نَفْسِي بِأَنْ يُقَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ وَلَا أُشَارِكُهُمْ فِي مَكَارِهِ الدَّهْرِ ، أَوْ أَكُونَ أُسْوَةً لَهُمْ فِي جُشُوبَةِ الْعَيْشِ[٤] . فَمَا خُلِقْتُ لِيَشْغَلَنِي أَكْلُ الطَّيِّبَاتِ كَالْبَهِيمَةِ الْمَرْبُوطَةِ هَمُّهَا عَلَفُهَا ، أَوِ الْمُرْسَلَةِ شُغُلُهَا تَقَمُّمُهَا[٥] ، تَكْتَرِشُ مِنْ أَعْلَافِهَا وَتَلْهُو عَمَّا يُرَادُ بِهَا . أَوْ أُتْرَكَ سُدًى أَوْ أُهْمَلَ عَابِثاً ، أَوْ أَجُرَّ حَبْلَ الضَّلَالَةِ ، أَوْ أَعْتَسِفَ طَرِيقَ الْمَتَاهَةِ[٦] . وَكَأَنِّي بِقَائِلِكُمْ يَقُولُ إِذَا كَانَ هٰذَا قُوتَ ابْنِ أَبِي طَالِبٍ فَقَدْ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ عَنْ قِتَالِ الْأَقْرَانِ وَمُنَازَلَةِ الشُّجْعَانِ . أَلَا وَإِنَّ الشَّجَرَةَ الْبَرِّيَّةَ

التمتع بأى اللذائذ شاء لم يمنعه مانع ، وهو قوله لو شئت لاهتديت الخ . والقز : الحرير

(١) الجشع : شدة الحرص (٢) جلة ولعل الخ حالية عمل فيها تخير الأطعمة أى هيهات أن يتخير الأطعمة لنفسه والحال أنه قد يكون بالحجاز أو اليمامة من لا يجد القرص أى الرغيف ولا طمع له فى وجوده لشدة الفقر ولا يعرف الشبع ، وهيهات أن يبيت مبطانا أى ممتلئ البطن والحال أن حوله بطونا غرثى أى جائعة وأكباداً حرى مؤنث حران أى عطشان (٣) البطنة ـ بكسر الباء ـ البطر والأشر والكظة . والقد ـ بالكسر ـ : سير من جلد غير مدبوغ أى أنها تطلب أكله ولا تجده (٤) الجشوبة : الخشونة (٥) التقاطها للقمامة أى الكناسة وتكترش أى تملأ كرشها (٦) اعتسف : ركب

أَصْلَبُ عُودًا ، وَالرَّوَائِعَ الْخَضِرَةَ أَرَقُّ جُلُودًا[١] ، وَالنَّابَاتَاتِ الْبَدَوِيَّةَ أَقْوَى وُقُودًا[٢] وَأَبْطَأُ خُمُودًا ، وَأَنَا مِنْ رَسُولِ اللهِ كَالصِّنْوِ مِنَ الصِّنْوِ وَالذِّرَاعِ مِنَ الْعَضُدِ[٣] . وَاللهِ لَوْ تَظَاهَرَتِ الْعَرَبُ عَلَى قِتَالِي لَمَا وَلَّيْتُ عَنْهَا ، وَلَوْ أَمْكَنَتِ الْفُرَصُ مِنْ رِقَابِهَا لَسَارَعْتُ إِلَيْهَا ، وَسَأَجْهَدُ فِي أَنْ أُطَهِّرَ الْأَرْضَ مِنْ هٰذَا الشَّخْصِ الْمَعْكُوسِ وَالْجِسْمِ الْمَرْكُوسِ[٤] حَتَّى تَخْرُجَ الْمَدَرَةُ مِنْ بَيْنِ حَبِّ الْحَصِيدِ[٥]

إِلَيْكِ عَنِّي يَادُنْيَا فَحَبْلُكِ عَلَى غَارِبِكِ[٦] ، قَدِ انْسَلَلْتُ مِنْ مَخَالِبِكِ ، وَأَفْلَتُّ مِنْ حَبَائِلِكِ ، وَاجْتَنَبْتُ الذَّهَابَ فِي مَدَاحِضِكِ . أَيْنَ الْقُرُونُ الَّذِينَ غَرَرْتِهِمْ بِمَدَاعِبِكِ[٧] أَيْنَ الْأُمَمُ الَّذِينَ فَتَنْتِهِمْ بِزَخَارِفِكِ . هَاهُمْ

الطريق على غير قصد . والمتاهة : موضع الحيرة (١) الروائع الخضرة : الأشجار والأعشاب الغضة الناعمة الحسنة (٢) الوقود : اشتعال النار أي إذا وقدت بها النار تكون أقوى اشتعالا من النباتات غير البدوية وأبطأ منها خموداً (٣) الصنوان : النخلتان يجمعهما أصل واحد فهو من جرثومة الرسول يكون في حاله كما كان شديد البأس وإن كان خشن المعيشة (٤) جهد ـ كمنع ـ : جد والمركوس من الركس وهو رد الشيء مقلوبا وقلب آخره على أوله ، والمراد مقلوب الفكر (٥) المدرة ـ بالتحريك ـ : قطعة الطين اليابس . وحب الحصيد: حب النبات المحصود كالقمح ونحوه ، أي حتى يطهر المؤمنين من المخالفين (٦) اليك عنى : اذهبي عنى . والغارب: الكاهل ومابين السنام والعنق . والجملة تمثيل لتسريحها تذهب حيث شاءت . وانسل من مخالبها : لم يعلق بشيء من شهواتها . والحبائل : جمع حبالة شبكة الصياد . وأفلت منها : خلص . والمداحض : المساقط (٧) والمداعب : جمع مدعبة ـ من الدعابة ـ

وَهَائِنُ الْقُبُورِ وَمَضَامِينُ اللُّحُودِ . وَاللهِ لَوْ كُنْتِ شَخْصاً مَرْئِيّاً وَقَالَباً حِسِّيّاً لَأَقَمْتُ عَلَيْكِ حُدُودَ اللهِ فِي عِبَادٍ غَرَرْتِهِمْ بِالْأَمَانِي وَأُمَمٍ أَلْقَيْتِهِمْ فِي الْمَهَاوِي ، وَمُلُوكٍ أَسْلَمْتِهِمْ إِلَى التَّلَفِ وَأَوْرَدْتِهِمْ مَوَارِدَ الْبَلَاءِ إِذْ لَا وِرْدَ وَلَا صَدَرَ(١) . هَيْهَاتَ مَنْ وَطِئَ دَحْضَكِ زَلِقَ(٢) ، وَمَنْ رَكِبَ لُجَجَكِ غَرِقَ ، وَمَنِ ازْوَرَّ عَنْ حَبَائِلِكِ وُفِّقَ(٣) . وَالسَّالِمُ مِنْكِ لَا يُبَالِي إِنْ ضَاقَ بِهِ مُنَاخُهُ وَالدُّنْيَا عِنْدَهُ كَيَوْمٍ حَانَ انْسِلَاخُهُ(٤) . اُعْزُبِي عَنِّي(٥) . فَوَاللهِ لَا أَذِلُّ لَكِ فَتَسْتَذِلِّينِي ، وَلَا أَسْلَسُ لَكِ فَتَقُودِينِي . وَايْمُ اللهِ يَمِيناً أَسْتَثْنِي فِيهَا بِمَشِيئَةِ اللهِ لَأَرُوضَنَّ نَفْسِي رِيَاضَةً تَهَشُّ مَعَهَا إِلَى الْقُرْصِ(٦) إِذَا قَدَرَتْ عَلَيْهِ مَطْعُوماً ، وَتَقْنَعُ بِالْمِلْحِ مَأْدُوماً ، وَلَأَدَعَنَّ مُقْلَتِي كَعَيْنِ مَاءٍ نَضَبَ مَعِينُهَا(٧) مُسْتَفْرِغَةً دُمُوعَهَا . أَتَمْتَلِئُ السَّائِمَةُ مِنْ رِعْيِهَا فَتَبْرُكَ ، وَتَشْبَعُ الرَّبِيضَةُ مِنْ عُشْبِهَا فَتَرْبِضَ(٨) وَيَأْكُلُ عَلِيٌّ مِنْ زَادِهِ

وهي المزاح . والتاآت والكافات كلها بالكسر خطابا للدنيا (١) الورد ـ بكسر الواو ـ: ورود الماء . والصدر ـ بالتحريك ـ : الصدور عنه بعد الشرب (٢) مكان دحض ـ بفتح فسكون ـ : أي زلق لاتثبت فيه الأرجل (٣) ازور أي مال وتنكب (٤) حان : حضر . وانسلاخه : زواله (٥) عزب يعزب أي بعد . ولا أسلس أي لا أنقاد (٦) تهش أي تنبسط إلى الرغيف وتفرح به من شدة ما حرمها ، ومطعوما حال من القرص كما أن مأدوما حال من الملح أي مأدوما به الطعام (٧) أي لأتركن مقلتي أي عيني وهي كعين ماء نضب أي غار معينها ـ بفتح فكسر ـ أي ماؤها الجاري ، أي أبكي حتى لايبقى دمع (٨) الربيضة : الغنم مع رعاتها إذا كانت في مرابضها . والربوض للغنم

فَيَهْجَعَ(١)؟. قَرَّتْ إِذًا عَيْنُهُ(٢) إِذَا اقْتَدَى بَعْدَ السِّنِينَ الْمُتَطَاوِلَةِ بِالْبَهِيمَةِ الْهَامِلَةِ(٣) وَالسَّائِمَةِ الْمَرْعِيَّةِ

طُوبَى لِنَفْسٍ أَدَّتْ إِلَى رَبِّهَا فَرْضَهَا، وَعَرَكَتْ بِجَنْبِهَا بُؤْسَهَا(٤). وَهَجَرَتْ فِي اللَّيْلِ غُمْضَهَا(٥) حَتَّى إِذَا غَلَبَ الْكَرَى عَلَيْهَا افْتَرَشَتْ أَرْضَهَا وَتَوَسَّدَتْ كَفَّهَا فِي مَعْشَرٍ أَسْهَرَ عُيُونَهُمْ خَوْفُ مَعَادِهِمْ، وَتَجَافَتْ عَنْ مَضَاجِعِهِمْ جُنُوبُهُمْ. وَهَمْهَمَتْ بِذِكْرِ رَبِّهِمْ شِفَاهُهُمْ(٦)، وَتَقَشَّعَتْ بِطُولِ اسْتِغْفَارِهِمْ ذُنُوبُهُمْ «أُولَئِكَ حِزْبُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْمُفْلِحُونَ»

فَاتَّقِ اللَّهَ يَا ابْنَ حُنَيْفٍ وَلْتَكْفِكَ أَقْرَاصُكَ لِيَكُونَ مِنَ النَّارِ خَلَاصُكَ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى بَعْضِ عُمَّالِهِ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ مِمَّنْ أَسْتَظْهِرُ بِهِ عَلَى إِقَامَةِ الدِّينِ(٧) وَأَقْمَعُ بِهِ نَخْوَةَ

كالبروك للابل (١) يهجع أى يسكن كما سكنت الحيوانات بعد طعامها (٢) دعاء على نفسه ببرود العين أى جودها من فقد الحياة تعبير باللازم (٣) الهاملة: المسترسلة. والهمل من الغنم: ترعى نهاراً بلا راع (٤) البؤس: الضر. وعركه بالجنب: الصبر عليه كأنه شوك فيسحقه بجنبه. ويقال فلان يعرك بجنبه الأذى إذا كان صابرا عليه (٥) والغمض ـ بالضم ـ: النوم. والكرى ـ بالفتح ـ: كذلك (٦) الهمهمة: الصوت يردد فى الصدر وأراد منه الأعم. وتقشع الغمام: انجلى (٧) أستظهر: أستعين

ٱلْأَثِيمِ ، وَأَسُدُّ بِهِ لَهَاةَ ٱلثَّغْرِ ٱلْمَخُوفِ(١) . فَٱسْتَعِنْ بِٱللهِ عَلَى مَا أَهَمَّكَ ، وَٱخْلِطِ ٱلشِّدَّةَ بِضِغْثٍ مِنَ ٱللِّينِ(٢) . وَٱرْفُقْ مَا كَانَ ٱلرِّفْقُ أَرْفَقَ . وَٱعْتَزِمْ بِٱلشِّدَّةِ حِينَ لَا يُغْنِي عَنْكَ إِلَّا ٱلشِّدَّةُ . وَٱخْفِضْ لِلرَّعِيَّةِ جَنَاحَكَ ، وَأَلِنْ لَهُمْ جَانِبَكَ . وَآسِ بَيْنَهُمْ فِي ٱللَّحْظَةِ وَٱلنَّظْرَةِ(٣) ، وَٱلْإِشَارَةِ وَٱلتَّحِيَّةِ ، حَتَّى لَا يَطْمَعَ ٱلْعُظَمَاءُ فِي حَيْفِكَ ، وَلَا يَيْأَسَ ٱلضُّعَفَاءُ مِنْ عَدْلِكَ . وَٱلسَّلَامُ

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِلْحَسَنِ وَٱلْحُسَيْنِ
عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ لَمَّا ضَرَبَهُ ٱبْنُ مُلْجَمٍ لَعَنَهُ ٱللهُ)

أُوصِيكُمَا بِتَقْوَى ٱللهِ وَأَنْ لَا تَبْغِيَا ٱلدُّنْيَا وَإِنْ بَغَتْكُمَا(٤) ، وَلَا تَأْسَفَا عَلَى شَيْءٍ مِنْهَا زُوِيَ عَنْكُمَا(٥) . وَقُولَا بِٱلْحَقِّ . وَٱعْمَلَا لِلْأَجْرِ . وَكُونَا لِلظَّالِمِ خَصْماً وَلِلْمَظْلُومِ عَوْناً

أُوصِيكُمَا وَجَمِيعَ وَلَدِي وَأَهْلِي وَمَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي بِتَقْوَى ٱللهِ وَنَظْمِ أَمْرِكُمْ ، وَصَلَاحِ ذَاتِ بَيْنِكُمْ ، فَإِنِّي سَمِعْتُ جَدَّكُمَا صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : «صَلَاحُ ذَاتِ ٱلْبَيْنِ أَفْضَلُ مِنْ عَامَّةِ ٱلصَّلَاةِ وَٱلصِّيَامِ»

به . وأقمع أى أكسر . والنخوة ـ بالفتح ـ : الكبر . والأثيم : فاعل الخطايا (١) الثغر : مظنة طروق الأعداء فى حدود الممالك واللهاة : قطعة لحم مدلاة فى سقف الفم على باب الحلق ، قرنها بالثغر تشبيها له بفم الانسان (٢) بضغث : بخلط ، أى شىء من اللين تخلط به الشدة (٣) آس أى شارك وسو بينهم (٤) لا تطلباها وإن طلبتكما (٥) زوى

وَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي الأَيْتَامِ فَلاَ تُغِبُّوا أَفْوَاهَهُمْ (١) وَلاَ يَضِيعُوا بِحَضْرَتِكُمْ. وَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي جِيرَانِكُمْ فَإِنَّهُمْ وَصِيَّةُ نَبِيِّكُمْ مَا زَالَ يُوصِي بِهِمْ حَتَّى ظَنَنَّا أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُمْ (٢). وَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي الْقُرْآنِ لاَ يَسْبِقُكُمْ بِالْعَمَلِ بِهِ غَيْرُكُمْ. وَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي الصَّلاَةِ فَإِنَّهَا عَمُودُ دِينِكُمْ. وَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي بَيْتِ رَبِّكُمْ لاَ تُخْلُوهُ مَا بَقِيتُمْ فَإِنَّهُ إِنْ تُرِكَ لَمْ تُنَاظَرُوا (٣). وَاللّٰهَ اللّٰهَ فِي الْجِهَادِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنْفُسِكُمْ وَأَلْسِنَتِكُمْ فِي سَبِيلِ اللّٰهِ. وَعَلَيْكُمْ بِالتَّوَاصُلِ وَالتَّبَاذُلِ (٤). وَإِيَّاكُمْ وَالتَّدَابُرَ وَالتَّقَاطُعَ. لاَ تَتْرُكُوا الأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ فَيُوَلَّى عَلَيْكُمْ شِرَارُكُمْ ثُمَّ تَدْعُونَ فَلاَ يُسْتَجَابُ لَكُمْ. يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لاَ أُلْفِيَنَّكُمْ (٥) تَخُوضُونَ دِمَاءَ الْمُسْلِمِينَ خَوْضاً تَقُولُونَ قُتِلَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ، أَلاَ لاَ تَقْتُلُنَّ بِي إِلاَّ قَاتِلِي

انْظُرُوا إِذَا أَنَا مُتُّ مِنْ ضَرْبَتِهِ هٰذِهِ فَاضْرِبُوهُ ضَرْبَةً بِضَرْبَةٍ، وَلاَ يُمَثَّلُ بِالرَّجُلِ (٦) فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ:

---

(١) أغب القوم: جاءهم يوما وترك يوما، أي صلوا أفواههم بالاطعام ولا تقطعوه عنها (٢) يجعل لهم حقا فى الميراث (٣) لم تناظروا مبنى للمجهول أي لا ينظر اليكم بالكرامة لا من الله ولا من الناس لاهمالكم فرض دينكم (٤) مداولة البذل أي العطاء (٥) لا أجدنكم: نفي فى معنى النهي، أي لا تخوضوا دماء المسلمين بالسفك انتقاما منهم بقتلي (٦) أي لا تمثلوا به. والتمثيل التنكيل والتعذيب، أوهو أي قبض ونحي عنكما

«إِيَّاكُمْ وَالْمُثْلَةَ وَلَوْ بِالْكَلْبِ الْعَقُورِ»

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

وَإِنَّ الْبَغْيَ وَالزُّورَ يُذِيعَانِ بِالْمَرْءِ فِي دِينِهِ وَدُنْيَاهُ(١)، وَيُبْدِيَانِ خَلَلَهُ عِنْدَ مَنْ يَعِيبُهُ. وَقَدْ عَلِمْتَ أَنَّكَ غَيْرُ مُدْرِكٍ مَا قُضِيَ فَوَاتُهُ(٢). وَقَدْ رَامَ أَقْوَامٌ أَمْرًا بِغَيْرِ الْحَقِّ فَتَأَوَّلُوا عَلَى اللهِ فَأَكْذَبَهُمْ(٣). فَاحْذَرْ يَوْمًا يَغْتَبِطُ فِيهِ مَنْ أَحْمَدَ عَاقِبَةَ عَمَلِهِ(٤)، وَيَنْدَمُ مَنْ أَمْكَنَ الشَّيْطَانَ مِنْ قِيَادِهِ فَلَمْ يُجَاذِبْهُ. وَقَدْ دَعَوْتَنَا إِلَى حُكْمِ الْقُرْآنِ وَلَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ. وَلَسْنَا إِيَّاكَ أَجَبْنَا، وَلَكِنَّا أَجَبْنَا الْقُرْآنَ فِي حُكْمِهِ. وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الدُّنْيَا مَشْغَلَةٌ عَنْ غَيْرِهَا، وَلَمْ يُصِبْ صَاحِبُهَا مِنْهَا شَيْئًا إِلَّا فَتَحَتْ لَهُ حِرْصًا عَلَيْهَا وَلَهَجًا بِهَا(٥)، وَلَنْ يَسْتَغْنِيَ صَاحِبُهَا بِمَا

التشويه بعد القتل أو قبله بقطع الأطراف مثلا (١) يذيعان بالمرء: يشهرانه ويفضحانه (٢) ما قضى فواته: هو دم عثمان والانتصار له. ومعاوية يعلم أنه لا يدركه لانقضاء الأمر بموت عثمان رضى الله عنه (٣) أولئك الذين فتحوا الفتنة بطلب دم عثمان يريد بهم أصحاب الجمل. وتأولوا على الله أى تطاولوا على أحكامه بالتأويل فأكذبهم حكم بكذبهم (٤) يغتبط: يفرح من جعل عاقبة عمله محمودة باحسان العمل أو من وجد العاقبة جيدة. وأمكن الشيطان، أى مكنه من زمامه ولم ينازعه (٥) لهجا أى ولوعا وشدة حرص

نَالَ فِيهَا عَمَّا لَمْ يَبْلُغْهُ مِنْهَا . وَمِنْ وَرَاءِ ذٰلِكَ فِرَاقُ مَا جَمَعَ وَنَقْضُ مَا أَبْرَمَ وَلَوِ اعْتَبَرْتَ بِمَا مَضَى حَفِظْتَ مَا بَقِيَ . وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أُمَرَائِهِ عَلَى الْجُيُوشِ)

مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْمَسَالِحِ (١)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ حَقًّا عَلَى الْوَالِي أَنْ لَا يُغَيِّرَهُ عَلَى رَعِيَّتِهِ فَضْلٌ نَالَهُ وَلَا طَوْلٌ خُصَّ بِهِ (٢) ، وَأَنْ يَزِيدَهُ مَا قَسَمَ اللّٰهُ لَهُ مِنْ نِعَمِهِ دُنُوًّا مِنْ عِبَادِهِ وَعَطْفًا عَلَى إِخْوَانِهِ . أَلَا وَإِنَّ لَكُمْ عِنْدِي أَنْ لَا أَحْتَجِزَ دُونَكُمْ سِرًّا إِلَّا فِي حَرْبٍ (٣) ، وَلَا أَطْوِيَ دُونَكُمْ أَمْرًا إِلَّا فِي حُكْمٍ (٤) . وَلَا أُؤَخِّرَ لَكُمْ حَقًّا عَنْ مَحَلِّهِ ، وَلَا أَقِفَ بِهِ دُونَ مَقْطَعِهِ (٥) ، وَأَنْ تَكُونُوا عِنْدِي فِي الْحَقِّ سَوَاءً ، فَإِذَا فَعَلْتُ ذٰلِكَ وَجَبَتْ لِلّٰهِ عَلَيْكُمُ النِّعْمَةُ وَلِي عَلَيْكُمُ الطَّاعَةُ ، وَأَنْ لَا تَنْكُصُوا عَنْ دَعْوَةٍ (٦) ، وَلَا تُفَرِّطُوا فِي صَلَاحٍ ،

---

(١) جمع مسلحة أى الثغور لأنها مواضع السلاح . وأصل المسلحة قوم ذو و سلاح

(٢) الطول ـ بفتح الطاء ـ : عظيم الفضل، أى من الواجب على الوالى إذا خصه الله بفضل أن يزيده فضله قربا من العباد وعطفاً على الاخوان، وليس من حقه أن يتغير (٣) لا أكتم عنكم سراً إلا فى الحرب فانه خدعة . وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا أراد حرباً ورى بغيرها (٤) طواه عنه: لم يجعل له نصيبا فيه ، أى لا أدع مشاورتكم فى أمر إلا فى حكم صرح به الشرع فى حد من الحدود مثلا فحكم الله النافذ دون مشورتكم (٥) دون الحد الذى قطع به أن يكون لكم (٦) أن لا تتأخروا إذا دعوتكم

وَأَنْ تَخُوضُوا الْغَمَرَاتِ إِلَى الْحَقِّ[١] . فَإِنْ أَنْتُمْ لَمْ تَسْتَقِيمُوا عَلَى ذٰلِكَ لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَهْوَنَ عَلَيَّ مِمَّنِ اعْوَجَّ مِنْكُمْ ، ثُمَّ أُعْظِمُ لَهُ الْعُقُوبَةَ ، وَلَا يَجِدُ فِيهَا عِنْدِي رُخْصَةً . فَخُذُوا هٰذَا مِنْ أُمَرَائِكُمْ ، وَأَعْطُوهُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ مَا يُصْلِحُ اللّٰهُ بِهِ أَمْرَكُمْ[٢]

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عُمَّالِهِ عَلَى الْخَرَاجِ)

مِنْ عَبْدِ اللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ إِلَى أَصْحَابِ الْخَرَاجِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ مَنْ لَمْ يَحْذَرْ مَا هُوَ صَائِرٌ إِلَيْهِ[٣] لَمْ يُقَدِّمْ لِنَفْسِهِ مَا يُحْرِزُهَا . وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا كُلِّفْتُمْ يَسِيرٌ وَأَنَّ ثَوَابَهُ كَثِيرٌ . وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِيمَا نَهَى اللّٰهُ عَنْهُ مِنَ الْبَغْيِ وَالْعُدْوَانِ عِقَابٌ يُخَافُ لَكَانَ فِي ثَوَابِ اجْتِنَابِهِ مَا لَا عُذْرَ فِي تَرْكِ طَلَبِهِ . فَأَنْصِفُوا النَّاسَ مِنْ أَنْفُسِكُمْ . وَاصْبِرُوا لِحَوَائِجِهِمْ فَإِنَّكُمْ خُزَّانُ الرَّعِيَّةِ[٤] وَوُكَلَاءُ الْأُمَّةِ وَسُفَرَاءُ الْأَئِمَّةِ . وَلَا تُحْسِمُوا أَحَدًا عَنْ حَاجَتِهِ[٥] ، وَلَا تَحْبِسُوهُ عَنْ طِلْبَتِهِ ،

(١) الغمرات : الشدائد (٢) أى خذوا حقكم من أمرائكم ، وأعطوهم من أنفسكم الحق الواجب عليكم وهو مايصلح الله به أمركم (٣) من لم يحذر العاقبة التى يصير اليها لم يعمل عملا لنفسه يحفظها من سوء المصير (٤) الخزان ـ بضم فزاى مشددة ـ : جمع خازن . والولاة يخزنون أموال الرعية فى بيت المال لتنفق فى مصالحها (٥) لاتحسموا: لا تقطعوا . والطلبة ـ بالكسر ـ : المطلوب

وَلَا تَبِيعُنَّ لِلنَّاسِ فِي الْخَرَاجِ كِسْوَةَ شِتَاءٍ وَلَا صَيْفٍ ، وَلَا دَابَّةً يَعْتَمِلُونَ عَلَيْهَا[١] وَلَا عَبْدًا ، وَلَا تَضْرِبُنَّ أَحَدًا سَوْطًا لِمَكَانِ دِرْهَمٍ ، وَلَا تَمَسُّنَّ مَالَ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ مُصَلٍّ وَلَا مُعَاهَدٍ ، إِلَّا أَنْ تَجِدُوا فَرَسًا أَوْ سِلَاحًا يُعْدَى بِهِ عَلَى أَهْلِ الْإِسْلَامِ فَإِنَّهُ لَا يَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَدَعَ ذٰلِكَ فِي أَيْدِي أَعْدَاءِ الْإِسْلَامِ فَيَكُونَ شَوْكَةً عَلَيْهِ . وَلَا تَدَّخِرُوا أَنْفُسَكُمْ نَصِيحَةً[٢] ، وَلَا الْجُنْدَ حُسْنَ سِيرَةٍ ، وَلَا الرَّعِيَّةَ مَعُونَةً ، وَلَا دِينَ اللّٰهِ قُوَّةً . وَأَبْلُوا فِي سَبِيلِ اللّٰهِ مَا اسْتَوْجَبَ عَلَيْكُمْ[٣] ، فَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ قَدِ اصْطَنَعَ عِنْدَنَا وَعِنْدَكُمْ أَنْ نَشْكُرَهُ بِجُهْدِنَا[٤] ، وَأَنْ نَنْصُرَهُ بِمَا بَلَغَتْ قُوَّتُنَا ، وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللّٰهِ

---

(١) أى لا تضطروا الناس لأن يبيعوا لأجل أداء الخراج شيئاً من كسوتهم ولامن الدواب اللازمة لأعمالهم فى الزرع والحمل مثلا ، ولا تضربوهم لأجل الدراهم، ولا تمسوا مال أحد من المصلين أى المسلمين أو المعاهدين بالمصادرة ، إلا ما كان عدة للخارجين على الاسلام يصولون بها على أهله (٢) ادخر الشيء : استبقاه لايبذل منه لوقت الحاجة . وضمن ادخرههنامعنى منع فعداه بنفسه لمفعولين، أى لا تمنعوا أنفسكم شيئا من النصيحة بدعوى تأخيره لوقت الحاجة ، بل حاسبوا أنفسكم على أعمالها كل وقت . ومثل هذا يقال فى المعطوفات (٣) وأبلوا أى أدوا ، يقال أبليته عذراً ، أى أديته اليه (٤) يقال اصطنعت عنده ، أى طلبت منه أى يصنع لى شيئاً ، فالله سبحانه طلب منا أن نصنع له الشكر بطاعتنا له و رعاية حقوق عباده وفاء بحق ماله علينامن النعمة

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى أُمَرَاءِ الْبِلَادِ فِي مَعْنَى الصَّلَاةِ)

أَمَّا بَعْدُ فَصَلُّوا بِالنَّاسِ الظُّهْرَ حَتَّى تَفِيءَ الشَّمْسُ مِنْ مَرْبَضِ الْعَنْزِ[١] وَصَلُّوا بِهِمُ الْعَصْرَ وَالشَّمْسُ بَيْضَاءُ حَيَّةٌ فِي عِضْوٍ مِنَ النَّهَارِ حِينَ يُسَارُ فِيهَا فَرْسَخَانِ[٢] . وَصَلُّوا بِهِمُ الْمَغْرِبَ حِينَ يُفْطِرُ الصَّائِمُ وَيَدْفَعُ الْحَاجُّ[٣] وَصَلُّوا بِهِمُ الْعِشَاءَ حِينَ يَتَوَارَى الشَّفَقُ إِلَى ثُلُثِ اللَّيْلِ . وَصَلُّوا بِهِمُ الْغَدَاةَ وَالرَّجُلُ يَعْرِفُ وَجْهَ صَاحِبِهِ . وَصَلُّوا بِهِمْ صَلَاةَ أَضْعَفِهِمْ وَلَا تَكُونُوا فَتَّانِينَ[٤]

(وَمِنْ عَهْدٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَهُ لِلْأَشْتَرِ النَّخَعِيِّ لَمَّا وَلَّاهُ عَلَى مِصْرَ وَأَعْمَالِهَا حِينَ اضْطَرَبَ مُحَمَّدُ بْنُ أَبِي بَكْرٍ وَهُوَ أَطْوَلُ عَهْدٍ وَأَجْمَعُ كُتُبِهِ لِلْمَحَاسِنِ)

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمٰنِ الرَّحِيمِ ﴾

هٰذَا مَا أَمَرَ بِهِ عَبْدُ اللَّهِ عَلِيٌّ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ مَالِكَ بْنَ الْحَارِثِ الْأَشْتَرَ

---

(١) تفيء ، أى تصل فى ميلها جهة الغرب إلى أن يكون لها فىء أى ظل من حائط المربض على قدر طوله ، وذلك حيث يكون ظل كل شىء مثله (٢) أى لاتزالوا تصلون بهم العصر من نهاية وقت الظهر مادامت الشمس بيضاء حية لم تصفر ، وذلك فى جزء من النهار يسع السير فرسخين . والضمير فى فيها للعضو باعتبار كونه مدة (٣) يدفع الحاج، أى يفيض من عرفات (٤) أى لا يكون الامام موجبا لفتنة المأمومين

فِي عَهْدِهِ إِلَيْهِ حِينَ وَلَّاهُ مِصْرَ : جِبَايَةَ خَرَاجِهَا ، وَجِهَادَ عَدُوِّهَا ، وَاسْتِصْلَاحَ أَهْلِهَا ، وَعِمَارَةَ بِلَادِهَا

أَمَرَهُ بِتَقْوَى اللهِ وَإِيثَارِ طَاعَتِهِ ، وَاتِّبَاعِ مَا أَمَرَ بِهِ فِي كِتَابِهِ : مِنْ فَرَائِضِهِ وَسُنَنِهِ الَّتِي لَا يَسْعَدُ أَحَدٌ إِلَّا بِاتِّبَاعِهَا ، وَلَا يَشْقَى إِلَّا مَعَ جُحُودِهَا وَإِضَاعَتِهَا ، وَأَنْ يَنْصُرَ اللهَ سُبْحَانَهُ بِقَلْبِهِ وَيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَإِنَّهُ جَلَّ اسْمُهُ قَدْ تَكَفَّلَ بِنَصْرِ مَنْ نَصَرَهُ وَإِعْزَازِ مَنْ أَعَزَّهُ

وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْسِرَ نَفْسَهُ مِنَ الشَّهَوَاتِ وَيَزَعَهَا عِنْدَ الْجَمَحَاتِ(١) ، فَإِنَّ النَّفْسَ أَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ اللهُ

ثُمَّ اعْلَمْ يَا مَالِكُ أَنِّي قَدْ وَجَّهْتُكَ إِلَى بِلَادٍ قَدْ جَرَتْ عَلَيْهَا دُوَلٌ قَبْلَكَ مِنْ عَدْلٍ وَجَوْرٍ . وَأَنَّ النَّاسَ يَنْظُرُونَ مِنْ أُمُورِكَ فِي مِثْلِ مَا كُنْتَ تَنْظُرُ فِيهِ مِنْ أُمُورِ الْوُلَاةِ قَبْلَكَ ، وَيَقُولُونَ فِيكَ مَا كُنْتَ تَقُولُ فِيهِمْ . وَإِنَّمَا يُسْتَدَلُّ عَلَى الصَّالِحِينَ بِمَا يُجْرِي اللهُ لَهُمْ عَلَى أَلْسُنِ عِبَادِهِ . فَلْيَكُنْ أَحَبَّ الذَّخَائِرِ إِلَيْكَ ذَخِيرَةُ الْعَمَلِ الصَّالِحِ . فَامْلِكْ هَوَاكَ ، وَشُحَّ بِنَفْسِكَ عَمَّا لَا يَحِلُّ لَكَ(٢) ، فَإِنَّ الشُّحَّ بِالنَّفْسِ الْإِنْصَافُ

ونفرتهم من الصلاة بالتطويل (١) ويزعها أى يكفها عن مطامعها إذا جمحت عليه فلم تنقد لقائد العقل الصحيح والشرع الصريح (٢) شح : ابخل بنفسك عن الوقوع فى غير الحل ، فليس الحرص على النفس إيفاءها كل ما تحب ، بل من الحرص عليها

مِنْهَا فِيمَا أَحبَبْتَ أَوْ كَرِهتَ . وَأَشْعِرْ قَلْبَكَ الرَّحْمَةَ لِلرَّعِيَّةِ وَالْمَحَبَّةَ لَهُمْ وَاللُّطْفَ بِهِمْ . وَلا تَكُونَنَّ عَلَيْهِمْ سَبُعاً ضَارِياً تَغْتَنِمُ أَكْلَهُمْ ، فَإِنَّهُمْ صِنْفَانِ إِمَّا أَخٌ لَكَ فِي الدِّينِ وَإِمَّا نَظِيرٌ لَكَ فِي الْخَلْقِ ، يَفْرُطُ مِنْهُمُ الزَّلَلُ (١) ، وَتَعْرِضُ لَهُمُ الْعِلَلُ ، وَيُؤْتَى عَلَى أَيْدِيهِمْ فِي الْعَمْدِ وَالْخَطَإِ (٢) فَأَعْطِهِمْ مِنْ عَفْوِكَ وَصَفْحِكَ مِثْلَ الَّذِي تُحِبُّ أَنْ يُعْطِيَكَ اللهُ مِنْ عَفْوِهِ وَصَفْحِهِ ، فَإِنَّكَ فَوْقَهُمْ ، وَوَالِي الْأَمْرِ عَلَيْكَ فَوْقَكَ ، وَاللهُ فَوْقَ مَنْ وَلَّاكَ . وَقَدِ اسْتَكْفَاكَ أَمْرَهُمْ (٣) وَابْتَلَاكَ بِهِمْ . وَلَا تَنْصِبَنَّ نَفْسَكَ لِحَرْبِ اللهِ (٤) فَإِنَّهُ لَا يَدَيْ لَكَ بِنِقْمَتِهِ ، وَلَا غِنَى بِكَ عَنْ عَفْوِهِ وَرَحْمَتِهِ . وَلَا تَنْدَمَنَّ عَلَى عَفْوٍ ، وَلَا تَبْجَحَنَّ بِعُقُوبَةٍ (٥) ، وَلَا تُسْرِعَنَّ إِلَى بَادِرَةٍ وَجَدْتَ مِنْهَا مَنْدُوحَةً ، وَلَا تَقُولَنَّ إِنِّي مُؤَمَّرٌ آمُرُ فَأُطَاعُ (٦) فَإِنَّ ذٰلِكَ إِدْغَالٌ فِي الْقَلْبِ ، وَمَنْهَكَةٌ لِلدِّينِ ، وَتَقَرُّبٌ مِنَ الْغِيَرِ . وَإِذَا

أن تحمل على ماتنكره إن كان ذلك فى الحق ، فرب محبوب يعقب هلاكا ومكروه يحمد عاقبة (١) يفرط : يسبق . والزلل : الخطأ (٢) يؤتى مبنى للمجهول نائب فاعله على أيديهم . وأصله تأتى السيئات على أيديهم الخ (٣) استكفاك : طلب منك كفاية أمرهم والقيام بتدبير مصالحهم (٤) أراد بحرب الله مخالفة شريعته بالظلم والجور ، ولايدى لك بنقمته أى ليس لك يد ان تدفع نقمته ، أى لاطاقة لك بها (٥) بجح به : كفرح لفظاً ومعنى . والبادرة : مايبدر من الحدة عند الغضب فى قول أو فعل . والمندوحة : المتسع أى المخلص (٦) مؤمر : كمعظم أى مسلط . والإدغال : إدخال الفساد . ومنهكة : مضعفة ، نهكه : أضعفه . والغير — بكسر ففتح — : حادثات الدهر بتبدل

أَحْدَثَ لَكَ مَا أَنْتَ فِيهِ مِنْ سُلْطَانِكَ أُبَّهَةً أَوْ مَخِيلَةً(١) فَانْظُرْ إِلَى عِظَمِ مُلْكِ اللَّهِ فَوْقَكَ وَقُدْرَتِهِ مِنْكَ عَلَى مَا لَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ مِنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يُطَامِنُ إِلَيْكَ مِنْ طِمَاحِكَ(٢) ، وَيَكُفُّ عَنْكَ مِنْ غَرْبِكَ ، وَيَفِيءُ إِلَيْكَ بِمَا عَزَبَ عَنْكَ مِنْ عَقْلِكَ

إِيَّاكَ وَمُسَامَاةَ اللَّهِ فِي عَظَمَتِهِ(٣) وَالتَّشَبُّهَ بِهِ فِي جَبَرُوتِهِ ، فَإِنَّ اللَّهَ يُذِلُّ كُلَّ جَبَّارٍ وَيُهِينُ كُلَّ مُخْتَالٍ

أَنْصِفِ اللَّهَ وَأَنْصِفِ النَّاسَ مِنْ نَفْسِكَ وَمِنْ خَاصَّةِ أَهْلِكَ وَمَنْ لَكَ فِيهِ هَوًى مِنْ رَعِيَّتِكَ(٤) ، فَإِنَّكَ إِلَّا تَفْعَلْ تَظْلِمْ ، وَمَنْ ظَلَمَ عِبَادَ اللَّهِ كَانَ اللَّهُ خَصْمَهُ دُونَ عِبَادِهِ ، وَمَنْ خَاصَمَهُ اللَّهُ أَدْحَضَ حُجَّتَهُ(٥) وَكَانَ لِلَّهِ حَرْبًا حَتَّى يَنْزِعَ وَيَتُوبَ . وَلَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى إِلَى تَغْيِيرِ نِعْمَةِ اللَّهِ وَتَعْجِيلِ نِقْمَتِهِ مِنْ إِقَامَةٍ عَلَى ظُلْمٍ ، فَإِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ دَعْوَةَ الْمُضْطَهَدِينَ وَهُوَ لِلظَّالِمِينَ بِالْمِرْصَادِ

---

(١) الأبهة ـ بضم الهمزه وتشديد الباء مفتوحة ـ : العظمة والكبرياء . والمخيلة ـ بفتح فكسر ـ : الخيلاء والعجب (٢) الطماح ـ ككتاب ـ : النشوز والجماح . ويطامن أي يخفض منه . والغرب ـ بفتح فسكون ـ : الحدة . ويفيء : يرجع اليك بما عزب أي غاب من عقلك (٣) المساماة : المباراة في السمو أي العلو (٤) من لك فيه هوى أي لك اليه ميل خاص (٥) أدحض : أبطل . وحربا أي محاربا . وينزع ـ كيضرب ـ أي يقلع عن ظلمه

الدول . والاغترار بالسلطة تقرب منها أي تعرض للوقوع فيها

وَلْيَكُنْ أَحَبُّ الأُمُورِ إِلَيْكَ أَوْسَطَهَا فِي الْحَقِّ، وَأَعَمَّهَا فِي الْعَدْلِ وَأَجْمَعَهَا لِرِضَى الرَّعِيَّةِ، فَإِنَّ سُخْطَ الْعَامَّةِ يُجْحِفُ بِرِضَى الْخَاصَّةِ[1]، وَإِنَّ سُخْطَ الْخَاصَّةِ يُغْتَفَرُ مَعَ رِضَى الْعَامَّةِ. وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنَ الرَّعِيَّةِ أَثْقَلَ عَلَى الْوَالِي مَؤُونَةً فِي الرَّخَاءِ، وَأَقَلَّ مَعُونَةً لَهُ فِي الْبَلَاءِ، وَأَكْرَهَ لِلْإِنْصَافِ، وَأَسْأَلَ بِالْإِلْحَافِ[2]، وَأَقَلَّ شُكْرًا عِنْدَ الْإِعْطَاءِ. وَأَبْطَأَ عُذْرًا عِنْدَ الْمَنْعِ، وَأَضْعَفَ صَبْرًا عِنْدَ مُلِمَّاتِ الدَّهْرِ مِنْ أَهْلِ الْخَاصَّةِ[3] وَإِنَّمَا عِمَادُ الدِّينِ وَجِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ[4] وَالْعُدَّةُ لِلْأَعْدَاءِ الْعَامَّةُ مِنَ الْأُمَّةِ، فَلْيَكُنْ صَغْوُكَ لَهُمْ وَمَيْلُكَ مَعَهُمْ

وَلْيَكُنْ أَبْعَدُ رَعِيَّتِكَ مِنْكَ وَأَشْنَؤُهُمْ عِنْدَكَ أَطْلَبَهُمْ لِمَعَائِبِ النَّاسِ[5]، فَإِنَّ فِي النَّاسِ عُيُوبًا الْوَالِي أَحَقُّ مَنْ سَتَرَهَا[6]. فَلَا تَكْشِفَنَّ عَمَّا غَابَ عَنْكَ مِنْهَا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ تَطْهِيرُ مَا ظَهَرَ لَكَ، وَاللهُ يَحْكُمُ عَلَى مَا غَابَ عَنْكَ. فَاسْتُرِ الْعَوْرَةَ مَا اسْتَطَعْتَ يَسْتُرِ اللهُ مِنْكَ مَا تُحِبُّ سَتْرَهُ

---

(١) يجحف أي يذهب برضى الخاصة فلا ينفع الثاني معه، أما لو سخط الخاصة ورضى العامة فلا أثر لسخط الخاصة فهو مغتفر (٢) الإلحاف: الالحاح والشدة فى السؤال (٣) من أهل الخاصة متعلق بأثقل ومابعده من أفعال التفضيل (٤) جماع الشيء -بالكسر-: جمعه أي جماعة الاسلام. والعامة خبر عماد ومابعده (٥) اشنؤهم: أبغضهم، والأطلب للمعائب: الأشد طلباً لها (٦) ستر فعل ماض صلة من، أي أحق الساترين

مِنْ رَعِيَّتِكَ . أَطْلِقْ عَنِ النَّاسِ عُقْدَةَ كُلِّ حِقْدٍ[١] . وَاقْطَعْ عَنْكَ سَبَبَ كُلِّ وِتْرٍ . وَتَغَابَ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَضِحُ لَكَ ، وَلَا تَعْجَلَنَّ إِلَى تَصْدِيقِ سَاعٍ فَإِنَّ السَّاعِيَ غَاشٌّ وَإِنْ تَشَبَّهَ بِالنَّاصِحِينَ

وَلَا تُدْخِلَنَّ فِي مَشُورَتِكَ بَخِيلًا يَعْدِلُ بِكَ عَنِ الْفَضْلِ[٢] وَيَعِدُكَ الْفَقْرَ ، وَلَا جَبَانًا يُضْعِفُكَ عَنِ الْأُمُورِ ، وَلَا حَرِيصًا يُزَيِّنُ لَكَ الشَّرَهَ بِالْجَوْرِ ، فَإِنَّ الْبُخْلَ وَالْجُبْنَ وَالْحِرْصَ غَرَائِزُ شَتَّى[٣] يَجْمَعُهَا سُوءُ الظَّنِّ بِاللَّهِ . إِنَّ شَرَّ وُزَرَائِكَ مَنْ كَانَ لِلْأَشْرَارِ قَبْلَكَ وَزِيرًا وَمَنْ شَرِكَهُمْ فِي الْآثَامِ فَلَا يَكُونَنَّ لَكَ بِطَانَةً[٤] فَإِنَّهُمْ أَعْوَانُ الْأَثَمَةِ وَإِخْوَانُ الظَّلَمَةِ ، وَأَنْتَ وَاجِدٌ مِنْهُمْ خَيْرَ الْخَلَفِ[٥] مِمَّنْ لَهُ مِثْلُ آرَائِهِمْ وَنَفَاذِهِمْ ، وَلَيْسَ عَلَيْهِ مِثْلُ آصَارِهِمْ وَأَوْزَارِهِمْ[٦] مِمَّنْ لَمْ يُعَاوِنْ ظَالِمًا عَلَى ظُلْمِهِ وَلَا آثِمًا عَلَى إِثْمِهِ . أُولَئِكَ أَخَفُّ عَلَيْكَ مَؤُونَةً ، وَأَحْسَنُ لَكَ مَعُونَةً ، وَأَحْنَى

لها بالستر (١) أى أحلل عقد الأحقاد من قلوب الناس بحسن السيرة معهم . واقطع عنك أسباب الأوتار أى العداوات بترك الاساءة إلى الرعية . والوتر — بالكسر — : العداوة . وتغاب أى تغافل . والساعى هو النمام بمعائب الناس (٢) الفضل هنا الاحسان بالبذل . ويعدك : يخوفك من الفقر لو بذلت . والشره — بالتحريك — : أشد الحرص (٣) غرائز : طبائع متفرقة تجتمع فى سوء الظن بكرم الله وفضله (٤) بطانة الرجل — بالكسر — : خاصته ، وهو من بطانة الثوب خلاف ظهارته . والأثمة : جمع آثم ، فاعل الاثم أى الذنب . والظلمة : جمع ظالم (٥) منهم متعلق بالخلف أو متعلق بواجد ، ومن مستعملة فى المعنى الاسمى بمعنى بدل (٦) الآصار : جمع اصر بالكسر وهو الذنب والاثم

عَلَيْكَ عَطْفاً ، وَأَقَلُّ لِغَيْرِكَ إِلْفاً[1] فَاتَّخِذْ أُولٰئِكَ خَاصَّةً لِخَلَوَاتِكَ وَحَفَلَاتِكَ ، ثُمَّ لْيَكُنْ آثَرُهُمْ عِنْدَكَ أَقْوَلَهُمْ بِمُرِّ الْحَقِّ لَكَ[2] ، وَأَقَلَّهُمْ مُسَاعَدَةً فِيمَا يَكُونُ مِنْكَ مِمَّا كَرِهَ اللّٰهُ لِأَوْلِيَائِهِ وَاقِعاً ذٰلِكَ مِنْ هَوَاكَ حَيْثُ وَقَعَ[3] ، وَالْصَقْ بِأَهْلِ الْوَرَعِ وَالصِّدْقِ ، ثُمَّ رُضْهُمْ عَلَى أَنْ لَا يُطْرُوكَ[4] وَلَا يُبَجِّحُوكَ بِبَاطِلٍ لَمْ تَفْعَلْهُ ، فَإِنَّ كَثْرَةَ الْإِطْرَاءِ تُحْدِثُ الزَّهْوَ وَتُدْنِي مِنَ الْعِزَّةِ

وَلَا يَكُونَنَّ الْمُحْسِنُ وَالْمُسِيءُ عِنْدَكَ بِمَنْزِلَةٍ سَوَاءٍ ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ تَزْهِيداً لِأَهْلِ الْإِحْسَانِ فِي الْإِحْسَانِ ، وَتَدْرِيباً لِأَهْلِ الْإِسَاءَةِ عَلَى الْإِسَاءَةِ . وَأَلْزِمْ كُلًّا مِنْهُمْ مَا أَلْزَمَ نَفْسَهُ[5] . وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ بِأَدْعَى إِلَى حُسْنِ ظَنِّ رَاعٍ بِرَعِيَّتِهِ مِنْ إِحْسَانِهِ إِلَيْهِمْ[6] ، وَتَخْفِيفِهِ

وكذلك الأوزار (١) الالف ـ بالكسر ـ : الالفة والمحبة (٢) ليكن أفضلهم لديك أكثرهم قولا بالحق المر . ومرارة الحق: صعوبته على نفس الوالى (٣) واقعا حال مما كره الله ، أى لايساعدك على ما كره الله حال كونه نازلا من ميلك اليه أى منزلة ، أى وإن كان من أشد مرغوباتك (٤) رضهم ، أى عودهم على أن لايطروك أى يزيدوا فى مدحك ، ولايبجحوك أى يفرحوك بنسبة عمل عظيم اليك ولم تكن فعلته . والزهو ـ بالفتح ـ : العجب وتدنى. أى تقرب من العزة أى الكبر (٥) فان المسيء ألزم نفسه استحقاق العقاب ، والمحسن ألزمها استحقاق الكرامة (٦) إذا أحسن الوالى إلى رعيته وثق من قلوبهم بالطاعة له ، فان الاحسان قياد الانسان فيحسن ظنه بهم ، بخلاف مالو أساء اليهم فان الاساءة تحدث العداوة فى نفوسهم فينتهزون الفرصة

ٱلْمَؤُونَاتِ عَلَيْهِمْ ، وَتَرْكِ ٱسْتِكْرَاهِهِ إِيَّاهُمْ عَلَى مَا لَيْسَ قِبَلَهُمْ(١) فَلْيَكُنْ مِنْكَ فِي ذٰلِكَ أَمْرٌ يَجْتَمِعُ لَكَ بِهِ حُسْنُ ٱلظَّنِّ بِرَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ حُسْنَ ٱلظَّنِّ يَقْطَعُ عَنْكَ نَصَباً طَوِيلاً(٢) ، وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ حَسُنَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ حَسُنَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ . وَإِنَّ أَحَقَّ مَنْ سَاءَ ظَنُّكَ بِهِ لَمَنْ سَاءَ بَلَاؤُكَ عِنْدَهُ(٣)

وَلَا تَنْقُضْ سُنَّةً صَالِحَةً عَمِلَ بِهَا صُدُورُ هٰذِهِ ٱلْأُمَّةِ ، وَٱجْتَمَعَتْ بِهَا ٱلْأُلْفَةُ ، وَصَلَحَتْ عَلَيْهَا ٱلرَّعِيَّةُ . وَلَا تُحْدِثَنَّ سُنَّةً تَضُرُّ بِشَيْءٍ مِنْ مَاضِي تِلْكَ ٱلسُّنَنِ فَيَكُونَ ٱلْأَجْرُ لِمَنْ سَنَّهَا . وَٱلْوِزْرُ عَلَيْكَ بِمَا نَقَضْتَ مِنْهَا

وَأَكْثِرْ مُدَارَسَةَ ٱلْعُلَمَاءِ وَمُنَافَثَةَ ٱلْحُكَمَاءِ(٤) فِي تَثْبِيتِ مَا صَلَحَ عَلَيْهِ أَمْرُ بِلَادِكَ وَإِقَامَةِ مَا ٱسْتَقَامَ بِهِ ٱلنَّاسُ قَبْلَكَ

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلرَّعِيَّةَ طَبَقَاتٌ لَا يَصْلُحُ بَعْضُهَا إِلَّا بِبَعْضٍ ، وَلَا غِنَى بِبَعْضِهَا عَنْ بَعْضٍ . فَمِنْهَا جُنُودُ ٱللهِ . وَمِنْهَا كُتَّابُ ٱلْعَامَّةِ وَٱلْخَاصَّةِ(٥) .

لعصيانه فيسوء ظنه بهم (١) قبلهم ـ بكسر ففتح ـ أى عندهم (٢) النصب ـ بالتحريك ـ : التعب (٣) البلاء هنا : الصنع مطلقاً حسناً أو سيئاً ، وتفسير العبارة واضح مما قدمنا (٤) المنافثة : المحادثة (٥) كتاب ـ كرمان ـ : جمع كاتب . والكتبة منهم عاملون للعامة كالمحاسبين والمحررين فى المعتاد من شؤون العامة ، كالخراج والمظالم ، ومنهم مختصون بالحاكم يفضى اليهم بأسراره و يوليهم النظر فيما يكتب لأوليائه

وَمِنْهَا قُضَاةُ الْعَدْلِ. وَمِنْهَا عُمَّالُ الْإِنْصَافِ وَالرِّفْقِ. وَمِنْهَا أَهْلُ الْجِزْيَةِ وَالْخَرَاجِ مِنْ أَهْلِ الذِّمَّةِ وَمُسْلِمَةِ النَّاسِ. وَمِنْهَا التُّجَّارُ وَأَهْلُ الصِّنَاعَاتِ. وَمِنْهَا الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ ذَوِي الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ وَكُلًّا قَدْ سَمَّى اللهُ سَهْمَهُ[1]، وَوَضَعَ عَلَى حَدِّهِ فَرِيضَتَهُ فِي كِتَابِهِ أَوْ سُنَّةِ نَبِيِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَهْدًا مِنْهُ عِنْدَنَا مَحْفُوظًا

فَالْجُنُودُ بِإِذْنِ اللهِ حُصُونُ الرَّعِيَّةِ، وَزَيْنُ الْوُلَاةِ، وَعِزُّ الدِّينِ، وَسُبُلُ الْأَمْنِ، وَلَيْسَ تَقُومُ الرَّعِيَّةُ إِلَّا بِهِمْ. ثُمَّ لَا قِوَامَ لِلْجُنُودِ إِلَّا بِمَا يُخْرِجُ اللهُ لَهُمْ مِنَ الْخَرَاجِ الَّذِي يَقْوَوْنَ بِهِ فِي جِهَادِ عَدُوِّهِمْ، وَيَعْتَمِدُونَ عَلَيْهِ فِيمَا يُصْلِحُهُمْ، وَيَكُونُ مِنْ وَرَاءِ حَاجَتِهِمْ[2]. ثُمَّ لَا قِوَامَ لِهٰذَيْنِ الصِّنْفَيْنِ إِلَّا بِالصِّنْفِ الثَّالِثِ مِنَ الْقُضَاةِ وَالْعُمَّالِ وَالْكُتَّابِ لِمَا يُحْكِمُونَ مِنَ الْمَعَاقِدِ[3]، وَيَجْمَعُونَ مِنَ الْمَنَافِعِ، وَيُؤْتَمَنُونَ عَلَيْهِ مِنْ خَوَاصِّ الْأُمُورِ وَعَوَامِّهَا. وَلَا قِوَامَ لَهُمْ جَمِيعًا إِلَّا بِالتُّجَّارِ وَذَوِي الصِّنَاعَاتِ فِيمَا يَجْتَمِعُونَ عَلَيْهِ مِنْ مَرَافِقِهِمْ[4]، وَيُقِيمُونَهُ مِنْ أَسْوَاقِهِمْ،

وأعدائه وما يقرر فى شؤون حربه وسلمه مثلا (١) سهمه : نصيبه من الحق (٢) أى يكون محيطاً بجميع حاجاتهم دافعاً لها (٣) هو ومابعده نشر على ترتيب اللف . والمعاقد: العقود فى البيع والشراء وما شابهها مما هو من شأن القضاة . وجمع المنافع من حفظ الأمن وجباية الخراج وتصريف الناس فى منافعهم العامة ذلك شأن العمال . والمؤتمنون هم الكتاب (٤) الضمير للتجار وذوى الصناعات ، أى أنهم قوام لمن قبلهم بسبب

وَيَكْفُونَهُمْ مِنَ التَّرَفُّقِ بِأَيْدِيهِمْ مَا لَا يَبْلُغُهُ رِفْقُ غَيْرِهِمْ . ثُمَّ الطَّبَقَةُ السُّفْلَى مِنْ أَهْلِ الْحَاجَةِ وَالْمَسْكَنَةِ الَّذِينَ يَحِقُّ رِفْدُهُمْ وَمَعُونَتُهُمْ(١) . وَفِي اللَّهِ لِكُلٍّ سَعَةٌ ، وَلِكُلٍّ عَلَى الْوَالِي حَقٌّ بِقَدْرِ مَا يُصْلِحُهُ ، وَلَيْسَ يَخْرُجُ الْوَالِي مِنْ حَقِيقَةِ مَا أَلْزَمَهُ اللَّهُ مِنْ ذَلِكَ إِلَّا بِالِاهْتِمَامِ وَالِاسْتِعَانَةِ بِاللَّهِ ، وَتَوْطِينِ نَفْسِهِ عَلَى لُزُومِ الْحَقِّ ، وَالصَّبْرِ عَلَيْهِ فِيمَا خَفَّ عَلَيْهِ أَوْ ثَقُلَ . فَوَلِّ مِنْ جُنُودِكَ أَنْصَحَهُمْ فِي نَفْسِكَ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِإِمَامِكَ ، وَأَنْقَاهُمْ جَيْباً(٢) ، وَأَفْضَلَهُمْ حِلْماً مِمَّنْ يُبْطِئُ عَنِ الْغَضَبِ ، وَيَسْتَرِيحُ إِلَى الْعُذْرِ ، وَيَرْأَفُ بِالضُّعَفَاءِ وَيَنْبُو عَلَى الْأَقْوِيَاءِ(٣) . وَمِمَّنْ لَا يُثِيرُهُ الْعُنْفُ وَلَا يَقْعُدُ بِهِ الضَّعْفُ . ثُمَّ أَلْصِقْ بِذَوِي الْأَحْسَابِ(٤) وَأَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالسَّوَابِقِ الْحَسَنَةِ . ثُمَّ أَهْلِ النَّجْدَةِ وَالشَّجَاعَةِ وَالسَّخَاءِ وَالسَّمَاحَةِ ، فَإِنَّهُمْ جِمَاعٌ مِنَ الْكَرَمِ ، وَشُعَبٌ مِنَ الْعُرْفِ . ثُمَّ تَفَقَّدْ مِنْ أُمُورِهِمْ مَا يَتَفَقَّدُهُ الْوَالِدَانِ

المرافق أى المنافع التى يجتمعون لأجلها ، ولها يقيمون الأسواق ويكفون سائر الطبقات من الترفق أى التكسب بأيديهم مالا يبلغه كسب غيرهم من سائر الطبقات (١) رفدهم: مساعدتهم وصلتهم (٢) جيب القميص : طوقه ، ويقال نقى الجيب أى طاهر الصدر والقلب . والحلم : العقل (٣) ينبو : يشتد و يعلو عليهم ليكف أيديهم عن ظلم الضعفاء (٤) ثم الصق الخ تبيين للقبيل الذى يؤخذ منه الجند و يكون منه رؤساؤه وشرح لأوصافهم . وجماع من الكرم : مجموع منه . وشعب — بضم ففتح — : جمع شعبة .

مِنْ وَلَدِهِمَا ، وَلَا يَتَفَاقَمَنَّ فِي نَفْسِكَ شَيْءٌ قَوَّيْتَهُمْ بِهِ[١] . وَلَا تَحْقِرَنَّ لُطْفاً تَعَاهَدْتَهُمْ بِهِ[٢] وَإِنْ قَلَّ فَإِنَّهُ دَاعِيَةٌ لَهُمْ إِلَى بَذْلِ النَّصِيحَةِ لَكَ وَحُسْنِ الظَّنِّ بِكَ . وَلَا تَدَعْ تَفَقُّدَ لَطِيفِ أُمُورِهِمْ اتِّكَالاً عَلَى جَسِيمِهَا فَإِنَّ لِلْيَسِيرِ مِنْ لُطْفِكَ مَوْضِعاً يَنْتَفِعُونَ بِهِ . وَلِلْجَسِيمِ مَوْقِعاً لَا يَسْتَغْنُونَ عَنْهُ

وَلْيَكُنْ آثَرُ رُؤُوسِ جُنْدِكَ عِنْدَكَ[٣] مَنْ وَاسَاهُمْ فِي مَعُونَتِهِ ، وَأَفْضَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ جِدَتِهِ بِمَا يَسَعُهُمْ وَيَسَعُ مَنْ وَرَاءَهُمْ مِنْ خُلُوفِ أَهْلِيهِمْ حَتَّى يَكُونَ هَمُّهُمْ هَمّاً وَاحِداً فِي جِهَادِ الْعَدُوِّ . فَإِنَّ عَطْفَكَ عَلَيْهِمْ[٤] يَعْطِفُ قُلُوبَهُمْ عَلَيْكَ . وَإِنَّ أَفْضَلَ قُرَّةِ عَيْنِ الْوُلَاةِ اسْتِقَامَةُ الْعَدْلِ فِي الْبِلَادِ ، وَظُهُورُ مَوَدَّةِ الرَّعِيَّةِ . وَإِنَّهُ لَا تَظْهَرُ مَوَدَّتُهُمْ إِلَّا

والعرف : المعروف (١) تفاقم الأمر : عظم أى لا تعد شيئا قويتهم به غاية فى العظم زائداً عما يستحقون ، فكل شىء قويتهم به واجب عليك اتيانه وهم مستحقون لنيله (٢) أى لا تعد شيئا من تلطفك معهم حقيراً فتتركه لحقارته ، بل كل تلطف و إن قل فله موقع من قلوبهم (٣) آثر أى أفضل وأعلى منزلة ، فليكن أفضل رؤساء الجند من واسى الجند أى ساعدهم بمعونته لهم . وأفضل عليهم أى أفاض وجاد من جدته . والجدة — بكسر ففتح — : الغنى ، والمراد مابيده من أرزاق الجند وما سلم اليه من وظائف المجاهدين لا يقتر عليهم فى الفرض ولا ينقصهم شيئا مما فرض لهم ، بل يجعل العطاء شاملا لمن تركوهم فى الديار . من خلوف الاهلين : جمع خلف — بفتح فسكون — من يبقى فى الحى من النساء والعجزة بعد سفر الرجال (٤) عليهم أى على

بِسَلَامَةِ صُدُورِهِمْ ، وَلَا تَصِحُّ نَصِيحَتُهُمْ إِلَّا بِحِيطَتِهِمْ عَلَى وُلَاةِ أُمُورِهِمْ[١] . وَقِلَّةِ اسْتِثْقَالِ دُوَلِهِمْ ، وَتَرْكِ اسْتِبْطَاءِ انْقِطَاعِ مُدَّتِهِمْ . فَافْسَحْ فِي آمَالِهِمْ ، وَوَاصِلْ فِي حُسْنِ الثَّنَاءِ عَلَيْهِمْ ، وَتَعْدِيدِ مَا أَبْلَى ذَوُو الْبَلَاءِ مِنْهُمْ[٢] . فَإِنَّ كَثْرَةَ الذِّكْرِ لِحُسْنِ أَفْعَالِهِمْ تَهُزُّ الشُّجَاعَ وَتُحَرِّضُ النَّاكِلَ إِنْ شَاءَ اللهُ . ثُمَّ اعْرِفْ لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ مَا أَبْلَى ، وَلَا تُضِيفَنَّ بَلَاءَ امْرِئٍ إِلَى غَيْرِهِ[٣] ، وَلَا تُقَصِّرَنَّ بِهِ دُونَ غَايَةِ بَلَائِهِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ شَرَفُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تُعْظِمَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ صَغِيرًا ، وَلَا ضَعَةُ امْرِئٍ إِلَى أَنْ تَسْتَصْغِرَ مِنْ بَلَائِهِ مَا كَانَ عَظِيماً

وَارْدُدْ إِلَى اللهِ وَرَسُولِهِ مَا يُضْلِعُكَ مِنَ الْخُطُوبِ[٤] وَيَشْتَبِهُ عَلَيْكَ مِنَ الْأُمُورِ فَقَدْ قَالَ اللهُ تَعَالَى لِقَوْمٍ أَحَبَّ إِرْشَادَهُمْ « يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ

الرؤساء (١) حيطة ـ بكسر الحاء ـ : من مصادر حاطه بمعنى حفظه وصانه ، أي بعطفهم على ولاة أمورهم وحرصهم على بقائهم ، وأن لا يستثقلوا دولتهم ولا يستبطئوا انقطاع مدتهم ، بل يعدون زمنهم قصيراً يطلبون طوله (٢) ما صنع ذوو الأعمال العظيمة منهم ، فتعديد ذلك يهز الشجاع أي يحركه للإقدام ، ويحرض الناكل أي المتأخر القاعد (٣) لا تنسبن عمل امرئ إلى غيره ولا تقصرن به في الجزاء عن ما يبلغ مقدار عمله [illegible] (٤) ضلعه فلاناً ـ كمنع ـ : ضربه في ضلعه . والمراد ما يشكل عليك

فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللهِ وَالرَّسُولِ » فَالرَّدُّ إِلَى اللهِ الأَخْذُ بِمُحْكَمِ كِتَابِهِ[1] ، وَالرَّدُّ إِلَى الرَّسُولِ الأَخْذُ بِسُنَّتِهِ الْجَامِعَةِ غَيْرِ الْمُفَرِّقَةِ[2]

ثُمَّ اخْتَرْ لِلْحُكْمِ بَيْنَ النَّاسِ أَفْضَلَ رَعِيَّتِكَ[3] فِي نَفْسِكَ مِمَّنْ لَا تَضِيقُ بِهِ الأُمُورُ ، وَلَا تُمْحِكُهُ الْخُصُومُ[4] ، وَلَا يَتَمَادَى فِي الزَّلَّةِ ، وَلَا يَحْصَرُ مِنَ الْفَيْءِ إِلَى الْحَقِّ إِذَا عَرَفَهُ[5] ، وَلَا تُشْرِفُ نَفْسُهُ عَلَى طَمَعٍ[6] ، وَلَا يَكْتَفِي بِأَدْنَى فَهْمٍ دُونَ أَقْصَاهُ[7] ، وَأَوْقَفَهُمْ فِي الشُّبُهَاتِ[8] ، وَآخَذَهُمْ بِالْحُجَجِ ، وَأَقَلَّهُمْ تَبَرُّماً بِمُرَاجَعَةِ الْخَصْمِ ، وَأَصْبَرَهُمْ عَلَى تَكَشُّفِ الأُمُورِ ، وَأَصْرَمَهُمْ عِنْدَ اتِّضَاحِ الْحُكْمِ . مِمَّنْ لَا يَزْدَهِيهِ إِطْرَاءٌ[9] وَلَا يَسْتَمِيلُهُ إِغْرَاءٌ . وَأُولَئِكَ قَلِيلٌ . ثُمَّ أَكْثِرْ تَعَاهُدَ قَضَائِهِ[10] ،

---

(١) محكم الكتاب : نصه الصريح (٢) سنة الرسول كلها جامعة ولكن رويت عنه سنن افترقت بها الآراء ، فاذا أخذت خذ بما أجمع عليه مما لايختلف فى نسبته اليه (٣) ثم اختر الخ انتقال من الكلام فى الجند إلى الكلام فى القضاة (٤) أمحكه جعله محكان أى عسر الخلق ، أو أغضبه أى لاتحمله مخاصمة الخصوم على اللجاج والاصرار على رأيه . والزلة ـ بالفتح ـ : السقطة فى الخطأ (٥) حصر ـ كفرح ـ : ضاق صدره ، أى لايضيق صدره من الرجوع إلى الحق (٦) الاشراف على الشيء : الاطلاع عليه من فوق . فالطمع من سافلات الأمور من نظر اليه وهو فى أعلى منزلة النزاهة لحقته وصمة النقيصة فما ظنك بمن هبط اليه وتناوله (٧) لا يكتفى فى الحكم بما يبدو له بأول فهم وأقر به دون أن يأتى على أقصى الفهم بعد التامل (٨) هذا ومابعده اتباع لأفضل رعيتك . والشبهات : مالا يتضح الحكم فيها بالنص ، فينبغى الوقوف على القضاء حتى يرد الحادثة إلى أصل صحيح . والتبرم الملل والضجر . وأصرمهم : أقطعهم للخصومة (٩) لايزدهيه : لايستخفه زيادة الثناء عليه (١٠) تعاهده : تتبعه بالاستكشاف والتعرف.

وَافْسَحْ لَهُ فِي الْبَذْلِ مَا يُزِيلُ عِلَّتَهُ (١) وَتَقِلُّ مَعَهُ حَاجَتُهُ إِلَى النَّاسِ ، وَأَعْطِهِ مِنَ الْمَنْزِلَةِ لَدَيْكَ مَا لَا يَطْمَعُ فِيهِ غَيْرُهُ مِنْ خَاصَّتِكَ (٢) لِيَأْمَنَ بِذَلِكَ اغْتِيَالَ الرِّجَالِ لَهُ عِنْدَكَ . فَانْظُرْ فِي ذَلِكَ نَظَرًا بَلِيغًا ، فَإِنَّ هَذَا الدِّينَ قَدْ كَانَ أَسِيرًا فِي أَيْدِي الْأَشْرَارِ يُعْمَلُ فِيهِ بِالْهَوَى ، وَتُطْلَبُ بِهِ الدُّنْيَا

ثُمَّ انْظُرْ فِي أُمُورِ عُمَّالِكَ فَاسْتَعْمِلْهُمْ اخْتِبَارًا (٣) ، وَلَا تُوَلِّهِمْ مُحَابَاةً وَأَثَرَةً ، فَإِنَّهُمَا جِمَاعٌ مِنْ شُعَبِ الْجَوْرِ وَالْخِيَانَةِ ، وَتَوَخَّ مِنْهُمْ أَهْلَ التَّجْرِبَةِ وَالْحَيَاءِ مِنْ أَهْلِ الْبُيُوتَاتِ الصَّالِحَةِ وَالْقَدَمِ فِي الْإِسْلَامِ (٤) الْمُتَقَدِّمَةِ ، فَإِنَّهُمْ أَكْرَمُ أَخْلَاقًا ، وَأَصَحُّ أَعْرَاضًا ، وَأَقَلُّ فِي الْمَطَامِعِ إِشْرَافًا ، وَأَبْلَغُ فِي عَوَاقِبِ الْأُمُورِ نَظَرًا . ثُمَّ أَسْبِغْ عَلَيْهِمُ الْأَرْزَاقَ (٥) فَإِنَّ ذَلِكَ قُوَّةٌ لَهُمْ عَلَى اسْتِصْلَاحِ أَنْفُسِهِمْ ، وَغِنًى لَهُمْ عَنْ تَنَاوُلِ

وضمير قضائه لافضل الرعية الموصوف بالأوصاف السابقة (١) البذل : العطاء أى أوسع له حتى يكون ما يأخذه كافيا لمعيشة مثله وحفظ منزلته (٢) إذا رفعت منزلته عندك هابته الخاصة كما تهابه العامة فلا يجرؤ أحد على الوشاية به عندك خوفا منك وإجلالا لمن أجللته (٣) ولهم الأعمال بالامتحان لا لمحاباة أى اختصاصا وميلا منك لمعاونتهم . واثرة — بالتحريك — أى استبداداً بلا مشورة ، فانهما — أى المحاباة والاثرة — يجمعان الجور والخيانة (٤) توخ اى أطلب وتحر أهل التجربة الخ . والقدم — بالتحريك — : واحدة الأقدام ، أى الخطوة السابقة . وأهلها هم الأولون (٥) أسبغ عليه الرزق : أكمله وأوسع له فيه

مَا تَحْتَ أَيْدِيهِمْ ، وَحُجَّةٌ عَلَيْهِمْ إِنْ خَالَفُوا أَمْرَكَ أَوْ ثَلَمُوا أَمَانَتَكَ[١] . ثُمَّ تَفَقَّدْ أَعْمَالَهُمْ ، وَابْعَثِ الْعُيُونَ مِنْ أَهْلِ الصِّدْقِ وَالْوَفَاءِ عَلَيْهِمْ[٢] ، فَإِنَّ تَعَاهُدَكَ فِي السِّرِّ لِأُمُورِهِمْ حَدْوَةٌ لَهُمْ[٣] عَلَى اسْتِعْمَالِ الْأَمَانَةِ وَالرِّفْقِ بِالرَّعِيَّةِ . وَتَحَفَّظْ مِنَ الْأَعْوَانِ ، فَإِنْ أَحَدٌ مِنْهُمْ بَسَطَ يَدَهُ إِلَى خِيَانَةٍ اجْتَمَعَتْ بِهَا عَلَيْهِ عِنْدَكَ أَخْبَارُ عُيُونِكَ[٤] اكْتَفَيْتَ بِذَلِكَ شَاهِدًا ، فَبَسَطْتَ عَلَيْهِ الْعُقُوبَةَ فِي بَدَنِهِ وَأَخَذْتَهُ بِمَا أَصَابَ مِنْ عَمَلِهِ ، ثُمَّ نَصَبْتَهُ بِمَقَامِ الْمَذَلَّةِ وَوَسَمْتَهُ بِالْخِيَانَةِ ، وَقَلَّدْتَهُ عَارَ التُّهَمَةِ

وَتَفَقَّدْ أَمْرَ الْخَرَاجِ بِمَا يُصْلِحُ أَهْلَهُ فَإِنَّ فِي صَلَاحِهِ وَصَلَاحِهِمْ صَلَاحًا لِمَنْ سِوَاهُمْ ، وَلَا صَلَاحَ لِمَنْ سِوَاهُمْ إِلَّا بِهِمْ لِأَنَّ النَّاسَ كُلَّهُمْ عِيَالٌ عَلَى الْخَرَاجِ وَأَهْلِهِ . وَلْيَكُنْ نَظَرُكَ فِي عِمَارَةِ الْأَرْضِ أَبْلَغَ مِنْ نَظَرِكَ فِي اسْتِجْلَابِ الْخَرَاجِ لِأَنَّ ذَلِكَ لَا يُدْرَكُ إِلَّا بِالْعِمَارَةِ . وَمَنْ طَلَبَ الْخَرَاجَ بِغَيْرِ عِمَارَةٍ أَخْرَبَ الْبِلَادَ وَأَهْلَكَ الْعِبَادَ ، وَلَمْ يَسْتَقِمْ أَمْرُهُ إِلَّا قَلِيلًا ، فَإِنْ شَكَوْا ثِقَلًا[٥] أَوْ عِلَّةً أَوِ انْقِطَاعَ شِرْبٍ أَوْ بَالَّةٍ أَوْ إِحَالَةَ

---

(١) نقصوا فى أدائها أو خانوا (٢) العيون : الرقباء (٣) حدوة أى سوق لهم وحث (٤) اجتمعت الخ أى اتفقت عليها أخبار الرقباء (٥) إذا شكوا ثقل المضروب من مال الخراج أو نزول علة سماوية بزرعهم أضرت بثمراته ، أو انقطاع شرب بالكسر أى ماء فى بلاد تسقى بالأنهار . أو انقطاع بالة أى ما يبل الأرض من ندى

أَرْضٍ اغْتَمَرَهَا غَرَقٌ أَوْ أَجْحَفَ بِهَا عَطَشٌ خَفَّفْتَ عَنْهُمْ بِمَا تَرْجُو أَنْ يَصْلُحَ بِهِ أَمْرُهُمْ . وَلَا يَثْقُلَنَّ عَلَيْكَ شَيْءٌ خَفَّفْتَ بِهِ الْمَؤُونَةَ عَنْهُمْ ، فَإِنَّهُ ذُخْرٌ يَعُودُونَ بِهِ عَلَيْكَ فِي عِمَارَةِ بِلَادِكَ وَتَزْيِينِ وِلَايَتِكَ ، مَعَ اسْتِجْلَابِكَ حُسْنَ ثَنَائِهِمْ وَتَبَجُّحِكَ بِاسْتِفَاضَةِ الْعَدْلِ فِيهِمْ[١] مُعْتَمِدًا فَضْلَ قُوَّتِهِمْ[٢] بِمَا ذَخَرْتَ عِنْدَهُمْ مِنْ إِجْمَامِكَ لَهُمْ وَالثِّقَةَ مِنْهُمْ بِمَا عَوَّدْتَهُمْ مِنْ عَدْلِكَ عَلَيْهِمْ فِي رِفْقِكَ بِهِمْ . فَرُبَّمَا حَدَثَ مِنَ الْأُمُورِ مَا إِذَا عَوَّلْتَ فِيهِ عَلَيْهِمْ مِنْ بَعْدُ احْتَمَلُوهُ طَيِّبَةً أَنْفُسُهُمْ بِهِ[٣] ، فَإِنَّ الْعُمْرَانَ مُحْتَمِلٌ مَا حَمَّلْتَهُ ، وَإِنَّمَا يُؤْتَى خَرَابُ الْأَرْضِ مِنْ إِعْوَازِ أَهْلِهَا وَإِنَّمَا يُعْوِزُ أَهْلُهَا لِإِشْرَافِ أَنْفُسِ الْوُلَاةِ عَلَى الْجَمْعِ[٤] ، وَسُوءِ ظَنِّهِمْ بِالْبَقَاءِ ، وَقِلَّةِ انْتِفَاعِهِمْ بِالْعِبَرِ

ومطر فيما يسقى بالمطر ، أو إحالة أرض بكسر همزة إحالة ، أى تحويلها البذر إلى فساد بالتعفن لما اغتمرها أى عمها من الغرق فصارت غمقة ـ كفرحة ـ أى غلب عليها الندى والرطوبة حتى صار البذر فيها غمقا ـ ككتف ـ أى له رائحة خمة وفساد ، ونقصت لذلك غلاتهم . أو أجحف العطش أى ذهب بمادة الغذاء من الأرض فلم تنبت، فعليك عند الشكوى أن تخفف عنهم (١) التبجح : السرور بما يرى من حسن عمله فى العدل (٢) أى متخذا زيادة قوتهم عماداً لك تستند اليه عند الحاجة ، وانهم يكونون سنداً بما ذخرت عندهم من اجمامك أى اراحتك لهم . والثقة منصوب بالعطف على فضل (٣) طيبة ـ بكسر الطاء ـ مصدر طاب وهو علة لاحتملوه أى لطيب أنفسهم باحتماله ، فان العمر ان مادام قائما وناميا فكل ماحملت أهله سهل عليهم أن يحتملوا ، والاعواز الفقر والحاجة (٤) لتطلع أنفسهم إلى جمع المال إدخاراً لما بعد زمن الولاية

ثُمَّ انْظُرْ فِي حَالِ كُتَّابِكَ[١] فَوَلِّ عَلَى أُمُورِكَ خَيْرَهُمْ ، وَاخْصُصْ رَسَائِلَكَ الَّتِي تُدْخِلُ فِيهَا مَكَائِدَكَ وَأَسْرَارَكَ بِأَجْمَعِهِمْ لِوُجُودِ صَالِحِ الْأَخْلَاقِ[٢] ، مِمَّنْ لَا تُبْطِرُهُ الْكَرَامَةُ فَيَجْتَرِئَ بِهَا عَلَيْكَ فِي خِلَافٍ لَكَ بِحَضْرَةِ مَلَإٍ ، وَلَا تُقَصِّرُ بِهِ الْغَفْلَةُ[٣] عَنْ إِيرَادِ مُكَاتَبَاتِ عُمَّالِكَ عَلَيْكَ ، وَإِصْدَارِ جَوَابَاتِهَا عَلَى الصَّوَابِ عَنْكَ وَفِيمَا يَأْخُذُ لَكَ وَيُعْطِي مِنْكَ . وَلَا يُضْعِفُ عَقْدًا اعْتَقَدَهُ لَكَ ، وَلَا يَعْجِزُ عَنْ إِطْلَاقِ مَا عُقِدَ عَلَيْكَ[٤] ، وَلَا يَجْهَلُ مَبْلَغَ قَدْرِ نَفْسِهِ فِي الْأُمُورِ ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ بِقَدْرِ نَفْسِهِ يَكُونُ بِقَدْرِ غَيْرِهِ أَجْهَلَ . ثُمَّ لَا يَكُنِ اخْتِيَارُكَ إِيَّاهُمْ عَلَى فِرَاسَتِكَ وَاسْتِنَامَتِكَ[٥] وَحُسْنِ الظَّنِّ مِنْكَ ، فَإِنَّ الرِّجَالَ يَتَعَرَّفُونَ لِفِرَاسَاتِ

---

(١) ثم انظر الخ انتقال من الكلام فى أهل الخراج إلى الكلام فى الكتاب جمع كاتب (٢) باجمعهم متعلق باخصص ، أى مايكون من رسائلك حاويا لشىء من المكائد للأعداء وما يشبه ذلك من أسرارك فاخصصه بمن فاق غيره فى جميع الأخلاق الصالحة . ولاتبطره أى لاتطغيه الكرامة فيجرأ على مخالفتك فى حضور ملأ وجماعة من الناس فيضر ذلك بمنزلتك منهم (٣) لاتكون غفلته موجبة لتقصيره فى اطلاعك على مايرد من أعمالك ، ولافى إصدار الأجوبة عنه على وجه الصواب ، بل يكون من النباهة والحذق بحيث لايفوته شىء من ذلك (٤) أى يكون خبيراً بطرق المعاملات بحيث إذا عقد لك عقداً فى أى نوع منها لايكون ضعيفا ، بل يكون محكما جزيل الفائدة لك ، وإذا وقعت مع أحد فى عقد كان ضرره عليك لايعجز عن حل ذلك العقد (٥) الفراسة ـ بالكسر ـ : قوة الظن وحسن النظر فى الأمور . والاستنامة : إذا عزلوا

ٱلْوُلَاةِ بِتَصَنُّعِهِمْ وَحُسْنِ خِدْمَتِهِمْ (١) ، وَلَيْسَ وَرَاءَ ذٰلِكَ مِنَ ٱلنَّصِيحَةِ وَٱلْأَمَانَةِ شَيْءٌ ، وَلٰكِنِ ٱخْتَبِرْهُمْ بِمَا وَلُوا لِلصَّالِحِينَ قَبْلَكَ فَٱعْمِدْ لِأَحْسَنِهِمْ كَانَ فِي ٱلْعَامَّةِ أَثَرًا ، وَأَعْرَفِهِمْ بِٱلْأَمَانَةِ وَجْهًا ، فَإِنَّ ذٰلِكَ دَلِيلٌ عَلَى نَصِيحَتِكَ لِلّٰهِ وَلِمَنْ وَلِيتَ أَمْرَهُ ، وَٱجْعَلْ لِرَأْسِ كُلِّ أَمْرٍ مِنْ أُمُورِكَ رَأْسًا مِنْهُمْ (٢) لَا يَقْهَرُهُ كَبِيرُهَا ، وَلَا يَتَشَتَّتُ عَلَيْهِ كَثِيرُهَا وَمَهْمَا كَانَ فِي كُتَّابِكَ مِنْ عَيْبٍ فَتَغَابَيْتَ عَنْهُ أُلْزِمْتَهُ (٣)

ثُمَّ ٱسْتَوْصِ بِٱلتُّجَّارِ وَذَوِي ٱلصِّنَاعَاتِ (٤) وَأَوْصِ بِهِمْ خَيْرًا : ٱلْمُقِيمِ مِنْهُمْ ، وَٱلْمُضْطَرِبِ بِمَالِهِ (٥) ، وَٱلْمُتَرَفِّقِ بِبَدَنِهِ ، فَإِنَّهُمْ مَوَادُّ ٱلْمَنَافِعِ وَأَسْبَابُ ٱلْمَرَافِقِ ، وَجُلَّابُهَا مِنَ ٱلْمَبَاعِدِ وَٱلْمَطَارِحِ ، فِي بَرِّكَ وَبَحْرِكَ ، وَسَهْلِكَ وَجَبَلِكَ ، وَحَيْثُ لَا يَلْتَئِمُ ٱلنَّاسُ لِمَوَاضِعِهَا (٦) ، وَلَا يَجْتَرِئُونَ

السكون والثقة ، أى لايكون انتخاب الكتاب تابعا لميلك الخاص (١) يتعرفون للفراسات أى يتوسلون اليها لتعرفهم (٢) أى اجعل لرئاسة كل دائرة من دوائر الأعمال رئيسا من الكتاب مقتدراً على ضبطها ، لايقهره عظم تلك الأعمال ولايخرج عن ضبطه كثيرها (٣) إذا تغابيت أى تغافلت عن عيب فى كتابك كان ذلك العيب لاصقا بك (٤) ثم استوص ، انتقال من الكلام فى الكتاب إلى الكلام فى التجار والصناع (٥) المتردد بأمواله بين البلدان . والمترفق : المكتسب . والمرافق تقدم تفسيرها بالمنافع . وحقيقتها ــ وهى المراد هنا ــ : مابه يتم الانتفاع كالآنية والأدوات ومايشبه ذلك (٦) أى ويجلبونها من أمكنة بحيث لايمكن التئام الناس واجتماعهم فى مواضع

عَلَيْهَا . فَإِنَّهُمْ سِلْمٌ لَا تُخَافُ بَائِقَتُهُ(١) ، وَصُلْحٌ لَا تُخْشَى غَائِلَتُهُ . وَتَفَقَّدْ أُمُورَهُمْ بِحَضْرَتِكَ وَفِي حَوَاشِي بِلَادِكَ . وَاعْلَمْ مَعَ ذَٰلِكَ أَنَّ فِي كَثِيرٍ مِنْهُمْ ضِيقاً فَاحِشًا وَشُحًّا قَبِيحًا(٢) ؛ وَاحْتِكَارًا لِلْمَنَافِعِ ، وَتَحَكُّمًا فِي الْبِيَاعَاتِ ، وَذَٰلِكَ بَابُ مَضَرَّةٍ لِلْعَامَّةِ وَعَيْبٌ عَلَى الْوُلَاةِ . فَامْنَعْ مِنَ الِاحْتِكَارِ فَإِنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَنَعَ مِنْهُ ، وَلْيَكُنِ الْبَيْعُ بَيْعًا سَمْحًا ، بِمَوَازِينِ عَدْلٍ وَأَسْعَارٍ لَا تُجْحِفُ بِالْفَرِيقَيْنِ مِنَ الْبَائِعِ وَالْمُبْتَاعِ(٣) . فَمَنْ قَارَفَ حُكْرَةً بَعْدَ نَهْيِكَ إِيَّاهُ(٤) فَنَكِّلْ بِهِ ، وَعَاقِبْ فِي غَيْرِ إِسْرَافٍ . ثُمَّ اللهَ اللهَ فِي الطَّبَقَةِ السُّفْلَى مِنَ الَّذِينَ لَا حِيلَةَ لَهُمْ وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُحْتَاجِينَ وَأَهْلِ الْبُؤْسَى وَالزَّمْنَى(٥) ، فَإِنَّ فِي هَٰذِهِ الطَّبَقَةِ قَانِعاً وَمُعْتَرًّا(٦) . وَاحْفَظْ لِلهِ مَا اسْتَحْفَظَكَ مِنْ حَقِّهِ فِيهِمْ ،

تلك المرافق من تلك الأمكنة (١) فانهم : علة لاستوص وأوص . والبائقة: الداهية . والتجار والصناع مسالمون لاتخشى منهم داهية العصيان (٢) الضيق : عسر المعاملة . والشح : البخل . والاحتكار : حبس المطعوم ونحوه عن الناس لايسمحون به إلا بأثمان فاحشة (٣) المبتاع : المشترى (٤) قارف أى خالط . والحكرة - بالضم - : الاحتكار ، فمن أتى عمل الاحتكار بعد النهى عنه فنكل به ، أى أوقع بهالنكال والعذاب عقوبة له لكن من غير اسراف فى العقوبة ، ولا تجاوز عن حد العدل فيها (٥) البؤسى - بضم أوله - : شدة الفقر . والزمنى - بفتح أوله - : جمع زمن وهو المصاب بالزمانة بفتح الزاى أى العاهة ، يريد أرباب العاهات المانعة لهم عن الاكتساب (٦) القانع : السائل من قنع كمنع أى سأل وخضع وذل . وقد تبدل القاف كافا فيقال كنع . والمعتر - بتشديد الراء - : المتعرض للعطاء بلا سؤال . واستحفظك : طلب

وَاجْعَلْ لَهُمْ قِسْماً مِنْ بَيْتِ مَالِكَ وَقِسْماً مِنْ غَلَّاتِ صَوَافِي الْإِسْلَامِ فِي كُلِّ بَلَدٍ(١) ، فَإِنَّ لِلْأَقْصَى مِنْهُمْ مِثْلَ الَّذِي لِلْأَدْنَى . وَكُلٌّ قَدِ اسْتُرْعِيتَ حَقَّهُ فَلَا يَشْغَلَنَّكَ عَنْهُمْ بَطَرٌ(٢) ، فَإِنَّكَ لَا تُعْذَرُ بِتَضْيِيعِكَ التَّافِهَ(٣) لِإِحْكَامِكَ الْكَثِيرَ الْمُهِمَّ ، فَلَا تُشْخِصْ هَمَّكَ عَنْهُمْ(٤) ، وَلَا تُصَعِّرْ خَدَّكَ لَهُمْ ، وَتَفَقَّدْ أُمُورَ مَنْ لَا يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْهُمْ مِمَّنْ تَقْتَحِمُهُ الْعُيُونُ(٥) وَتَحْقِرُهُ الرِّجَالُ ، فَفَرِّغْ لِأُولَئِكَ ثِقَتَكَ(٦) مِنْ أَهْلِ الْخَشْيَةِ وَالتَّوَاضُعِ ، فَلْيَرْفَعْ إِلَيْكَ أُمُورَهُمْ ، ثُمَّ اعْمَلْ فِيهِمْ بِالْإِعْذَارِ إِلَى اللهِ يَوْمَ تَلْقَاهُ(٧) ، فَإِنَّ هَؤُلَاءِ مِنْ بَيْنِ الرَّعِيَّةِ أَحْوَجُ إِلَى الْإِنْصَافِ مِنْ غَيْرِهِمْ ، وَكُلٌّ فَأَعْذِرْ إِلَى اللهِ فِي تَأْدِيَةِ حَقِّهِ إِلَيْهِ . وَتَعَهَّدْ أَهْلَ الْيُتْمِ(٨) وَذَوِي الرِّقَّةِ فِي السِّنِّ مِمَّنْ لَا حِيلَةَ لَهُ وَلَا يَنْصِبُ لِلْمَسْأَلَةِ نَفْسَهُ ، وَذَلِكَ عَلَى الْوُلَاةِ ثَقِيلٌ وَالْحَقُّ كُلُّهُ ثَقِيلٌ . وَقَدْ يُخَفِّفُهُ اللهُ عَلَى أَقْوَامٍ طَلَبُوا الْعَاقِبَةَ فَصَبَّرُوا أَنْفُسَهُمْ وَوَثِقُوا بِصِدْقِ مَوْعُودِ اللهِ لَهُمْ

---

(١) صوافى الاسلام جمع صافية وهى أرض الغنيمة . وغلاتها : ثمراتها منك حفظه (٢) طغيان بالنعمة (٣) التافه : القليل لاتعذر بتضييعه إذا أحكمت وأتقنت الكثير المهم (٤) لاتشخص أى لاتصرف همك أى اهتمامك عن ملاحظة شؤونهم . وصعر خده : أماله إعجابا وكبرا (٥) تقتحمه العين : تكره أن تنظر إليه احتقاراً (٦) فرغ أى اجعل للبحث عنهم أشخاصا يتفرغون لمعرفة أحوالهم يكونون ممن تثق بهم ، يخافون الله ويتواضعون لعظمته ، لايأنفون من تعرف حال الفقراء ليرفعوها اليك (٧) بالاعذار إلى الله أى بما يقدم للك معذوراً عنده (٨) الأيتام. وذو و الرقة فى السن:

وَاجْعَلْ لِذَوِي الْحَاجَاتِ مِنْكَ قِسْماً[١] تُفَرِّغُ لَهُمْ فِيهِ شَخْصَكَ، وَتَجْلِسُ لَهُمْ مَجْلِساً عَامّاً فَتَتَوَاضَعُ فِيهِ لِلّٰهِ الَّذِي خَلَقَكَ، وَتُقْعِدُ عَنْهُمْ جُنْدَكَ وَأَعْوَانَكَ[٢] مِنْ أَحْرَاسِكَ وَشُرَطِكَ، حَتَّى يُكَلِّمَكَ مُتَكَلِّمُهُمْ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ[٣]، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ فِي غَيْرِ مَوْطِنٍ[٤]: «لَنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ[٥] لَا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقُّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَتَعْتِعٍ». ثُمَّ احْتَمِلِ الْخُرْقَ مِنْهُمْ وَالْعِيَّ[٦]، وَنَحِّ عَنْكَ الضِّيقَ وَالْأَنَفَ[٧] يَبْسُطِ اللّٰهُ عَلَيْكَ بِذٰلِكَ أَكْنَافَ رَحْمَتِهِ، وَيُوجِبْ لَكَ ثَوَابَ طَاعَتِهِ. وَأَعْطِ مَا أَعْطَيْتَ هَنِيئاً[٨]، وَامْنَعْ فِي إِجْمَالٍ وَإِعْذَارٍ. ثُمَّ أُمُورٌ مِنْ أُمُورِكَ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مُبَاشَرَتِهَا. مِنْهَا إِجَابَةُ عُمَّالِكَ بِمَا يَعْيَى عَنْهُ كُتَّابُكَ[٩]. وَمِنْهَا إِصْدَارُ حَاجَاتِ النَّاسِ يَوْمَ وُرُودِهَا عَلَيْكَ

المتقدمون فيه (١) لذوى الحاجات أى المتظلمين تتفرغ لهم فيه بشخصك للنظر فى مظالمهم (٢) تأمر بأن يقعد عنهم ولا يتعرض لهم جندك الخ. والأحراس: جمع حرس ـ بالتحريك ـ من يحرس الحاكم من وصول المكروه. والشرط ـ بضم ففتح ـ: طائفة من أعوان الحاكم، وهم المعروفون الآن بالضابطة، واحده شرطة بضم فسكون (٣) التعتعة فى الكلام: التردد فيه من عجز أو عى، والمراد غير خائف، تعبيرا باللازم (٤) أى فى مواطن كثيرة (٥) التقديس: التطهير أى لا يطهر الله أمة الخ (٦) الخرق ـ بالضم ـ: العنف ضد الرفق. والعى ـ بالكسر ـ: العجز عن النطق، أى لا تضجر من هذا ولا تغضب لذاك (٧) الضيق: ضيق الصدر بسوء الخلق. والأنف ـ محركة ـ: الاستنكاف والاستكبار. وأكناف الرحمة: أطرافها (٨) سهلا لا تخشنه باستكثاره والمن به، وإذا منعت فامنع بلطف وتقديم عذر (٩) يعيى: يعجز

مِمَّا تَحْرَجُ بِهِ صُدُورُ أَعْوَانِكَ(١) . وَأَمْضِ لِكُلِّ يَوْمٍ عَمَلَهُ فَإِنَّ لِكُلِّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، وَاجْعَلْ لِنَفْسِكَ فِيمَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللهِ أَفْضَلَ تِلْكَ الْمَوَاقِيتِ وَأَجْزَلَ تِلْكَ الْأَقْسَامِ(٢) وَإِنْ كَانَتْ كُلُّهَا لِلهِ إِذَا صَلَحَتْ فِيهَا النِّيَّةُ وَسَلِمَتْ مِنْهَا الرَّعِيَّةُ

وَلْيَكُنْ فِي خَاصَّةِ مَا تُخْلِصُ بِهِ لِلهِ دِينَكَ إِقَامَةُ فَرَائِضِهِ الَّتِي هِيَ لَهُ خَاصَّةً ، فَأَعْطِ اللهَ مِنْ بَدَنِكَ فِي لَيْلِكَ وَنَهَارِكَ ، وَوَفِّ مَا تَقَرَّبْتَ بِهِ إِلَى اللهِ مِنْ ذٰلِكَ كَامِلًا غَيْرَ مَثْلُومٍ وَلَا مَنْقُوصٍ(٣) بَالِغًا مِنْ بَدَنِكَ مَا بَلَغَ . وَإِذَا أَقَمْتَ فِي صَلَاتِكَ لِلنَّاسِ فَلَا تَكُونَنَّ مُنَفِّرًا وَلَا مُضَيِّعًا(٤) ، فَإِنَّ فِي النَّاسِ مَنْ بِهِ الْعِلَّةُ وَلَهُ الْحَاجَةُ . وَقَدْ سَأَلْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِينَ وَجَّهَنِي إِلَى الْيَمَنِ كَيْفَ أُصَلِّي بِهِمْ فَقَالَ : « صَلِّ بِهِمْ كَصَلَاةِ أَضْعَفِهِمْ وَكُنْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا »

وَأَمَّا بَعْدُ فَلَا تُطَوِّلَنَّ احْتِجَابَكَ عَنْ رَعِيَّتِكَ ، فَإِنَّ احْتِجَابَ الْوُلَاةِ عَنِ الرَّعِيَّةِ شُعْبَةٌ مِنَ الضِّيقِ ، وَقِلَّةُ عِلْمٍ بِالْأُمُورِ . وَالِاحْتِجَابُ مِنْهُمْ

---

(١) حرج يحرج - من باب تعب - : ضاق . والأعوان تضيق صدورهم بتعجيل الحاجات ويحبون المماطلة فى قضائها استجلابا للمنفعة أو اظهاراً للجبروت (٢) أجزلها : أعظمها (٣) غير مثلوم أى غير مخدوش بشيء من التقصير ولا مخروق بالرياء . وبالغاً حال بعد الأحوال السابقة ، أى وان بلغ من اتعاب بدنك أي مبلغ (٤) التنفير بالتطويل ، والتضييع بالنقص فى

يَقْطَعُ عَنْهُمْ عِلْمَ مَا احْتَجَبُوا دُونَهُ ، فَيَصْغُرُ عِنْدَهُمُ الْكَبِيرُ ، وَيَعْظُمُ الصَّغِيرُ ، وَيَقْبُحُ الْحَسَنُ وَيَحْسُنُ الْقَبِيحُ ، وَيُشَابُ الْحَقُّ بِالْبَاطِلِ ، وَإِنَّمَا الْوَالِي بَشَرٌ لَا يَعْرِفُ مَا تَوَارَى عَنْهُ النَّاسُ بِهِ مِنَ الْأُمُورِ ، وَلَيْسَتْ عَلَى الْحَقِّ سِمَاتٌ(١) تُعْرَفُ بِهَا ضُرُوبُ الصِّدْقِ مِنَ الْكَذِبِ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ أَحَدُ رَجُلَيْنِ : إِمَّا امْرُؤٌ سَخَتْ نَفْسُكَ بِالْبَذْلِ فِي الْحَقِّ فَفِيمَ احْتِجَابُكَ(٢) مِنْ وَاجِبِ حَقٍّ تُعْطِيهِ ، أَوْ فِعْلٍ كَرِيمٍ تُسْدِيهِ ، أَوْ مُبْتَلًى بِالْمَنْعِ ، فَمَا أَسْرَعَ كَفَّ النَّاسِ عَنْ مَسْأَلَتِكَ إِذَا أَيِسُوا مِنْ بَذْلِكَ(٣) ، مَعَ أَنَّ أَكْثَرَ حَاجَاتِ النَّاسِ إِلَيْكَ مِمَّا لَا مَؤُونَةَ فِيهِ عَلَيْكَ ، مِنْ شَكَاةِ مَظْلِمَةٍ(٤) ، أَوْ طَلَبِ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ

ثُمَّ إِنَّ لِلْوَالِي خَاصَّةً وَبِطَانَةً فِيهِمُ اسْتِئْثَارٌ وَتَطَاوُلٌ ، وَقِلَّةُ إِنْصَافٍ فِي مُعَامَلَةٍ ، فَاحْسِمْ مَادَّةَ أُولَئِكَ بِقَطْعِ أَسْبَابِ تِلْكَ الْأَحْوَالِ(٥) . وَلَا تُقْطِعَنَّ لِأَحَدٍ مِنْ حَاشِيَتِكَ وَحَامَّتِكَ قَطِيعَةً(٦) . وَلَا يَطْمَعَنَّ مِنْكَ فِي

الأركان ، والمطلوب التوسط (١) سمات : جمع سمة ـ بكسر ففتح ـ العلامة ، أى ليس للحق علامات ظاهرة يتميز بها الصدق من الكذب ، و إنما يعرف ذلك بالامتحان ، ولا يكون إلا بالمحافظة (٢) فلأى سبب تحتجب عن الناس فى أداء حقهم أو فى عمل تمنحه إياهم (٣) البذل : العطاء ، فإن قنط الناس من قضاء مطالبهم منك أسرعوا إلى البعد عنك فلا حاجة للاحتجاب (٤) شكاة ـ بالفتح ـ : شكاية (٥) فاحسم أى اقطع مادة شرورهم عن الناس بقطع أسباب تعديهم ، و إنما يكون بالأخذ على أيديهم ومنعهم من التصرف فى شؤون العامة (٦) الاقطاع : المنحة من الأرض. والقطيعة

اعْتِقَادِ عُقْدَةٍ تَضُرُّ بِمَنْ يَلِيهَا مِنَ النَّاسِ فِي شِرْبٍ أَوْ عَمَلٍ مُشْتَرَكٍ يَحْمِلُونَ مَؤُونَتَهُ عَلَى غَيْرِهِمْ ، فَيَكُونَ مَهْنَأُ ذٰلِكَ لَهُمْ دُونَكَ(١) ، وَعَيْبُهُ عَلَيْكَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ

وَأَلْزِمِ الْحَقَّ مَنْ لَزِمَهُ مِنَ الْقَرِيبِ وَالْبَعِيدِ ، وَكُنْ فِي ذٰلِكَ صَابِرًا مُحْتَسِبًا ، وَاقِعًا ذٰلِكَ مِنْ قَرَابَتِكَ وَخَاصَّتِكَ حَيْثُ وَقَعَ . وَابْتَغِ عَاقِبَتَهُ بِمَا يَثْقُلُ عَلَيْكَ مِنْهُ فَإِنَّ مَغَبَّةَ ذٰلِكَ مَحْمُودَةٌ(٢)

وَإِنْ ظَنَّتِ الرَّعِيَّةُ بِكَ حَيْفًا فَأَصْحِرْ لَهُمْ بِعُذْرِكَ ، وَاعْدِلْ عَنْكَ ظُنُونَهُمْ بِإِصْحَارِكَ ، فَإِنَّ فِي ذٰلِكَ رِيَاضَةً مِنْكَ لِنَفْسِكَ(٣) ، وَرِفْقًا بِرَعِيَّتِكَ ، وَإِعْذَارًا تَبْلُغُ بِهِ حَاجَتَكَ مِنْ تَقْوِيمِهِمْ عَلَى الْحَقِّ

وَلَا تَدْفَعَنَّ صُلْحًا دَعَاكَ إِلَيْهِ عَدُوُّكَ وَلِلّٰهِ فِيهِ رِضًى ، فَإِنَّ فِي الصُّلْحِ

الممنوح منها : والحامة ـ كالطامة ـ : الخاصة والقرابة . والاعتقاد : الامتلاك والعقدة ـ بالضم ـ : الضيعة . واعتقاد الضيعة : اقتناؤها . و إذا اقتنوا ضيعة فربما أضروا بمن يليها أي يقرب منها من الناس فى شرب بالكسر وهو النصيب فى الماء

(١) مهنؤه : منفعته الهنيئة (٢) المغبة ـ كمحبة ـ : العاقبة . والزام الحق لمن لزمهم و إن ثقل على الوالى وعليهم فهو محمود العاقبة بحفظ الدولة فى الدنيا ونيل السعادة فى الآخرة (٣) و إن فعلت فعلا ظنت الرعية أن فيه حيفا أي ظلماً فأصحر أي ابرز لهمو بين عذرك فيه . وعدل عنه كذا : نحاه عنه . والاصحار : الظهور ، من أصحر إذا برز فى الصحراء . ورياضة: تعويداً لنفسك على العدل. والاعذار: تقديم العذر أو ابداؤه

دَعَةً لِجُنُودِكَ[١] وَرَاحَةً مِنْ هُمُومِكَ وَأَمْنًا لِبِلَادِكَ. وَلٰكِنَّ الْحَذَرَ كُلَّ الْحَذَرِ مِنْ عَدُوِّكَ بَعْدَ صُلْحِهِ، فَإِنَّ الْعَدُوَّ رُبَّمَا قَارَبَ لِيَتَغَفَّلَ[٢]، فَخُذْ بِالْحَزْمِ وَاتَّهِمْ فِي ذٰلِكَ حُسْنَ الظَّنِّ. وَإِنْ عَقَدْتَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ عَدُوِّكَ عُقْدَةً أَوْ أَلْبَسْتَهُ مِنْكَ ذِمَّةً[٣] فَحُطْ عَهْدَكَ بِالْوَفَاءِ، وَارْعَ ذِمَّتَكَ بِالْأَمَانَةِ، وَاجْعَلْ نَفْسَكَ جُنَّةً دُونَ مَا أَعْطَيْتَ[٤] فَإِنَّهُ لَيْسَ مِنْ فَرَائِضِ اللّٰهِ شَيْءٌ النَّاسُ أَشَدُّ عَلَيْهِ اجْتِمَاعًا مَعَ تَفَرُّقِ أَهْوَائِهِمْ وَتَشَتُّتِ آرَائِهِمْ مِنْ تَعْظِيمِ الْوَفَاءِ بِالْعُهُودِ[٥]. وَقَدْ لَزِمَ ذٰلِكَ الْمُشْرِكُونَ فِيمَا بَيْنَهُمْ دُونَ الْمُسْلِمِينَ[٦] لِمَا اسْتَوْبَلُوا مِنْ عَوَاقِبِ الْغَدْرِ[٧]. فَلَا تَغْدِرَنَّ بِذِمَّتِكَ، وَلَا تَخِيسَنَّ بِعَهْدِكَ[٨]، وَلَا تَخْتِلَنَّ عَدُوَّكَ، فَإِنَّهُ لَا يَجْتَرِئُ عَلَى اللّٰهِ إِلَّا

---

(١) الدعة ـ محركة ـ : الراحة (٢) قارب أى تقرب منك بالصلح ليلقى عليك غفلة عنه فيغدرك فيها (٣) أصل معنى الذمة وجدان مودع فى جبلة الانسان ينبهه لرعاية حق ذوى الحقوق عليه، و يدفعه لأداء ما يجب عليه منها، ثم أطلقت على معنى العهد. وجعل العهد لباسا لمشابهته له فى الوقاية من الضرر. وحاطه: حفظه (٤) الجنة ـ بالضم ـ : الوقاية أى حافظ على ما أعطيت من العهد بروحك (٥) الناس مبتدأ وأشد خبر والجلة خبر ليس، يعنى أن الناس لم يجتمعوا على فريضة من فرائض الله أشد من اجتماعهم على تعظيم الوفاء بالعهود مع تفرق أهوائهم وتشتت آرائهم، حتى ان المشركين التزموا الوفاء فيما بينهم فأولى أن يلتزمه المسلمون (٦) أى حال كونهم دون المسلمين فى الأخلاق والعقائد (٧) لأنهم وجدوا عواقب الغدر وبيلة أى مهلكة، وما والفعل بعدها فى تأويل مصدر، أى استيبالهم (٨) خاس بعهده: خان ونقضه. والختل: الخداع

جَاهِلٌ شَقِيٌّ . وَقَدْ جَعَلَ ٱللهُ عَهْدَهُ وَذِمَّتَهُ أَمْنًا أَفْضَاهُ بَيْنَ ٱلْعِبَادِ بِرَحْمَتِهِ[1] وَحَرِيمًا يَسْكُنُونَ إِلَى مَنَعَتِهِ وَيَسْتَفِيضُونَ إِلَى جِوَارِهِ[2] . فَلَا إِدْغَالَ وَلَا مُدَالَسَةَ[3] وَلَا خِدَاعَ فِيهِ . وَلَا تَعْقِدْ عَقْدًا تَجُوزُ فِيهِ ٱلْعِلَلُ[4] ، وَلَا تُعَوِّلَنَّ عَلَى لَحْنِ قَوْلٍ بَعْدَ ٱلتَّأْكِيدِ وَٱلتَّوْثِقَةِ ، وَلَا يَدْعُوَنَّكَ ضِيقُ أَمْرٍ لَزِمَكَ فِيهِ عَهْدُ ٱللهِ إِلَى طَلَبِ ٱنْفِسَاخِهِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ، فَإِنَّ صَبْرَكَ عَلَى ضِيقِ أَمْرٍ تَرْجُو ٱنْفِرَاجَهُ وَفَضْلَ عَاقِبَتِهِ خَيْرٌ مِنْ غَدْرٍ تَخَافُ تَبِعَتَهُ وَأَنْ تُحِيطَ بِكَ مِنَ ٱللهِ فِيهِ طِلْبَةٌ[5] فَلَا تَسْتَقِيلَ فِيهَا دُنْيَاكَ وَلَا آخِرَتَكَ

إِيَّاكَ وَٱلدِّمَاءَ وَسَفْكَهَا بِغَيْرِ حِلِّهَا ، فَإِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ أَدْعَى لِنِقْمَةٍ وَلَا أَعْظَمَ لِتَبِعَةٍ وَلَا أَحْرَى بِزَوَالِ نِعْمَةٍ وَٱنْقِطَاعِ مُدَّةٍ مِنْ سَفْكِ ٱلدِّمَاءِ

---

(١) الأمن : الأمان . وأفضاه هنا بمعنى أفشاه ، وأصله المزيد ، من فضا فضوا من باب قعد أى اتسع ، فالرباعى بمعنى وسعه ، والسعة مجازية يراد بها الافشاء والانتشار . والحريم ما حرم عليك أن تمسه . والمنعة ـ بالتحريك ـ : ما تمتنع به من القوة
(٢) يستفيضون أى يفزعون اليه بسرعة (٣) الادغال : الافساد . والمدالسة : الخيانة
(٤) العلل : جمع علة وهى فى العقد والكلام بمعنى ما يصرفه عن وجهه ويحوله إلى غير المراد ، وذلك يطرأ على الكلام عند ابهامه وعدم صراحته ، ولحن القول ما يقبل التوجيه كالتورية والتعريض ، فاذا تعلل بهذا المعاقد لك وطلب شيئا لا يوافق ما أكدته وأخذت عليه الميثاق فلا تعول عليه ، وكذلك لو رأيت ثقلا من التزام العهد فلا تركن إلى لحن القول لتتملص منه ، فخذ بأصرح الوجوه لك وعليك
(٥) وأن تحيط : عطف على تبعة ، أى وتخاف أن تتوجه عليك من الله مطالبة بحقه فى الوفاء الذى غدرته ويأخذ الطالب بجميع أطرافك فلا يمكنك التخلص منه ، ويصعب

بِغَيْرِ حَقِّهَا . وَاللهُ سُبْحَانَهُ مُبْتَدِئٌ بِالْحُكْمِ بَيْنَ الْعِبَادِ فِيمَا تَسَافَكُوا مِنَ الدِّمَاءِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ . فَلَا تُقَوِّيَنَّ سُلْطَانَكَ بِسَفْكِ دَمٍ حَرَامٍ فَإِنَّ ذٰلِكَ مِمَّا يُضْعِفُهُ وَيُوهِنُهُ بَلْ يُزِيلُهُ وَيَنْقُلُهُ . وَلَا عُذْرَ لَكَ عِنْدَ اللهِ وَلَا عِنْدِي فِي قَتْلِ الْعَمْدِ لِأَنَّ فِيهِ قَوَدَ الْبَدَنِ[1] . وَإِنِ ابْتُلِيتَ بِخَطَإٍ وَأَفْرَطَ عَلَيْكَ سَوْطُكَ[2] أَوْ سَيْفُكَ أَوْ يَدُكَ بِعُقُوبَةٍ فَإِنَّ فِي الْوَكْزَةِ فَمَا فَوْقَهَا مَقْتَلَةً فَلَا تَطْمَحَنَّ بِكَ نَخْوَةُ سُلْطَانِكَ عَنْ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى أَوْلِيَاءِ الْمَقْتُولِ حَقَّهُمْ .

وَإِيَّاكَ وَالْإِعْجَابَ بِنَفْسِكَ وَالثِّقَةَ بِمَا يُعْجِبُكَ مِنْهَا وَحُبَّ الْإِطْرَاءِ[3] فَإِنَّ ذٰلِكَ مِنْ أَوْثَقِ فُرَصِ الشَّيْطَانِ فِي نَفْسِهِ لِيَمْحَقَ مَا يَكُونُ مِنْ إِحْسَانِ الْمُحْسِنِينَ

عليك أن تسأل الله أن يقيلك من هذه المطالبة بعفو عنك فى دنيا أو آخرة بعد ما تجرأت على عهده بالنقض (١) القود ـ بالتحريك ـ : القصاص . وإضافته للبدن لأنه يقع عليه (٢) أفرط عليك : عجل بما لم تكن تريده . أردت تأديبا فأعقب قتلا . وقوله فان فى الوكزة تعليل لأفرط . والوكزة ـ بفتح فسكون ـ : الضربة بجمع الكف ـ بضم الجيم ـ أى قبضته ، وهى المعروفة باللكمة . وقوله فلا تطمحن أى لا يرتفعن بك كبرياء السلطان عن تأدية الدية اليهم فى القتل الخطأ : جواب الشرط (٣) الاطراء : المبالغة فى الثناء . والفرصة ـ بالضم ـ : حادث يمكنك لو سعيت من الوصول لمقصدك . والعجب فى الانسان من أشد الفرص لتمكين الشيطان من قصده ، وهو محق الاحسان

وَإِيَّاكَ وَالْمَنَّ عَلَى رَعِيَّتِكَ بِإِحْسَانِكَ ، أَوِ التَّزَيُّدَ فِيمَا كَانَ مِنْ فِعْلِكَ[١] أَوْ أَنْ تَعِدَهُمْ فَتُتْبِعَ مَوْعِدَكَ بِخُلْفِكَ ، فَإِنَّ الْمَنَّ يُبْطِلُ الْإِحْسَانَ ، وَالتَّزَيُّدَ يَذْهَبُ بِنُورِ الْحَقِّ ، وَالْخُلْفَ يُوجِبُ الْمَقْتَ عِنْدَ اللهِ وَالنَّاسِ[٢] ، قَالَ اللهُ تَعَالَى « كَبُرَ مَقْتاً عِنْدَ اللهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ »

وَإِيَّاكَ وَالْعَجَلَةَ بِالْأُمُورِ قَبْلَ أَوَانِهَا ، أَوِ التَّسَقُّطَ فِيهَا عِنْدَ إِمْكَانِهَا[٣] ، أَوِ اللَّجَاجَةَ فِيهَا إِذَا تَنَكَّرَتْ[٤] ، أَوِ الْوَهْنَ عَنْهَا إِذَا اسْتَوْضَحَتْ . فَضَعْ كُلَّ أَمْرٍ مَوْضِعَهُ ، وَأَوْقِعْ كُلَّ عَمَلٍ مَوْقِعَهُ

وَإِيَّاكَ وَالِاسْتِئْثَارَ بِمَا النَّاسُ فِيهِ أُسْوَةٌ[٥] وَالتَّغَابِيَ عَمَّا يُعْنَى بِهِ مِمَّا قَدْ وَضَحَ لِلْعُيُونِ فَإِنَّهُ مَأْخُوذٌ مِنْكَ لِغَيْرِكَ . وَعَمَّا قَلِيلٍ تَنْكَشِفُ عَنْكَ أَغْطِيَةُ الْأُمُورِ وَيُنْتَصَفُ مِنْكَ لِلْمَظْلُومِ . امْلِكْ حَمِيَّةَ أَنْفِكَ[٦] ،

---

(١) التزيد ـ كالتقيد ـ: إظهار الزيادة فى الأعمال عن الواقع منها فى معرض الافتخار (٢) المقت : البغض والسخط (٣) التسقط : من قولهم تسقط فى الخبر يتسقط إذا أخذه قليلا قليلا ، يريد به هنا التهاون . وفى نسخة التساقط ـ بعد السين ـ من ساقط الفرس عدود إذا جاء مسترخيا (٤) تنكرت لم يعرف وجه الصواب فيها . واللجاجة : الاصرار على منازعة الأمر ليتم على عسر فيه . والوهن : الضعف (٥) احذر أن تخص نفسك بشىء تزيد به عن الناس وهو مما تجب فيه المساواة من الحقوق العامة . والتغابى : التغافل . وما يعنى به مبنى للمجهول أى يهتم به (٦) يقال فلان حى الأنف إذا كان أبيا يأنف الضيم ، أى املك نفسك عند الغضب . والسورة ـ بفتح السين وسكون الواو ـ : الحدة .

وَسَوْرَةَ حَدِّكَ ، وَسَطْوَةَ يَدِكَ ، وَغَرْبَ لِسَانِكَ . وَاحْتَرِسْ مِنْ كُلِّ ذٰلِكَ بِكَفِّ الْبَادِرَةِ [1] وَتَأْخِيرِ السَّطْوَةِ حَتَّى يَسْكُنَ غَضَبُكَ فَتَمْلِكَ الِاخْتِيَارَ ، وَلَنْ تَحْكُمَ ذٰلِكَ مِنْ نَفْسِكَ حَتَّى تُكْثِرَ هُمُومَكَ بِذِكْرِ الْمَعَادِ إِلَى رَبِّكَ

وَالْوَاجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تَتَذَكَّرَ مَا مَضَى لِمَنْ تَقَدَّمَكَ مِنْ حُكُومَةٍ عَادِلَةٍ ، أَوْ سُنَّةٍ فَاضِلَةٍ ، أَوْ أَثَرٍ عَنْ نَبِيِّنَا صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، أَوْ فَرِيضَةٍ فِي كِتَابِ اللّٰهِ فَتَقْتَدِيَ بِمَا شَاهَدْتَهُ مِمَّا عَمِلْنَا بِهِ فِيهَا [2] ، وَتَجْتَهِدَ لِنَفْسِكَ فِي اتِّبَاعِ مَا عَهِدْتُ إِلَيْكَ فِي عَهْدِي هٰذَا وَاسْتَوْثَقْتُ بِهِ مِنَ الْحُجَّةِ لِنَفْسِي عَلَيْكَ لِكَيْلَا تَكُونَ لَكَ عِلَّةٌ عِنْدَ تَسَرُّعِ نَفْسِكَ إِلَى هَوَاهَا .

وَأَنَا أَسْأَلُ اللّٰهَ بِسَعَةِ رَحْمَتِهِ وَعَظِيمِ قُدْرَتِهِ عَلَى إِعْطَاءِ كُلِّ رَغْبَةٍ [3] أَنْ يُوَفِّقَنِي وَإِيَّاكَ لِمَا فِيهِ رِضَاهُ مِنَ الْإِقَامَةِ عَلَى الْعُذْرِ الْوَاضِحِ إِلَيْهِ وَإِلَى خَلْقِهِ [4] ، مَعَ حُسْنِ الثَّنَاءِ فِي الْعِبَادِ وَجَمِيلِ الْأَثَرِ فِي الْبِلَادِ ، وَتَمَامِ

والحد ـ بالفتح ـ : البأس . والغرب ـ بفتح فسكون ـ : الحد ، تشبيهاً له بحد السيف ونحوه (١) البادرة : مايبدر من اللسان عند الغضب من سباب ونحوه . وإطلاق اللسان يزيد الغضب اتقاداً والسكوت يطفىء من لهبه (٢) ضمير فيها يعود الى جميع ماتقدم ، أى تذكر كل ذلك واعمل فيه مثل ماراًيتنا نعمل ، واحذر التأويل حسب الهوى (٣) على متعلقة بقدرة (٤) يريد من العذر الواضح العدل ، فانه عذر لك عند من قضيت عليه ، وعذر عند الله فيمن أجريت عليه عقوبة أو حرمته من منفعة

النِّعْمَةِ وَتَضْعِيفِ الْكَرَامَةِ [1] ، وَأَنْ يَخْتِمَ لِي وَلَكَ بِالسَّعَادَةِ وَالشَّهَادَةِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاغِبُونَ . وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ وَسَلَّمَ تَسْلِيماً كَثِيرًا . وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ
ذَكَرَهُ أَبُو جَعْفَرٍ الْإِسْكَافِيُّ فِي كِتَابِ الْمُقَدِّمَاتِ
فِي مَنَاقِبِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتُمَا ـ وَإِنْ كَتَمْتُمَا ـ أَنِّي لَمْ أُرِدِ النَّاسَ حَتَّى أَرَادُونِي ، وَلَمْ أُبَايِعْهُمْ حَتَّى بَايَعُونِي ، وَإِنَّكُمَا مِمَّنْ أَرَادَنِي وَبَايَعَنِي ، وَإِنَّ الْعَامَّةَ لَمْ تُبَايِعْنِي لِسُلْطَانٍ غَالِبٍ وَلَا لِعَرَضٍ حَاضِرٍ [2] ، فَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي طَائِعَيْنِ فَارْجِعَا وَتُوبَا إِلَى اللهِ مِنْ قَرِيبٍ ، وَإِنْ كُنْتُمَا بَايَعْتُمَانِي كَارِهَيْنِ فَقَدْ جَعَلْتُمَا لِي عَلَيْكُمَا السَّبِيلَ [3] بِإِظْهَارِكُمَا الطَّاعَةَ وَإِسْرَارِكُمَا الْمَعْصِيَةَ ، وَلَعَمْرِي مَا كُنْتُمَا بِأَحَقِّ الْمُهَاجِرِينَ بِالتَّقِيَّةِ وَالْكِتْمَانِ . وَإِنَّ دَفْعَكُمَا هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ قَبْلِ أَنْ تَدْخُلَا فِيهِ [4] كَانَ أَوْسَعَ عَلَيْكُمَا مِنْ خُرُوجِكُمَا مِنْهُ بَعْدَ إِقْرَارِكُمَا بِهِ

---

(١) أى زيادة الكرامة أضعافا (٢) العرض ـ بفتح فسكون ، أو بالتحريك ـ هو المتاع ، وما سوى النقدين من المال ، أى ولا لطمع فى مال حاضر . وفى نسخة ولا لحرص حاضر (٣) السبيل : الحجة (٤) الأمر هو خلافته

وَقَدْ زَعَمْتُمَا أَنِّي قَتَلْتُ عُثْمَانَ ، فَبَيْنِي وَبَيْنَكُمَا مَنْ تَخَلَّفَ عَنِّي وَعَنْكُمَا مِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ ثُمَّ يُلْزَمُ كُلُّ امْرِئٍ بِقَدْرِ مَا احْتَمَلَ(١) . فَارْجِعَا أَيُّهَا الشَّيْخَانِ عَنْ رَأْيِكُمَا فَإِنَّ الْآنَ أَعْظَمُ أَمْرِكُمَا الْعَارُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَجْتَمِعَ الْعَارُ وَالنَّارُ . وَالسَّلَامُ(٢)

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ جَعَلَ الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا(١) ، وَابْتَلَى فِيهَا أَهْلَهَا لِيَعْلَمَ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا . وَلَسْنَا لِلدُّنْيَا خُلِقْنَا ، وَلَا بِالسَّعْيِ فِيهَا أُمِرْنَا ، وَإِنَّمَا وُضِعْنَا فِيهَا لِنُبْتَلَى بِهَا ، وَقَدِ ابْتَلَانِي اللَّهُ بِكَ وَابْتَلَاكَ بِي فَجَعَلَ أَحَدَنَا حُجَّةً عَلَى الْآخَرِ ، فَعَدَوْتَ عَلَى طَلَبِ الدُّنْيَا بِتَأْوِيلِ الْقُرْآنِ(٤) فَطَلَبْتَنِي بِمَا لَمْ تَجْنِ يَدِي وَلَا لِسَانِي ، وَعَصَبْتَهُ أَنْتَ وَأَهْلُ الشَّامِ بِي(٥) وَأَلَّبَ عَالِمُكُمْ جَاهِلَكُمْ ، وَقَائِمُكُمْ قَاعِدَكُمْ . فَاتَّقِ اللَّهَ فِي نَفْسِكَ .

---

(١) أى نرجع فى الحكم لمن تقاعد عن نصرى ونصركما من أهل المدينة، فان حكموا قبلنا حكمهم، ثم ألزمت الشريعة كل واحد منا بقدر مداخلته فى قتل عثمان (٢) قوله من قبل أن يجتمع متعلق بفعل محذوف أى ارجعا من قبل الخ (٣) وهو الآخرة (٤) فعدوت أى وثبت. وتأويل القرآن : صرف قوله تعالى . «يأيها الذين آمنوا كتب عليكم القصاص * ولكم فى القصاص حياة » وتحويله إلى غير معناه حيث أقنع أهل الشام أن هذا النص يخول معاوية الحق فى الطلب بدم عثمان من أمير المؤمنين (٥) أى أنك وأهل الشام عصبتم أى ربطتم دم عثمان بى وألزمتمونى ثأره . وألب ــ بفتح الهمزة وتشديد اللام. أى حرض . قالوا يريد بالعالم أبا هريرة رضى الله عنه ، وبالقائم عمرو بن العاص

وَنَازِعِ ٱلشَّيْطَانَ قِيَادَكَ[١] . وَٱصْرِفْ إِلَى ٱلْآخِرَةِ وَجْهَكَ فَهِيَ طَرِيقُنَا وَطَرِيقُكَ . وَٱحْذَرْ أَنْ يُصِيبَكَ ٱللهُ مِنْهُ بِعَاجِلِ قَارِعَةٍ تَمَسُّ ٱلْأَصْلَ[٢] وَتَقْطَعُ ٱلدَّابِرَ ، فَإِنِّي أُولِي لَكَ بِٱللهِ أَلِيَّةً غَيْرَ فَاجِرَةٍ[٣] لَئِنْ جَمَعَتْنِي وَإِيَّاكَ جَوَامِعُ ٱلْأَقْدَارِ لَا أَزَالُ بِبَاحَتِكَ « حَتَّى يَحْكُمَ ٱللهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَاكِمِينَ »

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ وَصَّى بِهَا شُرَيْحَ بْنَ هَانِئٍ لَمَّا جَعَلَهُ عَلَى مُقَدِّمَتِهِ إِلَى ٱلشَّامِ)

ٱتَّقِ ٱللهَ فِي كُلِّ صَبَاحٍ وَمَسَاءٍ ، وَخَفْ عَلَى نَفْسِكَ ٱلدُّنْيَا ٱلْغَرُورَ وَلَا تَأْمَنْهَا عَلَى حَالٍ . وَٱعْلَمْ أَنَّكَ إِنْ لَمْ تَرْدَعْ نَفْسَكَ عَنْ كَثِيرٍ مِمَّا تُحِبُّ مَخَافَةَ مَكْرُوهِهِ سَمَتْ بِكَ ٱلْأَهْوَاءُ إِلَى كَثِيرٍ مِنَ ٱلضَّرَرِ[٤] ، فَكُنْ لِنَفْسِكَ مَانِعًا رَادِعًا وَلِنَزْوَتِكَ عِنْدَ ٱلْحَفِيظَةِ وَاقِمًا قَامِعًا[٥]

---

(١) القياد ـ بالكسر ـ : الزمام . ونازعه القياد إذا لم يسترسل معه (٢) القارعة : البلية والمصيبة تمس الأصل أى تصيبه فتقلعه . والدابر هو الآخر ، ويقال للأصل أيضاً ، أى لا تبقى لك أصلا ولا فرعا (٣) أولى أى أحلف بالله حلفة غير حانثة . والباحة : كالساحة وزنا ومعنى (٤) سمت أى ارتفعت . والأهواء : جمع هوى وهو الميل مع الشهوة حيث مالت (٥) النزوة من نزا ينزو نزوا أى وثب . والحفيظة : الغضب .

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى أَهْلِ ٱلْكُوفَةِ
عِنْدَ مَسِيرِهِ مِنَ ٱلْمَدِينَةِ إِلَى ٱلْبَصْرَةِ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي خَرَجْتُ مِنْ حَيِّي هٰذَا[1] إِمَّا ظَالِماً وَإِمَّا مَظْلُوماً، وَإِمَّا بَاغِياً وَإِمَّا مَبْغِيّاً عَلَيْهِ، وَإِنِّي أُذَكِّرُ ٱللهَ مَنْ بَلَغَهُ كِتَابِي هٰذَا[2] لَمَّا نَفَرَ إِلَيَّ فَإِنْ كُنْتُ مُحْسِناً أَعَانَنِي وَإِنْ كُنْتُ مُسِيئاً ٱسْتَعْتَبَنِي

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَتَبَهُ إِلَى أَهْلِ ٱلْأَمْصَارِ
يَقْتَصُّ فِيهِ مَا جَرَى بَيْنَهُ وَبَيْنَ أَهْلِ صِفِّينَ)

وَكَانَ بَدْءُ أَمْرِنَا أَنَّا ٱلْتَقَيْنَا وَٱلْقَوْمُ مِنْ أَهْلِ ٱلشَّامِ. وَٱلظَّاهِرُ أَنَّ رَبَّنَا وَاحِدٌ[3] وَنَبِيَّنَا وَاحِدٌ، وَدَعْوَتَنَا فِي ٱلْإِسْلَامِ وَاحِدَةٌ. لَا نَسْتَزِيدُهُمْ فِي ٱلْإِيمَانِ بِاللهِ وَٱلتَّصْدِيقِ بِرَسُولِهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَا يَسْتَزِيدُونَنَا. ٱلْأَمْرُ وَاحِدٌ إِلَّا مَا ٱخْتَلَفْنَا فِيهِ مِنْ دَمِ عُثْمَانَ وَنَحْنُ مِنْهُ بَرَاءٌ، فَقُلْنَا تَعَالَوْا نُدَاوِ مَا لَا

ووقمه فهو واقم أى قهره . وقمعه : رده وكسره (١) الحى : موطن القبيلة أو منزلها (٢) من بلغه مفعول اذكر . وقوله لما نفر الىّ ان كانت مشددة فلما بمعنى إلا، و إن كانت مخففة فهى زائدة ، واللام للتأكيد . واستعتبنى طلب منى العتبى أى الرضاء ، أى طلب منى أن أرضيه بالخروج عن اساءتى (٣) والظاهر الخ الواو للحال أى كان التقاؤنا فى حال يظهر فيها أننا متحدون فى العقيدة لا اختلاف بيننا إلا فى دم عثمان . ولا نستزيدهم أى لا نطلب منهم زيادة فى الايمان لأنهم كانوا مؤمنين . وقوله الأمر

يُدْرَكُ الْيَوْمَ بِإِطْفَاءِ النَّائِرَةِ(١) وَتَسْكِينِ الْعَامَّةِ، حَتَّى يَشْتَدَّ الْأَمْرُ وَيَسْتَجْمِعَ، فَنَقْوَى عَلَى وَضْعِ الْحَقِّ مَوَاضِعَهُ، فَقَالُوا بَلْ نُدَاوِيهِ بِالْمُكَابَرَةِ، فَأَبَوْا حَتَّى جَنَحَتِ الْحَرْبُ وَرَكَدَتْ وَوَقَدَتْ نِيرَانُهَا وَحَمِسَتْ. فَلَمَّا ضَرَّسَتْنَا وَإِيَّاهُمْ(٢)، وَوَضَعَتْ مَخَالِبَهَا فِينَا وَفِيهِمْ، أَجَابُوا عِنْدَ ذٰلِكَ إِلَى الَّذِي دَعَوْنَاهُمْ إِلَيْهِ، فَأَجَبْنَاهُمْ إِلَى مَا دَعَوْا، وَسَارَعْنَاهُمْ إِلَى مَا طَلَبُوا حَتَّى اسْتَبَانَتْ عَلَيْهِمُ الْحُجَّةُ، وَانْقَطَعَتْ مِنْهُمُ الْمَعْذِرَةُ. فَمَنْ تَمَّ عَلَى ذٰلِكَ مِنْهُمْ فَهُوَ الَّذِي أَنْقَذَهُ اللّٰهُ مِنَ الْهَلَكَةِ، وَمَنْ لَجَّ وَتَمَادَى فَهُوَ الرَّاكِسُ(٣) الَّذِي رَانَ اللّٰهُ عَلَى قَلْبِهِ، وَصَارَتْ دَائِرَةُ السَّوْءِ عَلَى رَأْسِهِ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْأَسْوَدِ بْنِ قَطِيبَةَ صَاحِبِ حُلْوَانَ(٤))

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ الْوَالِيَ إِذَا اخْتَلَفَ هَوَاهُ(٥) مَنَعَهُ ذٰلِكَ كَثِيرًا مِنَ

واحد: جملة مستأنفة لبيان الاتحاد فى كل شيء إلا دم عثمان (١) النائرة: اسم فاعل من نارت الفتنة تنور إذا انتشرت. والنائرة أيضا العداوة والشحناء. والمكابرة: المعاندة، أى دعاهم للصلح حتى يسكن الاضطراب ثم يوفيهم طلبهم فأبوا إلا الاصرار على دعواهم. وجنحت الحرب: مالت أى مال رجالها لايقادها. وركدت: استقرت. ونبتت. ووقدت ـ كوعدت ـ أى اتقدت والتهبت. وحمس ـ كفرح ـ: اشتد وصلب (٢) ضرستنا: عضتنا بأضراسها (٣) الراكس: الناكث الذى قلب عهده ونكثه. والراكس أيضاً الثور الذى يكون فى وسط البيدر حين يداس والثيران حواليه، وهو يرتكس أى يدور مكانه، وران على قلبه: غطى (٤) ايالة من ايالات فارس (٥) اختلاف الهوى: جريانه مع الأغراض النفسية حيث تذهب، ووحدة الهوى:

ٱلْعَدْلِ . فَلْيَكُنْ أَمْرُ ٱلنَّاسِ عِنْدَكَ فِي ٱلْحَقِّ سَوَاءً فَإِنَّهُ لَيْسَ فِي ٱلْجَوْرِ عِوَضٌ مِنَ ٱلْعَدْلِ . فَاجْتَنِبْ مَا تُنْكِرُ أَمْثَالَهُ (١) ، وَٱبْتَذِلْ نَفْسَكَ فِيمَا ٱفْتَرَضَ ٱللهُ عَلَيْكَ رَاجِياً ثَوَابَهُ وَمُتَخَوِّفاً عِقَابَهُ

وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱلدُّنْيَا دَارُ بَلِيَّةٍ لَمْ يَفْرُغْ صَاحِبُهَا فِيهَا قَطُّ سَاعَةً إِلَّا كَانَتْ فَرْغَتُهُ عَلَيْهِ حَسْرَةً يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ (٢) . وَأَنَّهُ لَنْ يُغْنِيَكَ عَنِ ٱلْحَقِّ شَيْءٌ أَبَداً. وَمِنَ ٱلْحَقِّ عَلَيْكَ حِفْظُ نَفْسِكَ وَٱلِاحْتِسَابُ عَلَى ٱلرَّعِيَّةِ بِجُهْدِكَ (٣) ، فَإِنَّ ٱلَّذِي يَصِلُ إِلَيْكَ مِنْ ذَٰلِكَ أَفْضَلُ مِنَ ٱلَّذِي يَصِلُ بِكَ . وَٱلسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى ٱلْعُمَّالِ ٱلَّذِينَ يَطَأُ ٱلْجَيْشُ عَمَلَهُمْ (٤))

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مَنْ مَرَّ بِهِ ٱلْجَيْشُ مِنْ جُبَاةِ ٱلْخَرَاجِ وَعُمَّالِ ٱلْبِلَادِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي قَدْ سَيَّرْتُ جُنُوداً هِيَ مَارَّةٌ بِكُمْ إِنْ شَاءَ ٱللهُ ، وَقَدْ

توجهه إلى أمر واحد وهو تنفيذ الشريعة العادلة على من يصيب حكمها (١) أى مالا تستحسن مثله لو صدر من غيرك (٢) الفراغ الذى يعقب حسرة يوم القيامة هو خلو الوقت من عمل يرجع بالنفع على الأمة ، فعلى الانسان أن يكون عاملا دائما فيما ينفع أمته ويصلح رعيته إن كان راعيا (٣) الاحتساب على الرعية : مراقبة أعمالها وتقويم ما اعوج منها واصلاح مافسد ، والأجر الذى يصل اليه العامل من الله والكرامة التى ينالها من الخليفة هما أفضل وأعظم من الصلاح الذى يصل إلى الرعية بسببه (٤) أى يمر بأراضيهم

أَوْصَيْتُهُمْ بِمَا يَجِبُ لِلّٰهِ عَلَيْهِمْ مِنْ كَفِّ الْأَذَى وَصَرْفِ الشَّذَى[١]. وَأَنَا أَبْرَأُ إِلَيْكُمْ وَإِلَى ذِمَّتِكُمْ مِنْ مَعَرَّةِ الْجَيْشِ[٢] إِلَّا مِنْ جَوْعَةِ الْمُضْطَرِّ لَا يَجِدُ عَنْهَا مَذْهَباً إِلَى شِبَعِهِ. فَنَكِّلُوا مَنْ تَنَاوَلَ مِنْهُمْ شَيْئاً ظُلْماً عَنْ ظُلْمِهِمْ[٣]. وَكُفُّوا أَيْدِيَ سُفَهَائِكُمْ عَنْ مُضَادَّتِهِمْ وَالتَّعَرُّضِ لَهُمْ فِيمَا اسْتَثْنَيْنَاهُ مِنْهُمْ[٤]. وَأَنَا بَيْنَ أَظْهُرِ الْجَيْشِ[٥] فَادْفَعُوا إِلَيَّ مَظَالِمَكُمْ. وَمَا عَرَاكُمْ مِمَّا يَغْلِبُكُمْ مِنْ أَمْرِهِمْ وَلَا تُطِيقُونَ دَفْعَهُ إِلَّا بِاللّٰهِ وَبِي فَأَنَا أُغَيِّرُهُ بِمَعُونَةِ اللّٰهِ إِنْ شَاءَ اللّٰهُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى كُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى هِيتَ يُنْكِرُ عَلَيْهِ تَرْكَهُ دَفْعَ مَنْ يَجْتَازُ بِهِ مِنْ جَيْشِ الْعَدُوِّ طَالِباً الْغَارَةَ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ تَضْيِيعَ الْمَرْءِ مَا وُلِّيَ وَتَكَلُّفَهُ مَا كُفِيَ[٦] لَعَجْزٌ حَاضِرٌ

---

(١) الشذى : الشر (٢) معرة الجيش : أذاه . والامام يتبرأ منها لأنها من غير رضاه . وجوعة ـ بفتح الجيم ـ : الواحدة من مصدر جاع ، يستثنى حالة الجوع المهلك فان للجيش فيها حقا أن يتناول سد رمقه (٣) نكلوا أى أوقعوا النكال والعقاب بمن تناول شيئا من أموال الناس غير مضطر . وافعلوا ذلك جزاء بظلم عن ظلمهم ، وتسمية الجزاء ظلما نوع من المشاكلة (٤) الذى استثناه هو حالة الاضطرار (٥) أى انى موجود فيه فما عجزتم عن دفعه فردوه إلى أكفكم ضره وشره (٦) تضييع الانسان الشأن الذى تولى حفظه وتجشمه الأمر الذى لم يطلب منه وكفاه الغير ثقله

وَرَأْيٌ مُتَبَّرٌ . وَإِنَّ تَعَاطِيَكَ الْغَارَةَ عَلَى أَهْلِ قِرْقِيسِيَا[١] وَتَعْطِيلَكَ مَسَالِحَكَ الَّتِي وَلَّيْنَاكَ لَيْسَ بِهَا مَنْ يَمْنَعُهَا وَلَا يَرُدُّ الْجَيْشَ عَنْهَا لَرَأْيٌ شَعَاعٌ . فَقَدْ صِرْتَ جِسْرًا لِمَنْ أَرَادَ الْغَارَةَ مِنْ أَعْدَائِكَ عَلَى أَوْلِيَائِكَ ، غَيْرَ شَدِيدِ الْمَنْكِبِ[٢] ، وَلَا مَهِيبِ الْجَانِبِ ، وَلَا سَادٍّ ثُغْرَةً ، وَلَا كَاسِرٍ شَوْكَةً ، وَلَا مُغْنٍ عَنْ أَهْلِ مِصْرِهِ[٣] ، وَلَا مُجْزٍ عَنْ أَمِيرِهِ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

إِلَى أَهْلِ مِصْرَ مَعَ مَالِكٍ الْأَشْتَرِ لَمَّا وَلَّاهُ إِمَارَتَهَا

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ بَعَثَ مُحَمَّدًا صلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَذِيرًا لِلْعَالَمِينَ وَمُهَيْمِنًا عَلَى الْمُرْسَلِينَ[٤] ، فَلَمَّا مَضَى عَلَيْهِ السَّلَامُ تَنَازَعَ الْمُسْلِمُونَ الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ ، فَوَاللهِ مَا كَانَ يُلْقَى فِي رُوعِي[٥]

عجز عن القيام بما تولاه ، ورأى متبر ـ كمعظم ـ من تبره تتبيرا إذا أهلكه ، أى هالك صاحبه (١) قرقيسيا ـ بكسر القافين بينهما ساكن ـ : بلد على الفرات . والمسالح ـ جمع مسلحة ـ : مواضع الحامية على الحدود . ورأى شعاع ـ كسحاب ـ أى متفرق ، أما الرأى المجتمع على صلاح فهو تقوية المسالح ومنع العدو من دخول البلاد (٢) المنكب ـ كمسجد ـ : مجتمع الكتف والعضد . وشدته كناية عن القوة والمنعة . والثغرة : الفرجة يدخل منها العدو (٣) أغنى عنه : ناب منابه ، وقائد المسالح ينبغى أن ينوب عن أهل المصر فى كفايتهم غارة عدوهم . وأجزى عنه : قام مقامه وكفى عنه (٤) المهيمن : الشاهد ، والنبى شاهد برسالة المرسلين الأولين (٥) الروع ـ بضم الراء ـ : القلب أو موضع الروع منه ـ بفتح الراء ـ أى الفزع ، أى ما كان

وَلَا يَخْطُرُ بِبَالِي أَنَّ الْعَرَبَ تُزْعِجُ هٰذَا الْأَمْرَ مِنْ بَعْدِهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ أَهْلِ بَيْتِهِ ، وَلَا أَنَّهُمْ مُنَحُّوهُ عَنِّي مِنْ بَعْدِهِ ، فَمَا رَاعَنِي إِلَّا انْثِيَالُ النَّاسِ عَلَى فُلَانٍ(١) يُبَايِعُونَهُ ، فَأَمْسَكْتُ يَدِي(٢) حَتَّى رَأَيْتُ رَاجِعَةَ النَّاسِ قَدْ رَجَعَتْ عَنِ الْإِسْلَامِ يَدْعُونَ إِلَى مَحْقِ دِينِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، فَخَشِيتُ إِنْ لَمْ أَنْصُرِ الْإِسْلَامَ وَأَهْلَهُ أَنْ أَرَى فِيهِ ثَلْماً(٣) أَوْ هَدْماً تَكُونُ الْمُصِيبَةُ بِهِ عَلَيَّ أَعْظَمَ مِنْ فَوْتِ وِلَايَتِكُمُ الَّتِي إِنَّمَا هِيَ مَتَاعُ أَيَّامٍ قَلَائِلَ يَزُولُ مِنْهَا مَا كَانَ كَمَا يَزُولُ السَّرَابُ ، أَوْ كَمَا يَتَقَشَّعُ السَّحَابُ ، فَنَهَضْتُ فِي تِلْكَ الْأَحْدَاثِ حَتَّى زَاحَ الْبَاطِلُ وَزَهَقَ ، وَاطْمَأَنَّ الدِّينُ وَتَنَهْنَهَ

يقذف فى قلبي هذا الخاطر وهو أن العرب تزعج أى تنقل هذا الأمر أى الخلافة عن آل بيت النبي عموما ، ولا أنهم ينحونه أي يبعدونه عني خصوصا (١) راعني : أفزعني. وانثيال الناس : انصبابهم (٢) كففتها عن العمل وتركت الناس وشأنهم حتى رأيت الراجعين من الناس قد رجعوا عن دين محمد بارتكابهم خلاف ما أمر الله واهمالهم حدوده وعدوهم عن شريعته ، يريد بهم عمال عثمان وولاته على البلاد ، ومحق الدين: محوه و إزالته (٣) ثلما أي خرقا ، ولو لم ينصر الاسلام بازالة أولئك الولاة وكشف بدعهم لكانت المصيبة على أمير المؤمنين بالعقاب على التفريط أعظم من حرمانه الولاية فى الأمصار . فالولاية يتمتع بها أياما قلائل ثم تزول كما يزول السراب . فنهض الامام بين تلك البدع فبددها حتى زاح أي ذهب الباطل و زهق ، أي خرجت روحه ومات ، مجاز عن الزوال التام . ونهنهه عن الشيء : كفه ، فتنهنه أي كف . وكان الدين منزعجا من تصرف هؤلاء نازعاً إلى الزوال فكفه أمير المؤمنين ومنعه فاطمأن

(وَمِنْهُ) إِنِّي وَاللهِ لَوْ لَقِيتُهُمْ وَاحِدًا وَهُمْ طِلَاعُ الْأَرْضِ كُلِّهَا(١) مَا بَالَيْتُ وَلَا اسْتَوْحَشْتُ. وَإِنِّي مِنْ ضَلَالِهِمُ الَّذِي هُمْ فِيهِ، وَالْهُدَى الَّذِي أَنَا عَلَيْهِ، لَعَلَى بَصِيرَةٍ مِنْ نَفْسِي وَيَقِينٍ مِنْ رَبِّي. وَإِنِّي إِلَى لِقَاءِ اللهِ وَحُسْنِ ثَوَابِهِ لَمُنْتَظِرٌ رَاجٍ. وَلٰكِنَّنِي آسَى أَنْ يَلِيَ أَمْرَ هٰذِهِ الْأُمَّةِ سُفَهَاؤُهَا وَفُجَّارُهَا(٢)، فَيَتَّخِذُوا مَالَ اللهِ دُوَلًا، وَعِبَادَهُ خَوَلًا، وَالصَّالِحِينَ حَرْبًا، وَالْفَاسِقِينَ حِزْبًا، فَإِنَّ مِنْهُمُ الَّذِي قَدْ شَرِبَ فِيكُمُ الْحَرَامَ(٣)، وَجُلِدَ حَدًّا فِي الْإِسْلَامِ وَإِنَّ مِنْهُمْ مَنْ لَمْ يُسْلِمْ حَتَّى رُضِخَتْ لَهُ عَلَى الْإِسْلَامِ الرَّضَائِخُ(٤)، فَلَوْلَا ذٰلِكَ مَا أَكْثَرْتُ تَأْلِيبَكُمْ(٥) وَتَأْنِيبَكُمْ، وَجَمْعَكُمْ وَتَحْرِيضَكُمْ، وَلَتَرَكْتُكُمْ إِذْ أَبَيْتُمْ وَوَنَيْتُمْ

أَلَا تَرَوْنَ إِلَى أَطْرَافِكُمْ قَدِ انْتَقَصَتْ(٦)، وَإِلَى أَمْصَارِكُمْ قَدِ

---

(١) وهم طلاع الخ حال من مفعول لقيتهم، والطلاع - ككتاب - : ملء الشيء، أي لو كنت واحداً وهم يملأون الأرض للقيتهم غير مبال بهم (٢) آسى : مضارع أسيت عليه - كرضيت - أي حزنت، أي أنه يحزن لأن يتولى أمر الأمة سفهاؤها الخ. والدول - بضم ففتح - : جمع دولة بالضم أي شيئا يتداولونه بينهم يتصرفون فيه بغير حق الله. والخول - محركة - : العبيد. وحربا أي محاربين (٣) يريد الحر، والشارب قالوا عتبة بن أبي سفيان حده خالد بن عبد الله في الطائف، وذكروا رجلا آخر لا أذكره (٤) الرضائخ : العطايا. ورضخت له : أعطيت له. وقالوا ان عمرو بن العاص لم يسلم حتى طلب عطاء من النبي فلما أعطاه أسلم (٥) تأليبكم : تحريضكم وتحويل قلوبكم عنهم. والتأنيب : اللوم. وونيتم أي أبطأتم عن اجابتي (٦) أطراف البلاد جوانبها قد حصل فيها النقص باستيلاء العدو عليها. وتزوى مبني

أُفْتُتِحَتْ ، وَإِلَى مَمَالِكِكُمْ تُزْوَى ، وَإِلَى بِلَادِكُمْ تُغْزَى . أُنْفِرُوا رَحِمَكُمُ ٱللهُ إِلَى قِتَالِ عَدُوِّكُمْ ، وَلَا تَثَّاقَلُوا إِلَى ٱلْأَرْضِ فَتَقِرُّوا بِالْخَسْفِ وَتَبُوءُوا بِالذُّلِّ[1] ، وَيَكُونَ نَصِيبُكُمُ ٱلْأَخَسَّ . وَإِنَّ أَخَا ٱلْحَرْبِ ٱلْأَرِقُ[2] . وَمَنْ نَامَ لَمْ يُنَمْ عَنْهُ . وَٱلسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى ٱلْكُوفَةِ ، وَقَدْ بَلَغَهُ عَنْهُ تَثْبِيطُهُ ٱلنَّاسَ عَنِ ٱلْخُرُوجِ إِلَيْهِ[3] لَمَّا نَدَبَهُمْ لِحَرْبِ أَصْحَابِ ٱلْجَمَلِ)

مِنْ عَبْدِ ٱللهِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى عَبْدِ ٱللهِ بْنِ قَيْسٍ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي عَنْكَ قَوْلٌ هُوَ لَكَ وَعَلَيْكَ ، فَإِذَا قَدِمَ رَسُولِي عَلَيْكَ فَارْفَعْ ذَيْلَكَ[4] ، وَٱشْدُدْ مِئْزَرَكَ ، وَٱخْرُجْ مِنْ جُحْرِكَ ، وَٱنْدُبْ مَنْ مَعَكَ ، فَإِنْ حَقَّقْتَ فَٱنْفُذْ ، وَإِنْ تَفَشَّلْتَ فَٱبْعُدْ . وَٱيْمُ ٱللهِ لَتُؤْتَيَنَّ حَيْثُ أَنْتَ ، وَلَا تُتْرَكُ حَتَّى يُخْلَطَ زُبْدُكَ بِخَاثِرِكَ[5]، وَذَائِبُكَ بِجَامِدِكَ،

للمجهول من زواه إذا قبضه عنه (١) قر - من باب منع أو ضرب - سكن أى فتقيموا بالخسف أى الضيم وتبوءوا أى تعودوا بالذل (٢) الأرق - بفتح فكسر - أى الساهر، وصاحب الحرب لاينام ، والذى ينام لاينام الناس عنه (٣) التثبيط : الترغيب فى القعود والتخلف (٤) رفع الذيل وشد المئزر كناية عن التشمير للجهاد ، وكنى بجحره عن مقره. واندب أى ادع من معك فان حققت أى أخذت بالحق والعزيمة فانفذ أى امض الينا ، وان تفشلت أى جبنت فابعد عنا (٥) الخاثر : الغليظ . والكلام تمثيل لاختلاط

وَحَتّى تُعْجَلَ عَنْ قِعْدَتِكَ[1] ، وَتَحْذَرَ مِنْ أَمَامِكَ كَحَذَرِكَ مِنْ خَلْفِكَ . وَمَا هِيَ بِالْهُوَيْنَى الَّتِي تَرْجُو[2] ، وَلٰكِنَّهَا الدَّاهِيَةُ الْكُبْرَى ، يُرْكَبُ جَمَلُهَا وَيُذَلُّ صَعْبُهَا ، وَيُسَهَّلُ جَبَلُهَا . فَاعْقِلْ عَقْلَكَ[3] ، وَامْلِكْ أَمْرَكَ وَخُذْ نَصِيبَكَ وَحَظَّكَ ، فَإِنْ كَرِهْتَ فَتَنَحَّ إِلَى غَيْرِ رَحْبٍ ، وَلَا فِي نَجَاةٍ ، فَبِالْحَرِيِّ لَتُكْفَيَنَّ وَأَنْتَ نَائِمٌ[4] حَتّى لَا يُقَالَ أَيْنَ فُلَانٌ . وَاللّٰهِ إِنَّهُ لَحَقٌّ مَعَ مُحِقٍّ وَمَا نُبَالِي مَا صَنَعَ الْمُلْحِدُونَ . وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ جَوَاباً)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّا كُنَّا نَحْنُ وَأَنْتُمْ عَلَى مَا ذَكَرْتَ مِنَ الْأُلْفَةِ وَالْجَمَاعَةِ ، فَفَرَّقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَمْسِ أَنَّا آمَنَّا وَكَفَرْتُمْ ، وَالْيَوْمَ أَنَّا اسْتَقَمْنَا وَفُتِنْتُمْ . وَمَا أَسْلَمَ مُسْلِمُكُمْ إِلَّا كَرْهاً[5] ، وَبَعْدَ أَنْ كَانَ أَنْفُ الْإِسْلَامِ كُلُّهُ لِرَسُولِ اللّٰهِ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ حِزْباً

الأمر عليه من الحيرة وأصل المثل لايدرى أيخثر أم يذيب . قالوا ان المرأة تسلأ السمن فيختلط خاثره برقيقه فتقع فى حيرة ان أوقدت النار حتى يصفو احترق وان تركته بقى كدراً (١) القعدة — بالكسر — : هيئة القعود . وأعجله عن الأمر حال دون إدراكه أى يحال بينك و بين جلستك فى الولاية ويحيط الخوف بك حتى تخشاه من أمام كما تخشاه من خلف (٢) الهوينى : تصغير الهونى بالضم مؤنث أهون (٣) قيده بالعزيمة ولاتدعه يذهب مذاهب التردد من الخوف (٤) لتكفين بلام التأكيد ونونه أى انا لنكفيك القتال ونظفر فيه وأنت نائم خامل لااسم لك ولا يسأل عنك ، نفعل ذلك بالوجه الحرى أى الجدير بنا أن نفعله (٥) فان أبا سفيان إنما أسلم قبل فتح مكة

وَذَكَرْتَ أَنِّى قَتَلْتُ طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرَ، وَشَرَّدْتُ بِعَائِشَةَ[١] وَنَزَلْتُ بَيْنَ الْمِصْرَيْنِ، وَذٰلِكَ أَمْرٌ غِبْتَ عَنْهُ فَلَا عَلَيْكَ وَلَا الْعُذْرُ فِيهِ إِلَيْكَ

وَذَكَرْتَ أَنَّكَ زَائِرِى فِى الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَقَدِ انْقَطَعَتِ الْهِجْرَةُ يَوْمَ أُسِرَ أَخُوكَ[٢]، فَإِنْ كَانَ فِيكَ عَجَلٌ فَاسْتَرْفِهْ[٣]، فَإِنِّى إِنْ أَزُرْكَ فَذٰلِكَ جَدِيرٌ أَنْ يَكُونَ اللّٰهُ إِنَّمَا بَعَثَنِى لِلنِّقْمَةِ مِنْكَ، وَإِنْ تَزُرْنِى فَكَمَا قَالَ أَخُو بَنِى أَسَدٍ:

مُسْتَقْبِلِينَ رِيَاحَ الصَّيْفِ تَضْرِبُهُمْ ... بِحَاصِبٍ بَيْنَ أَغْوَارٍ وَجُلْمُودِ[٤]

وَعِنْدِى السَّيْفُ الَّذِى أَعْضَضْتُهُ بِجَدِّكَ[٥] وَخَالِكَ وَأَخِيكَ فِى مَقَامٍ وَاحِدٍ. وَإِنَّكَ وَاللّٰهِ مَا عَلِمْتُ[٦]. لَأَغْلَفُ الْقَلْبِ الْمُقَارِبُ الْعَقْلِ، وَالْأَوْلَى أَنْ يُقَالَ لَكَ إِنَّكَ رَقِيتَ سُلَّمًا أَطْلَعَكَ مَطْلَعَ سُوءٍ عَلَيْكَ لَا لَكَ،

بليلة خوف القتل وخشية من جيش النبى صلى الله عليه وسلم البالغ عشرة آلاف ونيفا. وأنف الاسلام: أشراف العرب الذين دخلوا فيه قبل الفتح (١) شرد به: سمع الناس بعيوبه، أو طرده وفرق أمره. والمصران: كوفة والبصرة (٢) أخوه عمرو بن أبى سفيان أسر يوم بدر (٣) فاسترفه فعل أمر أى استرح ولا تستعجل (٤) الجلمود - بالضم -: الصخر. والأغوار: جمع غور - بالفتح - وهو الغبار والحاصب ريح تحمل التراب والحصى (٥) جده عتبة بن ربيعة، وخاله الوليد بن عتبة، وأخوه حنظلة قتلهم أمير المؤمنين يوم بدر. وأعضضته به: جعلته يعضه. والباء زائدة (٦) ماخبر ان، أى أنت الذى أعرفه. والأغلف خبر بعد خبر. وأغلف القلب الذى لا يدرك كأن قلبه فى غلاف لا تنفذ إليه المعالى. ومقارب العقل ناقصه ضعيفه

لِأَنَّكَ نَشَدْتَ غَيْرَ ضَالَّتِكَ[١] ، وَرَعَيْتَ غَيْرَ سَائِمَتِكَ ، وَطَلَبْتَ أَمْرًا لَسْتَ مِنْ أَهْلِهِ وَلَا فِي مَعْدِنِهِ ، فَمَا أَبْعَدَ قَوْلَكَ مِنْ فِعْلِكَ . وَقَرِيبٌ مَا أَشْبَهْتَ[٢] مِنْ أَعْمَامٍ وَأَخْوَالٍ حَمَلَتْهُمُ الشَّقَاوَةُ وَتَمَنِّي الْبَاطِلِ عَلَى الْجُحُودِ بِمُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ، فَصُرِعُوا مَصَارِعَهُمْ حَيْثُ عَلِمْتَ، لَمْ يَدْفَعُوا عَظِيمًا ، وَلَمْ يَمْنَعُوا حَرِيمًا بِوَقْعِ سُيُوفٍ مَاخَلَا مِنْهَا الْوَغَى[٣] وَلَمْ تُمَاشِهَا الْهُوَيْنَى

وَقَدْ أَكْثَرْتَ فِي قَتَلَةِ عُثْمَانَ فَادْخُلْ فِيمَا دَخَلَ فِيهِ النَّاسُ[٤] ثُمَّ حَاكِمِ الْقَوْمَ إِلَيَّ أَحْمِلْكَ وَإِيَّاهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ تَعَالَى . وَأَمَّا تِلْكَ الَّتِي تُرِيدُ[٥] فَإِنَّهَا خُدْعَةُ الصَّبِيِّ عَنِ اللَّبَنِ فِي أَوَّلِ الْفِصَالِ وَالسَّلَامُ لِأَهْلِهِ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَيْهِ أَيْضًا)

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ آنَ لَكَ أَنْ تَنْتَفِعَ بِاللَّمْحِ الْبَاصِرِ مِنْ عِيَانِ الْأُمُورِ[٦] ،

كأنه يكاد أن يكون عاقلا وليس به (١) الضالة مافقدته من مال ونحوه . ونشد الضالة طلبها ليردها مثل يضرب لطالب غير حقه. والسائمة الماشية من الحيوان (٢) ما ومابعدها فى معنى المصدر أى شبهك قريب من أعمامك وأخوالك . وصرعوا مصارعهم : سقطوا قتلى فى مطارحهم حيث تعلم أى فى بدر وحنين وغيرهما من المواطن (٣) الوغى : الحرب ، أى لم تزل تلك السيوف تلمع فى الحروب ماخلت منها ، ولم تصحبها الهوينى أى لم ترافقها المساهلة (٤) وهو البيعة (٥) من ابقائك واليا فى الشام وتسليمك قتلة عثمان. والخدعة مثلثة الخاء ماتصرف به الصبى عن اللبن وطلبه أول فطامه . وماتصرف به عدوك عن قصدك به فى الحروب ونحوها (٦) يقال لأرينك لمحاً باصراً أى أمراً

فَقَدْ سَلَكْتَ مَدَارِجَ أَسْلَافِكَ بِادِّعَائِكَ الْأَبَاطِيلَ ، وَإِقْحَامِكَ غُرُورَ الْمَيْنِ وَالْأَكَاذِيبِ[1] وَبِانْتِحَالِكَ مَا قَدْ عَلَا عَنْكَ[2] ، وَابْتِزَازِكَ لِمَا اخْتُزِنَ دُونَكَ ، فِرَارًا مِنَ الْحَقِّ وَجُحُودًا لِمَا هُوَ أَلْزَمُ لَكَ مِنْ لَحْمِكَ وَدَمِكَ[3] ، مِمَّا قَدْ وَعَاهُ سَمْعُكَ ، وَمُلِئَ بِهِ صَدْرُكَ ، فَمَاذَا بَعْدَ الْحَقِّ إِلَّا الضَّلَالُ الْمُبِينُ ، وَبَعْدَ الْبَيَانِ إِلَّا اللَّبْسُ[4] . فَاحْذَرِ الشُّبْهَةَ وَاشْتِمَالَهَا عَلَى لُبْسَتِهَا ، فَإِنَّ الْفِتْنَةَ طَالَمَا أَغْدَفَتْ جَلَابِيبَهَا[5] وَأَغْشَتِ الْأَبْصَارَ ظُلْمَتُهَا .

وَقَدْ أَتَانِي كِتَابٌ مِنْكَ ذُو أَفَانِينَ مِنَ الْقَوْلِ[6] ضَعُفَتْ قُوَاهَا عَنِ السِّلْمِ وَأَسَاطِيرَ لَمْ يَحُكْهَا مِنْكَ عِلْمٌ وَلَا حِلْمٌ ، أَصْبَحْتَ مِنْهَا كَالْخَائِضِ

واضحاً ، أى ظهر الحق فلك أن تنتفع بوضوحه من مشاهدة الأمور (١) إقحامك : إدخالك فى أذهان العامة غرور المين أى الكذب وعطف الأكاذيب للتأكيد (٢) انتحالك : ادعاؤك لنفسك ماهو أرفع من مقامك . وابتزازك أى سلبك أمراً اختزن أى منع دون الوصول إليك وذلك أمر الطالب بدم عثمان والاستبداد بولاية الشام فانهما من حقوق الامام لا من حقوق معاوية (٣) الذى هو ألزم له من لحمه ودمه البيعة بالخلافة لأمير المؤمنين (٤) اللبس ــ بالفتح ــ : مصدر لبس عليه الأمر يلبس ــ كضرب يضرب ــ خلطه . واللبسة ــ بالضم ــ الاشكال كاللبس بالضم (٥) أغدفت المرأة قناعها : أرسلته على وجهها فسترته . وأغدف الليل : أرخى سدوله أى أغطيته من الظلام . والجلابيب : جمع جلباب وهو الثوب الأعلى يغطى ماتحته ، أى طالما أسدلت الفتنة أغطية الباطل فأخفت الحقيقة . وأعشت الأبصار : أضعفتها ومنعتها النفوذ إلى المرئيات الحقيقية (٦) أفانين القول : ضروبه وطرائقه . والسلم ضد الحرب . والأساطير : جمع أسطورة بمعنى الخرافة لايعرف لها منشا . وحاكه

فِى ٱلدَّهَاسِ(١)، وَٱلْخَابِطِ فِى ٱلدَّيْمَاسِ وَتَرَقَّيْتَ إِلَى مَرْقَبَةٍ بَعِيدَةِ ٱلْمَرَامِ(٢)، نَازِحَةِ ٱلْأَعْلَامِ تَقْصُرُ دُونَهَا ٱلْأَنُوقُ(٣)، وَيُحَاذَى بِهَا ٱلْعَيُّوقُ

وَحَاشَ لِلّٰهِ أَنْ تَلِىَ لِلْمُسْلِمِينَ بَعْدِى صَدَرًا أَوْ وِرْدًا(٤)، أَوْ أُجْرِىَ لَكَ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ عَقْدًا أَوْ عَهْدًا، فَمِنَ ٱلْآنَ فَتَدَارَكْ نَفْسَكَ وَٱنْظُرْ لَهَا، فَإِنَّكَ إِنْ فَرَّطْتَ حَتَّى يَنْهَدَ إِلَيْكَ عِبَادُ ٱللّٰهِ(٥) أُرْتِجَتْ عَلَيْكَ ٱلْأُمُورُ وَمُنِعْتَ أَمْرًا هُوَ مِنْكَ ٱلْيَوْمَ مَقْبُولٌ. وَٱلسَّلَامُ(٦)

يحوكه : نسجه ونسج الكلام : تأليفه . والحلم - بالكسر - : العقل (١) الدهاس - كسحاب - : أرض رخوة لاهى تراب ولا رمل ولكن منهما يعسر فيها السير - والديماس بفتح فسكون - : المكان المظلم . وخبط فى سيره : لم يهتد (٢) المرقبة - بفتح فسكون - : مكان الارتقاب وهو العلو والاشراف ، أى رفعت نفسك إلى منزلة بعيد عنك مطلبها ، ونازحة أى بعيدة . والأعلام : جمع علم ما ينصب ليهتدى به ، أى خفية المسالك (٣) الأنوق - كصبور - : طير أصلع الرأس أصفر المنقار ، يقال أعز من بيض الأنوق ، لأنها تحرزه فلا تكاد تظفر به لان أوكارها فى القلل الصعبة ، ولهذا الطائر خصال عدها صاحب القاموس . والعيوق - بفتح فضم مشدد - : نجم أحمر مضىء فى طرف المجرة الأيمن يتلو الثريا لا يتقدمها (٤) الورد - بالكسر - : الاشراف على الماء ، والصدر - بالتحريك - : الرجوع بعد الشرب ، أى لا يتولاهم فى جلب منفعة ولا ركون إلى راحة (٥) ينهد : ينهض عباد الله لحربك . وارتجت : أغلقت . ارتج الباب كرتجه أى أغلقه (٦) ذلك الأمر هو حقن دمه باظهار الطاعة

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ)
وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ بِخِلَافِ هٰذِهِ ٱلرِّوَايَةِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلْمَرْءَ لَيَفْرَحُ بِالشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيَفُوتَهُ[1] وَيَحْزَنُ عَلَى ٱلشَّيْءِ ٱلَّذِي لَمْ يَكُنْ لِيُصِيبَهُ . فَلَا يَكُنْ أَفْضَلُ مَا نِلْتَ فِي نَفْسِكَ مِنْ دُنْيَاكَ بُلُوغَ لَذَّةٍ أَوْ شِفَاءَ غَيْظٍ ، وَلٰكِنْ إِطْفَاءَ بَاطِلٍ أَوْ إِحْيَاءَ حَقٍّ . وَلْيَكُنْ سُرُورُكَ بِمَا قَدَّمْتَ ، وَأَسَفُكَ عَلَى مَا خَلَّفْتَ ، وَهَمُّكَ فِيمَا بَعْدَ ٱلْمَوْتِ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى قُثَمَ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى مَكَّةَ)

أَمَّا بَعْدُ فَأَقِمْ لِلنَّاسِ ٱلْحَجَّ وَذَكِّرْهُمْ بِأَيَّامِ ٱللهِ[2] ، وَٱجْلِسْ لَهُمُ ٱلْعَصْرَيْنِ فَأَفْتِ ٱلْمُسْتَفْتِيَ وَعَلِّمِ ٱلْجَاهِلَ وَذَاكِرِ ٱلْعَالِمَ . وَلَا يَكُنْ لَكَ إِلَى ٱلنَّاسِ سَفِيرٌ إِلَّا لِسَانُكَ ، وَلَا حَاجِبٌ إِلَّا وَجْهُكَ . وَلَا تَحْجُبَنَّ

(١) قد يفرح الانسان بنيل مقدور له لايفوته ، ويحزن لحرمانه ماقدر له الحرمان منه فلايصيبه ، فاذا وصل اليك شيء مما كتب لك في علم الله فلا تفرح به إن كان لذة أو شفاء غيظ بل عد ذلك في عداد الحرمان ، وإنما تفرح بما كان احياء حق وابطال باطل ، وعليك الأسف والحزن بما خلفت أي تركت من أعمال الخير والفرح بما قدمت منها لآخرتك (٢) أيام الله : التي عاقب فيها الماضين على سوء أعمالهم . والعصران : الغداة والعشي تغليب

ذَا حَاجَةٍ عَنْ لِقَائِكَ بِهَا ، فَإِنَّهَا إِنْ ذِيدَتْ عَنْ أَبْوَابِكَ فِي أَوَّلِ وِرْدِهَا[١] لَمْ تُحْمَدْ فِيمَا بَعْدُ عَلَى قَضَائِهَا

وَانْظُرْ إِلَى مَا اجْتَمَعَ عِنْدَكَ مِنْ مَالِ اللهِ فَاصْرِفْهُ إِلَى مَنْ قِبَلَكَ[٢] مِنْ ذَوِي الْعِيَالِ وَالْمَجَاعَةِ مُصِيباً بِهِ مَوَاضِعَ الْفَاقَةِ وَالْخَلَّاتِ، وَمَا فَضَلَ عَنْ ذَلِكَ فَاحْمِلْهُ إِلَيْنَا لِنَقْسِمَهُ فِيمَنْ قِبَلَنَا

وَمُرْ أَهْلَ مَكَّةَ أَنْ لَا يَأْخُذُوا مِنْ سَاكِنٍ أَجْرًا فَإِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ » فَالْعَاكِفُ الْمُقِيمُ بِهِ وَالْبَادِي الَّذِي يَحُجُّ إِلَيْهِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ . وَفَّقَنَا اللهُ وَإِيَّاكُمْ لِمَحَابِّهِ[٣] . وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

إِلَى سَلْمَانَ الْفَارِسِيِّ رَحِمَهُ اللهُ قَبْلَ أَيَّامِ خِلَافَتِهِ

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا مَثَلُ الدُّنْيَا مَثَلُ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا ، قَاتِلٌ سُمُّهَا ، فَأَعْرِضْ عَمَّا يُعْجِبُكَ فِيهَا لِقِلَّةِ مَا يَصْحَبُكَ مِنْهَا ، وَضَعْ عَنْكَ هُمُومَهَا لِمَا أَيْقَنْتَ مِنْ فِرَاقِهَا . وَكُنْ آنَسَ مَا تَكُونُ بِهَا[٤] أَحْذَرَ مَا تَكُونُ مِنْهَا.

---

(١) فانها أى الحاجة ان ذيدت أى دفعت ومنعت مبنى للمجهول من ذاده يذوده إذا طرده ودفعه . و وردها ـ بالكسر ـ : ورودها وعدم الحمد على قضائها بعد الذود لأن حسنة القضاء لا تذكر فى جانب سيئة المنع (٢) قبلك ـ بكسر ففتح ـ أى عندك . ومصيباً حال . والفاقة : الفقر الشديد . والخلة ـ بالفتح ـ : الحاجة (٣) محابه ـ بفتح الميم ـ : مواضع محبته من الأعمال الصالحة (٤) آنس حال من اسم كن أومن

فَإِنَّ صَاحِبَهَا كُلَّمَا اطْمَأَنَّ فِيهَا إِلَى سُرُورٍ أَشْخَصَتْهُ عَنْهُ إِلَى مَحْذُورٍ (١)

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْحَارِثِ الْهَمْدَانِيِّ)

وَتَمَسَّكْ بِحَبْلِ الْقُرْآنِ وَانْتَصِحْهُ. وَأَحِلَّ حَلَالَهُ وَحَرِّمْ حَرَامَهُ، وَصَدِّقْ بِمَا سَلَفَ مِنَ الْحَقِّ. وَاعْتَبِرْ بِمَا مَضَى مِنَ الدُّنْيَا مَا بَقِيَ مِنْهَا (٢)، فَإِنَّ بَعْضَهَا يُشْبِهُ بَعْضًا، وَآخِرَهَا لَاحِقٌ بِأَوَّلِهَا، وَكُلُّهَا حَائِلٌ مُفَارِقٌ (٣) وَعَظِّمِ اسْمَ اللَّهِ أَنْ تَذْكُرَهُ إِلَّا عَلَى حَقٍّ (٤)، وَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ وَمَا بَعْدَ الْمَوْتِ. وَلَا تَتَمَنَّ الْمَوْتَ إِلَّا بِشَرْطٍ وَثِيقٍ (٥). وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يَرْضَاهُ صَاحِبُهُ لِنَفْسِهِ وَيُكْرَهُ لِعَامَّةِ الْمُسْلِمِينَ. وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ يُعْمَلُ بِهِ فِي السِّرِّ وَيُسْتَحَى مِنْهُ فِي الْعَلَانِيَةِ. وَاحْذَرْ كُلَّ عَمَلٍ إِذَا سُئِلَ عَنْهُ صَاحِبُهُ أَنْكَرَهُ أَوِ اعْتَذَرَ مِنْهُ. وَلَا تَجْعَلْ عِرْضَكَ غَرَضًا لِنِبَالِ الْقَوْلِ، وَلَا تُحَدِّثِ النَّاسَ بِكُلِّ مَا سَمِعْتَ فَكَفَى بِذَلِكَ كَذِبًا، وَلَا تَرُدَّ عَلَى النَّاسِ كُلَّ مَا حَدَّثُوكَ بِهِ فَكَفَى بِذَلِكَ جَهْلًا. وَاكْظِمِ الْغَيْظَ وَتَجَاوَزْ عِنْدَ الْمَقْدِرَةِ، وَاحْلُمْ عِنْدَ الْغَضَبِ، وَاصْفَحْ مَعَ الدَّوْلَةِ (٦)

الضمير فى احذر، واحذر خبر، أى فليكن أشد حذرك منها فى حال شدة أنسك بها

(١) أشخصته أى أذهبته (٢) مابقى: مفعول اعتبر بمعنى قس، أى قس الباقى بالماضى (٣) حائل أى زائل (٤) لاتحلف به إلا على الحق تعظيما له وإجلالا لعظمته (٥) أى لاتقدم الموت رغبة فيه إلا إذا علمت أن الغاية أشرف من بذل الروح. والمعنى لاتخاطر بنفسك فيما لايفيد من سفاسف الأمور (٦) أى عند ماتكون لك السلطة

تَكُنْ لَكَ الْعَاقِبَةُ . وَاسْتَصْلِحْ كُلَّ نِعْمَةٍ أَنْعَمَهَا اللهُ عَلَيْكَ . وَلَا تُضَيِّعَنَّ نِعْمَةً مِنْ نِعَمِ اللهِ عِنْدَكَ ، وَلْيُرَ عَلَيْكَ أَثَرُ مَا أَنْعَمَ اللهُ بِهِ عَلَيْكَ

وَاعْلَمْ أَنَّ أَفْضَلَ الْمُؤْمِنِينَ أَفْضَلُهُمْ تَقْدِمَةً مِنْ نَفْسِهِ(١) وَأَهْلِهِ وَمَالِهِ ، فَإِنَّكَ مَا تُقَدِّمْ مِنْ خَيْرٍ يَبْقَ لَكَ ذُخْرُهُ وَمَا تُؤَخِّرْهُ يَكُنْ لِغَيْرِكَ خَيْرُهُ . وَاحْذَرْ صَحَابَةَ مَنْ يَفِيلُ رَأْيُهُ(٢) وَيُنْكَرُ عَمَلُهُ فَإِنَّ الصَّاحِبَ مُعْتَبَرٌ بِصَاحِبِهِ . اسْكُنِ الْأَمْصَارَ الْعِظَامَ فَإِنَّهَا جِمَاعُ الْمُسْلِمِينَ . وَاحْذَرْ مَنَازِلَ الْغَفْلَةِ وَالْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الْأَعْوَانِ عَلَى طَاعَةِ اللهِ . وَاقْصُرْ رَأْيَكَ عَلَى مَا يَعْنِيكَ ، وَإِيَّاكَ وَمَقَاعِدَ الْأَسْوَاقِ فَإِنَّهَا مَحَاضِرُ الشَّيْطَانِ وَمَعَارِيضُ الْفِتَنِ(٣) . وَأَكْثِرْ أَنْ تَنْظُرَ إِلَى مَنْ فُضِّلْتَ عَلَيْهِ(٤) . فَإِنَّ ذَلِكَ مِنْ أَبْوَابِ الشُّكْرِ . وَلَا تُسَافِرْ فِي يَوْمِ جُمُعَةٍ حَتَّى تَشْهَدَ الصَّلَاةَ إِلَّا فَاصِلًا فِي سَبِيلِ اللهِ(٥) ، أَوْ فِي أَمْرٍ تُعْذَرُ بِهِ . وَأَطِعِ اللهَ فِي جَمِيعِ أُمُورِكَ فَإِنَّ طَاعَةَ اللهِ فَاضِلَةٌ عَلَى مَا سِوَاهَا . وَخَادِعْ نَفْسَكَ فِي الْعِبَادَةِ ، وَارْفُقْ بِهَا وَلَا تَقْهَرْهَا . وَخُذْ عَفْوَهَا وَنَشَاطَهَا(٦) إِلَّا مَا كَانَ مَكْتُوبًا

---

(١) تقدمة ــ كتتجربة ــ مصدر قدم بالتشديد أى بذلا وانفاقا (٢) فال الرأى يفيل أى ضعف (٣) المعاريض : جمع معراض ــ كمحراب ــ سهم بلا ريش رقيق الطرفين غليظ الوسط يصيب بعرضه دون حده . والأسواق كذلك لكثرة مايمر على النظر فيها من مثيرات اللذات والشهوات (٤) أى إلى من دونك ممن فضلك الله عليه (٥) فاصلا أى خارجا ذاهبا (٦) خذ عفوها أى وقت فراغها وارتياحها إلى الطاعة . وأصله العفو

عَلَيْكَ مِنَ الْفَرِيضَةِ فَإِنَّهُ لَا بُدَّ مِنْ قَضَائِهَا وَتَعَاهُدِهَا عِنْدَ مَحَلِّهَا . وَإِيَّاكَ أَنْ يَنْزِلَ بِكَ الْمَوْتُ وَأَنْتَ آبِقٌ مِنْ رَبِّكَ فِي طَلَبِ الدُّنْيَا[١] . وَإِيَّاكَ وَمُصَاحَبَةَ الْفُسَّاقِ فَإِنَّ الشَّرَّ بِالشَّرِّ مُلْحَقٌ . وَوَقِّرِ اللهَ وَأَحْبِبْ أَحِبَّاءَهُ . وَاحْذَرِ الْغَضَبَ فَإِنَّهُ جُنْدٌ عَظِيمٌ مِنْ جُنُودِ إِبْلِيسَ . وَالسَّلَامُ[٢]

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ)

(إِلَى سَهْلِ بْنِ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيِّ وَهُوَ عَامِلُهُ عَلَى الْمَدِينَةِ)

(فِي مَعْنَى قَوْمٍ مِنْ أَهْلِهَا لَحِقُوا بِمُعَاوِيَةَ)

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ بَلَغَنِي أَنَّ رِجَالًا مِمَّنْ قِبَلَكَ[٣] يَتَسَلَّلُونَ إِلَى مُعَاوِيَةَ فَلَا تَأْسَفْ عَلَى مَا يَفُوتُكَ مِنْ عَدَدِهِمْ وَيَذْهَبُ عَنْكَ مِنْ مَدَدِهِمْ . فَكَفَى لَهُمْ غَيًّا وَلَكَ مِنْهُمْ شَافِيًا[٤] فِرَارُهُمْ مِنَ الْهُدَى وَالْحَقِّ وَإِيضَاعُهُمْ إِلَى الْعَمَى وَالْجَهْلِ[٥] ، وَإِنَّمَا هُمْ أَهْلُ دُنْيَا مُقْبِلُونَ عَلَيْهَا وَمُهْطِعُونَ إِلَيْهَا[٦] ،

---

(١) آبق بمعنى مالا أثر فيه لأحد عليك ، عبر به عن الوقت الذى لاشاغل للنفس فيه أى هارب منه متحول عنه إلى طلب الدنيا (٢) ان الغضب يوجب الاضطراب فى ميزان العقل ويدفع النفس للانتقام أياً كان طريقه ، وهذا أكبر عون للمضل على اضلاله (٣) قبلك ـ بكسر ففتح ـ أى عندك ويتسللون : يذهبون واحداً بعد واحد (٤) غياً : ضلالا . وفرارهم كاف فى الدلالة على ضلالهم . والضالون مرض شديد فى بنية الجماعة ربما يسرى ضرره فيفسدها ، ففرارهم كاف فى شفائها من مرضهم . ورئيس الجماعة كأنه كلها لهذا نسب الشفاء إليه (٥) الايضاع : الاسراع (٦) مهطعون : مسرعون

قَدْ عَرَفُوا الْعَدْلَ وَرَأَوْهُ وَسَمِعُوهُ وَوَعَوْهُ، وَعَلِمُوا أَنَّ النَّاسَ عِنْدَهُ فِي الْحَقِّ أُسْوَةٌ فَهَرَبُوا إِلَى الْأَثَرَةِ(١) فَبُعْدًا لَهُمْ وَسُحْقًا

إِنَّهُمْ وَاللهِ لَمْ يَنْفِرُوا مِنْ جَوْرٍ وَلَمْ يَلْحَقُوا بِعَدْلٍ. وَإِنَّا لَنَطْمَعُ فِي هذَا الْأَمْرِ أَنْ يُذَلِّلَ اللهُ لَنَا صَعْبَهُ وَيُسَهِّلَ لَنَا حَزْنَهُ(٢) إِنْ شَاءَ اللهُ. وَالسَّلَامُ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى الْمُنْذِرِ بْنِ الْجَارُودِ الْعَبْدِيِّ)

(وَقَدْ خَانَ فِي بَعْضِ مَا وَلَّاهُ مِنْ أَعْمَالِهِ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ صَلَاحَ أَبِيكَ غَرَّنِي مِنْكَ، وَظَنَنْتُ أَنَّكَ تَتَّبِعُ هَدْيَهُ وَتَسْلُكُ سَبِيلَهُ(٣)، فَإِذَا أَنْتَ فِيمَا رُقِّيَ إِلَيَّ عَنْكَ(٤) لَا تَدَعُ لِهَوَاكَ انْقِيَادًا، وَلَا تُبْقِي لِآخِرَتِكَ عَتَادًا(٥)، تَعْمُرُ دُنْيَاكَ بِخَرَابِ آخِرَتِكَ، وَتَصِلُ عَشِيرَتَكَ بِقَطِيعَةِ دِينِكَ. وَلَئِنْ كَانَ مَا بَلَغَنِي عَنْكَ حَقًّا لَجَمَلُ أَهْلِكَ وَشِسْعُ نَعْلِكَ خَيْرٌ مِنْكَ(٦). وَمَنْ كَانَ بِصِفَتِكَ فَلَيْسَ بِأَهْلٍ أَنْ يُسَدَّ بِهِ ثَغْرٌ، أَوْ يُنْفَذَ بِهِ أَمْرٌ، أَوْ يُعْلَى لَهُ قَدْرٌ أَوْ يُشْرَكَ فِي أَمَانَةٍ،

---

(١) الأثرة ــ بالتحريك ــ : اختصاص النفس بالمنفعة وتفضيلها على غيرها بالفائدة. والسحق ــ بضم السين ــ : البعد أيضا (٢) حزنه ــ بفتح فسكون ــ أى خشنه (٣) الهدى ــ بفتح فسكون ــ : الطريقة والسيرة (٤) رقى إلىّ : رفع وانهى إلىّ (٥) العتاد ــ بالفتح ــ : الذخيرة المعدة لوقت الحاجة (٦) الجمل يضرب به المثل فى الذلة والجهل. والشسع ــ بالكسر ــ : سير بين الأصبع الوسطى والتى تليها فى النعل

أَوْ يُؤْمَنَ عَلَى خِيَانَةٍ[١] فَأَقْبِلْ إِلَيَّ حِينَ يَصِلُ إِلَيْكَ كِتَابِي هٰذَا إِنْ شَاءَ اللهُ

(وَالْمُنْذِرُ هٰذَا هُوَ الَّذِي قَالَ فِيهِ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

« إِنَّهُ لَنَظَّارٌ فِي عِطْفَيْهِ مُخْتَالٌ فِي بُرْدَيْهِ[٢] تَفَّالٌ فِي شِرَاكَيْهِ »)

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى عَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّكَ لَسْتَ بِسَابِقٍ أَجَلَكَ وَلَا مَرْزُوقٍ مَا لَيْسَ لَكَ . وَاعْلَمْ بِأَنَّ الدَّهْرَ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، وَأَنَّ الدُّنْيَا دَارُ دُوَلٍ[٣] ، فَمَا كَانَ مِنْهَا لَكَ أَتَاكَ عَلَى ضَعْفِكَ ، وَمَا كَانَ مِنْهَا عَلَيْكَ لَمْ تَدْفَعْهُ بِقُوَّتِكَ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنِّي عَلَى التَّرَدُّدِ فِي جَوَابِكَ[٤] وَالِاسْتِمَاعِ إِلَى كِتَابِكَ لَمُوَهِّنٌ رَأْيِي وَمُخَطِّئٌ فِرَاسَتِي . وَإِنَّكَ إِذْ تُحَاوِلُنِي الْأُمُورَ[٥] وَتُرَاجِعُنِي

العربي كأنه زمام . ويسمى قبالا ككتاب (١) أي على دفع خيانة (٢) العطف ـ بالكسر ـ : الجانب أي كثير النظر في جانبيه عجباً وخيلاء . والبردان: تثنية برد بضم الباء وهو ثوب مخطط . والمختال: المعجب. والشراكان : تثنية شراك ككتاب وهو سير النعل كله . وتفال : كثير التفل أي النفخ فيهما لينفضهما من التراب (٣) جمع دولة بالضم ما يتداول من السعادة في الدنيا ينتقل من يد إلى يد (٤) من قولك ترددت إلى فلان رجعت اليه مرة بعد أخرى ، أي اني في ارتكابي للرجوع إلى مجاوبتك واستماع ما تكتبه موهن أي مضعف رأيي ومخطىء فراستي بالكسر أي صدق ظني ، وكان الأجدر بي السكوت عن إجابتك (٥) حاول الأمر: طلبه ورامه أي تطالبني

اَلسُّطُورَ كَالْمُسْتَثْقِلِ النَّائِمِ تَكْذِبُهُ أَحْلَامُهُ . أَوِ الْمُتَحَيِّرِ الْقَائِمِ يَبْهَظُهُ مَقَامُهُ . لَا يَدْرِي أَلَهُ مَا يَأْتِي أَمْ عَلَيْهِ . وَلَسْتَ بِهِ ، غَيْرَ أَنَّهُ بِكَ شَبِيهٌ . وَأُقْسِمُ بِاللهِ إِنَّهُ لَوْلَا بَعْضُ الِاسْتِبْقَاءِ[1] لَوَصَلَتْ إِلَيْكَ مِنِّي قَوَارِعُ تَقْرَعُ الْعَظْمَ وَتَهْلِسُ اللَّحْمَ . وَاعْلَمْ أَنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ ثَبَّطَكَ عَنْ أَنْ تُرَاجِعَ أَحْسَنَ أُمُورِكَ[2] وَتَأْذَنَ لِمَقَالِ نَصِيحَتِكَ

(وَمِنْ حِلْفٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَتَبَهُ بَيْنَ رَبِيعَةَ وَالْيَمَنِ)

(نُقِلَ مِنْ خَطِّ هِشَامِ بْنِ الْكَلْبِيِّ)

هٰذَا مَا اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَهْلُ الْيَمَنِ : حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا ، وَرَبِيعَةُ : حَاضِرُهَا وَبَادِيهَا[3] ، أَنَّهُمْ عَلَى كِتَابِ اللهِ يَدْعُونَ إِلَيْهِ وَيَأْمُرُونَ بِهِ وَيُجِيبُونَ مَنْ

ببعض غاياتك كولاية الشام ونحوها ، وتراجعني أي تطلب مني أن أرجع إلى جوابك بالسطور . يقول أنت في محاولتك كالنائم الثقيل نومه يحلم أنه نال شيئاً فاذا انتبه وجد الرؤيا كذبته أي كذبت عليه ، فأمانيك فيما تطلب شبيهة بالأحلام إن هي الا خيالات باطلة . وأنت أيضاً كالمتحير في أمره القائم في شكه لايخطو إلى قصده . يبهظه أي يثقله ويشق عليه مقامه من الحيرة . وإنك لست بالمتحير لمعرفتك الحق معنا ، ولكن المتحير شبيه بك فأنت أشد منه عناء وتعباً (١) الاستبقاء: الابقاء، أي لولا إبقائي لك وعدم إرادتي لاهلاكك لأوصلت اليك قوارع أي دواهي تقرع العظم تصدمه فتكسره ، وتهلس اللحم أي تذيبه وتنهكه (٢) ثبطك أي أقعدك عن مراجعة أحسن الأمور لك وهو الطاعة لنا وعن أن تأذن أي تسمع لمقالنا في نصيحتك

(٣) الحاضر : ساكن المدينة ، والبادي : المتردد في البادية

دَعَا إِلَيْهِ وَأَمَرَ بِهِ . لَا يَشْتَرُونَ بِهِ ثَمَناً وَلَا يَرْضَوْنَ بِهِ بَدَلًا ، وَأَنَّهُمْ يَدٌ وَاحِدَةٌ عَلَى مَنْ خَالَفَ ذٰلِكَ وَتَرَكَهُ . أَنْصَارٌ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ، دَعْوَتُهُمْ وَاحِدَةٌ . لَا يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ لِمَعْتَبَةِ عَاتِبٍ وَلَا لِغَضَبِ غَاضِبٍ(١) ، وَلَا لِاسْتِذْلَالِ قَوْمٍ قَوْمًا وَلَا لِمَسَبَّةِ قَوْمٍ قَوْماً. عَلَى ذٰلِكَ شَاهِدُهُمْ وَغَائِبُهُمْ، وَحَلِيمُهُمْ وَسَفِيهُهُمْ وَعَالِمُهُمْ، وَجَاهِلُهُمْ . ثُمَّ إِنَّ عَلَيْهِمْ بِذٰلِكَ عَهْدَ ٱللّٰهِ وَمِيثَاقَهُ إِنَّ عَهْدَ ٱللّٰهِ كَانَ مَسْئُولًا . وَكَتَبَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى مُعَاوِيَةَ فِي أَوَّلِ)

(مَا بُويِعَ لَهُ ، ذَكَرَهُ ٱلْوَاقِدِيُّ فِي كِتَابِ ٱلْجَمَلِ)

مِنْ عَبْدِ ٱللّٰهِ عَلِيٍّ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِلَى مُعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ

أَمَّا بَعْدُ فَقَدْ عَلِمْتَ إِعْذَارِي فِيكُمْ وَإِعْرَاضِي عَنْكُمْ(٢) حَتَّى كَانَ مَالَا بُدَّ مِنْهُ وَلَا دَفْعَ لَهُ . وَٱلْحَدِيثُ طَوِيلٌ ، وَٱلْكَلَامُ كَثِيرٌ، وَقَدْ أَدْبَرَ مَا أَدْبَرَ وَأَقْبَلَ مَا أَقْبَلَ ، فَبَايِعْ مَنْ قِبَلَكَ(٣) وَأَقْبِلْ إِلَيَّ فِي وَفْدٍ مِنْ أَصْحَابِكَ

---

(١) المعتبة كالمصطبة: الغيظ . والعاتب : المغتاظ ، أى لا يعودون للتقاتل عند غضب بعضهم من بعض، أو استذلال بعضهم لبعض، أو سب بعضهم لبعض. وعلى المعتدى أن يؤدى الحق للمظلوم بلا قتال (٢) إعذارى أى إقامتى على العذر فى أمر عثمان صاحبكم ، و إعراضى عنه بعدم التعرض له بسوء حتى كان قتله (٣) ذهب ما ذهب من أمر عثمان وأقبل علينا من أمر الخلافة ما استقبلناه فبايع الذين قبلك أى عندك . والوفد ــ بفتح فسكون ــ : الجماعة

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلعَبَّاسِ)

(عِنْدَ ٱسْتِخْلَافِهِ إِيَّاهُ عَلَى ٱلْبَصْرَةِ)

سَعِ ٱلنَّاسَ بِوَجْهِكَ وَمَجْلِسِكَ وَحُكْمِكَ ، وَإِيَّاكَ وَٱلْغَضَبَ فَإِنَّهُ طِيَرَةٌ مِنَ ٱلشَّيْطَانِ[1] . وَٱعْلَمْ أَنَّ مَا قَرَّبَكَ مِنَ ٱللهِ يُبَاعِدُكَ مِنَ ٱلنَّارِ ، وَمَا بَاعَدَكَ مِنَ ٱللهِ يُقَرِّبُكَ مِنَ ٱلنَّارِ

(وَمِنْ وَصِيَّةٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لِعَبْدِ ٱللهِ بْنِ ٱلْعَبَّاسِ)

(لَمَّا بَعَثَهُ لِلِاحْتِجَاجِ عَلَى ٱلْخَوَارِجِ)

لَا تُخَاصِمْهُمْ بِٱلْقُرْآنِ فَإِنَّ ٱلْقُرْآنَ حَمَّالٌ[2] ذُو وُجُوهٍ تَقُولُ وَيَقُولُونَ ، وَلٰكِنْ حَاجِجْهُمْ بِالسُّنَّةِ فَإِنَّهُمْ لَنْ يَجِدُوا عَنْهَا مَحِيصاً[3]

(وَمِنْ كِتَابٍ لَهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ إِلَى أَبِي مُوسَى ٱلْأَشْعَرِيِّ)

(جَوَاباً فِي أَمْرِ ٱلْحَكَمَيْنِ ذَكَرَهُ سَعِيدُ بْنُ يَحْيَى ٱلْأُمَوِيُّ)

(فِي كِتَابِ ٱلْمَغَازِي)

فَإِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ تَغَيَّرَ كَثِيرٌ مِنْهُمْ عَنْ كَثِيرٍ مِنْ حَظِّهِمْ[4] فَمَالُوا

الوافدون أى القادمون (١) الطيرة ــ كعنبة وخِلة ــ : الفأل الشؤم. والغضب يتفاءل به الشيطان فى نيل مأربه من الغضبان (٢) حمال أى يحمل معانى كثيرة ان أخذت بأحدها احتج الخصم بالآخر (٣) محيصاً أى مهرباً (٤) أى أن كثيراً من الناس

مَعَ الدُّنْيَا وَنَطَقُوا بِالْهَوَى، وَإِنِّي نَزَلْتُ مِنْ هٰذَا الْأَمْرِ مَنْزِلًا مُعْجِبًا[١] اجْتَمَعَ بِهِ أَقْوَامٌ أَعْجَبَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ ، فَإِنِّي أُدَاوِي مِنْهُمْ قَرْحًا أَخَافُ أَنْ يَكُونَ عَلَقًا[٢]، وَلَيْسَ رَجُلٌ - فَاعْلَمْ - أَحْرَصَ عَلَى جَمَاعَةِ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَأُلْفَتِهَا مِنِّي[٣] أَبْتَغِي بِذٰلِكَ حُسْنَ الثَّوَابِ وَكَرَمَ الْمَآبِ[٤] وَسَأَفِي بِالَّذِي وَأَيْتُ عَلَى نَفْسِي[٥] وَإِنْ تَغَيَّرْتَ عَنْ صَالِحِ مَا فَارَقْتَنِي عَلَيْهِ[٦] ، فَإِنَّ الشَّقِيَّ مَنْ حُرِمَ نَفْعَ مَا أُوتِيَ مِنَ الْعَقْلِ وَالتَّجْرِبَةِ ، وَإِنِّي لَأَعْبَدُ أَنْ يَقُولَ قَائِلٌ بِبَاطِلٍ[٧] ، وَأَنْ أُفْسِدَ أَمْرًا قَدْ أَصْلَحَهُ اللهُ ، فَدَعْ مَا لَا تَعْرِفُ[٨] فَإِنَّ شِرَارَ النَّاسِ طَائِرُونَ إِلَيْكَ بِأَقَاوِيلِ السُّوءِ . وَالسَّلَامُ

---

(١) أى قد انقلبوا عن حظوظهم الحقيقية وهى حظوظ السعادة الأبدية بنصرة الحق موجبا للتعجب . والأمر هو الخلافة . ومنزله من الخلافة : بيعة الناس له ثم خروج طائفة منهم عليه (٢) القرح: الجرح مجاز عن فساد بواطنهم . والعلق - بالتحريك - : الدم الغليظ الجامد ، ومتى صار فى الجرح الدم الغليظ الجامد صعبت مداواته وضرب فساده فى البدن كله (٣) أحرص : خبر ليس . وجملة فاعلم معترضة (٤) المآب :المرجع إلى الله (٥) سأوفى بما وأيت أى وعدت وأخذت على نفسى (٦) تغيرت خطاب لأبى موسى ، يقول إذا انقلبت عن الرأى الصالح الذى تفارقنا عليه وهو الأخذ بالحذر والوقوف عند الحق الصريح فانك تكون شقيا لأن الشقى من حرمه الله نفع التجربة فأخذه الناس بالخديعة (٧) عبد يعبد: كغضب يغضب عبداً كغضبا و زنا ومعنى ، أى يغضبنى قول الباطل وافسادى لأمر الخلافة الذى أصلحه الله بالبيعة ، ونسبة الافساد لنفسه لأن أبا موسى نائب عنه ، وما يقع عن النائب كما يقع عن الأصيل (٨) أى مافمه

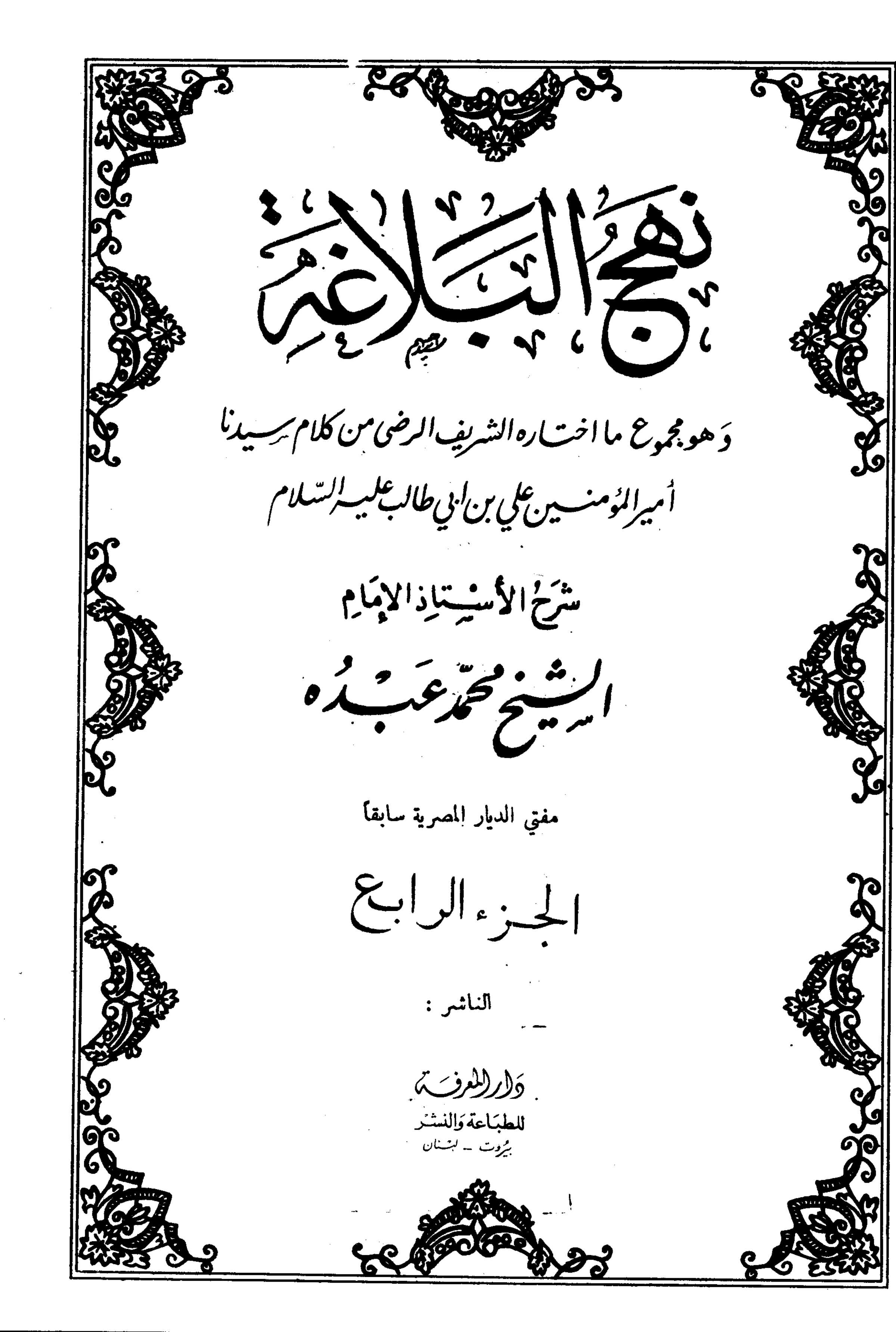
(وَمِنْ كِتَابٍ لهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لمَّا ٱسْتُخْلِفَ إِلَى أُمَرَاءِ ٱلأَجْنَادِ)

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّمَا أَهْلَكَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ أَنَّهُمْ مَنَعُوا ٱلنَّاسَ ٱلْحَقَّ فَاشْتَرَوْهُ(١)، وَأَخَذُوهُمْ بِالْبَاطِلِ فَاقْتَدَوْهُ(٢)

(تم باب الكتب بحمد الله)

الريبة والشبهة فاتركه (١) أى حجبوا عن الناس حقهم فاضطر الناس لشراء الحق منهم بالرشوة، فانقلبت الدولة عن أولئك المانعين فهلكوا، وأنهم منعوا فاعل أهلك

(٢) أى كلفوهم باتيان الباطل فأتوه وصار قدوة يتبعها الأبناء بعد الآباء



نهج البلاغة

وهو مجموع ما اختاره الشريف الرضي من كلام سيدنا
أمير المؤمنين علي بن ابي طالب عليه السلام

شرح الأستاذ الإمام

الشيخ محمد عبده

مفتي الديار المصرية سابقاً

الجزء الرابع

الناشر :

دار المعرفة
للطباعة والنشر
بيروت - لبنان



(بَابُ ٱلْمُخْتَارِ مِنْ حِكَمِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ)
(وَمَوَاعِظِهِ وَيَدْخُلُ فِي ذَٰلِكَ ٱلْمُخْتَارُ مِنْ أَجْوِبَةِ مَسَائِلِهِ)
(وَٱلْكَلَامُ ٱلْقَصِيرُ ٱلْخَارِجُ فِي سَائِرِ أَغْرَاضِهِ)

قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : كُنْ فِي ٱلْفِتْنَةِ كَابْنِ ٱللَّبُونِ[1] : لَا ظَهْرٌ فَيُرْكَبَ، وَلَا ضَرْعٌ فَيُحْلَبَ

وَقَالَ ع : أَزْرَى بِنَفْسِهِ مَنِ ٱسْتَشْعَرَ ٱلطَّمَعَ[2] ، وَرَضِيَ بِالذُّلِّ مَنْ كَشَفَ عَنْ ضُرِّهِ ، وَهَانَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ مَنْ أَمَّرَ عَلَيْهَا لِسَانَهُ

وَقَالَ ع : ٱلْبُخْلُ عَارٌ . وَٱلْجُبْنُ مَنْقَصَةٌ . وَٱلْفَقْرُ يُخْرِسُ ٱلْفَطِنَ عَنْ حُجَّتِهِ . وَٱلْمُقِلُّ غَرِيبٌ فِي بَلْدَتِهِ[3] . وَٱلْعَجْزُ آفَةٌ ، وَٱلصَّبْرُ شَجَاعَةٌ . وَٱلزُّهْدُ ثَرْوَةٌ . وَٱلْوَرَعُ جُنَّةٌ

وَقَالَ ع : نِعْمَ ٱلْقَرِينُ ٱلرِّضَى . وَٱلْعِلْمُ وِرَاثَةٌ كَرِيمَةٌ . وَٱلْآدَابُ حُلَلٌ مُجَدَّدَةٌ . وَٱلْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ

---

(١) ابن اللبون — بفتح اللام وضم الباء —: ابن الناقة إذا استكمل سنتين لا له ظهر قوي فيركبونه ولا له ضرع فيحلبونه ، يريد تجنب الظالمين في الفتنة لا ينتفعوا بك (٢) أزرى بها: حقرها . واستشعره تبطنه وتخلق به ، ومن كشف ضره للناس دعاهم للتهاون به. فقد رضي بالذل. وأمر لسانه : جعله أميرا (٣) المقل — بضم فكسر — : الفقير . والجنة — بالضم — : الوقاية

وَقَالَ ع : صَدْرُ الْعَاقِلِ صُنْدُوقُ سِرِّهِ[١]. وَالْبَشَاشَةُ حُبَالَةُ الْمَوَدَّةِ. وَالِاحْتِمَالُ قَبْرُ الْعُيُوبِ (أَوْ) وَالْمُسَالَمَةُ خِبَاءُ الْعُيُوبِ . وَمَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّاخِطُ عَلَيْهِ

وَقَالَ ع : الصَّدَقَةُ دَوَاءٌ مُنْجِحٌ . وَأَعْمَالُ الْعِبَادِ فِي عَاجِلِهِمْ نُصْبُ أَعْيُنِهِمْ فِي آجِلِهِمْ

وَقَالَ ع : اعْجَبُوا لِهَذَا الْإِنْسَانِ يَنْظُرُ بِشَحْمٍ ، وَيَتَكَلَّمُ بِلَحْمٍ[٢] وَيَسْمَعُ بِعَظْمٍ ، وَيَتَنَفَّسُ مِنْ خَرْمٍ

وَقَالَ ع : إِذَا أَقْبَلَتِ الدُّنْيَا عَلَى أَحَدٍ أَعَارَتْهُ مَحَاسِنَ غَيْرِهِ . وَإِذَا أَدْبَرَتْ عَنْهُ سَلَبَتْهُ مَحَاسِنَ نَفْسِهِ

وَقَالَ ع : خَالِطُوا النَّاسَ مُخَالَطَةً إِنْ مُتُّمْ مَعَهَا بَكَوْا عَلَيْكُمْ ، وَإِنْ عِشْتُمْ حَنُّوا إِلَيْكُمْ

وَقَالَ ع : إِذَا قَدَرْتَ عَلَى عَدُوِّكَ فَاجْعَلِ الْعَفْوَ عَنْهُ شُكْراً لِلْقُدْرَةِ عَلَيْهِ

وَقَالَ ع : أَعْجَزُ النَّاسِ مَنْ عَجَزَ عَنِ اكْتِسَابِ الْإِخْوَانِ ، وَأَعْجَزُ مِنْهُ مَنْ ضَيَّعَ مَنْ ظَفِرَ بِهِ مِنْهُمْ

---

(١) لايفتح الصندوق فيطلع الغير على مافيه . والحبالة ـ بالضم ـ : شبكة الصيد . والبشوش يصيد مودات القلوب . والاحتمال : تحمل الأذى ، ومن تحمل الأذى خفيت عيوبه كأنما دفنت فى قبر (٢) الشحم : شحم الحدقة . واللحم : اللسان . والعظم :

وَقَالَ ع : إِذَا وَصَلَتْ إِلَيْكُمْ أَطْرَافُ النِّعَمِ فَلَا تُنْفِرُوا أَقْصَاهَا بِقِلَّةِ الشُّكْرِ (١)

وَقَالَ ع : مَنْ ضَيَّعَهُ الْأَقْرَبُ أُتِيحَ لَهُ الْأَبْعَدُ (٢)

وَقَالَ ع : مَا كُلُّ مَفْتُونٍ يُعَاتَبُ (٣)

وَقَالَ ع : تَذِلُّ الْأُمُورُ لِلْمَقَادِيرِ حَتَّى يَكُونَ الْحَتْفُ فِي التَّدْبِيرِ (٤)

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ «غَيِّرُوا الشَّيْبَ (٥) وَلَا تَشَبَّهُوا بِالْيَهُودِ» فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّمَا قَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ذٰلِكَ وَالدِّينُ قُلٌّ ، فَأَمَّا الْآنَ وَقَدِ اتَّسَعَ نِطَاقُهُ وَضَرَبَ بِجِرَانِهِ فَامْرُؤٌ وَمَا اخْتَارَ

(وَقَالَ ع : فِي الَّذِينَ اعْتَزَلُوا الْقِتَالَ مَعَهُ) : خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ

عظام فى الأذن يضربها الهواء فتقرع عصب الصماخ فيكون السماع (١) أطراف النعم:أوائلها،فاذا بطرتم ولم تشكروها بأداء الحقوق منها نفرت عنكم أقاصيها أى أواخرها فحرمتموها (٢) أتيح له : قدر له ، وكم من شخص أضاعه أقاربه فقدر الله له من الأباعد من يحفظه و يساعده (٣) أى لايتوجه العتاب واللوم على كل داخل فى فتنة ، فقد يدخل فيها من لامحيص له عنها لأمر اضطره فلا لوم عليه (٤) الحتف ـ بفتح فسكون ـ : الهلاك (٥) غيروا الشيب بالخضاب ليراكم الأعداء كهولا أقوياء، ذلك والدين قل ـ بضم القاف ـ أى قليل أهله . والنطاق ـ ككتاب ـ : الحزام العريض ، واتساعه كناية عن العظم والانتشار . والجران ـ على وزن النطاق ـ :

وَقَالَ ع : مَنْ جَرَى فِي عِنَانِ أَمَلِهِ عَثَرَ بِأَجَلِهِ (١)

وَقَالَ ع : أَقِيلُوا ذَوِي الْمُرُوءَاتِ عَثَرَاتِهِمْ (٢) فَمَا يَعْثُرُ مِنْهُمْ عَاثِرٌ إِلَّا وَيَدُ اللَّهِ بِيَدِهِ يَرْفَعُهُ

وَقَالَ ع : قُرِنَتِ الْهَيْبَةُ بِالْخَيْبَةِ (٣) ، وَالْحَيَاءُ بِالْحِرْمَانِ . وَالْفُرْصَةُ تَمُرُّ مَرَّ السَّحَابِ فَانْتَهِزُوا فُرَصَ الْخَيْرِ

وَقَالَ ع : لَنَا حَقٌّ فَإِنْ أُعْطِينَاهُ وَإِلَّا رَكِبْنَا أَعْجَازَ الْإِبِلِ وَإِنْ طَالَ السُّرَى (وَهٰذَا مِنْ لَطِيفِ الْكَلَامِ وَفَصِيحِهِ . وَمَعْنَاهُ أَنَّا إِنْ لَمْ نُعْطَ حَقَّنَا كُنَّا أَذِلَّاءَ (٤) وَذٰلِكَ أَنَّ الرَّدِيفَ يَرْكَبُ عَجُزَ الْبَعِيرِ كَالْعَبْدِ وَالْأَسِيرِ وَمَنْ يَجْرِي مَجْرَاهُمَا)

وَقَالَ ع : مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ

مقدم عنق البعير يضرب به على الأرض إذا استراح وتمكن ، أى بعد قوة الاسلام الانسان مع اختياره إن شاء خضب و إن شاء ترك (١) أى من كان جريه إلى سعادته بعنان الأمل يمنى نفسه بلوغ مطالبه بلا عمل سقط فى أجله بالموت قبل أن يبلغ شيئا مما يريد . والعنان ـ ككتاب ـ : سير اللجام يمسك به الدابة (٢) العثرة : السقطة . وأقاله عثرته : رفعه من سقطته . والمروءة ـ بضم الميم ـ : صفة للنفس تحملها على فعل الخير لأنه خير . وقوله يرفعه جملة حالية من لفظ الجلالة و إن كان مضافا اليه لوجود شرطه (٣) أى من تهيب أمراً خاب من إدراكه ، ومن أفرط به الخجل من طلب شىء حرم منه ، والافراط فى الحياء مذموم ، كطرح الحياء . والمحمود الوسط (٤) وقد يكون المعنى إن لم نعط حقنا تحملنا المشقة فى طلبه و إن طالت الشقة . وركوب

وَقَالَ ع : مِنْ كَفَّارَاتِ الذُّنُوبِ الْعِظَامِ إِغَاثَةُ الْمَلْهُوفِ وَالتَّنْفِيسُ عَنِ الْمَكْرُوبِ

وَقَالَ ع : يَا ابْنَ آدَمَ إِذَا رَأَيْتَ رَبَّكَ سُبْحَانَهُ يُتَابِعُ عَلَيْكَ نِعَمَهُ وَأَنْتَ تَعْصِيهِ فَاحْذَرْهُ

وَقَالَ ع : مَا أَضْمَرَ أَحَدٌ شَيْئاً إِلَّا ظَهَرَ فِي فَلَتَاتِ لِسَانِهِ وَصَفَحَاتِ وَجْهِهِ

وَقَالَ ع : إِمْشِ بِدَائِكَ مَا مَشَى بِكَ(١)

وَقَالَ ع : أَفْضَلُ الزُّهْدِ إِخْفَاءُ الزُّهْدِ

وَقَالَ ع : إِذَا كُنْتَ فِي إِدْبَارٍ وَالْمَوْتُ فِي إِقْبَالٍ(٢) فَمَا أَسْرَعَ الْمُلْتَقَى

وَقَالَ ع : أَلْحَذَرَ الْحَذَرَ ، فَوَاللهِ لَقَدْ سَتَرَ حَتَّى كَأَنَّهُ قَدْ غَفَرَ(٣)

(وَسُئِلَ عَنِ الإِيمَانِ فَقَالَ) الإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ : عَلَى الصَّبْرِ وَالْيَقِينِ وَالْعَدْلِ وَالْجِهَادِ . وَالصَّبْرُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى الشَّوْقِ وَالشَّفَقِ(٤) وَالزُّهْدِ وَالتَّرَقُّبِ . فَمَنِ اشْتَاقَ إِلَى الْجَنَّةِ سَلَا عَنِ الشَّهَوَاتِ ،

---

(١) أى مادام الداء سهل الاحتمال يمكنك معه العمل فى شؤونك فاعمل ، فان أعياك فاسترح له (٢) يطلبك الموت من خلفك ليلحقك وأنت مدبر اليه تقرب عليه المسافة (٣) الضمير لله، ستر مخازى عباده حتى ظن أنه غفرها لهم ويوشك أن يأخذهم بمكره (٤) الشفق ـ بالتحريك ـ : الخوف مؤخرات الابل مما يشق احتماله والصبر عليه

وَمَنْ أَشْفَقَ مِنَ ٱلنَّارِ ٱجْتَنَبَ ٱلْمُحَرَّمَاتِ ، وَمَنْ زَهِدَ فِي ٱلدُّنْيَا ٱسْتَهَانَ بِٱلْمُصِيبَاتِ ، وَمَنِ ٱرْتَقَبَ ٱلْمَوْتَ سَارَعَ إِلَى ٱلْخَيْرَاتِ . وَٱلْيَقِينُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى تَبْصِرَةِ ٱلْفِطْنَةِ ، وَتَأَوُّلِ ٱلْحِكْمَةِ[1] ، وَمَوْعِظَةِ ٱلْعِبْرَةِ ، وَسُنَّةِ ٱلْأَوَّلِينَ . فَمَنْ تَبَصَّرَ فِي ٱلْفِطْنَةِ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ ، وَمَنْ تَبَيَّنَتْ لَهُ ٱلْحِكْمَةُ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ ، وَمَنْ عَرَفَ ٱلْعِبْرَةَ فَكَأَنَّمَا كَانَ فِي ٱلْأَوَّلِينَ . وَٱلْعَدْلُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى غَائِصِ ٱلْفَهْمِ ، وَغَوْرِ ٱلْعِلْمِ ، وَزُهْرَةِ ٱلْحُكْمِ[2] ، وَرَسَاخَةِ ٱلْحِلْمِ . فَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ ، وَمَنْ عَلِمَ غَوْرَ ٱلْعِلْمِ صَدَرَ عَنْ شَرَائِعِ ٱلْحُكْمِ[3] ، وَمَنْ حَلُمَ لَمْ يُفَرِّطْ فِي أَمْرِهِ وَعَاشَ فِي ٱلنَّاسِ حَمِيدًا . وَٱلْجِهَادُ مِنْهَا عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ ، وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ ، وَٱلصِّدْقِ فِي ٱلْمَوَاطِنِ[4] ، وَشَنَآنِ ٱلْفَاسِقِينَ ، فَمَنْ أَمَرَ بِٱلْمَعْرُوفِ شَدَّ ظُهُورَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَمَنْ نَهَى عَنِ ٱلْمُنْكَرِ أَرْغَمَ أُنُوفَ ٱلْمُنَافِقِينَ ، وَمَنْ صَدَقَ

---

(١) تأول الحكمة : الوصول إلى دقائقها . والعبرة : الاعتبار والاتعاظ بأحوال الأولين وما رزئوا به عند الغفلة وماحظوا به عند الانتباه (٢) غور العلم : سره وباطنه . وزهرة الحكم – بضم الزاى – أى حسنه (٣) الشرائع : جمع شريعة وهى الظاهر المستقيم من المذاهب ومورد الشاربة . وصدر عنها أى رجع عنها بعد ما اغترف ليفيض على الناس مما اغترف فيحسن حكمه (٤) مواطن القتال فى سبيل الحق . والشنآن – بالتحريك – البغض

فِي ٱلْمَوَاطِنِ قَضَى مَا عَلَيْهِ ، وَمَنْ شَنِئَ ٱلْفَاسِقِينَ وَغَضِبَ لِلَّهِ غَضِبَ ٱللَّهُ لَهُ وَأَرْضَاهُ يَوْمَ ٱلْقِيَامَةِ

وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : ٱلْكُفْرُ عَلَى أَرْبَعِ دَعَائِمَ : عَلَى ٱلتَّعَمُّقِ وَٱلتَّنَازُعِ وَٱلزَّيْغِ [1] وَٱلشِّقَاقِ ، فَمَنْ تعمق لَمْ يُنِبْ إِلَى ٱلْحَقِّ [2] وَمَنْ كَثُرَ نِزَاعُهُ بِالْجَهْلِ دَامَ عَمَاهُ عَنِ ٱلْحَقِّ ، وَمَنْ زَاغَ سَاءَتْ عِنْدَهُ ٱلْحَسَنَةُ وَحَسُنَتْ عِنْدَهُ ٱلسَّيِّئَةُ وَسَكِرَ سُكْرَ ٱلضَّلَالَةِ ، وَمَنْ شَاقَّ وَعُرَتْ عَلَيْهِ طُرُقُهُ وَأَعْضَلَ عَلَيْهِ أَمْرُهُ [3] ، وضَاقَ عَلَيْهِ مَخْرَجُهُ . وَٱلشَّكُّ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ : عَلَى ٱلتَّمَارِي وَٱلْهَوْلِ وَٱلتَّرَدُّدِ وَالِاسْتِسْلَامِ [4] ، فَمَنْ جَعَلَ ٱلْمِرَاءَ دَيْدَناً لَمْ يُصْبِحْ لَيْلُهُ . وَمَنْ هَالَهُ مَا بَيْنَ يَدَيْهِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ ، وَمَنْ تَرَدَّدَ فِي ٱلرَّيْبِ وَطِئَتْهُ سَنَابِكُ ٱلشَّيَاطِينِ [5] ، وَمَنِ ٱسْتَسْلَمَ لِهَلَكَةِ ٱلدُّنْيَا

---

(١) التعمق : الذهاب خلف الأوهام على زعم طلب الاسرار . والزيغ : الحيدان عن مذاهب الحق والميل مع الهوى الحيوانى . والشقاق : العناد
(٢) لم ينب أى لم يرجع ، أناب ينيب رجع (٣) وعر الطريق ـ ككرم ووعد وولع ـ: خشن ولم يسهل السير فيه . وأعضل : اشتد وأعجزت صعوبته (٤) التمارى: التجادل لاظهار قوة الجدل لا لاحقاق الحق. والهول ـ بفتح فسكون ـ: مخافتك من الأمر لا تدرى ما هجم عليك منه فتندهش .والتردد انتقاض العزيمة وانفساخها ثم عودها ثم انفساخها . والاستسلام : القاء النفس فى تيار الحادثات ، أىّ ما أتى عليها يأتى .والمراء ـ بكسر الميم ـ : الجدل . والديدن : العادة . وقوله لم يصبح ليله أى لم يخرج من ظلام الشك إلى نهار اليقين (٥) الريب : الظن أى الذى يتردد فى ظنه ولا يعقد العزيمة فى أمره

وَالْآخِرَةِ هَلَكَ فِيهِمَا (وَبَعْدَ هٰذَا كَلَامٌ تَرَكْنَا ذِكْرَهُ خَوْفَ الْإِطَالَةِ وَالْخُرُوجِ عَنِ الْغَرَضِ الْمَقْصُودِ فِي هٰذَا الْكِتَابِ)

وَقَالَ ع : فَاعِلُ الْخَيْرِ خَيْرٌ مِنْهُ ، وَفَاعِلُ الشَّرِّ شَرٌّ مِنْهُ

وَقَالَ ع : كُنْ سَمْحًا وَلَا تَكُنْ مُبَذِّرًا . وَكُنْ مُقَدِّرًا وَلَا تَكُنْ مُقَتِّرًا(١)

وَقَالَ ع : أَشْرَفُ الْغِنَى تَرْكُ الْمُنَى(٢)

وَقَالَ ع : مَنْ أَسْرَعَ إِلَى النَّاسِ بِمَا يَكْرَهُونَ قَالُوا فِيهِ بِمَا لَا يَعْلَمُونَ

وَقَالَ ع : مَنْ أَطَالَ الْأَمَلَ أَسَاءَ الْعَمَلَ(٣)

(وَقَالَ ع : وَقَدْ لَقِيَهُ عِنْدَ مَسِيرِهِ إِلَى الشَّامِ دَهَاقِينُ الْأَنْبَارِ(٤) فَتَرَجَّلُوا لَهُ وَاشْتَدُّوا بَيْنَ يَدَيْهِ) : مَا هٰذَا الَّذِي صَنَعْتُمُوهُ ؟ فَقَالُوا : خُلُقٌ مِنَّا نُعَظِّمُ بِهِ أُمَرَاءَنَا . فَقَالَ : وَاللهِ مَا يَنْتَفِعُ بِهٰذَا أُمَرَاؤُكُمْ . وَإِنَّكُمْ

تطؤه سنابك الشياطين : جمع سنبك ـ بالضم ـ طرف الحافر ، أى تستزله شياطين الهوى فتطرحه فى الهلكة (١) المقدر : المقتصد كأنه يقدر كل شىء بقيمته فينفق على قدره . والمقتر : المضيق فى النفقة كأنه لا يعطى إلا القتر أى الرمقة من العيش (٢) المنى : جمع منية ما يتمناه الانسان لنفسه ، وفى تركها غنى كامل لأن من زهد شيئاً استغنى عنه (٣) طول الأمل : الثقة بحصول الأمانى بدون عمل لها أو استطالة العمر والتسويف بأعمال الخير (٤) جمع دهقان زعيم الفلاحين فى العجم . والأنبار من بلاد العراق . وترجلوا أى نزلوا عن خيولهم مشاة . واشتدوا : أسرعوا

لَتَشُقُّونَ بِهِ عَلَى أَنْفُسِكُمْ فِي دُنْيَاكُمْ[١] وَتَشْقَوْنَ بِهِ فِي آخِرَتِكُم، وَمَا أَخْسَرَ الْمَشَقَّةَ وَرَاءهَا الْعِقَابُ، وَأَرْبَحَ الدَّعَةَ مَعَهَا الْأَمَانُ مِنَ النَّارِ

(وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِابْنِهِ الْحَسَنِ) : يَابُنَيَّ احْفَظْ عَنِّي أَرْبَعاً وَأَرْبَعاً لَا يَضُرُّكَ مَا عَمِلْتَ مَعَهُنَّ : أَغْنَى الْغِنَى الْعَقْلُ . وَأَكْبَرُ الْفَقْرِ الْحُمْقُ . وَأَوْحَشُ الْوَحْشَةِ الْعُجْبُ[٢]. وَأَكْرَمُ الْحَسَبِ حُسْنُ الْخُلُقِ. يَابُنَيَّ إِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْأَحْمَقِ فَإِنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيَضُرَّكَ . وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْبَخِيلِ فَإِنَّهُ يَبْعُدُ عَنْكَ أَحْوَجَ مَا تَكُونَ إِلَيْهِ[٣] ، وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْفَاجِرِ فَإِنَّهُ يَبِيعُكَ بِالتَّافِهِ[٤] . وَإِيَّاكَ وَمُصَادَقَةَ الْكَذَّابِ فَإِنَّهُ كَالسَّرَابِ يُقَرِّبُ عَلَيْكَ الْبَعِيدَ وَيُبْعِدُ عَلَيْكَ الْقَرِيبَ

وَقَالَ ع : لَا قُرْبَةَ بِالنَّوَافِلِ إِذَا أَضَرَّتْ بِالْفَرَائِضِ[٥]

وَقَالَ ع : لِسَانُ الْعَاقِلِ وَرَاءَ قَلْبِهِ، وَقَلْبُ الْأَحْمَقِ وَرَاءَ لِسَانِهِ (وَهٰذَا مِنَ الْمَعَانِي الْعَجِيبَةِ الشَّرِيفَةِ . وَالْمُرَادُ بِهِ أَنَّ الْعَاقِلَ لَا يُطْلِقُ لِسَانَهُ إِلَّا بَعْدَ مُشَاوَرَةِ الرَّوِيَّةِ وَمُؤَامَرَةِ الْفِكْرَةِ، وَالْأَحْمَقُ تَسْبِقُ حَذَفَاتُ

---

(١) تشقون ـ بضم الشين وتشديد القاف ـ: من المشقة. وتشقون الثانية ـ بسكون الشين ـ: من الشقاوة. والدعة ـ بفتحات ـ: الراحة (٢) العجب: بضم فسكون. ومن أعجب بنفسه مقته الناس فلا يوجد له أنيس فهو في وحشة دائما (٣) أحوج حال من الكاف في عنك (٤) التافه : القليل (٥) كمن ينقطع للصلاة والذكر ويفر من الجهاد

لِسَانِهِ وَفَلَتَاتُ كَلَامِهِ مُرَاجَعَةَ فِكْرِهِ[١] وَمُمَاخَضَةَ رَأْيِهِ. فَكَأَنَّ لِسَانَ الْعَاقِلِ تَابِعٌ لِقَلْبِهِ، وَكَأَنَّ قَلْبَ الْأَحْمَقِ تَابِعٌ لِلِسَانِهِ)

وَقَدْ رُوِيَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ هٰذَا الْمَعْنَى بِلَفْظٍ آخَرَ وَهُوَ قَوْلُهُ: قَلْبُ الْأَحْمَقِ فِي فِيهِ، وَلِسَانُ الْعَاقِلِ فِي قَلْبِهِ، وَمَعْنَاهُمَا وَاحِدٌ (وَقَالَ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ فِي عِلَّةٍ اعْتَلَّهَا): جَعَلَ اللّٰهُ مَا كَانَ مِنْ شَكْوَاكَ حَطًّا لِسَيِّئَاتِكَ، فَإِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ وَلٰكِنَّهُ يَحُطُّ السَّيِّئَاتِ، وَيَحُتُّهَا حَتَّ الْأَوْرَاقِ[٢]. وَإِنَّمَا الْأَجْرُ فِي الْقَوْلِ بِاللِّسَانِ وَالْعَمَلِ بِالْأَيْدِي وَالْأَقْدَامِ. وَإِنَّ اللّٰهَ سُبْحَانَهُ يُدْخِلُ بِصِدْقِ النِّيَّةِ وَالسَّرِيرَةِ الصَّالِحَةِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ الْجَنَّةَ

(وَأَقُولُ: صَدَقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّ الْمَرَضَ لَا أَجْرَ فِيهِ، لِأَنَّهُ مِنْ قَبِيلِ مَا يُسْتَحَقُّ عَلَيْهِ الْعِوَضُ[٣]، لِأَنَّ الْعِوَضَ يُسْتَحَقُّ عَلَى مَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ فِعْلِ اللّٰهِ تَعَالَى بِالْعَبْدِ مِنَ الْآلَامِ وَالْأَمْرَاضِ وَمَا يَجْرِي مَجْرَى ذٰلِكَ،

---

(١) مراجعة ومابعده مفعول تسبق . وحذفت فاعله. ومماخضة الرأى: تحريكه حتى يظهر زبده وهو الصواب (٢) حت الورق عن الشجرة : قشره . والصبر على العلة رجوع إلى الله واستسلام لقدره . وفى ذلك خروج اليه من جميع السيئات وتوبة منها، لهذا كان يحت الذنوب . أما الأجر فلا يكون إلا على عمل بعد التوبة (٣) الضمير فى لأنه للمرض ، أى أن المرض ليس من أفعال العبد لله حتى يؤجر عليها ، وإنما هو من أفعال الله بالعبد التى ينبغى أن الله يعوضه عن آلامها والذى قلناه فى المعنى أظهر من كلام

وَالْأَجْرُ وَالثَّوَابُ يُسْتَحَقَّانِ عَلَى مَا كَانَ فِي مُقَابَلَةِ فِعْلِ الْعَبْدِ، فَبَيْنَهُمَا فَرْقٌ قَدْ بَيَّنَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَمَا يَقْتَضِيهِ عِلْمُهُ الثَّاقِبُ وَرَأْيُهُ الصَّائِبُ)

(وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ خَبَّابٍ)

يَرْحَمُ اللهُ خَبَّابَ بْنَ الْأَرَتِّ فَلَقَدْ أَسْلَمَ رَاغِباً، وَهَاجَرَ طَائِعاً، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللهِ وَعَاشَ مُجَاهِدًا

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: طُوبَى لِمَنْ ذَكَرَ الْمَعَادَ، وَعَمِلَ لِلْحِسَابِ، وَقَنِعَ بِالْكَفَافِ، وَرَضِيَ عَنِ اللهِ

وَقَالَ ع : لَوْ ضَرَبْتُ خَيْشُومَ الْمُؤْمِنِ بِسَيْفِي هٰذَا عَلَى أَنْ يُبْغِضَنِي مَا أَبْغَضَنِي[١] . وَلَوْ صَبَبْتُ الدُّنْيَا بِجَمَّاتِهَا عَلَى الْمُنَافِقِ عَلَى أَنْ يُحِبَّنِي مَا أَحَبَّنِي . وَذٰلِكَ أَنَّهُ قُضِيَ فَانْقَضَى عَلَى لِسَانِ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنَّهُ قَالَ: « يَا عَلِيُّ لَا يُبْغِضُكَ مُؤْمِنٌ وَلَا يُحِبُّكَ مُنَافِقٌ

وَقَالَ ع : سَيِّئَةٌ تَسُوءُكَ خَيْرٌ عِنْدَ اللهِ مِنْ حَسَنَةٍ تُعْجِبُكَ[٢]

وَقَالَ ع : قَدْرُ الرَّجُلِ عَلَى قَدْرِ هِمَّتِهِ . وَصِدْقُهُ عَلَى قَدْرِ مُرُوءَتِهِ وَشَجَاعَتُهُ عَلَى قَدْرِ أَنَفَتِهِ . وَعِفَّتُهُ عَلَى قَدْرِ غَيْرَتِهِ

الرضى (١) الخيشوم : أصل الأنف . والجمات : جمع جمة ـ بفتح الجيم ـ هو من السفينة مجتمع الماء المترشح من ألواحها، أى لو كفأت عليهم الدنيا بجليلها وحقيرها (٢) لأن الحسنة المعجبة ربما جر الاعجاب بها إلى سيئات. والسيئة المسيئة ربما بعث الكدر منها

وَقَالَ ع : اُلظَّفرُ بِالْحَزْمِ . وَالْحَزْمُ بِإِجَالَةِ الرَّأْيِ . وَالرَّأْيُ بِتَحْصِينِ الْأَسْرَارِ

وَقَالَ ع : احْذَرُوا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ وَاللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ

وَقَالَ ع : قُلُوبُ الرِّجَالِ وَحْشِيَّةٌ فَمَنْ تَأَلَّفَهَا أَقْبَلَتْ عَلَيْهِ

وَقَالَ ع : عَيْبُكَ مَسْتُورٌ مَا أَسْعَدَكَ جَدُّكَ (١)

وَقَالَ ع : أَوْلَى النَّاسِ بِالْعَفْوِ أَقْدَرُهُمْ عَلَى الْعُقُوبَةِ

وَقَالَ ع : اُلسَّخَاءُ مَا كَانَ ابْتِدَاءً، فَأَمَّا مَا كَانَ عَنْ مَسْأَلَةٍ فَحَيَاءٌ وَتَذَمُّمٌ (٢)

وَقَالَ ع : لَا غِنَى كَالْعَقْلِ . وَلَا فَقْرَ كَالْجَهْلِ . وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ وَلَا ظَهِيرَ كَالْمُشَاوَرَةِ

وَقَالَ ع : الصَّبْرُ صَبْرَانِ : صَبْرٌ عَلَى مَا تَكْرَهُ ، وَصَبْرٌ عَمَّا تُحِبُّ

وَقَالَ ع : الْغِنَى فِي الْغُرْبَةِ وَطَنٌ . وَالْفَقْرُ فِي الْوَطَنِ غُرْبَةٌ

وَقَالَ ع : الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ

وَقَالَ ع : إِذَا حُيِّيتَ بِتَحِيَّةٍ فَحَيِّ بِأَحْسَنَ مِنْهَا، وَإِذَا أُسْدِيَتْ إِلَيْكَ يَدٌ فَكَافِئْهَا بِمَا يُرْبِي عَلَيْهَا ، وَالْفَضْلُ مَعَ ذَلِكَ لِلْبَادِئِ

وَقَالَ ع : الْمَالُ مَادَّةُ الشَّهَوَاتِ

وَقَالَ ع : مَنْ حَذَّرَكَ كَمَنْ بَشَّرَكَ

(١) الجد ـ بالفتح ـ : الحظ أي مادامت الدنيا مقبلة عليك (٢) التذمم: الفرار إلى حسنات

وَقَالَ ع : اللِّسَانُ سَبُعٌ إِنْ خُلِّيَ عَنْهُ عَقَرَ

وَقَالَ ع : الْمَرْأَةُ عَقْرَبٌ حُلْوَةُ اللِّبْسَةِ(١)

وَقَالَ ع : الشَّفِيعُ جَنَاحُ الطَّالِبِ

وَقَالَ ع : أَهْلُ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ يُسَارُ بِهِمْ وَهُمْ نِيَامٌ

وَقَالَ ع : فَقْدُ الْأَحِبَّةِ غُرْبَةٌ

وَقَالَ ع : فَوْتُ الْحَاجَةِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِهَا إِلَى غَيْرِ أَهْلِهَا

وَقَالَ ع : لَا تَسْتَحِ مِنْ إِعْطَاءِ الْقَلِيلِ فَإِنَّ الْحِرْمَانَ أَقَلُّ مِنْهُ

وَقَالَ ع : الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ

وَقَالَ ع : إِذَا لَمْ يَكُنْ مَا تُرِيدُ فَلَا تُبَلْ مَا كُنْتَ(٢)

وَقَالَ ع : لَا تَرَى الْجَاهِلَ إِلَّا مُفْرِطًا أَوْ مُفَرِّطًا

وَقَالَ ع : إِذَا تَمَّ الْعَقْلُ نَقَصَ الْكَلَامُ

---

(١) اللبسة بالكسر حالة من حالات اللبس بالضم ، يقال لبست فلانة أى عاشرتها زمناً طويلا . والعقرب لاتحلو لبستها . أما المرأة فهى من الذم ، كالتأثم والتحرج هى فى الابتداء لكنها حلوة اللبسة (٢) إذا كان لك مرام لم تنله فاذهب فى طلبه كل مذهب ولا تبال أن حقروك أو عظموك ، فان محط السير الغاية وما دونها فداء لها . وقد يكون المعنى إذا عجزت عن مرادك فارض بأى حال ، على رأى القائل .

إذا لم تستطع شيئا فدعه وجاوزه إلى ما تستطيع

وَقَالَ ع : الدَّهْرُ يُخْلِقُ الأَبْدَانَ(١) ، وَيُجَدِّدُ الآمَالَ ، وَيُقَرِّبُ الْمَنِيَّةَ ، وَيُبَاعِدُ الأُمْنِيَّةَ ، مَنْ ظَفِرَ بِهِ نَصِبَ ، وَمَنْ فَاتَهُ تَعِبَ

وَقَالَ ع : مَنْ نَصَبَ نَفْسَهُ لِلنَّاسِ إِمَاماً فَلْيَبْدَأْ بِتَعْلِيمِ نَفْسِهِ قَبْلَ تَعْلِيمِ غَيْرِهِ . وَلْيَكُنْ تَأْدِيبُهُ بِسِيرَتِهِ قَبْلَ تَأْدِيبِهِ بِلِسَانِهِ . وَمُعَلِّمُ نَفْسِهِ وَمُؤَدِّبُهَا أَحَقُّ بِالإِجْلَالِ مِنْ مُعَلِّمِ النَّاسِ وَمُؤَدِّبِهِمْ

وَقَالَ ع : نَفَسُ الْمَرْءِ خُطَاهُ إِلَى أَجَلِهِ(٢)

وَقَالَ ع : كُلُّ مَعْدُودٍ مُنْقَضٍ وَكُلُّ مُتَوَقَّعٍ آتٍ

وَقَالَ ع : إِنَّ الأُمُورَ إِذَا اشْتَبَهَتْ اعْتُبِرَ آخِرُهَا بِأَوَّلِهَا(٣)

(وَمِنْ خَبَرِ ضِرَارِ بْنِ ضَمُرَةَ الضُّبَابِيِّ عِنْدَ دُخُولِهِ عَلَى مُعَاوِيَةَ وَمَسْأَلَتِهِ)
(لَهُ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، قَالَ : فَأَشْهَدُ لَقَدْ رَأَيْتُهُ فِي بَعْضِ مَوَاقِفِهِ)
(وَقَدْ أَرْخَى اللَّيْلُ سُدُولَهُ ، وَهُوَ قَائِمٌ فِي مِحْرَابِهِ(٤) قَابِضٌ عَلَى لِحْيَتِهِ ،)
(يَتَمَلْمَلُ تَمَلْمُلَ السَّلِيمِ(٥) ، وَيَبْكِي بُكَاءَ الْحَزِينِ وَيَقُولُ) :

يَا دُنْيَا يَا دُنْيَا إِلَيْكِ عَنِّي ، أَبِي تَعَرَّضْتِ ، أَمْ إِلَيَّ تَشَوَّقْتِ . لَا حَانَ حِينُكِ(٦)

---

(١) أي يبليها . ونصب ـ من باب تعب ـ : أعيي . ومن ظفر بالدهر لزمته حقوق وحفت به شؤون يعييه و يعجزه مراعتها وأداؤها ، هذا إلى ما يتجدد له من الآمال التي لا نهاية لها وكلها تحتاج الى طلب ونصب (٢) كأن كل نفس يتنفسه الانسان خطوة يقطعها إلى الأجل (٣) أي يقاس آخرها على أولها فعلى حسب البدايات تكون النهايات (٤) سدوله : حجب ظلامه (٥) السليم : اللدوغ من حية ونحوها (٦) تعرض به

هَيْهَاتَ غُرِّى غَيْرِى . لَاحَاجَةَ لِى فِيكِ . قَدْ طَلَّقْتُكِ ثَلَاثًا لَا رَجْعَةَ فِيهَا. فَعَيْشُكِ قَصِيرٌ ، وَخَطَرُكِ يَسِيرٌ ، وَأَمَلُكِ حَقِيرٌ . آهِ مِنْ قِلَّةِ الزَّادِ ، وَطُولِ الطَّرِيقِ ، وَبُعْدِ السَّفَرِ ، وَعَظِيمِ الْمَوْرِدِ(١)

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِلسَّائِلِ لَمَّا سَأَلَهُ أَكَانَ مَسِيرُنَا)

(إِلَى الشَّامِ بِقَضَاءٍ مِنَ اللهِ وَقَدَرٍ بَعْدَ كَلَامٍ طَوِيلٍ هٰذَا مُخْتَارُهُ)

وَيْحَكَ لَعَلَّكَ ظَنَنْتَ قَضَاءً لَازِمًا وَقَدَرًا حَاتِمًا . وَلَوْ كَانَ كَذَلِكَ لَبَطَلَ الثَّوَابُ وَالْعِقَابُ ، وَسَقَطَ الْوَعْدُ وَالْوَعِيدُ(٢) . إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ أَمَرَ عِبَادَهُ تَخْيِيرًا ، وَنَهَاهُمْ تَحْذِيرًا ، وَكَلَّفَ يَسِيرًا وَلَمْ يُكَلِّفْ عَسِيرًا ، وَأَعْطَى عَلَى الْقَلِيلِ كَثِيرًا . وَلَمْ يُعْصَ مَغْلُوبًا ، وَلَمْ يُطَعْ مُكْرِهًا ، وَلَمْ يُرْسِلِ الْأَنْبِيَاءَ لَعِبًا ، وَلَمْ يُنْزِلِ الْكُتُبَ لِلْعِبَادِ عَبَثًا ، وَلَا خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا « ذَٰلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ »

ـ كتعرضه ـ : تصداه وطلبه . ولا حان حينك : لاجاء وقت وصولك لقلبى وتمكن حبك منه (١) المورد : موقف الورود على الله فى الحساب (٢) القضاء : علم الله السابق بحصول الأشياء على أحوالها فى أوضاعها . والقدر إيجاده لها عند وجود أسبابها، ولا شىء منهما يضطر العبد لفعل من أفعاله . فالعبد ومايجد من نفسه من باعث

وَقالَ ع : خُذِ ٱلْحِكْمَةَ أَنَّى كَانَتْ ، فَإِنَّ ٱلْحِكْمَةَ تَكُونُ فِي صَدْرِ ٱلْمُنَافِقِ فَتَلَجْلَجُ فِي صَدْرِهِ(١) حَتَّى تَخْرُجَ فَتَسْكُنَ إِلَى صَوَاحِبِهَا فِي صَدْرِ ٱلْمُؤْمِنِ

وَقَالَ ع : الْحِكْمَةُ ضَالَّةُ ٱلْمُؤْمِنِ ، فَخُذِ ٱلْحِكْمَةَ وَلَوْ مِنْ أَهْلِ ٱلنِّفَاقِ .

وَقَالَ ع : قِيمَةُ كُلِّ ٱمْرِئٍ مَا يُحْسِنُهُ (وَهٰذِهِ ٱلْكَلِمَةُ ٱلَّتِي لَا تُصَابُ لَهَا قِيمَةٌ ، وَلَا تُوزَنُ بِهَا حِكْمَةٌ ، وَلَا تُقْرَنُ إِلَيْهَا كَلِمَةٌ)

وَقَالَ ع : أُوصِيكُمْ بِخَمْسٍ لَوْ ضَرَبْتُمْ إِلَيْهَا آبَاطَ ٱلْإِبِلِ(٢) لَكَانَتْ لِذَلِكَ أَهْلًا . لَا يَرْجُوَنَّ أَحَدٌ مِنْكُمْ إِلَّا رَبَّهُ ، وَلَا يَخَافَنَّ إِلَّا ذَنْبَهُ وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا سُئِلَ عَمَّا لَا يَعْلَمُ أَنْ يَقُولَ لَا أَعْلَمُ . وَلَا يَسْتَحِيَنَّ أَحَدٌ إِذَا لَمْ يَعْلَمِ ٱلشَّيْءَ أَنْ يَتَعَلَّمَهُ . وَعَلَيْكُمْ بِالصَّبْرِ فَإِنَّ ٱلصَّبْرَ مِنَ ٱلْإِيمَانِ كَالرَّأْسِ مِنَ ٱلْجَسَدِ ، وَلَا خَيْرَ فِي جَسَدٍ لَا رَأْسَ مَعَهُ ، وَلَا فِي إِيمَانٍ لَا صَبْرَ مَعَهُ

على الخير والشر ، ولا يجد شخص إلا أن اختياره دافعه إلى مايعمل ، والله يعلمه فاعلا باختياره إماشقيا به وإما سعيداً . والدليل ماذكره الامام (١) تلجلج أي تتحرك

(٢) الآباط : جمع ابط . وضرب الآباط كناية عن شد الرحال وحث المسير

وَقَالَ ع : لِرَجُلٍ أَفْرَطَ فِى ٱلثَّنَاءِ عَلَيْهِ وَكَانَ لَهُ مُتَّهِماً : أَنَا دُونَ مَا تَقُولُ وَفَوْقَ مَا فِى نَفْسِكَ

وَقَالَ ع : بَقِيَّةُ ٱلسَّيْفِ أَبْقَى عَدَداً وَأَكْثَرُ وَلَداً(١)

وَقَالَ ع : مَنْ تَرَكَ قَوْلَ لَا أَدْرِى أُصِيبَتْ مَقَاتِلُهُ(٢)

وَقَالَ ع : رَأْىُ ٱلشَّيْخِ أَحَبُّ إِلَىَّ مِنْ جَلَدِ ٱلْغُلَامِ(٣) (وَرُوِىَ) مِنْ مَشْهَدِ ٱلْغُلَامِ

وَقَالَ ع : عَجِبْتُ لِمَنْ يَقْنَطُ وَمَعَهُ ٱلْإِسْتِغْفَارُ(٤)

(وَحَكَى عَنْهُ أَبُو جَعْفَرٍ مُحَمَّدُ بْنُ عَلِيٍّ ٱلْبَاقِرُ عَلَيْهِمَا ٱلسَّلَامُ أَنَّهُ قَالَ) :

كَانَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمَانَانِ مِنْ عَذَابِ ٱللهِ وَقَدْ رُفِعَ أَحَدُهُمَا فَدُونَكُمُ ٱلْآخَرَ فَتَمَسَّكُوا بِهِ . أَمَّا ٱلْأَمَانُ ٱلَّذِى رُفِعَ فَهُوَ رَسُولُ ٱللهِ ﷺ . وَأَمَّا ٱلْأَمَانُ ٱلْبَاقِي فَالِاسْتِغْفَارُ قَالَ ٱللهُ تَعَالَى : « وَمَا كَانَ ٱللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ

---

(١) بقية السيف هم الذين يبقون بعد الذين قتلوا فى حفظ شرفهم ودفع الضيم عنهم ، وفضلوا الموت على الذل ، فيكون الباقون شرفاء نجداء ، فعددهم أبقى و ولدهم يكون أكثر، بخلاف الأذلاء فان مصيرهم إلى المحو والفناء (٢) مواضع قتله، لأن من قال ما لا يعلم عرف بالجهل، ومن عرفه الناس بالجهل مقتوه فحرم خيره كله فهلك (٣) جلد الغلام : صبره على القتال . ومشهده : إيقاعه بالأعداء . والرأى فى الحرب أشد فعلا فى الاقدام (٤) أى التوبة

وَأَنْتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ » . (وَهٰذَا مِنْ مَحَاسِنِ الْاسْتِخْرَاجِ وَلَطَائِفِ الْإِسْتِنْبَاطِ)

وَقَالَ ع : مَنْ أَصْلَحَ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ أَصْلَحَ اللهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ أَصْلَحَ أَمْرَ آخِرَتِهِ أَصْلَحَ اللهُ لَهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ . وَمَنْ كَانَ لَهُ مِنْ نَفْسِهِ وَاعِظٌ كَانَ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ

وَقَالَ ع : الْفَقِيهُ كُلُّ الْفَقِيهِ مَنْ لَمْ يُقَنِّطِ النَّاسَ مِنْ رَحْمَةِ اللهِ ، وَلَمْ يُؤْيِسْهُمْ مِنْ رَوْحِ اللهِ[1] ، وَلَمْ يُؤْمِنْهُمْ مِنْ مَكْرِ اللهِ

وَقَالَ ع : إِنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكَمِ[2]

وَقَالَ ع : أَوْضَعُ الْعِلْمِ مَا وَقَفَ عَلَى اللِّسَانِ[3] ، وَأَرْفَعُهُ مَا ظَهَرَ فِى الْجَوَارِحِ وَالْأَرْكَانِ

وَقَالَ ع : لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْفِتْنَةِ لِأَنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ إِلَّا وَهُوَ مُشْتَمِلٌ عَلَى فِتْنَةٍ ، وَلٰكِنْ مَنِ اسْتَعَاذَ فَلْيَسْتَعِذْ مِنْ

---

(١) روح الله : لطفه ورأفته، وهو بالفتح . ومكر الله : أخذه للعبد بالعقاب من حيث لا يشعر . فالفقيه هو الفاتح للقلوب بابى الخوف والرجاء (٢) طرائف الحكم : غرائبها لتنبسط اليها القلوب كما تنبسط الابدان لغرائب المناظر (٣) أوضع العلم أى أدناه ماوقف على اللسان ولم يظهر أثره فى الأخلاق والأعمال . وأركان البدن

مُضِلَّاتِ ٱلْفِتَنِ ، فَإِنَّ ٱللهَ سُبْحَانَهُ يَقُولُ : « وَٱعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ » . وَمَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّهُ يَخْتَبِرُهُمْ بِالْأَمْوَالِ وَٱلْأَوْلَادِ لِيَتَبَيَّنَ ٱلسَّاخِطَ لِرِزْقِهِ وَٱلرَّاضِيَ بِقِسْمِهِ ، وَإِنْ كَانَ سُبْحَانَهُ أَعْلَمَ بِهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ، وَلٰكِنْ لِتَظْهَرَ ٱلْأَفْعَالُ ٱلَّتِي بِهَا يُسْتَحَقُّ ٱلثَّوَابُ وَٱلْعِقَابُ ، لِأَنَّ بَعْضَهُمْ يُحِبُّ ٱلذُّكُورَ وَيَكْرَهُ ٱلْإِنَاثَ ، وَبَعْضَهُمْ يُحِبُّ تَثْمِيرَ ٱلْمَالِ[1] وَيَكْرَهُ ٱنْثِلَامَ ٱلْحَالِ (وَهٰذَا مِنْ غَرِيبِ مَا سُمِعَ مِنْهُ فِي ٱلتَّفْسِيرِ)

(وَسُئِلَ عَنِ ٱلْخَيْرِ مَا هُوَ ؟ فَقَالَ) : لَيْسَ ٱلْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ مَالُكَ وَوَلَدُكَ ، وَلٰكِنِ ٱلْخَيْرُ أَنْ يَكْثُرَ عِلْمُكَ وَيَعْظُمَ حِلْمُكَ ، وَأَنْ تُبَاهِيَ ٱلنَّاسَ بِعِبَادَةِ رَبِّكَ ؛ فَإِنْ أَحْسَنْتَ حَمِدْتَ ٱللهَ ، وَإِنْ أَسَأْتَ ٱسْتَغْفَرْتَ ٱللهَ . وَلَا خَيْرَ فِي ٱلدُّنْيَا إِلَّا لِرَجُلَيْنِ : رَجُلٍ أَذْنَبَ ذُنُوبًا فَهُوَ يَتَدَارَكُهَا بِالتَّوْبَةِ ، وَرَجُلٍ يُسَارِعُ فِي ٱلْخَيْرَاتِ

وَقَالَ ع : لَا يَقِلُّ عَمَلٌ مَعَ ٱلتَّقْوَى . وَكَيْفَ يَقِلُّ مَا يُتَقَبَّلُ

وَقَالَ ع : إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِالْأَنْبِيَاءِ أَعْلَمُهُمْ بِمَا جَاءُوا بِهِ . ثُمَّ تَلَا « إِنَّ أَوْلَى ٱلنَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ وَهٰذَا ٱلنَّبِيُّ وَٱلَّذِينَ آمَنُوا »

أعضاؤه الرئيسة كالقلب والمخ (١) تثمير المال : إنماؤه بالربح . وانثلام الحال : نقصه

(ثُمَّ قَالَ): إِنَّ وَلِيَّ مُحَمَّدٍ مَنْ أَطَاعَ اللهَ وَإِنْ بَعُدَتْ لُحْمَتُهُ[1]، وَإِنَّ عَدُوَّ مُحَمَّدٍ مَنْ عَصَى اللهَ وَإِنْ قَرُبَتْ قَرَابَتُهُ

(وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا مِنَ الْحَرُورِيَّةِ[2] يَتَهَجَّدُ وَيَقْرَأُ فَقَالَ): نَوْمٌ عَلَى يَقِينٍ خَيْرٌ مِنْ صَلَاةٍ فِي شَكٍّ

وَقَالَ ع: إِعْقِلُوا الْخَبَرَ إِذَا سَمِعْتُمُوهُ عَقْلَ رِعَايَةٍ لَا عَقْلَ رِوَايَةٍ فَإِنَّ رُوَاةَ الْعِلْمِ كَثِيرٌ وَرُعَاتَهُ قَلِيلٌ

(وَسَمِعَ رَجُلًا يَقُولُ: إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ): إِنَّ قَوْلَنَا: إِنَّا لِلَّهِ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْمُلْكِ. وَقَوْلَنَا: وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ إِقْرَارٌ عَلَى أَنْفُسِنَا بِالْهُلْكِ[3]

(وَمَدَحَهُ قَوْمٌ فِي وَجْهِهِ فَقَالَ): اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَعْلَمُ بِي مِنْ نَفْسِي وَأَنَا أَعْلَمُ بِنَفْسِي مِنْهُمْ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنَا خَيْرًا مِمَّا يَظُنُّونَ، وَاغْفِرْ لَنَا مَا لَا يَعْلَمُونَ

وَقَالَ ع: لَا يَسْتَقِيمُ قَضَاءُ الْحَوَائِجِ إِلَّا بِثَلَاثٍ: بِاسْتِصْغَارِهَا لِتَعْظُمَ[4]، وَبِاسْتِكْتَامِهَا لِتَظْهَرَ، وَبِتَعْجِيلِهَا لِتَهْنُؤَ

---

(١) لحمته — بالضم — أى نسبه (٢) الحرورية — بفتح الحاء —: الخوارج الذين خرجوا عليه بحروراء. ويتهجد أى يصلى بالليل (٣) الهلك — بالضم —: الهلاك (٤) استصغارها فى الطلب لتعظم بالقضاء. وكتمانها عند محاولتها لتظهر بعد قضائها فلا تعلم إلا مقضية، وتعجيلها للتمكن من التمتع بها فتكون هنيئة، ولو عظمت عند

وقَالَ ع يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ لَا يُقَرَّبُ فِيهِ إِلَّا ٱلْمَاحِلُ[١] ، وَلَا يُظَرَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْفَاجِرُ ، وَلَا يُضَعَّفُ فِيهِ إِلَّا ٱلْمُنْصِفُ . يَعُدُّونَ ٱلصَّدَقَةَ فِيهِ غُرْمًا . وَصِلَةَ ٱلرَّحِمِ مَنًّا . وَٱلْعِبَادَةَ ٱسْتِطَالَةً عَلَى ٱلنَّاسِ . فَعِنْدَ ذَٰلِكَ يَكُونُ ٱلسُّلْطَانُ بِمَشْوَرَةِ ٱلنِّسَاءِ وَإِمَارَةِ ٱلصِّبْيَانِ وَتَدْبِيرِ ٱلْخِصْيَانِ

(وَرُؤِيَ عَلَيْهِ إِزَارٌ خَلَقٌ مَرْقُوعٌ فَقِيلَ لَهُ فِي ذَٰلِكَ فَقَالَ) : يَخْشَعُ لَهُ ٱلْقَلْبُ ، وَتَذِلُّ بِهِ ٱلنَّفْسُ ، وَيَقْتَدِي بِهِ ٱلْمُؤْمِنُونَ

وَقَالَ ع : إِنَّ ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةَ عَدُوَّانِ مُتَفَاوِتَانِ وَسَبِيلَانِ مُخْتَلِفَانِ، فَمَنْ أَحَبَّ ٱلدُّنْيَا وَتَوَلَّاهَا أَبْغَضَ ٱلْآخِرَةَ وَعَادَاهَا. وَهُمَا بِمَنْزِلَةِ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَمَاشٍ بَيْنَهُمَا ، كُلَّمَا قَرُبَ مِنْ وَاحِدٍ بَعُدَ مِنَ ٱلْآخَرِ ، وَهُمَا بَعْدُ ضَرَّتَانِ

(وَعَنْ نَوْفٍ ٱلْبِكَالِيِّ قَالَ رَأَيْتُ أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ ذَاتَ لَيْلَةٍ وَقَدْ خَرَجَ مِنْ فِرَاشِهِ فَنَظَرَ فِي ٱلنُّجُومِ ، فَقَالَ لِي يَا نَوْفُ : أَرَاقِدٌ أَنْتَ أَمْ رَامِقٌ ؟ فَقُلْتُ بَلْ رَامِقٌ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ[٢]، قَالَ يَا نَوْفُ) : طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ

الطالب أوظهرت قبل القضاء خيف الحرمان منها ، ولو أخرت خيف النقصان (١) الماحل : الساعى فى الناس بالوشاية عند السلطان . ولا يظرّف أى لا يعد ظريفاً ، ولا يضعف أى لا يعد ضعيفا . والغرم ـ بالضم ـ : الغرامة . والمن : ذكرك النعمة على غيرك مظهراً بها الكرامة عليه . والاستطالة على الناس : التفوق عليهم والتزيد عليهم فى الفضل (٢) أراد بالرامق منتبه العين فى مقابلة الراقد بمعنى النائم ، يقال رمقه إذا لحظه

فِي ٱلدُّنْيَا ٱلرَّاغِبِينَ فِي ٱلآخِرَةِ . اولٰئِكَ قَوْمٌ ٱتَّخَذُوا ٱلْأَرْضَ بِسَاطًا ، وَتُرَابَهَا فِرَاشًا ، وَمَاءَهَا طِيباً ، وَٱلْقُرْآنَ شِعَارًا(١) ، وَٱلدُّعَاء دِثَارًا . ثُمَّ قَرَضُوا ٱلدُّنْيَا قَرْضًا عَلَى مِنْهَاجِ ٱلْمَسِيحِ

يَانَوْفُ إِنَّ دَاوُدَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قَامَ فِي مِثْلِ هٰذِهِ ٱلسَّاعَةِ مِنَ ٱللَّيْلِ فَقَالَ : إِنَّهَا سَاعَةٌ لَا يَدْعُو فِيهَا عَبْدٌ إِلا ٱسْتُجِيبَ لَهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ عَشَّارًا(٢) أَوْ عَرِيفاً أَوْ شُرْطِيًّا أَوْ صَاحِبَ عَرْطَبَةٍ ـ وَهِيَ ٱلطُّنْبُورُ ـ أَوْ صَاحِبَ كُوبَةٍ ـ وَهِيَ ٱلطَّبْلُ ـ . (وَقَدْ قِيلَ أَيْضًا : إِنَّ ٱلْعَرْطَبَةَ ٱلطَّبْلُ ، وَٱلْكُوبَةَ ٱلطُّنْبُورُ(٣))

وَقَالَ ع : إِنَّ ٱللهَ ٱفْتَرَضَ عَلَيْكُمُ ٱلْفَرَائِضَ فَلَا تُضَيِّعُوهَا ، وَحَدَّ لَكُمْ حُدُودًا فَلَا تَعْتَدُوهَا ، وَنَهَاكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ فَلَا تَنْتَهِكُوهَا(٤) وَسَكَتَ لَكُمْ عَنْ أَشْيَاءَ وَلَمْ يَدَعْهَا نِسْيَانًا فَلَا تَتَكَلَّفُوهَا

لحظا خفيفا (١) شعارا يقرأونه سراً للاعتبار بمواعظه والتفكر فى دقائقه . والدعاء دثاراً يجهرون به إظهاراً للذلة والخضوع لله . وأصل الشعار مايلى البدن من الثياب. والدثار ماعلا منها . وقرضوا الدنيا : مزقوها كما يمزق الثوب بالمقراض على طريقة المسيح فى الزهادة (٢) العشار من يتولى أخذ أعشار الأموال وهو المكاس . والعريف من يتجسس على أحوال الناس وأسرارهم فيكشفها لأميرهم مثلا . والشرطى ـ بضم فسكون ـ نسبة إلى الشرطة واحد الشرط كرطب وهم أعوان الحاكم (٣) لم نر هذا فيما وقفنا عليه من كتب اللغة . والمنقول أن الكوبة ـ بالضم ـ الطبل الصغير ، وهو المعروف بالدربكة (٤) أى لاتنتهكوا نهيه عنها باتيانها . والانتهاك : الاهانه

وَقَالَ ع : لَا يَتْرُكُ النَّاسُ شَيْئاً مِنْ أَمْرِ دِينِهِمْ لِاسْتِصْلَاحِ دُنْيَاهُمْ إِلَّا فَتَحَ اللهُ عَلَيْهِم مَا هُوَ أَضَرُّ مِنْهُ

وَقَالَ ع : رُبَّ عَالِمٍ قَدْ قَتَلَهُ جَهْلُهُ[١] وَعِلْمُهُ مَعَهُ لَا يَنْفَعُهُ

وَقَالَ ع : لَقَدْ عُلِّقَ بِنِيَاطِ هٰذَا الْإِنْسَانِ بَضْعَةٌ هِيَ أَعْجَبُ مَا فِيهِ[٢] وَذٰلِكَ الْقَلْبُ . وَلَهُ مَوَادُّ مِنَ الْحِكْمَةِ وَأَضْدَادٌ مِنْ خِلَافِهَا . فَإِنْ سَنَحَ لَهُ الرَّجَاءُ[٣] أَذَلَّهُ الطَّمَعُ . وَإِنْ هَاجَ بِهِ الطَّمَعُ أَهْلَكَهُ الْحِرْصُ . وَإِنْ مَلَكَهُ الْيَأْسُ قَتَلَهُ الْأَسَفُ . وَإِنْ عَرَضَ لَهُ الْغَضَبُ اشْتَدَّ بِهِ الْغَيْظُ وَإِنْ أَسْعَدَهُ الرِّضَى نَسِيَ التَّحَفُّظَ[٤] . وَإِنْ نَالَهُ الْخَوْفُ شَغَلَهُ الْحَذَرُ . وَإِنِ اتَّسَعَ لَهُ الْأَمْنُ اسْتَلَبَتْهُ الْغِرَّةُ[٥] . وَإِنْ أَفَادَ مَالًا أَطْغَاهُ الْغِنَى . وَإِنْ أَصَابَتْهُ مُصِيبَةٌ فَضَحَهُ الْجَزَعُ . وَإِنْ عَضَّتْهُ الْفَاقَةُ شَغَلَهُ الْبَلَاءُ . وَإِنْ جَهَدَهُ الْجُوعُ قَعَدَ بِهِ الضَّعْفُ . وَإِنْ أَفْرَطَ بِهِ الشِّبَعُ كَظَّتْهُ الْبِطْنَةُ[٦] فَكُلُّ تَقْصِيرٍ بِهِ مُضِرٌّ وَكُلُّ إِفْرَاطٍ لَهُ مُفْسِدٌ

والاضعاف . ولا تتكلفوا أى لاتكلفوا أنفسكم بها بعد ماسكت الله عنها (١) وهذا هو العالم الذى يحفظ ولا يدرى ، أو يعلم ولا يعمل ، أو ينقل ولا بصيرة له (٢) النياط ــ ككتاب ــ : عرق معلق به القلب (٣) سنح له : بداوظهر (٤) التحفظ هو التوقى والتحرز من المضرات (٥) الغرة بالكسر الغفلة . واستلبته أى سلبته وذهبت به عن رشده . وأفاد المال : استفاده . الفاقة الفقر (٦) كظته أى كربته وآلمته . والبطنة

وَقَالَ ع : نَحْنُ النُّمْرُقَةُ الْوُسْطَى[1] بِهَا يَلْحَقُ التَّالِي ، وَإِلَيْهَا يَرْجِعُ الْغَالِي .

وَقَالَ ع : لَا يُقِيمُ أَمْرَ اللّٰهِ سُبْحَانَهُ إِلَّا مَنْ لَا يُصَانِعُ[2] وَلَا يُضَارِعُ وَلَا يَتَّبِعُ الْمَطَامِعَ

وَقَالَ ع : (وَقَدْ تُوُفِّيَ سَهْلُ بْنُ حُنَيْفٍ الْأَنْصَارِيُّ بِالْكُوفَةِ بَعْدَ مَرْجِعِهِ مَعَهُ مِنْ صِفِّينَ وَكَانَ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيْهِ) لَوْ أَحَبَّنِي جَبَلٌ لَتَهَافَتَ[3] (مَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّ الْمِحْنَةَ تَغْلُظُ عَلَيْهِ فَتُسْرِعُ الْمَصَائِبُ إِلَيْهِ ، وَلَا يُفْعَلُ ذٰلِكَ إِلَّا بِالْأَتْقِيَاءِ الْأَبْرَارِ وَالْمُصْطَفَيْنَ الْأَخْيَارِ ، وَهٰذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ أَحَبَّنَا أَهْلَ الْبَيْتِ فَلْيَسْتَعِدَّ لِلْفَقْرِ جِلْبَاباً وَقَدْ يُؤَوَّلُ ذٰلِكَ عَلَى مَعْنًى آخَرَ[4] لَيْسَ هٰذَا مَوْضِعَ ذِكْرِهِ)

وَقَالَ ع : لَا مَالَ أَعْوَدُ مِنَ الْعَقْلِ[5] . وَلَا وَحْدَةَ أَوْحَشُ مِنَ

ـ بالكسر ـ : امتلاء البطن حتى يضيق النفس: التخمة (١) النمرقة ـ بضم فسكون فضم ففتح ـ : الوسادة ، وآل البيت أشبهها للاستناد اليهم فى أمور الدين كما يستند إلى الوسادة لراحة الظهر واطمئنان الأعضاء . ووصفها بالوسطى لاتصال سائر النمارق بها ، فكأن الكل يعتمد عليها إما مباشرة أو بواسطة مابجانبه . وآل البيت على الصراط الوسط العدل ، يلحق بهم من قصر ويرجع اليهم من غلا وتجاوز (٢) لايصانع أى لا يدارى فى الحق . والمضارعة : المشابهة . والمعنى أنه لايشتبه فى عمله بالمبطلين . واتباع المطامع الميل معها وإن ضاع الحق (٣) تهافت : تساقط بعد ماتصدع (٤) هو أن من أحبهم فليخلص لله حبهم فليست الدنيا تطلب عندهم (٥) أعود : أنفع

الْعُجْبِ. وَلَا عَقْلَ كَالتَّدْبِيرِ. وَلَا كَرَمَ كَالتَّقْوَى. وَلَا قَرِينَ كَحُسْنِ الْخُلُقِ. وَلَا مِيرَاثَ كَالْأَدَبِ. وَلَا قَائِدَ كَالتَّوْفِيقِ. وَلَا تِجَارَةَ كَالْعَمَلِ الصَّالِحِ. وَلَا رِبْحَ كَالثَّوَابِ. وَلَا وَرَعَ كَالْوُقُوفِ عِنْدَ الشُّبْهَةِ. وَلَا زُهْدَ كَالزُّهْدِ فِي الْحَرَامِ. وَلَا عِلْمَ كَالتَّفَكُّرِ. وَلَا عِبَادَةَ كَأَدَاءِ الْفَرَائِضِ. وَلَا إِيمَانَ كَالْحَيَاءِ وَالصَّبْرِ. وَلَا حَسَبَ كَالتَّوَاضُعِ. وَلَا شَرَفَ كَالْعِلْمِ وَلَا مُظَاهَرَةَ أَوْثَقُ مِنَ الْمُشَاوَرَةِ

وَقَالَ ع: إِذَا اسْتَوْلَى الصَّلَاحُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ ثُمَّ أَسَاءَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ لَمْ تَظْهَرْ مِنْهُ خَزْيَةٌ[1] فَقَدْ ظَلَمَ. وَإِذَا اسْتَوْلَى الْفَسَادُ عَلَى الزَّمَانِ وَأَهْلِهِ فَأَحْسَنَ رَجُلٌ الظَّنَّ بِرَجُلٍ فَقَدْ غَرَّرَ

(وَقِيلَ لَهُ ع: كَيْفَ نَجِدُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ): كَيْفَ يَكُونُ مَنْ يَفْنَى بِبَقَائِهِ[2]، وَيَسْقَمُ بِصِحَّتِهِ، وَيُؤْتَى مِنْ مَأْمَنِهِ

وَقَالَ ع: كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ[3]، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ

---

(١) الخزية ـ بفتح فسكون ـ: البلية تصيب الانسان فتذله وتفضحه. وغرر أى أوقع بنفسه فى الغرر أى الخطر (٢) كلما طال عمره وهو البقاء تقدم إلى الفناء، وكلما مدت عليه الصحة تقرب من مرض الهرم. وسقم ـ كفرح ـ: مرض. ويأتيه الموت من مأمنه أى الجهة التى يأمن اتيانه منها، فان أسبابه كامنة فى نفس البدن (٣) استدرجه الله تابع نعمته عليه وهو مقيم فى عصيانه إبلاغا للحجة وإقامة للمعذرة

عَلَيْهِ. وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ. وَمَا ابْتَلَى اللهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ

وَقَالَ ع : هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ مُحِبٌّ غَالٍ(١) وَمُبْغِضٌ قَالٍ

وَقَالَ ع : إِضَاعَةُ الْفُرْصَةِ غُصَّةٌ

وَقَالَ ع : مَثَلُ الدُّنْيَا كَمَثَلِ الْحَيَّةِ لَيِّنٌ مَسُّهَا وَالسُّمُّ النَّاقِعُ فِي جَوْفِهَا. يَهْوِي إِلَيْهَا الْغِرُّ الْجَاهِلُ وَيَحْذَرُهَا ذُو اللُّبِّ الْعَاقِلُ

(وَسُئِلَ ع : عَنْ قُرَيْشٍ فَقَالَ) : أَمَّا بَنُو مَخْزُومٍ فَرَيْحَانَةُ قُرَيْشٍ نُحِبُّ حَدِيثَ رِجَالِهِمْ وَالنِّكَاحَ فِي نِسَائِهِمْ. وَأَمَّا بَنُو عَبْدِ شَمْسٍ(٢) فَأَبْعَدُهَا رَأْيًا وَأَمْنَعُهَا لِمَا وَرَاءَ ظُهُورِهَا. وَأَمَّا نَحْنُ فَأَبْذَلُ لِمَا فِي أَيْدِينَا، وَأَسْمَحُ عِنْدَ الْمَوْتِ بِنُفُوسِنَا. وَهُمْ أَكْثَرُ وَأَمْكَرُ وَأَنْكَرُ. وَنَحْنُ أَفْصَحُ وَأَنْصَحُ وَأَصْبَحُ

وَقَالَ ع : شَتَّانَ مَا بَيْنَ عَمَلَيْنِ(٣): عَمَلٍ تَذْهَبُ لَذَّتُهُ وَتَبْقَى تَبِعَتُهُ، وَعَمَلٍ تَذْهَبُ مَؤُونَتُهُ وَيَبْقَى أَجْرُهُ

(وَتَبِعَ جِنَازَةً فَسَمِعَ رَجُلًا يَضْحَكُ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ) كَأَنَّ الْمَوْتَ فِيهَا

في أخذه . والاملاء له : الامهال (١) الغالى : المتجاوز الحد في حبه بسب غيره أو دعوى حلول اللاهوت فيه أو نحو ذلك . والقالى : المبغض الشديد البغض (٢) ومنهم بنو أمية أى وهم أى بنو عبد شمس أكثر الخ ونحن أى بنو هاشم (٣) الأول عمل

عَلَى غَيْرِنَا كُتِبَ . وَكَأَنَّ ٱلْحَقَّ فِيهَا عَلَى غَيْرِنَا وَجَبَ . وَكَأَنَّ ٱلَّذِي نَرَى مِنَ ٱلْأَمْوَاتِ سَفْرٌ(١) عَمَّا قَلِيلٍ إِلَيْنَا رَاجِعُونَ ، نُبَوِّئُهُمْ أَجْدَاثَهُمْ وَنَأْكُلُ تُرَاثَهُمْ ثُمَّ قَدْ نَسِينَا كُلَّ وَاعِظٍ وَوَاعِظَةٍ وَرُمِينَا بِكُلِّ جَائِحَةٍ(٢)

وَقَالَ ع : طُوبَى لِمَنْ ذَلَّ فِي نَفْسِهِ وَطَابَ كَسْبُهُ وَصَلَحَتْ سَرِيرَتُهُ وَحَسُنَتْ خَلِيقَتُهُ(٣) وَأَنْفَقَ ٱلْفَضْلَ مِنْ مَالِهِ ، وَأَمْسَكَ ٱلْفَضْلَ مِنْ لِسَانِهِ ، وَعَزَلَ عَنِ ٱلنَّاسِ شَرَّهُ ، وَوَسِعَتْهُ ٱلسُّنَّةُ ، وَلَمْ يُنْسَبْ إِلَى ٱلْبِدْعَةِ ، « أَقُولُ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَنْسُبُ هٰذَا ٱلْكَلَامَ إِلَى رَسُولِ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَكَذٰلِكَ ٱلَّذِي قَبْلَهُ »

وَقَالَ ع : غَيْرَةُ ٱلْمَرْأَةِ كُفْرٌ(٤) وَغَيْرَةُ ٱلرَّجُلِ إِيمَانٌ

وَقَالَ ع . لَأَنْسُبَنَّ ٱلْإِسْلَامَ نِسْبَةً لَمْ يَنْسُبْهَا أَحَدٌ قَبْلِي . ٱلْإِسْلَامُ هُوَ ٱلتَّسْلِيمُ . وَٱلتَّسْلِيمُ هُوَ ٱلْيَقِينُ . وَٱلْيَقِينُ هُوَ ٱلتَّصْدِيقُ . وَٱلتَّصْدِيقُ هُوَ ٱلْإِقْرَارُ . وَٱلْإِقْرَارُ هُوَ ٱلْأَدَاءُ . وَٱلْأَدَاءُ هُوَ ٱلْعَمَلُ ٱلصَّالِحُ

وَقَالَ ع : عَجِبْتُ لِلْبَخِيلِ يَسْتَعْجِلُ ٱلْفَقْرَ(٥) ٱلَّذِي مِنْهُ هَرَبَ ،

فى شهوات النفس والثانى عمل فى طاعة الله (١) سفر أى مسافرون . ونبوئهم أى ننزلهم فى أجداثهم أى قبورهم . والتراث أى الميراث (٢) الجائحة : الآفة تهلك الأصل والفرع (٣) الخليقة : الخلق والطبيعة (٤) أى تؤدى إلى الكفر فانها تحرم على الرجل ما أحل الله له من زواج متعددات ، أما غيرة الرجل فتحريم لما حرمه الله وهو الزنا (٥) الفقر ما قصر بك عن درك حاجاتك . والبخيل تكون له الحاجة فلا يقضيها

وَيَفُوتُهُ ٱلْغِـنَى ٱلَّذِى إِيَّاهُ طَلَبَ . فَيَعِيشُ فِى ٱلدُّنْيَا عَيْشَ ٱلْفُقَرَاءِ . وَيُحَاسَبُ فِى ٱلْآخِرَةِ حِسَابَ ٱلْأَغْنِيَاءِ . وَعَجِبْتُ لِلْمُتَكَبِّرِ ٱلَّذِى كَانَ بِالْأَمْسِ نُطْفَةً وَيَكُونُ غَـدًا جِيفَةً . وَعَجِبْتُ لِمَنْ شَكَّ فِى ٱللّٰهِ وَهُوَ يَرَى خَلْقَ ٱللّٰهِ . وَعَجِبْتُ لِمَنْ نَسِيَ ٱلْمَوْتَ وَهُوَ يَرَى ٱلْمَوْتَى . وَعَجِبْتُ لِمَنْ أَنْـكَرَ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَى وَهُوَ يَرَى ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَى . وَعَجِبْتُ لِعَامِرٍ دَارَ ٱلْفَنَاءِ وَتَارِكٍ دَارَ ٱلْبَقَاءِ

وَقَالَ ع : مَنْ قَصَّرَ فِى ٱلْعَمَلِ ٱبْتُلِىَ بِالْهَمِّ (١) وَلَا حَاجَةَ لِلّٰهِ فِيمَنْ لَيْسَ لِلّٰهِ فِى مَالِهِ وَنَفْسِهِ نَصِيبٌ

وَقَالَ ع : تَوَقَّوْا ٱلْبَرْدَ فِى أَوَّلِهِ ، وَتَلَقَّوْهُ فِى آخِرِهِ فَإِنَّهُ يَفْعَلُ فِى ٱلْأَبْدَانِ كَفِعْلِهِ فِى ٱلْأَشْجَارِ . أَوَّلُهُ يُحْرِقُ وَآخِرُهُ يُورِقُ (٢)

وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : عِظَمُ ٱلْخَالِقِ عِنْدَكَ يُصَغِّرُ ٱلْمَخْلُوقَ فِى عَيْنِكَ

وَقَالَ ع : وَقَدْ رَجَعَ مِنْ صِفِّينَ فَأَشْرَفَ عَلَى ٱلْقُبُورِ بِظَاهِرِ ٱلْكُوفَةِ)

ويكون عليه الحق فلا يؤديه ، فحاله حال الفقراء يحتمل مايحتملون ، فقد استعجل بالفقر وهو يهرب منه بجمع المال (١) الهم هم الحسرة على فوات ثمراته . ومن لم يجعل لله نصيبه فى ماله بالبذل فى سبيله ولا روحه باحتمال التعب فى إعزاز دينه فلا يكون له رجاء فى فضل الله فانه لايكون فى الحقيقة عبد الله بل عبد نفسه والشيطان (٢) ولأنه فى أوله يأتى على عهد من الأبدان بالحر فيؤذيها ، أما فى آخره فيمسها بعد تعودها

يَا أَهْلَ الدِّيَارِ الْمُوحِشَةِ[١] وَالْمَحَالِّ الْمُقْفِرَةِ، وَالْقُبُورِ الْمُظْلِمَةِ. يَا أَهْلَ التُّرْبَةِ. يَا أَهْلَ الْغُرْبَةِ، يَا أَهْلَ الْوَحْدَةِ يَا أَهْلَ الْوَحْشَةِ أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ سَابِقٌ[٢] وَنَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ لَاحِقٌ. أَمَّا الدُّورُ فَقَدْ سُكِنَتْ[٣]. وَأَمَّا الْأَزْوَاجُ فَقَدْ نُكِحَتْ. وَأَمَّا الْأَمْوَالُ فَقَدْ قُسِمَتْ. هٰذَا خَبَرُ مَا عِنْدَنَا فَمَا خَبَرُ مَا عِنْدَكُمْ؟ (ثُمَّ الْتَفَتَ إِلَى أَصْحَابِهِ فَقَالَ): أَمَا لَوْ أُذِنَ لَهُمْ فِي الْكَلَامِ لَأَخْبَرُوكُمْ أَنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَى

(وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ سَمِعَ رَجُلًا يَذُمُّ الدُّنْيَا): أَيُّهَا الذَّامُّ لِلدُّنْيَا الْمُغْتَرُّ بِغُرُورِهَا، الْمَخْدُوعُ بِأَبَاطِيلِهَا ثُمَّ تَذُمُّهَا. أَتَغْتَرُّ بِالدُّنْيَا ثُمَّ تَذُمُّهَا. أَنْتَ الْمُتَجَرِّمُ عَلَيْهَا[٤] أَمْ هِيَ الْمُتَجَرِّمَةُ عَلَيْكَ؟ مَتَى اسْتَهْوَتْكَ[٥] أَمْ مَتَى غَرَّتْكَ؟ أَبِمَصَارِعِ آبَائِكَ مِنَ الْبِلَى[٦]؟ أَمْ بِمَضَاجِعِ أُمَّهَاتِكَ تَحْتَ الثَّرَى؟ كَمْ عَلَّلْتَ بِكَفَّيْكَ[٧]. وَكَمْ مَرَّضْتَ بِيَدَيْكَ.

عليه وهو إذ ذاك أخف (١) الموحشة : الموجبة للوحشة ضد الأنس . والمحال : جمع محل أى الأماكن المقفرة من أقفر المكان إذا لم يكن به ساكن ولا نابت (٢) الفرط — بالتحريك — : المتقدم إلى الماء للواحد والجمع . والكلام هنا على الاطلاق أى المتقدمون . والتبع — بالتحريك — أيضا التابع (٣) أى أن دياركم سكنها غيركم ، ونساؤكم تزوجت ، وأموالكم قسمت ، فهذه أخبارنا اليكم (٤) تجرم عليه : ادعى عليه الجرم بالضم أى الذنب (٥) استهواه ذهب بعقله وأذله خيره (٦) البلى — بكسر الباء — : الفناء بالتحلل . والمصرع : مكان الانصراع أى السقوط أى أماكن سقوط آبائك من الفناء . والثرى : التراب (٧) علل المريض : خدمه فى علته . كمرضه :

تبغي لهم الشفاء(١) وتستوصف لهم الأطباء. لم ينفع أحدهم إشفاقك(٢) ولم تسعف فيه بطلبتك. ولم تدفع عنهم بقوتك. قد مثلت لك به الدنيا نفسك(٣) وبمصرعه مصرعك. إن الدنيا دار صدق لمن صدقها، ودار عافية لمن فهم عنها، ودار غنى لمن تزود منها(٤)، ودار موعظة لمن اتعظ بها. مسجد أحباء الله، ومصلى ملائكة الله، ومهبط وحي الله ومتجر أولياء الله. اكتسبوا فيها الرحمة، وربحوا فيها الجنة. فمن ذا يذمها وقد آذنت ببينها(٥)، ونادت بفراقها، ونعت نفسها وأهلها فمثلت لهم ببلائها البلاء، وشوقتهم بسرورها إلى السرور راحت بعافية(٦) وابتكرت بفجيعة. ترغيباً وترهيباً، وتخويفاً وتحذيراً، فذمها رجال غداة الندامة(٧)، وحمدها آخرون يوم القيامة. ذكرتهم الدنيا فتذكروا، وحدثتهم فصدقوا، ووعظتهم فاتعظوا

خدمه في مرضه (١) الضمير في لهم يعود على الكثير المفهوم من كم. واستوصف الطبيب: طلب منه وصف الدواء بعد تشخيص الداء (٢) اشفاقك: خوفك. والطلبة - بالكسر -: المطلوب. وأسعفه بمطلوبه: أعطاه إياه على ضرورة إليه (٣) أي أن الدنيا جعلت الهالك قبلك مثالا لنفسك تقيسها عليه (٤) أي أخذ منها زاده للآخرة (٥) آذنت - بمد الهمزة - أي أعلمت أهلها ببينها أي ببعدها وزوالها عنهم. ونعاه إذا أخبر بفقده. والدنيا أخبرت بفنائها وفناء أهلها بما ظهر من أحوالها (٦) راح اليه: وافاه وقت العشي، أي أنها تمشي بعافية وتبتكر أي تصبح بفجيعة أي بمصيبة فاجعة (٧) أي ذموها عند ما أصبحوا نادمين على مافرطوا فيها أما الذين حمدوها فهم

وَقَالَ ع : إِنَّ لِلَّهِ مَلَكاً يُنَادِي فِي كُلِّ يَوْمٍ : لِدُوا لِلْمَوْتِ[١] ، وَاجْمَعُوا لِلْفَنَاءِ ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ

وَقَالَ ع الدُّنْيَا دَارُ مَمَرٍّ إِلَى دَارِ مَقَرٍّ . وَالنَّاسُ فِيهَا رَجُلَانِ : رَجُلٌ بَاعَ فِيهَا نَفْسَهُ فَأَوْبَقَهَا[٢] ، وَرَجُلٌ ابْتَاعَ نَفْسَهُ فَأَعْتَقَهَا

وَقَالَ ع : لَا يَكُونُ الصَّدِيقُ صَدِيقاً حَتَّى يَحْفَظَ أَخَاهُ فِي ثَلَاثٍ[٣] : فِي نَكْبَتِهِ ، وَغَيْبَتِهِ وَوَفَاتِهِ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ أُعْطِيَ أَرْبَعاً لَمْ يُحْرَمْ أَرْبَعاً : مَنْ أُعْطِيَ الدُّعَاءَ لَمْ يُحْرَمِ الْإِجَابَةَ[٤] وَمَنْ أُعْطِيَ التَّوْبَةَ لَمْ يُحْرَمِ الْقَبُولَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الِاسْتِغْفَارَ لَمْ يُحْرَمِ الْمَغْفِرَةَ ، وَمَنْ أُعْطِيَ الشُّكْرَ لَمْ يُحْرَمِ الزِّيَادَةَ وَتَصْدِيقُ ذَلِكَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ فِي الدُّعَاءِ « ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ » وَقَالَ فِي الِاسْتِغْفَارِ « وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءاً أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُوراً رَحِيماً » وَقَالَ فِي الشُّكْرِ « لَئِنْ شَكَرْتُمْ

الذين عملوا لجنوا ثمرة أعمالهم ذكرتهم بحوادثها فانتبهوا لما يجب عليهم . وكأنها بتقلبها تحدثهم بما فيه العبرة وتحكى لهم مابه العظة (١) أمر من الولادة (٢) باع نفسه لهواه وشهواته فأوبقها أى أهلكها . وابتاع نفسه أى اشتراها وخلصها من أسر الشهوات (٣) أى لايضيع شيئا من حقوقه فى الأحوال الثلاثة (٤) المراد بالدعاء المجاب ما كان مقرونا باستعداد بأن يصحبه العمل لنيل المطلوب . والتوبة والاستغفار ما كانا ندما على الذنب يمنع من العود اليه . والشكر تصريف النعم فى وجوهها المشروعة

لَأَزِيدَنَّكُمْ» وَقَالَ فِي ٱلتَّوْبَةِ «إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَٰئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً»

وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ٱلصَّلَاةُ قُرْبَانُ كُلِّ تَقِيٍّ. وَٱلْحَجُّ جِهَادُ كُلِّ ضَعِيفٍ، وَلِكُلِّ شَيْءٍ زَكَاةٌ، وَزَكَاةُ ٱلْبَدَنِ ٱلصِّيَامُ، وَجِهَادُ ٱلْمَرْأَةِ حُسْنُ ٱلتَّبَعُّلِ (١)

وَقَالَ ع: ٱسْتَنْزِلُوا ٱلرِّزْقَ بِالصَّدَقَةِ

وَقَالَ ع: مَنْ أَيْقَنَ بِٱلْخَلَفِ جَادَ بِٱلْعَطِيَّةِ

وَقَالَ ع: تَنْزِلُ ٱلْمَعُونَةُ عَلَى قَدْرِ ٱلْمَؤُونَةِ

وَقَالَ ع: مَا أَعَالَ مَنِ ٱقْتَصَدَ (٢)

وَقَالَ ع: قِلَّةُ ٱلْعِيَالِ أَحَدُ ٱلْيَسَارَيْنِ وَٱلتَّوَدُّدُ نِصْفُ ٱلْعَقْلِ

وَقَالَ ع: ٱلْهَمُّ نِصْفُ ٱلْهَرَمِ

وَقَالَ ع: يَنْزِلُ ٱلصَّبْرُ عَلَى قَدْرِ ٱلْمُصِيبَةِ. وَمَنْ ضَرَبَ يَدَهُ عَلَى فَخِذِهِ عِنْدَ مُصِيبَتِهِ حَبِطَ عَمَلُهُ (٣)

---

(١) التبعل إطاعة الزوج (٢) من اقتصد أي أنفق في غير اسراف، فلا يعول على وزن يكرم أي لايفتقر. وفي نسخة عال بلا همز، ومعناه ماجار عن الحق من أخذ بالاقتصاد (٣) أي حرم من ثواب أعماله فكأنها بطلت

وَقَالَ ع : كَمْ مِنْ صَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ صِيَامِهِ إِلَّا الظَّمَأُ . وَكَمْ مِنْ قَائِمٍ لَيْسَ لَهُ مِنْ قِيَامِهِ إِلَّا السَّهَرُ وَالْعَنَاءُ . حَبَّذَا نَوْمُ الْأَكْيَاسِ وَإِفْطَارُهُمْ(١)

وَقَالَ ع : سُوسُوا إِيمَانَكُمْ بِالصَّدَقَةِ(٢) ، وَحَصِّنُوا أَمْوَالَكُمْ بِالزَّكَاةِ وَادْفَعُوا أَمْوَاجَ الْبَلَاءِ بِالدُّعَاءِ

(وَمِنْ كَلَامٍ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيِّ)

(قَالَ كُمَيْلُ بْنُ زِيَادٍ : أَخَذَ بِيَدِي أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَأَخْرَجَنِي إِلَى الْجَبَّانِ(٣) ، فَلَمَّا أَصْحَرَ تَنَفَّسَ الصُّعَدَاءَ ثُمَّ قَالَ) : يَا كُمَيْلُ إِنَّ هٰذِهِ الْقُلُوبَ أَوْعِيَةٌ(٤) فَخَيْرُهَا أَوْعَاهَا . فَاحْفَظْ عَنِّي مَا أَقُولُ لَكَ

اَلنَّاسُ ثَلَاثَةٌ : فَعَالِمٌ رَبَّانِيٌّ(٥) وَمُتَعَلِّمٌ عَلَى سَبِيلِ نَجَاةٍ ، وَهَمَجٌ رَعَاعٌ

---

(١) الأكياس : جمع كيس ـ بتشديد الياء ـ أى العقلاء العارفون يكون نومهم وفطرهم أفضل من صوم الحمق وقيامهم (٢) السياسة حفظ الشيء بما يحوطه من غيره، فسياسة الرعية حفظ نظامها بقوة الرأى والأخذ بالحدود ، والصدقة تستحفظ الشفقة ، والشفقة تستزيد الايمان وتذكر الله. والزكاة أداء حق الله من المال ، وأداء الحق حصن النعمة (٣) الجبان ـ كالجبانة ـ : المقبرة. وأصحر أى صار فى الصحراء (٤) أوعية : جمع وعاء. وأوعاها أحفظها (٥) العالم الربانى هو المتأله العارف بالله . والمتعلم على طريق النجاة إذا أتم علمه نجا . والهمج ـ محركة ـ : الحمق من الناس . والرعاع ـ كسحاب ـ : الأحداث

أَتْبَاعُ كُلِّ نَاعِقٍ يَمِيلُونَ مَعَ كُلِّ رِيحٍ، لَمْ يَسْتَضِيئُوا بِنُورِ الْعِلْمِ ، وَلَمْ يَلْجَأُوا إِلَى رُكْنٍ وَثِيقٍ

يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ خَيْرٌ مِنَ الْمَالِ . وَالْعِلْمُ يَحْرُسُكَ وَأَنْتَ تَحْرُسُ الْمَالَ . الْمَالَ تَنْقُصُهُ النَّفَقَةُ وَالْعِلْمُ يَزْكُو عَلَى الْإِنْفَاقِ ، وَصَنِيعُ الْمَالِ يَزُولُ بِزَوَالِهِ[1] .

يَا كُمَيْلُ الْعِلْمُ دِينٌ يُدَانُ بِهِ . بِهِ يَكْسِبُ الْإِنْسَانُ الطَّاعَةَ فِي حَيَاتِهِ، وَجَمِيلَ الْأُحْدُوثَةِ بَعْدَ وَفَاتِهِ. وَالْعِلْمُ حَاكِمٌ وَالْمَالُ مَحْكُومٌ عَلَيْهِ

يَا كُمَيْلُ هَلَكَ خُزَّانُ الْأَمْوَالِ وَهُمْ أَحْيَاءٌ ، وَالْعُلَمَاءُ بَاقُونَ مَا بَقِيَ الدَّهْرُ . أَعْيَانُهُمْ مَفْقُودَةٌ ، وَأَمْثَالُهُمْ فِي الْقُلُوبِ مَوْجُودَةٌ . هَا ، إِنَّ هٰهُنَا لَعِلْمًا جَمًّا (وَأَشَارَ إِلَى صَدْرِهِ) لَوْ أَصَبْتُ لَهُ حَمَلَةً[2] ، بَلَى أَصَبْتُ لَقِنًا غَيْرَ مَأْمُونٍ عَلَيْهِ[3]، مُسْتَعْمِلًا آلَةَ الدِّينِ لِلدُّنْيَا ، وَمُسْتَظْهِرًا بِنِعَمِ اللهِ

الطغام الذين لامنزلة لهم فى الناس . والناعق مجاز عن الداعى إلى باطل أو حق

(١) من كان صنيعا لك متحببا اليك لما لك زال ماتراه منه بزوال مالك ، أما صنيع العلم فيبقى مابقى العلم ، فانما العالم فى قومه كالنبى فى أمته ، فالعلم أشبه شىء بالدين ـ بكسر الدال ـ يوجب على المتدينين طاعة صاحبه فى حياته والثناء عليه بعد موته (٢) الحملة ـ بالتحريك ـ : جمع حامل . وأصبت بمعنى وجدت ، أى لو وجدت له حاملين لأبرزته وبثثته (٣) اللقن ـ بفتح فكسر ـ : من يفهم بسرعة ، إلا أن العلم لايطبع أخلاقه على الفضائل ، فهو يستعمل وسائل الدين لجلب الدنيا ، ويستعين بنعم الله على ايذاء

عَلَى عِبَادِهِ، وَبِحُجَجِهِ عَلَى أَوْلِيَائِهِ، أَوْ مُنْقَادًا لِحَمَلَةِ الْحَقِّ[١] لَا بَصِيرَةَ لَهُ فِي أَحْنَائِهِ، يَنْقَدِحُ الشَّكُّ فِي قَلْبِهِ لِأَوَّلِ عَارِضٍ مِنْ شُبْهَةٍ. أَلَا لَاذَا وَلَا ذَاكَ[٢]، أَوْ مَنْهُومًا بِاللَّذَّةِ[٣] سَلِسَ الْقِيَادِ لِلشَّهْوَةِ، أَوْ مُغْرَمًا بِالْجَمْعِ وَالِادِّخَارِ لَيْسَا مِنْ رُعَاةِ الدِّينِ فِي شَيْءٍ. أَقْرَبُ شَيْءٍ شَبَهًا بِهِمَا الْأَنْعَامُ السَّائِمَةُ، كَذَلِكَ يَمُوتُ الْعِلْمُ بِمَوْتِ حَامِلِيهِ

اللَّهُمَّ بَلَى، لَا تَخْلُو الْأَرْضُ مِنْ قَائِمٍ لِلَّهِ بِحُجَّةٍ. إِمَّا ظَاهِرًا مَشْهُورًا أَوْ خَائِفًا مَغْمُورًا[٤] لِئَلَّا تَبْطُلَ حُجَجُ اللَّهِ وَبَيِّنَاتُهُ. وَكَمْ ذَا[٥]؟ وَأَيْنَ أُولَئِكَ؟ أُولَئِكَ وَاللَّهِ الْأَقَلُّونَ عَدَدًا وَالْأَعْظَمُونَ قَدْرًا. يَحْفَظُ اللَّهُ بِهِمْ حُجَجَهُ وَبَيِّنَاتِهِ حَتَّى يُودِعُوهَا نُظَرَاءَهُمْ وَيَزْرَعُوهَا فِي قُلُوبِ أَشْبَاهِهِمْ هَجَمَ بِهِمُ الْعِلْمُ عَلَى حَقِيقَةِ الْبَصِيرَةِ، وَبَاشَرُوا رُوحَ الْيَقِينِ، وَاسْتَلَانُوا مَا اسْتَوْعَرَهُ الْمُتْرَفُونَ[٦]، وَأَنِسُوا بِمَا اسْتَوْحَشَ مِنْهُ الْجَاهِلُونَ، وَصَحِبُوا

عباده (١) المنقاد لحاملي الحق هو المقلد في القول والعمل ولا بصيرة له في دقائق الحق وخفاياه، فذاك يسرع الشك إلى قلبه لأول شبهة (٢) لايصلح لحمل العلم واحد منهما (٣) المنهوم: المفرط في شهوة الطعام. وسلس القياد: سهله. والمغرم بالجمع: المولع بكسب المال واكتنازه، وهذان ليسا ممن يرعى الدين في شيء. والأنعام أي البهائم السائمة أقرب شبهاً بهذين، فهما أحط درجة من راعية البهائم لأنها لم تسقط عن منزلة أعدتها لها الفطرة، أما هما فقد سقطا واختارا الأدنى على الأعلى (٤) غمره الظلم حتى غطاه فهو لايظهر (٥) استفهام عن عدد القائمين لله بحجته، واستقلال له. وقوله وأين أولئك: استفهام عن أمكنتهم وتنبيه على خفائها (٦) عدوا ما استخشنه المنعمون

الدُّنيا بِأَبْدَانٍ أَرْوَاحُهَا مُعَلَّقَةٌ بِالْمَحَلِّ الْأَعْلَى . أُولَئِكَ خُلَفَاءُ اللهِ فِي أَرْضِهِ وَالدُّعَاةُ إِلَى دِينِهِ . آهِ آهِ شَوْقاً إِلَى رُؤْيَتِهِمْ . انْصَرِفْ إِذَا شِئْتَ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْمَرْءُ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ(١)

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلَكَ امْرُؤٌ لَمْ يَعْرِفْ قَدْرَهُ

وَقَالَ ع : (لِرَجُلٍ سَأَلَهُ أَنْ يَعِظَهُ) : لَا تَكُنْ مِمَّنْ يَرْجُو الْآخِرَةَ بِغَيْرِ الْعَمَلِ ، وَيُرَجِّي التَّوْبَةَ(٢) بِطُولِ الْأَمَلِ . يَقُولُ فِي الدُّنْيَا بِقَوْلِ الزَّاهِدِينَ ، وَيَعْمَلُ فِيهَا بِعَمَلِ الرَّاغِبِينَ . إِنْ أُعْطِيَ مِنْهَا لَمْ يَشْبَعْ ، وَإِنْ مُنِعَ مِنْهَا لَمْ يَقْنَعْ . يَعْجِزُ عَنْ شُكْرِ مَا أُوتِيَ ، وَيَبْتَغِي الزِّيَادَةَ فِيمَا بَقِيَ يَنْهَى وَلَا يَنْتَهِي وَيَأْمُرُ بِمَا لَا يَأْتِي . يُحِبُّ الصَّالِحِينَ وَلَا يَعْمَلُ عَمَلَهُمْ ، وَيُبْغِضُ الْمُذْنِبِينَ وَهُوَ أَحَدُهُمْ . يَكْرَهُ الْمَوْتَ لِكَثْرَةِ ذُنُوبِهِ ، وَيُقِيمُ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَوْتَ لَهُ(٣) إِنْ سَقِمَ ظَلَّ نَادِماً(٤) ، وَإِنْ صَحَّ أَمِنَ لَاهِياً . يُعْجِبُ بِنَفْسِهِ إِذَا عُوفِيَ وَيَقْنَطُ إِذَا ابْتُلِيَ . إِنْ أَصَابَهُ بَلَاءٌ دَعَا مُضْطَرّاً وَإِنْ نَالَهُ رَخَاءٌ أَعْرَضَ مُغْتَرّاً . تَغْلِبُهُ نَفْسُهُ عَلَى مَا تَظُنُّ وَلَا يَغْلِبُهَا

لينا وهو الزهد (١) إنما يظهر عقل المرء وفضله بما يصدر عن لسانه فكأنه قد خبيء تحت لسانه فاذا تحرك اللسان انكشف (٢) يرجي بالتشديد أي يؤخر التوبة (٣) الذي يكره الموت لأجله هو الذنوب . وأقام عليها : داوم على إتيانها (٤) إن اصابه السقم لازم الندم على التفريط أيام الصحة ، فاذا عادت له الصحة غره الأمن

عَلَى مَا يَسْتَيْقِنُ(١) . يَخَافُ عَلَى غَيْرِهِ بِأَدْنَى مِنْ ذَنْبِهِ . وَيَرْجُو لِنَفْسِهِ بِأَكْثَرَ مِنْ عَمَلِهِ . إِنِ اسْتَغْنَى بَطِرَ وَفُتِنَ(٢) ، وَإِنِ افْتَقَرَ قَنِطَ وَوَهَنَ . يُقَصِّرُ إِذَا عَمِلَ ، وَيُبَالِغُ إِذَا سَأَلَ . إِنْ عَرَضَتْ لَهُ شَهْوَةٌ أَسْلَفَ الْمَعْصِيَةَ(٣) وَسَوَّفَ التَّوْبَةَ . وَإِنْ عَرَتْهُ مِحْنَةٌ انْفَرَجَ عَنْ شَرَائِطِ الْمِلَّةِ(٤) . يَصِفُ الْعِبْرَةَ وَلَا يَعْتَبِرُ(٥) وَيُبَالِغُ فِي الْمَوْعِظَةِ وَلَا يَتَّعِظُ . فَهُوَ بِالْقَوْلِ مُدِلٌّ(٦) وَمِنَ الْعَمَلِ مُقِلٌّ . يُنَافِسُ فِيمَا يَفْنَى ، وَيُسَامِحُ فِيمَا يَبْقَى . يَرَى الْغُنْمَ مَغْرَمًا(٧) ، وَالْغُرْمَ مَغْنَمًا . يَخْشَى الْمَوْتَ وَلَا يُبَادِرُ الْفَوْتَ(٨) . يَسْتَعْظِمُ مِنْ مَعْصِيَةِ غَيْرِهِ مَا يَسْتَقِلُّ أَكْثَرَ مِنْهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَيَسْتَكْثِرُ مِنْ طَاعَتِهِ مَا يَحْقِرُ مِنْ طَاعَةِ غَيْرِهِ . فَهُوَ عَلَى النَّاسِ طَاعِنٌ وَلِنَفْسِهِ مُدَاهِنٌ . اللَّغْوُ مَعَ الْأَغْنِيَاءِ أَحَبُّ إِلَيْهِ مِنَ الذِّكْرِ مَعَ الْفُقَرَاءِ . يَحْكُمُ عَلَى غَيْرِهِ لِنَفْسِهِ وَلَا يَحْكُمُ عَلَيْهَا لِغَيْرِهِ ، وَيُرْشِدُ غَيْرَهُ وَيُغْوِي نَفْسَهُ . فَهُوَ

وغرق فى اللهو (١) هو على يقين من أن السعادة فى الزهادة والشرف فى الفضيلة ، ثم لايقهر نفسه على اكتسابهما ، وإذا ظن بل توهم لذة حاضرة أو منفعة عاجلة دفعته نفسه اليها و إن هلك (٢) بطر - كفرح - : اغتر بالنعمة ، والغرور فتنة ، والقنوط : اليأس . والوهن : الضعف (٣) أسلف : قدم . وسوف : أخر (٤) شرائط الملة : الثبات والصبر واستعانة الله على الخلاص عند عرو المحن أى طروق البلايا . وانفرج عنها أى انخلع و بعد (٥) العبرة - بالكسر - : تنبه النفس لما يصيب غيرها فتحترس من اتيان أسبابه (٦) أدل على أقرانه : استعلى عليهم (٧) الغنم - بالضم -: الغنيمة . والمغرم : الغرامة . والأعمال العظيمة غنيمة العقلاء . والشهوات خسارة الأعمار (٨) الفوت فوات الفرصة وانقضاؤها . وبادره : عاجله قبل أن يذهب

يُطَاعُ وَيَعْصِي ، وَيَسْتَوْفِي وَلَا يُوفِي ، وَيَخْشَى الْخَلْقَ فِي غَيْرِ رَبِّهِ[١] وَلَا يَخْشَى رَبَّهُ فِي خَلْقِهِ

(وَلَوْ لَمْ يَكُنْ فِي هٰذَا الْكِتَابِ إِلَّا هٰذَا الْكَلَامُ لَكَفَى بِهِ مَوْعِظَةً نَاجِعَةً وَحِكْمَةً بَالِغَةً وَبَصِيرَةً لِمُبْصِرٍ وَعِبْرَةً لِنَاظِرٍ مُفَكِّرٍ)

وَقَالَ ع : لِكُلِّ امْرِئٍ عَاقِبَةٌ حُلْوَةٌ أَوْ مُرَّةٌ

وَقَالَ ع : لِكُلِّ مُقْبِلٍ إِدْبَارٌ وَمَا أَدْبَرَ كَأَنْ لَمْ يَكُنْ

وَقَالَ ع : لَا يَعْدَمُ الصَّبُورُ الظَّفَرَ وَإِنْ طَالَ بِهِ الزَّمَانُ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الرَّاضِي بِفِعْلِ قَوْمٍ كَالدَّاخِلِ فِيهِ مَعَهُمْ ، وَعَلَى كُلِّ دَاخِلٍ فِي بَاطِلٍ إِثْمَانِ إِثْمُ الْعَمَلِ بِهِ وَإِثْمُ الرِّضَى بِهِ

وَقَالَ ع : اعْتَصِمُوا بِالذِّمَمِ فِي أَوْتَادِهَا[٢]

وَقَالَ ع : عَلَيْكُمْ بِطَاعَةِ مَنْ لَا تُعْذَرُونَ بِجَهَالَتِهِ[٣]

وَقَالَ ع : قَدْ بُصِّرْتُمْ إِنْ أَبْصَرْتُمْ[٤] ، وَقَدْ هُدِيتُمْ إِنِ اهْتَدَيْتُمْ وَأُسْمِعْتُمْ إِنِ اسْتَمَعْتُمْ

(١) أى يخشى الخلق فيعمل لغير الله خوفا منه ، ولكنه لايخاف الله فيضر عباده ولا ينفع خلقه (٢) تحصنوا بالذمم أى العهود واعقدوها بأوتادها أى الرجال أهل النجدة الذين يوفون بها ، وإياكم والركون لعهد من لاعهد له (٣) أى عليكم بطاعة عاقل لاتكون له جهالة تعتذرون بها عند البراءة من عيب السقوط فى مخاطر أعماله فيقبل عذركم فى اتباعه (٤) كشف الله لكم عن الخير والشر فان كانت لكم

وَقَالَ ع : عَاتِبْ أَخَاكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَارْدُدْ شَرَّهُ بِالْإِنْعَامِ عَلَيْهِ

وَقَالَ ع : مَنْ وَضَعَ نَفْسَهُ مَوَاضِعَ التُّهْمَةِ فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ

وَقَالَ ع : مَنْ مَلَكَ اسْتَأْثَرَ(١)

وَقَالَ ع : مَنِ اسْتَبَدَّ بِرَأْيِهِ هَلَكَ ، وَمَنْ شَاوَرَ الرِّجَالَ شَارَكَهَا فِي عُقُولِهَا .

وَقَالَ ع : مَنْ كَتَمَ سِرَّهُ كَانَتِ الْخِيَرَةُ بِيَدِهِ(٢)

وَقَالَ ع : الْفَقْرُ الْمَوْتُ الْأَكْبَرُ

وَقَالَ ع : مَنْ قَضَى حَقَّ مَنْ لَا يَقْضِي حَقَّهُ فَقَدْ عَبَدَهُ(٣)

وَقَالَ ع : لَا طَاعَةَ لِمَخْلُوقٍ فِي مَعْصِيَةِ الْخَالِقِ

وَقَالَ ع : لَا يُعَابُ الْمَرْءُ بِتَأْخِيرِ حَقِّهِ(٤) إِنَّمَا يُعَابُ مَنْ أَخَذَ مَا لَيْسَ لَهُ

وَقَالَ ع : الْإِعْجَابُ يَمْنَعُ مِنَ الِازْدِيَادِ(٥)

وَقَالَ ع : الْأَمْرُ قَرِيبٌ(٦) ، وَالِاصْطِحَابُ قَلِيلٌ

أبصار فأبصروا ، وكذا يقال فيما بعده (١) استبد (٢) مثلا لو أسر عزيمة فله الخيار في انفاذها أو فسخها ، بخلاف مالو أفشاها فربما ألزمته البواعث على فعلها أو أجبرته العوائق التي تعرض له من افشائها على فسخها ، وعلى هذا القياس (٣) لأن العبادة خضوع لمن لا تطالبه بجزائه اعترافا بعظمته (٤) المتسامح في حقه لا يعاب وإنما يعاب سالب حق غيره (٥) من أعجب بنفسه وثق بكمالها فلم يطلب لها الزيادة في الكمال فلا يزيد بل ينقص (٦) أمر الآخرة قريب ، والاصطحاب في الدنيا قصير الزمن قليل

وَقَالَ ع : قَدْ أَضَاءَ ٱلصُّبْحُ لِذِى عَيْنَيْنِ

وَقَالَ ع : تَرْكُ ٱلذَّنْبِ أَهْوَنُ مِنْ طَلَبِ ٱلتَّوْبَةِ

وَقَالَ ع : كَمْ مِنْ أَكْلَةٍ مَنَعَتْ أَكَلَاتٍ(١)

وَقَالَ ع : النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا

وَقَالَ ع : مَنِ ٱسْتَقْبَلَ وُجُوهَ ٱلْآرَاءِ عَرَفَ مَوَاقِعَ ٱلْخَطَإِ(٢)

وَقَالَ ع : مَنْ أَحَدَّ سِنَانَ ٱلْغَضَبِ لِلَّهِ قَوِيَ عَلَى قَتْلِ أَشِدَّاءِ ٱلْبَاطِلِ(٣)

وَقَالَ ع : إِذَا هِبْتَ أَمْراً فَقَعْ فِيهِ(٤) فَإِنَّ شِدَّةَ تَوَقِّيهِ أَعْظَمُ مِمَّا تَخَافُ مِنْهُ

وَقَالَ ع : آلَةُ ٱلرِّيَاسَةِ سَعَةُ ٱلصَّدْرِ

وَقَالَ ع : إِزْجُرِ ٱلْمُسِيءَ بِثَوَابِ ٱلْمُحْسِنِ(٥)

وَقَالَ ع : أُحْصُدِ ٱلشَّرَّ مِنْ صَدْرِ غَيْرِكَ بِقَلْعِهِ مِنْ صَدْرِكَ

وَقَالَ ع : اَللَّجَاجَةُ تَسُلُّ ٱلرَّأْيَ(٦)

وَقَالَ ع : الطَّمَعُ رِقٌّ مُؤَبَّدٌ

---

(١) رب شخص أكل مرة فأفرط فابتلى بالتخمة ومرض المعدة وامتنع عليه الاكل أياما (٢) من طلب الآراء من وجوهها الصحيحة انكشف له موقع الخطأ فاحترس منه (٣) أحد — بفتح الهمزة والحاء وتشديد الدال — أى شحذ . والسنان نصل الرمح، أى من اشتد غضبه لله اقتدر على قهر أهل الباطل وإن كانوا أشداء (٤) إذا تخوفت من أمر فادخل فيه فان ألم الخوف منه أشد من مصيبة الوقوع فيه (٥) إذا كافأت المحسن على إحسانه أقلع المسيء عن اساءته طلباً للمكافأة (٦) اللجاجة : شدة

وَقَالَ ع : ثَمَرَةُ ٱلتَّفْرِيطِ ٱلنَّدَامَةُ ، وَثَمَرَةُ ٱلْحَزْمِ ٱلسَّلَامَةُ

وَقَالَ ع : لَا خَيْرَ فِي ٱلصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِٱلْجَهْلِ

وَقَالَ ع : مَا ٱخْتَلَفَتْ دَعْوَتَانِ إِلَّا كَانَتْ إِحْدَاهُمَا ضَلَالَةً (١)

وَقَالَ ع : مَا شَكَكْتُ فِي ٱلْحَقِّ مُذْ أُرِيتُهُ

وَقَالَ ع : مَا كَذَبْتُ وَلَا كُذِّبْتُ وَلَا ضَلَلْتُ وَلَا ضُلَّ بِي

وَقَالَ ع : لِلظَّالِمِ ٱلْبَادِي غَدًا بِكَفِّهِ عَضَّةٌ (٢)

وَقَالَ ع : ٱلرَّحِيلُ وَشِيكٌ (٣)

وَقَالَ ع : مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ (٤)

وَقَالَ ع : مَنْ لَمْ يُنْجِهِ ٱلصَّبْرُ أَهْلَكَهُ ٱلْجَزَعُ

وَقَالَ ع : وَاعَجَبَاهُ أَتَكُونُ ٱلْخِلَافَةُ بِٱلصَّحَابَةِ وَٱلْقَرَابَةِ . وَرُوِيَ لَهُ شِعْرٌ فِي هٰذَا ٱلْمَعْنَى :

فَإِنْ كُنْتَ بِٱلشُّورَى مَلَكْتَ أُمُورَهُمْ
فَكَيْفَ بِهٰذَا وَٱلْمُشِيرُونَ غُيَّبٌ (٥)

الخصام تعصبا لا للحق ، وهى تسل الرأى أى تذهب به وتنزعه (١) لأن الحق واحد (٢) يعض الظالم على يده ندما يوم القيامة (٣) الرحيل من الدنيا إلى الآخرة قريب (٤) من ظهر بمقاومة الحق هلك . وابداء الصفحة : إظهار الوجه . وقد يكون المعنى من أعرض عن الحق ، والصفحة تظهر عندالاعراض بالجانب (٥) جمع غائب ، يريد

وَإِنْ كُنْتَ بِالْقُرْبَى حَجَجْتَ خَصِيمَهُمْ(١)
فَغَيْرُكَ أَوْلَى بِالنَّبِيِّ وَأَقْرَبُ

وَقَالَ ع : إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ الْمَنَايَا(٢) ، وَنَهْبٌ تُبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ . وَمَعَ كُلِّ جَرْعَةٍ شَرَقٌ(٣) ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقِ أُخْرَى ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْماً مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا بِفِرَاقِ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ . فَنَحْنُ أَعْوَانُ الْمَنُونِ(٤) ، وَأَنْفُسُنَا نُصْبُ الْحُتُوفِ فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ وَهٰذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرَفاً(٥) إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَدْمِ مَا بَنَيَا وَتَفْرِيقِ مَا جَمَعَا

وَقَالَ ع : يَا ابْنَ آدَمَ مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوتِكَ فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ

وَقَالَ ع : إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالاً وَإِدْبَاراً فَأْتُوهَا مِنْ قِبَلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ

بالمشيرين أصحاب الرأى فى الأمر وهم على وأصحابه من بنى هاشم (١) يريد احتجاج أبى بكر رضى الله عنه على الأنصار بأن المهاجرين شجرة النبى صلى الله عليه وسلم (٢) الغرض — بالتحريك — : ماينصب ليصيبه الرامى ، وتنتضل فيه أى تصيبه . وتثبت فيه المنايا جمع منية وهى الموت . والنهب — بفتح فسكون — : ماينهب (٣) الشرق بالتحريك وقوف الماء فى الحلق ، أى مع كل لذة ألم (٤) المنون — بفتح الميم — : الموت وكلما تقدمنا فى العمر تقربنا منه ، فنحن بمعيشتنا أعوانه على أنفسنا ، وأنفسنا نصب الحتوف أى تجاهها . والحتوف : جمع حتف أى هلاك (٥) الشرف المكان

(وَ كَانَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ يَقُولُ) : مَتَى أَشْفِي غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ . أَحِينَ أَعْجِزُ عَنِ ٱلِانْتِقَامِ فَيُقَالُ لِي لَوْ صَبَرْتَ ، أَمْ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ فَيُقَالُ لِي لَوْ عَفَوْتَ(١)

وَقَالَ ع (وَقَدْ مَرَّ بِقَذَرٍ عَلَى مَزْبَلَةٍ) : هٰذَا مَا بَخِلَ بِهِ ٱلْبَاخِلُونَ(٢) (وَرُوِيَ فِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ قَالَ) : هٰذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأَمْسِ

وَقَالَ ع : لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ(٣)

وَقَالَ ع : إِنَّ هٰذِهِ ٱلْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ ٱلْأَبْدَانُ ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ ٱلْحِكْمَةِ

وَقَالَ ع (لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ ٱلْخَوَارِجِ لَا حُكْمَ إِلَّا لِلّٰهِ) : كَلِمَةُ حَقٍّ يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ(٤)

وَقَالَ ع (فِي صِفَةِ ٱلْغَوْغَاءِ) :(٥) هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا ٱجْتَمَعُوا غَلَبُوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا (وَقِيلَ بَلْ مَا قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) :هُمُ ٱلَّذِينَ إِذَا

---

(١) لايصح التشفي على أى حال ، أما فى حال العجز فالصبر أشفى ، وأما عند القدرة فالعفو أجل (٢) تلك الأقذار هى لذائذ الأطعمة التى كان يبخل ببذلها البخلاء ، وهى ما كان الناس يتنافسون فيه كل يطلبه (٣) إذا أحدث فيك ضياع المال بصيرة وحذرا فما اكتسبته خير مما ضاع (٤) فانهم قصدوا بها الاحتجاج على خروجهم من طاعة الخليفة (٥) الغوغاء ــ بغينين معجمتين ــ : أوباش الناس يجتمعون على غير ترتيب ، وهم يغلبون على ما اجتمعوا العالى . والمراد به هنا كل ماعلا من مكان وغيره

أُجْتَمَعُوا ضَرُّوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا (فَقِيلَ قَدْ عَرَفْنَا مَضَرَّةَ أُجْتِمَاعِهِمْ فَمَا مَنْفَعَةُ أُفْتِرَاقِهِمْ ؟فَقَالَ) : يَرْجِعُ أَصْحَابُ ٱلْمِهَنِ إِلَى مِهْنَتِهِمْ فَيَنْتَفِعُ ٱلنَّاسُ بِهِمْ ، كَرُجُوعِ ٱلْبَنَّاءِ إِلَى بِنَائِهِ ، وَٱلنَّسَّاجِ إِلَى مَنْسِجِهِ، وَٱلْخَبَّازِ إِلَى مَخْبَزِهِ (وَأُتِيَ بِجَانٍ وَمَعَهُ غَوْغَاءُ فَقَالَ) : لَا مَرْحَباً بِوُجُوهٍ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْأَةٍ

وَقَالَ ع : إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ ، فَإِذَا جَاءَ ٱلْقَدَرُ خَلَّيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ ، وَإِنَّ ٱلْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ (١)

وَقَالَ ع (وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَٱلزُّبَيْرُ نُبَايِعُكَ عَلَى أَنَّا شُرَكَاؤُكَ فِي هٰذَا ٱلْأَمْرِ) : لَا وَلٰكِنَّكُمَا شَرِيكَانِ فِي ٱلْقُوَّةِ وَٱلِاسْتِعَانَةِ ،وَعَوْنَانِ عَلَى ٱلْعَجْزِ وَٱلْأَوْدِ(٢)

وَقَالَ ع : أَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا ٱللهَ ٱلَّذِي إِنْ قُلْتُمْ سَمِعَ ، وَإِنْ أَضْمَرْتُمْ عَلِمَ . وَبَادِرُوا ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ أَدْرَكَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَكُمْ ، وَإِنْ نَسِيتُمُوهُ ذَكَرَكُمْ

وَقَالَ ع : لَا يُزَهِّدَنَّكَ فِي ٱلْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُ لَكَ ، فَقَدْ

عليه ، ولكنهم إذا تفرقوا لايعرفهم أحد لانحطاط درجة كل منهم (١) الأجل ماقدره الله للحي من مدة العمر ، وهو وقايةمنيعة من المهلكة (٢) الأود ـ بفتح فسكون ـ :

يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ لَا يَسْتَمْتِعُ مِنْهُ ، وَقَدْ تُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ ، وَاللهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ

وَقَالَ ع : كُلُّ وِعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وِعَاءَ الْعِلْمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ[1]

وَقَالَ ع : أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ

وَقَالَ ع : إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيماً فَتَحَلَّمْ فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونَ مِنْهُمْ

وَقَالَ ع : مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَبِحَ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ ، وَمَنِ اعْتَبَرَ أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ

وَقَالَ ع : لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا[2] . وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ « وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ »

وَقَالَ ع : اتَّقُوا اللهَ تَقِيَّةَ مَنْ شَمَّرَ تَجْرِيدًا ، وَجَدَّ تَشْمِيرًا ، وَكَمَّشَ فِي مَهَلٍ[3] ، وَبَادَرَ عَنْ وَجَلٍ ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْئِلِ وَعَاقِبَةِ الْمَصْدَرِ

بلوغ الأمر من الإنسان مجهوده لشدته وصعوبة احتماله (١) وعاء العلم هو العقل ، وهو يتسع بكثرة العلم (٢) الشماس ـ بالكسر ـ : امتناع ظهر الفرس من الركوب . والضروس ـ بفتح فضم ـ : الناقة السيئة الخلق تعض حالبها ، أى أن الدنيا ستنقاد لنا بعد جوحها وتلين بعد خشونتها كما تنعطف الناقة على ولدها وإن أبت على الحالب (٣) كمش ـ بتشديد الميم ـ : جد فى السوق أى وبالغ فى حث نفسه على المسير

وَمَغَبَّةِ ٱلْمَرْجِعِ

وَقَالَ ع: ٱلْجُودُ حَارِسُ ٱلأَعْرَاضِ. وَٱلْحِلْمُ فِدَامُ ٱلسَّفِيهِ(١). وَٱلْعَفْوُ زَكَاةُ ٱلظَّفَرِ. وَٱلسُّلُوُّ عِوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ(٢). وَٱلِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ ٱلْهِدَايَةِ. وَقَدْ خَاطَرَ مَنِ ٱسْتَغْنَى بِرَأْيِهِ. وَٱلصَّبْرُ يُنَاضِلُ ٱلْحِدْثَانَ(٣). وَٱلْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ ٱلزَّمَانِ. وَأَشْرَفُ ٱلْغِنَى تَرْكُ ٱلْمُنَى(٤). وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ تَحْتَ هَوًى أَمِيرٍ(٥) وَمِنَ ٱلتَّوْفِيقِ حِفْظُ ٱلتَّجْرِبَةِ. وَٱلْمَوَدَّةُ قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ. وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولاً(٦)

إلى الله لكن مع تمهل البصيرة . والوجل : الخوف . والموئل : مستقر السير ، يريد به هنا ماينتهى اليه الانسان من سعادة وشقاء . وكرته : حملته واقباله . والمغبة ـ بفتح الميم والغين وتشديد الباء ـ : العاقبة أيضا ، إلا أنه يلاحظ فيها مجرد كونها بعد الأمر . أما العاقبة ففيها أنها مسببة عنه . والمصدر عملك الذى يكون عنه ثوابك وعقابك . والمرجع ماترجع اليه بعد الموت ويتبعه إما السعادة أو الشقاء (١) الفدام ـ ككتاب وسحاب ، وتشدد الدال أيضاً مع الفتح ـ : شيء تشده العجم على أفواهها عند السقى ، وإذا حلمت فكأنك ربطت فم السفيه بالفدام فمنعته عن الكلام (٢) أى من غدرك فلك خلف عنه وهو أن تسلوه وتهجره كأنه لم يكن (٣) الحدثان ـ بكسر فسكون ـ : نوائب الدهر . والصبر يناضلها أى يدافعها . والجزع ـ وهو شدة الفزع ـ يعين الزمان على الاضرار بصاحبه (٤) المنى ـ بضم ففتح ـ : جمع منية وهى مايتمناه الانسان ، وإذا لم تتمن شيئا فقد استغنيت عنه (٥) كثير من الناس جعلوا أهواءهم مسلطة على عقولهم ، فعقولهم أسرى تحت حكمها (٦) الملول ـ بفتح الميم ـ : السريع الملل والسآمة ، وهو لايؤمن ، إذقد يمل عند حاجتك اليه فيفسد عليك عملك

وَقَالَ ع : عُجْبُ ٱلْمَرْءِ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَّادِ عَقْلِهِ (١)

وَقَالَ ع : أَغْضِ عَلَى ٱلْقَذَى وَٱلْأَلَمِ تَرْضَ أَبَدًا (٢)

وَقَالَ ع : مَنْ لَانَ عُودُهُ كَثُفَتْ أَغْصَانُهُ (٣)

وَقَالَ ع : اَلْخِلَافُ يَهْدِمُ ٱلرَّأْيَ

وَقَالَ ع : مَنْ نَالَ ٱسْتَطَالَ (٤)

وَقَالَ ع : فِي تَقَلُّبِ ٱلْأَحْوَالِ عِلْمُ جَوَاهِرِ ٱلرِّجَالِ

وَقَالَ ع : حَسَدُ ٱلصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ ٱلْمَوَدَّةِ (٥)

وَقَالَ ع : أَكْثَرُ مَصَارِعِ ٱلْعُقُولِ تَحْتَ بُرُوقِ ٱلْمَطَامِعِ

وَقَالَ ع : لَيْسَ مِنَ ٱلْعَدْلِ ٱلْقَضَاءُ عَلَى ٱلثِّقَةِ بِالظَّنِّ (٦)

وَقَالَ ع : بِئْسَ ٱلزَّادُ إِلَى ٱلْمَعَادِ ٱلْعُدْوَانُ عَلَى ٱلْعِبَادِ

---

(١) العجب حجاب بين العقل وعيوب النفس ، فاذا لم يدركها سقط بل أوغل فيها فيعود عليه بالنقص ، فكأن العجب حاسد يحول بين العقل ونعمة الكمال (٢) القذى : الشيء يسقط في العين . والاغضاء عليه كناية عن تحمل الأذى ، ومن لم يتحمل يعش ساخطا لأن الحياة لاتخلو من أذى (٣) يريد من لين العود طراوة الجثمان الانساني ونضارته بحياة الفضل وماء الهمة . وكثافة الأغصان كثرة الآثار التي تصدر عنه كأنها فروعه ، أو يريد بها كثرة الأعوان (٤) نال أي أعطى ، يقال نلته على وزن قلته أعطيته ، وهذا مثل قولهم من جاد ساد ذان الاستطالة الاستعلاء بالفضل (٥) لولا ضعف المودة ما كان الحسد ، وأول الصداقة انصراف النظر عن رؤية التفاوت (٦) الواثق بظنه واهم فلا بد لمريد العدل من طلب اليقين بموجب الحكم

وَقَالَ ع : مِنْ أَشْرَفِ أَعْمَالِ ٱلْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ (١)

وَقَالَ ع : مَنْ كَسَاهُ ٱلْحَيَاءُ ثَوْبَهُ لَمْ يَرَ ٱلنَّاسُ عَيْبَهُ

وَقَالَ ع : بِكَثْرَةِ ٱلصَّمْتِ تَكُونُ ٱلْهَيْبَةُ ، وَبِالنَّصَفَةِ يَكْثُرُ ٱلْمُوَاصِلُونَ (٢) ، وَبِالْإِفْضَالِ تَعْظُمُ ٱلْأَقْدَارُ ، وَبِالتَّوَاضُعِ تَتِمُّ ٱلنِّعْمَةُ ، وَبِاحْتِمَالِ ٱلْمُؤَنِ يَجِبُ ٱلسُّودَدُ (٣) ، وَبِالسِّيرَةِ ٱلْعَادِلَةِ يُقْهَرُ ٱلْمُنَاوِي (٤) ، وَبِالْحِلْمِ عَنِ ٱلسَّفِيهِ تَكْثُرُ ٱلْأَنْصَارُ عَلَيْهِ

وَقَالَ ع : ٱلْعَجَبُ لِغَفْلَةِ ٱلْحُسَّادِ عَنْ سَلَامَةِ ٱلْأَجْسَادِ (٥)

وَقَالَ ع : الطَّامِعُ فِي وَثَاقِ ٱلذُّلِّ

(وَسُئِلَ عَنِ ٱلْإِيمَانِ فَقَالَ) : ٱلْإِيمَانُ مَعْرِفَةٌ بِالْقَلْبِ وَإِقْرَارٌ بِاللِّسَانِ وَعَمَلٌ بِالْأَرْكَانِ

وَقَالَ ع : مَنْ أَصْبَحَ عَلَى ٱلدُّنْيَا حَزِيناً فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ ٱللهِ سَاخِطاً . وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ فَقَدْ أَصْبَحَ يَشْكُو رَبَّهُ . وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لِغِنَاهُ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ (٦) . وَمَنْ قَرَأَ ٱلْقُرْآنَ فَمَاتَ

---

(١) أى عدم التفاته لعيوب الناس واشاعتها وان علمها (٢) النصفة بالتحريك الانصاف، ومتى أنصف الانسان كثر مواصلوه أى محبوه (٣) المؤن بضم ففتح جمع مؤنة وهى القوت أى أن السودد والشرف باحتمال المؤنات عن الناس (٤) المناوى المخالف المعاند (٥) أى من العجيب أن يحسد الحاسدون على المال والجاه مثلا ولا يحسدون الناس على سلامة أجسادهم مع أنها من أجل النعم (٦) لأن استعظام المال ضعف فى اليقين بالله ، والخضوع

فَدَخَلَ ٱلنَّارَ فَهُوَ مِمَّنْ كَانَ يَتَّخِذُ آيَاتِ ٱللهِ هُزُوًا . وَمَنْ لَهِجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ ٱلدُّنْيَا ٱلْتَاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ[1] : هَمٍّ لَا يُغِبُّهُ ، وَحِرْصٍ لَا يَتْرُكُهُ ، وَأَمَلٍ لَا يُدْرِكُهُ

وَقَالَ ع : كَفَى بِٱلْقَنَاعَةِ مُلْكًا ، وَبِحُسْنِ ٱلْخُلُقِ نَعِيمًا

(وَسُئِلَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عَنْ قَوْلِهِ تَعَالَى « فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً » فَقَالَ): هِيَ ٱلْقَنَاعَةُ

وَقَالَ ع : شَارِكُوا ٱلَّذِي قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِ ٱلرِّزْقُ فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِلْغِنَى وَأَجْدَرُ بِإِقْبَالِ ٱلْحَظِّ عَلَيْهِ[2]

(وَقَالَ ع : فِي قَوْلِهِ تَعَالَى « إِنَّ ٱللهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَانِ ») : ٱلْعَدْلُ ٱلْإِنْصَافُ ، وَٱلْإِحْسَانُ ٱلتَّفَضُّلُ

وَقَالَ ع : مَنْ يُعْطِ بِٱلْيَدِ ٱلْقَصِيرَةِ يُعْطَ بِٱلْيَدِ ٱلطَّوِيلَةِ (أَقُولُ : وَمَعْنَى ذَٰلِكَ أَنَّ مَا يُنْفِقُهُ ٱلْمَرْءُ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ ٱلْخَيْرِ وَٱلْبِرِّ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى يَجْعَلُ ٱلْجَزَاءَ عَلَيْهِ عَظِيمًا كَثِيرًا ، وَٱلْيَدَانِ هٰهُنَا عِبَارَتَانِ عَنِ ٱلنِّعْمَتَيْنِ، فَفَرَّقَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بَيْنَ نِعْمَةِ ٱلْعَبْدِ وَنِعْمَةِ ٱلرَّبِّ

أداء عمل لغير الله فلم يبق إلا الاقرار باللسان (١) التاط : التصق (٢) أى إذا رأيتم شخصاً أقبل عليه الرزق فاشتركوا معه فى عمله من تجارة أو زراعة أو غيرهما فانه

تجعلَ تلكَ قصيرةً وهذهِ طويلةً لِأنَّ نِعَمَ اللهِ أبدًا تُضعَفُ[1] على نِعَمِ المخلوقِ أضعافًا كثيرةً إذْ كانَتْ نِعَمُ اللهِ أصْلَ النِّعَمِ كُلِّهَا . فكُلُّ نِعْمَةٍ إليهَا ترجِعُ ومِنْهَا تُنْزَعُ)

وقالَ ع لِابنِهِ الحسَنِ عليهِمَا السَّلامُ : لا تدعُوَنَّ إلى مُبارزةٍ[2] وإنْ دُعِيتَ إليهَا فأجِبْ فإنَّ الدَّاعِيَ باغٍ والباغِي مَصْرُوعٌ

وقالَ ع : خِيارُ خِصالِ النِّساءِ شِرارُ خِصالِ الرِّجالِ : الزَّهْوُ والجُبْنُ والبُخْلُ[3] فإذَا كانَتِ المرْأةُ مَزْهُوَّةً لمْ تُمَكِّنْ مِنْ نَفْسِهَا . وإذَا كانَتْ بخِيلَةً حَفِظَتْ مالَهَا ومالَ بَعْلِهَا . وإذَا كانَتْ جَبانَةً فَرِقَتْ[4] مِنْ كُلِّ شيْءٍ يَعْرِضُ لهَا

(وقِيلَ لهُ ع : صِفْ لنَا العاقِلَ) فقالَ ع : هُوَ الَّذِي يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ (فقِيلَ فَصِفْ لنَا الجَاهِلَ فقَالَ) : قدْ فعَلْتُ (يعْنِي أنَّ الجاهِلَ هُوَ الَّذِي لا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ فكأنَّ ترْكَ صِفَتِهِ صِفَةٌ لهُ إذْ كانَ بخِلافِ وصْفِ العاقِلِ) .

وقالَ ع : واللهِ لدُنْيَاكُمْ هذِهِ أهْوَنُ في عَيْنِي مِنْ عِرَاقِ خِنْزِيرٍ

مظنة الربح (١) تضعف مجهول من أضعفه إذا جعله ضعفين (٢) المبارزة : بروز كل للآخر ليقتتلا ، ومصروع : مغلوب مطروح (٣) الزهو — بالفتح — : الكبر . وزهي — كعني — : مبني للمجهول ، أي تكبر ، ومنه مزهوة أي متكبرة (٤) فرقت — كفرحت —

فِي يَدِ مَجْذُومٍ[١]

وَقَالَ ع : إِنَّ قَوْماً عَبَدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التُّجَّارِ[٢] ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ[٣] ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبَدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَحْرَارِ[٤]

وَقَالَ ع : الْمَرْأَةُ شَرٌّ كُلُّهَا وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا

وَقَالَ ع : مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِيَ ضَيَّعَ الْحُقُوقَ ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَاشِيَ ضَيَّعَ الصَّدِيقَ

وَقَالَ ع : الْحَجَرُ الْغَصِيبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا[٥] (وَيُرْوَى هٰذَا الْكَلَامُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ وَلَا عَجَبَ أَنْ يَشْتَبِهَ الْكَلَامَانِ لِأَنَّ مُسْتَقَاهُمَا مِنْ قَلِيبٍ وَمَفْرَغَهُمَا مِنْ ذَنُوبٍ[٦])

وَقَالَ ع : يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ

أى فزعت (١) العراق ـ بكسر العين ـ هو من الحشا مافوق السرة معترضا البطن ، والمجذوم المصاب بمرض الجذام ، وماأقذر كرش الخنزير وأمعاءه إذا كانت فى يد شوهها الجذام (٢) لأنهم يعبدون لطلب عوض (٣) لأنهم ذلوا للخوف (٤) لأنهم عرفوا حقاً عليهم فأدوه وتلك شيمة الأحرار (٥) الغصيب أى المغصوب ، أى أن الاغتصاب قاض بالخراب كما يقضى الرهن بأداء الدين المرهون عليه (٦) القليب ـ بفتح فكسر ـ : البئر . والذنوب بفتح فضم الدلو الكبيرة ، فان الامام يستقى من بئر النبوة ويفرغ

وَقَالَ ع : أتَّقِ اللّهَ بَعْضَ التُّقَى وَإِنْ قَلَّ ، وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ

وَقَالَ ع : إِذَا ازْدَحَمَ الْجَوَابُ خَفِيَ الصَّوَابُ (١)

وَقَالَ ع : إِنَّ لِلّهِ فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ قَصَّرَ عَنْهُ خَاطَرَ بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ

وَقَالَ ع : إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدُرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ (٢)

وَقَالَ ع : احْذَرُوا نِفَارَ النِّعَمِ فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ (٣)

وَقَالَ ع : الْكَرَمُ أَعْطَفُ مِنَ الرَّحِمِ (٤)

وَقَالَ ع : مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدِّقْ ظَنَّهُ (٥)

وَقَالَ ع : أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ (٦)

وَقَالَ ع : عَرَفْتُ اللّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ وَحَلِّ الْعُقُودِ (٧)

---

(١) ازدحام الجواب تشابه المعانى حتى لايدرى أيها أوفق بالسؤال ، وهو مما يوجب خفاء الصواب (٢) فان من ملك زهد (٣) نفار النعم : نفورها ، ونفورها بعدم أداء الحق منها فتزول (٤) إن الكريم ينعطف للاحسان بكرمه أكثر مما ينعطف القريب لقرابته ، وهى كلمة من أعلى الكلام (٥) بعمل الخير الذى ظنه بك (٦) وهو ماخالفت فيه الشهوة (٧) العقود جمع عقد بمعنى النية تنعقد على فعل أمر . والعزائم جمع عزيمة ، وفسخها نقضها . ولولا أن هناك قدرة سامية فوق إرادة البشر وهى قدرة

وَقَالَ ع : مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ (١)

وَقَالَ ع : فَرَضَ اللهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيرًا مِنَ الشِّرْكِ ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهًا عَنِ الْكِبْرِ ، وَالزَّكَاةَ تَسْبِيبًا لِلرِّزْقِ ، وَالصِّيَامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ ، وَالْحَجَّ تَقْرِبَةً لِلدِّينِ (٢) ، وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ رَدْعًا لِلسُّفَهَاءِ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنْمَاةً لِلْعَدَدِ (٣) ، وَالْقِصَاصَ حَقْنًا لِلدِّمَاءِ ، وَإِقَامَةَ الْحُدُودِ إِعْظَامًا لِلْمَحَارِمِ وَتَرْكَ شُرْبِ الْخَمْرِ تَحْصِينًا لِلْعَقْلِ ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ إِيجَابًا لِلْعِفَّةِ ، وَتَرْكَ الزِّنَا تَحْصِينًا لِلنَّسَبِ ، وَتَرْكَ اللِّوَاطِ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ ، وَالشَّهَادَةَ اسْتِظْهَارًا عَلَى الْمُجَاحَدَاتِ (٤) ، وَتَرْكَ الْكَذِبِ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ ، وَالسَّلَامَ أَمَانًا مِنَ الْمَخَاوِفِ ، وَالْأَمَانَاتِ نِظَامًا لِلْأُمَّةِ (٥) ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِيمًا لِلْإِمَامَةِ

الله لكان الانسان كلما عزم على شيء أمضاه لكنه قد يعزم والله يفسخ (١) حلاوة الدنيا باستيفاء اللذات ، ومرارتها بالعفاف عنها . وفي الأول مرارة العذاب في الآخرة، وفي الثاني حلاوة الثواب فيها (٢) أي سببا لتقرب أهل الدين بعضهم من بعض إذ يجتمعون من جميع الأقطار في مقام واحد لغرض واحد ، وفي نسخة تقوية فان تجديد الألفة بين المسلمين في كل عام بالاجتماع والتعارف مما يقوى الاسلام (٣) فانه إذا تواصل الأقرباء على كثرتهم كثر بهم عدد الأنصار (٤) إنما فرضت الشهادة وهي الموت في نصر الحق ليستعان بذلك على قهر الجاحدين له فيبطل جحوده (٥) لأنه إذا روعيت الأمانة في الأعمال أدى كل عامل مايجب عليه فتنتظم شؤون الأمة ، أما لو كثرت

(وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ) أَحْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللهِ وَقُوَّتِهِ، فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عُوجِلَ الْعُقُوبَةَ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ يُعَاجَلْ لِأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللهَ تَعَالَى

وَقَالَ ع: يَا ابْنَ آدَمَ كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ فِي مَالِكَ وَاعْمَلْ فِيهِ مَا تُؤْثِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ مِنْ بَعْدِكَ(١)

وَقَالَ ع: الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ، فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكِمٌ

وَقَالَ ع: صِحَّةُ الْجَسَدِ مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ

وَقَالَ ع: يَا كُمَيْلُ مُرْ أَهْلَكَ أَنْ يَرُوحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ. وَيُدْلِجُوا فِي حَاجَةِ مَنْ هُوَ نَائِمٌ(٢) فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا(٣) كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تُطْرَدُ غَرِيبَةُ الْإِبِلِ

الخيانات فقد فسدت الأعمال وكثر الإهمال فاختل النظام (١) أى اعمل فى مالك وأنت حى ماتؤثر أى تحب أن يعمل فيه خلفاؤك، ولاحاجة أن تدخر ثم توصى ورثتك أن يعملوا خيرا بعدك (٢) الرواح السير من بعد الظهر، والادلاج السير من أول الليل، والمراد من المكارم المحامد، وكسبها بعمل المعروف، وكأنه يقول أوص أهلك أن يواصلوا أعمال الخير فرواحهم فى الاحسان وادلاجهم فى قضاء الحوائج وإن نام عنها أربابها (٣) الضمير فى جرى للطف، وفى اليها للنائبة، وغريبة الابل لاتكون من مال صاحب

وَقَالَ ع : إِذَا أَمْلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا ٱللّٰهَ بِالصَّدَقَةِ(١)

وَقَالَ ع : الْوَفَاءُ لِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ غَدْرٌ عِنْدَ ٱللّٰهِ ، وَٱلْغَدْرُ بِأَهْلِ ٱلْغَدْرِ وَفَاءٌ عِنْدَ ٱللّٰهِ

وَقَالَ ع : كَمْ مِنْ مُسْتَدْرَجٍ بِالإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَغْرُورٍ بِالسَّتْرِ عَلَيْهِ ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ ٱلْقَوْلِ فِيهِ . وَمَا ٱبْتَلَى ٱللّٰهُ سُبْحَانَهُ أَحَدًا بِمِثْلِ ٱلإِمْلَاءِ لَهُ (وَقَدْ مَضَى هٰذَا ٱلْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ إِلَّا أَنَّ فِيهِ هٰهُنَا زِيَادَةً مُفِيدَةً)

(فَصْلٌ نَذْكُرُ فِيهِ شَيْئًا عَنِ ٱخْتِيَارِ غَرِيبِ كَلَامِهِ ٱلْمُحْتَاجِ إِلَى ٱلتَّفْسِيرِ)

فِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : فَإِذَا كَانَ ذٰلِكَ ضَرَبَ يَعْسُوبُ ٱلدِّينِ بِذَنَبِهِ فَيَجْتَمِعُونَ إِلَيْهِ كَمَا يَجْتَمِعُ قَزَعُ ٱلْخَرِيفِ

(ٱلْيَعْسُوبُ : ٱلسَّيِّدُ ٱلْعَظِيمُ ٱلْمَالِكُ لِأُمُورِ ٱلنَّاسِ يَوْمَئِذٍ ، وَٱلْقَزَعُ : قِطَعُ ٱلْغَيْمِ ٱلَّتِي لَا مَاءَ فِيهَا)

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : هٰذَا ٱلْخَطِيبُ ٱلشَّحْشَحُ (يُرِيدُ ٱلْمَاهِرَ فِي ٱلْخُطْبَةِ ٱلْمَاضِيَ فِيهَا ، وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلَامٍ أَوْ سَيْرٍ فَهُوَ شَحْشَحٌ ، وَٱلشَّحْشَحُ فِي غَيْرِ هٰذَا ٱلْمَوْضِعِ ٱلْبَخِيلُ ٱلْمُمْسِكُ)

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : إِنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحَمًا (يُرِيدُ بِالْقُحَمِ

المرعى فيطردها من بين ماله (١) أى إذا افتقرتم فتصدقوا فان الله يعطف الرزق

الْمَهَالِكَ لِأَنَّهَا تُقْحِمُ أَصْحَابَهَا فِي الْمَهَالِكِ وَالْمَتَالِفِ فِي الْأَكْثَرِ ، وَمِنْ ذَٰلِكَ قُحْمَةُ الْأَعْرَابِ وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السَّنَةُ فَتَتَعَرَّقَ أَمْوَالَهُمْ [1] فَذَٰلِكَ تَقَحُّمُهَا فِيهِمْ . وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ وَهُوَ أَنَّهَا تُقْحِمُهُمْ بِلَادَ الرِّيفِ أَيْ تُحْوِجُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْحَضَرِ عِنْدَ مُحُولِ الْبَدْوِ)

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ نَصَّ الْحِقَاقِ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَى (وَالنَّصُّ مُنْتَهَى الْأَشْيَاءِ وَمَبْلَغُ أَقْصَاهَا كَالنَّصِّ فِي السَّيْرِ لِأَنَّهُ أَقْصَى مَا تَقْدِرُ عَلَيْهِ الدَّابَّةُ ، وَتَقُولُ نَصَصْتُ الرَّجُلَ عَنِ الْأَمْرِ إِذَا اسْتَقْصَيْتَ مَسْأَلَتَهُ عَنْهُ لِتَسْتَخْرِجَ مَا عِنْدَهُ فِيهِ . فَنَصُّ الْحِقَاقِ يُرِيدُ بِهِ الْإِدْرَاكَ لِأَنَّهُ مُنْتَهَى الصِّغَرِ وَالْوَقْتُ الَّذِي يَخْرُجُ مِنْهُ الصَّغِيرُ إِلَى حَدِّ الْكَبِيرِ . وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكِنَايَاتِ عَنْ هٰذَا الْأَمْرِ ، فَإِذَا بَلَغَ النِّسَاءُ ذَٰلِكَ فَالْعَصَبَةُ أَوْلَى بِالْمَرْأَةِ مِنْ أُمِّهَا إِذَا كَانُوا مَحْرَماً مِثْلَ الْإِخْوَةِ وَالْأَعْمَامِ وَبِتَزْوِيجِهَا إِنْ أَرَادُوا ذَٰلِكَ . وَالْحِقَاقُ مُحَاقَّةُ الْأُمِّ لِلْعَصَبَةِ فِي الْمَرْأَةِ وَهُوَ الْجِدَالُ وَالْخُصُومَةُ وَقَوْلُ كُلٍّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا لِلْآخَرِ أَنَا أَحَقُّ مِنْكَ بِهٰذَا ، يُقَالُ مِنْهُ حَاقَقْتُهُ حِقَاقاً مِثْلَ جَادَلْتُهُ جِدَالاً . وَقَدْ قِيلَ إِنَّ نَصَّ الْحِقَاقِ بُلُوغُ الْعَقْلِ وَهُوَ الْإِدْرَاكُ لِأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَرَادَ

عليكم بالصدقة ، فكأنكم عاملتم الله بالتجارة . وههنا سر لا يعلم (١) تتعرق أموالهم: من قولهم تعرق فلان العظم أكل جميع ماعليه من اللحم

مُنْتَهَى ٱلأَمْرِ ٱلَّذِى تَجِبُ فِيهِ ٱلْحُقُوقُ وَٱلأَحْكَامُ . وَمَنْ رَوَاهُ نصَّ ٱلْحِقَائِقِ فَإِنَّمَا أَرَادَ جَمْعَ حَقِيقَةٍ .

هٰذَا مَعْنَى مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ . وَٱلَّذِى عِنْدِى أَنَّ ٱلْمُرَادَ بِنَصِّ ٱلْحِقَاقِ هٰهُنَا بُلُوغُ ٱلْمَرْأَةِ إِلَى ٱلْحَدِّ ٱلَّذِى يَجُوزُ فِيهِ تَزْوِيجُهَا وَتَصَرُّفُهَا فِى حُقُوقِهَا ، تَشْبِيهاً بِالْحِقَاقِ مِنَ ٱلإِبِلِ وَهِيَ جَمْعُ حِقَّةٍ وَحِقٍّ[1] وَهُوَ ٱلَّذِى ٱسْتَكْمَلَ ثَلَاثَ سِنِينَ وَدَخَلَ فِى ٱلرَّابِعَةِ ، وَعِنْدَ ذٰلِكَ يَبْلُغُ إِلَى ٱلْحَدِّ ٱلَّذِى يُتَمَكَّنُ فِيهِ مِنْ رُكُوبِ ظَهْرِهِ وَنَصِّهِ فِى ٱلسَّيْرِ . وَٱلْحَقَائِقُ أَيْضًا جَمْعُ حِقَّةٍ . فَالرِّوَايَتَانِ جَمِيعاً تَرْجِعَانِ إِلَى مَعْنًى وَاحِدٍ، وَهٰذَا أَشْبَهُ بِطَرِيقَةِ ٱلْعَرَبِ مِنَ ٱلْمَعْنَى ٱلْمَذْكُورِ)

وَفِى حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : إِنَّ ٱلإِيمَانَ يَبْدُو لُمْظَةً فِى ٱلْقَلْبِ كُلَّمَا ٱزْدَادَ ٱلإِيمَانُ ٱزْدَادَتِ ٱللُّمْظَةُ[2] (وَٱللُّمْظَةُ مِثْلُ ٱلنُّكْتَةِ أَوْ نَحْوِهَا مِنَ ٱلْبَيَاضِ . وَمِنْهُ قِيلَ فَرَسٌ أَلْمَظُ إِذَا كَانَ بِجَحْفَلَتِهِ شَىْءٌ مِنَ ٱلْبَيَاضِ[3])

وَفِى حَدِيثِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : إِنَّ ٱلرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ ٱلدَّيْنُ ٱلظَّنُونُ يَجِبُ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ (فَالظَّنُونُ ٱلَّذِى لَا يَعْلَمُ

---

(١) بكسر الحاء فيهما (٢) اللمظة بضم اللام وسكون الميم (٣) الجحفلة ـ بتقديم الجيم المفتوحة على الحاء الساكنة ـ للخيل والبغال والحمير بمنزلة الشفة للانسان

صَاحِبُهُ أَيَقْبِضُهُ مِنَ الَّذِى هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا ، فَكَأَنَّهُ الَّذِى يُظَنُّ بِهِ فَمَرَّةً يَرْجُوهُ وَمَرَّةً لَا يَرْجُوهُ . وَهٰذَا مِنَ أَفْصَحِ الْكَلَامِ . وَكَذٰلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ وَلَا تَدْرِى عَلَى أَىِّ شَىْءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظَنُونٌ[1] . وَعَلَى ذٰلِكَ قَوْلُ الْأَعْشَى

مَا يُجْعَلُ الْجُدُّ الظَّنُونُ الَّذِى جُنِّبَ صَوْبَ اللَّجِبِ الْمَاطِرِ
مِثْلَ الْفُرَاتِىِّ إِذَا مَا طَمَا يَقْذِفُ بِالْبُوصِىِّ وَالْمَاهِرِ

وَالْجُدُّ : الْبِئْرُ[2] . وَالظَّنُونُ الَّتِى لَا يُعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ أَمْ لَا)

وَفِى حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : (أَنَّهُ شَيَّعَ جَيْشًا يُغْزِيهِ فَقَالَ) : أَعْذِبُوا عَنِ النِّسَاءِ مَا اسْتَطَعْتُمْ (وَمَعْنَاهُ اصْدِفُوا عَنْ ذِكْرِ النِّسَاءِ[3] وَشُغْلِ الْقَلْبِ بِهِنَّ ، وَامْتَنِعُوا مِنَ الْمُقَارَبَةِ لَهُنَّ لِأَنَّ ذٰلِكَ يَفُتُّ فِى عَضُدِ الْحَمِيَّةِ[4] وَيَقْدَحُ فِى مَعَاقِدِ الْعَزِيمَةِ ، وَيَكْسِرُ عَنِ الْعَدْوِ ، وَيَلْفِتُ عَنِ الْإِبْعَادِ فِى الْغَزْوِ . وَكُلُّ مَنِ امْتَنَعَ مِنْ شَىْءٍ فَقَدْ أَعْذَبَ عَنْهُ . وَالْعَاذِبُ وَالْعَذُوبُ الْمُمْتَنِعُ مِنَ الْأَكْلِ وَالشُّرْبِ)

---

(١) هو بفتح الظاء (٢) الجد بضم الجيم وتقدم تفسير الأبيات فى الخطبة الشقشقية فراجعه (٣) أعذبوا واصدفوا بكسر عين الفعل ، أى أعرضوا واتركوا (٤) الفت : الدق والكسر . وفت فى ساعده من باب نصر أى أضعفه كأنه كسره . ومعاقد العزيمة : مواضع انعقادها وهى القلوب . وقدح فيها بمعنى خرقها كناية عن أوهنها . والعدو ـ بفتح فسكون ـ : الجرى ، و يكسر عنه أى يقعد عنه

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ (الْيَاسِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَتَضَارَبُونَ بِالْقِدَاحِ عَلَى الْجَزُورِ[1]. وَالْفَالِجُ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ . يُقَالُ قَدْ فَلَجَ عَلَيْهِمْ وَفَلَجَهُمْ . وَقَالَ الرَّاجِزُ :

* لَمَّا رَأَيْتُ فَالِجًا قَدْ فَلَجَا

وَفِي حَدِيثِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كُنَّا إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ اتَّقَيْنَا بِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَلَمْ يَكُنْ مِنَّا أَقْرَبُ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ (وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَظُمَ الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ وَاشْتَدَّ عِضَاضُ الْحَرْبِ[2] فَزِعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِنَفْسِهِ[3] فَيُنْزِلُ اللهُ عَلَيْهِمُ النَّصْرَ بِهِ وَيَأْمَنُونَ مِمَّا كَانُوا يَخَافُونَهُ بِمَكَانِهِ)

وَقَوْلُهُ ع : إِذَا احْمَرَّ الْبَأْسُ (كِنَايَةٌ عَنِ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ . وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ أَحْسَنُهَا أَنَّهُ شَبَّهَ حَمْيَ الْحَرْبِ بِالنَّارِ[4] الَّتِي تَجْمَعُ الْحَرَارَةَ وَالْحُمْرَةَ بِفِعْلِهَا وَلَوْنِهَا ، وَمِمَّا يُقَوِّي ذَلِكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ رَأَى مُجْتَلَدَ النَّاسِ يَوْمَ حُنَيْنٍ[5] وَهِيَ حَرْبُ هَوَازِنَ

---

(١) الجزور ـ بفتح الجيم ـ : الناقة المجزورة أى المنحورة. والمضاربة بالسهام المقامرة على النصيب من الناقة . وفلج من باب ضرب ونصر (٢) العضاض بكسر العين أصله عض الفرس مجاز عن إهلاكها للمتحاربين (٣) فزع المسلمون لجأوا إلى طلب رسول الله ليقاتل بنفسه (٤) الحمى ـ بفتح فسكون ـ مصدر حميت النار اشتد حرها (٥) مجتلد مصدر ميمى من الاجتلاد أى الاقتتال

« حَمِيَ ٱلْوَطِيسُ » فَٱلْوَطِيسُ مُسْتَوْقَدُ ٱلنَّارِ ، فَشَبَّهَ رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا ٱسْتَحَرَّ مِنْ جِلَادِ ٱلْقَوْمِ(١) بِاحْتِدَامِ ٱلنَّارِ وَشِدَّةِ ٱلْتِهَابِهَا)

انقضى هٰذَا ٱلْفَصْلُ وَرَجَعْنَا إِلَى سَنَنِ ٱلْغَرَضِ ٱلْأَوَّلِ فِي هٰذَا ٱلْبَابِ

وَقَالَ ع (لَمَّا بَلَغَهُ إِغَارَةُ أَصْحَابِ مُعَاوِيَةَ عَلَى ٱلْأَنْبَارِ فَخَرَجَ بِنَفْسِهِ مَاشِياً حَتَّى أَتَى ٱلنُّخَيْلَةَ(٢) فَأَدْرَكَهُ ٱلنَّاسُ وَقَالُوا يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نَحْنُ نَكْفِيكَهُمْ)

فَقَالَ ع : وَٱللهِ مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ. إِنْ كَانَتِ ٱلرَّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رُعَاتِهَا ، وَإِنَّنِي ٱلْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رَعِيَّتِي ، كَأَنَّنِي ٱلْمَقُودُ وَهُمُ ٱلْقَادَةُ ، أَوِ ٱلْمَوْزُوعُ وَهُمُ ٱلْوَزَعَةُ(٣) (فَلَمَّا قَالَ ع هٰذَا ٱلْقَوْلَ ، فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ قَدْ ذَكَرْنَا مُخْتَارَهُ فِي جُمْلَةِ ٱلْخُطَبِ ، تَقَدَّمَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ مِنْ أَصْحَابِهِ فَقَالَ أَحَدُهُمَا : إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَمُرْنَا بِأَمْرِكَ يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ نُنْفِذْ لَهُ)

قَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ(٤) ؟

---

(١) استحر : اشتد . والجلاد القتال (٢) النخيلة — بضم ففتح — : موضع بالعراق اقتتل فيه الامام مع الخوارج بعد صفين (٣) المقود اسم مفعول . والقادة : جمع قائد . والوزعة — محركة — : جمع وازع بمعنى الحاكم . والموزوع المحكوم (٤) أى أين أنتما وما هى منزلتكما من الأمر الذى أريده وهو يحتاج إلى قوة عظيمة فلا موقع لكما منه

(وَقِيلَ إِنَّ الْحَارِثَ بْنَ حُوتٍ أَتَاهُ فَقَالَ : أَتُرَانِي أَظُنُّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ[١])

فَقَالَ ع : يَاحَارِثُ إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحْتَكَ وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ فَحِرْتَ[٢] إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفَ أَهْلَهُ ، وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ . فَقَالَ الْحَارِثُ : فَإِنِّي أَعْتَزِلُ مَعَ سَعِيدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ سَعِيدًا وَعَبْدَ اللهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ

وَقَالَ ع : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يُغْبَطُ بِمَوْقِعِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ[٣]

وَقَالَ ع : أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تُحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ .[٤]

وَقَالَ ع : إِنَّ كَلَامَ الْحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً ، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً[٥]

---

(١) ترانى بضم التاء مبنى للمجهول ، أى أتظننى (٢) نظرت الخ أى أصاب فكرك أدنى الرأى ولم يصب أعلاه ، وحار أى تحير . وأتى الحق : أخذ به (٣) يغبط مبنى للمجهول أى يغبطه الناس و يتمنون منزلته لعزته ، ولكنه أعلم بموضعه من الخوف والحذر ، فهو و إن أخاف بمركو به إلا أنه يخشى أن يغتاله (٤) أى كونوا رحماء بأبناء غيركم يرحم غيركم أبناءكم (٥) لشدة لصوقه بالعقول فى الحالين

(وَسَأَلَهُ رَجُلٌ أَنْ يُعَرِّفَهُ ٱلْإِيمَانَ) فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

إِذَا كَانَ ٱلْغَدُ فَأْتِنِي حَتَّى أُخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ ٱلنَّاسِ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حَفِظَهَا عَلَيْكَ غَيْرُكَ ، فَإِنَّ ٱلْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ يَنْقُفُهَا هٰذَا[1] وَيُخْطِئُهَا هٰذَا

(وَقَدْ ذَكَرْنَا مَا أَجَابَهُ بِهِ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هٰذَا ٱلْبَابِ وَهُوَ قَوْلُهُ ٱلْإِيمَانُ عَلَى أَرْبَعِ شُعَبٍ)

وَقَالَ ع : يَا ٱبْنَ آدَمَ لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ ٱلَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ ٱلَّذِي قَدْ أَتَاكَ ، فَإِنَّهُ إِنْ يَكُ مِنْ عُمُرِكَ يَأْتِ ٱللهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ

وَقَالَ ع : أَحْبِبْ حَبِيبَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضَكَ يَوْمًا مَا وَأَبْغِضْ بَغِيضَكَ هَوْنًا مَا عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبَكَ يَوْمًا مَا[2]

وَقَالَ ع : ٱلنَّاسُ لِلدُّنْيَا عَامِلَانِ : عَامِلٌ عَمِلَ لِلدُّنْيَا قَدْ شَغَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ يَخْشَى عَلَى مَنْ يَخْلُفُهُ ٱلْفَقْرَ وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنْفَعَةِ غَيْرِهِ ، وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي ٱلدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا فَجَاءَهُ ٱلَّذِي لَهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأَحْرَزَ ٱلْحَظَّيْنِ مَعًا ، وَمَلَكَ ٱلدَّارَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَصْبَحَ وَجِيهًا

---

(١) نقفه : ضربه ، أى يصيبها واحد فيصيدها ، ويخطئها الآخر فتنفلت منه

(٢) الهون ــ بالفتح ــ الحقير ، والمراد منه هنا الخفيف لامبالغة فيه ، أى لاتبالغ فى الحب ولا فى البغض فعسى أن ينقلب كل إلى ضده فلا تعظم ندامتك على مافدمت منه

عِنْدَ اللهِ(١) لا يَسْأَلُ اللهَ حَاجَةً فَيَمْنَعَهُ

(وَرُوِيَ أَنَّهُ ذُكِرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ الْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ، فَقَالَ قَوْمٌ لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَ بِهِ جُيُوشَ الْمُسْلِمِينَ كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ، وَمَا تَصْنَعُ الْكَعْبَةُ بِالْحَلْيِ؟ فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكَ، وَسَأَلَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: ٠

إِنَّ الْقُرْآنَ أُنْزِلَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ: أَمْوَالُ الْمُسْلِمِينَ فَقَسَّمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ، وَالْفَيْءُ فَقَسَّمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ، وَالْخُمُسُ فَوَضَعَهُ اللهُ حَيْثُ وَضَعَهُ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللهُ حَيْثُ جَعَلَهَا. وَكَانَ حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ، فَتَرَكَهُ اللهُ عَلَى حَالِهِ وَلَمْ يَتْرُكْهُ نِسْيَاناً، وَلَمْ يَخْفَ عَلَيْهِ مَكَاناً(٢) فَأَقِرَّهُ حَيْثُ أَقَرَّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ. فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَوْلَاكَ لَافْتَضَحْنَا، وَتَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِهِ

(وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللهِ: أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللهِ، وَالْآخَرُ مِنْ عُرُوضِ النَّاسِ(٣)

---

(١) وجيها أى ذا منزلة علية من القرب اليه سبحانه (٢) أى لم يكن مكان حلى الكعبة خافياً على الله، فكانا تمييز نسبة الخفاء إلى الحلى (٣) أى أن السارقين كانا عبدين: أحدهما عبد لبيت المال، والآخر عبد لأحد الناس من عروضهم جمع عرض - بفتح فسكون - هو المتاع غير الذهب والفضة، وكلاهما سرق من بيت المال

فَقَالَ ع : أَمَّا هٰذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ ٱللهِ وَلَا حَدَّ عَلَيْهِ . مَالُ ٱللهِ أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَمَّا ٱلآخَرُ فَعَلَيْهِ ٱلْحَدُّ فَقَطَعَ يَدَهُ

وَقَالَ ع : لَوْ قَدِ ٱسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هٰذِهِ ٱلْمَدَاحِضِ لَغَيَّرْتُ أَشْيَاءَ[1]

وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : اعْلَمُوا عِلْمًا يَقِينًا أَنَّ ٱللهَ لَمْ يَجْعَلْ لِلْعَبْدِ وَإِنْ عَظُمَتْ حِيلَتُهُ وَٱشْتَدَّتْ طِلْبَتُهُ وَقَوِيَتْ مَكِيدَتُهُ أَكْثَرَ مِمَّا سَمَّى لَهُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ[2] ، وَلَمْ يَحُلْ بَيْنَ ٱلْعَبْدِ فِي ضَعْفِهِ وَقِلَّةِ حِيلَتِهِ وَبَيْنَ أَنْ يَبْلُغَ مَا سَمَّى لَهُ فِي ٱلذِّكْرِ ٱلْحَكِيمِ . وَٱلْعَارِفُ لِهٰذَا ٱلْعَامِلُ بِهِ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ رَاحَةً فِي مَنْفَعَةٍ . وَٱلتَّارِكُ لَهُ ٱلشَّاكُّ فِيهِ أَعْظَمُ ٱلنَّاسِ شُغُلًا فِي مَضَرَّةٍ وَرُبَّ مُنْعَمٍ عَلَيْهِ مُسْتَدْرَجٌ بِالنُّعْمَى[3] ، وَرُبَّ مُبْتَلًى مَصْنُوعٌ لَهُ بِالْبَلْوَى . فَزِدْ أَيُّهَا ٱلْمُسْتَمِعُ فِي شُكْرِكَ ، وَقَصِّرْ مِنْ عَجَلَتِكَ[4] ، وَقِفْ عِنْدَ مُنْتَهَى رِزْقِكَ

---

(١) المداحض : المزالق يريد بها الفتن التى ثارت عليه، ويقول انه لو ثبتت قدماه فى الأمر وتفرغ لغير أشياء من عادات الناس وأفكارهم التى تبعد عن الشرع الصحيح (٢) الذكر الحكيم : القرآن ، وليس لانسان أن ينال من الكرامة عند الله فوق مانص عليه القرآن ، ولن يحول الله بين أحد و بين ماعين فى القرآن وان اشتد طلب الأول وقويت مكيدته الخ وضعف حال الثانى ، فكل مكاف مستطيع أن يؤدى مافرض الله فى كتابه وينال الكرامة المحدودة له ، وقد يراد من الذكر الحكيم علم الله، أى ماقدر لك فلن تعدوه ولن تقصر عنه (٣) أى لايغتر المنعم عليه بالنعمة فربما تكون استدراجا من الله له يمتحن بها قلبه ثم يأخذه من حيث لايشعر ، ولا يقنط مبتلى فقد تكون البلوى صنعا من الله له يرفع بها منزلته عنده (٤) أى قصر

وَقَالَ ع : لَا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا وَيَقِينَكُمْ شَكًّا (١) إِذَا عَلِمْتُمْ فَاعْمَلُوا ، وَإِذَا تَيَقَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا

وَقَالَ ع : إِنَّ الطَّمَعَ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ (٢) ، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ ، وَرُبَّمَا شَرِقَ شَارِبُ الْمَاءِ قَبْلَ رِيِّهِ (٣) ، وَكُلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافَسِ فِيهِ عَظُمَتِ الرَّزِيَّةُ لِفَقْدِهِ . وَالْأَمَانِيُّ تُعْمِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ . وَالْحَظُّ يَأْتِي مَنْ لَا يَأْتِيهِ

وَقَالَ ع : اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ تَحْسُنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي وَتَقْبُحَ فِيمَا أُبْطِنُ لَكَ سَرِيرَتِي ، مُحَافِظًا عَلَى رِئَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ مِنِّي ، فَأُبْدِي لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي وَأُفْضِي إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ ، وَتَبَاعُدًا مِنْ مَرْضَاتِكَ (٤)

وَقَالَ ع : لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبْرِ لَيْلَةٍ دَهْمَاءَ تَكْشِرُ عَنْ

من العجلة فى طلب الدنيا (١) من لم يظهر أثر علمه فى عمله فكأنه جاهل وعلمه لم يزد على الجهل ، ومن لم يظهر أثر يقينه فى عزيمته وفعله فكأنه شاك متردد ، إذ لو صح اليقين ما مرض العزم (٢) أى من ورده هلك فيه ولم يصدر عنه (٣) شرق — كتعب — أى غص تمثيل لحالة الطامع بحال الظمآن فربما يشرق بالماء عند الشرب قبل أن يرتوى به ، وربما هلك الطامع فى الطلب قبل الانتفاع بالمطلوب (٤) يستعيذ بالله من حسن ما يظهر منه للناس وقبح ما يبطنه لله من السريرة . وقوله محافظاً حال من الياء فى سريرتى . ورئاء الناس — بهمزتين أو بياء بعد الراء — إظهار

يَوْمٍ أَغَرَّ مَا كَانَ كَذَا وَكَذَا(١)

وَقَالَ ع : قَلِيلٌ تَدُومُ عَلَيْهِ أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ(٢)

وَقَالَ ع : إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالفَرَائِضِ فَارْفُضُوهَا

وَقَالَ ع : مَنْ تَذَكَّرَ بُعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ

وَقَالَ ع : لَيْسَتِ الرَّوِيَّةُ كَالْمُعَايَنَةِ مَعَ الْإِبْصَارِ(٣) فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا وَلَا يَغُشُّ الْعَقْلُ مَنِ اسْتَنْصَحَهُ

وَقَالَ ع : بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغِرَّةِ(٤)

وَقَالَ ع : جَاهِلُكُمْ مُزْدَادٌ وَعَالِمُكُمْ مُسَوِّفٌ(٥)

وَقَالَ ع : قَطَعَ الْعِلْمُ عُذْرَ الْمُتَعَلِّلِينَ

العمل لهم ليحمدوه . وقوله بجميع متعلق برئاء (١) غبر الليلة ـ بضم الغين وسكون الباء ـ : بقيتها. والدهماء : السوداء . وكشر عن أسنانه ـ كضرب ـ أبداها فى الضحك ونحوه . والأغر أبيض الوجه . يحلف بالله الذى أمسى بتقديره فى بقية ليلة سوداء تنفجر عن فجر ساطع الضياء . ووجه التشبيه ظاهر (٢) اعمل قليلا وداوم عليه فهو أفضل من كثير تسأم منه فتتركه (٣) الروية ـ بفتح فكسر فتشديد ـ : اعمال العقل فى طلب الصواب ، وهى أهدى اليه من المعاينة بالبصر ، فان البصر قد يكذب صاحبه فيريه العظيم البعيد صغيراً ، وقد يريه المستقيم معوجا كما فى الماء ، أما العقل فلا يغش من طلب نصيحته . وفى نسخة ليست الرؤية (بضم فهمز) مع الابصار ، أى أن الرؤية الصحيحة ليست هى رؤية البصر ، وليس العلم قاصراً على شهود المحسوس ، فان البصر قد يغش ، وإنما البصر بصر العقل فهو الذى لا يكذب ناصحه (٤) الغرة ـ بالكسر ـ : الغفلة (٥) أى جاهلكم يغالى ويزداد فى العمل على غير بصيرة ، وعالمكم يسوف بعمله ،

وَقَالَ ع : كُلٌّ مُعَاجَلٌ يَسْأَلُ الإِنْظَارَ وَكُلٌّ مُؤَجَّلٌ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ(١)

وَقَالَ ع : مَا قَالَ النَّاسُ لِشَيْءٍ طُوبَى لَهُ إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سُوءٍ

(وَسُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ فَقَالَ) : طَرِيقٌ مُظْلِمٌ فَلَا تَسْلُكُوهُ، وَبَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ، وَسِرُّ اللهِ فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ(٢)

وَقَالَ ع : إِذَا أَرْذَلَ اللهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمَ(٣)

وَقَالَ ع : كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللهِ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ، وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ فَلَا يَشْتَهِي مَا لَا يَجِدُ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ، وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا . فَإِنْ قَالَ بَذَّ الْقَائِلِينَ(٤) وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ . وَكَانَ ضَعِيفًا مُسْتَضْعَفًا . فَإِنْ جَاءَ

---

(١) كل بالتنوين فى الموضعين مبتدأ خبره معاجل بفتح الجيم فى الأول ومؤجل بفتحها كذلك فى الثانى ، أى كل واحد من الناس يستعجله أجله ولكنه يطلب الأنظار أى التأخير ، وكل منهم قد أجل الله عمره وهو لا يعمل تعللا بتأخير الأجل والفسحة فى مدته وتمكنه من تدارك الفائت فى المستقبل أى يؤخره عن أوقاته و بئست الحال هذه

(٢) فليعمل كل عمله المفروض عليه ولا يتكل فى الاهمال على القدر

(٣) أرذله : جعله رذيلا ، وحظره عليه أى حرمه منه

(٤) بذهم أى كفهم عن القول ومنعهم . ونقع الغليل : أزال العطش

الْجِدُّ فَهُوَ لَيْثُ غَابٍ وَصِلُّ وَادٍ[1] ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِياً[2] . وَكَانَ لَا يَلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَجِدُ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ اعْتِذَارَهُ[3] ، وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعاً إِلَّا عِنْدَ بُرْئِهِ . وَكَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ وَلَا يَقُولُ مَالَا يَفْعَلُ . وَكَانَ إِذَا غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ . وَكَانَ عَلَى مَايَسْمَعُ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ . وَكَانَ إِذَا بَدَهَهُ أَمْرَانِ[4] نَظَرَ أَيُّهُمَا أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَى فَخَالَفَهُ . فَعَلَيْكُمْ بِهٰذِهِ الْخَلَائِقِ فَالْزَمُوهَا وَتَنَافَسُوا فِيهَا ، فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ

وَقَالَ ع : لَوْلَمْ يَتَوَعَّدِ اللهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ[5] لَكَانَ يَجِبُ أَنْ لَا يُعْصَى شُكْرًا لِنِعَمِهِ

(وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ عَزَّى الْأَشْعَثَ بْنَ قَيْسٍ عَنِ ابْنٍ لَهُ) :

يَا أَشْعَثُ إِنْ تَحْزَنْ عَلَى ابْنِكَ فَقَدِ اسْتَحَقَّتْ ذٰلِكَ مِنْكَ الرَّحِمُ .

---

(١) الليث : الأسد . والغاب : جمع غابة وهى الشجر الكثير الملتف يستوكر فيه الأسد . والصل ـ بالكسر ـ : الحية . والوادى معروف . والجد ـ بالكسر ـ : ضد الهزل
(٢) أدلى بحجته : أحضرها (٣) أى كان لايلوم فى فعل يصح فى مثله الاعتذار إلا بعد سماع العذر (٤) بدهه الأمر : فجأه و بغته (٥) التوعد : الوعيد ، أى لو لم يوعد على معصيته بالعقاب

وَإنْ تَصْبِرْ فَفِي اللهِ مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلَفٌ . يَاأَشْعَثُ إنْ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ . وَإنْ جَزِعْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ [1] . إِبْنُكَ سَرَّكَ وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ [2] ، وَحَزَنَكَ وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ

(وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللهِ
(صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَاعَةَ دُفِنَ) :

إِنَّ الصَّبْرَ لَجَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَإِنَّ الْمُصَابَ بِكَ لَجَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ قَبْلَكَ وَبَعْدَكَ لَجَلَلٌ [3]

وَقَالَ ع : لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ [4] فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ

(وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ

وَقَالَ ع : أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ، فَأَصْدِقَاؤُكَ صَدِيقُكَ

---

(١) أى مقترف للوزر وهو الذنب (٢) سرك أى أكسبك سروراً ، وذلك عند ولادته وهو إذ ذاك بلاء بتكاليف تربيته وفتنة بشاغل محبته . وحزنك : أكسبك الحزن وذلك عند الموت (٣) أى أن المصائب قبل مصيبتك وبعدها هينة حقيرة . والجلل ـ بالتحريك ـ : الهين الصغير ، وقد يطلق على العظيم وليس مراداً هنا
(٤) المائق : الأحمق

وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ . وَأَعْدَاؤُكَ عَدُوُّكَ وَعَـدُوُّ صَدِيقِكَ وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ

(وَقَالَ ع لِرَجُلٍ رَآهُ يَسْعَى عَلَى عَدُوٍّ لَهُ بِمَا فِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ) : إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ(١)

وَقَالَ ع : مَا أَكْثَرَ الْعِبَرَ وَأَقَلَّ الاعْتِبَارَ

(وَقَالَ ع : مَنْ بَالَغَ فِي الْخُصُومَةِ أَثِمَ ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظُلِمَ (٢) وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللهَ مَنْ خَاصَمَ

وَقَالَ ع : مَا أَهَمَّنِي ذَنْبٌ أُمْهِلْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أُصَلِّيَ رَكْعَتَيْنِ(٣)

وَسُئِلَ ع : (كَيْفَ يُحَاسِبُ اللهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثْرَتِهِمْ) فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثْرَتِهِمْ

(فَقِيلَ كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ)

قَالَ ع : كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ

وَقَالَ ع : رَسُولُكَ تَرْجُمَانُ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ

---

(١) الردف ـ بالكسر ـ : الراكب خلف الراكب (٢) قد يصيب الظلم من يقف عند حقه فى المخاصمة فيحتاج للمبالغة حتى يرد إلى الحق ، وفى ذلك اثم الباطل و إن كان لنيل الحق (٣) كان إذا كسب ذنباً فأحزنه وأعطى مهلة من الأجل بعده صلى ركعتين تحقيقاً للتوبة

وَقَالَ ع : مَا ٱلْمُبْتَلَى ٱلَّذِى قَدِ ٱشْتَدَّ بِهِ ٱلْبَلَاءِ بِأَحْوَجَ إِلَى ٱلدُّعَاءِ مِنَ ٱلْمُعَافَى ٱلَّذِى لَا يَأْمَنُ ٱلْبَلَاءَ

وَقَالَ ع : النَّاسُ أَبْنَاءُ ٱلدُّنْيَا ، وَلَا يُلَامُ ٱلرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ

وَقَالَ ع : إِنَّ ٱلْمِسْكِينَ رَسُولُ ٱللهِ(١) فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ ٱللهَ ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ أَعْطَى ٱللهَ

وَقَالَ ع : مَا زَنَى غَيُورٌ قَطُّ

وَقَالَ ع : كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِسًا

وَقَالَ ع : يَنَامُ ٱلرَّجُلُ عَلَى ٱلثُّكْلِ وَلَا يَنَامُ عَلَى ٱلْحَرَبِ(٢) (وَمَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى قَتْلِ ٱلْأَوْلَادِ وَلَا يَصْبِرُ عَلَى سَلْبِ ٱلْأَمْوَالِ)

وَقَالَ ع : مَوَدَّةُ ٱلْآبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ ٱلْأَبْنَاءِ(٣) وَٱلْقَرَابَةُ إِلَى ٱلْمَوَدَّةِ أَحْوَجُ مِنَ ٱلْمَوَدَّةِ إِلَى ٱلْقَرَابَةِ

وَقَالَ ع : ٱتَّقُوا ظُنُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَإِنَّ ٱللهَ تَعَالَى جَعَلَ ٱلْحَقَّ عَلَى أَلْسِنَتِهِمْ

---

(١) لأن الله هو الذى حرمه الرزق فكأنه أرسله إلى الغنى ليمتحنه به

(٢) الثكل ـ بالضم ـ : فقد الأولاد . والحرب ـ بالتحريك ـ : سلب المال (٣) إذا كان بين الآباء مودة كان أثرها فى الأبناء أثر القرابة من التعاون والمرافدة . والمودة أصل فى المعاونة ، والقرابة من أسبابها ، وقد لاتكون مع القرابة معاونة إذا فقدت

وَقَالَ ع : لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللهِ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ(١)

وَقَالَ ع لِأَنَسِ بْنِ مَالِكٍ وَقَدْ كَانَ بَعَثَهُ إِلَى طَلْحَةَ وَالزُّبَيْرِ لَمَّا جَاءَ إِلَى الْبَصْرَةِ يُذَكِّرُهُمَا شَيْئًا سَمِعَهُ مِنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي مَعْنَاهُمَا فَلَوَى عَنْ ذَٰلِكَ فَرَجَعَ إِلَيْهِ فَقَالَ(٢) : (إِنِّي أُنْسِيتُ ذَٰلِكَ الْأَمْرَ)

فَقَالَ ع : إِنْ كُنْتَ كَاذِبًا فَضَرَبَكَ اللهُ بِهَا بَيْضَاءَ لَامِعَةً لَا تُوَارِيهَا الْعِمَامَةُ (يَعْنِي الْبَرَصَ ، فَأَصَابَ أَنَسًا هَٰذَا الدَّاءُ فِيمَا بَعْدُ فِي وَجْهِهِ فَكَانَ لَا يُرَى إِلَّا مُبَرْقَعًا)

وَقَالَ ع : إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًا وَإِدْبَارًا(٣) فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَاحْمِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ ، وَإِذَا أَدْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ

وَقَالَ ع : وَفِي الْقُرْآنِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُمْ وَخَبَرُ مَا بَعْدَكُمْ وَحُكْمُ مَا بَيْنَكُمْ(٤)

المحبة ، فالأقرباء فى حاجة إلى المودة . أما الأوداء فلا حاجة بهم إلى القرابة (١) أى حتى تكون ثقته بما عند الله من ثواب وفضل أشد من ثقته بما فى يده (٢) الضمير فى قال ورجع ولوى لأنس . روى أن أنساً كان فى حضرة النبى صلى الله عليه وسلم وهو يقول لطلحة والزبير انكما تحاربان علياً وأنتما له ظالمان (٣) إقبال القلوب : رغبتها فى العمل . و إدبارها : مللها منه (٤) نبأ ماقبلنا أى خبرهم فى قصص القرآن ، ونبأ مابعدنا: الخبر عن مصير أمورهم ، وهو يعلم من سنة الله فيمن قبلنا . وحكم مابيننا

وَقَالَ ع : رُدُّوا ٱلْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ فَإِنَّ ٱلشَّرَّ لَا يَدْفَعُهُ إِلَّا ٱلشَّرُّ(١)

وَقَالَ ع لِكَاتِبِهِ عُبَيْدِ ٱللهِ بْنِ رَافِعٍ : أَلِقْ دَوَاتَكَ ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ(٢) ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ وَقَرْمِطْ بَيْنَ ٱلْحُرُوفِ فَإِنَّ ذٰلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ ٱلْخَطِّ

وَقَالَ ع : أَنَا يَعْسُوبُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ، وَٱلْمَالُ يَعْسُوبُ ٱلْفُجَّارِ (وَمَعْنَى ذٰلِكَ أَنَّ ٱلْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَنِي وَٱلْفُجَّارَ يَتَّبِعُونَ ٱلْمَالَ كَمَا تَتَّبِعُ ٱلنَّحْلُ يَعْسُوبَهَا وَهُوَ رَئِيسُهَا)

(وَقَالَ لَهُ بَعْضُ ٱلْيَهُودِ : مَا دَفَنْتُمْ نَبِيَّكُمْ حَتَّى ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ)

فَقَالَ ع لَهُ : إِنَّمَا ٱخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ(٣) وَلٰكِنَّكُمْ مَا جَفَّتْ أَرْجُلُكُمْ مِنَ ٱلْبَحْرِ حَتَّى قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ «ٱجْعَلْ لَنَا إِلٰهاً كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ»

(وَقِيلَ لَهُ بِأَيِّ شَيْءٍ غَلَبْتَ ٱلْأَقْرَانَ ؟)

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مَا لَقِيتُ رَجُلًا إِلَّا أَعَانَنِي عَلَى نَفْسِهِ (يُومِئُ

فى الأحكام التى نص عليها (١) رد الحجر كناية عن مقابلة الشر بالدفع على فاعله ليرتدع عنه ، وهذا إذا لم يمكن دفعه بالأحسن (٢) جلفة القلم — بكسر الجيم — : مابين مبراه وسنته . و إلاقة الدواة : وضع الليقة فيها . والقرمطة بين الحروف : المقاربة بينها وتضييق فواصلها (٣) أى فى أخبار وردت عنه لا فى صدقه وأصول الاعتقاد بدينه

بِذَلِكَ إِلَى تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ فِي الْقُلُوبِ)

وَقَالَ ع لِابْنِهِ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنَفِيَّةِ : يَابُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ فَاسْتَعِذْ بِاللهِ مِنْهُ فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ[١] مَدْهَشَةٌ لِلْعَقْلِ ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ

(وَقَالَ ع لِسَائِلٍ سَأَلَهُ عَنْ مُعْضِلَةٍ[٢] : سَلْ تَفَقُّهاً وَلَا تَسْأَلْ تَعَنُّتاً ، فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهٌ بِالْعَالِمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَسِّفَ شَبِيهٌ بِالْجَاهِلِ الْمُتَعَنِّتِ

(وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللهِ بْنِ الْعَبَّاسِ وَقَدْ أَشَارَ عَلَيْهِ فِي شَيْءٍ لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ ع) : لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى ، فَإِنْ عَصَيْتُكَ فَأَطِعْنِي[٣]

وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِماً مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشِّبَامِيِّينَ[٤] فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلَى صِفِّينَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ ابْنُ شُرَحْبِيلَ الشِّبَامِيُّ وَكَانَ مِنْ وُجُوهِ قَوْمِهِ)

فَقَالَ ع لَهُ : تَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ[٥] ، أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ عَنْ

---

(١) إذا اشتد الفقر فربما يحمل على الخيانة أو الكذب أو احتمال الذل أو القعود عن نصرة الحق ، وكلها نقص فى الدين (٢) أى أحجية بقصد المعاياة لا بقصد الاستفادة (٣) وذلك عندما أشار عليه أن يكتب لابن طلحة بولاية البصرة ولابن الزبير بولاية الكوفة ولمعاوية باقراره فى ولاية الشام حتى تسكن القلوب وتتم بيعة الناس وتلقى الخلافة بوانيها ، فقال أمير المؤمنين لاأفسد دينى بدنيا غيرى ، ولك أن تشير الخ (٤) شبام ـ ككتاب ـ : اسم حى (٥) على ماأسمع أى من البكاء ، وتغلبكم عليه

هٰذَا الرَّنِينِ (وَأَقْبَلَ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَهُ) : ارْجِعْ فَإِنَّ مَشْيَ مِثْلِكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ[1]

(وَقَالَ ع وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ) : بُؤْسًا لَكُمْ ، لَقَدْ ضَرَّكُمْ مَنْ غَرَّكُمْ (فَقِيلَ لَهُ مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَقَالَ): الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ وَالْأَنْفُسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ وَفَسَحَتْ لَهُمْ بِالْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمُ الْإِظْهَارَ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ

وَقَالَ ع : اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللهِ فِي الْخَلَوَاتِ فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ

(وَقَالَ ع لَمَّا بَلَغَهُ قَتْلُ مُحَمَّدِ بْنِ أَبِي بَكْرٍ) : إِنَّ حُزْنَنَا عَلَيْهِ عَلَى قَدْرِ سُرُورِهِمْ بِهِ ، إِلَّا أَنَّهُمْ نَقَصُوا بَغِيضًا وَنَقَصْنَا حَبِيبًا

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : الْعُمُرُ الَّذِي أَعْذَرَ اللهُ فِيهِ إِلَى ابْنِ آدَمَ سِتُّونَ سَنَةً[2]

أى يأنينه قهراً عنكم . والرنين صوت البكاء (١) أى مشيك وأنت من وجوه القوم معي وأنارا كب فتنة للحاكم تنفخ فيه روح الكبر ، ومذلة أى موجبة لذل المؤمن ينزلونه منزلة العبد والخادم (٢) إن كان يعتذر ابن آدم فيما قبل الستين بغلبة الهوى عليه وتملك القوى الجسمانية لعقله فلا عذر له بعد الستين إذا اتبع الهوى ومال إلى الشهوة

وَقَالَ ع : مَا ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الْإِثْمُ بِهِ ، وَالْغَالِبُ بِالشَّرِّ مَغْلُوبٌ[1]

وَقَالَ ع : إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ أَقْوَاتَ الْفُقَرَاءِ فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتِّعَ بِهِ غَنِيٌّ وَاللهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ

وَقَالَ ع : الِاسْتِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ أَعَزُّ مِنَ الصِّدْقِ بِهِ[2]

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَقَلُّ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلهِ أَنْ لَا تَسْتَعِينُوا بِنِعَمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ

وَقَالَ ع : إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةَ الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجَزَةِ[3]

وَقَالَ ع : السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللهِ فِي أَرْضِهِ[4]

(وَقَالَ ع فِي صِفَةِ الْمُؤْمِنِ) : الْمُؤْمِنُ بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ[5] ، وَحُزْنُهُ

---

(١) إذا كانت الوسيلة لظفرك بخصمك ركوب إثم واقتراف معصية فانك لم تظفر حيث ظفرت بك المعصية فألقت بك إلى النار ، وعلى هذا قوله : الغالب بالشر مغلوب (٢) العذر وإن صدق لايخلو من تصاغر عند الموجه إليه ، فانه اعتراف بالتقصير فى حقه ، فالبعد عما يوجب الاعتذار أعز (٣) العجزة — جمع عاجز — : المقصرون فى أعمالهم لغلبة شهواتهم على عقولهم ، والأكياس جمع كيس وهم العقلاء فاذا منع الضعيف إحسانه على فقير مثلا كان ذلك غنيمة للعاقل فى الاحسان إليه ، وعلى ذلك بقية الأعمال الخيرية (٤) الوزعة — بالتحريك — : جمع وازع وهو الحاكم يمنع من مخالفة الشريعة ، والاخبار بالجمع لأن أل فى السلطان للجنس (٥) البشر — بالكسر — : البشاشة والطلاقة ، أى لايظهر عليه إلا السرور وإن كان فى قلبه

فِي قَلْبِهِ. أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْرًا، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْسًا(١). يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ، وَيَشْنَؤُ السُّمْعَةَ. طَوِيلٌ غَمُّهُ. بَعِيدٌ هَمُّهُ. كَثِيرٌ صَمْتُهُ. مَشْغُولٌ وَقْتُهُ. شَكُورٌ صَبُورٌ. مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ(٢). ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ(٣) سَهْلُ الْخَلِيقَةِ. لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ. نَفْسُهُ أَصْلَبُ مِنَ الصَّلْدِ(٤) وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ

وَقَالَ ع : لَوْ رَأَى الْعَبْدُ الْأَجَلَ وَمَصِيرَهُ لَأَبْغَضَ الْأَمَلَ وَغُرُورَهُ

وَقَالَ ع : لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ: الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ

وَقَالَ ع : الدَّاعِي بِلَا عَمَلٍ كَالرَّامِي بِلَا وَتَرٍ(٥)

وَقَالَ ع : الْعِلْمُ عِلْمَانِ: مَطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ(٦)

وَقَالَ ع : صَوَابُ الرَّأْيِ بِالدُّوَلِ يُقْبِلُ بِإِقْبَالِهَا وَيَذْهَبُ بِذَهَابِهَا(٧)

حزينا كناية عن الصبر والتحمل (١) ذل نفسه لعظمة ربه والمتضعين من خلقه وللحق إذا جرى عليه . وكراهته الرفعة : بغضه للتكبر على الضعفاء ، ولا يحب أن يسمع أحد بما يعمل لله فهو يشنؤ أي يبغض السمعة، وطول غمه خوفا مما بعد الموت. وبعد همه لأنه لا يطلب إلا معالي الأمور (٢) مغمور أي غريق في فكرته لأداء الواجب عليه لنفسه وملته (٣) الخلة ـ بالفتح ـ : الحاجة أي بخيل باظهار فقره للناس. والخليقة الطبيعة . والعريكة: النفس (٤) الصلد : الحجر الصلب. ونفس المؤمن أصلب منه في الحق ، و إن كان في تواضعه أذل من العبد (٥) الرامي من قوس بلا وتر يسقط سهمه ولا يصيب ، والذي يدعو الله ولا يعمل لا يجيب الله دعاءه (٦) مطبوع العلم: ما رسخ في النفس وظهر أثره في أعمالها ، ومسموعه : منقوله ومحفوظه . والأول هو العلم حقا (٧) إقبال الدولة : كناية عن سلامتها وعلوها كأنها مقبلة على صاحبها

وَقَالَ ع : الْعَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى

وَقَالَ ع : يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ

وَقَالَ ع : الْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ ، وَالسَّرَائِرُ مَبْلُوَّةٌ (١) وَ « كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ » . وَالنَّاسُ مَنْقُوصُونَ مَدْخُولُونَ (٢) إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ . سَائِلُهُمْ مُتَعَنِّتٌ ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ . يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْياً يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَى وَالسُّخْطُ (٣) ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُوداً تَنْكَؤُهُ اللَّحْظَةُ وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ (٤) . مَعَاشِرَ النَّاسِ اتَّقُوا اللَّهَ فَكَمْ مِنْ مُؤَمِّلٍ مَا لَا يَبْلُغُهُ ، وَبَانٍ مَا لَا يَسْكُنُهُ ، وَجَامِعٍ مَا سَوْفَ يَتْرُكُهُ . وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ . أَصَابَهُ حَرَاماً ، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَاماً ، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ آسِفاً لَاهِفاً قَدْ « خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ »

تطلبه الأخذ بزمامها وان لم يطلبها . وعلو الدولة يعطى العقل مكنة الفكر ، ويفتح له باب الرشاد . وادبارها يقع بالعقل فى الحيرة والارتباك فيذهب عنه صائب الرأى (١) بلاها الله واختبرها وعلمها يريد أن ظاهر الأعمال وخفيها معلوم لله ، والأنفس مرهونة بأعمالها فان كانت خيراً خلصتها وإن كانت شراً أحبستها (٢) المدخول: المغشوش مصاب بالدخل ـ بالتحريك ـ وهو مرض العقل والقلب . والمنقوص : المأخوذ عن رشده وكأنه كأنه نقص منه بعض جوهره (٣) لو كان فيهم ذو رأى غلب على رأيه رضاه وسخطه فاذا رضى حكم لمن استرضاه بغير حق ، وإذا سخط حكم على من أسخطه بباطل (٤) أصلبهم عودا: أشدهم بدينه تمسكا ، واللحظة النظرة إلى مشتهى. وتنكؤه

وَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : مِنَ ٱلْعِصْمَةِ تَعَذُّرُ ٱلْمَعَاصِى (١)

وَقَالَ ع : مَاءُ وَجْهِكَ جَامِدٌ يُقْطِرُهُ ٱلسُّؤَالُ فَانْظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقْطِرُهُ

وَقَالَ ع : الثَّنَاءُ بِأَكْثَرَ مِنَ ٱلِاسْتِحْقَاقِ مَلَقٌ (٢) وَٱلتَّقْصِيرُ عَنِ ٱلِاسْتِحْقَاقِ عِيٌّ وَحَسَدٌ

وَقَالَ ع : أَشَدُّ ٱلذُّنُوبِ مَا ٱسْتَهَانَ بِهِ صَاحِبُهُ

وَقَالَ ع : مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ ٱشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ . وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ ٱللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَا فَاتَهُ . وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ ٱلْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ . وَمَنْ كَابَدَ ٱلْأُمُورَ عَطِبَ (٣) . وَمَنِ ٱقْتَحَمَ ٱللُّجَجَ غَرِقَ . وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ ٱلسُّوءِ ٱتُّهِمَ . وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطَؤُهُ . وَمَنْ كَثُرَ خَطَؤُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ . وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ . وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ . وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ ٱلنَّارَ . وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ ٱلنَّاسِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَاكَ ٱلْأَحْمَقُ بِعَيْنِهِ (٤) وَٱلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ ، وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ ٱلْمَوْتِ

ـ كتمنعه ـ أى تسيل جرحه وتأخذ بقلبه . وتستحيله : تحوله عما هو عليه ، أى نظرة إلى مرغوب تجذبه إلى مواقعة الشهوة ، وكلة من عظيم تميله إلى موافقة الباطل

(١) هو من قبيل قولهم : « ان من العصمة أن لا تجد » وروى حديثاً (٢) ملق ـ بالتحريك ـ : تملق. والعى ـ بالكسر ـ : العجز (٣) كابدها : قاساها بلا إعداد أسبابها ، فكأنه يجاذبها وتطارده (٤) لأنه قد أقام الحجة لغيره على نفسه ورضى

رَضِيَ مِنَ ٱلدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ . وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ

وَقَالَ ع : لِلظَّالِمِ مِنَ ٱلرِّجَالِ ثَلَاثُ عَلَامَاتٍ : يَظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ(١)، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ ، وَيُظَاهِرُ ٱلْقَوْمَ ٱلظَّلَمَةَ

وَقَالَ ع : عِنْدَ تَنَاهِي ٱلشِّدَّةِ تَكُونُ ٱلْفُرْجَةُ . وَعِنْدَ تَضَايُقِ حِلَقِ ٱلْبَلَاءِ يَكُونُ ٱلرَّخَاءُ

وَقَالَ ع لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ، فَإِنْ يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ فَإِنَّ ٱللهَ لَا يُضِيعُ أَوْلِيَاءَهُ . وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ ٱللهِ فَمَا هَمُّكَ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ ٱللهِ

وَقَالَ ع : أَكْبَرُ ٱلْعَيْبِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ

(وَهَنَّأَ بِحَضْرَتِهِ رَجُلٌ رَجُلًا بِغُلَامٍ وُلِدَ لَهُ فَقَالَ لَهُ لِيَهْنِكَ ٱلْفَارِسُ)

فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ : لَا تَقُلْ ذٰلِكَ، وَلٰكِنْ قُلْ : شَكَرْتَ ٱلْوَاهِبَ وَبُورِكَ لَكَ فِي ٱلْمَوْهُوبِ، وَبَلَغَ أَشُدَّهُ ، وَرُزِقْتَ بِرَّهُ

(وَبَنَى رَجُلٌ مِنْ عُمَّالِهِ بِنَاءً فَخْماً(٢)) فَقَالَ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ :

---

(١) معصية أوامره ونواهيه أو خروجه عليه ورفضه لسلطته برجوع عيبه على ذاته وذلك ظلم، لأنه عدوان على الحق . والغلبة : القهر . و يظاهر أي يعاون . والظلمة : جمع ظالم (٢) أي عظيماً ضخما

أَطْلَعَتِ الْوَرِقُ رُءُوسَهَا[١] إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى

(وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ بَيْتِهِ وَتُرِكَ فِيهِ مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ ؟)

فَقَالَ ع : مِنْ حَيْثُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ

(وَعَزَّى قَوْمًا عَنْ مَيِّتٍ مَاتَ لَهُمْ) فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ هٰذَا الْأَمْرَ لَيْسَ بِكُمْ بَدَأَ وَلَا إِلَيْكُمْ انْتَهَى[٢] . وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هٰذَا يُسَافِرُ فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ أَسْفَارِهِ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ

وَقَالَ ع : أَيُّهَا النَّاسُ لِيَرَكُمُ اللهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَجِلِينَ كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّقْمَةِ فَرِقِينَ[٣] ، إِنَّهُ مَنْ وُسِّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذٰلِكَ

---

(١) الورق - بفتح فكسر - : الفضة أى ظهرت الفضة فأطلعت رءوسها كناية عن الظهور ، ووضح هذا بقوله البناء يصف لك الغنى ، أى يدل عليه (٢) هذا الأمر أى الموت لم يكن تناوله لصاحبكم أول فعل له ولا آخر فعل له ، بل سبقه ميتون وسيكون بعده ، وقد كان ميتكم هذا يسافر لبعض حاجاته فاحسبوه مسافراً ، فاذا طال زمن سفره فانكم ستتلاقون معه وتقدمون عليه عند موتكم (٣) وجلين : خائفين . وفرقين : فزعين . كونوا بحيث يراكم الله خائفين من مكره عند النعمة كما يراكم فزعين من بلائه عند النقمة ، فان صاحب النعمة إذا لم يظن نعمته استدراجا من الله فقد أمن من مكر الله ، ومن كان فى ضيق فلم يحسب ذلك امتحانا من الله فقد أيس من رحمة الله وضيع أجرا مأمولا

اسْتِدْرَاجًا فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفًا . وَمَنْ ضُيِّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَارًا فَقَدْ ضَيَّعَ مَأْمُولًا

وَقَالَ ع : يَا أَسْرَى الرَّغْبَةِ أَقْصِرُوا [١] فَإِنَّ الْمُعَرِّجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرُوعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحِدْثَانِ [٢]. أَيُّهَا النَّاسُ تَوَلَّوْا مِنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا [٣]

وَقَالَ ع : لَا تَظُنَّنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا

وَقَالَ ع : إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ فَإِنَّ اللهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ [٤] فَيَقْضِيَ إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى

وَقَالَ ع : مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدَعِ الْمِرَاءَ [٥]

وَقَالَ ع : مِنَ الْخُرْقِ الْمُعَاجَلَةُ قَبْلَ الْإِمْكَانِ وَالْأَنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ [٦]

---

(١) أسرى : جمع أسير. والرغبة الطمع. وأقصروا كفوا (٢) المعرّج المائل اليها أو المعوّل عليها أو المقيم بها . ويروعه : يفزعه. والصريف : صوت الأسنان ونحوها عند الاصطكاك. والحدثان — بالكسر — : النوائب (٣) الضراوة : اللهج بالشيء والولوع به، أي كفوا أنفسكم عن اتباع ماتدفع اليه عاداتها (٤) الحاجتان الصلاة على النبي وحاجتك ، والأولى مقبولة مجابة قطعا (٥) ضن : بخل . والمراء الجدال في غير حق. وفي تركه صون للعرض عن الطعن (٦) الخرق — بالضم — : الحمق وضد الرفق. والأناة التأني . والفرصة

وَقَالَ ع : لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغُلٌ (١)

وَقَالَ ع : الْفِكْرُ مِرْآةٌ صَافِيَةٌ وَالِاعْتِبَارُ مُنْذِرٌ نَاصِحٌ (٢)

وَكَفَى أَدَباً لِنَفْسِكَ تَجَنُّبُكَ مَا كَرِهْتَهُ لِغَيْرِكَ

وَقَالَ ع : الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ فَمَنْ عَلِمَ عَمِلَ . وَالْعِلْمُ يَهْتِفُ بِالْعَمَلِ فَإِنْ أَجَابَهُ وَإِلَّا ارْتَحَلَ عَنْهُ (٣)

وَقَالَ ع : يَا أَيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُوبِئٌ فَتَجَنَّبُوا مَرْعَاهُ (٤). قُلْعَتُهَا أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينَتِهَا (٥) وَبُلْغَتُهَا أَزْكَى مِنْ ثَرْوَتِهَا (٦) . حُكِمَ عَلَى مُكْثِرٍ بِهَا بِالْفَاقَةِ (٧) وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا بِالرَّاحَةِ (٨) . وَمَنْ رَاقَهُ زِبْرِجُهَا أَعْقَبَتْ نَاظِرَيْهِ كَمَهاً (٩) .

مايمكنك من مطاو بك ، ومن الحكم أن لا تتعجل حتى تتمكن ، و إذا تمكنت فلا تمهل (١) لا تتمن من الأمور بعيدها فكفاك من قريبها مايشغلك (٢) الاعتبار الاتعاظ بما يحصل للغير و يترتب على أعماله (٣) العلم يطلب العمل و يناديه فان وافق العمل العلم والا ذهب العلم لحافظ العلم العمل (٤) الحطام — كغراب — : ماتكسر من يبيس النبات . وموبىء أى ذو وباء مهلك . ومرعاه محل رعيه والتناول منه (٥) القلعة — بالضم — : عدم سكونك للتوطن . وأحظى أى أسعد (٦) البلغة — بالضم — : مقدار مايتبلغ به من القوت (٧) المكثر بالدنيا حكم الله عليه بالفقر ، لأنه كلما أكثر زاد طمعه وطلبه فهو فى فقر دائم إلى مايطمع فيه (٨) غنى — كرضى — : استغنى ، وغنى القلب عن الدنيا فى راحة تامة (٩) الزبرج — بكسر فسكون فكسر — : الزينة . وراقه : أعجبه وحسن فى عينه . والكمه — محركة — العمى ، فن نظر لزينتها بعين

وَمَن اُسْتَشْعَرَ الشَّغَفَ بِهَا مَلأَتْ ضَمِيرَهُ أَشْجَاناً(١) لَهُنَّ رَقْصٌ عَلَى سُوَيْدَاءِ قَلْبِهِ(٢) هَمٌّ يَشْغَلُهُ وَهَمٌّ يَحْزُنُهُ ، كَذَلِكَ حَتَّى يُؤْخَذَ بِكَظَمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ(٣) . مُنْقَطِعاً أَبْهَرَاهُ هَيِّناً عَلَى اللهِ فَنَاؤُهُ وَعَلَى الْإِخْوَانِ إِلْقَاؤُهُ(٤) ، وَإِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الِاعْتِبَارِ ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الِاضْطِرَارِ(٥) . وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالْإِبْغَاضِ . إِنْ قِيلَ أَثْرَى قِيلَ أَكْدَى(٦) . وَإِنْ فُرِحَ لَهُ بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ . هٰذَا وَلَمْ يَأْتِهِمْ يَوْمٌ فِيهِ يُبْلِسُونَ(٧)

وَقَالَ ع : إِنَّ اللهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ذِيَادَةً لِعِبَادِهِ عَنْ نِقْمَتِهِ(٨) وَحِيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ(٩)

الاستحسان أعمت عينيه عن الحق (١) الشغف ـ بالعين محركة ـ : الولوع وشدة التعلق . والأشجان : الأحزان (٢) رقص ـ بالفتح وبالتحريك ـ : حركة واثب . وسويداء القلب : حبته . ولهن أى للاشجان ، فهى تلعب بقلبه (٣) الكظم ـ محركة ـ : مخرج النفس ، أى حتى يخنقه الموت فيطرح بالفضاء . والأبهران : وريدا العنق . وانقطاعهما كناية عن الهلاك (٤) القاؤه : طرحه فى قبره (٥) أى يأخذ من القوت مايكفى بطن المضطر وهو مايزيل الضرورة (٦) بيان لحال الانسان فى الدنيا فلا يقال فلان أثرى أى استغنى حتى يسمع بعد مدة بأنه أكدى أى افتقر وصف لقلب الحال (٧) أبلس : يئس وتحير . يوم الحيرة : يوم القيامة (٨) ذيادة ـ بالذال ـ أى منعا لهم عن المعاصى الجالبة للنقم (٩) حياشة : من حاش الصيد جاءه من حواليه ليصرفه إلى الحبالة ويسوقه اليها ليصيده أى سوقا إلى جنته

(وَرُوِى أَنَّهُ ع قَلَّمَا اعْتَدَلَ بِهِ الْمِنْبَرُ إِلَّا قَالَ أَمَامَ خُطْبَتِهِ) : أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا اللَّهَ فَمَا خُلِقَ امْرُؤٌ عَبَثاً فَيَلْهُوَ ، وَلَا تُرِكَ سُدًى فَيَلْغُوَ[١] . وَمَا دُنْيَاهُ الَّتِى تَحَسَّنَتْ لَهُ بِخَلَفٍ مِنَ الْآخِرَةِ الَّتِى قَبَّحَهَا سُوءُ النَّظَرِ عِنْدَهُ . وَمَا الْمَغْرُورُ الَّذِى ظَفِرَ مِنَ الدُّنْيَا بِأَعْلَى هِمَّتِهِ كَالْآخَرِ الَّذِى ظَفِرَ مِنَ الْآخِرَةِ بِأَدْنَى سُهْمَتِهِ[٢]

وَقَالَ ع : لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ . وَلَا عِزَّ أَعَزُّ مِنَ التَّقْوَى وَلَا مَعْقِلَ أَحْصَنُ مِنَ الْوَرَعِ . وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ . وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ . وَلَا مَالَ أَذْهَبُ لِلْفَاقَةِ مِنَ الرِّضَى بِالْقُوتِ . وَمَنِ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدِ انْتَظَمَ الرَّاحَةَ[٣] وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ . وَالرَّغْبَةُ مِفْتَاحُ النَّصَبِ[٤] وَمَطِيَّةُ التَّعَبِ . وَالْحِرْصُ وَالْكِبْرُ وَالْحَسَدُ دَوَاعٍ إِلَى التَّقَحُّمِ فِى الذُّنُوبِ . وَالشَّرُّ جَامِعُ مَسَاوِى الْعُيُوبِ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : يَأْتِى عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِ مِنَ الْقُرْآنِ

---

(١) لها : تلهى بلذاته . ولغا : أتى باللغو وهو مالا فائدة فيه (٢) السهمة ـ بالضم ـ : النصيب .وأدنى حظ من الآخرة أفضل من أعلاه فى الدنيا والفرق بين الباقى والفانى وإن كان الأول قليلا والثانى كثيراً لايخفى (٣) من قولك انتظمه بالرمح أى أنفذه فيه كأنه ظفر بالراحة . وتبوأ : نزل الخفض أى السعة . والدعة ـ بالتحريك ـ : كالخفض . والاضافة على حد كرى النوم (٤) الرغبة : الطمع. والنصب ـ بالتحريك ـ : أشد التعب

إِلَّا رَسْمُهُ وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا اسْمُهُ. مَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبُنَى خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى. سُكَّانُهَا وَعُمَّارُهَا شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا فِيهَا. وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا يَقُولُ اللهُ تَعَالَى « فَبِي حَلَفْتُ لَأَبْعَثَنَّ عَلَى أُولَئِكَ فِتْنَةً أَتْرُكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ، وَقَدْ فَعَلَ. وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللهَ عَثْرَةَ الْغَفْلَةِ

(وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِجَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ الْأَنْصَارِيِّ) يَاجَابِرُ قِوَامُ الدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ: عَالِمٍ مُسْتَعْمِلٍ عِلْمَهُ، وَجَاهِلٍ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ، وَجَوَادٍ لَا يَبْخَلُ بِمَعْرُوفِهِ، وَفَقِيرٍ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ. فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ[1]، وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ[2] يَاجَابِرُ مَنْ كَثُرَتْ نِعَمُ اللهِ عَلَيْهِ كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ، فَمَنْ قَامَ لِلهِ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلدَّوَامِ وَالْبَقَاءِ[3]، وَمَنْ لَمْ يَقُمْ فِيهَا بِمَا يَجِبُ عَرَّضَهَا لِلزَّوَالِ وَالْفَنَاءِ

(وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبَرِيُّ فِي تَارِيخِهِ عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهِ ـ وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ لِقِتَالِ الْحَجَّاجِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ـ أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَحُضُّ بِهِ النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ: إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ

---

(١) لاستواء العلم والجهل فى نظره (٢) لأنه يضطر للخيانة أو الكذب حتى ينال بهما من الغنى شيئا (٣) عرضها أى جعلها عرضة أى نصبها له

يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ ٱلشَّامِ) :

أَيُّهَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِنَّهُ مَنْ رَأَى عُدْوَانًا يُعْمَلُ بِهِ وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ فَأَنْكَرَهُ بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِئَ[1] ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ . وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لِتَكُونَ كَلِمَةُ ٱللَّهِ هِيَ ٱلْعُلْيَا وَكَلِمَةُ ٱلظَّالِمِينَ هِيَ ٱلسُّفْلَى فَذَٰلِكَ ٱلَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ ٱلْهُدَى وَقَامَ عَلَى ٱلطَّرِيقِ وَنَوَّرَ فِي قَلْبِهِ ٱلْيَقِينُ

(وَفِي كَلَامٍ آخَرَ لَهُ يَجْرِي هٰذَا ٱلْمَجْرَى) فَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ فَذَٰلِكَ ٱلْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ ٱلْخَيْرِ ، وَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَٱلتَّارِكُ بِيَدِهِ ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصْلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ ٱلْخَيْرِ وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً ، وَمِنْهُمُ ٱلْمُنْكِرُ بِقَلْبِهِ وَٱلتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ فَذَلِكَ ٱلَّذِي ضَيَّعَ أَشْرَفَ ٱلْخَصْلَتَيْنِ مِنَ ٱلثَّلَاثِ وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ[2] ، وَمِنْهُمْ تَارِكٌ لِإِنْكَارِ ٱلْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ فَذَلِكَ مَيِّتُ ٱلْأَحْيَاءِ وَمَا أَعْمَالُ ٱلْبِرِّ كُلُّهَا وَٱلْجِهَادُ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ عِنْدَ ٱلْأَمْرِ بِٱلْمَعْرُوفِ وَٱلنَّهْيِ عَنِ ٱلْمُنْكَرِ إِلَّا كَنَفْثَةٍ فِي بَحْرٍ لُجِّيٍّ[3] ، وَإِنَّ ٱلْأَمْرَ بِٱلْمَعْرُوفِ

(١) برئ من الاثم وسلم من العقاب ان كان عاجزاً (٢) أشرف الخصلتين من إضافة الصفة للموصوف ، أى الخصلتين الفائقتين فى الشرف عن الثالثة ، وليس من قبيل إضافة اسم التفضيل إلى متعدد (٣) النفثة — كالنفخة — يراد ما يمازج النفس من الريق عند النفخ

وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرِّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ مِنْ رِزْقٍ . وَأَفْضَلُ مِنْ ذَٰلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةُ عَدْلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ

(وَعَنْ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ) : أَوَّلُ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ثُمَّ بِأَلْسِنَتِكُمْ ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفاً وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَراً قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ وَأَسْفَلُهُ أَعْلَاهُ

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيءٌ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيءٌ[1] .

وَقَالَ ع : لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هٰذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ لِقَوْلِهِ تَعَالَى « فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ » وَلَا تَيْأَسَنَّ لِشَرِّ هٰذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ[2] لِقَوْلِهِ تَعَالَى « إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ »

وَقَالَ ع : الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ

---

(١) مرىء من مرأ الطعام ـ مثلثة الراء ـ مراءة فهو مرىء أى هنىء جيد العاقبة ، والحق و إن ثقل إلا أنه جيد العاقبة ، والباطل و إن خف فهو وبىء وخيم العاقبة ، أرض و بيئة كثيرة الوباء وهو المرض العام (٢) روح الله ـ بالفتح ـ : رحمته

وَقَالَ ع : الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنَتِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ ، كَفَاكَ كُلَّ يَوْمٍ مَا فِيهِ . فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَإِنَّ اللهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قَسَمَ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ عُمُرِكَ فَمَا تَصْنَعُ بِالْهَمِّ لِمَا لَيْسَ لَكَ ؟ وَلَنْ يَسْبِقَكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ عَلَيْهِ غَالِبٌ . وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ

(وَقَدْ مَضَى هٰذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هٰذَا الْبَابِ إِلَّا أَنَّهُ هٰهُنَا أَوْضَحُ وَأَشْرَحُ فَلِذَلِكَ كَرَّرْنَاهُ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمُقَرَّرَةِ فِي أَوَّلِ الْكِتَابِ)

وَقَالَ ع : رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَدْبِرِهِ ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلِهِ قَامَتْ بَوَاكِيهِ فِي آخِرِهِ[1]

وَقَالَ ع : الْكَلَامُ فِي وَثَاقِكَ مَالَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ[2] ، فَإِذَا تَكَلَّمْتَ بِهِ صِرْتَ فِي وَثَاقِهِ ، فَاخْزُنْ لِسَانَكَ كَمَا تَخْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرِقَكَ . فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً وَجَلَبَتْ نِقْمَةً

وَقَالَ ع : لَا تَقُلْ مَالَا تَعْلَمُ ، بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ ، فَإِنَّ اللهَ

---

(١) ربما يستقبل شخص يوما فيموت ولايستدبره أى لايعيش بعده فيخلفه وراءه . والمغبوط : المنظور إلى نعمته، وقديكون المرء كذلك فى أول الليل فيموت فى آخره فتقوم بواكيه جمع باكية (٢) الوثاق ـ كسحاب ـ : مايشد به ويربط، أى أنت مالك لكلامك قبل

فَرْضٌ عَلَى جَوَارِحِكَ فَرَائِضَ يَحْتَجُّ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَقَالَ ع : إِحْذَرْ أَنْ يَرَاكَ اللهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ (١) فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ، وَإِذَا قَوِيتَ فَاقْوَ عَلَى طَاعَةِ اللهِ ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللهِ

وَقَالَ ع : الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَا تُعَايِنُ مِنْهَا جَهْلٌ (٢) . وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ . وَالطُّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الاخْتِبَارِ عَجْزٌ

وَقَالَ ع : مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَرْكِهَا

وَقَالَ ع : مَنْ طَلَبَ شَيْئاً نَالَهُ أَوْ بَعْضَهُ (٣)

وَقَالَ ع ما خَيْرٌ بِخَيْرٍ بَعْدَهُ النَّارُ . وَمَا شَرٌّ بِشَرٍّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ (٤) .

أن يصدر عنك، فاذا تكلمت به صرت مملوكاله ، فاما نفعك أو ضرك، وخزن — كنصر — : حفظ ومنع الغير من الوصول إلى مخزونه . والورق — بفتح فكسر — : الفضة (١) فقده يفقده أى عدمه فلم يجده . والكلام من الكناية ، أى أن الله يراك فى الحالين فاحذر أن تعصيه ولا تطيعه (٢) تعاين من الدنيا تقلباً وتحولا لاينقطع ولا يختص بخير ولاشر ، فالثقة بها عمى عما تشاهد منها . والغبن — بالفتح — : الخسارة الفاحشة . وعند اليقين بثواب الله لاخسارة أفحش من الحرمان بالتقصير فى العمل مع القدرة عليه (٣) أى أن الذى يطلب ويعمل لما يطلبه ويداوم على ذلك لابد أن يناله أو ينال بعضه منه (٤) ما استفهامية انكارية ، أى لاخير فيما يسميه أهل الشهوة خيراً من الكسب

وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ مَحْقُورٌ ، وَكُلُّ بَلاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ

وَقَالَ ع : أَلا وَإِنَّ مِنَ الْبَلاءِ الْفَاقَةَ. وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ. وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ . أَلا وَإِنَّ مِنَ النِّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ

وَقَالَ ع : لِلْمُؤْمِنِ ثَلاثُ سَاعَاتٍ : فَسَاعَةٌ يُنَاجِي فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يَرِمُّ مَعَاشَهُ (١) ، وَسَاعَةٌ يُخَلِّي بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمُلُ . وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ شَاخِصًا إِلَّا فِي ثَلاثٍ : مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمٍ

وَقَالَ ع : أَزْهَدْ فِي الدُّنْيَا يُبَصِّرْكَ اللَّهُ عَوْرَاتِهَا ، وَلا تَغْفُلْ فَلَسْتَ بِمَغْفُولٍ عَنْكَ

وَقَالَ ع : تَكَلَّمُوا تُعْرَفُوا فَإِنَّ الْمَرْءَ مَخْبُوءٌ تَحْتَ لِسَانِهِ

وَقَالَ ع : خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجْمِلْ فِي الطَّلَبِ (٢)

بغير الحق والتغلب بغير شرع حيث أن وراء ذلك النار . ولا شر فيما يدعوه الجهلة شراً من الفقر أو الحرمان مع الوقوف عند الاستقامة فوراء ذلك الجنة . والمحقور : الحقير المحقر (١) يرم ـ بكسر الراء وفتحها ـ أي يصلح . والمرمة ـ بالفتح ـ الاصلاح . والمعاد ما تعود اليه في القيامة (٢) أي فان رغبت في طلب ما تولى وذهب

وَقَالَ ع : رُبَّ قَوْلٍ أَنْفَذُ مِنْ صَوْلٍ[١]

وَقَالَ ع : كُلُّ مُقْتَصَرٍ عَلَيْهِ كَافٍ[٢]

وَقَالَ ع : اَلْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّنِيَّةُ . وَالتَّقَلُّلُ وَلَا التَّوَسُّلُ[٣] . وَمَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا لَمْ يُعْطَ قَائِماً[٤]. وَالدَّهْرُ يَوْمَانِ يَوْمٌ لَكَ وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطَرْ ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ

وَقَالَ ع : مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَمْنٌ مِنْ غَوَائِلِهِمْ[٥].

وَقَالَ ع لِبَعْضِ مُخَاطِبِيهِ (وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْغَرُ مِثْلُهُ عَنْ قَوْلِ مِثْلِهَا[٦]) :

لَقَدْ طِرْتَ شَكِيرًا ، وَهَدَرْتَ سَقْباً (وَالشَّكِيرُ هٰهُنَا أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ[٧] ، وَالسَّقْبُ الصَّغِيرُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَا يَهْدِرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْحِلَ)

عنك منها فليكن طلبك جيلا واقفا بك عند الحق (١) الصول ـ بالفتح ـ : السطوة (٢) مقتصر ـ بفتح الصاد ـ : اسم مفعول ، وإذا اقتصرت على شيء فقنعت به فقد كفاك (٣) المنية أى الموت يكون ولا يكون ارتكاب الدنية كالتذلل والتقلل أى الاكتفاء بالقليل يرضى به الشريف ولا يرضى بالتوسل إلى الناس (٤) كنى بالقعود عن سهولة الطلب وبالقيام عن التعسف فيه (٥) المنافرة فى الأخلاق والمباعدة فيها مجلبة للعداوات ، ومن عاداه الناس وقع فى غوائلهم . فالمقاربة لهم فى أخلاقهم حافظة لمودتهم لكن لا تجوز الموافقة فى غير حق (٦) كلمة عظيمة مثله فى صغره قاصر عن قول مثلها (٧) كأنه قال لقد طرت وأنت فرخ لم تنهض

وَقَالَ ع : مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ ٱلْحِيَلُ[١]

وَقَالَ ع (وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ) إِنَّا لَا نَمْلِكُ مَعَ ٱللهِ شَيْئاً ، وَلَا نَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَّكَنَا،فَمَتَى مَا مَلَّكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ مِنَّا كَلَّفَنَا[٢]، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا

وَقَالَ ع : لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ (وَقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ ٱلْمُغِيرَةَ بْنَ شُعْبَةَ كَلَاماً) : دَعْهُ يَا عَمَّارُ فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ ٱلدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ ٱلدُّنْيَا ، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَّسَ عَلَى نَفْسِهِ[٣] لِيَجْعَلَ ٱلشُّبُهَاتِ عَاذِرًا لِسَقَطَاتِهِ

وَقَالَ ع : مَا أَحْسَنَ تَوَاضُعَ ٱلْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِمَا عِنْدَ ٱللهِ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيهُ ٱلْفُقَرَاءِ عَلَى ٱلْأَغْنِيَاءِ ٱتِّكَالًا عَلَى ٱللهِ[٤]

وَقَالَ ع : مَا ٱسْتَوْدَعَ ٱللهُ ٱمْرَأً عَقْلًا إِلَّا ٱسْتَنْقَذَهُ بِهِ يَوْمًا مَّا[٥]

وَقَالَ ع : مَنْ صَارَعَ ٱلْحَقَّ صَرَعَهُ

---

(١) أومأ : أشار ، والمراد طلب وأراد . والمتفاوت : المتباعد ، أى من طلب تحصيل المتباعدات وضم بعضها إلى بعض خذلته الحيل فيما يريد فلم ينجح فيه (٢) أى متى ملكنا القوة على العمل وهى فى قبضته أكثر مما هى فى قبضتنا فرض علينا العمل (٣) على عمد متعلق بلبس ، أى أوقع نفسه فى الشبهة عامداً لتكون الشبهة عذراً له فى زلاته (٤) لأن تيه الفقير وأنفته على الغنى أدل على كمال اليقين بالله ، فانه بذلك قد أمات طمعا ومحا خسوفا وصابر فى يأس شديد ، ولا شىء من هذا فى تواضع الغنى (٥) أى أن الله لايهب العقل إلا حيث يريد النجاة ، فتى أعطى شخصا عقلا خلصه به من شقاء

وَقَالَ ع : الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ (١)

وَقَالَ ع : التُّقَى رَئِيسُ الْأَخْلَاقِ

وَقَالَ ع : لَا تَجْعَلَنَّ ذَرَبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّدَكَ (٢)

وَقَالَ ع : كَفَاكَ أَدَباً لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ

وَقَالَ ع : مَنْ صَبَرَ صَبْرَ الْأَحْرَارِ وَإِلَّا سَلَا سُلُوَّ الْأَغْمَارِ (٣)

(وَفِي خَبَرٍ آخَرَ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِلْأَشْعَثِ بْنِ قَيْسٍ مُعَزِّياً)

إِنْ صَبَرْتَ صَبْرَ الْأَكَارِمِ وَإِلَّا سَلَوْتَ سُلُوَّ الْبَهَائِمِ

وَقَالَ ع فِي صِفَةِ الدُّنْيَا : تَغُرُّ وَتَضُرُّ وَتَمُرُّ . إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَمْ يَرْضَهَا ثَوَاباً لِأَوْلِيَائِهِ وَلَا عِقَاباً لِأَعْدَائِهِ ، وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرَكْبٍ بَيْنَاهُمْ حَلُّوا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا (٤)

وَقَالَ لِابْنِهِ الْحَسَنِ ع : يَا بُنَيَّ لَا تُخَلِّفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئاً مِنَ الدُّنْيَا، فَإِنَّكَ

---

(١) أي ما يتناوله البصر يحفظ في القلب كأنه يكتب فيه (٢) الذرب : الحدة . والتسديد : التقويم والتثقيف ، أي لا تطل لسانك على من علمك النطق ، ولا تظهر بلاغتك على من ثقفك وقوم عقلك (٣) الاغمار جمع غمر مثلث الأول وهو الجاهل لم يجرب الأمور ، ومن فاته شرف الجلد والصبر فلا بد يوما أن يسلو بطول المدة ، فالصبر أولى (٤) أي بيناهم قد حلوا يفاجئهم صائح الأجل وهو سائقهم بالرحيل فارتحلوا

تُخَلِّفُهُ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ ٱللّٰهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللّٰهِ فَكُنْتَ عَوْناً لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ . وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ حَقِيقاً أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ

(وَيُرْوَى هٰذَا ٱلْكَلَامُ عَلَى وَجْهٍ آخَرَ وَهُوَ) :

أَمَّا بَعْدُ فَإِنَّ ٱلَّذِي فِي يَدِكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلٍ بَعْدَكَ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدِ رَجُلَيْنِ : رَجُلٍ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ ٱللّٰهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، أَوْ رَجُلٍ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ ٱللّٰهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ، وَلَيْسَ أَحَدُ هٰذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ وَلَا أَنْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ ، فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ ٱللّٰهِ وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ ٱللّٰهِ

وَقَالَ ع (لِقَائِلٍ قَالَ بِحَضْرَتِهِ أَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ) : ثَكِلَتْكَ أُمُّكَ أَتَدْرِي مَا ٱلِاسْتِغْفَارُ ؟ ٱلِاسْتِغْفَارُ دَرَجَةُ ٱلْعِلِّيِّينَ . وَهُوَ ٱسْمٌ وَاقِعٌ عَلَى سِتَّةِ مَعَانٍ : أَوَّلُهَا ٱلنَّدَمُ عَلَى مَا مَضَى . وَٱلثَّانِي ٱلْعَزْمُ عَلَى تَرْكِ ٱلْعَوْدِ إِلَيْهِ أَبَدًا . وَٱلثَّالِثُ أَنْ تُؤَدِّيَ إِلَى ٱلْمَخْلُوقِينَ حُقُوقَهُمْ حَتَّى تَلْقَى ٱللّٰهَ أَمْلَسَ لَيْسَ عَلَيْكَ تَبِعَةٌ . وَٱلرَّابِعُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى كُلِّ فَرِيضَةٍ عَلَيْكَ ضَيَّعْتَهَا فَتُؤَدِّيَ حَقَّهَا . وَٱلْخَامِسُ أَنْ تَعْمِدَ إِلَى ٱللَّحْمِ ٱلَّذِي نَبَتَ

عَلَى ٱلسُّحْتِ(١) فَتُذِيبَهُ بِالْأَحْزَانِ حَتَّى تُلْصِقَ ٱلْجِلْدَ بِالْعَظْمِ وَيَنْشَأَ بَيْنَهُمَا لَحْمٌ جَدِيدٌ . وَٱلسَّادِسُ أَنْ تُذِيقَ ٱلْجِسْمَ أَلَمَ ٱلطَّاعَةِ كَمَا أَذَقْتَهُ حَلَاوَةَ ٱلْمَعْصِيَةِ فَعِنْدَ ذٰلِكَ تَقُولُ أَسْتَغْفِرُ ٱللّٰهَ

وَقَالَ ع : الْحِلْمُ عَشِيرَةٌ(٢)

وَقَالَ ع : مِسْكِينٌ ٱبْنُ آدَمَ مَكْتُومُ ٱلْأَجَلِ ، مَكْنُونُ ٱلْعِلَلِ ، مَحْفُوظُ ٱلْعَمَلِ ، تُؤْلِمُهُ ٱلْبَقَّةُ ، وَتَقْتُلُهُ ٱلشَّرْقَةُ ، وَتُنْتِنُهُ ٱلْعَرْقَةُ(٣)

(وَرُوِيَ أَنَّهُ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ فَمَرَّتْ بِهِمُ ٱمْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ فَرَمَقَهَا ٱلْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ) فَقَالَ ع :

إِنَّ أَبْصَارَ هٰذِهِ ٱلْفُحُولِ طَوَامِحُ(٤) ، وَإِنَّ ذٰلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا ، فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ إِلَى ٱمْرَأَةٍ تُعْجِبُهُ فَلْيُلَامِسْ أَهْلَهُ فَإِنَّمَا هِيَ ٱمْرَأَةٌ كَٱمْرَأَةٍ

(فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ ٱلْخَوَارِجِ : قَاتَلَهُ ٱللّٰهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهَهُ ! فَوَثَبَ ٱلْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ) فَقَالَ :

---

(١) السحت ـ بالضم ـ : المال من كسب حرام (٢) خلق الحلم يجمع اليك من معاونة الناس لك مايجتمع لك بالعشيرة، لأنه يوليك محبة الناس فكأنه عشيرة (٣) مكنون أى مستور العلل والأمراض لايعلم من أين تأتيه، إذا عضته بقة تألم ، وقديموت بجرعة ماء إذا شرق بها ، وتنتن ريحه إذا عرق عرقة (٤) جمع طامح أوطامحة ، طمح البصر إذا ارتفع ، وطمح أبعد فى الطلب ، وان ذلك أى طموح الأبصار سبب هبابها بالفتح

رُوَيْدًا إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبٍّ أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ(١)

وَقَالَ ع : كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ أَوْضَحَ لَكَ سَبِيلَ غَيِّكَ مِنْ رُشْدِكَ

وَقَالَ ع : افْعَلُوا الْخَيْرَ وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ ، وَقَلِيلَهُ كَثِيرٌ ، وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ . إِنَّ لِلْخَيْرِ وَالشَّرِّ أَهْلًا فَمَا تَرَكْتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَاكُمُوهُ أَهْلُهُ(٢)

وَقَالَ ع : مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتَهُ أَصْلَحَ اللَّهُ عَلَانِيَتَهُ . وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ كَفَاهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ كَفَاهُ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ

وَقَالَ ع : الْحِلْمُ غِطَاءٌ سَاتِرٌ ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلْ هَوَاكَ بِعَقْلِكَ

وَقَالَ ع : إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمُ اللَّهُ بِالنِّعَمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَذَلُوهَا(٣) ، فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ

أى هيجان هذه الفحول للامسة الأنثى (١) أن الخارجى سب أمير المؤمنين بالكفر فى الكلمة السابقة ، فأمير المؤمنين لم يسمح بقتله ، ويقول إما أن أسبه أو أعفو عن ذنبه (٢) ماتركتموه من الخير يقوم أهله بفعله بدلكم ، وماتركتموه من الشر يؤديه عنكم أهله ، فلا تختاروا أن تكونوا للشر أهلا ، ولا أن يكون عنكم فى الخير بدل (٣) يقرها أى يبقيها ويحفظها مدة بذلهم لها

وَقَالَ ع : لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِخَصْلَتَيْنِ : الْعَافِيَةِ وَالْغِنَى ، بَيْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذْ سَقِمَ ، وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذِ افْتَقَرَ

وَقَالَ ع : مَنْ شَكَا الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَكَاهَا إِلَى اللهِ وَمَنْ شَكَاهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَكَا اللهَ

وَقَالَ ع فِي بَعْضِ الْأَعْيَادِ : إِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبِلَ اللهُ صِيَامَهُ وَشَكَرَ قِيَامَهُ ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا يُعْصَى اللهُ فِيهِ فَهُوَ عِيدٌ

وَقَالَ ع : إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ اللهِ ، فَوَرِثَهُ رَجُلٌ فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللهِ سُبْحَانَهُ ، فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ وَدَخَلَ الْأَوَّلُ بِهِ النَّارَ

وَقَالَ ع : إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفْقَةً [1] وَأَخْيَبَهُمْ سَعْياً رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ مَالِهِ وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ وَقَدِمَ عَلَى الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ .

وَقَالَ ع : الرِّزْقُ رِزْقَانِ : طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَهُ الْمَوْتُ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ رِزْقَهُ مِنْهَا

---

(١) الصفقة أى البيعة ، أى أخسرهم بيعا وأشدهم خيبة فى سعيه ذلك الرجل الذى أخلق بدنه أى أبلاه ونهكه فى طلب المال ولم يحصله . والتبعة ـ بفتح فكسر ـ : حق الله وحق الناس عنده يطالب به

وَقَالَ ع : إِنَّ أَوْلِيَاءَ ٱللهِ هُمُ ٱلَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ ٱلدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ ٱلنَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا ، وَٱشْتَغَلُوا بِآجِلِهَا[1] إِذَا ٱشْتَغَلَ ٱلنَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا خَشُوا أَنْ يُمِيتَهُمْ[2] ، وَتَرَكُوا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّهُ سَيَتْرُكُهُمْ ، وَرَأَوُا ٱسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا ٱسْتِقْلَالاً . وَدَرَكَهُمْ لَهَا فَوْتاً . أَعْدَاءُ مَا سَالَمَ ٱلنَّاسُ ، وَسِلْمُ مَا عَادَى ٱلنَّاسُ[3] . بِهِمْ عُلِمَ ٱلْكِتَابُ وَبِهِ عَلِمُوا . وَبِهِمْ قَامَ ٱلْكِتَابُ وَبِهِ قَامُوا . لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ، وَلَا مَخُوفاً فَوْقَ مَا يَخَافُونَ[4]

وَقَالَ ع : اُذْكُرُوا ٱنْقِطَاعَ ٱللَّذَّاتِ وَبَقَاءَ ٱلتَّبِعَاتِ

وَقَالَ ع : اخْبُرْ تَقْلِهِ[5] (وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَنْ يَرْوِي هٰذَا لِلرَّسُولِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ . وَمِمَّا يُقَوِّي أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ع مَا حَكَاهُ ثَعْلَبُ عَنِ ٱبْنِ ٱلْأَعْرَابِيِّ : قَالَ ٱلْمَأْمُونُ : لَوْلَا أَنَّ عَلِيّاً قَالَ « اُخْبُرْ تَقْلِهِ » لَقُلْتُ : اُقْلِهْ تَخْبُرْ)

---

(١) اضافة الآجل إلى الدنيا لأنه يأتى بعدها أو لأنه عاقبة الأعمال فيها والمراد منه مابعد الموت (٢) أماتوا قوة الشهوة والغضب التى يخشون أن تميت فضائلهم ، وتركوا للذات العاجلة التى ستتركهم ، ورأوا أن الكثير من هذه اللذات قليل فى جانب الأجر على تركه و إدراكه فوات لأنه يعقب حسرات العقاب (٣) الناس يسالمون الشهوات وأولياء الله يحاربونها ، والناس يحاربون العفة والعدالة وأولياء الله يسالمونهما وينصرونهما (٤) أى مرجو فوق ثواب الله وأى مخوف أعظم من غضب الله (٥) اخبر ـ بضم الباء ـ : أمر من خبرته من باب قتل ، أى علمته . وتقله مضارع

وَقَالَ ع : مَا كَانَ اللّٰهُ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الزِّيَادَةِ . وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ (١). وَلَا لِيَفْتَحَ لِعَبْدٍ بَابَ التَّوْبَةِ وَيُغْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ

(وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيُّمَا أَفْضَلُ الْعَدْلُ أَوِ الْجُودُ) فَقَالَ ع : الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا . وَالْعَدْلُ سَائِسٌ عَامٌّ ، وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ . فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا

وَقَالَ ع : النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا

وَقَالَ ع : الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ قَالَ اللّٰهُ سُبْحَانَهُ « لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ » وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي (٢) وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ

وَقَالَ ع : مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ (٣)

وَقَالَ ع : الْوِلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرِّجَالِ (٤)

مجزوم بعد الأمر ، وهاؤه للوقوف ، من قلاه يقليه ــ كرماه يرميه ــ بمعنى أبغضه ، أي إذا أعجبك ظاهر الشخص فاختبره فربما وجدت فيه مالا يسرك فتبغضه . و وجه مااختاره المأمون أن المحبة ستر للعيوب فاذا أبغضت شخصا امكنك أن تعلم حاله كما هو

(١) تكرر الكلام فى أن الدعاء والاجابة والاستغفار والمغفرة إذا صدقت النيات وطابق الرجاء العمل و إلا فليست من جانب الله فى شىء إلا ان تخرق سعة فضله سوابق سنته

(٢) أى لم يحزن على مانفذ به القضاء (٣) تقدمت هذه الجملة بنصها ، ومعناها قد يجمع العازم على أمر فاذا نام وقام وجد انحلالا فى عزيمته ، أو ثم يغلبه النوم عن امضاء عزيمته (٤) المضامير جمع مضمار وهو المكان الذى تضمر فيه الخيل للسباق ، والولايات

وَقَالَ ع : لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ[١] ، خَيْرُ ٱلْبِلَادِ مَا حَمَلَكَ

وَقَالَ ع (وَقَدْ جَاءَهُ نَعْيُ ٱلْأَشْتَرِ رَحِمَهُ ٱللهُ) : مَالِكٌ وَمَا مَالِكٌ ![٢] لَوْ كَانَ جَبَلًا لَكَانَ فِنْدًا ، لَا يَرْتَقِيهِ ٱلْحَافِرُ وَلَا يُوفِي عَلَيْهِ ٱلطَّائِرُ (وَٱلْفِنْدُ ٱلْمُنْفَرِدُ مِنَ ٱلْجِبَالِ)

وَقَالَ ع : قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُولٍ مِنْهُ

وَقَالَ ع : إِذَا كَانَ فِي رَجُلٍ خَلَّةٌ ذَائِعَةٌ فَانْتَظِرُوا أَخَوَاتِهَا[٣]

(وَقَالَ ع لِغَالِبِ بْنِ صَعْصَعَةَ أَبِي ٱلْفَرَزْدَقِ فِي كَلَامٍ دَارَ بَيْنَهُمَا) : مَا فَعَلَتْ إِبِلُكَ ٱلْكَثِيرَةُ ؟ قَالَ دَغْدَعَتْهَا ٱلْحُقُوقُ[٤] يَا أَمِيرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فَقَالَ ع : ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا

وَقَالَ ع : مَنِ ٱتَّجَرَ بِغَيْرِ فِقْهٍ فَقَدِ ٱرْتَطَمَ فِي ٱلرِّبَا[٥]

أشبه بالمضامير إذ يتبين فيها الجواد من البردون (١) يقول كل البلاد تصلح سكنا ، وإنما أفضلها ماحملك أى كنت فيه على راحة فكأنك محمول عليه (٢) مالك هو الأشتر النخعي . والفند ـ بكسر الفاء ـ : الجبل العظيم ، والجملتان بعده كناية عن رفعته وامتناع همته . وأوفى عليه: وصل إليه (٣) الخلة ـ بالفتح ـ: الخصلة أى إذا أعجبك خلق من شخص فلا تعجل بالركون إليه وانتظر سائر الخلال (٤) دغدغ المال : فرقه وبدده ، أى فرق ابلى حقوق الزكاة والصدقات ، وذلك أحمد سبلها ـ جمع سبيل ـ أى أفضل طرق افنائها (٥) ارتطم وقع فى الورطة ولم يمكنه الخلاص . والتاجر إذا لم يكن على علم بالفقه لايأمن الوقوع فى الربا جهلا

وَقَالَ ع : مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ابْتَلَاهُ اللهُ بِكِبَارِهَا(١)

وَقَالَ ع : مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَتْ عَلَيْهِ شَهَوَاتُهُ

وَقَالَ ع : مَا مَزَحَ امْرُؤٌ مَزْحَةً إِلَّا مَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً(٢)

وَقَالَ ع : زُهْدُكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظٍّ(٣)، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ

وَقَالَ ع : الْغِنَى وَالْفَقْرُ بَعْدَ الْعَرْضِ عَلَى اللهِ(٤)

وَقَالَ ع : مَا لِابْنِ آدَمَ وَالْفَخْرَ ، أَوَّلُهُ نُطْفَةٌ ، وَآخِرُهُ جِيفَةٌ ، لَا يَرْزُقُ نَفْسَهُ ، وَلَا يَدْفَعُ حَتْفَهُ

(وَسُئِلَ مَنْ أَشْعَرُ الشُّعَرَاءِ) فَقَالَ ع

إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْرُوا فِي حَلْبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا(٥) ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ فَالْمَلِكُ الضِّلِّيلُ (يُرِيدُ امْرَأَ الْقَيْسِ)

---

(١) من تفاقم به الجزع ولم يحمل منه الصبر عند المصائب الخفيفة حله الهم الى ما هو أعظم منها (٢) المزح والمزاحة والمزاح بمعنى واحد وهو المضاحكة بقول أو فعل ، وأغلبه لا يخلو عن سخرية . ومج الماء من فيه رماه ، وكأن المازح يرمي بعقله و يقذف به في مطارح الضياع (٣) بعدك عمن يتقرب منك و يلتمس مودتك تضييع لحظ من الخير يصادفك وأنت تلوى عنه ، وتقربك لمن يبتعد عنك ذل ظاهر (٤) العرض على الله يوم القيامة ، وهناك يظهر الغنى بالسعادة الحقيقية والفقر بالشقاء الحقيقي (٥) الحلبة ــ بالفتح ــ : القطعة من الخيل تجتمع للسباق عبر بها عن الطريقة الواحدة.

وَقَالَ ع : أَلَا حُرٌّ يَدَعُ هٰذِهِ اللُّمَاظَةَ لِأَهْلِهَا[١] ؟ إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا

وَقَالَ ع : مَنْهُومَانِ لَا يَشْبَعَانِ[٢] : طَالِبُ عِلْمٍ وَطَالِبُ دُنْيَا

وَقَالَ ع : الْإِيمَانُ أَنْ تُؤْثِرَ الصِّدْقَ حَيْثُ يَضُرُّكَ عَلَى الْكَذِبِ حَيْثُ يَنْفَعُكَ ، وَأَنْ لَا يَكُونَ فِي حَدِيثِكَ فَضْلٌ عَنْ عَمَلِكَ[٣] ، وَأَنْ تَتَّقِيَ اللهَ فِي حَدِيثِ غَيْرِكَ

وَقَالَ ع : يَغْلِبُ الْمِقْدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ[٤] حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّدْبِيرِ (وَقَدْ مَضَى هٰذَا الْمَعْنَى فِيمَا تَقَدَّمَ بِرِوَايَةٍ تُخَالِفُ هٰذِهِ الْأَلْفَاظَ)

وَقَالَ ع : الْحِلْمُ وَالْأَنَاةُ تَوْأَمَانِ يُنْتِجُهُمَا عُلُوُّ الْهِمَّةِ[٥]

والقصبة ما ينصبه طلبة السباق حتى إذا سبق سابق أخذه ليعلم أنه السابق بلا نزاع . وكانوا يجعلون هذا من قصب ، أى لم يكن كلامهم فى مقصد واحد ، بل ذهب بعضهم مذهب الترغيب ، وآخر مذهب الترهيب، وثالث مذهب الغزل والتشبيب ، والضليل من الضلال لأنه كان فاسقاً (١) اللماظة – بالضم – : بقية الطعام فى الفم يريد بها الدنيا ، أى ألا يوجد حر يترك هذا الشىء الدنىء لأهله (٢) المنهوم : المفرط فى الشهوة ، وأصله فى شهوة الطعام (٣) أى أن لا تقول أزيد مما تفعل. وحديث الغير : الرواية عنه .والتقوى فيه : عدم الافتراء ، أو حديث الغير التكلم فى صفاته نهى عن الغيبة (٤) المقدار القدر الالهى .والتقدير القياس (٥) الحلم – بالكسر – : حبس النفس عند الغضب، والأناة يريد بها التأنى . والتوأمان المولودان فى بطن واحد. والتشبيه الاقتران والتولد من أصل واحد

وَقَالَ ع : الْغِيبَةُ جُهْدُ الْعَاجِزِ(١)

وَقَالَ ع : رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ (زِيَادَةٌ مِنْ نُسْخَةٍ كُتِبَتْ فِي عَهْدِ الْمُصَنِّفِ)

وَقَالَ ع : الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا(٢)

وَقَالَ ع : إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مُرْوَدًا يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدِ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ كَادَتْهُمُ الضِّبَاعُ لَغَلَبَتْهُمْ(٣)

(وَالْمُرْوَدُ هُنَا مُفْعَلٌ مِنَ الْإِرْوَادِ وَهُوَ الْإِمْهَالُ وَالْإِنْظَارُ . وَهٰذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ وَأَغْرَبِهِ ، فَكَأَنَّهُ ع شَبَّهَ الْمُهْلَةَ الَّتِي هُمْ فِيهَا بِالْمِضْمَارِ الَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطَعَهَا انْتَقَضَ نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا)

وَقَالَ ع (فِي مَدْحِ الْأَنْصَارِ) : هُمْ وَاللّٰهِ رَبَّوُا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبَّى الْفِلْوُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السِّبَاطِ وَأَلْسِنَتِهِمُ السِّلَاطِ(٤)

---

(١) الغيبة ـ بالكسر ـ : ذكرك الآخر بما يكره وهو غائب ، وهى سلاح العاجز ينتقم به من عدوه ، وهى جهده أى غاية ما يمكنه (٢) خلقت الدنيا سبيلا الى الآخرة ، ولو خلقت لنفسها لكانت دار خلد (٣) مرود بضم فسكون ففتح فسره صاحب الكتاب بالمهلة وهى مدة اتحادهم فلو اختلفوا ثم كادتهم أى مكرت بهم أوحار بتهم الضباع دون الأسود لقهرتهم (٤) ربوا من التربية والانماء . والفلو ـ بالكسر ، أو بفتح فضم فتشديد ، أو بضمتين فتشديد : المهر إذا فطم أو بلغ السنة . والغناء بالفتح ـ ممدوداً ـ : الغنى

وَقَالَ ع : الْعَيْنُ وِكَاءُ السَّهِ(١)

(وَهٰذَا مِنَ الاسْتِعَارَاتِ الْعَجِيبَةِ كَأَنَّهُ شَبَّهَ السَّهَ بِالْوِعَاءِ وَالْعَيْنَ بِالْوِكَاءِ، فَإِذَا أُطْلِقَ الْوِكَاءُ لَمْ يَنْضَبِطِ الْوِعَاءُ . وَهٰذَا الْقَوْلُ فِي الْأَشْهَرِ الْأَظْهَرِ مِنْ كَلَامِ النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وَقَدْ رَوَاهُ قَوْمٌ لِأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ. وَذَكَرَ ذٰلِكَ الْمُبَرِّدُ فِي كِتَابِ الْمُقْتَضَبِ فِي بَابِ اللَّفْظِ بِالْحُرُوفِ . وَقَدْ تَكَلَّمْنَا عَلَى هٰذِهِ الِاسْتِعَارَةِ فِي كِتَابِنَا الْمَوْسُومِ بِمَجَازَاتِ الْآثَارِ النَّبَوِيَّةِ)

وَقَالَ ع (فِي كَلَامٍ لَهُ) : وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ حَتَّى ضَرَبَ الدِّينُ بِجِرَانِهِ(٢)

أى مع استغنائهم . و بأيديهم متعلق بر بوا . ويقال رجل سبط اليدين بالفتح أى سخى . والسباط ـ ككتاب ـ : جمعه. والسلاط ـ جمع سليط ـ : الشديد . واللسان الطويل

(١) السه ـ بفتح السين وتخفيف الهاء ـ : العجز ومؤخر الانسان ، والعين الباصرة . وإنما جعل العجز وعاء لأن الشخص إذا حفظ من خلفه لم يصب من أمامه فى الأغلب، فكأنه وعاء الحياة والسلامة إذا حفظ حفظتا . والباصرة وكاء ذلك الوعاء أى رباطه لأنها تلحظ ما عساه يصل اليه فتنبه العزيمة لدفعه والتوقى منه ، فاذا أهمل الانسان النظر الى مؤخرات أحواله ادركه العطب . والكلام تمثيل لفائدة العين فى حفظ الشخص مما قد يعرض عليه من خلفه، وأنها لا تختلف عن فائدتها فى حفظه مما يستقبله من أمامه، وإرشاد إلى وجوب التبصر فى مظنات الغفلة . وهذا هو المحمل اللائق بمقام النبى صلى الله عليه وسلم أو مقام أمير المؤمنين (٢) الجران ـ ككتاب ـ : مقدم عنق البعير ضرب على الأرض عند الاستراحة كناية عن التمكن . والوالى يريد به النبى صلى

وَقَالَ ع : يَأْتِي عَلَى ٱلنَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ[١] يَعَضُّ ٱلْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ وَلَمْ يُؤْمَرْ بِذٰلِكَ قَالَ ٱللهُ سُبْحَانَهُ « وَلَا تَنْسَوُا ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ » تَنْهَدُ فِيهِ ٱلْأَشْرَارُ[٢] وَتُسْتَذَلُّ ٱلْأَخْيَارُ . وَيُبَايِعُ ٱلْمُضْطَرُّونَ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ ٱللهِ صَلَّى ٱللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ بَيْعِ ٱلْمُضْطَرِّينَ[٣]

وَقَالَ ع : يَهْلِكُ فِيَّ رَجُلَانِ: مُحِبٌّ مُفْرِطٌ وَبَاهِتٌ مُفْتَرٍ[٤] (وَهٰذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ) : هَلَكَ فِيَّ رَجُلَانِ : مُحِبٌّ غَالٍ ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ

(وَسُئِلَ عَنِ ٱلتَّوْحِيدِ وَٱلْعَدْلِ)فَقَالَ ع :

ٱلتَّوْحِيدُ أَنْ لَا تَتَوَهَّمَهُ ، وَٱلْعَدْلُ أَنْ لَا تَتَّهِمَهُ[٥]

وَقَالَ ع : لَا خَيْرَ فِي ٱلصَّمْتِ عَنِ ٱلْحُكْمِ كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي ٱلْقَوْلِ بِٱلْجَهْلِ

وَقَالَ ع (فِي دُعَاءٍ ٱسْتَسْقَى بِهِ) ٱللَّهُمَّ ٱسْقِنَا ذُلُلَ ٱلسَّحَابِ دُونَ صِعَابِهَا (وَهٰذَا مِنَ ٱلْكَلَامِ ٱلْعَجِيبِ ٱلْفَصَاحَةِ وَذٰلِكَ أَنَّهُ ع شَبَّهَ

الله عليه وسلم ، ووليهم أى تولى أمورهم وسياسة الشريعة فيهم . وقال قائل يريد به عمر بن الخطاب (١) العضوض ـ بالفتح ـ : الشديد . والموسر : الغنى ، ويعض على مافى يده: يمسكه بخلا على خلاف ماأمره الله فى قوله « ولا تنسوا الفضل بينكم » أى الاحسان (٢) تنهد أى ترتفع (٣) بيع ـ بكسر ففتح ـ : جمع بيعة بالكسر هيئة البيع كالجلسة لهيئة الجلوس (٤) بهته ـ كمنعه ـ : قال عليه مالم يفعل . ومفتر : اسم فاعل من الافتراء (٥) الضمير المنصوب لله فمن توحيده أن لانتوهمه أى لانصوره

اُلسَّحَابَ ذَوَاتِ اُلرُّعُودِ وَاُلْبَوَارِقِ وَاُلرِّيَاحِ وَاُلصَّوَاعِقِ بِالْإِبِلِ اُلصِّعَابِ اُلَّتِي تَقْمِصُ بِرِحَالِهَا[1] وَتَقِصُ بِرُكْبَانِهَا ، وَشَبَّهَ اُلسَّحَابَ خَالِيَةً مِنْ تِلْكَ اُلرَّوَائِعِ[2] بِالْإِبِلِ اُلذُّلُلِ اُلَّتِي تُحْتَلَبُ طَيِّعَةً وَتُقْتَعَدُ مُسْمِحَةً[3].

وَقِيلَ لَهُ ع (لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ اُلْمُؤْمِنِينَ ؟) فَقَالَ ع :

اِلْخِضَابُ زِينَةٌ وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ (يُرِيدُ وَفَاةَ رَسُولِ اُللهِ صَلَّى اُللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

وَقَالَ ع : اَلْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ (وَقَدْ رَوَى بَعْضُهُمْ هٰذَا اُلْكَلَامَ لِرَسُولِ اُللهِ صَلَّى اُللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ)

وَقَالَ ع : (لِزِيَادِ بْنِ أَبِيهِ ، وَقَدِ اُسْتَخْلَفَهُ لِعَبْدِ اُللهِ بْنِ اُلْعَبَّاسِ عَلَى فَارِسَ وَأَعْمَالِهَا فِي كَلَامٍ طَوِيلٍ كَانَ بَيْنَهُمَا نَهَاهُ فِيهِ عَنْ تَقَدُّمِ اُلْخَرَاجِ[4]) اُسْتَعْمِلِ اُلْعَدْلَ وَاُحْذَرِ اُلْعَسْفَ وَاُلْحَيْفَ ، فَإِنَّ اُلْعَسْفَ يَعُودُ بِالْجَلَاءِ[5]

بوهمك ، فكل موهوم محدود ، والله لا يحد بوهم. واعتقادك بعدله أن لا تتهمه فى أفعاله بظن عدم الحكمة فيها (١) قمص الفرس وغيره ـ كضرب ونصر ـ : رفع يديه وطرحهما معا وعجن برجليه، والرحال جمع رحل ، أى أنها تمتنع حتى على رحالها فتقمص لتلقيها ، و وقصت به راحلته تقص كوعد يعد تقحمت به فكسرت عنقه (٢) جمع رائعة أى مفزعة (٣) طيعة ـ بتشديد الياء ـ : شديدة الطاعة. والاحتلاب استخراج اللبن من الضرع . وتقتعد : مبنى للمجهول ، اقتعده اتخذه قعدة بالضم يركبه فى جميع حاجاته. ومسمحة اسم فاعل أسمح ، أى سمح كـكرم بمعنى جاد ، وسماحها مجاز عن إتيان ما يريده الراكب من حسن السير (٤) تقدم الخراج: الزيادة فيه (٥) العسف

وَالْحَيْفَ يَدْعُو إِلَى السَّيْفِ

وَقَالَ ع : أَشَدُّ الذُّنُوبِ مَا اسْتَخَفَّ بِهِ صَاحِبُهُ

وَقَالَ ع : مَا أَخَذَ اللهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلِّمُوا(١)

وَقَالَ ع : شَرُّ الْإِخْوَانِ مَنْ تُكُلِّفَ لَهُ (لِأَنَّ التَّكْلِيفَ مُسْتَلْزِمٌ لِلْمَشَقَّةِ وَهُوَ شَرٌّ لَازِمٌ عَنِ الْأَخِ الْمُتَكَلَّفِ لَهُ فَهُوَ شَرُّ الْإِخْوَانِ)

وَقَالَ ع : إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ (يُقَالُ حَشَمَهُ وَأَحْشَمَهُ إِذَا أَغْضَبَهُ ، وَقِيلَ أَخْجَلَهُ وَاحْتَشَمَهُ طَلَبَ ذٰلِكَ لَهُ وَهُوَ مَظِنَّةُ مُفَارَقَتِهِ

وَهٰذَا حِينُ انْتِهَاءِ الْغَايَةِ بِنَا إِلَى قَطْعِ الْمُخْتَارِ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، حَامِدِينَ لِلّٰهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَوْفِيقِنَا لِضَمِّ مَا انْتَشَرَ مِنْ أَطْرَافِهِ ، وَتَقْرِيبِ مَا بَعُدَ مِنْ أَقْطَارِهِ . وَتَقَرَّرَ الْعَزْمُ كَمَا شَرَطْنَا أَوَّلًا عَلَى تَفْضِيلِ أَوْرَاقٍ مِنَ الْبَيَاضِ فِي آخِرِ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ لِيَكُونَ لِاقْتِنَاصِ الشَّارِدِ . وَاسْتِلْحَاقِ الْوَارِدِ . وَمَا عَسَى أَنْ

بالفتح : الشدة فى غير حق . والجلاء بالفتح : التفرق والتشتت . والحيف : الميل عن العدل إلى الظلم وهو ينزع بالمظلومين إلى القتال لا نقاذ أنفسهم (٢) كما أوجب الله على الجاهل أن يتعلم أوجب على العالم أن يعلم

يَظْهَرَ لَنَا بَعْدَ الْغُمُوضِ وَيَقَعَ إِلَيْنَا بَعْدَ الشُّذُوذِ . وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ .

وَذٰلِكَ فِي رَجَبٍ سَنَةَ أَرْبَعِمِائَةٍ مِنَ الْهِجْرَةِ[1] . وَصَلَّى اللهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَاتَمِ الرُّسُلِ، وَالْهَادِي إِلَى خَيْرِ السُّبُلِ، وَآلِهِ الطَّاهِرِينَ، وَأَصْحَابِهِ يَوْمِ الْيَقِينِ .

---

(١) انتهى من جمعه فى سنة أربعمائة ، وأبقى أوراقا بيضاء فى آخر كل باب رجاء أن يقف على شىء يناسب ذلك الباب فيدرجه فيه

وجامع الكتاب هو الشريف الحسينى الملقب بالرضى. وذكر فى تاريخ أبى الفدا أنه محمد بن الحسين بن موسى بن ابراهيم المرتضى بن موسى الكاظم. وقد يلقب بالمرتضى تعريفا له بلقب جده ابراهيم. ويعرف أيضا بالموسوى . وهو صاحب ديوان الشعر المشهور . ولد سنة تسع وخمسين وثلاثمائة وتوفى سنة ست وأربعمائة. رحمه الله رحمة واسعة .

والحمد لله فى البداية والانتهاء، والشكر له فى السراء والضراء. والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء، وعلى آله وصحبه أصول الكرم وفروع العلاء. آمين

طبع في لبنان بمطبعة داغر

(فهرست الجزء الرابع من نهج البلاغة)

(تمت الفهرست)